

أبو بكر القادري

مذكراتي
في الحركة الوطنية المغربية
من 1941 إلى 1945



الجزء الثاني

أبو بكر المتكادري
عضو أكاديمية المملكة المغربية

مذكراتي
في
الحركة الوطنية المغربية

من سنة 1941 — إلى سنة 1945

الجزء الثاني



الطبعة الأولى 1418 - 1997
© جميع الحقوق محفوظة

أعتراز

تفضل صاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني
فأهدى نسخة من كتابه
"ذاكرة ملك" إلى الأستاذ المجاهد
أبو بكر القادري، ضمنها كلمة
سامية بخط يده عن "مذكراتي في
الحركة الوطنية" وصاحبها، نشتها فيما يلي:



إلى المجاهد المحترم وربيها والحمد لله المنع بى الكباح السيد
أبو بكر القادري. وبجهد المناسبة نهنيه على منة ذكرته
التي قرأنا البعض منها بلطف وإمعان مماها امتوت عليه
من موضوعية ومسايرة دقيقة لتلك الفترة من الكباح
الوطني المفرد. شكرًا له وجزاء. زاء الله بى عمر وصحته
والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

الملك الحسن الثاني 10 أبريل 1993

محمد بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

مقدمة

لما تهيأت لكتابة الجزء الثاني من مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، كانت نصب عيني صورة واضحة القسمات للمنهج الذي سأتبّعه، وكانت الموضوعات التي سأتناولها، والذكريات التي سأرويها، والأحداث التي سأسجلها، راسخة في ذهني. ولكنني ما أن شرعت في الكتابة، وبدأت في إعداد مواد هذا الكتاب، حتى شعرت بالحاجة الشديدة إلى استدراك بعض المسائل والأحداث والذكريات التي فاتني تسجيلها في الجزء الأول، فوجدتني تحت دافع الرغبة في استكمال جوانب المرحلة التي استوفاهما الجزء الأول، مسوقاً إلى الخروج من الإطار العام الذي وضعته لهذا الجزء، بين الحين والآخر، والعودة إلى المرحلة الأولى، وهي مرحلة الثلاثينيات، ثم استئناف الكتابة عن مرحلة الأربعينيات.

ولهذا سيجد القارئ أن هذا الجزء لا يختص بمذكراتي في الحركة الوطنية المغربية في الأربعينيات فحسب، ولكنه يضمّ، فيما يضمّه من مواد وموضوعات وذكريات، صوراً وجوانب من المرحلة التي تسبقها، اقتضتها طبيعة كتابة المذكرات التي تختلف عن كتابة التاريخ المنهج وفق أسلوب منضبط بقواعد علمية يصطلح عليها العاملون في هذا الحقل المعرفي. ولقد سبق لي أن قلت في الجزء الأول إن هذا الذي أكتبه وأخرجه للناس، ليس تاريخاً عاماً وشاملاً وجامعاً مانعاً، ولكنه مذكرات رجل شرفه الله بالمشاركة مع إخوانه في العمل من أجل تحرير الوطن واستقلاله والدفاع عن مقدساته ومقوماته.

وهكذا، فقد اضطررت في هذا الجزء، إلى العودة في بعض التأمّني والتركيز، إلى فترة الحرب العالمية الثانية لأستوفي جوانب من الحركة الوطنية وعلاقاتها واتصالاتها بالقدر الذي يزيل اللبس ويزيد في إيضاح الصورة. كذلك وجدتني مضطراً — بحكم ضرورة السياق العام لهذه المذكرات — إلى العودة إلى رواية ما أمكنني معرفته من التحركات التي قام بها أخي المرحوم سعيد حجي واتصاله بصديقه القديم المرحوم اشماغو، وعملهما معاً في إطار حدّدته معاملة بالوضوح الكامل في هذا الجزء.

وشملت مراجعاتي لفترة الثلاثينيات واستدراكاتي لأحداثها، الحديث باستفاضة عن بعض الجهود المتميزة لجلالة المغفور له محمد الخامس الذي ناضل مع شعبه ببسالة ورباطة جأش، والذي كان قائداً للحركة الوطنية المغربية. وإني وإن كنت تحدثت عن جلالة الملك محمد الخامس في الجزء الأول، وأفردت له كتاباً خاصاً نشرته في سنة 1996، فقد عدت في هذا الجزء إلى الكتابة عن هذا الملك العظيم والمجاهد الشهم النبيل بما هو أهل له من الوفاء لمبادئه والإخلاص لرسالته والمحبة والتقدير لشخصه رحمه الله برحمته الواسعة. ولقد لاحظت أثناء حديثي عن هذا الملك المجاهد أن مبايعته بالملك، جاءت متزامنة وكأنها متكاملة مع تكوين الجماعات الأولى للحركة الوطنية التي برزت بها جماعات من الشباب الوطني في فاس والرباط وسلا وتطوان، ولربما في غيرها من المدن المغربية.

وكذلك كان شأني مع بعض الكتابات التي تناولت الحركة الوطنية المغربية في فترة الثلاثينيات، والتي غفل أصحابها عن تسجيل الأحداث المرتبطة بهذه المرحلة وتوثيقها بما كان يلزم من الدقة والأمانة والنزاهة والإنصاف. وسيجد القارئ أنني تعاملت في هذا الجزء مع تلك الكتابات بموضوعية كاملة، وبالحرص على استيفاء عناصر الرواية التاريخية النزينة، إحقاقاً للحق، وأداءً للأمانة. ولم أشأ أن أذهب بعيداً في الرد على تلك الكتابات ومناقشة أصحابها في كل ما تضمنته مؤلفاتهم، وإنما كان قصدي الوقوف عند القضايا والروايات التي لها صلة بموضوعات هذا الجزء، أو لها علاقة مباشرة ببعض المناضلين الذين أبخس حقهم ونالهم الضيم.

وأراني حريصاً كل الحرص، وأنا أقدم هذا الجزء من مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، على أن أؤكد أنني لم أغن بتسجيل كل الوقائع والأحداث، ولكنني عنيت بصفة خاصة، بالكتابة عن هذه الوقائع والأحداث من زاوية علاقتي بها، أو علاقة إخواني بها. وبذلك أستطيع أن أقول مطمئناً إنني سجلت شهادتي على مرحلة هامة من تاريخ المغرب، وأسأل الله تعالى أن يمد لي في العمر، لأستوفي مرحلة أخرى حقها جهد استطاعتي بمشيئته تعالى.

إن هذا الجزء يغطي فترة الأربعينيات إلى سنة 1945، أي بعد خروجنا من السجن الذي دخلناه في يناير سنة 1944 على إثر تقديم حزب الاستقلال لوثيقة المطالبة بالاستقلال إلى جلالة الملك، وإلى سلطات الحماية، وإلى ممثلي الحلفاء في الرباط. وعلى ذكر السجن، فإنني في هذا الجزء أطلقت لنفسني العنان للحديث عن حياة السجن وبعض ذكرياته التي عشتها مع إخواني. وجاء هذا الحديث عن السجن موسعاً وشاملاً

لذكريات تذكرتها، فيها المهم، وغير المهم. ولكنها بالرغم من ذلك، جزء من تاريخ الحركة الوطنية المغربية. إن تسجيلي لذكريات السجن، هو تسجيل لمرحلة دقيقة من المراحل التي قطعتها الحركة الوطنية المغربية في عهد الحماية، وفيها تصوير للحالة النفسية التي يعيشها السجناء في بعض الأحيان. ولقد رأيت أن مذكراتي لن تكتمل ما لم أسجلها ولو باقتضاب.

إنني التزمت في هذا الجزء، كما التزمت في الجزء الأول، بأن أكون شاهداً على المراحل التي قطعتها الحركة الوطنية، من موقعي الشخصي، داخل هذه الحركة، ومن خلال معرفتي وإلمامي واطلاعي ومشاركتي، مؤملاً أن تكون مذكراتي نافعة للأجيال المقبلة، وللأجيال الصاعدة أيضاً بحول الله.

وأجدني وأنا أقدم لهذا الجزء، في حاجة إلى الإشارة باقتضاب شديد، إلى أنني كتبت تراجم مختصرة، أو ما يشبه تراجم، للشخصيات الموقعة على وثيقة المطالبة بالاستقلال، من خلال معرفتي الشخصية بها، ووفاء بالواجب الذي استشعرت بأني مطّوق به. وسيقرأ القارئ في هذا الجزء تعريفات للموقعين على الوثيقة التاريخية. ويظهر أنه لأول مرة يكتب أحد الموقعين على عريضة 11 يناير سنة 1944، عن إخوانه ببعض التفصيل والتركيز والإفادة. وإني لأحمد الله تعالى أن وفقني إلى ذلك. وأحمده كثيراً على ما أنعم به عليّ من فضل كتابة هذه المذكرات، وعلى ما يسّره لي من أسباب التفرغ لها، والانكباب عليها، والانتهاء منها إلى حيث انتهيت. والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أبو بكر القادري

سلا في 19 من ذي القعدة 1417هـ
الموافق 28 من مارس 1997م

تهيد

لماذا يسجل الإنسان مذكراته ؟ هل هي نزعة أنانية فردية ؟ هل يريد صاحب المذكرات، أن يخلد بها نفسه، كصانع كبير أو صغير من صناع التاريخ ؟ قد يكون ذلك عند البعض، ولكن الكاتب للمذكرات، يجب أن لا تطغى عليه هذه النزعة الأنانية الفردية، بل يجب أن يهدف وهو يسجل الأحداث التي عاشها، إلى أن تستفيد من وقائعها، وأحداثها، وتطوراتها، ودوافعها، وخلفياتها، وما نتج عنها، أن تستفيد من جميع ذلك الأجيال الآتية، فتبصر تلك الأجيال، ولا تقع في أخطاء، تضيع لها كثيراً من الوقت وتؤخر سيرها إلى الأمام، دون الحصول على ما تنشده من تقدم، وما تبتغيه من تحقيق للأمان.

ومن هنا، فإن في كتابة المذكرات، لعبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد، ومن هنا فإن على مسجل مذكراته، أن يكتبها بنزاهة فكرية — ما أمكنه ذلك — ولو لم تحقق له مذكراته، ما تتطلبه نفسه التواقة إلى المجد من مكانة، قد تكون غير حقيقية، وهكذا تكون مذكراته صادقة، وغير غاشة أو خادعة، فتستفيد منها الأجيال، ولا تعرض البعض من هذه الأجيال للأخطاء.

والواقع أن الكاتب عندما يأخذ القلم، فيسجل حدثاً من الأحداث التي عاشها، أو يصدر حكماً في قضية من القضايا، أو يؤيد موقفاً من المواقف التي اتخذها بنفسه أو اتخذها غيره، أو ينتقد ذلك الرأي أو ذاك، لا ينبغي له أن يعتقد أن الحقيقة عنده وحده، فقد تغيب عنه أشياء يكشفها التاريخ فيما بعد، وقد يكون اطلع على جزء من الحقيقة، ولكنه لم يطلع عليها كلها (علمت شيئاً وغابت عنك أشياء).

وقد يظن كاتب المذكرات أنه يستطيع أن يصوغ الحدث، كما تريده نفسه الأمانة، ولكن الأمر يكون بعكس ذلك، وأن الواجب عليه أن لا يغطي الحقائق التي يعلم، لأنها تتعارض مع ميوله الشخصية، ونزعاته الفردية، لأن في تلك التغطية، غشاً لمن يأتي بعده، وتلبساً عليه، وقضاء على الثقة التي يجب أن تكون بين الكاتب والقارئ، وبالأحرى لإفساداً للغاية التي يجب أن تسجل من أجلها المذكرات، وهي أخذ العبرة، والإستفادة من تجارب السابقين. وإذا كان الكثير من الحقائق، وعلى الأخص ما يتعلق

منها بالأشخاص، لا يستطيع الإنسان أحياناً، أن يسجلها كاملة كما هي في الواقع، لاعتبارات متعددة، منها أن النقد الصريح — ولو كان صحيحاً في حد ذاته — قد يجلب من المضار، ما تتضاءل معه الفوائد والعبر، فإن السكوت أو الإغفال يكون أسلم وأفيد، بشرط الالتزام بعدم الإتيان بعكس الواقع، وتسجيله كواقع، فيكون التسجيل غشاً، وفقداناً للأمانة. ولا يظنن ظان أن الحقيقة ستبقى مغطاة إلى الأبد، فإن كثيراً من وقائع التاريخ غطاها كاتبوها أو شوّهوها أو زيّفوها أو أظهروها على غير حقيقتها. فجاءت الأيام لتكشفها كما هي دون زيادة أو نقصان. والمعيار الحق الصحيح، هو الالتزام بالصدق. وعدم السير مع هوى النفس. والله سبحانه من وراء القصد.

* * *

انغماري في الحركة الوطنية

لقد ذكرت في مقدمة الجزء الأول من مذكراتي في الحركة الوطنية، أنني انغمرت في العمل الوطني، وأنا في السادسة عشرة من عمري، ولا أحتاج أن أؤكد هنا وأنا عازم — إن شاء ربّي — أن أواصل ما يمكنني تسجيله، لا أحتاج أن أؤكد أنني لم أكن مؤهلاً، ولا عندي من التكوين، ومن التجربة، ومن التطلع، ما يمكنني أن أعد نفسي أكثر من شاب أنار الله بصيرته في الوقت المناسب، فقذف في قلبه حباً لوطنه وكرهية الاستعمار، بجميع أشكاله وألوانه، وقاده إلى تقرير مصيره، بإرادة وعزيمة، وصبر وقوة يقين، نرجو الله الثبات.

كانت الطريق واضحة أمامي، فكل ما أبتغيه هو عزة بلادي وعقيدتي، والدفاع عن وطني، والحفاظ على شخصيتي الوطنية، ووحدي الإسلامية العربية، وهويتي المغربية الأصيلة.

لم تكن لدي — إذ ذاك — أفكار متباينة، ولا آراء متشعبة، ولا مذهبيات أو إيديولوجيات متعارضة، فالمغرب بلد مسلم، ويجب أن يبقى مسلماً، والمغرب عاش طوال القرون حراً مستقلاً، فيجب أن يعمل لاسترجاع حريته بكل الوسائل التي يمكنه أن يستعملها، والمغرب عاش موحداً لا فرق بين عربي وبربره، فيجب أن يبقى موحداً، لاعنصرية ولا تخاصم بين حواضره وبوادي، والمغرب شيء، وفرنسا شيء آخر، فلا إدماج، ولا فقداناً للذاتية، كيفما كان الافتقار إلى ما عند الأوروبيين من تقدم في الميدان الحضاري المعصري.

1 - الصراع بين الفكر السلفي والفكر الطريقي

كان الشباب في مطلع الثلاثينيات، مقسماً إلى قسمين اثنين : الشباب الذي يمكن أن أعبر عنه بالتقليدي — وكنت من جملته — وهو الذي كان يدرس دروساً عربية محضة، مسجّدية وغير مسجّدية، والشباب العصري، وهو الذي انخرط في سلك المدارس التي أسّسها الفرنسيون، وجعلوا لها برامج خاصة، وأغلب دروسها تلقى بالفرنسية، وتخرج من هذه المدارس، أفراد معدودون، تخطوا الدروس الابتدائية والتحقوا بالتعليم الثانوي، ومنهم وهم قليلون جداً، درسوا في معهد الدروس التي كانوا يسمونها العليا، ولا يعطونها إسم التعليم الجامعي.

صارت بعض الأفكار تروج، كالفكر السلفي الذي تزعمه أولاً الشيخ بوشعيب الدكالي والفقهاء ابن العربي، ولكن بجانب هذا الفكر، كان الانتساب للطرق الصوفية، لا يزال قائم الذات، فطائفة العلماء والأدباء في أغليبيتهم منتمون لإحدى الطرق الصوفية، كالدرقاوية، والتيجانية، والكتانية، والقادرية، وغيرها، وطوائف الحرفيين في أغليبيتهم منتمون إلى العيساوية والحمدوشية والغازية، وغيرها، والمواسم والليالي تقام كل سنة بمناسبة ذكرى المولد النبوي، وأيام أسبوع العيد النبوي، مضبوط فيها المواسم بتاريخها المحدد، والليالي التي تقام بهذه المناسبة تكون حافلة بالذكر، والمدح، والرقص، وكل منتم إلى طريقة من الطرق، لابد أن يشارك في إحياء الليلة المذكورة، إن لم يكن يحضر كل يوم جمعة إلى الزاوية، ليقراً الوظيفة أو حزب الشيخ، أو سبحة الدائم لدى الطائفة العيساوية مثلاً، وبالإضافة إلى ذلك فهناك بمناسبة المواسم، يعمد العيساويون إلى أكل لحوم الغنم النيئة، والحمدوشيون إلى شذخ رؤوسهم بقطع الحديد، والغازيون إلى الاكتواء بسفافيد النار، إلى غير ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن الغريب العجيب، أن العلماء والمشايخ، يعتبرون كلّ هذا من الجائز، أو من الأمور التي لا يجب النهي عنها — لست أدري — بل إن بعضهم كان يقيم حفلات في بيته، ويطلب منه، يكون فيها الضرب بالطبول والمزامير، ويكون الرقص المرتفع، والمنخفض، حسب الضربات على الطبول بأنواعها، وأشكالها، ويكون في الأخير لدى بعض الطوائف، ما كانوا يسمونه بلعب اللبوة والسبع، والجمهور الحاضر — وقد يكون فيه اختلاط الرجال والنساء — يتفرج ويلهو ويضحك.

السلطان محمد بن مولانا سليمان العلوي

رحمة الله

في الانتصار للسنة

ومما روي به دفع الطوائف الضالّة



مجلس العلماء والادباء

ومن أعجب ما كنا نراه، أن الأطفال يصيهم الرعب من بعض ما يرون، وأن آخرين يتعرضون للتاعب، إذا ما كانوا لابسين ألبسة سوداء، من طرف أولئك (المتحيرين) الراقصين.

أسجل هذا كمثال على أن الطبقة الواعية، لم تكن ترى في أغليبتها الساحقة، وهي التي تمثل أرق طبقات المجتمع المغربي، غضاظة في دوام وبقاء تلك العادات المخالفة لجوهر الدين الحق، وتعاليمه السامية، رغم أنه سبق في تاريخنا استنكار علني لها، وخصوصاً في عهد الملكين الصالحين سيدي محمد بن عبد الله، والمولى سليمان. فلما ظهرت الأفكار السلفية، تلقاها أولئك العلماء المشايخ بالاستنكار، واعتبروا الداعين لها من المبتدعين، الذين يتحدثون أهل الله، مع أن أهل الله الحقيقيين، براء من كل البدع المنكرة، معتقدين أن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وابتدأ الصراع بين الشيوخ المذكورين، وبين بعض العلماء القليلين، والشبان السلفيين، ووقف بعض العلماء محايدين، لا يؤيدون طائفة على الأخرى، لقد قوى تحرك الشباب السلفي، وقويت حجته، ضد أولئك الطرقيين العابثين، خصوصاً عندما اتضح للعيان، أن الاستعمار الفرنسي يقف موقف المؤيد والمناصر، والمشجع، والمستعمل لبعض المشايخ الطرقيين، كعبد الحمي الكثاني وأضرابه، فصارو يفتضحون الواحد تلو الآخر، وصار الكثيرون ينفضون من حولهم، رغم تحركاتهم المتسمة بنشر العلم، والفضيلة، ظاهرياً.

هذا الصراع بين الطائفتين المذكورتين، جعل أتباع تلك الطرق من طبقات الأوساط الشعبية، وبعض الشباب المتدين، يقفون موقف الحياري، فهم في عمق نفوسهم متدينون، يريدون أن يربوا أنفسهم على الفضيلة، والأخلاق الفاضلة، التي هي جوهر دعوة الصوفيين السنيين، ولكنهم لا يريدون أن يصنفوا في طبقات الخائنين، والتابعين للخائنين، فما هو السبيل إلى ذلك ؟ لقد كان ضمن الشباب السلفي المتشدد ضد الطرقيين والطرق، شباب وقفوا الموقف الوسط، فهم لا يقبلون البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولكنهم لا يرفضون الروح الصوفية الحقيقية الإسلامية، الملتزمة بأصول الدين وحقيقته، ولذلك فلا داعي لمحاربة الطرق الصوفية ككل، بل لابد من التمييز والتفريق، بين هذه وتلك، للسبب المذكور أولاً، ولسبب ثاني جوهرى وأساسي، فالشعب المغربي مثل بقية شعوب العالم الاسلامي، يمكن أن نقول أنه منظم اجتماعياً، على أساس تلك الطرق، فهي تقوم مقام الأحزاب في العصر الحديث، والحكمة تقتضي

من الشباب الوطني — وهو يخوض — معركة التغيير، أن يستغل تلك التنظيمات، ويعمل على تنظيمها، وتنقية أفكار أفرادها، من الخرافات والبدع، ويزرع فيها المبادئ الوطنية السليمة، التي تجعلها تنضم طائفة لا مكرهه، للشباب الوطني الذي يعمل لمكافحة الاستعمار. وهكذا لا تنفر من الوطنيين، ولاتنساق مع معارضهم، من الخونة والمتعاونين، فتصبح قوة فعالة مع الأيام، في المعترك الوطني الناشد للتغيير، والتطوير، والكفاح ضد اليأس والاستسلام، ومسالمة الاستعمار، وزاد في قوة حجة هؤلاء الشباب الوطني المتزن، وغير المتطرف، ما علمه هنا وهناك من خلال مطالعته، مثل ما كتبه الأمير شكيب أرسلان في كتابه : (حاضر العالم الاسلامي) عن الدور الهام الذي قامت به الطرق الصوفية في إفريقيا وغيرها، من الحفاظ على الوجود الاسلامي في تلك الديار، أمام الغزو التبشيري الصليبي، الذي حط بكله، وتعاون مع القوى الاستعمارية ومساندته لها، وهي تغزو البلاد الافريقية، فالطرق الصوفية — رغم ما علينا عليها من مؤاخذات — قامت بدور هام، ويظهر أنها لازالت تقوم به إلى الآن — حفاظا وذودا عن الوجود الاسلامي في إفريقيا والأقطار الواقعة تحت النفوذ الشيوعي، وبقائها في حظيرة الشعوب المنتمية للإسلام، والمتشبثة به، رغم تشبثها بكثير من البدع الذي ما أنزل الله بها من سلطان، ووجود نخبة من شبابها المثقف في هذا العصر، وانماؤه لها، مبشر بأن المستقبل كفيل بإصلاح ما أفسده الدهر، والقضاء على البدع المنكرة، واتباع الطريق السلفي الصوفي السليم، الذي يبقى إفريقيا الخضراء، إفريقيا المسلمة المعتزة بالإسلام، والمتضامنة مع إخوانها في أنحاء العالم الإسلامي، في السراء والضراء.

2 — الشباب العصري

مقابل الفكر السلفي المتطرف بعض الشيء، والمتزن بعض الشيء، كانت توجد طائفة أخرى من الشباب الذي كان يدعى بالشباب العصري، هؤلاء الشباب تلقوا تعليمهم بالمدارس التي أسستها الحماية الفرنسية، وأغلبيتها الساحقة مدارس ابتدائية باستثناء مدرستين ثانويتين، هما مدرسة مولاي يوسف (كوليج مولاي يوسف) بالرباط، ومدرسة مولاي إدريس (كوليج مولاي إدريس) بفاس بالإضافة إلى (كوليج آزرو) الذي أسس بعد ذلك، هاته المدارس المذكورة كانت تلقن تلاميذها باللغة الفرنسية، وكان التعليم بالعربية ضعيفا بالنسبة للفرنسية، وكان المتخرج منها بالشهادة الابتدائية — فأخرى ما كان يسمى بالبروفي أو الدبلوم — وهؤلاء أقل من القليل — يستحق وظيفة في إدارة البريد، أو ساعي إدارة البريد، وهي وظيفة تجلب للحاصل عليها أجرة

شهيرة تخرجه من الفقر الذي كانت تتخبط فيه الكثرة الكثيرة من أبناء الشعب، وهذه الوظيفة الحقيرة لا يحصل عليها إلا القليلون، وأذكر بهذه المناسبة أنني عندما قررت الانخراط في سلك تلاميذ المدرسة الابتدائية المذكورة، بعد حوادث الظهير البربري، خاطبني أحد المحبين لأسرتنا قائلاً : لقد فعلت حسناً عندما انخرطت في سلك مدرسة أبناء الأعيان، فلعل الله يبيء لك الأسباب، وتحصل على وظيفة مناسبة، (أي مثل موظف البريد ولا شك) وخاطبني أخي الأكبر رحمه الله قائلاً ما معناه : لقد كان قرارك في محله، فلعلك بعد فترة وجيزة، تحصل على وظيفة مناسبة، مثل ما حصل عليها ابن خالك، وكان ابن خالي هذا، عين محرراً بجريدة السعادة، التي كانت تصدرها إدارة الحماية الفرنسية، أسجل هذا لأصور كيف كان تفكير مختلف الطبقات، فيما يتعلق بالحصول على وظيفة مهما كانت تافهة، لم يكن يحصل على الشهادة الابتدائية إلا القليلون، وأقل منهم الذين يحصلون على شهادة البروفي، وأذكر أن ثلاثة أفراد حصلوا على «البروفي» بمدينة سلا، وصاروا يلقنون دروساً لمدة سنة واحدة في «البيداغوجيا» ليصبحوا معلمين رسميين، صار الكثيرون يتحدثون عنهم، وكأنهم حصلوا على الدكتوراة، أو ما يعادلها. كل هذا الذي أتحدث عنه، يتعلق بموطن الرأس، مدينة «سلا» التي نشأت فيها، وتربيت بين أحضانها، أما على المستوى الوطني، فلم يلتحق بالتعليم الثانوي إلا القليلون جداً، ولم يتم دراسته ويلتحق بمعهد الدروس العليا إلا أفراد معدودون على الأصابع، وكان منهم من مدينة «سلا» المرحوم عبد اللطيف الصيحي وأخوه الحاج بوبكر ومحمد وجعفر الناصريان، ومن الرباط المرحوم محمد اليزيدي وعمر الباشا والحاج أحمد بركاش والحاج أحمد بلافريج، ومن فاس العباس بن جلون وأخوه عبد القادر، والحاج أحمد بناني والمرحوم محمد الفاسي والحاج عمر بن عبد الجليل، ومحمد بن الحسن الوزاني وقليل غيرهم، ومن جملة ما كانت قررته سياسة «ليوطي» تقريب هؤلاء إلى، وتخصيصهم ببعض الرعاية، فمن جملة ما فعل، أنه أمر بتنظيم رحلة لهم إلى فرنسا، ليطالعوا على ما للأُمم الحنون من مؤسسات ومتاحف، وعمران، وحضارة، وتقدم، حتى يرجعوا إلى بلدهم، وهم مفتونون بحب فرنسا، والتعلق بها، وبحضارتها وتقدمها.

وأعود لأقول، إن الكثيرين من هؤلاء الذين استهوتهم قشور الحضارة الفرنسية، كانوا يدعون بالشبان العصريين، وأصبحوا — الا من رحم الله منهم — يتغنون بأعجاد فرنسا — بل أصبح بعضهم، يعتبر نفسه من أخصاء «ليوطي»، ومن أبنائه وحواريه، وزاغت ببعضهم السبيل، فصاروا يحتقرون من عداهم من الشباب، ويكبرون على المتدينين منهم خاصة، فالقيم الدينية لم يبق لها أي اعتبار، وأسجل هنا أنني وأنا في ميعة الشباب —



الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي

وقد نشأت في أحضان أسرة متدينة، والحمد لله — كنت أسمع عن هؤلاء الشيء الكثير من الحذقة، والطيش، والميوعة، فأنفر منهم، ولا أريد أن أخالطهم، وأذكر أنني كنت أسمع عن بعض كبرائهم من الابتعاد عن حقيقة الدين، والتجاهر بالاحاد، ما ينفرني منه، حتى إذا جاءت أحداث الظهير البربري، وتزعم عبد اللطيف الصبيحي مقاومة السياسة البربرية، تغيرت نظرتي إليه، وصرت أعتبره مثل غيري من الشباب «الزعيم» الأوحده، وصارت تزول عن ذهني بعض التصورات عنه خصوصا عندما رأيته لأول مرة في المسجد، ولربما لآخر مرة، لأنه نفى إثر ذلك، وأبعد إلى مناطق متعددة.

مساهمة الشباب العصري في مقاومة الظهير البربري

لقد اعتمد عبد اللطيف الصبيحي في مقاومته للظهير البربري إذ ذاك، على هؤلاء الشبان الذين كان كَوْن منهم جوقاً تمثيلاً، فنفخ فيهم من روحه، وصار يدعوهم لاستنكار المخطط الفرنسي التي أتى به ظهير 16 ماي 1930 وتأثر كثيرون من الشباب غيرهم بأفكار المقاومة، فانضموا إلى المقاومة السياسية مع عبد اللطيف، وصار الجميع يلتقي على كلمة سواء، في المسجد لقراءة اسم الله اللطيف، يلتقي في المنازل والدور، لترتيب شؤون المقاومة، والاستمرار فيها، ومضت أيام وأسابيع، وقراءة اللطيف سائرة في نهجها، والفرنسيون يضربون الأحماس في الأسداس لتوقيفها، والقضاء عليها، مستعملين الترغيب والترهيب في آن واحد، فهم يخوفون الآباء والأولياء، ليوقفوا أبناءهم عن المقاومة، وهم ينفون أن يكون الظهير البربري يرمي إلى تنصير المسلمين وتقسيمهم، وأن الدعاية التي يقوم بها هؤلاء الشبان دعاية كاذبة، وهكذا صارت تضعف المقاومة شيئاً فشيئاً، وصار الشبان المتحمسون، تقل مقاومتهم، ويتسللون الواحد تلو الآخر، حتى إذا مضت شهور لم يثبت في الطريق إلا القليلون، وهؤلاء هم الذين كانوا مع إخوانهم الذين درسوا بالعربية النواة الحقيقية الطيبة للحركة الوطنية في مدينة «سلا» ومثلهم في غيرها من المدن كالرباط وفاس ومراكش والدار البيضاء وغيرها، فهم الذين حملوا المشعل لتغيير الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وهم الذين وضعوا اللبنات الأولى لإصلاح المجتمع المغربي، وإخراجه من غفلته، والأخذ بأسباب النهوض به، وهكذا بدأت الانطلاقة الوطنية السياسية الأولى تأخذ طريقها ابتداء من حركة مقاومة الظهير البربري.

الهدف الأساسي هو مكافحة الاستعمار

لم تكن لدينا أفكار معينة، مضبوطة، للإصلاح الاجتماعي، والسياسي والثقافي، أوائل حركتنا الوطنية، وإنما كانت أفكاراً عامة، تتجلى في مكافحة الاستعمار ومناهضته، ورفض المخطط الذي أتى به، فيما يتعلق بالأعراف البربرية، بما فيه محاربة الإسلام، والقوانين الإسلامية، ومحاربة اللغة العربية، وتجلت أيضاً في المطالبة بإصلاح التعليم في القرويين، وروافدها، في بعض المدن المغربية.



تمثل هذه الصورة الجوق السلوي الذي مثل رواية الرشيد والبرامكة

ويظهر في الصورة في الصف الأول : عبد الكريم الصابونجي — محمد الزمزمي الجميري — العربي معنينو —
عمر بن علي الدكالي — عمر بن عبد الله عواد — عبد الرحمان عواد — عبد الكريم حجي — المهدي
زنيير. وفي الصف الثاني :

محمد اشماعو حاملا شمعة. وفي صفه من الذين تعرفت عليهم : محمد المريني — عمر زنيير — محمد
حصار — قاسم حصار — عبد الله بو علو.

أما الصف العلوي فتعرفت على محمد القادري و عبد القادر بوزيد.

إيديولوجية الفكر الوطني

كان عبد اللطيف الصبيحي وزمرته، ينظرون أولا إلى القضية البربرية نظرة وطنية سياسية محضة، بمعناها الوطني السياسي، المتجلى في ضرورة احتفاظ المغرب بسيادته السياسية، ورفض كل تبعية، أو اندماج، أو تسلط للضغط على السياسة التي يمثلها السلطان، أو مشاركته فيها، وكان بعض الشبان، ومنهم جماعتنا، يضيفون إلى ذلك، رفضهم المطلق، التدخل في الشؤون الدينية، من طرف الفرنسيين، مثل تدخلهم في القضاء الشرعي، وإقرارهم لأعراف جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان، وتشجيع المبشرين المسيحيين، وانتشارهم في بعض المناطق البربرية، وبنائهم الكنائس في بعض المواقع البربرية، ولقد انتصر هذا الرأي الأخير، على الرأي الأول، وبه استطاعت، الحركة الوطنية، أن تستقطب جميع طبقات الشعب المغربي، ليناصرها في المستقبل، ويكون مؤيدا لها، وبه استطاعت أن تستقطب رجالات العالم الاسلامي، في كل من مصر، وسوريا، والعراق وأندونيسيا، وفلسطين وغيرها من الأقطار، التي استطاعت الحركة الوطنية برجالها القلائل، أن تبلغها وتطلب مناصرتها، والتي كان للأمير، شكيب أرسلان رحمه الله، ومحب الدين الخطيب صاحب جريدة الفتح الدور الأول والأساسي، في إعانة



محَبّ الدين الخطيب

منشئ جريدة الفتح، الذي كان له شرف العمل
على تأسيس جمعية الشبان المسلمين



الرائد الاسلامي الكبير الأمير شكيب أرسلان
باللباس الوطني المغربي كان له تأثير على الحركة
الوطنية المغربية

الحركة الوطنية، حتى بلغت ما تريده منها، إنني لا أنكر الدور الذي قام به بعض الأحرار الفرنسيين لمناصرتنا في القضية البربرية، والذين كتبوا وأيدوا سواء في مجلة «مغرب»، أو غيرها، ولكن الدور الفعال في إحباط تلك السياسة، كان لمقاومة المغرب في الداخل، ومناصرة العالم الاسلامي في الخارج، وخصوصا في مصر وأعلامها الأعلام، من شيوخ الأزهر، وفي طليعتهم الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار، وبعض الصحفيين المرموقين أمثال محب الدين الخطيب صاحب جريدة «الفتح» ولست أستحضر الآن وقد مضت على أحداث الظهير البربري أزيد من ستين سنة، ماذا كان موقف الأحزاب المصرية، ومنها حزب الوفد وعلى رأسه مصطفى النحاس باشا، وحزب الأحرار الدستوريين، الذي كان من أقطابه الكاتب الكبير محمد حسين هيكل من مناصرة حركتنا الوطنية.

تأثر الحركة الوطنية المغربية بالفكر الوطني في الشرق العربي والأقطار الآسيوية

في بداية عملنا الوطني، صرنا نتفاعل وننجذب إلى الحركات الوطنية في العالمين العربي، والاسلامي، وبعض البلدان الآسيوية والأوربية ونتتبع أخبارها وأحداثها، ونقرأ ما يكتب عنها، وعن شخصياتها، أمثال الزعيم الشاب مصطفى كامل المصري، الذي كنا نقرأ خطبه الحماسية بكل اهتمام، ومثل الزعيم سعد زغلول باشا الذي تتبعنا جميع مراحل حياته تقريبا، وكنا ونحن شباب، نتغنى بالنشيد المصري الذي يشيد بكفاح سعد، والذي جاء فيه :

رسول السلم إلى مصرا أنثر في الطرق لنا زهرا
ودع في الشرق لنا خيرا وهنّ العالم بالبشرى
إلى أن يقول :

الموت يلذ لنا مادام	لنا في الحق تأخينا
حب الأوطان من الإيمان	وروح الله تناجينا
الحق لنا ويد المولى	تجري من فوق أيدينا
إن لم يجمعنا الإستقلال	ففي الفردوس تلاقينا
ولينزل غضب الشعب على من	يتصدى للوطنية
ولتحيي مصر بالاستقلال	ولتحيي فيها الحرية
وليُحي سعد ومن معه	ولتُحي ضحايا الحرية
	إلى آخر النشيد

كما كنا نتغنى بالنشيد الوطني السوري

أنت سوريا بلادي أنت عنوان الفخامة
ونشيد الدكتور شهبندر حول السجن :
يا ظلام السجن خيم إننا نهوى الظلاما

ليس بعد الليل إلا	فجر مجد يتسامى
أيها الحراس رفقا	واسمعوا منا الكلاما
متعونا بهواء	منعه كان حراما
إيه يادار الفخار	ومقام المخلصينا
قد هبطناك شابا	لا يهابون المنونا
وتعاهدنا جميعا	حين أقسمنا اليمينا
لن نخون العهد يوما	واتخذنا الصديق دينا
يارنين القييد زدني	نغمة تشجني فؤادي
إن في صوتك معنى	للأسى والاضطهاد
فاشهدن يانجم أني	ذو وفاء ووداد
لست والله بناس	ما تقاسيه بلادي

ومثل النشيد العربي المشهور :

بلاد العرب أوطاني	من الشام لبغدان
وممن نجد إلى يمن	إلى مصر فتطوان

وحتى النشيد الوطني الفرنسي الذي وضع على نغماته الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي نشيداً وطنياً حماسياً كنا نتغنى به، وهما مطلعاه :

أوطاننا وهي الأماني	أرواحنا لها ثمن
ولمّا أحيّا المعالي	من مات في حب الوطن
	إلى آخره

لقد كنا متجاوبين مع إخواننا الوطنيين المكافحين في البلاد العربية : مصر، سوريا، لبنان، فلسطين، العراق، ومناصرين المناصرة اللامشروطة للثورة التصحيحية التي قام بها الملك عبد العزيز آل سعود في البلاد الحجازية، وكان بعضنا يتجه في تفكيره، اتجه حزب الوفد المصري، فيناصره المناصرة الدائمة في تحركاته أيام النحاس باشا رحمه الله، وكان منّا من يؤيد فكرياً وسياسياً حزب الأحرار الدستوريين بمصر أيضاً، والذي كان يرأسه محمد محمود باشا، ثم محمد حسين باشا هيكل، مدير جريدة «السياسة الأسبوعية»، وهذه الأخيرة كان لها دور هام في التثقيف السياسي، والعلمي، والأدبي، فكانت من أمهات الصحف التي تغذي الأفكار، وتنمي المعلومات، يشبه الدور الذي قامت به مجلة «الرسالة» التي كان يصدرها أحمد حسن الزيات بعد ذلك، ويكتب فيها

فطاحل الأدباء والباحثين، وكانت أسبوعية ويبيع العدد الكثير منها في مختلف المدن المغربية الناهضة، ومثل مجلة «الهلل» الشهرية، ومجلة المقتطف، وجريدة «الأهرام» وجريدة «كوكب الشرق» وغيرها من الجرائد والمجلات السياسية والأدبية، إضافة إلى المجلات الإسلامية على اختلاف أشكالها وألوانها أمثال: «المنار» و«نور الاسلام» و«الهداية الإسلامية» و«الاسلام» و«هدى الاسلام» و«الهداية» التي كانت تصدر بالعراق، ومجلة «العرفان» التي كانت تصدر بصيدا في لبنان، ومجلة «الزهراء» و«الفتح» اللتين كان يصدرهما محب الدين الخطيب، والتي شارك في الكتابة فيها الحاج أحمد بلافريج وغيره، وجريدة «الشورى» التي كان يصدرها بالقاهرة الكاتب الصحافي الفلسطيني المجاهد محمد علي الطاهر، وجريدة «العرب» التي كان يصدرها عجاج نويهض، ويراسلها المرحوم سعيد حجي باستمرار، عندما كان بالشرق العربي يدرس، وكنا نزوده بالمعلومات والأخبار عما يقع من أحداث إلى غير ذلك من المجلات والجرائد، التي لا أستطيع أن أستحضرها جميعها، وأنا أسجل التجارب التي كان بيننا وبين إخواننا في البلدان العربية. وهنا يجب أن أؤكد على أننا وإن كنا متجاوبين وطنيا، وسياسيا، مع الأحزاب الوطنية المصرية، والسورية، مثل الوفد، والكتلة الوطنية في سوريا، فإننا لم نكن متفقين معها تمام الاتفاق فيما يتعلق بالجذور الأولى، التي نشأت عنها حركتها، وحركتنا الوطنية، فلقد نشأت حركة إخواننا غير مقيدة بالتوجه الاسلامي، بل كانت بعض أفكارهم علمانية محضة، لا علاقة لها بالتوجه الديني، بينما كنا ملتزمين بالالتزام الكامل، بالتوجه الاسلامي، والحضارة الاسلامية، في بداية حركتنا، وبقينا، وسبقني إن شاء الله، ملتزمين بهذا الاتجاه في بناء نهضتنا، والدفع ببلادنا إلى التقدم والرفق. أما اهتماماتنا بالقضية الفلسطينية، فلقد ابتدأ عمليا من سنة 1929، وبقي وسيبقى إن شاء الله، إلى أن تتحرر فلسطين جميعها، من قبضة الغاصبين، وبعيدا عن البلاد العربية كنا ننتبع باهتمام كبير حركة المقاومة في الهند، والدور الخطير الذي قام به «غاندي»، في مكافحة الاستعمار الانجليزي، والكفاح الذي كانت تقوم به الجماعة الاسلامية هناك، وعلى رأسها محمد علي وشوكت علي، قبل محمد علي جناح، ولياقت علي خان، في مناصرة القضايا العربية، وفي طليعتها قضية فلسطين، التي أبلى فيها المسلمون الهنود البلاء الحسن، وكانت حركتنا على اتصال بعد ذلك، مع حزب «ماشومي» في أندونيسيا، الذي تأسس بزعامة الدكتور محمد ناصر رحمه الله، والذي ساندنا في معركة الاستقلال، كما كنا متتبعين للتطورات التي وقعت في تركيا بعد قيام «أتاتورك» بانقلاباته السياسية والاجتماعية، وما قام به «أمان الله خان» في أفغانستان،

وإن كنا لم نسايرهما في اتجاهاتهما العلمانية، إلى غير ذلك من التجاوبات مع الحركات التحررية في العالم، التي وإن كنا لانساندها في اتجاهاتها الاجتماعية ككل، ولكن بالرغم من ذلك كنا نتجاوب معها في النضال ضد الاستعباد والاستعمار، ومناصرتها للطبقات المستضعفة، أسجل هذا لأعطي صورة ولو كانت مصغرة بعض الشيء عن انطلاقتنا الفكرية فيما يتعلق بالتحرر والوقوف صفا واحدا أمام السيطرة الاستعمارية، وتوجيه شعبنا في طريق الكفاح المتعددة الجبهات، ومقاومة اليأس، والتواكل، والاستسلام، والرضى بالواقع المشين، سواء في المجال السياسي، أو الاجتماعي، أو الثقافي، ويحسن بي أن أشير هنا إلى أن بداية انطلاقتنا الوطنية السياسية الحديثة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، كانت متقاربة جدا، مع العهد الذي قطعه الشعب الهندي على نفسه، بزعامة المهاتما غاندي، فلقد أصدر غاندي وأتباعه وثيقة بتاريخ 26 يناير 1930 أسماها بوثيقة الاستقلال، وسمي اليوم الذي صدرت فيه، بيوم الاستقلال، وهذا نص الوثيقة الاستقلالية الهندية، أثبتنا للتاريخ، لتؤكد أن حركتنا الوطنية منذ نشأت، وهي تتبع الأحداث التحررية في العالم، وتنشد وترمي إلى التحرير والاستقلال، تقول الوثيقة :

(إننا نؤمن بأن من حق الشعب الهندي، شأنه شأن أي شعب آخر، أن يحظى بالحرية، وأن يتمتع بثمرات كدحه، وأن يحصل على ضروريات الحياة، بحيث يكون للجميع مجالات متكافئة للعمل.

إننا نؤمن كذلك بأن من حق الشعب،-إذا عمدت أية حكومة إلى حرمانه من هذه الحقوق، وإلى اضطهاده، أن يزيلها من الوجود.

إن الحكومة البريطانية، لم تحرم فقط الشعب الهندي من حريته، إنها خربت الهند، اقتصاديا، وسياسيا، وثقافيا، وروحيا، ولذا فإننا نعتقد بأن على الهند أن تقطع القيد البريطاني، وأن تحصل على الاستقلال التام.

إننا نعتبر بمثابة جريمة ضد الإنسان والإله، الخضوع مزيدا من الوقت، لحكم سبب لبلادنا كارثة اقتصادية وسياسية وثقافية وروحية، ولكننا ندرك في الوقت ذاته، أن العنف ليس الأكثر فعالية لاكتساب حريتنا، ولذلك فإننا سنعد أنفسنا، لوقف كل ما نستطيعه من تعاون طوعي، مع الحكومة البريطانية، وسنستعد للعصيان المدني، الذي ينطوي على الامتناع عن دفع الضرائب) (انتهى نص الوثيقة).

في أجواء مرور مائة سنة على الاستعمار الفرنسي للجزائر

في نطاق تتبعنا للأحداث الهادفة إلى التحرير، أشير أيضا إلى أننا ونحن نغلي هيجانا، وغضبا، ضد المخططات الاستعمارية، المتجلية في ظهور 16 مايو 1930 علمنا بأن الاستعمار الفرنسي في الجزائر الشقيقة، قرر إقامة احتفالات كبيرة، تدوم ستة شهور، بمناسبة مرور قرن على احتلالهم للقطر الشقيق، (1830 — 1930) دعا إليها حسب تعبير الشيخ البشير الإبراهيمي : (الدنيا كلها) وأنفق على هذه الاحتفالات مآت الملايين من الفرنكات، وشارك فيها رئيس الجمهورية الفرنسية بنفسه، وكانت في الواقع احتفالات استفزازية للشعب الجزائري، وإثارة غضبه على الاستعمار مرة جديدة، والعزم على رفض مخططاته وبرامجه، ومقاطعته لتلك الاحتفالات، وفضح ما يبته للجزائر من تمسيح وإخراج من حظيرة الاسلام، حيث تكاثر عدد الرهبان المسيحيين، الذين أتوا للمشاركة في الاحتفالات، أو ربما للاستيطان الدائم، وهذا الاستفزاز الفظيع، هو الذي دفع الغيورين من العلماء الجزائريين السلفيين، إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في الخامس من شهر مايو 1931 والتي ترأسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ثم بعد وفاته الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ويذكر الإبراهيمي هذا، (إنه لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة أخرى، لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا) لقد كان هم جمعية العلماء الأول، الحفاظ على عروبة الجزائر، وإسلامها، وصيانتها من الأخطار المحدقة بها، ولقد جعلت الجمعية شعارا لها مايلي : (الاسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا) وسارت في نشاطها التربوي والتعليمي، مؤسسة للمدارس، مكونة للأجيال، محية للغة العربية، مقاومة للنشاط التبشيري المسيحي محاربة للشعوذة والمشعوذين من الخرافيين.

سياسة التجنيس بالجزائر

من جملة نشاطات جمعية العلماء في الجزائر الهامة التي كنا نتبناها وباهتمام كبير، مقاومتها لسياسة التجنيس، التي فرضتها فرنسا على الجزائريين، وصارت تطبقها، لدرجة



مجلس إدارة جمعية العلماء الجزائريين في عامها الثاني
ويبرى في الوسط المصلح الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس

أنها قسمت الجزائريين إلى قسمين (مثل ما كانت ستطبقه في المغرب) قسم : يسمى المسلم الجزائري الفرنسي (أي المتجنس) والمسلم الجزائري دون ذكر الفرنسي، وان الأول تطبق عليه نصوص القوانين والتشريعات الفرنسية، بما فيها قوانين الأحوال الشخصية، وان الثاني يبقى في وضعه كما كان دون حقوق مطلقا، وهكذا صارت تتقوى الدعوة إلى التجنيس، وصار الكثيرون يتطلعون إليه، لضمان حقوقهم، الأمر الذي دعا جمعية العلماء إلى القيام بحملة واسعة ضد التجنيس، معتبرة أن المتجنسين خارجون على الاسلام، مؤكدة على لسان مفتيها إذ ذاك الشيخ العربي التبسي ان التجنيس كفر وارتداد : كما أكد ذلك أيضا الشيخ عبد الحميد بن باديس في الفتوى التي أصدرها باسم جمعية العلماء، والتي جاء فيها : (التجنس، بجنسية غير إسلامية، يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكما واحدا من أحكام الاسلام، عد مرتدا عن الاسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، والمتجنس — بحكم القانون الفرنسي — يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الاسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وإثمها متجدد عليه، ما بقي له نسل في الدنيا، خارجا عن شريعة الاسلام، بسبب جنائته، إلى آخر ما جاء في الفتوى التي نشرت في جريدة البصائر في يناير 1938.

لقد كان للموقف الذي وقفته جمعية العلماء ضد التجنيس والمتجنسين، أثر بالغ في الأوساط الجزائرية، والأوساط الاستعمارية، فتخوف الكثيرون من التجنيس، وابتعدوا عن المتجنسين، وزاد الأمر خطورة عندما أكد العلماء أن المتجنسين لا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، وتخوف الفرنسيون من ردود الفعل القوية من طرف الشعب الجزائري، وكان النجاح حليف مقاومة جمعية العلماء لحركة التجنيس.

مقاومة حركة التجنيس في تونس

وفي موضوع حركة التجنيس، أشير إلى أن الفرنسيين، حاولوا تطبيقها في تونس، ولكن التونسيين قاوموها مقاومة شديدة، وقامت الصحافة الوطنية بالتشهير بها ورفضها، بل ان الشعب التونسي قرر من عنديته، مقاطعة المتجنسين، وعدم التزاوج معهم، ومنعهم من الدخول إلى المساجد، ومن الدفن في مقابر المسلمين.

أهداف السياسة الفرنسية في المغرب العربي

لقد كانت السياسة الاستعمارية ترمي إلى طمس معالم الذاتية المغربية، العربية، الإسلامية، في المغرب العربي، فابتدأت تجربتها في الجزائر، بسياسة التفريق بين العرب والبربر، ثم سياسة التجنيس، ثم اتبعتها بسياسة التنصير والتجنيس في تونس، عندما قررت نصب تمثال للكار دينال لافيجري، آخذاً الصليب بيده اليمنى، والإنجيل في يده اليسرى، وافتتح الباب أمام التونسيين، ليتجنسوا بالجنسية الفرنسية، فكان رد الفعل قويا ضد هذه السياسة الاستعمارية، وقامت المظاهرات، والاحتجاجات، والاعتقالات، والرفض المطلق، لهذه السياسة، ثم جاء دور المغرب عندما قررت السلطات الاستعمارية اتخاذ سياسة التفريق والادماج، والتنصير في المغرب، بإصدارها للظهير البربري 1930 الذي قاومه المغاربة مقاومة قوية، أدت في الأخير إلى بطلان العمل به بطلانا نهائيا.

فالساسة التي سلكها الاستعمار الفرنسي، في أقطار المغرب العربي، والتي كانت ترمي إلى القضاء على الشخصية المغربية، والذاتية العربية الإسلامية، وخلق مناخ فرنسي، يكون تابعا لفرنسا، ومندمجا فيها، هذه السياسة أتت والحمد لله بعكس ما كانت ترمي إليه، إذ قوت عزيمة شعوب المغرب العربي، على التمسك بمغريبتها، وعربيته، وإسلامها، ووحدتها، وزادت في تقوية الروابط المتينة التي تربطها ببعضها، وجعلت الحركة الوطنية الإسلامية، في أقطار المغرب العربي، تتفاعل وتتجاوب مع بعضها، فكان الاتصال قويا بين كتلة العمل الوطني، ثم الحزب الوطني من جهة، وبين جمعية العلماء المسلمين وحزب الشعب الجزائري في الجزائر والحزب الحر الدستوري في تونس من جهة أخرى، كان التجاوب قويا، والتضامن كبيرا في معركة المصير. وتجلى هذا التجاوب في كثير من المناسبات، ومع مرور السنين والأعوام، طوال أعوام الكفاح الوطني، ضد الاستعمار الفرنسي، ابتداء من الثلاثينيات إلى الخمسينيات والستينيات التي تحررت فيه الشعوب الثلاثة من نير الاستعمار الأجنبي البغيض.

ميثاق اتحاد أحزاب الشمال الافريقي

وبهذه المناسبة أشير إلى الميثاق الهام الذي دعا إلى وضعه أثناء اشتداد الأزمة بيننا وبين الفرنسيين في الخمسينيات فضيلة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عندما كان بباريس أوائل سنة 1952 والذي نشرته جريدة البصائر في العدد 185 والذي جاء فيه :

«وبما أن الحالة في إفريقيا الشمالية، أصبحت على جانب كبير من الخطورة، تتطلب من الحركات الوطنية تبصرا ويقظة، وتفرض عليها تقوية وحدتها، ومضاعفة عملها، وبما أن هذه الحركات مصممة على إنهاء النظام الاستعماري وتمتيع بلادها بأنظمة مبنية على السيادة، والديموقراطية، تحرر شعوبها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وتضمن لجميع السكان دون تمييز حقوقهم وحرياتهم.

وبما أن إفريقيا الشمالية، تلعب دورا سياسيا في الظروف الدولية الحاضرة، وبما أن شعوب إفريقيا، مهتمة قبل كل شيء، بتحريرهم القومي، ولذا فإنهم يعتبرون أنفسهم أصدقاء، ومشاركين لكل من يعترف بحقهم في الحرية.

«وبما أن تونس والجزائر والمغرب، موحدة بروابط روحية، وتاريخية، وجغرافية، وثقافية، ولها أمان قومية واحدة، ومصالح عليا مشتركة، وبما أن النظام الاستعماري المفروض على شعوب الشمال الإفريقي، واحد في أهدافه ووسائله. رغم الفوارق القانونية الشكلية، إذ الغاية التي يرمي إليها، هي تحطيم كيان هذه الشعوب، وتأيد سيطرة الاستعمار واستغلاله.

فلمواجهة هذه الحالة، أصبح لازما على جميع الأحزاب والمنظمات الوطنية، بشمال إفريقيا، أن تؤلف جبهة مشتركة لمقاومة قوات الاستعمار.

«لهذا كله، فإن الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال إفريقيا، المجتمعمة بباريس يوم 2 فيفري 1952 م المعبرة أصدق تعبير عن رأي شعوب الشمال الافريقي، قد قررت عقد الميثاق الآتي :

(نص الميثاق)

أولا : تتعهد الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال إفريقيا :

أ) بمتابعة الكفاح ومضاعفته، في سبيل تحرير إفريقيا الشمالية من جميع أنواع الاستعمار. والوصول بأقطارها — في دائرة ميثاق الأمم المتحدة — إلى نظام دولي ديمقراطي متمتع بسيادته.

ب) بتنسيق عملها، لتحقيق هذه الأهداف، داخل إفريقيا الشمالية وفي الميدان الفرنسي والدولي.

ج) بالبحث دوريا في حالة الشمال الإفريقي على ضوء الحوادث في الداخل والخارج.

ثانيا : لجنة الاتحاد والعمل

تقرير تأليف لجنة اتحاد وعمل للشمال الإفريقي، وإنشاء كل هيئة أخرى لازمة لتنفيذ هذا الميثاق.

الجزائر : حزب البيان الجزائري — حزب انتصار الحريات الديمقراطية

تونس : الحزب الحر الدستوري الجديد — الحزب الدستوري التونسي.

المغرب : حزب الإصلاح المغربي — حزب الوحدة المغربية — حزب الشورى والاستقلال — حزب الاستقلال

دعا إلى هذا الميثاق وسعى فيه وشهد به :

محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولقد أسند الرئيس الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الشيخ محمد خير الدين والشيخ العباس، ومعهما وفد من أحزاب شمال إفريقيا، للقيام بتسليم هذه الوثيقة إلى السيد تريفيلي، الكاتب العام لجمعية الأمم، فسلمها بالنيابة عنهم، الشيخ محمد خير الدين، كما ذهب وفد لتسليم نص الميثاق، إلى الزعيم مصالي الحاج الذي كان إذاك في إقامة جبرية، في منطقة تبعد عن باريس بحوالي خمسين كيلومترا، فزار الوفد الزعيم مصالي وسلمه نص الميثاق فوافق عليه بدوره.

تعرفني على الزعيم مصالي الحاج

وبالمناسبة أود أن أسجل هنا، أول تعرف لي على الزعيم مصالي الحاج رحمه الله، فلقد كانت جريدة «الوداد» الخطية التي كان يصدرها الصديق المرحوم سعيد حجي نشرت بتاريخ 26 رجب 1347 هـ الموافق 8 يناير سنة 1329، خبرا نقلته عن جريدة



الزعيم الجزائري مصالي الحاج

(الإقدام)، التي كانت تصدر بباريس، والتي كانت تصدرها جمعية (نجم الشمال الافريقي)، التي كان يترأسها الزعيم مصالي رحمه الله، وجاء في هذا الخبر ما يلي :
ان جمعية نجم الشمال الافريقي، باعتبارها للحالة الخاصة، بكل من البلدان الثلاثة المتركب منها شمال إفريقيا، من حيث موقعها الجغرافي، وتاريخها وظروفها الاقتصادية، والسياسية، ونظامها الدستوري، قد سنت لكل من الأقطار : تونس، والجزائر والمغرب، برنامجا يحتوي على المطالب الخاصة به، ولكنها تطالب للجميع بالاستقلال التام، إن استقلال أحد الأقطار الثلاثة، لا يتحقق، إلا بقدر ما تكون الحركة التحريرية في معاضدة من طرف القطرين الآخرين، وكل من هذه الأقطار المذكورة، فائدته في تحرير القطرين

الباقيين، فواجب الجميع إذا، هو مساعدة كل واحد من شعوب الشمال الإفريقي التحريرية، إلى أن تقرن بالنجاح التام، فيفضل جهود تلك الشعوب، وإيجاد ارتباط ودي وخالص، وعلائق أخوة حقيقية، ومساعدة أدبية ومادية واقعية متبادلة بينها، تنجح مقاومتها في سبيل استقلال المغرب والجزائر وتونس).

وبعدما عددت مطالب تونس ومطالب الجزائر، ذكرت مطالب المغرب فقالت :

مطالب الشعب المغربي

- 1) إخلاء المغرب العاجل من جيوش الاحتلال الفرنسية والاسبانية وإبطال نظام الحماية.
- 2) إبطال العمل بالنظام القاضي بأن تكون طنجة بين الدول (لعله يريد منطقة دولية) والاستقلال التام للقطر المغربي.
- 3) الحريات السياسية والاجتماعية (حرية الصحافة والقول والاجتماع والاعتصاب والحق النقابي).
- 4) تأسيس مدارس للتعليم العصري باللسان العربي ومجانا.
- 5) القوانين الاجتماعية لحماية العملة.
- 6) إسعاف الفلاحين الصغار بقروض بدون فائدة.
- 7) تسليم الأراضي التي استولى عليها المعمرون والشركات الرأسمالية للفلاحين.
- 8) الشؤون العامة التي تقع تحت تصرف الشركات الأجنبية، ترجع ملكا من حقوق الحكومة المغربية.

ولقد عقت الجريدة المذكورة (الوداد) على هذا المشروع بما يلي :

(الوداد) نرفع صوتنا مع هذه الجمعية، التي لاشك أنها سيقع لها تأثير عظيم. ونقترح على الجمعية الودادية، أن تمد يد الاعانة إليها، وتنشر على صفحات (الاقدام) بعض المقالات، (ليحيى الاستقلال).

هذا ما نشرته جريدة الوداد الخطية نقلا عن جريدة «الاقدام» ولست أدري لحد كتابة هذا، هل كان ضمن جمعية نجم الشمال الافريقي إذ ذاك، بعض الأفراد المغاربة

ومن هم ؟ لم يحدثني إخواني الذين كانوا يدرسون إذ ذاك في باريس عن هذا الموضوع، وبالرغم من ذلك، فإن فكرة الاستقلال، كانت تراود بعض العاملين المخلصين في المغرب العربي إذ ذاك، وكانوا يفكرون في المطالب التي لابد من تحقيقها، ليسير المغرب في طريق النهضة الحقيقية، والتمتع بالحريات العامة الأساسية، وإعطاء الحقوق الكاملة للطبقة العاملة، بمن فيها الفلاحون الصغار، وإرجاع الأراضي التي اغتصبها المعمرون الفرنسيون للفلاحين، الذين اغتصبت منهم.

بعد كتابة ما تقدم، وقفت على رسالة كانت وصلت إلى المرحوم الشاعر عبد الرحمان حجي من جمعية نجم الشمال الافريقي سنة 1927 جاء فيها مايلي : الموقر المحترم الشريف سيدي عبد الرحمان حجي، دام محروساً. مواطننا الكريم، قد منّ علينا الإله الكريم، فتسلمنا عنوانكم من أحد الأفاضل المراكشيين، الذي أطلعنا على إحساساتكم نحو شعبكم المظلوم، وحبكم المتفاني لوطنكم المغتصب، فكاتبناكم بقصد ربط العلائق بيننا :

وبعد أن توضح الرسالة الدواعي الوطنية، لتأسيس الجمعية. تختم بهذه العبارات. وأملنا وطيد، أن تقوم جمعيتنا، بالواجب الذي أخذته على عاتقها وأن تتمكن من توحيد قوات أبناء الشمال الافريقي الحية، حتى لا تتكرر أمام أعيننا، جناية الريف التي رأينا بمناسبتها مسلمي المغرب والجزائر وتونس يقاتلون إخوانهم الريفيين الذين لاجرم لهم، إلا الذود عن حريتهم المهددة، والدفاع عن بلادهم التي رام الاستعماريون اغتصابها.

وفي الختام، نرجوكم أيها المواطن الكريم أن تطلعونا على فكرتكم في الموضوع الذي نحن بصددده، ونطلب منكم أن تفضلوا بقبول فائق احترامنا.

الامضاء :

الجيلالي شايبة

الكاتب العام لجمعية نجم الشمال الافريقي

لقد وقفت على هذه الرسالة في الكلمة التقديمية التي قدم بها الأستاذ المرحوم محمد زنيير ديوان الشاعر المرحوم عبد الرحمان حجي (ص : 41) ولعله عثر عليها ضمن أوراق الشاعر المذكور. ولست أدري ماذا كان جواب عبد الرحمان حجي للرسالة التي وصلته من جمعية نجم الشمال الافريقي ؟ وهل كان له ارتباط بها بعد وصول الرسالة ومراسلات معها أم لم يتم أي ارتباط معها، فإن الأستاذ زنيير لم يتعرض لهذا

الموضوع واكتفى بأن استدلل بالرسالة على أن عبد الرحمان حجي كانت له سمعة في الخارج كشخصية وطنية يتقرب إليها، ويريد التعاون معها العاملون في الميدان الوطني إذ ذاك، ومنهم أعضاء جمعية نجم الشمال الافريقي بباريس التي ترأسها المرحوم مصالي الحاج.

جمعية سرية في سلا

وما دمت تحدثت عن جريدة (الوداد) الخطية (لا التي كان يصدرها السيد محمد اشماعو في الثلاثينيات). فلأبين أن هذه الجريدة الخطية، كانت تصدرها جمعية سرية بمدينة سلا، أواخر العشرينيات، وكان هدف هذه الجمعية كما جاء في جريدتها : (عبارة عن جماعة من الشباب المغربي، أخذ على نفسه الاستقامة الدينية والأدبية، وتخلق بالدين الاسلامي، وحفظ كيانه الوطني، وعمل لنصرة الحق، ونشر الدين والفضيلة والعلم، ووقف حياته لخدمة بلاده، أسست هذه الجمعية بإلهام من الله وتوفيق، وإن شئت فقل، بداع وطني وغيره، وهي تجري نحو مقاصدها الصالحة بكل نشاط، وترمي إلى أشواط بعيدة، ولما تصل إليها، وفي يقيني أنها تصل إليها في قريب، بفضل ثبات أعضائها، وتضحياتهم الصادقة، أسست هذه الجمعية، لتصرف همتها إلى خدمة الوطن المفدي، ونقده من وهده : مبدؤها الوداديين سائر الطبقات، والأجناس، والأديان، الوداد مبدؤنا، الوداد شعورنا، الوداد مقصودنا، نحن لا نحقد على أي فريق، حتى ولا على فرنسا، ولا يجب أن نحقد، يجب أن نعمل لمصلحة ديننا ووطننا، دون أن نعادي أي جنس، مقصدنا الأسمى أن تكون الأمة المغربية تتمتع بكل قوتها الطبيعية، فنريد أن تكون جمعيتنا الودادية، أم سياسة المغرب، لها فروع في أنحاء المغرب أجمع، لها في الدوائر السياسية أكبر نقطة، ولا إخال هذا صعبا، بل هو عندي أيسر مما يتوهم بكثير، إذا نحن تابعنا خطة الوداد المحضة، يجب أن تعمل الجمعية لمستقبلها جسورا فولاذية، تتوصل بها إلى غايتها القصوى، وذلك أن تشبث بما زهد فيه الشبان الطائشون، وترد ثورتهم الطائشة بكل لطافة ولباقة، يجب أن تكون لها يد عاملة في إدارة كثير من الطوائف، وأصحاب الطرق، فهذا الأمر الوحيد الذي لاغنى عنه، والذي عندي الشيء الوحيد الذي لا يمكن للجمعية أن تقضي مهمتها بدونه).

ويظهر لي أن هذا المشروع لجمعية الوداد، حرره شخص واحد، ويلاحظ أن مطامحه واسعة، ولربما كانت صعبة التحقيق، بالنسبة للظروف التي كانت لدى التفكير في

تأسيسها، ومع ذلك فإن المشروع يبرهن على أنه كان يوجد شباب في مقتبل العمر، يطمحون إلى التغيير في الأوضاع، ويفكرون جيدا فيما يجب عليهم القيام به لتسيير بلادهم في طريق التقدم والرفق والتحرير، كما أن تفكير صاحب المشروع بالخصوص، ويغلب على ظني أنني أعرقه — وإن كنت لا حجة لي على ذلك — برهن في مستقبل حياته على ابتعاده عن الفكر السلفي، واتباعه المنهج الطريقي، وإن كان الذين كانوا معه لم يسايروه في نفس المنهج، حسب تعرفي على البعض منهم، وإن كنت لست من المنخرطين في جمعيتهم الودادية المذكورة.

إن هذه الجمعية الودادية، كانت لها بعض النشاطات الأدبية، والسياسية المحدودة، ولقد ساهم بعض أعضائها مساهمة طيبة في أحداث الظهير البربري، ظهير 16 ماي 1930، وقاومت السياسة التي خطط لها الفرنسيون، لإحداث شقة خلاف بين المغاربة أي بين من كانوا يسمونهم بالبرابرة، وبين من يسمونهم باليعربيين، مع أن الشعب المغربي شعب موحد، لا فرق بين عربيه وبرابريته، لا في الدين ولا في الأصل الأصل، ولا في المطامح المشروعة، فالاسلام وحدهم، والمصاهرة مزجت بينهم، ورغم اختلاف اللغات واللهجات في بعض المناطق، فإن روح الوحدة الحقيقية التي صهرها الاسلام، وآمنت بها الدول المتعاقبة في تاريخ المغرب، منذ اعتناقه الاسلام، سواء كانت عربية كال الدولة الإدريسية والسعدية والعلوية، أو كانت بربرية، كدولة المرابطين والموحدين والمرينيين، وتلك هي المزية الكبرى التي طبعت التاريخ المغربي، ففكرة الانعزالية، والتقسيم، والعنصرية، والانتماء الجنسي، لم تكن موجودة أثناء بدء انتشار الوعي الوطني السليم، رغم ما كان يبذله رجال الاستعمار الفرنسي من جهود، لخلق شقة خلافات في الرأي والتوجه بين الشباب المغربي المتعلم، ورغم أنهم لدى وضعهم للبرامج التعليمية لأبناء المغرب، أرادوا أن يفرقوا بين التعليم الذي يلحق لسكان المدن، وسكان البوادي، وخصوصا في المناطق التي كانوا يدعونها بالمناطق البربرية، كمنطقة آزر، التي شيدوا فيها مدرسة ثانوية لأبناء البربر، ومنعوا فيها تعليم اللغة العربية، واقتصروا على التعليم بالفرنسية، مع الإلزام بالتحدث بالأمازيغية، وكل هذا كان المقصود منه، خلق تيار جديد في الشباب المغربي، يعادي اللغة العربية، لغة القرآن والدين، والحضارة المغربية الأصيلة، والثقافة الاسلامية التي كانت دائما، وخلال القرون موضع اعتزاز، وتكريم، وفخر، من طرف إخواننا الأمازيغيين، سكان المناطق البربرية على اختلاف لهجاتها، ولقد جاءت أحداث قضية الظهير البربري، لتؤكد أن الوطنية المغربية، والشعب المغربي عموما، ملتحم مع بعضه بعضا، لافرق بين سكان المناطق البربرية، وبين سكان المدن

والقرى العربية، وأن القرآن الكريم، كتاب الله المنزل باللغة العربية، أكد هذا الالتحام وقواه، ولم يترك للمستعمرين أي باب ينفذون منه، لتطبيق سياستهم الجهنمية التي مبناهـا : (فرق تسد).

وفي هذه الأفكار والتوجهات، ترى الشباب الوطني، وفي ظلال هذه التوجهات الفكرية، نشأت الحركة الوطنية المغربية، إسلامية المنبت، موحدة الاتجاه، معتزة بالأصالة، متشبثة بالقيم الحضارية التي أقي بها الإسلام، والتي وجد فيها المغاربة الأصلاء، ما كانوا يطمحون إليه من عزة، وكرامة، وسعادة، وهناء، وفي ضوء المبادئ الإسلامية، وعلى أساس التمسك بها، قامت الدول المغربية المتعاقبة، منذ الأدارسة إلى العلويين، لم يخالج أية دولة من تلك الدول، أية أفكار عنصرية لتقوم عليها، أو انقسام في صفوف الشعب المغربي المتشبث بأصوله الحضارية العريقة التي غزاها الإسلام وقواها ونماها. وبسبب ما ذكرناه وألحنا عليه بالتوضيح، خسرت السياسة الاستعمارية الفرنسية صفقتها، وأدركت وأدرك دهاقتها، أنهم أمام شعب متشبث بمغربيته وحضارته وإسلامه ووحدته، وأن مخططات الاستعمار باءت بالخسران، وسوف لا تقوم لها قائمة بعد الآن. وأن ما تقوم بإحيائه بعض الدوائر الأجنبية في هذه الظروف من محاولة لتشتيت للرأي الوطني والفكر المغربي والتوجه الإسلامي الوجدوي، سيلاقى نفس ما لاقاه المخطط الاستعماري التفرقي قبل عام 1930 وبعد ذلك، من مقاومة من كل المغاربة سواء منهم سكان المناطق التي تتكلم بالأمازيغية أو التي تتخاطب بالدارجة العربية في بقية المناطق الأخرى، لأنّ الشعب المغربي في كل المناطق المغربية متشبث بالعروة الوثقى التي جاء بها الإسلام والتي قاومت كل الأفكار العنصرية والقبلية والتفريقية والتي أكدت أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، لأفرق بين عربها وعجمها ولا بين بربرها ومستعربها، فليس من الإسلام الدعوة إلى عصبية كيف كان نوعها، فالمغاربة مسلمون ملتحمون مع بعضهم بعضاً وأخوتهم ثابتة دائماً وأبداً رغم كيد المستعمرين.

فاجعة الحركة الوطنية في موت فقيه الصحافة الوطنية سعيد حجي

تحدثت في الصفحات السابقة عن جمعية الوداد الوطنية، وعن الأهداف التي تكونت من أجلها أواخر العشرينات، ولقد كان أحد مؤسسيها اللامعين، الشاب الوطني اللامع، المرحوم سعيد حجي، الذي بكر نبوغه، وتنوعت مواهبه، وتعددت أعماله ومشاريعه،



صورة المرحوم سعيد حجي

فكان من الشباب الوطني الملتزم لقضية بلاده ووطنه، وكان من الصحفيين الذين أعطوا للصحافة الوطنية في بداية نهضتها، مركزها الفكري النهضوي، ودعوتها الوطنية السليمة، ورسالتها في البعث الفكري والاصلاحي، والسياسي، والوطني، وأبرز بنشاطاته المتعددة، سواء في الميدان السياسي، أو الثقافي أو الاجتماعي، أن الشاب المغربي إذا ما فتح أمامه المجال، وتهيأت له الأسباب، وزالت من أمامه العقابيل والمثبطات، يستطيع أن يؤدي رسالته الكاملة، لخدمة بلاده، والنهوض بها في مختلف المجالات.

نبوغ مبكر

لقد وهب الشاب سعيد حجي حياته كلها لبلاده، كاتباً مقتدراً، وباحثاً اجتماعياً صادقاً، ومحللاً سياسياً بارعاً، وصحافياً مومناً بقيمة الرسالة الصحافية في تطوير المجتمعات، والنهوض بها، لتسير في طريق التقدم والرفق، كان عضواً من أعضاء كتلة العمل الوطني، ثم الحزب الوطني الأساسيين، وكان فكره الناضج، رغم صغر سنه، ونشاطه في مختلف مجالات الحياة، مدعاة التقدير والإعجاب، شارك مشاركة جادة في تحضير وتبني مطالب الشعب المغربي، المقدمة إلى الدوائر المسؤولة في دجنبر 1934، وساهم في إعداد المطالب المستعجلة المقدمة إلى المسؤولين سنة 1936، ووهب نفسه للصحافة الثقافية والسياسية، فأصدر جريدة «المغرب» اليومية التي تعتبر بحق أول جريدة يومية وطنية حرة بالمغرب، والتي بقيت تصدر منذ بدء صدورها سنة 1937 إلى مارس سنة 1942 حيث توقفت إثر وفاته رحمه الله. ثم عاودت الصدور إلى حادي عشر يناير 1944 تحت إدارة أخيه الأستاذ عبد الكريم حجي ورئاسة تحرير صديقه الأستاذ قاسم الزهيري، وكان آخر عدد صدر منها إذ ذاك مبشراً ببزوغ عهد الحرية والاستقلال،



قاسم الزهيري



عبد الكريم حجي

حيث كان العنوان الرئيسي في ذلك العدد كما يلي : (المغرب ملكا وحكومة وشعبا يطالب بالاستقلال) هذا الرجل العصامي المقتدر، وهذا الشاب الوطني الديناميكي المتميز، الذي كان بجانب جماعتنا الوطنية، يتقد حماسة ووطنية ونشاطا، افتقدناه ونحن في أشد الحاجة إليه، وفي ظروف كنا نتحفر فيها، لاغتنام أية فرصة تنهياً لنا، لنرمي وراء ظهرنا عار الحماية الأجنبية، ونعمل جادين لاسترجاع استقلالنا المفقود، وحريةنا المغصوبة.

كانت الظروف ظروف الحرب العالمية الثانية، وكان سعيد خلالها يتحرك بمهارة في المجال السياسي، لعله يظفر لبلاده ببعض الحقوق التي يتطلع إليها، وشاء الله تعالى أن يصاب بمرض عضال، لم يمهله إلا بعض الأسابيع، فأدركته المنية التي تدرك كل حي، والتحقت روحه بخالقها الذي لا يخيب من سعى إلى الخير، وعمل لصالح البلاد والعباد.

لقد توفي سعيد حجي ليلة الثلاثاء رابع عشر صفر الخير عام واحد وستين وثلاثمائة وألف هجرية، الموافق لثاني مارس سنة اثنين وأربعين وتسعمائة وألف فتركت وفاته فراغا لا يملأ، وحسرة في القلوب لا تنسى، فرحمه الله رحمة واسعة، وجازاه الجزاء الأوفى على ما قدم من الصالحات ﴿وإنا لله وإنا إليه راجعون﴾⁽¹⁾.

أول من استفدت من معلوماته وتجاربه

يظهر أنني لا أتجنبني على الحقيقة، إذا ما اعترفت، بأن أول شخصية استفدت من معلوماتها وتجاربها الوطنية والسياسية، هي شخصية المرحوم سعيد حجي، الذي توثقت الصلات بيني وبينه ابتداء من سنة 1929، ودامت إلى أن لقي ربه عام 1942، وكان يعجبني فيه، فكره النزيه المتفتح، ومعرفته الدقيقة بالأشخاص، ووزنهم بميزان العدل والإنصاف، سواء من الناحية الفكرية، أو الوطنية، أو تعاملهم مع الغير، كيفما كان ذلك الغير، سواء من الأصدقاء والأقرباء أو الأصحاب، أو حتى من الوالدين والإخوة والأصهار، وطالما حدثني عن فلان، واستغرابه من طريقة تعامله مع والدته، وكثيرا ما انتقد بعض الأشخاص الذين كانوا في نظره، ينقلون الأخبار دون تثبت، فينشأ عن

(1) لقد أصدرت كتاباً في جزئين عن السعيد حجي : حياته ونشاطه الوطني والثقافي، وبعض إنتاجه الفكري.

ذلك تغيير في الصدور، وبغض في القلوب، وكان ينتقد انتقاداً مرا بعض الاخوة الذين ينصتون لما يصلهم من أخبار، قد تكون كاذبة، فيتأثرون بها، وتسير معاملتهم مع غيرهم من الأصدقاء، وفقاً لما استمعوا إليه من أخبار كاذبة، ورغم أن ممارسته للواجبات الدينية لم تكن مضبوطة، فإن التعامل معه رحمه الله كان في منتهى الصدق والصراحة والأخوة وعدم التجريح، كان لونا من الرجال القليلين، رغم أن الذين لم يتعرفوا عليه التعرف الحقيقي، لم يدركوا حقيقته، بل فيهم من كان لا يطمئن إليه كثيراً من الاطمئنان.

لقد لعب السعيد أدواراً كثيرة في المجالين : الوطني والسياسي، سواء أثناء وجوده داخل المغرب، أو لدى وجوده في الشرق العربي، سواء في سوريا أو فلسطين أو مصر، وكان نشاطه الوطني لا يشغله عن نشاطه الثقافي، إذ كان يكتب في المواضيع الثقافية مثل ما يكتب في المواضيع السياسية، وكان نشاطه الصحفي مضرب الأمثال، ولعله كان يعتبر نفسه خلقاً للصحافة، سواء منها الثقافية أو السياسية. وإن مراجعة لما كتبه وحرره من افتتاحيات في جريدته (المغرب) ومقالاته وأبحاثه في الملحق الثقافي للمغرب، وفي مجلة المغرب التي كان يصدرها محمد الصالح ميسة، تعطي الباحث الخبير اليقين. لقد كانت له نظرات سياسية خاصة في كثير من القضايا، وكانت تحركاته السياسية متعددة الأشكال، ولذلك فإن الكثيرين من الذين لم يسبروا أغواره، لم يدركوا حقيقته، ولم يقدروه حق قدره، وهذا ما دعاني للكتابة عنه، للتعريف به قدر الامكان، مؤملاً إن فصح الله في الأجل، أن أتعرض في كتابات آتية لجوانب أخرى من شخصيته رحمه الله وأجزل له الثواب.

صلاقي بإخواني قامت على الصفاء والصدق

وبالمناسبة أشير إلى أنني أثناء فترة الثلاثينيات وما بعدها، تعرفت على الكثيرين من الاخوة والرفقاء، واستفدت من الاتصال بهم، ويمكنني أن أدعي أنني استطعت والحمد لله، أن أتعرف على شخصياتهم، وأسبر أغوارهم في مختلف المجالات الفكرية والسياسية والوطنية والدينية والأخلاقية والمزاجية، وفي ظروف السراء والضراء.

ولقد كنت بمعونة من الله، أتعامل معهم، بكامل الصدق، والاخوة، والوفاء، معطيا كل واحد ما يستحقه من تقدير، وأستطيع أن أقول : إنني أثناء تعاملي، وتعاوني معهم، لم يخامر نفسي — والحمد لله — أي غدر، أو حسد، أو غيرة من أي منهم، وإنما كانت معاملة بالحسنى، فإذا تلاقى تفكيري معهم، أو بعضهم، سرنا يدا في يد، وإذا كان هناك اختلاف في وجهة النظر، سرت مع تفكيري وما أومن به، دون أن يخطر ببالي أن أمس أي واحد بسوء، لا بالقول ولا بالفعل، وقد أصرح أمام الشخص، أو في غيبة منه، أنني لا أتفق معه في بعض الأعمال أو التصرفات أو التوجهات، ولكن دون طعن أو قدح أو أي إضرار. والمسيرة الوطنية، مسيرة طويلة ولقائي مع إخواني في الوطنية، سواء في سلا أو في غيرها من المدن، كان دائما متصلا، وعلاقتي حتى مع الذين كانوا مختلفين معي في الرأي والتوجه، كانت دائما علاقة طيبة، ولا أقول حميمة، لقد أخذت عهدا على نفسي، أن لا ألز أحدا كيفما كان تعامله، وكيفما كانت طبيعته، وكيفما كان مزاجه، وأعترف بأن جماعتنا الوطنية الأولى في سلام، لم يكن أفرادها المهمين، ذوي طبيعة واحدة، أو مزاج واحد، أو حتى تفكير واحد، وثقافة واحدة، ولكنني بالرغم من ذلك كانت معاشرتي معهم، وتعاوني وإياهم، في منتهى ما يكون من الانضباط والاحترام، وكنت أتحمل بعض المثائب، في تقريب الأفكار المتناقضة، الناتجة عن بعض التصورات الخاطئة، أو الأمزجة المختلفة، فلقد كنا أحيانا أثناء بعض اجتماعاتنا، تتناطح الأفكار، وتهيج العواطف، وتتفخخ الأوداج، ويصدر من الألسنة بعض الهجر من الكلام، ويكاد بعض الاخوة يصلون إلى القطيعة، ولكن توفيق الله، والصبر على المكاره، والتجاوز عن بعض الأخطاء، والتسامح الكبير، والعمل المضني على تقريب الأفكار، جعلنا والحمد لله نتغلب على الصعاب ونحتفظ في الأخير بما يتطلبه الواجب،

من ضرورة الحفاظ على التعاون والوحدة، ولولا أنني لأود أن أثير بعض الحزازات، لأتيت ببعض الأمثلة، وذكرت بعض الأشخاص والأحداث ولكن ذكرى لما ذكرت، إنما كان لأؤكد على حقيقة أساسية، أريد أن يستفيد منها من ينصب نفسه، ويوفقه الله للعمل الوطني، فيوطد نفسه على التحمل، والصبر، والأناة، وعدم إساءة الظن بإخوانه، العاملين معه في الحقل الوطني، حتى يمكنه أن يؤدي رسالته الوطنية، ويقوم بواجبه خير قيام.

أثناء عملي الوطني خلال الثلاثينيات وبعدها، تعرفت على الكثيرين من الوطنيين — كما ذكرت — في مختلف الجهات، ومختلف المواقع، والبعض منهم كنت أسمع عنه، الكثير قبل أن أتعرف عليه، ويجب أن أعترف أن البعض منهم زادوا مقاماً عندي، عندما تعرفت عليهم عن قرب، والبعض الآخر، وجدته دون ما كنت أسمع عنه، كما أعترف أن اطلاعي ومعرفتي ببعض الجوانب في هؤلاء أو أولئك، لم تحصل دفعة واحدة، ولا في العام الواحد، بل ولا في العقد الواحد، وإنما هي الظروف والتقلبات، كانت تكشف لي بعض الجوانب التي لم أكن أتصورها، سواء أكانت إيجابية أو سلبية، ولكن هذا كله، لم يؤثر مطلقاً على تعاملي مع الجميع، كل واحد في موقعه، الذي هيأته له الأقدار، وسواء كانت نظرتي إلى الشخص، تزيدني به ارتباطاً، إذا ما اكتشفت فيه بعض الخصال الطيبة التي لم أكن تعرفت عليها، فأني إذا ما اكتشفت خصالاً سلبية، أكتفي بمعرفتها، لتجعل معاملتي مع ذلك الشخص، في دائرة ما يحقق الأهداف المثلّية، دون أن أذهب بعيداً في مختلف أنواع التعامل، أو حتى في تكثير الاتصال، فتبقى العلاقة الانسانية الطبيعية في محلها، دون إخلال بالواجب في التعامل الضروري.

لقد تعاملت مع إخواني الذين سبقوني في العمل الوطني، بكامل التقدير والتبجيل، وأشهد أنني كنت أنظر إلى السابقين الأولين نظرة التلميذ إلى أساتذته، وفي اتصالي واجتماعي معهم في المراحل الأولى، كنت أستحي حتى أن أناقشهم، أو أبدي أي رأي مخالف لرأيهم، معتقداً أنهم أوسع مني ثقافة، وأكثر تجربة، وأعلم بمجريات الأحداث، وخصوصاً في القضايا السياسية العويصة، ولكن هذا لم يبق دائماً، فما أن خبرت الحياة مثل ما خبروها، وما أن تتبععت الأحداث مثل ما اتبعوها، حتى صرت أدلي بدلوي بين الدلاء، وأعبر عن رأيي ضمن الآراء، وأدافع عما أراه الصواب كامل الدفاع، دون أن أطعن في أحد، ودون أن أتخلى عما أراه الحق الواجب الاتباع في أخذ القرار، وأسجل هنا أنني لدى اقتناعي برأي من الآراء، لم يكن يدفعني التحزب الأعمى، فالحق أولى بالاتباع من أي رأي، مهما كان مصدره، وأسجل أيضاً أن نظرتي

لأي شخص مهما كانت مكانته عندي، لا تجعلني أنقاد لرأيه تقليدا دون تمحيص، إلا إذا كانت معرفتي بالموضوع الذي يناقش، معرفة غير كاملة، وكنت أعتقد أنه أعلم مني بالموضوع، فهناك أثق بتفكيره، وأؤيده فيما يدافع عنه، وهنا يجب أن أشير إلى أن جماعتنا الوطنية السرية، (الطائفة أو الزاوية) كان يجمعنا فيها عهد وميثاق، أدينا عليهما اليمين أمام المصحف الكريم، ومن أجل هذا فإن علاقتنا مع بعضنا أصبحت من القوة والثقة، ما جعلنا نثق ببعضنا الثقة التي كادت أن تكون عمياء، فلا يتصور أي أحد منا، أن يتعامل مع أخيه بغير الصدق، ولا يتصور أن يكذب الرائد أهله، مهما كانت الظروف والملايسات، كانت الثقة المتبادلة بيننا، تجعلنا نؤمن على ما يقرره البعض منا، ولو في غيبة عن البعض الآخر، فلا يتصور أي واحد منا، أن إخوانه اتخذوا قرارا في موضوع من المواضيع، دون داع مصلحي لذلك، ولا دون غاية شريفة، والقرارات التي تتخذها جماعتنا السرية، تبقى دائما سرية، ولا يمكن أن يطلع عليها أي كان، وهذه السرية أفادتنا كثيرا في نشاطنا الوطني، وأفادتنا أكثر عندما ارتبطنا الارتباط الوثيق بجمالة الملك المرحوم محمد الخامس نور الله ضريحه، فلم يستطع الأعداء أن يتعرفوا — رغم ما بذلوا — على حقيقة تعاوننا معه، ونحن نحضر وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولم يستطيعوا أن يدركوا المراحل التي قطعناها معه، بعد المطالبة بالاستقلال وأثناء فترة الأربعينيات، وبداية الخمسينات إلى أن تحقق الاستقلال، لقد فهمنا جيدا الحكمة التي تقول : (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) ولو افترض سر ارتباطنا، وعلاقتنا، وتعاوننا، مع محمد الخامس، لسار التاريخ في غير المسار الذي سار فيه، ومن الفضائل أو الغرائب التي يشار إليها في موضوع أسرار الطائفة، أن الذين انفصلوا عن كتلة العمل الوطني، وهم من الطائفة، لم يبع أي أحد منهم بأي سر من أسرارها، ولم يعلم أي واحد من الناس خيرا عنها، لا عن طريقهم، ولا عن طريق غيرهم، ولربما كان البعض من هؤلاء المنفصلين، يعتقد أنه بعد الانفصال، انحلت الجماعة التي كانت تسمى بالطائفة، ولكن المعجزة أن الطائفة بقيت موجودة، ولربما أدت رسالتها السرية خلال سنة 1944، ما لم تؤده أية جماعة وطنية أخرى، قبل الاستقلال أو بعد الاستقلال.

لقد كان الفرنسيون يشعرون أن هناك تجاوزا كبيرا بيننا وبين محمد الخامس، ولكن سبيل الوصول إلى إدراك الحقيقة عن اتصالنا به، وكيف كان ؟ بقي غائبا عنهم، رغم جواسيسهم المتعددين، من الفرنسيين، والأهالي، ورغم عيونهم المبهوثة داخل القصر الملكي وخارجه، لقد كانت عين الله ترعى هذا الاتصال، لتحقيق بواسطته المعجزة، معجزة تلاحم العرش والشعب، لطرد المستعمر الغاشم، وتحقيق استقلال المغرب، في فترة لا تزيد عن تقديم طلب الاستقلال، إلا بأحد عشر عاما.

الاتصال والتجاوب والتلاحم مع جلالة الملك محمد الخامس

كان الاتصال والتجاوب والتلاحم، والارتباط بين جماعتنا، وشخص محمد الخامس رحمه الله، ارتباطا ربانيا، لم تخطه يد إنسانية، ولم تحكم اتصاله قوة بشرية، ولم توثق عراه مصالح مادية، ولكن الأقدار الربانية، هي التي حكمت كل ذلك، فإذا كانت الأقدار الربانية، والحكم الإلهية، والتدابير السماوية، هي التي أتت بمحمد الخامس، ليجلس على منصة العرش المغربي، وهو شاب صغير لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، ليقود سفينة الاستقلال إلى شاطئ النجاة، في الوقت الذي كان الاستعمار يريد منه أن يثبت أقدام هذا الاستعمار، ويركز أركانه، فإن الأقدار الربانية نفسها، هي التي جعلته سقى الله ضريحه، يعمل يده في يد «طائفة» من أفراد رعيته المخلصين، ليسير وإياهم جنبا إلى جنب، لتطهير البلاد من رجس الاستعمار، وللسير بها في طرق العزة والكرامة، ولتقديم أكثر ما يمكن من التضحيات، في سبيل عزة المغرب وكرامته وتحريره من قبضة الغاصبين.

إن التدبير الإلهي، والتوفيق الرباني، هما اللذان ساقا المغرب في طرق الكفاح، والنضال، والجهاد، تحت قيادة ملك مخلص، أقوى ما يكون الإخلاص، وحكيم أكثر ما تكون الحكمة، ومؤمن أشد ما يكون الإيمان، جعل يده في يد شعبه الوفي الصادق، بزعامة جماعة صادقة، وطائفة مخلص، أعطت العهد، فوفت به، وأقسمت النين فبرت منه، وقدمت الولاء فما تخلت عنه، وبقيادة الملك المخلص، والطائفة الصادقة الولاء والوفاء، تحققت المعجزة، وأتى نصر الله الذي وعد به المؤمنين ﴿ولينصرون الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز﴾.

محمد الخامس الملك المجاهد

ليس من الوفاء، وليس من الاعتراف بالجميل، أن يتحدث الوطني عن ذكرياته في الحركة الوطنية ولا يتحدث عن الملك الصالح المجاهد سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه، وليس من الوفاء أيضا أن يتحدث الوطني عن ذكرياته دون أن يتحدث عن

البدايات الأولى لنضال محمد الخامس ومواقفه فهذا الملك الذي هيأته الأقدار، ليكون ملكا للمغرب، ورائدا خريتا، في ظرف كانت الحركة الوطنية المغربية في بداية نشأتها، وكان الوعي الوطني في مستهل تكوينه، وكان الشباب الوطني في المرحلة الأولى من مراحل التحفز والنهوض لأداء الواجب المفروض عليه، هذا الملك الصالح المصلح، يجب أن نذكره في كل حين، ونعترف له بالجميل في كل الظروف. والواقع أن ولادة محمد الخامس عام 1909 بالذات كانت بشارة خير رغم أن هذا العام والأعوام التي قبله، والثلاثة أعوام التي بعده كانت تنذر بمصير مشؤوم لمستقبل المغرب، حيث كانت السلطات الاستعمارية فرنسية وإسبانية تتحفزان للانقضاض على المغرب، واحتلاله والقضاء على حريته واستقلاله، ولكن الأقدار الالهية، كانت تدبر وتقدر، وتريد أن يزداد في السنة المذكورة المنقذ والمحرر، ومضت ثمانية عشرة من السنين، يبلغ فيها الشاب، سن البلوغ الشرعي، والتكليف الديني ليلتحق والده المولى يوسف بالرفيق الأعلى، وليعلن عن مبايعته ملكا للمغرب.

كان المفروض أن يتولى الملك بعد وفاة السلطان مولاي يوسف، ولده الأكبر مولاي إدريس، ولكن الأقدار التي كانت تمهية المنقذ الذي سيكون على يديه تحرير المغرب من الاستعمار، قررت أن يكون هذا المنقذ، هو الولد الثالث للمولى يوسف سيدي محمد الذي كان يدعي بدار المخزن سيدي حمادة، والذي لم يتجاوز سنه إذ ذاك السابعة عشرة إلا قليلا، ولذلك قرر متولو الأمر، أن يجعلوا الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ وصيا عليه. وهكذا بويغ سيدي محمد الخامس يوم الثامن عشر من شهر نوفمبر عام 1927، فانتشر (البراحة) في أحياء المدن المغربية، ينادون حسب التقاليد التي كان معمولاً بها : (أعبد الله، المسلمين، ما تسمعون إلا الخير، عزانا واحد في سيدنا السلطان مولاي يوسف يرحمه الله، والبركة في ولده، سيدنا محمد نصره الله) كان سيدي محمد شابا ذكيا، وكان يتعاطى دروسه على أساتذة أكفاء، منهم الفقيه السيد محمد معمري الزواوي الجزائري الذي سيصبح رئيس الديوان السلطاني ثم مديرا للتشريعات الملكية، ومنهم الفقيه السيد محمد أقصبي.

أول ما سمعت إسم السلطان محمد بن يوسف

كنت في الثانية عشرة من عمري عندما بويغ السلطان الشاب محمد بن يوسف بالملك، وأذكر أنني كنت طريح الفراش نتيجة وعكة صحية كانت ألمت بي، وأن إخواني



محمد الخامس عند توليته الملك عام 1927

كانوا يتحدثون أمامي عن تولية هذا الشاب خلافة والده، بمنتهى الأمل والاستبشار، ورغمما من أن المنتظر كان هو تولية الولد الأكبر للملك، فإن مبايعة سيدي محمد نالت الرضى والقبول والاطمئنان. يقول المؤرخ الإنجليزي روم لاندو في كتابه : (تاريخ المغرب في القرن العشرين) ص 250 : (لم يكن سيدي محمد، بوضعه من صغار أبناء السلطان، يأمل أن يصل إلى العرش، ولم تكن تربيته الأولى موجهة نحو الملكية، ولما كان ذا طبيعة تمعن في التفكير، وتحب العزلة، وكان من أولئك الذين يؤثرون الصمت على الكلام، مع حرص شديد، على الواجبات الدينية، فقد بدا للفرنسيين، أنه اختيار مثالي، كخليفة لأبيه، وكانت جميع المظاهر، تدل على أنه بعيد أن يختط في السياسة طريقا خاصة به، وكانت تربيته تربية دقيقة في بلاط شديد النظام، هو بلاط مولاي يوسف، إلى أن يقول (وعلى كل حال، فقد درج في أول الأمر، على أن يظل وراء الستار، وأن لا يخالف المقيم العام، وأن لا يظهر في المناسبات العامة، إلا إذا تطلب الواجب منه ذلك، وأن يفيد من وقته متعلما ملاحظا، متربصا، وقد اهتم بواجباته اهتماما دقيقا، فكان يقرأ بنفسه عادة كل وثيقة توضع أمامه، باحثا محتوياتها مع وزرائه) انتهى ما كتبه «روم لاندو». وبمجرد مانصب سيدي محمد بن يوسف على عرش أسلافه الميامين ألقى خطابا ينم عن الروح الطيبة التي كان يحملها قلبه الكبير، رغم صغر سنه، والطموحات التي كان يطمح إليها بالنسبة لشعبه، ولقد جاء في هذا الخطاب ما يلي :

شذرات من الخطاب الأول للسلطان محمد بن يوسف

«إن الشعب المغربي، ينتظر منا مجهودا مستمرا، لا من أجل سعادته المادية وحدها، ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري يكون متلائما مع احترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة، بأكثر ما يمكن من السرعة». كلام كبير، ونطق خطير، والتزام صادق، التزم به محمد بن يوسف لدى الساعات الأولى من مبايعته وجلسه على عرش أسلافه المقدسين، لقد أكد أن الشعب المغربي ينتظر منه مجهودا كبيرا مستمرا لتحقيق سعادته المادية وتطوره الفكري والحضاري معا، وحرصه الشديد على الحفاظ على العقيدة التي لا تتعارض أبدا مع التقدم الحضاري. لقد كان هذا الخطاب رغم إيجازه يوضح معالم الطريق التي سيسلكها هذا الملك الشاب للنهوض بشعبه التواق إلى التقدم في كل الميادين الحضارية مع الحفاظ على عقيدته الإسلامية.

ثلاثة أوصاف عظيمة في شخصية محمد الخامس

إن التمتع فيما كتبه «روم لاندو» وهو المؤرخ الأجنبي الذي لا يمكن أن يتم بإعطاء أوصاف تدفع إليها عاطفة المحبة المجردة، أو مطلق الحكم دون اقتناع، فلقد وصفه بأنه (ذو طبيعة تمعن في التفكير وتحب العزلة، ومن الذين يؤثرون الصمت على الكلام، مع حرص شديد على الواجبات الدينية) ثلاثة أوصاف، أدركها، روم لاندو في محمد الخامس : 1) التفكير العميق 2) الصمت الكثير 3) الحرص على الواجبات الدينية، وإني أؤكد، وقد خبرت محمد الخامس، وتعمقت بتفكيري في شخصيته، واتصلت به وحدي ومع غيري، أن هذه الأوصاف التي وصفه بها «روم لاندو» ليس فيها زيف ولا تزئيد، فلقد كان ذا تفكير عميق، وهذا التفكير هو الذي ساعده على أن لا يزيغ ولا يخطيء فيما كان سيواجهه من أحداث عظام، وكان يتأني كثيرا فيما يتخذ من قرارات، لقد وجد نفسه بعد مبايعته، أنه تحمل أمانة كبرى، وتقلد مسؤولية ثقيلة تنوء بحملها الجبال، ولا يتحملها إلا ذوو الإرادات القوية، والإيمان الصادق، وأنه محاط بمشاكل كبرى تحيط به من كل جانب، فالاستعمار الأجنبي بقوته وخطورته، شاذ الخناق على بلاده، والمحيطون به من وزراء وموظفين، ليس لهم من الأمر شيء، ووحدة بلاده قد مزقتها الاستعمار إلى سبع مناطق، بعضها تحت قبضة الاستعمار الفرنسي، وبعضها واقع تحت نفوذ الاستعمار الإسباني، وبعضها وضعت تحت نظام دولي، وبعضها اغتصبت اغتصابا وضم إلى الأقطار الأجنبية، سواء منها الفرنسية أو الإسبانية. إرث ثقيل تحمله، فهل يستطيع أن يحل هذه المشاكل الاستعمارية الكبرى. وهو لازال في ميعة شبابه.

لم تمض على مبايعته ثلاث سنوات، حتى صار يفكر ويطيل التفكير، ولايزيده التفكير إلا هما وألما وعزما لما ينتظره من متاعب وأعمال لصالح شعبه، وهو في متاعبه وتفكيره للبحث عن الطريق التي ستقذ بلاده من هذه الورطة التي أوقعها فيها الاستعمار الأجنبي البغيض، إذ يستصدر الفرنسيون باسمه ظهيرا أطلق عليه الظهير البربري، هذا الظهير الذي حررته لجنة فرنسية مختصة، ووضحت أهدافه حيث قالت كما جاء في محضر جلساتها الذي اطلعنا عليه بعد ذلك : (لا ضير في تحطيم وحدة النظام القضائي بالمنطقة الفرنسية، وحيث أن المقصود هو تقوية العنصر البربري، نظرا لعامل التوازن الذي قد تدعو الحاجة إليه، فمما لاشك فيه، أن هناك فائدة مؤكدة لكسر المرأة) ومن أهدافه كذلك ما شرحه أحد موظفي الإقامة العامة (موريس لوجلي) عندما

قال : (يجب أن نحذف تعليم الدين الاسلامي واللغة العربية من مدارس البربر، وأن نكتب اللهجات البربرية بحروف لاتينية، يجب أن نعلم البربر كل شيء ماعدا الاسلام) ولقد كتب عن أسرار هذا الظهير أيضا أحد الأساتذة الفرنسيين المستعمرين (جودفر وادومنين) فقال : (من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة، لها لغة واحدة، وأنظمة واحدة، لا بد أن نستعمل في حقها الشعار القديم (فرق تسد) إن وجود العنصر البربري مفيد لإحداث التوازن مع العنصر العربي، ويمكننا أن نستعمله ضد المخزن نفسه).

وكتبت عنه جريدة «الطان» الفرنسية بتاريخ 27 ماي 1930 فقالت : إنه عمل عظيم، جدير أن تهنأ عليه فرنسا، ثم قالت : «الآن تخلصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الاسلامية، وزادت فقالت : فالظهير البربري أتم للسلطة الفرنسية طرد الشريعة الاسلامية، وبه تم طرد السلطة المخزنية، وهذا هو أساس السياسة البربرية».

أقول بعد صدور ظهير 16 مايو 1930 قصدت الوفود دار المخزن رافعة أصواتها ضد هذا الظهير، فiaخذ الكلمة شيخ جليل وعالم صادق، ليطلب من جلالة الملك تدارك الموقف قبل فوات الأوان، وإنقاذ شعبه مما يراد به من التفريق والتنصير والتطاحن والخروج عن ملة الاسلام وعن سلطة إمام المسلمين، فتدمع عينا جلالتة وهو ينصت لذلك الشيخ المستغيث أمامه، وينطق بكلمات قصار، تنم عن إرادة قوية للوقوف ضد هذا الطغيان. ولكن أين هي الطريق التي سيسلك وهو لازال في بداية الملك، ولازالت يده مكتوفة من الأوصياء والحماة



والمستعمرين) ولكنه لا يستعجل ولا ييأس وإنما يفكر سيدي عبد الرحمن بن القرشي ويفكر. حتى إذا ما أخذ طريقه، سار في الطريق التي توصله إلى تحقيق الرغائب التي يتطلع إليها شعبه المتعلق به وبعرشه العلوي الشريف. كان يلزم الصمت حتى لا يقع في أخطاء، مثل مايلزم التفكير، وكان يستعين في تفكيره بتدينه المثالي الذي يستمد منه التوفيق والهداية والرشاد.

التفكير والصمت والتعلق بالرب العظيم، هاته الصفات الثلاث، هي التي جعلته يسير في طريقه لتحقيق أهدافه وأهداف شعبه في الحرية والاعتناق، ومقاومة الخصم المستعمر، بعزيمة المومن الواصل من ربه، العالم أن العاقبة ستكون له إذا ما بقي دائما مسلحا باليقين، والسير في الطريق المستقيم الذي يؤدي بمعونة الله إلى النجاة.

اللقاء الأول مع محمد الخامس

لقد تعرفت على الملك محمد الخامس لأول مرة وأنا في سن التاسعة عشرة من عمري وهو في الخامسة والعشرين من عمره، فأدركت في الوهلة الأولى، ما هو عليه من قوة يقين، واستشعرت فيه قوة التفكير، وحب الانصات قبل الكلام، وكانت تظهر على ملامحه الثقة بالله، وزرته عدة مرات، سواء منفردا وحدي، أو مع غيري من بعض الإخوة الصادقين، فزاد اقتناعي بأنه ليس من نوع المندفعين المتهورين الذين لا ينظرون إلا إلى مواقع اقدامهم الذين يحسبون كثيرا من الحساب، ولا ينظرون إلى العواقب قبل أن يأخذوا أي قرار، إنك عندما تزوره يريد أن يسمع منك، وينصت إليك، ولا يتكلم إلا قليلا جدا، إلا إذا دعت المصلحة إلى الكلام، كما وجدت عنده حسا دينيا عميقا جدا، يرجع إليه في أوقات الشدة، وفي أوقات الرخاء، ومن هذا الحس الديني كان — بعد التفكير — يأتيه الإلهام الذي قلما أخطأ فيه رحمه الله، فهو كان في نظري ملك ملهم، وهذا الإلهام هو الذي كان يسوقه إلى الخير، وإلى عمل الصالحات، وإلى الاندفاع عندما يدعو الواجب إلى الاندفاع، وإلى التريث، عندما كانت المصلحة تفرض عليه أن يتريث.



استقبال جلالة محمد الخامس
لأبي بكر القادري سنة 1959

عندما تحمل مسؤولية الملك، كانت بلاده تنمن من وطأة هزيمة أصابها في الصميم، هي هزيمة البطل ابن عبد الكريم في حربه ضد المستعمرين الفرنسيين والإسبانيين، ولاشك أن هذه كانت لها انعكاسات على تفكيره، فصار يفكر مثل ما كان يفكر الشباب الوطني في طريق الإنقاذ، وشاء الله، وشاءت عنايته سبحانه أن تكون الهزة التي وقعت في الريف، والهزيمة التي حلت بالمجاهدين، مدعاة لبعث سياسي جديد، في وقت أعلن فيه عن مبايعة ملك شاب مخلص جديد. هي عناية الله، قارنت بين هذا وذاك، فإذا ما وضعت زمرة من الشباب الوطني بذوراً صالحة للحركة الوطنية بعد حرب الريف مباشرة، فقد قضت إرادته كذلك أن يتولى أمر المغرب في نفس الوقت ملك رائد شاب، سيعرف كيف يقود سفينة النجاة بالبلاد إلى أن يوصلها إلى التحرير والاستقلال.

تطلعات مبكرة إلى البناء والتحرير

لست على علم بتفكيره في الفترة التي قضاها في المُلْك قبل سنة 1930، وهي السنة التي استقبل فيها وفد فاس برئاسة الفقيه ابن القرشي، والحالة النفسية التي كان عليها وهو يستمع إلى ذلك الشيخ الجليل، يستحثة على تدارك الموقف، قبل أن ينجح المستعمرون في تطبيق مخططاتهم، وإن كنت أحس من ذات نفسي ومن خلال الخطاب الأول الذي ألقاه لدى مبايعته ملكاً على العرش المغربي، أنه كبقية الشباب الحلي المتوثب، كانت نفسه يتصارع فيها الوازع الوطني الديني المتوثب مع ما كان يحيط به من عوامل التشييط والخنوع والاستسلام. وأنه كان يبحث عن الطريق الناجع الذي يسهل عليه أداء واجب مسؤولياته دون فشل، ولاشك أنه بدأ يسترق السمع بأن هناك في بلاده شباباً يغلي ويتوثب، ويريد العمل للإنقاذ، ولاشك أنه وجد نفسه تتطلع ليمد يده إلى هؤلاء الشباب، ليتعاون معهم على العمل لصالح بلاده، ولست أشك أنه كان يتحدث بما يروج بخاطره لبعض معاونيه الذين كان يطمئن لإخلاصهم ووفائهم وصدقهم، وإن كانوا غير متصلين ولا متعارفين مع هؤلاء الشباب، ولكنهم يسمعون عنهم كما يسمع. كنت أعرف واحداً من هؤلاء الأعوان بدار المخزن القرييين من محمد الخامس، كان اسمه «ولد المعلم» وتولى بعد فترة باشوية السويرة. كان هذا يتحدث عن محمد الخامس الشاب بمنتهى التقدير والاعجاب، ويحكى عن روحه الطيبة ما يشفي الألباب، وكان آخرون يتحدثون عن تطلعاته وذكائه وطيبوبة نفسه ومحبه لشعبه، ما يلفت إليه الأنظار، وما جعلنا نحن الشباب الوطني، نتطلع إلى الاتصال به، والتعرف إليه عن قرب ومدّه

بكل معونة نستطيع القيام بها، ليسير في تحقيق ما تطمح إليه نفسه الكريمة، ووطنيته الصادقة.

وجاءت سنة 1933، وكنا قد أسسنا جمعية شبابية إسلامية قرآنية، أسميناها جمعية المحافظة على القرآن الكريم، كانت تدعو إلى الرجوع إلى القرآن، باعتباره الدستور الأول للمسلمين، والمنقذ الأساسي من التفرق والتشتت اللذين كانا يعوقان المسلمين عن النهوض من الكبوة التي وقعوا فيها، أصبح القرآن الكريم إمامنا، به نهتدي، وبآياته التي نتلوها مجتمعين في المساجد نسترشد، واستمع محمد الخامس لما أصبحنا نلتقي حوله كل يوم، وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصار يغتنم بعض الفرص المتاحة له، ليزور المسجد الأعظم بسلا متنكرا، ليستمع بدوره إلى آيات الله تتلى، وليزيد يقينا بأن فتيانا وشبابا من رعيته يجتمعون حول الكتاب المنزل من السماء لا بد أن مقصدهم شريف، ولاشك أن الله سبحانه سيشرح صدورهم للحق والخير، والسير في الصراط المستقيم.

ولما بلغ ابنه وولي عهده وفلذة كبده مولاي الحسن سن الخامسة، قرر أن يدخله الكتاب القرآني بدار الخزن الشريف، فأقام حفلا دينيا قرآنيا داخل القصر الملكي، وكنا نحن شباب جمعية المحافظة على القرآن الكريم، من أوائل المستدعين والمشاركين في هذا المحفل القرآني، فلاحظنا ونحن نتلو كتاب الله أمام ملكنا، وأمام ولي عهده الصغير إذ ذاك، مقدار انشراح صدره، وسروره بدخول فلذة كبده إلى الكتاب القرآني، والتفاف الشباب الوطني القرآني حوله، وكأنهم جميعا يتعاهدون أمام كتاب الله على العمل لنصرة الوطن وعزته، تحت راية القرآن الكريم، وفي ظل العرش العلوي الشريف.

أول زيارة للشباب الوطني السلوي لجلالة محمد الخامس لتهنئته بالعيد

وجاءت مناسبة عيد المولد النبوي الشريف، لتتفق نحن جماعة من الشباب الوطني القرآني مع بعضنا، ونتخطى المراسم التي وضع الاستعمار، ونقرر الذهاب إلى القصر الملكي لنقدم لسيدنا المنصور بالله عبارات التبريك والتهنئة بالعيد، والالتزام بأن نعمل جاهدين لخدمة المغرب، في ظل ورعاية وتوجيهات صاحب الجلالة الجالس على العرش، سيدي محمد الخامس، واغتنمت هذه الفرصة، فقامت وألقيت خطابا ارتجاليا قصيرا أمامه، جددت فيه بعد التهنئة بالعيد، تعلقنا نحن الشباب الوطني بالعرش العلوي،



أعضاء مكتب جمعية المحافظة على القرآن الكريم

الجالسون من اليمين : قاسم الزهيري — أبو بكر القادري — محمد البقالي
الواقفون : عثمان الأحرش — عبد العزيز عواد — أبو بكر السماحي — محمد عواد.

والجالس عليه سيدي محمد الخامس، والتزامنا بالعمل معه. وتحت قيادته لعزة المغرب وتحريره، وإحلاله المقام الذي يستحقه، وشعرنا مرة أخرى بالتجاوب الحاصل بيننا وبينه، تجاوباً روحانيا صادقا مخلصاً، تجلى على أسارير وجهه المشرق الوضاء، وأكدّه بكلمات مضيئة، نطق بها لسانه، عبر فيها عن رضاه ودعائه لصالحنا نحن جماعة شبابية من أفراد رعيته.

زيارة جلالته لفاس عام 1934 ومنتج عنها

وفي ماي سنة 1934 قرر قدس الله سره أن يقوم بزيارة لمدينة العلم والعرفان فاس، فاستقبله إخواننا الوطنيون الشباب بما يستحقه من التكريم والتعظيم، والتهافت بطول حياته وحياة بلاده، فكان يوم زيارته يوماً مشهوداً في تاريخ مدينة فاس تجلى فيه، تجاوب العرش والشعب، تجاوباً لم يسبق له نظير، حيث كان استقباله عديم النظير خرجت فيه مدينة فاس بكاملها لاستقباله بالتهنئات والأناشيد التي كانت تشق عنان السماء، وأدرك الفرنسيون المستعمرون مغزى هذا التجاوب، فأوحى لهم شيطانهم أن يعملوا على إفساده، وأعلنوا في جرائدهم أن السلطان غضب على أهل فاس وعلى الشباب الوطني بالخصوص، لقيامه بمظاهرات صاخبة، كان التهافت فيها يشق جوانب الطرقات المؤدية إلى ضريح المولى إدريس، وأنه من أجل ذلك قرر أن يرجع إلى الرباط تعبيرا عن سخطه وعدم رضاه.

وكانت الحقيقة التي دعت فعلاً محمداً الخامس إلى الرجوع إلى الرباط، أن الإدارة الإستعمارية مانعت المنع الكلي لزيارته للقرويين (الجامعة الإسلامية الكبرى) وأداءه صلاة الجمعة فيها، ولما أصرت على المنع، خوفاً من أن يستقبل بمثل ما استقبل به من هتاف وتهليل وتكبير، كان هو مصراً على أداء الصلاة في القرويين، طبق التقاليد الجاري بها العمل في المغرب، منذ الملوك السابقين وكانت الإدارة مصرة على المنع فقرر رحمه الله الخروج من فاس، والرجوع إلى الرباط تعبيرا عن احتجاجه على هذا التصرف غير اللائق من طرف السلطات الفرنسية. ولربما كانت هذه هي المواجهة الأولى بينه وبين الإقامة العامة الفرنسية، وهو إذ ذاك لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره، ولما رأى أن الإدارة الاستعمارية أعطت لمغادرته فاساً تأويلاً لا يعبر عن الحقيقة بنشرها للبلاغ الذي وقعه الصدر الأعظم، تحداها عملياً، فأمر الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ نفسه، أن

يستدعي ولأول مرة ممثلي الحركة الوطنية من الشباب الذين استقبلوه بفاس، ليؤكد لهم باسمه، فرحه باستقبالهم إياه، ذلك الاستقبال الحافل والمعبر، ورضاه الكامل عن الشباب الوطني المتحفز والمتوثب والصادق في وطنيته وإخلاصه للملكه.

وفي هذا الاستقبال الذي خصصت به مدينة فاس وشبابها جلالة الملك كان الجميع يتغنى بالنشيد الوطني الذي نظمه شاعر الشباب علال الفاسي رحمه الله، والذي كان مطلعته :

يامليك المغرب — يا ابن عدنان الأبي — نحن جند للفدى — نحمي هذا المُلْك،
عرش مجد خالد — ماجد عن ماجد — قد بناه الأولون — في شموخ الفلك، نحن
لا نبغي به، معدلاً عن حزبه — إننا من حبه — كلنا في ظله — دائماً نفديه.
وعلمنا بعد ذلك أن الإدارة الاستعمارية كانت عازمة على إلقاء القبض على رؤساء
الحركة الوطنية، وإن المعتمد بالإقامة العامة، توجه إلى فاس، وقابل جلالة الملك، وكان
مع المعتمد القائد العسكري للمدينة، فطلبوا من جلالته الموافقة على اعتقال زعماء الحركة
الذين نظموا الشعب (في زعمهم). كما طلبوا منه العدول عن أداء صلاة الجمعة بجامع
القرويين كما كان مقرراً، ولكنه رفض كل ما طلباه منه، وغادر فاساً احتجاجاً على
تصرفات الإدارة، لا على الوطنيين.

حصار يدعو إلى الاحتفال بعيد العرش

وفي سنة 1933، كتب أحد الشباب الوطني السلوي هو المرحوم محمد حصار مقالاً في مجلة «المغرب» يدعو فيه إلى جعل يوم 18 نوفمبر من كل سنة عيداً وطنياً، باعتبار أنه اليوم الذي بويع فيه جلالة الملك الشاب محمد الخامس ملكاً للمغرب، وتجابوب الشباب الوطني مع هذا الاقتراح، وتقرر أن يعمل على الاحتفالات في مختلف المدن المغربية، وفي الخارج إن أمكن، وهكذا وقعت احتفالات شعبية شبابية في سلا والرباط وفاس ومراكش وباريس وغيرها، ووجهت البرقيات المتوالية إلى جلالة الملك تُهنئُه بجلوسه على عرش أسلافه المقدسين، وتدعو له بطول العمر والتوفيق في قيادة شعبه إلى ما يستحقه من مجد ورفعة، فما كان منه رحمه الله إلا أن يقرر أن يجيب عن كل البرقيات التي وصلت من مختلف أفراد وجماعات رعاياه في الداخل، والخارج شاكرًا وداعيًا.

جلالة محمد الخامس يرّد على برقيتي

وإن أنس فلا أنسى يوم 20 نوفمبر من تلك السنة (1933) وأنا منهمك في إعطاء درسي لتلاميذي بالزاوية القادرية، إذ حضر إلى الزاوية مخزني من مخازنية باشا سلا، يدعوني باستعجال لزيارة الباشا المذكور، فما كان مني إلا أن ألبى في الحين، منتظرا وبعض الظن إثم — عقابا أو توبيخا من سلطات الحماية على ما قمنا به أنا وإخواني، من احتفالات، كانت في منتهى الروعة بمناسبة ذكرى جلوس ملكنا على عرش أسلافه، ولكنني فوجئت عندما وصلت لباب منزل الباشا، أن طلب مني أن أصعد إلى القبة العليا في المنزل، لأجد الباشا جالسا مستبشرا غير منقبض، وقريبا منه جلس أحد أعوانه، وأمامه صينية الشاي حسب تقاليدنا المغربية، وما أن قدم لي كأسا من الشاي والحلويات، حتى بادرنى الباشا بقوله : (لقد تلقيت أمرا من جلالة الملك بواسطة الصدر الأعظم، أو بواسطة رئيس التشريعات (نسيت) أن أبلغك وأصدقائك شكر سيدنا المنصور بالله ورضاه، على ما قمتم به أمس أمس من احتفالات ومظاهر الأفراح، بمناسبة ذكرى جلوسه على عرش أسلافه المقدسين، فسيدنا يدعو لكم ويرضى عنكم أو كما قال.

لقد استشعرنا أننا ربحنا المعركة ضد الفرنسيين، وأن الحوائل التي كان يضعها الاستعمار ضدنا، حتى لا يقع تجاوب بيننا وبين ملكنا الشاب قد حطمت، وأنا سنسير بحول الله ومعونته وتوفيقه، يدا في يد مع ملكنا، نبني مجد المغرب، ونعمل لتحريره من قبضة المستعمر البغيض.

وضاق الاستعماريون بهذا التلاحم، وتضايقوا من هذا التجاوب الذي بدت طلائعه تبرز وتطل، فقرروا أن يوقفوا سير القافلة في الطريق، فأصدروا قرارا بمنح بعض الجرائد التي كانت تصدر على قلتها، وكانت الأولى تصدر بفاس، هي جريدة «عمل الشعب» باللغة الفرنسية، والثانية هي مجلة «مغرب» بالفرنسية أيضا، وكانت تصدر بباريس، وكانت الثالثة هي جريدة «الحياة» الأسبوعية، والرابعة هي مجلة «السلام» وكانت تصدران بتطوان، فلم يبق لنا متنفس نتنفس به، ولا صوت نعبر به، وفكرنا وفكرنا، فقررنا أن نبرز بالبرنامج الوطني الذي كنا قررنا المطالبة به والمسمى بمطالب الشعب المغربي، نوضح فيه مطالبنا الأساسية، وتصوراتنا لبناء مغرب جديد، نعم فيه شعبنا بما يستحقه من حرية وانعتاق من ربة الأجنبي، وتطبق فيه الإصلاحات الأساسية الضرورية في مختلف جوانب الحياة الانسانية.

مِطَالِبُ الشَّعْبِ الْمَغْرِبِيِّ

هذه المطالب حضرتها
الكنزة العامة الوطنية
في المغرب الأقصى باستشارة
كل من يهمهم الأمر من سائر
الأوساط

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

—•••••—

وقد قدمها باسم الشعب
المغربي مزوداً بثقته وفده
الأمين الى حضرة صاحب
الجلالة مولانا الملك سيدي
محمد بن يوسف أيده الله ونصره

دفتر مطالب الشعب المغربي وقد طبع في عام 1934 بمطبعة
الإخوان المسلمين في القاهرة

وهكذا صارت تنهياً مطالب الشعب المغربي، أو برنامج الإصلاحات المغربية التي قدمت إلى جلالة الملك، وإلى السلطات الفرنسية في دجنبر 1934.

العشرة الذين تقدموا بمطالب الشعب المغربي

لقد كنت والحمد لله من جملة العشرة الذين تقدموا بمطالب الشعب المغربي لجلالة الملك المعظم وللسلطات الفرنسية، في الإقامة العامة بالرباط، وفي باريس لوزارة الشؤون الخارجية وهكذا قدمت أنا والمرحومون : الفقيه محمد غازي والشهيد عبد العزيز بن إدريس وسيدي ج أحمد الشرقاوي الرباطي، مطالب الشعب إلى جلالة محمد الخامس بواسطة الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ الذي استقبلنا بالدار البيضاء حيث ان جلالتهم كان إذ ذاك بالدار البيضاء وذلك يوم فاتح دجنبر سنة 1934، كما قدمها للمقيم العام الفرنسي المرحومون : علال الفاسي ومحمد اليزيدي ومحمد الديوري من القنيطرة وقدمها لوزارة الخارجية الفرنسية المرحومون : محمد بن الحسن الوزاني وج عمر بن عبد الجليل أما المرحوم الشيخ محمد المكي الناصري الذي كان ضمن العشرة المسؤولين فكان سافر إلى تطوان، ولذلك لم يكن ضمن أحد هذه الوفود.

برقية من جلالة محمد الخامس إلى الوطنيين في السجن

شاء الله أن يصاب جلالة محمد الخامس بوعكة صحية في سنة 1938، اضطر معها



محمد بن الجيلاني بناني

إلى الدخول إلى إحدى مصحات الرباط للعلاج، فتواردت عليه البرقيات من جميع الجهات تدعو له بالشفاء، وكان من حملتها برقية بعثها إخواننا الوطنيون المعتقلون بعين علي ومومن بناحية سطات، فلم يلبث رحمه الله وقد وصلته برقية الوطنيين إلا أن يأمر الصدر الأعظم بإجابة الموقعين عليها في برقية خاصة جاء فيها : إلى المعتقلين الوطنيين بسجن علي أو من، الذين أولهم الهاشمي الفلالي وآخرهم محمد بن الجيلاني

بناني ثم شكرهم ودعا لهم، وكانت هذه الالتفاتة الفريدة من نوعها من جلالة محمد الخامس، مدعاة للفخر والاعتزاز، والتأكيد بأنه مع أبناء شعبه في السراء والضراء،

يفرحه ما يفرحهم، ويحزنه ما يحزنهم، وهكذا أعطى المثال للملوك الصادقين والزعماء المخلصين، بأن المركز التشريفي مهما كانت مرتبته، فإنه لا ينسى الروابط المبدئية، والعلاقات الجهادية، مهما كانت الظروف والأحوال.



الرئيس علال الفاسي باللباس الوطني في أول انطلاق الحركة الوطنية

وعندما منع الفرنسيون إلقاء الدروس التي كان يقوم بها المرحوم علال الفاسي بجامعة، القرويين في السيرة النبوية وقرروا اعتقاله سافر إلى فرنسا قبل أن تمتد إليه أيديهم، وشارك في مؤتمر جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين الذي انعقد بباريس بعد منع انعقاده بالرباط، ثم بعد قضائه فترة عدة أسابيع بفرنسا، أذن له بالرجوع إلى المغرب، فاستقبله جلالة الملك محمد الخامس استقبالا خاصا، تحدث عنه الزعيم علال في كتابه : (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي) فقال : (أراد جلالتة أن يعبر بذلك عن تكذيبه لما كان يروجّه الفرنسيون من ثورة الوطنيين عليه، وقد لمست في شخصية سيدي محمد بن يوسف الملك العظيم الذي ظهرت آثار عظمتة بعد، في هذا الكفاح المستميت الذي لم يزل حفظه الله يوليه لمصلحة الأمة واستقلال البلاد، برباطة جأش، وثبات قلب، واطمئنان نفس، ونبل روح، ولما شرحت لجلالتة الغاية من حركتنا، صرح لي بأنه راضٍ كل الرضى عن كل مامن شأنه أن يساعد على تقدم البلاد وازدهارها، وقال لي : (إن ما ضاع من حقوقنا، نشأ عن عدم معرفة من مضى من المسؤولين بالأساليب التي يجب أن تتبع، ومنذ الآن لن يضيع للبلاد حق، بل سأعمل على استرجاع كل ما ضاع).

كان جلالة محمد الخامس متجاوباً معنا تجاوباً كاملاً شاملاً

من خلال هذا العرض المختصر، ندرك أن جلالة محمد الخامس نور الله ضريحه، عاش فترة الثلاثينات، وهي الفترة التي كانت تتبلور فيها الحركة الوطنية في شكلها السياسي، وتضع مخططاتها وبرامجها للنهوض بالمغرب، كان هو أيضاً، يفكر جيداً في تخطي العقبات والعراقيل التي يضعها الاستعمار في طريق نهضة الشعب المغربي، وتحقيق أمانيه في استرجاع كل ما ضاع له، كما كان يتتبع وباهتمام كبير، تطور الحركة الوطنية، ويتعرف إلى بعض رجالها، ويغتنم كل فرصة ممكنة لإظهار عطفه عليها، وتجاوبه معها، وتجلي هذا بوضوح في سنة 1933 وسنة 1934 وفي سنة 1937، وحتى في أوقات المحنة والسجن والإبعاد.

لقد كانت الحركة الوطنية محظوظة بتجاوب الملك الشعبي معها، وكنا نشعر بالفخر والعزة والاطمئنان، ونحن نتغنى ونهتف باسم محمد الخامس وولي عهده أمير الأطلس وهو اللقب الذي أطلقناه عليه في صغره، وكنا نشعر أن حركتنا الوطنية تزيد قوة ومكانة لتحقيق أهدافها، بتفاعل وتجاوب ملك البلاد معها.

وتجاوب محمد الخامس مع حركتنا الوطنية، لم يكن في الاتجاه السياسي العام فحسب، ولكنه كان في ضرورة القيام بإصلاحات اجتماعية، تؤهل شعبنا للتقدم والنهوض عملياً، وفي طليعتها قضية التعليم، فإذا كنا في كتلة العمل الوطني ثم في الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال، أعطينا اهتماماً كبيراً لقضية التعليم والتربية، سواء بتأسيس المدارس الحرة، أو برعاية التلاميذ والطلبة في مختلف الأسلاك التعليمية، أو بتكوين وتوجيه البعثات إلى الخارج، فإن محمداً الخامس رحمه الله، كان يرمى كل الرعاية مدارسنا، ويحميها من تدخلات الإدارة وأعوانها، وفي الأربعينات اتجه هو بدوره لتأسيس المدارس في بعض المدن المختلفة، مثل فاس والرباط وسلا والدار البيضاء، وغيرها، كما اتجه بنفسه لتوجيه البعثات على نفقته الخاصة لفرنسا واهتم الاهتمام الأكيد بمحاربة الأمية، ونشر التعليم بين مختلف الطبقات الشعبية. وأعطى عناية خاصة لجامعة القرويين بفاس ومحلقاتها في مختلف المدن المغربية، ولقد كانت زيارته لفاس وتفقده للقرويين، وخطبه التوجيهية فيها، من أروع ما قام به في حركته النضالية في مجال التعليم والتربية.

زيارة جلالة الملك محمد الخامس إلى القرويين

ومن الزيارات العديدة التي قام بها محمد الخامس لجامعة القرويين، الزيارة التي قام بها في شهر جمادى الأولى عام 1360 الموافق لشهر جوان 1941، حيث طاف أرجاء القرويين، وأنصت إلى علمائها في حلقات دروسهم المختلفة، فاستمع إلى درس الفقيه العالم السيد محمد العلمي في علم التوقيت، والتنجيم وإلى درس العلامة سيدي الجواد الصقلي في مختصر خليل وإلى درس العلامة السيد العباس بناني في علم الأصول، وكان جلالتهم — كما تحدثت عن ذلك صحيفة «المغرب» اليومية — يهتم كل الاهتمام بما يلقيه الأستاذ، ويتابع طريقة إلقاء الدرس، ويستفسر عن المواد المدروسة إلى غير ذلك من الملاحظات التي كان يتابعها بكامل الاهتمام، ولقد استدعى جلالتهم رحمه الله العلماء للحضور في الدار العالية، ليراجع ويتباحث معهم حول النظام العلمي الجاري به العمل، وضرورة مراجعته وإصلاح ما يجب إصلاحه فيه، وألقي في هذا الاجتماع خطابا جاء فيه :

(الحمد لله، أول ما وقفنا إليه الله سبحانه، بعد صعودنا على عرش أسلافنا المقدسين، اهتمامنا بإحياء تمكين ديننا الزكي الطاهر، لما علمنا أن العلم هو الوسيلة العظمى، لإدراك ذلك المقصد الأسمى، تعلمون ما بذلناه من الجهود، وما مهدنا من العقبات في سبيل نشر العلم، وتسهيل طرقه، علمنا ما لجامع القرويين من سالف المجد، في حفظ مهجة العلم الاسلامي، وما تخرج منه من الفحول الذين كانوا تيجان فخر، بمفرق الدهر، في طي عهود التاريخ المغربي، فما علمنا وسيلة ترد شبابه وعمارة دروسه، وازدهار العلم به، إلا اتخذناها، كانت رواتب العلماء ضئيلة فزدنا فيها ماتعلمون، وكانت الدروس مبعثرة، يقرأ كل ما يشاء، وكيف يشاء، فجمعناها منظمة بنظام، لم نزل منذ أعوام، نسمع أحسن الثناء عليه من كل الجهات، وغاية الامتنان بوجوده، كانت المدارس مشرفة على الخراب، فأصلحت وأنيرت، كان خريج القرويين لا مستقبل له، ففقدنا جل الوظائف على المتخرجين منه بنجاح في الامتحان، هذا كله، وعنايتنا به مستمرة جليلة في كل حين، نأمر المجلس الأعلى للعلوم الاسلامية بأعتابنا الشريفة، بالاجتماع كلما تدعو الضرورة لذلك، إما لزيادة الإصلاح، أو لسد خلل يظهر، أو رثق فتق يتعين أن يجبر، منتظرين من كل واحد أن يبذل النفس والنفيس، في النصحية لله ولرسوله ودينه وأمته) إلى آخر الخطاب الملكي الكريم المبرهن على عظيم اهتمام هذا الملك المخلص بالتعليم عموما، وبجامعة القرويين بالخصوص، لتبقى كما كانت في ماضيها منارة يستضيء



الأستاذ محمد الفاسي في مكتبه بمركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية
لليونسكو والإيسيسكو والأليكسو بالرباط سنة 1994

بضوئها المتعلمون الذين يقصدونها من كل الأنحاء المغربية والافريقية، ليؤدوا رسالتهم في نشر العلوم، وبعث الأفكار، والنهوض بالأمة، وتهذيب أخلاق الشعب، ورفع راية الإصلاح، والدفاع عن حوزة الدين الحنيف، والاهتداء بهدي سيد المرسلين، وفي هذا الخطاب رحمه الله دعا إلى نبذ الخلاف والشقاق، الذي يعتبر أصل كل الفساد، وحذر كل التحذير، أن يكون العلماء من العائقين للإصلاح المنشود، حتى لا يسجل عليهم التاريخ ذلك، ويقضى على رسالة القرويين في مجال العلم والعرفان ونشر تعاليم الإسلام.

وما أن مضت مدة بضعة شهور، حتى أدخل على برامج التعليم ومناهجه عدة إصلاحات، وعين فيها بالإضافة إلى مجلسها العلمي مديرا مقتدرا، عرف بمحنته ومقدرته وإخلاصه كيف يعمل على التعاون مع العلماء، حتى تسير جامعة القرويين في التطور المنشود، محافظة على التراث العلمي الأصيل بمختلف أنواعه وفروعه، وملقحة ببعض العلوم العصرية التي لا بد منها لتكميل الثقافة، والسير في الركب العلمي الحديث، ويجب أن أسجل هنا أن الإصلاحات التي كان جلاله الملك المنعم يأمر بإدخالها على النظام التعليمي بالقرويين كانت متجاوبة ومستجيبة لرغبات طلبة جامعتها، فلقد كانت جريدة المغرب اليومية نشرت في أحد أعدادها الصادر بتاريخ 28 يونيو 1941 وهو التاريخ الذي زار فيه ملك البلاد جامعة القرويين. ملخص مذكرة رفعها وفد من طلبة القرويين متركب من السادة : العربي العلوي والطاهر غلاب وعبد السلام بن عبد الجليل وعبد الهادي السقاط، وتعلق هذه المذكرة بالإصلاحات التي يجب إدخالها على النظام التعليمي بالقرويين، وهي تتلاقى كل التلاقي مع ما كان يطمح إليه جلاله الملك المنعم من إصلاحات، ولقد علق الجريدة المذكورة على مطالب الطلبة في الإصلاح والتي عبروا عنها في مذكرتهم فقالت : (إن هذه المذكرة مما تفخر به جامعة القرويين أن تكون صادرة عن طلبتها) ثم قالت الجريدة المذكورة (لقد أراد طلبة القرويين أن تسير كليتهم الحياة، وتأخذ بنصيبها من الرقي العلمي، والتقدم الثقافي، وتتطور في أسلوبها الدراسي، ومناهجها التعليمي، بما يضمن لأبنائنا النجاح، ويهيئهم لأن يكون منهم علماء بما تنطوي عليه كلمة (عالم) من معنى، يفيدون ويستفيدون، ويكون لهم أثر في الوجود، بما يقدمونه من إنتاج فكري صالح، في مختلف العلوم).

جلالة الملك محمد الخامس يرعى النهضة التعليمية

لقد كان محمد الخامس يعي كل الوعي، ويدرك كل الإدراك، أن التعليم هو الطريق الصحيح للنهوض، والخطوة الأولى للتقدم، وإن المعركة التي سيخوضها مع الاستعمار، تتطلب منه أن يفكر في المستقبل الذي ستصبح فيه بلاده مستقلة، وفي حاجة أكيدة إلى الأطر التي تسيروها، وفي هذا المجال أيضا كان يلتقي الالتقاء الفكري الثابت مع أبنائه رجال الحركة الوطنية، الذين كان نشاطهم الأول والأساس، هو نشر التعليم، وتأسيس المدارس، وتوجيه البعثات، ومساعدة الطلبة وتكوينهم التكوين الوطني السليم، معتززين بما قام به الأسلاف في نشر المعرفة، والنضال في سبيل المبادئ المثلى في الحياة، وبالأخص مبادئ الحرية والديموقراطية والارتباط الوثيق بالعقيدة الإسلامية التي تعتبر الضمان الوحيد للحفاظ على الذاتية المغربية والهوية الإسلامية، والفكر الموحد المستقيم.

ومن المعلوم أن الحفاظ على كل مآذكرنا، يقتضي الاهتمام الجدي بالبرامج التي يجب أن يسير عليه التعليم في المغرب، حتى لا تبقى جامدة ولا غير هادفة، ويجب أن أثبت هنا نص حديث كان أجراه جلالة محمد الخامس مع المؤرخ «روم لاندو» حول مستقبل التعليم بالمغرب فلقد قال رحمه الله : (إن الأطفال المغاربة، يجب أن يتلقوا في السنوات الأولى، أي سنوات النمو، تربية عربية إسلامية، تعين لهم مقاييسهم الأدبية والخلقية، فإذا ما ثبتت هذه في نفوسهم، أصبح باستطاعتهم أن يفيدوا من مبادئ التربية الغربية، وأن يقبسوا العلم والتقنية التي لا يستغني عنها في حياة المجتمع الحديث⁽¹⁾ ومن هذا الحديث القصير مع روم لاندو، ندرك التوجه الحقيقي لمحمد الخامس فيما يتعلق بالتعليم، فهو يريد تعليمه إسلاميا في عمقه العقائدي والأخلاقي، حضاريا وعلميا، يضمن للشعب التقدم في مجالي المعرفة والتقنية. وهنا لابد أن نرجع إلى خطابه الأول الذي ألقاه ساعة جلوسه على عرش أسلافه المقدسين، حيث قال :

(1) انظر كتاب (المغرب) لروم لاندو.

«ان الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا لا من أجل سعادته المادية وحدها، ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري يكون متلائما مع احترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة، بأكثر ما يمكن من السرعة) فنرى أن التوجه الأساسي لدى محمد الخامس لدى توليه العرش، هو نفس التوجه الذي أكدده في حديثه مع (روم لاتور) وإن كان الأول عاما، والأخير خاص بالتعليم.

جلالة الملك محمد الخامس يشجع تعليم البنات

وقضيتان أخريان لابد أن أشير إليهما، ولو إشارة عابرة، وهما يتعلقان أيضا بمجال التعليم، وموقف محمد الخامس فيه. أما الأولى فتتعلق بتعليم البنات، فدور محمد الخامس رحمه الله فيه دور حاسم ونهائي، فهو قد أدرك أن الأمة لاتطير وتعلو بجناح واحد، ولكن لابد لها من جناحين لتحلق بهما في الأجواء. وهكذا أعطى الأهمية الكبيرة لتعليم الفتيات، ودعا إليه قولا وعملا، بتعليم بناته الأميرات، والدفع بكبيراتهن الأميرة عائشة، لتصبح داعية ومنتزعة لتعليم الفتيات، وإلقائها الخطب في كل المناسبات، وبالأخص لدى تدشين المدارس الحرة التي كان ينشئها الوطنيون المخلصون في مختلف جهات المغرب، وألفت النظر هنا إلى أن يوم زيارتها حفظها الله لمدينة سلا أوائل سنة 1947، وتدشينها للمعهد التي كنت أنشأته لتعليم البنات بباب احساين، والذي أطلق عليه جلالة محمد الخامس (معهد الأميرة عائشة العلوية، لتعليم الفتاة السلوية) كان يوم عيد، اهتزت له أركان المدينة بحذافيرها، وألقيت فيه كلمات وأناشيد وخطب، لازالت أصدأؤها ترن في آذان من شاركوا في الحفل الذي أقيم بهذه المناسبة، وكان في طليعة الخطباء الأميرة عائشة نفسها، التي ألفت خطابين اثنين : أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الفرنسية.

ولقد جاء في خطاب سموها مايلي :

(ربما كان الميدان الاجتماعي أهم الميادين التي انتصرت فيها الشجاعة المولوية على جحافل الخمول والتقاعس والتشبث بأذيال ساقط العادات، ومتلاشي الخرافات، فلقد أوحى أرباب الأغراض السيئة، والبيانات الفاسدة إلى طبقات الأمة المغربية، أن المرأة خلقت لتكون فريسة للجهل، ومطية للأوهام، فظلت زمنا طويلا تعيش في عالم ضيق



صورة الأميرة للا عائشة رائدة تعليم البنات

الأرجاء، بعيدة عن العرفان، جاهلة لكل ما تتوقف عليه حياة الانسان، تفصلها في بعض الأحيان عن قرينها أو ابنها، حواجز جمّة من الأفكار والعادات، حتى كأن بين عصرها أحقابا وقرونا، وبين فكرها وفكره، سهولا وحزونا، ألف المغاربة تلك الحال، وظنوها كافية لصيانة المرأة، وحفظها من الهوان، فما فتؤوا يحيطونها بسياج الجهالة، ويطفئون دونها أنوار الثقافة، حتى عمي بصرها وبصيرتها، وكان يستحيل إنقاذها، لولا أن من الله عليها بشجاعة ملكنا المفدى، وسيدنا المرتضى، الذي أعلن أن الجهل لا يمكن أن يكون صائنا للمرأة، ولا ملجأ للفضيلة، بل العلم، العلم وحده هو منبع الكرامة ومصدر الأخلاق الفاضلة، وحي الفتاة الظاهر، بل هو حياة الأمة، والسبيل الوحيد لانقاذها وتنويرها ورقبها) إلى آخر الخطاب البليغ، الجامع المانع، الذي ألقته الأميرة عائشة، والذي كان ينصت إليه باهتمام العلماء والمثقفون والمصلحون الذين كان في طليعتهم العالم المصلح الكبير سيدي محمد بن العربي العلوي، والزعيم الكبير سيدي علال الفاسي⁽²⁾ ولقد كنت ألقيت أمام الأميرة الجليلة خطاباً طويلاً جاء فيه :

(لقد رأى جلالة الملك ورأيه الموفق، أن علة العلل، وأعصى الأدواء التي أصابت هذه الأمة، فأسقطتها صرعى تنن، ولا تجد من يحنّ عليها، وتستنجد ولا من يواسيها ويأخذ بيدها، هو داء الجهل الفتاك، فأشهر عليه حرباً طاحنة ستكون معركتها فاصلة في تاريخ هذه البلاد، فصار يؤسس المدارس، ويوجه البعثات، ويصلح البرامج، وينادي ويلح في النداء، أي شعبي العظيم، إن رمت طريق النجاح، فاقتدي بي، واهتد بهديي، وأنا الضمين لما ترجوه وتطمح إليه من آمال وأمان إلى أن أقول : وسوف لا يمضي زمن قليل، حتى نرى فيه الفتاة المغربية، تشارك بقسطها في نهضة البلاد، وتقوم بواجبها نحو هذا الوطن البئيس، وتعيد إلى الأذهان، تلك الصورة الرائعة التي كانت عليها المرأة المسلمة في التاريخ البعيد، ستعيد بنت اليوم إلى الأذهان، أن المرأة المسلمة لم تكن ترضى بالدون، وتحشر وسط الأمتعة البيتية، كأنها ليست شيئا يذكر، وكأن ليس لها إحساس وشعور، وسيرى أنها كانت تشارك بقسطها في الحياة العامة، فكانت منها الأستاذة المفتية، والشاعرة الأدبية، والمربية والخطيبة الفصيحة، والشجاعة الباسلة) إلى آخر الخطاب⁽³⁾.

لقد كان محمد الخامس يحرص كل الحرص على اغتنام كل الفرص الممكنة له أو

(2) انظر نص الخطاب في كتابي (قصة النهضة).

(3) انظر نص الخطاب في كتابي (قصة النهضة).

لولي عهده مولاي الحسن أو لكريمته الأميرة عائشة، ليؤكد على ضرورة الاهتمام بالتعليم والتكوين والتثقيف للبنات والبنين والحفاظ على لغة البلاد، لغة القرآن الكريم، باعتبارها اللغة المشخصة لذاتينا العربية الاسلامية وإحدى دعائم وحدتنا، ويكفي كمثال على ذلك أن آتى بفقرات من الخطاب الذي ألقاه ولي العهد لدى زيارة جلالة محمد الخامس لطنجة عام 1947 : في معهد مولاي المهدي بطنجة فلقد قال : (إن العالم العربي وطننا، وإن اللغة العربية لغتنا وإحدى ركائز شخصيتنا، وإن العرب أشقاؤنا، ونحن معترفون بفخرون بوطننا، وسندود عن لغتنا، ونسعى لتوثيق عرى الروابط التي توحدنا مع أشقائنا).

عطف مولوي خاص شجعني على المضي في الطريق

ويتعين عليّ بهذه المناسبة أن أشيد بالعطف المولوي الكريم الذي خصّني به فقيد العروبة والإسلام، جلالة محمد الخامس نور الله ضريحه، وأنا أخوض معركة نشر التعليم وتكوين الأجيال من مختلف الطبقات، فبعد خروجي من السجن أواخر سنة 1945، قررت عدم الاكتفاء بالمدرسة التي كنت أسيرها وأديرها وتأسيس فرع لها بحي السوق الكبير، زنقة سيدي بوعابة وكان يوجد بذلك الحي روض كبير، داح للسقوط، يسمى بروض المالقي، فقررت كراءه من مالكيه، وكان يشرف على تسييره المرحوم السيد العربي ملين الرباطي، وكان رحمه الله له اتصال بجلالة محمد الخامس، فرجوت من جلالة الملك أن يأمره بمساعدتي على كراء الروض المذكور، وأن أقوم بإصلاحه وبناء ما تهدم منه، فلم يسعه رحمه الله إلا أن يلبي طلبتي، ويحقق رغبتني، وهكذا لما أدخلت الإصلاحات الضرورية على الروض المذكور، رجوت من سيدنا المنصور بالله أن يوجه وليّ عهده المحبوب سمو الأمير مولاي الحسن لرئاسة حفلة التدشين فلبى رحمه الله رغبتني، وكان يوم التدشين يوماً خالداً في تاريخ النهضة العلمية، ألقى فيه سمو ولي العهد خطاباً هاماً كله توجيه ونصح وترغيب، ودعوة إلى نشر العلم.

وعلقت جريدة السعادة على هذا الحدث الأول من نوعه بمدينة سلا بما يلي : «لقد كان يوم الثلاثاء الأخير 4 رجب 1365 4 يونيو 1946 يوماً مشهوداً بمدينة سلا إذ كان هذا اليوم يوم مدرسة النهضة. كانت هذه المدرسة مركزاً لازدهار التعليم، ونشر الثقافة، إلا أنها كانت في مقرها القديم غير مشبعة من حيث مركزها لنهم الجماهير

الغفيرة من التلاميذ الذين كانوا متعطشين للانخراط في سلك أقسامها العامرة، إلى أن يقول : وقد اشرأبت الأعناق، وتدافعت الناس، لما نهض سمو الأمير رعااه الله، وألقى ذلك الخطاب البديع الرائع في الحضر على العلم، والاشادة بمزاياه، وكانت كل فقراته تقابل بعواصف تصفيق الاستحسان والاعجاب والإكبار كما علقت جريدة «التقدم» على زيارة سمو العهد وتدشينه لفرع النهضة وإلقائه الخطاب الذي وصفته بالرائع، ثم قالت : (والمدرسة الجديدة عبارة عن روض جميل، فسيح الأرجاء، تتوفر فيه كل الوسائل الصحية، ويشتمل الآن على ستة أقسام، نصفها بالطابق الأعلى وقد دخلها إلى حد الآن 300 تلميذ، ولازالت الطلبات ترد عليها بكثرة).

إن كثرة الاقبال - والحمد لله - على مدرسة النهضة، جعلني أفكر التفكير الجدي، في بناء مركز تعليمي كبير يسع الأقسام الابتدائية والثانوية، وكنت أكتب منذ سنة 1943 وزارة الأحباس، في شأن منحي قطعة أرضية من السانية المحيطة على زاوية شيخنا وجدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، فعاودت الكتابة في الموضوع المرات العديدة، وأخيرا قررت أن ألتبس من جلالة الملك تخصيص ساعة من وقته الثمين لاستقبالي في قصره العامر. فلم يلبث رحمه الله إلا أن يلبي طلبتي، فقابلني بابتسامته المشرقة ورضاه الكامل، فلما شرحت له موضوع عزمي على بناء مركز جديد كبير للنهضة، أعطى أوامره المطاعة بتنفيذ رغبتني، وعندما حصلت على القطعة الأرضية المذكورة، وتميهاً مخطط بنائها، رجوت من جلالته أن يضع حجرها الأساسي سمو ولي العهد المحبوب مولانا الحسن، فلبى رغبتني وكان يوم التدشين ووضع الحجر، يوما مشهودا خالدا في تاريخ سلا، تحدثت عنه بتفصيل في كتابي (قصة النهضة) ولقد ألقى سموه خطابا بليغا على عادته ومما جاء فيه :

لقد وجد ملك المغرب سدد الله خطاه، من بين رعاياه، وفي كل ناحية من نواحي المملكة رجالا عاملين مخلصين، أقسموا علي أن يوالوا الجهود، ويتابعوا العمل، لكي يكونوا جديرين بثقة ملكنا المفدى، ومن بين هؤلاء هذا الرجل النشيط، الذي تعددت خدماته لمغربنا العزيز، فبعدما قضى سنين عدة في تثقيف البنين والبنات، أنشأ في السنة الماضية معهدا جليلا، يحمل إسم الأميرة للا عائشة صانها الله، ولقد أحرزت هذه المدرسة النجاح الكامل، ولكن مديرها الحازم، أبى إلا أن يضيف مشروعا آخر إلى أعماله المحمودة، وها نحن اليوم تلبية للطلب الذي قدمه باسم لجنة المدرسة، باشا مدينتكم العاملة، نجتمع لاحتفل بوضع الحجر الأساسي لهذه المدرسة الجديدة التي ستشيد على بقعة حبسية، أنعم بها سيدنا جزاه الله أحسن الجزاء، كما أنعم لها بصلة

ملكية كريمة(4).

ولما علم جلالتة نور الله ضريحه بعزم مدير المدرسة على الاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة على تأسيسها أمر مدير ديوانه إذ ذاك المرحوم السيد عبد الرحمان أنكاي أن يوجه إليه الخطاب الآتي :

من مدير الديوان الملكي إلى حضرة المحترم السيد أبو بكر القادري مدير مدرسة النهضة بسلا.

سلام تام بوجود مولانا المنصور بالله، وبعد، فلقد بلغ إلي علم سيدنا نصره الله، نبأ الاحتفال الذي تنوون إقامته نهار غد، بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تأسيس مدرسة النهضة الحرة بسلا،

وجلالته أعزه الله، على علم بالجهود التي بذلتها هذه المدرسة تحت إدارتكم، في سبيل نشر العلم، وتنوير عقول الناشئين به، وقد أهبجه حفظه الله، أن تكون تلك الجهود، تكملت في هذه السنة، بنجاح مشرف، إذ استطاعت المدرسة المذكورة أن ترشح تلاميذها لشهادة البكالوريا، وبهذه المناسبة أمرني جلالتة أن أبلغكم تقديره للجهود التي بذلتها المدرسة خلال السنوات الخمس والعشرين المذكورة تحت إدارتكم، وأن أبلغكم الجوائز التي جادت بها مكارمه، إلى الناجحين من تلاميذها في شهادة البكالوريا، جريا على عادته المألوفة، في تشجيع الطلبة، وترغيبهم في الاستزادة من العلم، وتقبلوا حضرة المدير عبارات ودي الخالص، وتقديري الفائق، والسلام في 14 ذي الحجة 1377 الموافق 2 يوليوز 1958
مدير الديوان الملكي : عبد الرحمان أنجاي

والواقع أن جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس، كان يعطي لقضية التعليم عناية خاصة، واهتماما كبيرا، بل كان يعتبره القضية الأولى بعد المعركة التحريرية التي كان يخوضها ضد الاستعمار، والتي لاقى فيها من المحن والأهوال والمتاعب الشيء الكثير، انتهى إلى نفيه عن بلاده من طرف السلطات الاستعمارية مدة سنتين كاملتين تقريبا، ثار خلالها الشعب المغربي ثورته المشهورة كانت نتيجتها رجوع الملك من منفاه، وتحقيق استقلال المغرب، كما ستحدث عنه بتفصيل إن شاء الله، ولكننا بالرغم من ذلك سنشير ونحن نتحدث عن شخصية محمد الخامس الوطني المجاهد الوطني المجاهد

(4) انظر نص الخطاب الكامل مع وصف الحفل في (قصة النهضة) ابتداء من صفحة 131.

الصامد إلى بعض المواقف الوطنية والسياسية التي وقفها ضد الاستعمار والجمود وذلك في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات وفي ظروف كانت كلمته فيها حاسمة حازمة وموقفة إلى حد بعيد، ومبرهنة على أنه رحمه الله كان يفكر في المستقبل، التفكير العميق ويخوض معركته مع الاستعماريين بتبصر وحنكة دون اندفاع وتهور مثل ما كان يقع للكثيرين من السياسيين.

موقف جلالة الملك المنعم سيدي محمد بن يوسف من الطوائف الضالة

وفي ميدان آخر من الإصلاح الاجتماعي وهو اهتمامه بمحاربة البدع الملتصقة بالدين كان رحمه الله ملتزماً كل الالتزام بمحاربة البدع الضالة والطوائف المنحرفة، وتجلّى ذلك عندما تلقى رسالة من علماء القرويين عندما وقفوا وقفهم المخلصة بتاريخ 17 محرم عام 1352 هجرية فرفعوا عريضة موقعة من جهابذتهم مشفوعة بخطبة كان وجهها جلالة الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله إلى رعيته تدعو إلى الالتزام بالسنة ومحاربة البدعة راغبين من جلالته أن يعطي أوامره إلى المسؤولين في مملكته لينعوا المنع الكامل تحركات الطوائف الضالة ونشاطاتها ليطهر المجتمع الاسلامي من المنكرات التي تقع بمناسبة الموسم، فما وسعه رضي الله عنه إلا أن يعطي أوامره بمنع تلك المواسم ومحاربة الفآت الضالة المبتدعة من أي تحرك لها، وتعاط لمنكراتها.

وأثبت هنا فقرات من خطبة سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله قال :

واعلموا أن الله بفضله أوضح لكم طرق السنة لتسلكوها، وصرّح بدم اللّهُو والشهوات تملكوها، وكلّفكم لينظر عملكم، فاسمعوا قوله في ذلك وأطيعوه، واعرفوا فضله عليكم وعُوه، واركعوا عنكم بدع المواسم التي أنتم بها متلبسون، والبدع التي يزينها أهل الأهواء ويلبسون، وافترقوا أوزاعاً، وانتزعوا الأديان والأموال انتزاعاً، فيما هو حرام كتاباً وسنة وإجماعاً، وتسمّوا فقراء، وأحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سقراً، (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدُّنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)، وكل ذلك بدعة شنيعة، وفَعْلَة فظيعة، وسَبَّة وضیعة، وسُنَّة مُخالفة لأحكام الشريعة، وتلبیس وضلال، وتدلّیس شیطاني وحبال، زينّه الشيطان لأوليائه، فوقتوا له أوقاتاً، وأنفقوا في سبيل الطاغوت في ذلك دراهم وأقواتاً، وتصدّى له أهل البدع من عيساوة وجلالة وغيرهم من ذوي البدع والضلالة، والحماقة

والجَلالة، وصاروا يترقبون السَّاعات، وتتزاحم على حبال الشيطان وعصيه منهم الجماعات، وكل ذلك حرام ممنوع، والإنفاق فيه، إنفاق غير مشروع، فأُنشدكم الله عباد الله هل فعل رسول الله ﷺ لعمه سيّد الشهداء موسماً؟ وهل فعل سيّد هذه الأمة أبو بكر لسيدّ الارسال ﷺ وعلى جميع الصحابة والآل موسماً؟ وهل تصدّى لذلك أحد من التابعين رضي الله عنهم أجمعين؟ إلى آخر الخطبة الهامة⁽⁵⁾

مواقف سياسية مشرفة لجلالته قدس الله روحه

لقد قضى جلالة الملك فترة الثلاثينيات في الدرس والتفكير والاستعداد للمواجهة، فاكتفى أولاً بالاهتمام بالإصلاحات الاجتماعية، مثل التعليم وغيره، حتى إذا أعلنت الحرب العالمية الثانية، صار يتجه بتفكيره إلى الاستفادة منها عندما تحين الفرصة، ولما انهزمت فرنسا 1940 لم يندفع ولم يتشف فيها، ولم ينظر إلى مواقع أقدامه، بل نظر إلى المستقبل وإلى المصلحة العليا لبلاده، وهكذا عندما زاره المعتمد بالإقامة العامة الفرنسية «موريز» وعينه تسيل دموعا ليخبره نبأ هزيمة بلاده أمام ألمانيا، خاطبه قائلاً: (إننا أصدقاء فرنسا، كنا أصدقاءها في أيام قوتها وازدهارها، ونحن اليوم لازلنا أصدقاءها في محنتها ومصيبتها، فليس من طبع المسلم، وليس من طبع المغربي، أن يخون عهد الصداقة، فلتكن الحكومة الفرنسية مرتاحة البال، فيما يخص المغرب) موقف في منتهى الشمم يقفه محمد الخامس أمام ممثل فرنسا بالمغرب، ودرس يعطيه محمد الخامس لممثل فرنسا، أن المغرب لا يخون العهد، ولا يطعن من الخلف، ولحظة من لحظات التوفيق وقفها محمد الخامس وهو ينظر إلى ممثل فرنسا يبكي أمامه، ويرى رغم ما قاسته وما كانت تقاسيه بلاده في تلك الظروف بالذات من طرف الجنرال نوغيس المقيم العام الفرنسي، يرى أن مصلحة المغرب ليست مع ألمانيا النازية الطاغية العنصرية، ولكنها مع الحرية ومع المدافعين عن الحرية، وإن كانوا في تصرفاتهم مع البلدان الخاضعة لهم بالقوة، لا يطبقون ما يدعون أنهم يدافعون عنه، فالقضية في نظره ليست قضية انتقام من الخصم العنيد المحتل لبلاده

(5) لقد حرص رجال الحركة الوطنية إذ ذاك على طبع هذه الخطبة بالمطبعة الجديدة بفاس ووزعوها على مختلف طبقات الشعب، تليفاً للدعوة وقياماً بالواجب، وتجاوباً مع محمد الخامس الذي أمر بمنع تجوّل الطوائف الضالة التي لم تلتزم تعاليم الشريعة الإسلامية في تصرفاتها وطرق تعييدها.

والارتقاء في أحضان قوة ظالمة طاغية، صارت تحتل الشعوب بطغيانها وجبروتها وتنوع أسلحتها، ولكنها قضية مبادئ وحقوق وأخلاق.

لاشك أن ممثل فرنسا وهو يستمع إلى كلمات محمد الخامس في تلك اللحظات، كان يؤنب نفسه، ويستعرض مظالم الفرنسيين في المغرب، ولربما كان يتخوف أن يسمع من ملك المغرب الكلمات الموجعة المتشفية والمؤنبية، ويريده أن يخفف من غلوائها، ولكنه سمع ما أذهله وحيره، فلم يسعه إلا أن ينحني أمام جلالة الملك بخشوع وخضوع محاولاً أن يقبل يديه الكريمتين شاكراً ومثنياً ومعتزفاً بالجميل. لم يكن محمد الخامس وهو يتخذ موقف مساندة فرنسا الحرة في حربها ضد ألمانيا النازية، متملقاً ولا خائفاً، ولكنه كان يقيس ويقرر المواقف السياسية بميزان الحكمة والتبصر والارتباط بالأخلاق الإسلامية المثلى التي تدعو إلى مناصرة الحق والمبادئ الإسلامية في الحياة.

موقف محمد الخامس من نزول القوات الأمريكية في الدار البيضاء

تطورت ظروف الحرب، وجاءت سنة 1942 لتقرر القوات الأمريكية النزول بشواطئ إفريقيا الشمالية ومنها الشواطئ المغربية، فيقوم الجنرال نوغيس مقيم فرنسا العام بصفته قائد الجيش الفرنسي الأعلى بالمغرب بمقاومة النزول الأمريكي بالشواطئ المغربية، ويصرح الأميرال «دار لان» رئيس حكومة فيشي والجنرال نويس بدوره قائلين : (ان المقاومة ستستمر، وان جلالة السلطان والإدارة الفرنسية سينتقلان إلى مدينة فاس حتى يتسنى للجيش الفرنسي ومعه الجنود المغاربة مواصلة الحرب ضد الأمريكيين، ويطلب نويس من جلالة الملك الانتقال إلى فاس، ولكنه يرفض الرفض القاطع ما طلبه منه نويس قائلاً له : (إننا لسنا في حرب مع أمريكا، ولا أسمع لقوات بلادي أن تريق دماءها في مقاومة النزول الأمريكي، ان الجيش الفرنسي يستطيع أن يخوض الماء ويقاتل خارج بلادنا، إن المغرب أعلن الحرب معكم ضد ألمانيا النازية، وهو لم يغير موقفه) وهكذا بقي المغرب بزعامة محمد الخامس حافظاً لعهد، متمسكاً بمبادئه المدافعة عن الحرية، رغم استسلام «بيتان» وسير «نوكيس» في ركابه.

حماية اليهود المغاربة

ولما انساق الجنرال بيتان مع ألمانيا في الضغط على اليهود، وإصدار القوانين ضدهم، والتي تسمى بقوانين نور مبرغ، أراد الجنرال نويس تطبيقها على اليهود المغاربة، وحاول إقناع جلالة الملك ليوافقه، ولكنه رفض ذلك وأذاع تصريحاً جاء فيه :
(إن اليهود المغاربة، من رعاياي، ويجب عليّ أن أحميهم من أي اعتداء) فبقي رحمه الله حامياً لهم، واقفاً معهم طوال مدة الحرب، فلم يسهم أذى، ولم يصيبهم أي مكروه، الأمر الذي جعل اليهود في جميع أنحاء العالم يعترفون له بالجميل، ويذكرونه في الحافل بالتبجيل، وإن كانوا لم يقفوا المواقف التي ترضيه ضد الصهيونية وخزايها في فلسطين،

ولم يستنكروا مذابحها واعتداءاتها، ابتداء من دير ياسين في الأربعينيات، واستمراراً للاعتداء في قنا وغيرها في التسعينيات.

مؤتمر آنفا

وجاءت سنة 1943 لينعقد مؤتمر آنفا بالدار البيضاء، ويشارك فيه محمد الخامس مع الرئيس روزفيلت والرئيس تشرشل وشخصيات أخرى في طليعتها ولي العهد المغربي الأمير المولى الحسن الذي تحدث في كتابه «التحدي» عن هذا الاجتماع فقال :

(لم يترك الحديث الذي دار خلال مأدبة العشاء في آنفا، سوى أثر غامض على ذاكرتي، لقد تناول بالخصوص مسألة الوضع العسكري في أوروبا وإفريقيا والمحيط الهادي إلى أن يقول : وبعد إبداء ملاحظات عامة توبع الحديث في شكل حوار بين الرئيس (روزفيلت) وبين أبي، وكان السيد المعمر يترجم أقوال المتحدثين على التو، صرح الرئيس الأمريكي أن النظام الاستعماري قد انقضى عهده بالفعل، وسيعاد التنظيم السياسي والاقتصادي للمجتمعات الغربية، بل سيشرح هذا الاستقلال بمنح مساعدة اقتصادية مناسبة)

لاشك أن حديث جلالة الملك مع الرئيس روزفيلت كان صريحا جدا، ولاشك أنه وضع قضية استقلال المغرب وتحريره في مقدمة ما أثاره من موضوعات، ويقول روم لاندو في كتابه : تاريخ المغرب (وقد اتضح لكل واحد أن السلطان والرئيس كانا مسرورين في ذلك الوقت، وقد تضمنت الملاحظات التي أبدتها الرئيس، أن المغرب يجب أن لايسمح للأجانب أن يمتصوا ثروته، وأنه يجب أن يطور إمكانياته الاقتصادية لمنفعته الخاصة، وأن حكومة ذات سيادة، يجب أن يكون لها إشراف كبير على موارد الثورة في بلادها، وعلى العموم، فقد كان عشاء لطيفا تمتع فيه كل واحد — باستثناء شخص واحد⁽¹⁾ — بما فيه في من مباحج إلى أقصى حد، وكان السلطان أكثر الجميع سرورا (لقد طفع وجهه بشرا، وقال : (مستقبل جديد لبلادي) وهكذا كان محمد الخامس لاينتظر من لقائه مع روزفيلت، بمثابة أمل عظيم، وإحساس فكري صحيح، بالنسبة للملك).

(1) لعل ذلك الشخص هو الجنرال نويس.

حول أطماع إسبانيا في الاستيلاء على طنجة واحتلالها أثناء الحرب

أثناء الحرب العظمى، وبعد انهزام فرنسا أمام ألمانيا، احتلت طائفة من الجيش الإسباني مدينة طنجة وطرده المندوب المخزن منها، فلما علم جلالة محمد الخامس بما وقع، احتج كامل الاحتجاج ضد هذا الاعتداء، وأمر المقيم العام الفرنسي إذ ذاك، وكان مسؤولاً إذ ذاك كوزير لخارجية المغرب.

ولقد جاء في الرسالة التي كتبها جلالة الملك مايلي : إن الواجبات التي تقلدناها يوم صعودنا على عرش الملك المغربي، وتعهدنا بتدبير شؤون رعيتنا، والمدافعة عن حقوقنا تلزمنا أن نحتج أقوى الاحتجاج على هذه التقارير (قرار ضم طنجة إلى الحماية الإسبانية) الصادرة من جهة إسبانية وحدها من غير موافقتنا، وفي كامل المخالفة لقواعد حقوق الدولة، محافظين على كل ما لعرشنا السلطاني من الحقوق والامتيازات المتعلقة بالنظام الأساسي لمنطقة طنجة⁽²⁾.

في اجتماع المجلس الوزاري إثر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال

بعدما تقدم حزب الاستقلال بوثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944 لجلالة الملك انعقد مجلس وزاري تحت رئاسته، شارك فيه على القوم من علماء وقواد كبار وشرفاء، ولقد تحدث فيه جلالاته بكل ثقة وقوة يقين، موضحاً عقم سياسة الحماية وفشلها، وعدم وفائها بالتزاماتها، ومبدياً ارتياحه لمطلب الاستقلال فاقترح الحاضرون تشكيل لجنة مؤلفة من وزيرين ورئيس التشريعات الملكية للاتصال باللجنة التنفيذية للحزب والتباحث معها في الطرق التي ينبغي أن تسير عليها الأمور بعد تقديم الوثيقة لإقناع السلطات الفرنسية بضرورة تحقيق مطلب الاستقلال وكان خطاب جلالاته أثناء هذا الاجتماع ينم عن روحه الفياضة بحبه لبلاده وضرورة العمل على تحريرها. وإثر رفض السلطات الفرنسية لمطلب الاستقلال - كما سيأتي توضيحه - زار المقيم

(2) ستحدث عن موضوع احتلال طنجة من طرف إسبانيا في الصفحات المقبلة.

العام «ييو» جلالتة بالقصر الملكي، وبعد حديث معه، وجه إليه هذا السؤال : هل أنت مع فرنسا أو ضدها ؟ فاستغرب جلالتة من هذا السؤال الأخرق، وأجابه : لست ضد فرنسا وأنتم تعلمون ذلك، لكنني مع حرية شعبي، واستقلال بلادي.

الجنرال دو كول يريد من محمد الخامس أن لا يتعجل الأحداث

لدى مقابلة الجنرال دو كول لمحمد الخامس سنة 1945 نصحه أن لا يتعجل الأحداث فأجابه على الفور، كما ورد في مذكرات دو كول : (إن الحماية لم يقبلها عمي مولاي عبد الحفيظ ووالدي مولاي يوسف، ولا أقبلها أنا اليوم إلا كمرحلة انتقالية ما بين المغرب القديم، ودولة حرة عصرية، وإخال الوقت قد جاء لإنجاز مرحلة جديدة نحو هذه الغاية، وهذا ما ينتظره شعبي).

تصريح لجلالة محمد الخامس أمام رجال السلك الديبلوماسي في طنجة

لدى زيارة جلالة الملك لطنجة سنة 1947 صرح بما يلي : «إن المغرب حريص أن يكون له في المستقبل علاقة ودية، مع كل الأقطار التي دافعت عن الحرية، والتي تواصل الدفاع عنها، ويرغب المغرب بكل قواه، الحصول على كل حقوقه، إن ما نسعى إليه منذ اعتلائنا العرش، وهو إتاحة الفرصة لرعايانا، كي يتمتعوا بالحقوق الديمقراطية، ولنا أمل وطيد في بلوغ كل ما نطمح إليه»

محمد الخامس في فرنسا بدعوة من دو كول

بعد انهزام قوة المحور في فرنسا، دعا الجنرال دو كول محمد الخامس ليحضر الاستعراض العسكري الضخم الذي نظم يوم 18 يونيو 1945 فوشح دو كول صدر محمد الخامس بوسام صليب التحرير، ورافقه في بعض جولاته، واتصل بالجيش المغربي التي شاركت في الحرب ضد المحور، وقد اغتنم محمد الخامس مقامه بفرنسا، فطلب من الجنرال دو كول إعطاء، أوامره لاطلاق سراح الزعماء المنفيين الوطنيين : بطل

الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي وزعيم التحرير علال الفاسي المنفي في الكابون والأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلافريخ المنفي في كورسيكا وزعيم الحركة القومية محمد بن الحسن الوزاني المنفي في قرية «ايتزار» قرب فاس، فقبل وأمر بإطلاق سراح الثلاثة الآخرين، أما الزعيم ابن عبد الكريم فقد قرر نقله من منفاه في جزيرة «رينيون» إلى فرنسا.

حوار مع الجنرال جوان

عندما عين الجنرال جوان مقيما عاما لفرنسا بالمغرب في مايو 1947، جاء بلباسه العسكري للسلام على محمد الخامس وكأنه أراد أن يخيفه، ولكن جلالته بقي على طبيعته، غير ملتفت إلى التهديد الخفي من طرف الجنرال، ثم خاطبه قائلا: (3) لقد التزمنا ببرنامج مزدوج : تطوير المغرب في المجال الاقتصادي، لنتيح لشعبنا أن يحسن أحوال معيشته، ويستغل خيرات بلاده، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الشعب المغربي يتوق في المجال السياسي إلى التطور، والشعوب في الوقت الحاضر تطمح إلى التقدم، فيجب أن نؤمن للشعب المغربي، مطامحه المشروعة، فرد الجنرال قائلا : إني أنوي دراسة المطامح المشروعة، بروح من التفهم الكبير، لكن هناك مطامح غير مشروعة. فأجاب محمد الخامس : الرجل العاقل، ليس له إلا مطامح مشروعة، فعقب جوان : ان لي كامل الثقة في حكمة الشعب المغربي، وحكمة عاهله ذي الفكر النير، فرد محمد الخامس : إننا لعلى يقين بأن الحكومة الفرنسية، بفضل المهمة التي أسندتها لكم، ستساعدنا على بلوغ ما نطمح إليه).

(3) انظر كتاب محمد الخامس للأستاذ قاسم الزهيري.

لجنة الحركة المغربية الموقفة

لقد أشرت في الجزء الأول من مذكراتي الوطنية، إلى أنني بعد خروجي من السجن في 27 أكتوبر 1938 صرت أتصل بإخواني الوطنيين الذين لم يلق عليهم القبض، أو الذين سجنوا وتم إطلاق سراحهم قبل هذا التاريخ، وكان من جملة الذين اتصلت بهم المرحوم سعيد حجي، الذي وجدت أن كثيرا من الوطنيين في الرباط وفاس خاصة، ينتقدون مواقفه خلال محنة الوطنيين شر انتقاد، ويتهمة بعضهم بأنه كان يعمل على



محمد اشماعو

تأسيس حزب جديد، هدفه التعاون مع الإقامة العامة، إلى غير ذلك من الاتهامات، وذكرت في مذكراتي كذلك أننا اجتمعنا مع السعيد، وأعطانا معلومات دقيقة عن الاتصالات التي كان يقوم بها، مع الإدارة الفرنسية، والأهداف التي كان يسعى إليها، كما ذكرت أنه أطلعنا على وثائق، وتقارير، ومحاضر جلسات، حول النشاط والتحركات التي كان يقوم بها، مع شخصيتين آخريين هما : محمد اشماعو وأحمد بن غبريط.

ونظرا لأنني لم أستوف الموضوع حقه، كما وصفت لي من طرف السعيد، وكما قرأته مسجلا في محاضر جلسات، موقع عليها من طرف المذكورين الثلاثة، وهم : السعيد حجي، وأحمد بن غبريط، ومحمد بن بوبكر شماعو، وحتى لا أغلط أحدا حقه، وحتى أسجل الحقيقة التاريخية كما وقفت عليها، دون إبداء رأي شخصي إلا بعد إثباتها، ثم أعقب إن شاء الله عليها، وفق منظوري ورأيي، دون تحجج على أحد، ودون انصياع لأي هوى.

لقد اطلعت على ماجاء في المحاضر التي أطلعني عليها، ومكنتني منها فترة زمانية المرحوم سعيد حجي، ولقد قرأت في صفحتها الأولى التي لم تكن موقعة من الثلاثة المذكورين العنوان التالي : (وثيقة لجنة الحركة المغربية الموقفة) وجاء في هذه الوثيقة التي يظهر أن الثلاثة لم يتفقوا على صيغتها، لأن فيها كثيرا من التغييرات — جاء فيها ما يلي :

حيث أن الحالة السياسية بالمغرب مرتبكة، وحيث أنه قد يطول أمد حلول استقرارها على حالة مرضية، وحيث أن مجال الإصلاح في المغرب بقي عاطلاً، ولم توجد فيه مركزية مسؤولة كما يجب، تستطيع أن تدير الإصلاح اللازم، تقرر تأسيس لجنة مؤقتة للعمل المباشر للإصلاح، تتحمل المسؤولية في الموقف، إلى حين حصول تسوية في الموقف السياسي بين الحكومة وبين المعتقلين، تكون عندها الصلاحية اللازمة، لإتيان جميع المشاريع والأعمال، متخذة أساليب مخصوصة تقررها بإجماع أعضائها، ولا يطلع على أسرارها، إلا الذين ترى الجماعة بإجماع أعضائها لهم صلاحية، كما لا يصوغ تكليف أحد من قبلها، إلا بإجماع أعضائها، ثم تقول الوثيقة : لا تكون للجنة صبغة تمثيلية لا سياسية، ولا شعبية، إلا إذا صادقت الحكومة على برنامج يكفل رضى المبعدين، أو جلهم، على حسب ما تراه اللجنة، وتعتقد قبوله من طرف المبعدين، ثم تعجل في تنفيذه، ثم تقول الوثيقة : فيما إذا لم تتوصل اللجنة إلى حل يكفل عودة المبعدين أو جلهم، وفيما إذا استمرت الحالة من الناحية السياسية كما هي، يمتد أمد قيام هذه اللجنة لمدة سنتين، وبعدها يحق لأعضائها أن يعتبروا أنفسهم أحراراً من التزاماتها وتعهداتها، ثم حيثيات أخرى تنظيمية.

برنامج وطني مؤقت في زمن الحرب

يبلغ عدد محاضر الجلسات الموقع عليها من طرف الأشخاص الثلاثة الذين كونوا (لجنة الحركة المغربية المؤقتة) أربعة عشر محضراً، ويوضح المحضر الأول الغرض من تكوين هذه اللجنة، وهو فتح عهد تعاوني مع الإدارة على أساس وضع برنامج محدد لإيجاد الجو الصالح له، والخطوة الضرورية لنجاحه، وهذا البرنامج يشتمل النقاط التالية كما جاء في مقترحات السعيد حجي، وهي :

أولاً : في مجال التعليم :

- 1) توجيه بعثتين للتعليم، واحدة إلى الشرق العربي، والأخرى إلى فرنسا.
- 2) إصلاحات في برامج التعليم
- 3) مساعدة المدارس الحرة
- 4) الاهتمام بجامعة القرويين وتطويرها

ثانيا : في مجال الصناعة والفلاحة :

- 1) خلق هيآت تعاونية صناعية، تعطي لها بعض الصلاحيات، وتساعد على تطوير الصناعة، وتصدير المنتوجات الصناعية.
- 2) توزيع الأراضي على الفلاحين، وتنظيم الملكية العقارية، وإعطاء قروض للفلاحين، والتسوية بين القمح الصلب، والقمح الطري.

ثالثا : في ميدان الإصلاح الاجتماعي :

- 1) السماح بتأسيس جمعيات ثقافية، وتهديبية، ورياضية، وخيرية
- 2) السماح بإصدار الصحف، وعدم مراقبتها — ولضمان تحقيق ذلك يجب :
 - 1 — رفع المراقبة على الصحف
 - 2 — العمل على إطلاق سراح المعتقلين بكيفية تدريجية
 - 3 — تحسين معاملة المعتقلين
 - 4 — يقع الإتفاق على هذا البرنامج مع الحكومة، وبعد المصادقة عليه تقع المخاطرة مع المعتقلين، لأخذ موافقتهم أيضا، ولاحظ السعيد في آخر المحضر مايلي :
عدم تورط الوطنيين مع الحكومة، بمظالمها السياسية، خوفا من أن يضطروا بسبب ذلك، إلى الاحتجاج الذي يؤدي إلى الاختلال بالعهد التعاوني، لذلك فيجب على الحكومة أن تقلع عنهما.

وبعد تحديد الأهداف التي يعمل لها العهد التعاوني، حسب ما جاء في المحضر الأول، يتعرض المحضر الثاني، إلى توزيع المهام، والاتصالات، والمفاوضات، فتعهد السعيد حجي بالاتصال بالحزب الوطني لأخذ موافقته على البرنامج المذكور، وتكلف محمد شماعو، بالاتصال بالحركة القومية، أما أحمد برغبريط فتعهد بمفاوضة الحكومة، أما في الجلسة الثالثة، فلقد صار يبرز بعض الاختلاف في رأي الثلاثة، المكونين للوثيقة، في شأن برنامج العمل، حيث أن اشماعو، اعترض على موافقة المبعدين على البرنامج، قائلا : من الضروري أن نقيم عملنا الاصلاحى المنتظر، على أسس عملية، وعلى اليقين والاطمئنان، لا التردد، ومسألة الاتفاق مع المبعدين (أي المسجونين والمنفيين) ليست من هذا القبيل، وأرى قبل كل شيء، أن نعمل على نجاح برنامجنا، حسب تيقننا من نجاحه، وحسب اجتهادنا الخاص، إلى آخر ما جاء في كلامه الذي شرح فيه تصورات الخاصة، فلاحظ عليه كل من السعيد، وابن غبريط، منتقدين أفكاره وتصورات، رافضين لها، وانفضت الجلسة

دون اتخاذ أي قرار، وتوالت المناقشة في الجلسة الرابعة، في موضوع الاتصال بالمبعدين، وضرورتها في نظر السعيد، وابن غبريط، ورفضها من قبل اشماعو، ملمحا إلى أن الاتصال بالمبعدين يفسد الخطط الجديدة من الأساس، بينما يرى السعيد، أن اعتراض اشماعو على الاتصال بالمبعدين، يعتبر متناقضا مع الخطة والبرنامج، اللذين وقع الاتفاق عليهما أول مرة.

توبعت المناقشة في موضوع برنامج العمل، والخطة السياسية، في جلسة الثلاثة، الخامسة، ويلاحظ في تدخل اشماعو أمران :

(1) أن لجنة الحركة المغربية الموقفة لها طابع خصوصي، هو طابع الصحافة، وتحركاتها تكون باسم الصحافة، ويقترح في الأخير أن تطالب اللجنة بتأسيس لجنة تهتم بإصلاح الحالة، وتكون هذه اللجنة ذات صلة بالمقيم العام.

(2) ثم يبرز من كلامه إسم شخصية، يترأى لي أنها كانت ذات اتصال وثيق باشماعو، هي شخصية «سردون» ولذلك فإنه يقترح أن يكون على رأس هذه اللجنة المقترحة منه مسيو سردون) أما السعيد حجي، فيعود في تدخله إلى قضية المبعدين، فيلاحظ أنه نظرا لأن الاتصال بهم، ربما تعوقه بعض الظروف، ولذلك فإنه يقترح أن يقع الاتصال (ببلافرج) في فرنسا، أو سويسرا، لعرض المقترحات عليه والاتفاق معه، ونظرا لأن الاتصال ببلافرج فيه فائدة مزدوجة، سواء من ناحية الإدارة، التي ترى فيه خصمها المشوش عليها في الخارج، أو من ناحية المبعدين، الذين يرفع صوتهم في الخارج، فالإدارة إذا ما وقع الاتفاق معه، ستسكت صوتا مشوشا عليها، والمبعدون سيطمئنون، إذا ما وافق على البرنامج، وبعد مناقشة الموضوعين المقترحين من اشماعو، والسعيد، وقع الاتفاق على الاتصال بالمقيم، باسم لجنة الصحافة بواسطة (سردون) ثم مباشرة مسألة الاتصال (ببلافرج)، على أساس البرنامج المسطر، ثم جاء التهيء لسفر السعيد إلى سويسرا، قصد الاتصال ببلافرج، ويظهر أن «سردون» تحمس لهذه الفكرة، ولذلك فإنه تكفل بتهيء جواز السفر للسعيد، في أقرب وقت ممكن، حتى يمكنه أن يشرح لبلافرج، الوضع السياسي الجديد، والاقتراحات التي تقترحها اللجنة، لإنشاء عهد تعاوني، على أساس البرنامج المقرر من طرف اللجنة الثلاثية، فإذا ما وافق «بلافرج» على البرنامج، فإن اللجنة الثلاثية تتقدم به إلى المقيم العام، بعد أن تطلب مقابله، ويشتم في محضر الجلسة السابعة أمران مهمان :

الأول : أن اتصال (سردون) مع اللجنة، يقع في غيبة عن رجال إدارة الاستعلامات.

الثاني : وأن إعطاء الأسرار لبلافريج، لا ينبغي أن تكون إلا بمقدار ما يعتقد أنه يقبله. وجاء في آخر محضر الجلسة المذكورة : (وفي حالة عدم توافق السعيد مع بلافريج يجب العدول عن مقابلة المقيم بتاتا).

لم يتمكن السعيد من الحصول على جواز السفر، إلا بعد مجهودات مضنية، ومناقشات، كادت تؤدي إلى العدول عن سفره لمقابلة بلافريج، ويلاحظ أن إسم «سردون» ظهر بارزا أثناء هذه الخطوات، وأن بعض الاجتماعات صارت تقع معه، وأثيرت في الجلسة التاسعة قضية رفع المراقبة على الصحف، كما أثارت قضية زيارة الوزير «دوتيسان» للمغرب (فأبدى السعيد تخوفات من قدومه، حيث أن عشرات الصحفيين، سيغتنمون الفرصة، لينهوا بأعمال الأمن والاطمئنان، الأمر الذي سيجعل الإداريين، تشتد شوكتهم، وهذا ما يجعل مساعينا في حكم العدم)⁽¹⁾ ويقول المحضر : ان «سردون» احتار في الجواب عن هذه التخوفات.

ومن خلال قراءة محضر الجلسة العاشرة، تتضح معالم جديدة، وهي أن «سردون» على اتصال وثيق بالمقيم العام، وأن الإداريين الآخرين، أي رجال الاستعلامات لا علم لهم بما يجري، وأن المقيم العام نفسه (يلقي الصعوبات الجمة من طرف إدارة الأمور الأهلية وتصور له المسائل على حالة مخيفة ومخالفة للواقع) وأن جميع المساعي تذهب سدى (إذا لم يقع بين المقيم، وبين العاملين اتفاق وتظاهر، يجعلهما على اتصال تام، لمواجهة المشاكل، في خفاء عن أعين الرقباء المترصدين) ويشير المحضر، إلى أن السعيد تقابل مع المقيم العام، واستعرض معه الحالة السياسية العامة، والبرنامج التي تدارسته اللجنة، وبلغه خبره بواسطة «سردون» ويقول المحضر : (إن المقيم صرح للسعيد، بتقديره للوطنية المغربية، واحترامه لرجالها، إنما ذكر أن نشاط الوطنية المغربية السياسي، غير مناسب للظروف الخارجية، والداخلية، خصوصا لعدم تطور الشعب المغربي، التطور اللائق) ثم أكد أنه يوافق على زيارة السعيد لبلافريج، والسماح بإعطائه جواز السفر، وهكذا سافر السعيد إلى سويسرا لمقابلة «بلافريج»، ولكن الحظ لم يرافقه في هذا السفر، حيث انه وجد بلافريج داخل المستشفى مريضا، تجرى عليه عملية جراحية، وأن الأمير شكيب أرسلان، ملازم له في المستشفى، مهتم كل الاهتمام بتطور حالته الصحية، فاكتفى السعيد بمقابلة الأمير شكيب، واستغرق اجتماعه معه أربع ساعات، عرض عليه

(1) اطلعت على مشروع مذكرة كتبها السعيد بخط يده ترفع باسم الوطنيين إلى «دوتيسان» بمناسبة زيارته للمغرب، وصيغتها تعبر عن خطة الحزب العامة، ولم أعرف من قدمها.

فيها ما أتى من أجله⁽²⁾، راجيا منه أن يبلغه لبلافيج، بعد إبلاله من مرضه، ويقول محضر الجلسة العاشر، وما بعده : إن الأمير شكيب وافق على الخطة المعروضة عليه وحيدها، وأنه تقرر إشعار المقيم العام بنتيجة السفارة التي قام بها السعيد، ويظهر من خلال المناقشات التي جرت بين الأعضاء الثلاثة المكونين للجنة، أن الاتجاه كان منصبا حول تكوين لجنة للاتصال التي يرأسها «سردون» وحول إصدار الجرائد وقانون المراقبة المفروض عليهما، وعن ضرورة تبليغ ما يجري في طي الكتان إلى بعض الشخصيات الوطنية التي يطمئن إليها (وفي هذا الموضوع الأخير تحفظ اشماغو كل التحفظ) فتقرر أن يحاط علما بالموقف السادة : أحمد بناني ومحمد الفاسي ثم محمد الدزيري ومسعود الشيكرو وعبد الجليل القباج وعبد الله الريراكي، والمعطي أبا خاي، ويخبر السيد محمد الزغاري أيضا ولكن بشكل ربما أقل، والذي تكلف بالاتصال بهؤلاء هو السعيد، أما اشماغو فلقد تقرر أن يسافر إلى فاس ومكناس ليتصل ببعض الشخصيات، ويطلعها على ما تقوم به اللجنة الثلاثية والخطوات التي خطتها.

لقد كانت المناقشات التي تدور بين الثلاثة المذكورين، تسجل في محاضر جلسات كما ذكرت، ويوقع عليها ثلاثتهم، ويأخذ كل واحد منهم نسخة موقعا عليها ثلاثتهم، وذلك ابتداء من 28 نونبر 1937، أي بعد شهر واحد من اعتقالنا، وسجننا، ونفى بعضنا، وفي طليعة المنفيين الزعيم علال الفاسي الذي نفى إلى أدغال إفريقيا (الكابون) واستمر تسجيل الوقائع إلى 26 أبريل 1938 أي نحو خمسة شهور، ثم فتر التسجيل، رغم توالي الجلسات، ويظهر أن السبب يرجع إلى أن أفكار وتوجهات الثلاثة لم تكن متوافقة، ولذلك توقف التسجيل، ثم توقف العمل المشترك نهائيا.

ولعل توقف عمل الثلاثة المشترك، هو الذي جعل السعيد يسجل ولو باختصار ما وقعت المذاكرة فيه، بعد توقف التسجيل، والعمل، وهذا ما كتبه السعيد بخط يده، ووقع عليه الثلاثة، أنقله كما كتبه دون تغيير، كتب السعيد حجي ما يأتي بالحرف :
(ملخص مارج منذ رجوع سعيد من ليزان إلى أواسط شهر جوي 1938).

(منذ رجوع سعيد من ليزان، لم تنتظم محاضر الجلسات، مع كثرتها، وتنوع المسائل التي راجت أثناءها، وخطورتها، وبعد التذكر الطويل، استطعنا أن نجعل هذا الملخص لما راج، وأن نفرّد لكل مسألة فقرة لتطوراتها، والحد الذي وقفت عنده.

(2) تعرض الأستاذ بوطالب في ذكرياته لهذه المقابلة وأتى باستنتاجات تتطلب كثيرا من المناقشة.

أولاً : سراح بعض المعتقلين : عندما رجع سعيد من ليزان، دارت عدة مناقشات في تفهيم الجمهور حسن نوايا المقيم العام، لنبداً في الخطة التعاونية، واقتراح أن يصدر بمناسبة عيد المولد عفو عن سيدي مشيش العلمي، وأظهر «سردون» أن المقيم قد يساعد الآن على إطلاق عدد ممن لم تكن لهم يد في الاضطرابات، وبعد مناقشات عديدة، اعترض اشماعو أن ذلك سيهيج الناس، ولا يجعلهم يفهمون الموقف بوضوح، وقد مرت مناسبة العيد، دون أن يتخذ قرار حاسم في ذلك.

ثانياً : رسالة سعيد إلى المقيم : وبعد أن رجع سعيد، راجت فكرة الكتابة إلى المقيم، لتبليغه نتيجة الرحلة، وأن تتعرض الرسالة إلى فكرة الاتصال به في صورة مكتب يدرس المسائل المغربية مباشرة، ووضع سعيد مشروع الرسالة، وبعد أن درس عدة مرات، خلال عشرة أيام، وقع الاتفاق النهائي على صيغتها وترجمت، وأخذها سعيد إلى مكتب المقيم في 10 ماي 1938، وقد علم بعد ذلك أن الاهتمام بما كان مناسباً.

ثالثاً : ظهور المراقبة على الصحف : واقترح سعيد أن يرسل سعيد واشماعو رسالة إلى المقيم العام يطلبان فيها عدم تجديد المراقبة على الصحافة، وأن يضع المقيم ثقته فيهما، وقبلت الفكرة، وكلف سعيد بوضع مشروع الرسالة ووضعه، وذهبنا إلى دار «سردون» لدرسه، واعترض اشماعو في الأخير على إرسال الرسالة لسبين، الأول : أنه متى علمت ذلك إدارة الأمور السياسية ستزداد حنقا علينا، وتضع العقوبات في سبيل صحيفتنا. والثاني : أن الجمهور سيطالب منا لهجة قوية، مادامنا سنكون أحراراً، وذلك مما لا يتوافق والموقف الحاضر، والخطة التعاونية التي نعمل بها، وبعد مناقشات حادة، توقف المشروع، واكتفى أن يلفت «سردون» نظر المقيم للقضية.

رابعاً : سفر اشماعو الأول إلى فاس : وقد قصد اشماعو فاسا في 24 ماي وقضى به نحو ثلاثة أيام ورجع، وأخبرنا أن رحلته كانت مفيدة، وأنه اتصل بعدد وافر من الأفراد، وفهم أن الجو لازال قائماً بفاس، وأن الأفراد يتسوا من فكرة التفاهم مع الإداريين، على أنهم رحبوا بإصدار «الوداد» وأن دعاية واسعة النطاق ضد ملحق «المغرب» وضد سعيد، حيث أنه لم يسجن، وأن البعض يقول إنه تنازل عن السياسة، والبعض الآخر يقول : إنه يريد تأسيس حزب مستقل، وأن الحالة بمكناس تدعو إلى الارتياح، حيث إن العاملين منتصرون ويتفاهمون مع الإداريين.

خامساً : سفر اشماعو إلى فاس للمرة الثانية مع البقالي : وقد سافر اشماعو مع البقالي في 6 جوي إلى فاس واستمعوا لرأي الفاسيين في شأن لهجة «الوداد» وأظهروا

له استحسنهم، ووجد أن الناس أقل تشاؤما من السفرة الأولى، وأنهم تغيروا عن السفرة الأولى، وأن الوطنيين أصدروا منشورا بتوقيف اجتماعات يوم الاثنين الاحتجاجية بالقرويين، وأن اشماعو اجتمع ببعض الصناع، فوجدهم مرتاحين لموقف الادارة معهم، ومنهم من يغلط حركة الوطنيين في الماضي، أما في مكناس فالحالة أيضا لازالت تدعو إلى الارتياح.

سادسا : إصدار الوداد : كانت الإدارة منذ فبراير حاولت أن تطمع اشماعوا بإصدار «الوداد» وتقديم مساعدة مالية له، ودرست الفكرة بين الجماعة ولم يقرر فيها شيء نهائي، ولكن ظهر بعد ذلك أنها تريد تسيير الجريدة حسب هواها فلم تشأ نشر مقالة عن الفقيه القري، وهنا أصبحت فكرة الإعانة ملغية، سواء من جانبنا، أو جانب الإدارة، وقد صدرت فعلا، ووقع الاتفاق على أن المسائل المغربية المهمة التي تنشر في الوداد والمغرب تدرسها الجماعة، والمسائل المغربية الثانوية، يراقبها اشماعو وسعيد، وذلك لأن خلافا وقع بين الجماعة في شأن مقالة افتتاحية لاشماعو للعدد التاسع الذي صدر من «الوداد» فقد وصف حركتنا الماضية بضعف القيادة والمجازفة إلى غير ذلك، فاعترض على ذلك أحمد بن غبريط وسعيد، وبعد مناقشة، قرر البرنامج المتقدم.

سابعا : محاولة إصدار «المغرب» : وعندما جدد الظهير الخاص بالصحافة لستة أشهر أخرى، رأى سعيد لا مناص من إصدار جريدته اليومية، وأراد إسناد إدارتها للسيد محمد البقالي، لأن من الصعب عليه أن ينشر آراءه السياسية تحت المراقبة، خصوصا وأن حزبه، قد احتج على ذلك الظهير — فذكر اشماعو أن الادارة ليس من رأيها إصدار المغرب، وهي تنظر لصاحبها بنظر خاص، خصوصا قضية إسناد التحرير لآخر، مما يدل على عدم الرغبة في التعاون، وعدم الرغبة في تنفيذ ظهير المراقبة، وظلت المسألة عدة أيام في أخذ ورد، وأيد أحمد بن غبريط فكرة الإصدار، وأخيرا قرر، فلما صدر اعترضت الادارة المحلية بسلا، أن المدير مسؤول، ولا بد من موافقة السلطة عند تغييره، ثم إن الناحية أبلغت سعيدا في آخر يوم لإصدارها سحب الاذن، سواء للجريدة اليومية أو الملحق، لأسباب واهية، وقد أبلغنا ذلك لمكتب المقيم بواسطة «سردون» فاهتم بالأمر، وأرسل يطلب سعيدا الذي وافق باختياره على تأخير إصدار المغرب اليومية إلى ما بعد الصيف.

ثامنا : الاتصال مع بلافريج : ومنذ رجع سعيد من ليزان، والمخاطبة جارية، حيث إن «بلافريج» لم يفهم المقصود من الخطة الجديدة، حيث وصلت رسالة بذلك، ولقد أرسلنا أيضا طويلا للأمير شكيب ليدرسه مع «بلافريج»، وتأخر جوابها مدة طويلة،

حتى كاد اليأس يتسرب إلينا، وذكر سعيد أنه رأى في جريدة سورية أن الأمير غادر جنيف إلى بلدان البلقان وألمانيا، وليس من البعيد أن تكون الرسالة التي وجهناها له لم تصل بعد، وظل موقف بلافريج وهو أساسي يدعو إلى اليأس والحيرة، وأخيرا بعد انتظار طويل، وصلت رسالة منه في أوائل جوي، يظهر أنها تأخرت بالبريد، لأسباب ربما تكون دسيسة من الإداريين — حاوية لموافقته لفكرتنا — فاستبشرنا بها خيرا، وأبلغنا مضمونها إلى «سردون» ليلغها إلى المرجع الأعلى.

تاسعا : مقابلة اشماعو للمقيم : وفي يوم الاثنين 3 جوي أبلغ مترجم المقيم الكومندان سانيه، اشماعو، رغبته في مقابلته في اليوم التالي، وحدد الموعد، وهو الساعة الرابعة ونصف، وقد ذهب اشماعو فعلا، فأخذه المترجم المذكور إلى مكتب آخر، وقال له : إن المقيم يريد مقابلته، ولكنه الآن مشغول، فانتظر ريثما ينتهي، وحوالي الساعة السابعة، ذهب به المترجم إلى مكتب المقيم، وبعد التحية الواجبة، ذكر المقيم لاشماعو أنه يعرفه منذ سنوات، وأنه يعرف فيه الاخلاص والاستقامة، فأثنى اشماعو (بياضا) الأخيرة في مجلس الشورى، وحاول اشماعو أن يعرفه أنه يجب الاهتمام لتتبع أعماله، بإصلاح الحالة النفسية للمغاربة، مينا ما يعترض أعماله من تصرفات الاداريين، المثيرة للعواطف، فأجابه إن بابه مفتوح، والاتصال معه دائما ممكن بلا واسطة، وحاول اشماعو أن يعود للموضوع، فاستفهمه المقيم عن علاقاته بمراقب سلا وخليفته، فأجابه اشماعو أنهما رجلان إداريان ينفذان ويبلغان، وطالت المذاكرة بينهما 35 دقيقة صرح خلالها المقيم أنه مستعد لقمع أي شخص يريد إفساد الجو.

عاشرا : مقابلة سعيد للمقيم : اتصل سعيد بالكومندار سانيه، وأبلغه أن إدارة «سلا» أعلمته أن الجريدة تكون أدبية محضة، فطلب منه أن يحضر لمكتبه، وعندما ذهب جرت بينهما مذاكرة، اجتمع سعيد على إثرها بالمقيم العام، قبل اجتماع اشماعو به مباشرة، وجرت بينهما مذاكرة في غاية الأهمية، فقد مدح سعيد خطبة المقيم الأخيرة، وأثنى على روح التعاون المقيمية، وذكر للمقيم ان «بلافريج» وافق في الأخير على الفكرة التي ذهب سعيد من أجلها إلى «ليزان» وأعلن للمقيم أنه فكر وجماعته في إصدار المغرب اليومية، لتشرح أعمال الحكومة، وتبسط فكرة التعاون، فأجابه المقيم، انه يخشى أن تعطل خلال غيبته الصيفية، وانه يرجئ المسألة إلى رجوعه، فذكر سعيد، أننا نريد أن نوضح فكرة التعاون الحقيقي، ونزيد على ذلك بعض حجج، مثل تصريح في شأن فكرة التعاون والتخفيف على المنفيين، وبذلك يعود التفاؤل، ويمكن أن يتحسن الجو السياسي، خصوصا إذا وجدت صحافة من غير مراقبة، ريثما يرجع من عطلة الصيفية،

لمواصلة أعمال تحسن الجو السياسي بصورة ثابتة، فذكر المقيم أن أقل تصريح بتفاؤل، سيجب الأفكار — فتقع اضطرابات أثناء غيبته، مما لا يوده، وكذلك التخفيف عن المعتقلين، فأجابه السعيد، إن الأفكار مضطربة، وليس من البعيد أن تقع حوادث لا يمكننا أن نصد الناس عنها، فأجابه المقيم : إن جميع المغاربة مرتاحون الآن، فلا اضطراب، ولا تهيج، بعد إلقاء القبض على الأفراد المسجونين والمنفيين، فأجابه سعيد نعم توجد طائفة من المغاربة هم مسرورون بذلك، وهم طبقة الباشوات، والقواد، وأمثالهما الذين يمتصون دم الشعب، ولا يريدون تطوره ولا رقيه، لأنه يسلبهم أرزاقهم، فأجاب المقيم : نعم، ولكن العمال والصناع أيضا مرتاحون، فلا من يلزمهم بالاضطراب، ولا من يطلب منهم الإعانات، فأجاب سعيد : نعم إن بعض كبار الصناع، وأمناء الحرف، انتفعوا من مساعدة الحكومة لهم، فهم يظهرون لها عطفهم، أما بقية الصناع، فلا زالوا مخلصين لفكرة العاملين، وهم يظهرون لآخواننا كل ثبات، وأخيرا جرى الحديث بينهما، وفهم أن المقيم يريد تأخير كل شيء إلى ما بعد رجوعه، وتحدث المقيم لسعيد عن أخيه في نيويورك، وما يروج من صناعات مغربية هناك.

حادي عشر : درس الموقف : وبعد أن اجتمعنا ودرسنا مآراج بين المقيم واشماعو، وبينه وبين سعيد، تصور أحمد وسعيد أن هناك إيعازا من إدارة الأمور السياسية، بأن اشماعو مختلف معنا في آرائنا، وأن المقيم استدعى اشماعو ليتصور ذلك بنفسه، وخالفهما اشماعو، وجرت مناقشة حادة وعرضت عدة وجوه النظر، وأخيرا وقع الاتفاق على أن ترسل الجماعة رسالة إلى المقيم تحبذ أعماله مع ضرورة إصلاح الجو السياسي، وبذلك يفهم المقيم، أن اشماعو متضامن مع الجماعة على ضرورة إصلاح الجو السياسي، وهو بالسير في طريق التفاهم مع المخلصين المعتقلين، وكلف سعيد بتحضير مشروع لتلك الرسالة. درست الرسالة ثلاث مرات، واختصرت، حتى أصبحت عبارة عن التنويه بأعمال المقيم المنجزة، خلال الستة أشهر الأخيرة، وإلغات نظره إلى أن تحسن الجو سيساعد على تفهيم الجمهور المغربي، مجهودات المقيم، ثم تعرضت الرسالة في الأخير، للمجهودات المبذولة في سبيل تفهيم العاملين برنامجنا والاتفاق مع بلافريج، ولكن اشماعو امتنع من إمضاءها بحجتين : الأولى أن إدارة الأمور السياسية، إذا علمت بذلك ستضغط علينا وتزداد حنقا علينا، والثانية أن المقيم سيرى في ذلك سوء أدب، والثالثة، أن اشماعو لم يتفق في تشخيص معنى إصلاح الجو السياسي، إذ لا يوافق على تصريح أو عمل من المقيم من شأنه أن يعيد التفاؤل، ويرى أن إيجاد تفاؤل يكون من أعمالنا وبعد مناقشات عديدة واجتماعات طويلة، هيا اشماعو مشروع رسالة، إجابة لرغبة أحمد

وسعيد، لإعلان تضامنه معهما أمام المقيم، غير أن رسالته لم تتعرض لضرورة تحسين الجو السياسي، بل تواعد المقيم على العمل من الآن لتفهم نواياه للجمهور المغربي، فرفض أحمد وسعيد مشروع اشماغو، ثم ذهبنا لدار «سردون» وبعد جدال طويل، صرح اشماغو أنه يرى رأي المقيم، فأني تصرّح بتفاؤل، يحدث هياجا لا يجعل الشعب يساق إلى ما يراد له من الاصلاحات كما يرى اشماغو، وافترقنا بعد ذلك على أن نهىء هذا الملخص، وثوقف الأعمال، ريثما تنتهي عطلة الصيف ويرجع المقيم من فرنسا، والسلام.

في يوم الجمعة خامس عشر جوي 1938 ثم التوقيعات، سعيد حجي، محمد اشماغو، أحمد بن غبريط).

هذا ما أمكنني الاطلاع عليه من عمل اللجنة التي أسمت نفسها (لجنة الحركة المغربية المؤقتة) والتي تكونت إثر الأحداث الكبرى التي وقعت في أكتوبر 1937، والتي ملكت فيها السجون بالوطنيين الذين ذاقوا ألوانا من العذاب والآلام بسبب عجرفة الجنرال نويس المقيم الفرنسي العام، والمعين من طرف حكومة الواجهة الشعبية بفرنسا التي كان يرأسها «ليون بلوم».

لقد تكونت هذه اللجنة الثلاثية بعد هدوء الحالة بعض الشيء، وكان غرضها كما جاء في أول محضر لجلساتها : (فتح عهد تعاوني مع الإدارة على أساس وضع برنامج محدد) ويظهر من خلال الاطلاع على محاضر جلساتها، أن المقصود من تكوينها، هو إزالة التوتر الذي وقع بين الادارة والوطنيين، وفي طليعتهم المسجونون والمنفيون، والعمل على تلبية بعض المطالب التي يطالب بها الشعب في مختلف الميادين الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، حسب ما جاء في البرنامج الذي وضعته لنفسها، والذي يظهر أنه مستمد من المطالب المستعجلة التي تقدمت بها كتلة العمل الوطني، ويلاحظ أن وجهة نظر الثلاثة الذين تكونت منهم اللجنة، كانت متباينة من أول وهلة، خصوصا فيما يتعلق بالمبعدين والاتفاق معهم، والعمل على إطلاق سراحهم، حيث أن اشماغو كان دائم الاعتراض في هذه النقطة بالذات، وفي الوقت الذي كان سعيد ومعه ابن غبريط، يريان ضرورة الاتفاق مع المبعدين، وعرض البرنامج عليهم، ولا أود أن أتعرض للدوافع الحقيقية التي جعلت اشماغو يعترض دائما على الاتصال بالمبعدين، فذاك موضوع يحتاج إلى التعرف على شخصية اشماغو وتطورات أفكاره ابتداء من أحداث الظهير البربري إلى أحداث 1937، ولكن تساؤلاتي وأنا أسجل بعض الأحداث التي عشتها، تتوجه إلى المرحوم سعيد حجي الذي ارتأى ان يعمل على حل الأزمة بتعاون مع اشماغو، الذي كان يعرف مواقفه معنا جميعا، وبالأخص سنة 1936 حيث أذاع منشورا مؤرخا

بـ 13 شتبر 1936، وضّح فيه موقفه بغاية الوضوح، وبغاية التجني وإصدار الأحكام القاسية والظالمة ضدنا، وضد الوطنيين عموماً، لسبب بسيط هو أن تحليلاتنا للأحداث في ذلك الوقت، كانت تختلف عن تحليلاته، ونظراتنا للوقائع كانت تختلف عن نظراته، وحيث صار يكشف عن آرائه الدفينة التي لم يوافق عليها أي واحد من الجماعة، والتي دفعته إلى اتخاذ مواقف منفردة شاذة، صارت تتجلى بعد ذلك في مختلف الميادين، وحتى لا أسير مع قلبي في الرجوع إلى كثير من الأحداث التي أبانت بوضوح أن أفكار اشماعو مختلفة تمام الاختلاف مع أفكارنا، وإن العمل معه غير مجد وغير مفيد.

أحداث سنة 1936

ولأحصر كلامي الآن في أحداث سنة 1936 التي تعرض لها منشور اشماعو الذي حدد فيه موقفه معنا ومع الحكومة حسب تعبيره، والذي جاء إثر اعتقالي، واعتقال بعض الإخوان بعد ذلك كان من جهلتهم : اشماعو نفسه، ففي شهر غشت من سنة 1936 فتحت فرعاً للمدرسة الحرة التي كنت أديرها، فلم تطلق الإدارة الاستعمارية تحمل امتداد التعليم الحر، ولم تستسغ فتح مركز جديد لهذا التعليم، فاستدعاني باشا المدينة السيد الحاج محمد الصبيحي، وسألني عن المركز الجديد الذي فتحت، وكلفت



الباشا الفقيه محمد بن الطيب الصبيحي

الأخ محمد البقالي بالإشراف على تسييره، كيف صاغ لي أن أحوزه وأتصرف فيه، وأجعله فرعاً لمدرستي ؟ ولما أجبتته بأن صاحب المحل الذي له حق التصرف فيه، وفقاً

لرسم شرعي هو الذي مكنتني من مفتاح ذلك المحل، وأذن لي في التصرف فيه، والاستفادة منه، لتعليم أبناء المسلمين مبادئ دينهم ولغتهم، فأجابني بغلظة، أنه لا يسمح لي بذلك، وطلب مني تمكينه من المفتاح ومن الرسم العدلي، الذي تحت يدي، ولما رفضت ذلك أمر بسجنني وسجن الأخ محمد البقالي الذي أمره أن لا يقوم بمهمته التعليمية داخل المحل المذكور، ولم يكتف بذلك فأعطى تعاليمه للإتيان بناظر المحل، وصاحبه الشرعي، حسب ما تحت يده من وثائق وهو المرحوم السيد محمد الصابونجي ولما حضر بين يديه أمره أن يتراجع عن إعطائه المحل المذكور، لتعليم أبناء المسلمين فيه. ولما رفض ذلك أمر بسجنه هو أيضا.

لقد قضينا بضعة أيام في سجن الرباط، نتيجة هذا التصرف الطائش من رجال السلطة، وقامت حركات احتجاجية للتضامن معنا، وقدمت عرائض استنكارية إلى رجال السلطة، كما قدمت عريضة إلى جلالة الملك محمد الخامس، يلتمس منه فيها موقعوها أن يتدخل لإيقاف تعسفات رجال السلطة عند حدهم، ومنعهم من التعرض للتعليم الاسلامي بالعراقيل، والأشواك، والسجون، والاعتقال، لمن يعملون على نشره⁽³⁾.

وبعد قضاء الأيام المحدودة في سجن الرباط، أطلق سراحنا، فاستقبلنا إخواننا الوطنيون بالهتاف والتصفيق قريبا من المحكمة، فما كان من الإدارة إلا أن أمرت بإلقاء القبض على ستة من الإخوة المستقبليين لنا هم : سعيد حجي، ومحمد القادري، وأبو بكر السماحي، وقاسم الزهيري، ومحمد اشماعو، والحاج أحمد معنيو، وآخر نسييت اسمه، ثم نقلوا بدورهم إلى سجن الرباط، حيث قضوا فيه بضعة أيام ثم سرحوا بعدها. هذه هي الأحداث التي يتعرض لها منشور اشماعو الذي أثبتته بنصه الكامل.

(3) تعرضت لكل هذا بتفصيل في كتابي (قصة النهضة) فليراجع.

يقول المنشور :

الحمد لله في 13 شتبر 1936

موقف محمد اشماعو اليوم مع الحكومة، بعدها أعلن موقفه مع الوطنيين

..وفي يوم الثلاثاء 18 أوت 1936 سجن السيد أبو بكر القادري ومن معه في حادثة المدرسة بسلا، وكان الاعتداء فيها ظاهرا من طرف الحكومة، فرجا محمد اشماعو أن يكون في هذا الحادث الفجائي الظاهر الاعتداء، سببا لجعل حد لموقف الحكومة، وارتأى أن يكون ذلك على طريق التفهيم والحجة، فكتب رسالة إلى المقيم العام، وأصحبها بتقرير كتب عن الحالة كما جرت، وحاول أن يجعل ذلك سلما للمفاهمة، حتى توضع حدود للتعاليم المتخذة ضد الوطنيين، فيتمكنوا من أداء واجباتهم المشروعة في اطمئنان، ويلقون المساعدة الكافية لما يتطلبه موقف الأمة في هذه الظروف، فتوجد صحيفة، وجمعيات تعاونية وغيرها، وقد لاقى محمد اشماعو مع بعض رفاقه الأمرين في تفهيمهم مقصده، وأخيرا صودم مع بعضهم، وفي ذلك الأثناء، وقع عليه هو نفسه مع جماعة من الوطنيين عددهم ستة، الاعتداء بالسجن لمدة ستة أيام، ولم يكن قد أتى أي عمل، وكان يرجو من رفاقه أن يتخذوا موقفا في هذا الاعتداء صارما، لتعظم القضية، ويكون لها أثرها في دوائر الحكومة، حتى تسمع إلى صوته، الذي أراد أن يبينه على حجج معقولة، يتضح بها الموقف، ويكون ذلك عملا حاسما، تنتهي معه تلك التعاليم التي وضعت بأسباب وظروف شرحها يطول، وإنما هي من جانب الوطنيين، أكثر من جانب الحكومة، وذلك يرجع إلى قلة المراتبة الكافية التي يتطلبها قادة أمة مسؤولون عن مواقفها، وعن أعمالها أمام الجيل الآتي، ولكن إخوانه لم يفهموا مقصده، وحسبوا أن محمد اشماعو إنما يقصد الثورة والمهيجان، ففكروا في هذه الناحية، وبالطبع انجلى لهم عدم الفائدة في ملء السجون، والاحتجاج على الأعمال التي هم لا يدركون لها سببا، إلا طغيان الحكومة وظلمها، وقرروا عدم الاستمرار في خطة المقاومة، وبعدها خرج محمد اشماعو من سجنه، وجد أن ما كان يؤمله من تنمية قيمة الموقف أصبحت متلاشية، وانصرفت الجماعة إلى التسلية العادية من عبء التفكير في المال، وأخذ محمد اشماعو يفكر في وسيلة يعزز بها رسالته إلى المقيم، ليتضح له الغاية من الموقف الذي

يريد أن يتخذه، عسى أن يخلص الموقف من التعاليم الزجرية، التي أتت على جميع أعمال الوطنيين، وأخذت تقترب من المشاريع البريئة، مثل التعليم الحر وغيره ممن يصعب التخلي عنه، والجماعة لا تفكر في جعل حد لهذه التعاليم، ولم يدركوا أن مواقفهم غير المفهومة، هي التي سببت لهم ذلك، وأثناء ذلك اشتغلت الجماعة بما كان مقرراً من إقامة حفلة تابينية للمرحوم محمد حصار، فجرت تصرفات من الحكومة صريحة في احتفاظها بموقفها الزجري، حتى لقد صرح رئيس الناحية بأن الظواهر الموجودة وضعت للفرنسيين فقط. وفي أثناء هذا الموقف أيضاً، تقرر انعقاد المؤتمر السادس لطلبة شمال إفريقيا بالرباط، بدل فاس، وكان حسب الإشاعة الأولى أن هذا المؤتمر سيكون متنفساً من الحالة المشتتة، لكن التصرفات التي أظهرها قادة الوطنية، وشهداها محمد اشماعو، جعلته يئأس من تغيير الموقف، وجعلته يعتقد أن هذه الجماعة هي جماعة أطفال، لا يفكرون في شيء مما هو بجانبهم، ولا يحاولون تخلصاً مما يحيق بهم، لا بطريق العنف والغضب، ولا بطريق اللين والمسألة، وديدانهم أن يغضبوا الأسد، ويفرون من وجهه، فيصدم في غضبته ما يلاقي، ويهلك الحرث والنسل، وهكذا يتلاعبون بعشرة ملايين من المغاربة، وعلى حساب مباينتهم، يضحون بعصر من عصور هذه الأمة، وعلى ضوء هذه الحقيقة، ومقابلتها مع أعمالهم السالفة، وأحوالهم ومواقفهم، قرر محمد اشماعو أن الحكومة في المغرب أفاقت من غفوتها، في أول ظهور القضية البربرية، واعتبرت في ذلك الوقت، أن ما كانت قرره في شأن المغاربة هو غير صواب، وأن المغاربة لا يزالون أحياء بمعنويتهم، فلا سبيل إلى إدماجهم في الشخصية الفرنسية، ووضعت لذلك حداً هو إرجاع ما كان على ما كان على ما كان، وإسقاط الفصل السادس من الظهير البربري المؤرخ في 16 ماي 1930 وقبل هذه المحاولة الخطرة، أطلقت العنان لما مدد المغاربة إليه أيديهم من الصحافة وغيرها. وما زالت تضيق عليه الخناق، حتى لم يبق له متنفس، ولما كان هذا الشباب عديم الخبرة، والمسؤولية، والمقدرة الإدارية، لم يستطع أن يعمل عملاً حاسماً، وبقي هكذا يستسلم ويتقهقر عن مركزه الذي أوجده له الظروف، وأصبح عبثاً ثقيلاً على الأمة، وأدرك حروجة الموقف، فأخذ يحمل الشعب تبعاً انزاله عنه، ويرميه بانحطاط الأصل، وبرودة الدم، وهكذا إلى هذه الساعة، لم يفهم هؤلاء الشباب، حقيقة مركزهم في الحياة الاجتماعية المغربية، وهكذا إلى هذه الساعة، لم يبرهنوا بصرخاتهم على مقدار ما حصلوا بتجاربهم من علامة الرجولة).

إن قراءة هذا المنشور الذي كتبه محمد اشماعو في سبتمبر 1936 يدل بوضوح مابعده من وضوح، على أن الرجل، سلك طريقا في حياته، يختلف كلياً عن الطريق الذي أخذته الحركة الوطنية المغربية ككل، وأنه أصدر عليها أحكاماً في منتهى الشدة والقساوة، وعدم الانضباط، ولا أريد أن أناقش ما جاء في منشوره من تناقضات، تكفي أن تجعل القارئ البعيد يحكم عليه بسببها، ولكنني أثبتت هذا المنشور بنصه، كما وزعه صاحبه، لأدلل على أنه في تفكيره وأبعاده، لا يمكن بحال من الأحوال أن يتلاقى مع التفكير الوطني السليم، فكيف صاغ مع هذا كله، أن يتعاون معه المرحوم السعيد حجي في تكوين ما أسموه بالحركة المغربية الموقفة، خصوصاً وموقف السلطات الفرنسية، ومقيمها العام الجنرال نويس، من الحركة الوطنية ورجائها، كان في منتهى القساوة والشدة، والظلم، والعدوان، بالإضافة إلى الخروج على القرار الذي اتخذته حزبنا الوطني، في شأن التعامل مع الإدارة الفرنسية، وأنه لا يصوغ بأي حال من الأحوال، التعامل معها، إلا إذا غيرت من سلوكها مع الشعب المغربي، بتمتعها بجميع الحقوق التي يطالب بها.

لقد كان ذكر لي المرحوم السعيد، أنه أراد باتصالاته مع الإدارة الفرنسية، ومقيم العام بالذات، قطع الطريق على المتلاعبين، والحاquدين، على رجال الحركة الوطنية، الذين يغتنمون كل فرصة، للكيد للحركة الوطنية ورجائها، وثانياً من أجل الاستفادة من الظروف لتحقيق المطالب، التي يطالب بها الوطنيون، وإطلاق سراح المعتقلين، وهذا ما تؤكد محاضر الجلسات، التي أتيت بملخص لها سالفاً، ولكن هذا لا يكفي لمد اليد، والتعاون، مع من نعرف أنه لا يشاطرنا آراءنا، وأفكارنا، ومطالبنا، ومواقفنا، الأمر الذي أثبتته الواقع، كما تشهد بذلك محاضر الجلسات الآتية الذكر.

إن علاقتي الوطنية الأخوية الثابتة مع السعيد، لا تصرفني مطلقاً، وأنا أسجل الأحداث، التي عشتها في الحركة الوطنية، لا تصرفني أن أقول الحقائق، ولو كانت مرة، ولو كانت في جانب صديق، أكن له كل التقدير، وأنفي عنه كل قصد غير شريف، فكتابة المذكرات شهادة، والشهادة يجب أن تكون في منتهى الصدق، والتجرد من كل الحساسيات ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على أنفسكم، أو الوالدين والأقربين﴾ صدق الله العظيم.

إن الاطلاع على نصوص محاضر الجلسات، التي أثبتت في هذه المذكرات تؤكد أن السعيد رغم ما لاحظت عليه كان وفياً لمبادئه، الوطنية التي التزم بها مع إخوانه، عاملاً

على إطلاق سراح المعتقلين في كل الظروف، ساعيا جهده لإقناع المسؤولين في الإدارة الفرنسية، بضرورة تلبية المطالب المستعجلة، الأمر الذي جعل أصدقاءه وفي طليعتهم بلافريج في الأخير، يوافقون على حل المشكل المعقد مع الإقامة العامة، على أساس تلبية المطالب، وفق البرنامج المحدد، وإطلاق سراح المعتقلين وكل هذا يدل على أنه كان صادق النية، وإن كان أخطأ الطريق.

لقد تبين بعد مرور ما يقرب من تسعة شهور، على عمل لجنة الحركة المغربية الموقفة، واتصالاتها بالإدارة الفرنسية، أن تلك الإدارة نفسها كانت مختلفة مع بعضها، فبينما كان «سردون» ومن معه، يعملون على إيجاد حل للمشكل المغربي الفرنسي في سرية تامة، عن إدارة الأمور الأهلية، كانت إدارة الأمور الأهلية تسير في الخط المعاكس، مستعينة على ما يظهر، بمن يسيرون في ركبها من المغاربة، ويظهر أن المقيم العام «نوكيس» كان يتعامل مع الطرفين، ففي الوقت الذي كان يتشدد فيه التشدد المتطرف ضد الوطنيين، كان يريد أن يسكت المعارضة ضده في الخارج، والتي كان يمثلها بلافريج، بإظهار بعض الليونة في التعامل مع السعيد، والسماح له بزيارته في سويسرا، وعرض البرنامج المتفق عليه لحل المشكل، ولقد اتضح موقفه هذا لدى مقابلاته لكل من اشماعو، والسعيد، كل على حدة. ويتراءى لي أن الجانب الذي يمثله «سردون» كان يطمح لأغراض شخصية، تثبت مركزه في الإدارة المغربية، بجانب المقيم «نوكيس» ضدا على إدارة الأمور الأهلية، التي كان على رأسها الجنرال «ميلي» والتي كانت بالمرصاد، لكل من يريد أن يسعى لأي حل، وفي ضوء هذا الجو السياسي المتذبذب، كان الوصول إلى حل للمشكل المغربي الفرنسي صعب المرتقى، ولكن السعيد بالرغم من ذلك، وبمساعدة من أحمد بن غبريط، بقي متابعا خطاه إلى أن وصل لتحقيق بعض ما يطمح إليه، خصوصا ما يتعلق بإطلاق سراح المعتقلين، كما شرحت ذلك في الجزء الأول من مذكراتي في الحركة الوطنية.

الجنرال نوكيس يعمل لسحق الحركة الوطنية

أثناء فترة سجننا بعد أحداث أكتوبر 1937، عمل «نوكيس»، على إطفاء شعلة الحركة الوطنية، ووضح مقاصده بتصريحاته المقيمة بفاس، عندما أكد، أنه سيسحق الحركة الوطنية التي يمثلها علال الفاسي، ولكن الروح الوطنية لا يقضي عليها بتصريحات وطغيان مقيم عام، كيفما كانت عجرفته وطغيانه، لأنها منبثقة من ضمير شعب أبي، تواق إلى الحرية والتقدم، ولأنها تعبير عن أمانى ذلك الشعب.

لقد كان فرع الحزب الوطني بفاس، نظم بعض اللجان السرية، للعمل الوطني، في حالة إقدام الإدارة الفرنسية، على قمع رجال الحركة الوطنية، والرمي بهم في السجون والمعتقلات، وكانت إحدى هذه اللجان التي أسمت نفسها بلجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني المغربي، تصدر منشورات سرية، توزع في مختلف الجهات، والمناطق المغربية، في مختلف المناسبات، فهذا منشور رقم 44 أذيع بمناسبة إقدام الإدارة الفرنسية، على الاتصال ببعض الشخصيات في فاس، للمذاكرة معهم في إيجاد حلول للمشكل المغربي، في غيبة عن رجال الحركة الوطنية، يقول المنشور :

إلى إخواننا المغاربة :

كنا نظن أن الشعب المغربي، سيراتح إلى هذه المخابرة، التي تجري الآن بين الحكومة، وبعض الأشخاص في فاس، لكننا لاحظنا في الشعب عكس ما كنا نظن، وعلة ذلك أن الحكومة تتخابر الآن مع أشخاص ليس للشعب أي ثقة فيهم، فإذا شاءت الحكومة حقيقة — وذلك مانظن — أن ترجع المياه إلى مجاريها الأصلية، ليعود الاطمئنان إلى القلوب، ويسود الصفاء الجانين، فلتخابر مع من يضع الشعب كل ثقة فيهم، وإننا باسم الحزب الوطني، الهياة الكبرى، واللسان المعبر عن آلام الأمة وآمالها، نجذب المخابرة، ولنا رغبة كبرى فيها، ولكن على فائدة تتفق ومصالح الجانين.

15 شعبان 1357

لجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني المغربي



الجنرال نوکيس

وهذا منشور آخر رقم 48 يقول :

في هذا القرن العشرين، الذي هو عصر النور، والعدالة، والمساواة، نصبوا آلة الجلد في فاس، لتعذيب وإزهاق أرواح المغاربة الذين يطلبون حقوقهم الطبيعية، ظانين أنهم بهذه الوسيلة التي هي من وسائل الارهاب الوحشية، سيفتون في عضدنا، أو يردوننا عن مبدئنا، الذي نتفانى في سبيله قلبا وقالبا، فلتعتقد الحكومة أن هذه الارهاصات، لاتزيدنا إلا إيمانا بربنا، وثباتا على مبدئنا، وصبرا على كيد أعدائنا، لاعتقادنا أن النصر حليفنا، وأن الحق لا بد أن ينتصر، والعاقبة للصابرين.

هذا وقد عذب الاخوان الذين أخبرنا في المنشور السابق، بإلقاء القبض عليهم تعذبا كادت معه أن تزهق أرواحهم، ففي سبيل الله ما لقيم أيها الاخوان، وصبرا جميلا، ولا تهنوا، ولا تحزنوا، فإن الله يمهل على الظالم حتى يأخذه، وهو معكم أينما كنتم، وحسبنا الله ونعم الوكيل

11 رمضان سنة 1357

لجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني المغربي

وهذا منشور ثالث رقم 50 وزع بمناسبة عيد الفطر سنة 1357 يقول المنشور :

نداء إلى الشعب المغربي

يا شعب، إن في ديار زعمائك المبعدين، والمعتقلين، عويلا وبكاء، فهؤلاء صبيان كأفراخ القطا، تتفجج الأكباد لمنظرهم، وتتفطر القلوب رأفة وشفقة بهم، يكون أباهم الحنون الذي يقيم الآن في قعر السجون، ظلمات بعضها فوق بعض، أو في أقصى الأرض طريدا من وطنه، بعيدا عن أهله، لا يعلم عن حالهم شيئا، وهذه امرأة لايزور جفنها الكرى، تبكي على زوجها، الذي تحمل له في أعماق نفسها حبا وإخلاصا، فارقها على كره، وبوعده بينه وبينها بالسجن والنفي، وهذا شيخ هرم، بلغ من العمر أكثره، وليس له من الدنيا إلا ولده الوحيد، الذي هو ربحانة حياته، وقرّة عينه، وقلدة كبده، فرق بينه وبينه بالتشريد والابعاد.

يا شعب ! إن هذه العائلات، ليزيدها حلول هذا اليوم ألما فوق ألمها، وحزنا زيادة على ما في نفسها من حزن وأسى، إذ يبعث إليها هذا اليوم في طيه، ذكرى عزيزها، وهو يعيش الآن في أعماق السجون، وفي أقصى الأرض، غريبا وحيدا، لا أنيس ولا رفيق، فتثير هذه الذكرى في نفس هذه العائلات المنكوبات أكدارا، وتجدد لها

أحزاناً، وكيف لهذه العائلات أن لا تتأثر، وكيف لها أن لا تحزن، وحوها صبيان زغب، يرددون اسم أبيهم، وعيونهم تسيل دموعاً، وقلوبهم تبعث زفرات، ويسالون عنه كل رائح وغاد، ملتجئين منه أن يذهب بهم إلى والدهم.

أيها الشعب لا يلبث من يرى هذا الموقف الحزن، أن يرسل عبرات حارة من مآقيه، ويشارك هذه العائلات، في آلامها وأحزانها، يا شعب ! هكذا يمر هذا اليوم في ديار إخواننا المجاهدين، وبمثل هذه الحالة الحزنة تقابله عائلتهم، يا شعب ! شارك عائلات زعمائك الأبرار في حزنهم بالإضراب عن الجديد من الثياب، وعن السينما، وعن المقاهي، وعن الاحتفالات، التي تقام عادة لهذا اليوم. يا شعب ! إن حزنك هذا اليوم، عنوان من عناوين تضامتك مع زعمائك المبعدين والمعتقلين.

صباح عيد الفطر 1357

لجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني المغربي

هذه نماذج ثلاثة من نماذج المنشورات التي كانت توزع ونحن في غيابات السجون، وهي تؤكد أن الحركة لم تنطفئ، ولم يخذل أوارها، رغم ما بذله الاستعماريون من مجهودات، وما أذاقوه للوطنيين من ألوان العذاب، فالقافلة بقيت تسير، ولو على مهل، والعاقبة كانت في الأخير للصامدين، الصابرين، الصادقين.

تحركاتنا في ظروف الحرب العالمية الثانية

تحدثت في الجزء الأول من مذكراتي في الحركة الوطنية عن موقفنا نحن أعضاء الحزب الوطني، إزاء الحرب التي اشتعلت بين الحلفاء من جهة، وبين ألمانيا، وإيطاليا، ومن سار معهما، من جهة أخرى، وأنا أعلننا تصريحاً نوضح فيه موقفنا الذي كان ضد النازية، ومع الحلفاء، ومن ضمنهم فرنسا التي كانت في بداية الحرب مع حلفائها، ثم بعد انهزامها، انضم «بيتان» إلى جانب المحور.

لقد كنا وضعنا برنامجاً للعمل الوطني يفسح المجال أماناً لتتحرك التحرك الواجب في تلك الظروف، وكان في طليعة ذلك البرنامج، إطلاق سراح المعتقلين من إخواننا، والسعي في تحقيق المطالب الأساسية، التي كنا نجاهد من أجلها، ومواجهة الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها بلادنا أثناء فترات الحرب، من طرف النازية، التي بدأت تكتسح الأقطار قطراً قطراً. وعبرنا في تصريحنا، عن استعدادنا للتعاون مع فرنسا وحلفائها، لدرء الأخطار، والطغيان الديكتاتوري، الذي تمثلته الحركة النازية العنصرية.

والواقع أن إدارة الاستعلامات — التي فوتنا عليها فرصة الانتقام من الوطنيين بتصريحنا، لم تكن مرتاحة ولا مستعدة لخلق جو من التعاون الصادق، بين الإدارة الفرنسية، وبين الوطنيين، فبقيت تتلاعب وتكيد في الخفاء، وتريد أن تستفيد من الأحداث دون مقابل، الأمر الذي جعلنا نقف منها موقف الحذر والاحتياط، فلم نقوم بنشاط لصالح التعاون المطلوب بيننا وبينها، وبقينا مقتصرين على مضمون التصريح، باستثناء سعينا الحثيث، لإطلاق سراح المعتقلين الذي تحقق في آجال مختلفة، ومتعاقبة.

وأمام هذا الموقف الذي لا يمكن أن يوصف بالعداء ولا بالتأييد المجاني، صارت الإدارة الاستعمارية، تعمل على خلق جو من التعاون والتأييد من طرف بعض الموظفين الكبار، وبعض الأعيان المرموقين، وهكذا وضعت برنامجاً متنوعاً، استعملت فيه بعض الهيئات التجارية والعلمية، مثل الغرفة التجارية الرباطية السلاوية، ومثل المجلس العلمي بفاس، ومراكش، كما أسست لجاناً، أسماها لجان الإخاء الحربي المغربي الفرنسي، ونظمت

محاضرات كانت تلقى براديو المغرب إلى غير ذلك، وأود أن أثبت هنا أن بعض المحاضرين في الراديو، كانوا يتحايلون كل التحايل، حتى لاستغل محاضراتهم من طرف الاستعماريين، في غير صالح وطنهم، وأن آخرين ظهروا بمظهرهم الحقيقي، في التزلف والارتقاء في أحضان الاستعمار، وبالغ آخرون فصاروا يصفون فرنسا بصفات كلها حب وتقديس، لقد نشرت جريدة «السعادة» في عددها الصادر بتاريخ 23 رجب 1358 الموافق لـ 8 شتنبر 1939 كلمة تحت عنوان : (من ظواهر الإخاء والتعاون الفرنسي المغربي) وقد يمثل مدينة فاس، يقدم للجنرال حاكم المدينة، عواطف إخلاصه، ويعمل لشراء طيارة حرية تسمى «فاس» تهدي للحكومة) وقد تكلم باسم الوفد، العالم السيد العباس بناني فكان مما قال : (إن المجلس العلمي والعلماء المجتمعين في القرويين، تطوعوا إلى الله مبتلين، أن يخزي الله الظالم، وينصر فرنسا، ومن واجبي أن أعترف أن هذا العمل صدر عن اختيار، ودون طلب رأي المراجع الرسمية، وقد قررنا أن نفتتح اكتتابا لشراء طيارة، نهديها إلى الحكومة، راغبين أن يطلق عليها إسم «فاس») انتهى ماجاء في خطاب الفقيه بناني، ونشرت «السعادة» أيضا قائمة بأسماء بعض المكتتبين لشراء الطيارة المذكورة، وكان أول المتبرعين، الخليفة السلطاني مولاي المامون، الذي اكتتب بألفين وخمسمائة فرنك والسيد أحمد بوعباد الذي اكتتب بخمسة آلاف فرنك والسيد محمد السبتي وأخوه الحاج عمر والسيد محمد الغزاوي وأخوه الحاج إدريس بناني وابن عبد السلام لخلو إلى آخر القائمة.

أما أعضاء الغرفة التجارية الرباطية السلاوية، فلقد عقدوا اجتماعا حضره رئيس ناحية العدوتين، مسيو «كومينو» وألقى فيه الحاج بوبكر بن عبد الله عواد كلمة جاء فيها : نرى من واجب الاعتراف بالجميل، أن نبادر بالإعراب للدولة الفخيمة عن عظيم ولائنا، وقوى إخلاصنا، خصوصا في هذه الظروف الحاضرة التي تكتنفها أهواء المفسدين في الأرض، والمثيرين للحروب الطاحنة، والمسيبين في إراقة الدماء البشرية، لبلوغ مطامعهم المقوضة للحضارة، والمخالفة للإنسانية ويسرنا أن نؤكد لسعادة المقيم العام، ممثل فرنسا الدولة الحامية، أننا لانبرح نتشبث بفرنسا، محافظين على محبتها، والإخلاص لها كيفما كانت الحالة، إلى آخر الخطاب.

كما صارت تكتب عرائض تضامنية، كرسالة من الشباب البيضاءوي، ورسالة من علماء ابن يوسف، ولقد تحمس الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي بدوره للمساندة غير المشروطة، فاكتب هو وهياة موظفي الجريدة التي كان يصدرها باللغة الفرنسية (الصوت الوطني) لصالح لجنة الاخاء الحربي المغربي الفرنسي، ولم يكتف بذلك فسجل

نفسه في لائحة المجتدين في المدرسة العسكرية بمكناس، وصار يدعو بعض الشباب للتجنيد، والالتحاق بتلك المدرسة.

أحاديث من راديو المغرب

أما الأحاديث التي ألقى من راديو المغرب، فلقد كان أول متحدث، هو رئيس مجلس الاستئناف الشرعي، العلامة السيد محمد بن العربي العلوي، الذي ألقى محاضرة تحت عنوان (الوفاء بالعهد)، ولقد تحدث عن خلق الوفاء بالعهد في الإسلام، ثم قال في الأخير : أنت أيها المغربي، فلك بسلطانك المحبوب، وملكك المفدي، أعظم أبوة، فإنه من أوفى الناس عهداً، وأصدقهم وعداً، فاستمسك بغرزه، وقد علمت أن بينك وبين دولة المعارف والعلوم، وناصره العدل والإنسانية، دولة فرنسا موثقة وعهوداً، فلا تضيعها، وبينك وبين رجالها الأفاضل مصادقة ومودة، وحاشا أن تغفلها، فإن الحر من راعي وداد لحظة، ومعرفة ساعة، فلتجر على ذلك، رافعا رأسك بين الأمم.

وكانت المحاضرة الثانية لوزير الأحباس السيد محمد ملين وكان موضوعها : (الإمام مالك بن أنس) وبعدها تحدث عن شخصية الإمام مالك ومذهبه، وما قام به ودرسه، ختم محاضراته بالدعاء لجلالة الملك، واصفا له بأنه فخر الملوك قائلا : أني اتخذ نصرة الدين ديناً، ورفع راية الاسلام رأياً، والسهر على راحة شعبه غاية، فأخلص أمته كلها موقوف عليه، وطاعتها مقدمة بين يديه، وأملها متجه إليه، ترتضي ما ارتضاه، وتجعل اعتمادها عليه، وتدعو له بالتوفيق والتمكين، والعز والسؤدد، تعينه على ذلك دولة فخيمة صديقة، تُحبُّ لها ما نحب من النصر على الأعداء، والتأييد، وكل خير عاجل وآجل، عرفت كيف تحترم معتقداتنا ومميزاتنا، ومقيم عليم بالاسلام، خبير بأحوال المسلمين، يودهم ويودونه، وضع كفاءته، ومقدرته، في إرضاء السدة العالية، والأمة المغربية، بمجادة الجنرال نوكتيس جزاه الله عن إحسانه خيراً في البدء والختام.

أما المحاضرة الثالثة، فقد ألقاها رئيس المحكمة العليا، السيد الحاج العربي الناصري، وكان موضوعها : (الاعتراف بالجميل) ولقد أشاد في محاضراته بخلق الاعتراف بالجميل، ثم انتقل توا إلى الحديث عن فرنسا، وما أسدته للمغرب من جميل، وعن التطور الذي وقع بالمغرب بعد الحماية، والأطوار التي تقلب فيها التدخل السلمي في قبائلها، وسهولها، وجبالها، وأن هذا أحسن مثال يفتخر به في الموافقة التامة بين المخزن الشريف، والدولة الحامية، وتحدث بعد ذلك عن موقف المغرب مع فرنسا وقت الحرب العظمى الأولى

سنة 1914، وعن فقدان الأمن في المغرب إذاك، وانتشاره بعد ذلك بفضل فرنسا، واندفع به الحديث إلى الحرب الريفية، فقال بالحرف حسبا ما نشرته جريدة السعادة : (إن المغرب اضطرم بها نارا، وكادت تقضي على النظام الجديد بشمال الايالة، ومن ذلك فإن المغاربة أظهروا أثناءها، إخلاصهم التام لفرنسا، والتفوا حولها، وقاتلوا معها جنبا لجنب، العدو المهاجم، ولم تنطل عليهم الحيل المصطنعة، ولم تؤثر فيهم الدعاية الأجنبية، بل برهنوا في هذا الموقف الحاسم، عن إخلاصهم وولائهم للحكومة الفرنسية) ثم استنتج من ذلك، أن الأمة المغربية أمة توفى بالعهد، ولذلك ساعدت فرنسا في هذين الموقفين، ويتعرض للحرب الجديدة، وعن موقف الملك والشعب منها، ثم يتحدث عن الأعمال التي قامت بها الحماية، فينوه بها التنويه الكامل، معتبرا أن الحماية قامت بواجبها في المحافظة على العقائد الدينية للمغرب، وعدم قيامها بتغيير الأوضاع الشرعية، والمشخصات القومية، والإصلاحات المتنوعة، في مختلف الميادين، وينتهي إلى أن ماقامت به الحماية، يوجب الاعتراف بالجميل.

وفي الخميس المقبل كان المحاضر هو السيد محمد معمري الزواوي الجزائري، نائب مدير التشريعات الملكية، وكان موضوع محاضرتة : (الاتحاد بين المغرب وفرنسا من الحيشات الدينية والتاريخية والسياسية والاقتصادية) أما من الناحية الدينية فيستدل بالآية الكريمة التي تقول : ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ ويخص الفرنسيين، لأنهم كما يقول غير مستكبرين، ويأتي ببعض الأسماء الفرنسية كدليل على ما قال : (1 كريستيان 2) وبوفري في الطب (3) ريكار في الصنائع (4) وكيمي في الفلاحة وغيرهم. ومن الناحية التاريخية، يتحدث عن عهد الرشيد، والامبراطور شارل ماني، وماكان من علاقتهما، وما كان بين سلاطين آل عثمان، والملك فزانسوا الأول، وإرساليات المولى إسماعيل، إلى لويز الرابع عشر إلخ أما من الناحية السياسية، فلا بد من التكتل مع فرنسا، إذ لايمكن لدولة ما أن تعيش وحدها، وأما من الناحية الاقتصادية فلا بد من التعاون في الفلاحة، والمواصلات، والمعاملات الاقتصادية، على العموم ثم يشيد بما تبذله فرنسا والمقيم العام من أياد بيضاء، وتعاون ومحبة.

وكانت المحاضرة الخامسة حول : (المعارف في المغرب) ألقاها الفقيه السيد محمد الحجوي، مندوب المعارف في الحكومة المغربية، فأكد أن فرنسا، اهتمت بنشر الثقافة ولم تهتم بالمسائل السياسية وحدها، فنشرت التعليم بين جميع طبقات الأمة الثلاث : عالية، ومتوسطة، وطبقة العمال، والفلاحين، ذاكرا أن الفرنسيين، ليسوا من المحتلين العتاة الشرهين، بل هم رجال يريدون أن يختلطوا بالأمم الضعيفة، ولو كانت من أصل

سامي، ومن غير دينهم، ولا يقفوا موقف العداء من الدين بالمرّة، وتبقى كل أمة على شخصياتها، ثم يتحدوا معها اتحادا ليس سطوحيا ظاهريا، بل اتحادا متينا حقيقيا، قلبا وقالبا، مثلها مثل الاسلام، ومبدأها كمبدأ الاسلام، ثم تحدث عن أزمة المدارس وأزمة التلاميذ الذين كانوا لا يرغبون في الالتحاق بها، وأنه كان يدعو في دروسه إلى ضرورة الالتحاق بها، وأنه تحمل الصعاب والإذيات من أجل ذلك، حتى اقتنع الجميع بضرورة الالتحاق بالمدارس، التي عمل على تأسيسها في الحواضر والبادي، وانتقل إلى الحديث عن إدخال التنظيم في القرويين سنة 1932 وعن جامع ابن يوسف بمراكش، وانتقل إلى الحديث عن تعليم البنات، فقال : إنه ضرورة من الضروريات، لأنهن شطر الأمة، وتعليمهن من واجبات الدين، تعليما يناسب وظيفتهن في المجتمع، ولا يخرق الحجاب ضمن دائرة الشريعة، وختم محاضراته مشيرا إلى ضرورة التعاون مع فرنسا، والوقوف معها، مثل ما فعله قادة العرب في الشرق والغرب، الذين وقفوا بجانب الحلفاء، مستدلا بما قاله عبد الله بن عباس وغيره، من حكماء العرب، لأن يسوسني رجل يناديني يأخني، خير من أن يريني رجل يناديني ياعبدي، ويعتبرني من جنس منحط.

لقد توالى المحاضرات وتابعت في هذا الشكل، فكل واحد يختار الموضوع الذي يرتقيه، ويختم بضرورة التعاون مع فرنسا ومساعدتها، ولكن بعضهم يقتصد ما أمكنه الاقتصاد في المدح والثناء، والبعض الآخر يشتط به القلم، حتى يهرف بما لا يعرف، ويتنكر أحيانا لكثير من الحقائق التاريخية، فيحرفها طبق مادعاه إليه هواه، لقد كان من المحاضرين وهم كثير : القاضي محمد بن إدريس العلوي، والسيد محمد فتحاً الناصري، وأخوه جعفر، والسيد أحمد بركاش، والمؤرخ عبد الرحمان بن زيدان، الذي تحدث عن محاسن الديمقراطية، ومساوئ السيطرة والحكم الاجماعي المطلق، وعبد الحمي الكتاني الذي تحدث بدوره عن (العالم بين الفلسفيكية الهدامة، والديموقراطية، ونظمها للاماعة البراقة، وأيهما أقرب إلى مبادئ الاسلام) ومن جملة المتحدثين، الفقيه السائح، الذي كان حديثه عن النازية، والديموقراطية، في نظر الفلسفة والتاريخ، أما الأستاذ عبد الرحمان الفاسي فقد كانت محاضراته الأولى حول : الأدب العربي المعاصر، والشيخ محمد عبده، وأما عبد الكبير الكتاني، فقد تحدث عن النثر الغني على عهد الدولة العلوية السعيدة، ومن جملة المحاضرين الآخرين : عبد الحميد الحجوي، والفقيه العبادي، ومحمد عزيز الحبابي، ومحمد اشماعو صاحب الوداد والحاج أحمد بناني، الذي كان موضوع محاضراته حول : متى ينطلق لساننا ؟ والفقيه سكيرج، والقاضي إسماعيل العلوي، والسيد العربي السوداني وغيرهم.

الشعر المغربي يواكب الأحداث

ولم يغيب الشعر عن التعبير على التضامن مع فرنسا، فنظم الشاعر المطبوع السيد عبد الله القباج قصيدة جعل عنوانها : (محاسن فرنسا ومساوىء هتلر) جاء في مطلعها :
سلام كوجه قد كساه وسام سلام كصدر قد علاه وسام

أما شاعر الحمراء السيد محمد بن إبراهيم فقد جادت قريحته بنشيد أسماء النشيد الوطني، وأذيع من إذاعة مراكش بتلحين خاص، وهذا نص النشيد أثبتته كما نشرته جريدة «السعادة» :

إن هتلر الضحايا	صاح ما بين البرايا	المزايا في الرزايا	هو ديني باعتقاد
وإذا أفنى العباد	بعضهم بعضا وبادوا	وكسا الكون فساد	فهو سؤلي والمراد
رام هذا الوحش شرا	بعباد الله طرا	ان مايقيه قسرا	دونه خرط القتاد
ان بالختل مسا	غره حلم فرنسا	إذ أبت تقتل نفسا	فدعته للرشاد
فطغى المغرور جهلا	وعن الرشد تولى	قل له من قد تخلى	عن طريق الخير باد
استمع ماعنك يتلى	ستذوق اليوم ذللا	إن سيف النصر سلا	ليس لليسف اعتماد
هل تراه لبت شعري	لفرنسا ليس يدري	قوتي بر وبحر	وصناديد شداد
ومناطيد تراها	حجبت سحب سماها	وتسامت في علاها	شهبأ ذات طراد
كست الأرض جنود	طاق عنهن الصعيد	هي دار وحديد	لاقتراب وابتعاد
رام تدمير شعوب	رام احراق قلوب	رام إضرام حروب	رام تحريم الرقاد
كم فتى يكي أباه	وأبا يكي فتاه	وأخ يكي أخاه	حاله تبكي الجماد
كم تكالى لن تنامي	ويتامى تترامى	بين أحضان أيامي	لابسات للسواد
ليس ينسى لفرنسا	فضلها صباحا ومسي	هذبت جسما ونفسا	وهي من ذا في ازدياد
هي منا وإلينا	ولها الفضل علينا	فلها ما يديننا	من طريف وتلاد
إنما المغرب شعب	حفظه للعهد درب	وإذا ما ناب خطب	هب مشروع الفؤاد
شعبنا شعب أبي	شعبنا شعب سري	شعبنا شعب وفي	شعبنا شعب الجهاد
أيها القوم الأسود	في ثبات فلتزيدوا	بنفوس فلتجودوا	إنما المرء الجواد
وبإخلاص الولاء	فلتجيئوا للنداء	من أمير الأمراء	ملتجانا والعماد
ملك القطر المؤيد	تاج نصر عنه يعقد	هو مولانا محمد	هو سلطان البلاد
قد زكا فينا شعور	حيث نادانا الأمير	فلتسيروا فلتسيروا	حقق الله المراد

لقد انبرى الخطباء، والشعراء، والكتاب، والأدباء، في إلقاء خطيبهم ومحاضراتهم، وأشعارهم في الاشادة بالوفاء بالعهد، أي الوفاء لفرنسا، في ظروف محتتها، والاشادة بأعمالها التمدينية، التي قالوا انها قامت بها في المغرب بعد فرض الحماية عليه.

وأود أن أؤكد مرة أخرى أن بعض هؤلاء المحاضرين، والكتاب، كانوا يتكلمون على مضض، ولربما لو أمكنهم أن يعدوا أنفسهم عن الكلام والحديث في هذا الموضوع، لما اقتربوا منه، بينما آخرون، كانوا يعتبرون مساهمتهم في التنويه بفرنسا، وأعمالها دليلا على صدقهم في التعلق بها، والارتقاء في أحضائها. وهناك صنف ثالث من بعض المثقفين، كانوا يعتبرون فرنسا، الدولة المثالية في الدعوة إلى مبادئ الحرية والمساواة، وأن مناصرتها والإشادة بها، شيء ضروري وأكيد، ولذلك نرى بعضهم يكتب مقالات تحت عنوان : لماذا أحب فرنسا — وعاشت فرنسا، إلى غير ذلك، ونرى البعض الآخر لا يكتفي بالكتابة في التأيد، بل يسجل نفسه في لائحة المجندين في صفوف الجيش الفرنسي، وحكى لي أن أحد هؤلاء بلغ به إندفاعه في التعلق بفرنسا أن قال : قبل أن تنهزم فرنسا : إنه أعد كأسا فيه سم، إذا انهزمت فرنسا سيتناوله حتى لا يرى فرنسا منهزمة، ومن الغريب العجيب أن هذا الذي حكى عنه أنه قال هذا الكلام، تراجع عن قراره بعد انهزام فرنسا وانضمام «بيتان» إلى المحور، وصار يصرح بأنه ضد الوجود الفرنسي، وينتظر اليوم الذي تطرد فيه فرنسا من المغرب.

لقد وقفنا نحن الجماعة المسؤولة في الحزب الوطني موقفا رزينا، لا اندفاع فيه ولا تهور، ولا تأييدا أعمى بأعمال فرنسا، سواء قبل انهزامها أو بعده، فلم نشط في المدح والثناء، ولم نتبرع بالتأييد المطلق، وأذكر أن جريدة المغرب التي كان يصدرها المرحوم سعيد حجي، كانت ترد عليها بعض المقالات والكتابات في موضوع الاشادة بالتعاون مع فرنسا، من بعض الشخصيات المثقفة والوطنية، كانت تجد فيها المدح والاطراء الغير اللازمين، فكانت ترفض نشرها، لأنها كانت تعتبر ذلك المدح مجانيا لا مقابل له لصالح المغرب، وتحت يدي مقالتان : حررهما إخوان من رجال الحركة إذ ذاك كان أطلعني عليهما في ذلك الحين المرحوم السعيد، فاتفقت معه على عدم نشرهما، لأنهما سيعتبران من باب العطاء المجاني، الذي لا تحصل حركتنا من ورائه على طائل، وكان عنوان أولهما : (وطنيتنا) وعنوان ثانيهما : (المصالح المشتركة، والدفاع المشترك).

موقف الملك محمد الخامس الصريح والواضح في مناصرة الحلفاء ضد النازية

عندما كان الكتاب والخطباء يكتبون ويلقون كلماتهم في الإذاعة، كانت فرنسا بجانب الحلفاء، مشهورة الحرب على ألمانيا، وحليفها إيطاليا، سائرين في النهج الذي اختطه المغرب، عندما أعلن جلالة محمد الخامس، انضمامه لجانب الحلفاء، في الخطاب الذي ألقى بالمساجد الكبرى بالمغرب، والذي اختصر في تصريح سياسي قال فيه جلالاته : (علينا نحن المغاربة، أن ننضم إلى القضية المشتركة، ونساند فرنسا مساندة غير مشروطة، ونعدها بكل ثرواتنا البشرية، والمادية، ونضحي معها بكل ما لدينا).

كان موقف محمد بن يوسف واضحا كل الوضوح، وكان يدرك بحسه السياسي الفطري، أن مصلحة المغرب العليا، تقتضي أن يكون المغرب بجانب فرنسا، التي أعلنت الحرب هي وبريطانيا على النازية، وعلى قائدها «هتلر»، وبذلك فإن المغرب بدوره، أعلن الحرب على ألمانيا، وقرر المشاركة فيها، بما لديه من ثروات بشرية، ومادية، ولكن هذا الموقف سيتبدل من المغرب وملكه، عندما تنهزم فرنسا أمام المحور، ويركع المريشال «بيتان» للقوة الألمانية.

لقد كان الفرنسيون أولا، متحمسين كل الحماس لمحاربة النازية، وكانوا يظنون أنهم استعدوا لها كل الاستعداد، واتخذوا من وسائل الدفاع ما يقيم شر الهجمات الألمانية، ومن جملة ذلك بناؤهم خط «ماجينو الجبار» الذي كان يسميه المغاربة بعد ذلك (خط ماجين له)، هذا الخط الذي لم تقصر فرنسا في الدعاية له، والمباهاة ببنائه، وإخراج شريط سينائي له، كان يعرض في السينمات لابرار عظمته، واستدعوا جلالة الملك محمد الخامس لزيارته، فزاره جلالاته يوم 12 يوليوز 1939، صحبة المقيم العام «نوكيس»، ولاحظ ما بذله الفرنسيون في بنائه، من مال وجهد، ولكن الخط لم يكن معهم، ولا بجانبهم، فإذا كان تفكير الفرنسيين خمن إذ ذاك، أن الهجوم الألماني سيقع عليهم من الجهة التي بنوا فيها خط «ماجينو»، فإن التفكير الألماني في خطه الاكتساحي للبلدان والأقطار، أتى من جهة بلجيكا، ليحتل باريس بسهولة مطلقة، ويبقى خط «ماجينو»

شاهدا على أن المغترين مهما كان صنعهم، وتديرهم، واحتياطهم، فقد تكون الغلبة عليهم لا لهم، وذاك ما حصل لفرنسا، وهو ما حصل لإسرائيل عندما بنت خط (بارليف).

لقد أعلن الحلفاء الحرب على ألمانيا بعد تردد طويل، ولكن عندما رأوا أخيرا احتلالها لبولونيا، وبعدما رأوها تلتفت ذات اليمين وذات اليسار، ولا تلقي بالا للمعترضين والمحتجين، بل رأوا أن هتلر، ومعه موسوليني، مصممان على تحقيق أطماعهما، مهما كان الثمن، ومهما كانت التضحيات، ورأوا مع ذلك أن «هتلر» يلعب بجانب هجوماته المكتسحة للشعوب، دوره السياسي، حيث مد يده للاتحاد السوفيتي، وأمضى معه «بروتوكول» سري، وزعا بمقتضاه الأقطار التي سيمتد نفوذهما إليها، ومن جملتها «بولندا» و «فنلندا» و «بلاد البلطيق» وفي نفس الوقت كان موسوليني يدبر لتحقيق مطامحه التوسعية في تونس، وكورسيكا، ومقاطعة السافوي، ومنطقة الساحل الأزرق في فرنسا، بالإضافة إلى ألبانيا المسلمة، التي انقض عليها، وطرد ملكها، أحمد زوغو، من بلاده، في 12 أبريل 1939.

لقد كانت الأحداث تتابع بسرعة كبيرة، وكانت الجرائد تتابعها باهتمام، خصوصا إثر اكتساح «النمسا» و«السوديت» و«مورافيا» و«بوهيميا»، لقد كنا نتابع الأحداث نحن بدورنا، بإشفاق وتخوف، على مصير الشعوب الضعيفة، وفي طليعتها بعض الشعوب الإسلامية، كألبانيا، التي احتلتها الجيوش الإيطالية في شهر أبريل 1939، بعد مقاومة بطولية قام بها الملك أحمد زوغو، ورجاله الأحرار، ولقد علقت جريدة «المغرب» في افتتاحيتها التي كتبها محررها المرحوم سعيد حجي على اكتساح الجيوش الإيطالية لألبانيا فقالت تحت عنوان : (النكبة الجديدة) (ألبانيا المسلمة تمحى من الخريطة الأوربية، لا لذنوب اقترفته، أو لجناية ارتكبتها، ولكن لأطماع يسيفها الاستعمار، ومصالح ينشدها الطغاة، فإذا كان لكل اعتداء مبررات وهمية، ولكل استيلاء نتائج معلومة، تبدأ القصة في خوف الحكومة الغاصبة المزعوم، على رعاياها في البلاد المغصوبة، وبلي ذلك الخوف، الحملة الصحافية، ثم يتبع ذلك التهديد، ثم الانذار، لبيسط النفوذ، ثم الاستيلاء، ثم استعراض للجنود الداخلة، تحت إشراف الطامع الأكبر.

وينتهي الاستعراض وقد انتهى كل شيء، فالبلاد المبلوعة أدمجت، ورايتها سقطت، وسيادتها أعدم، ومصالحها استغلت، ولغتها أهينت، ولك أن تسأل بعد ذلك عن معاهدات المحبة، وكفالة الاستقلال، فتجيب : هي حبر على ورق، وتذكر خطب الود، ومبادلات تلغرافات التهئة والثقة، فتبتسم، إذ تعلم أنها مسوغات الابتلاع، لأكثر ولا

أقل، لقد سبق لاطاليا أن احتلت «ألبانيا» ولكن ألبانيا الشجاعة، عرفت كيف تطردها من بلادها، فإذا كان الاستعمار يعتمد على بوارجه الضخمة المهلكة، وطياراته السريعة المحرقة، وجنوده الكثيرة المرهبة، فإن «ألبانيا» تعتمد على روحها التي لاتموت، بينما تتلاشى قوة البر والبحر والجو، في أمد ليس طويلا في تاريخ الشعوب، فالدول — كما قال «أحرار التشيك» كالأجسام تموت، والشعوب كالأرواح تبقى) انتهى المقال.

لقد اعتمدت سياسة المحور على خطة الهجوم الساحق، وعلى الهجمات الشرسة العنيفة، التي لاتبقى ولا تذر، وعلى المباغتنا الاستراتيجية دون أي اعتبار، وهكذا احتلت كما ذكرنا، بولونيا وغيرها، واتبعها بيلجيكا وهولاندا، وقصدت فرنسا متخفية خط «ماجينو» لتحتل «باريز» وتستسلم لها القوات الفرنسية، الواقعة تحت إمرة المارشال «بيتان»، الذي كان يعتبر بطل معركة «فيردان» والذي كان يشخص أجداد فرنسا وبطولاتها في المجال الحربي.

لقد استسلمت فرنسا بزعامة مارشالها، لقوة «هتلير»، وأصبح الفرنسيون تحت نفوذ الألمان» وانتهى كل شيء في رمشة العين، وذلك في يونيو 1940 لقد نزل خبر استسلام «بيتان» للألمان، كالصاعقة على الفرنسيين في المغرب، وغير المغرب، فارتاع الكثيرون منهم، وصاروا يبحثون عن وسائل النجاة بأنفسهم، وأذكر أن بعض أعوان الجنرال «نوكيس» خارت قواهم، فصاروا يفكرون في إيجاد حلول للمشاكل المغربي، الذي عقده «نوكيس» بجزيرة طغيانه، اللذين أظهرهما في أكتوبر 1937، باعتقالته واضطهاده للوطنيين الأحرار، وإعلانه الحرب على كل من ينتمي إليهم. لم يكن المقيم العام «نوكيس» بالمغرب يوم الهزيمة، وإنما كان يقوم مقامه المعتمد بالاقامة العامة «موريزي» الذي ما وسعه وقد نزلت عليه الصاعقة، إلا أن يذهب إلى القصر الملكي، ليليلج جلالة محمد الخامس نبأ الهزيمة، وهو يبكي، ولتلقى منه موقفه إثر هزيمة فرنسا الحامية، لاشك أنه كان إذ ذاك في حالة من الارتباك، والحزن، والألم، والذلة أيضا، ولربما كان يتوقع أن يقابله الملك بنوع من اللامبالاة أو التشفي، ولكن محمدا الخامس لم يكن من طينة المتشفيين، أو الحاقدين، أو الذين ينظرون إلى مواقع أقدامهم في السياسة التي يسير عليها، ولكنه كان من الرجال المتأئين المتربصين، ذوي الأخلاق الممتازة، والنظر البعيد، والوفاء بالعهد المقطوع.

لقد أجابه جلالة الملك قائلا (إننا أصدقاء فرنسا، كنا أصدقاءها في أيام قوتها، ونحن مانزال أصدقاءها، وهي تواجه محنتها ومصيبتها، والمغاربة لا يخونون عهود الصداقة، فلتكن فرنسا مطمئنة من جهة المغرب).

إن محمدا الخامس وهو يصرح بموقفه، وموقف المغرب، بعد انهزام فرنسا، كان يدرك أنه يتعامل مع فرنسا، الحرة المتشعبة بالحرية، والعدل، والمساواة، لا فرنسا المرتمية في أحضان النازية، وإذا كان «نوكيس» بعد رجوعه من فرنسا إلى المغرب، صار من أذيان «فيشي» ينهج سياسة «بيتان» فإن المغرب لا يقبل ذلك بحال من الأحوال، وسيتجلى ذلك في التعامل الذي سيتعامل به محمد الخامس مع «نوكيس»، في التدابير التي يريد أن يتخذها، محتذيا حذو ماتطبقه السلطات النازية في تعاملها مع اليهود، وفرض قوانين استثنائية ضدهم، باعتبار أنهم من الجنس السامي، الذي يعتبر في نظر هتلير، من أخط الأجناس، لقد رفض محمد الخامس، تطبيق تلك القوانين على اليهود المغاربة، باعتبارهم من رعاياه، وواقعين تحت ذمته، فلا يصوغ أن يعاملوا غير المعاملة العادلة، التي يعامل بها جميع المغاربة، ولا يطبق عليهم من القوانين إلا ما يطبق على مختلف المواطنين.

لقد كان محمد الخامس صارما في موقفه هذا، غير ملتفت لما طبقه (بيتان) نفسه في فرنسا، ضدا على اليهود الفرنسيين، وأكد رحمه الله بهذا الموقف، على أن المغرب غير فرنسا، وأن الحماية المفروضة عليه، لا تلزمه بالسير في ركاب من يسمون أنفسهم حماة، وإن المقيم العام الفرنسي «نوكيس» خاطيء كل الخطأ، إذا ما أراد أن يطبق السياسة التي تطبق في فرنسا، فيما يتعلق بالمخططات النازية. ولعل محمدا الخامس رحمه الله، وهو يتخذ قراره الرفض للخضوع للمخططات الألمانية، كان يرمي أيضا لابرار شخصية المغرب، كشخصية مستقلة، وأن الحماية الفرنسية، لم تفقدها استقلاليتها في التعامل مع مواطنيها اليهود.

وموقف محمد الخامس هذا، لم ينسه اليهود المغاربة الذين بقوا معترفين له بالجميل في حياته، وبعد وفاته، وحتى الذين تنكروا لمغريتهم، وتأثروا بالدعاية الصهيونية، فهاجروا إلى «إسرائيل»، بقوا محفظين لمحمد الخامس بالذكر الجميل، بل كانوا يعلقون صورته في صدورهم في سلسلة ذهبية، ويعلنون في كل المناسبات ولأهم لوارث سره جلالة الحسن الثاني نصره الله.

لم يتنكر محمد الخامس لفرنسا الحرة، ولم يخضع للنازية والبيتانية في تصرفاتهما وبقي يتعامل مع الأحداث، طبق ما تفرضه مصلحة المغرب، ولما نزلت القوات الأمريكية في الشواطئ المغربية سنة 1942، وأراد «نوكيس» مقاومتها امتثالا لأمر فيشي، لم يؤيده الملك محمد الخامس، ورفض الرفض القاطع تعريض المغرب للأخطار، ودخوله في حرب لاناقة له فيها ولا جمل. لقد أعلن المغرب حربه على النازية وأنصارها، فكيف

يصوغ له أن يتعامل معها، ويحارب في صفها لأن «بيتان» و «نوكيس» صاروا في ركبها، ذاك ما لم يسلمه منطق محمد الخامس، وذاك ما يتعارض مع مصلحة المغرب.

لقد كان الموقف دقيقا جدا في تلك الظروف، وكنا نتابع أحداثهما بإشفاق، ونلاحظ أن ربان سفينة المغرب (محمد الخامس) يقودها بحكمة وتبصر وتوفيق من الله.

لم يكن اتصالنا به آنذاك وثيقا جدا، رغم شعورنا بأنه يتعاطف معنا، كما نتعاطف معه. وإثر نزول القوات الأمريكية بالشواطئ المغربية، ومحاولة نوكيس مقاومتها — اتباعا لتعاليم سلطات فيشي، بلغنا خبر طلب نوكيس من جلالتة، أن ينقل عاصمة ملكه إلى فاس، من أجل إفراغ الجو لنوكيس «كي يتصرف التصرف المطلق في مقاومته للجيش الأمريكي، فعقدت اللجنة التنفيذية لحزبنا الوطني اجتماعا مستعجلا، لدراسة الوضع، والموقف الذي يجب أن يتخذه المغرب، وقررت تكليف أختينا المرحوم الأستاذ محمد الفاسي، وكان إذ ذاك عينه جلالة محمد الخامس مديرا لجامعة القرويين — الاتصال بجلالة الملك محمد الخامس، والتأكيد عليه في ضرورة بقاءه بالرباط، وأن يرفض طلب نوكيس الانتقال لفاس، لأن ذلك سيؤول التأويل المغرض من طرف خصوم المغرب.

وحتى أثبت هذه الحقيقة التاريخية كما وقعت، أنقل هنا ما كتبه المرحوم محمد الفاسي حول هذا الموضوع، في الكلمة التي ألقاها في الندوة الدولية حول محمد الخامس التي انعقدت بالرباط بتاريخ 16 — 20 تونبر 1987، قال الأستاذ محمد الفاسي : (وقبل أن ألتحق بمقر عملي الجديد (مدير للقرويين) وقع الحادث التاريخي العظيم، أي نزول القوات الأمريكية بالمغرب، ومن المعلوم أن حكومة الحماية الفرنسية، كانت تابعة لنظام (فيشي) الموالي للألمان، فطلب المقيم العام من الملك، أن يغادر الرباط إلى فاس، فلما بلغنا هذا الخبر، اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني، ورأينا في ذهاب الملك إلى فاس، ضربة قاسية على مستقبل المغرب، لأن ذلك سيعني أن المغرب ضد الحلفاء، فقال لي الإخوان (أعضاء اللجنة التنفيذية) انه لا يخرجنا من هذا المأزق إلا أنت، يجب أن تطلب مقابلة لصاحب الجلالة بصفتك مديرا لجامعة القرويين، وتشرح له خطورة هذا العمل، فذهبت توا إلى دار المخزن، وتلاقيت مع الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ بهيفته رئيس المجلس الأعلى للقرويين، وقد كنت زرتة من قبل، زيارة مجاملة عند تعييني مديرا لجامعة القرويين، وقلت له : أريد أن أطلب من صاحب الجلالة تعليماته حول التحاق بفاس لصعوبة ذلك الآن، والاتصالات مقطوعة، فاستأذن لي صاحب الجلالة، ففعل، وأذن لي بالثول بين يديه، وبعد السلام والتعبير عن الولاء الدائم، خاطبته قائلا :

يامولاي إن المسؤولين عن الحركة الوطنية، ومن جملتهم الفقيه محمد غازي — وكان صاحب الجلالة يعرفه، لأنه كان يرافق ركابه في تنقلاته عبر مدن المغرب، لتدشين المدارس التي كانت تؤسس، وذلك بصفته صحافيا يدير مجلة «الرسالة»

وقبل أن أحكي له ما طلبوه مني، قال لي : هل تعرفهم ؟ أجبته بنعم وأنا منهم، فقال لي كلمته المشهورة في الأوساط الوطنية : أنت المبروك، ثم زدت قائلا : إن الأمر يامولاي، يتعلق بمستقبل المغرب، وإن الحلفاء قد حققوا بالنزول بالمغرب، نصرا كبيرا على المعسكر الفاشيستي، وقد علمنا أن المقيم العام، طلب من جلالتكم التوجه إلى فاس، ومعنى هذا أن المغرب ضد الحلفاء، وأنه مع «فيشي» و«ألمانيا» فنلتهم من جلالتكم أن ترفضوا هذا المقترح، فتهللت بشرته الوضاعة، وقال : هذا مالن أفعله أبدا، وأنا مع شعبي في السراء والضراء، وأخذ يعبر بحماس عن عمق وطنيته، مما كنا نعرفه بالطبع، ولكن تلك التصريحات، كانت تنطلق منه بقوة، جعلتني أذهل وأكاد أطيح فرحا، وكان أبرز ما سمعته منه، ابتهاجه بالاتصال بأبناء شعبه، الذين أخذوا على أنفسهم التضحية بكل غال، للعمل على تحرير المغرب، كما كانت تلك إرادته وتصميمه، وكان سبب ذلك الابتهاج أن سلطات الحماية، كانت ضاربة سياجا من حديد حول الملك، للحيلولة بينه وبين أبناء شعبه، فكان هذا الاتصال المباشر، بابا واسعا تفتت العلاقات بين العرش والشعب، مما كان يصبو إليه من الالتحام التام، والعمل يدا واحدة لبلوغ الغاية المنشودة، التي أخذ جلالته العمل على تحقيقها منذ نعومة أظفاره، كما أمل منه شعبه الوفي، بمجرد اعتلائه عرش أسلافه الكرام، كما قدمنا في أول هذه الذكريات، فخرجت من حضرته، مفعم القلب بالأمل الأكيد في تحقيق الحرية لبلادنا العزيزة، وتوجهت في الحين إلى منزل الفقيه غازي، حيث كان الإخوان مجتمعين في انتظار، فدخلت عليهم، وأنا كالمعتوه، وأخذت أفوه بكلمات مصطبغة بالذهول، من جراء الانفعال الذي تجلب بكيفية بارزة وسط إخواني، الذين كانوا كأنهم على الجمر، لاستماع جواب صاحب الجلالة، وأنا جالس على الأرض، أحاول استرجاع هدوئي، وهم يصيحون : قل ما قرر سيدنا، واستطعت الكلام المعقول، وأخبرتهم بقراره في عدم تلبية طلب المقيم العام، فطاروا فرحا وتيقنا في تلك الدقيقة، ان المغرب سينتق من ظلام الاستعباد، مادام عاهل البلاد المفدى، يتزعم العمل من أجل الاستقلال⁽¹⁾

(1) راجع مكتبه محمد الفاسي في الموضوع في الكتاب الذي أصدرته جمعية (رباط الفتح) حول الندوة الدولية عن (محمد الخامس الملك الراحل) ص : 146 و 147.

لقد كانت هجومات ألمانيا كاسحة، وكانت لها انتصارات متوالية في كثير من الأقطار، سواء في أوروبا أو إفريقيا، وكان موقف المقيم العام الفرنسي «نوكيس» في الواقع موقفا متذبذبا، فهو في الظاهر، مع سلطات «فيشي» يطبق تعاليمهما بالمساعدة القوية، من طرف إدارة الأمور الأهلية التي كان يرأسها الجنرال «ميلي»، وهو من جهة ثانية يعيش في اضطراب نفسي، ويخشى من أن تدور الكرة عليه، إذا ما تطورت الأحوال التطور المعاكس، وكان يتجلى هذا الاضطراب من خلال أعضاء ديوانه المقيمي الذين كانوا يتوقعون في تلك الظروف حدوث انقلاب، يعصف بهم، وبمقيميهم العام.

كيف نشأت فكرة المطالبة بالاستقلال

وأذكر بهذه المناسبة أن المرحوم السعيد حجي، زارني في منزلي ذات يوم، وكان على اتصال بدائرة المقيم، ومن جملة الذين كان يتصل بهم القبطان «دوباتيستي» وكان هذا القبطان من أخصاء «نوكيس» وموطن سره، ويظهر أن السعيد أجرى معه حديثا مطولا حول الوضع في المغرب، فلاحظ أن الفرصة، قد تكون مواتية للقفز بالقضية المغربية، والمطالبة بالاستقلال، لقد تحدث معه السعيد في الموضوع، وطال الحديث بيني وبينه حول الاعداد لهذه المرحلة المتوقعة، إن صح توقعها، ولم يبق في ذهني الآن وأنا أكتب هذه المذكرات إلا أقل القليل من الأفكار التي خطرت لنا، ومايجب علينا القيام به، إذا ما أتاحت لنا الأقدار القيام بعمل لصالح بلادنا، كان بعض إخواننا — إذ ذاك — لازالوا في معتقلاتهم، ولذلك كنا نشعر بعبء ثقيل، ومسؤولية ضخمة، ملقاة على عاتقنا، ولكننا مع ذلك لم نركن إلى الاستسلام، بل أخذنا نفكر عمليا فيمن يمكنه أن يتحمل المسؤولية معنا، إذا مادعا الواجب الوطني لذلك، وهكذا أخذت القلم في يدي، وصرت أستعرض أنا والسعيد أسماء بعض الوطنيين المخلصين، الذين يمكن الاطمئنان إليهم والاعتماد عليهم إذا ماوات ساعة العمل، فوضعنا إذذاك لائحة أولى، صممنا على الاتصال بالمسجلين فيها في الوقت المناسب، ولقد بقيت هذه اللائحة ضمن أوراقى المشتتة مدة طويلة، ولم أياس من الحصول عليها الآن ضمن تلك الأوراق، وخلال هذه الفترة الزمانية القصيرة، كانت أحاديثنا ومناقشاتنا مع بعضنا لاتتعدى موضوع الاستفادة من هذه الحرب بكيفية من الكيفيات، وكانت فكرة الاستقلال غير غائبة عن ذهننا، وأذكر أنني والسعيد رحمه الله كنا نتمشى في الرباط ذات عشية، ونبادل أطراف الحديث، فبادرني قائلا ونحن قرييون من جامع السنة، وهو قريب مما كان يسمى بالاقامة العامة : من يدري فلعله يأتي يوم من الأيام، تصبح هذه الادارات كلها في قبضة المغاربة، ولا يسيرها إلا المغاربة أو كما قال.

لم نكن والحق يقال، مهئين لخوض المعركة مع الاستعمار إذ ذاك، ولم نكن مهئين للقيام بدور فعال في تلك الظروف، فجرحنا لازال لم يندمل، بعدما عانىنا من السياسة الهوجاء البشعة، التي عاملنا بها نوكيس في سنة 1937، وبعض إخواننا لازالوا في

المعتقلات، والذين سرحوا مؤخرا لازالوا في طور النقاها، إن صح التعبير — والأحكام الاستثنائية التي فرضتها ظروف الحرب آخذة بخناق الشعب، ولكننا مع ذلك كنا نفكر في الطريق التي تتيح لحركتنا الوطنية البقاء والاستمرار، لأداء الواجب المفروض في الوقت المناسب، لقد كانت السلطات الفرنسية أصدرت قرارا بحل حزبنا الوطني، ولذلك فإنها لاتعترف بشرعية وجودنا كهيئة سياسية معترف بها، وأذكر أننا لدى إعطائنا للتصريح الذي نعلن فيه استعدادنا للتعاون مع الفرنسيين وحلفائهم، لصالح القضية المشتركة في آخر غشت 1939، كان قابلنا بعد المقيم العام، مدير إدارة الشؤون الأهلية الجنرال «ميلي»، فلوح لنا بأنه يستقبلنا كأفراد، ولا يستقبلنا كهيئة وطنية سياسية، فناقشناه في الموضوع، وكان هذا آخر لقاء بيننا وبينه، ولقد كنا موجودين بالقوة، كما يقول المناطقة، ولكننا لسنا موجودين بالقانون.

لقد وضعنا خطة للعمل مزدوجة، فمن جهة، صرنا نتحرك علنيا في دائرة تحقيق بعض المطامح الوطنية الاجتماعية، كالتعليم، والمطالبة بالإصلاح الاجتماعي، والتأكيد على ضرورة تمتيع شعبنا بالحرريات العامة، وما شاكل ذلك، وكانت جريدة «المغرب» هي الصوت الوحيد الذي نعبر منه عن أفكارنا، ولو كان تحت المراقبة الفرنسية الشديدة. ومن جهة أخرى، سرنا في تنظيم الخلايا السرية الوطنية، والاهتمام الزائد بالطلبة، وتوجيههم وتكوينهم، وإعدادهم لأداء واجبهم نحو بلادهم.

وكان من جملة الخلايا التي أسسناها (بسلا) خلية أسميناها جبهة النهوض، وخلية أخرى كان اسمها : (قبس عز) وخلية ثالثة اسمها (فتح)، وهذه الخلية الثالثة كان لها دور هام، في أداء الواجب الوطني أثناء التحضير للمطالبة بالاستقلال، وهي وغيرها من الخلايا، كانت كلها في دائرة الحزب الوطني، كما أننا صرنا نعمل على السيطرة المعنوية والتسييرية للجمعيات الأدبية، التي كانت تحتضنها الإدارة الفرنسية عمليا، وتراقبها بواسطة مندوب فرنسي معين، من إدارة الأمور السياسية، وأعني بها : النادي الأدبي الإسلامي السلاوي، وجمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف بالرباط، فصرنا نسيطر على مكاتبها الادارية، بواسطة الانتخابات التي كانت تجرى، وكانت تجرى بين تيارنا الوطني، والتيارات الأخرى التي كانت موجودة في الساحة، وكنا نتغلب فيها على منافسينا في الغالب، وفي هذه الخلايا النشيطة، ومن خلال الأعمال التنظيمية، سيطرنا سيطرة يمكن أن تكون كلية، على تسيير النادي الأدبي الإسلامي السلاوي، بانتخاب الكثيرين من أعضاء الحزب الوطني في مكتبه، وكان في طليعتهم الأخ المرحوم عبد الرحيم بوعبيد الذي انتخبناه خليفة للرئيس كما وقع انتخاب مكتب جمعية قدماء

تلامذة كوليج مولاي يوسف، وكانت أغلبية هذا المكتب حزبية، وفي طليعتها منصب الرئيس الذي فاز به الأخ المرحوم المهدي بن بركة، والذي فاز على منافسه إذ ذاك الأستاذ محمد ملين، أما جمعية قدماء تلامذة المولى إدريس بفاس، فقد ربطنا الاتصال معها في المجال السياسي، بعد رجوع الأخ المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل من منفاه سنة 1940، ثم أحكمنا الاتصال ببعض أعضائها، وفي طليعتهم المرحوم الأستاذ عبد الكريم بن جلون أولا ثم الأستاذ أحمد الحمياني، والمرحوم الأستاذ أحمد أباحيني، والأستاذ أحمد ابن بوشتي، وهؤلاء المذكورون، كانوا المفتاح لجلب قدماء تلامذة مدرسة المولى إدريس إلى حظيرة الحزب الوطني، الذي سيمسى في سنة 1944 بحزب الاستقلال، والذين سيتحملون مسؤوليتهم معنا في معركة الاستقلال، ويوقعون هم ورئيسهم إذ ذاك، الأستاذ المرحوم السيد محمد الزغاري على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

لقد كان الجنرال (نوكيس)، يعتبر أن جمعية قدماء تلامذة مدرسة المولى إدريس من الجمعيات المعتدلة في برامجها الاصلاحية، والمتعاونة مع إدارته، ولكنه فوجيء هو وأنصاره وحواريوه، عام أربعة وأربعين وتسعمائة وألف، عندما تقدم إلى الإقامة العامة، حاملوا وثيقة المطالبة بالاستقلال وكان من جملتهم، بعض الأعضاء البارزين في تلك الجمعية كالأستاذ الزغاري رحمه الله، كما ستتحدث عنه فيما يأتي من ذكريات وتسجيل للأحداث التي عشتها بنفسي، وشاركت فيها مع إخواني وجهد استطاعتي.

الاهتمام بتكوين الطلبة وإعدادهم لبناء المغرب

لقد كنا نفكر في المستقبل، ونريد أن نتهياً له، ونهياً ما يمكننا من أطر صالحة لبناء مستقبل بلادنا، ولا يمكننا ذلك إلا بالاهتمام بتكوين الطلبة، وتربيتهم، وتوجيههم، وإعدادهم للقيام بواجبهم، سواء منهم المتحقون بالمدارس الرسمية، أو بالمدارس الحرة، أو بجامعة القرويين.

رسالة من المرحوم عبد الرحيم بوعبيد

وأثبتت هنا رسالة خطية كتبها لي من فاس الأخ المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، وكان إذ ذاك يشغل منصب معلم بإحدى المدارس الابتدائية بفاس، وكنت كلفته بالإشراف على بعض طلبتنا السلاويين المسجلين في القرويين وتنظيمهم وتوجيههم، قال عبد الرحيم : في رسالة من فاس مؤرخة في ربيع الأول عام 1360 :

صديقي، إني أحمد هذه الفرصة التي أتاحت إلي أن أكتب إليك، وأعرب لك من جانب عن الود الذي صرت أشعر به نحوك الآن، ومن جانب آخر، عن الإحترام الذي لازلت أحفظ به حيالك منذ كنت أحد تلاميذك.

أكتب لك لأول مرة، لكن لأحدثك حول موضوع لا يخلو من أهمية، ويتطلب مباشرة عاجلة. أنت تعلم ما لقيناه من صعوبة في إقناع طلبة القرويين حين حاول النادي الأدبي أن يؤسس بينهم رابطة ودية، ليتعارفوا ويتعاونوا وتنضج أفكارهم بتبادل الآراء والنظريات. إلى آخر الرسالة المثبتة بخط الكاتب في ملحقات الكتاب. ثم كتب رسالة ثانية مؤرخة بربيع الثاني 1360 جاء فيها :

صديقي العزيز، لاشك أنك متعطش لمعرفة مآراج خلال اجتماعنا الأول، وأي رأي يبدو لي الآن، وقد اجتمعت بهم. أول ما أبادر بإخبارك به، أي عند انتهاء الجلسة، خرجت مسرورا راضيا، وتبين لي أن من الإمكان تعليق أمل على نجاح هذه الرابطة.



الطلبة السلاويون بجامعة القرويين بفاس

ويظهر في الصورة جالسين : (1) عبد العظيم الكتاني (2) المرحوم الحسين الشرقاوي
(3) محمد الخراف، كما يرى واقفين : (1) المرحوم محمد الناصري (2) أحمد بن عبد النبي
(3) القرشي الناصري (4) المرحوم عبد السلام السفياني.

إن استمرت على هذا السير، فلشد ما كان ابتهاجي، لما رأيت بعضهم يتكلم بجرارة، ويتجلى من كلامه، وإن اعتراه أحيانا سذاجة بريئة، إخلاص ورغبة، ولشد ما كان سروري لما لاحظت أن البعض الآخر، رغم كونه لم يتكلم إلا قليلا، يظهر اهتماما ورغبة أيضا، ليست المبالغة في الكلام من طبعي، كما يمكن أن تظنه، فتيقن أنني أصف لك حقيقة الواقع.

أخبرتكم في رسالتي السابقة⁽¹⁾، بأني أخذت أهيم ما سيشتغل به طلبتنا، لما يعودون إلى دراستهم، وبالفعل، لما اجتمعت بهم أخيرا، عرضت عليهم بعض الاقتراحات، فصادفت الأقبال من جميع الأعضاء، لأريد أن أتكمم لك كثيرا عن هذا، مادام لم يظهر نتيجة، لذا أكتفي بالحديث عن شيء منه.

حاولت أن أنجز بقدر الامكان، لكل اجتماع فوائد ملموسة، يقطعها كل الأعضاء، حتى إذا عادوا إلى منازلهم، وألقوا على أنفسهم سؤالا عما جنوه من ثمرة، خلال هذا الاجتماع، يكون الجواب تلك الفائدة الملموسة، فقررنا على درس أجهل شيء لدينا، فتكون لكل اجتماعاتنا مغزى، فوجدنا بملء الأسف، أن أجهل شيء لدينا، هو تاريخ بلادنا، فصمم الجميع، على تحقيق هذا الاقتراح، وقررنا في الحين، أن نبدأ بدرس عصر كله أهمية، وهو العصر الذي قبل مجيء الإدريسيين، ومما يدل على رغبتهم في العمل، وشعورهم بهذا النقصان، ان هذا المشروع، دخل في طور التنفيذ، رغم قرب الامتحان، وتراكم العمل، كما لا يخفاك.

وألفت نظرك هنا، أن كل فرد، متبوع بتهنيء حديث حول هذا الموضوع، وأن هذه الأحاديث مسلسل، بحيث يبنى الثاني على حديث سابقه، إلى انتهاء العصر، ثم نستأنف درس العصر الذي يليه، ومما قرناه أيضا، أن نكتب رسالة للنادي الأدبي، نطلب منه بصفتنا تحت عطفه، أن يتوسط بيننا وإدارة المعارف، في أمر هو أداء نصف الثمن، في السفارات، (السفريات) وهذه ميزة يتمتع بها أبناء المدارس الحديثة، كما لا يخفى، فما أظن أن النادي يرجع بالخيبة، وراء هذا السعي، وكم يكون ذلك مشجعا لهذه الرابطة المبتدئة، ولجميع الطلبة، إن أسفر النادي الأدبي على النجاح، وعلى كل حال، فهذه مهمة من مهماته، يجب أن يعطيها حقها من الوقت، ويستطيع بعض أفراد المجلس الإداري، بمهارتهم تارة، وحماسهم تارة أخرى، أن يمنحوا الطالب القروي، هذه الميزة، وإذ ذاك يمكننا أن نشهد، بأن النادي الأدبي الاسلامي السلوي، سعي وراء أمر

(1) راجع الرسالة المذكورة ضمن الوثائق.

صالح وحققه، لأني إلى حد الآن، أراهم يتبعون خطة سابقهم، يعني كثرة الكلام، وقلة العمل.

سلام مني لجميع الاخوان خصوصا عبد الرحمان وقاسم⁽²⁾ ولك من الصديقين، أحمد بن اليمنى، ومحمد الصفار، سلامهما وودادهما.

وكانت علاقتي كذلك مع الأخ الأستاذ قاسم الزهيري علاقة وطيدة جدا، أنصحته جهدي، ليوصل دراسته الجامعية، ويهيئ نفسه لخدمة بلاده التهييء الكامل، ولقد كنت تلقى منه رسالة مؤرخة بـ 28 نونبر عام 1940 جاء فيها بالحرف : لم أشك لحظة واحدة أنني حطمت قصر آمالك، فحملتك على اليأس، وقضيت على إحدى الصفتين اللتين كنت فخورا بهما، ولم يخالجنى ريب في كوني الوحيد الذي خيبت آمالك، وجعلتك تفكر في الانعزال، وما عداي فهو ظل زائل. أرهفت سمعي ليلة الأمس، للإنصات إلى تحليلك لنفسى... ولم أستطع أن أقول كلمة واحدة، ولعل نظراتي كانت تنبئك بدخيلتي، ثق يا أخي أنني موافقك على كل ما أقلقك، فإنك لم تقل إلا كلمة حق، كملك على مصارحتي بها، إخلاصك لأخوتنا، ذلك الاخلاص الذي لم أستطع تقديره فيما مضى... وسأجهد في توطيد المستقبل على دعائم جديدة، متينة، ثابتة، فهل من أمل في استرداد قلب عزيز، هشمته، ثم ضيعته ؟ أخوك الأبر (قاسم الزهيري) ويقول لي في رسالة أخرى طويلة ومؤرخة بعاشر أكتوبر 1946 : إنك يا أخي تحسن الظن كثيرا باستعداداتي، ولا أظن أن لي استعدادات خارقة للعادة، ولا ينبغي أن تعتبر هذا تواضعا مني، بل هو عين الحقيقة، لذلك تراني لأتطلع لما هو فوق مرتبتي، بل كل ما أتمتع به، وأحمد الله عليه، هو طوية نقية، وحب خالص للصالح العام، وزهد تام في حب الظهور، وقلنا يصحح صاحب هذه الخلال في الحياة، لذلك لا أرى لنفسى مقاما في المعترك الذي تندبني إليه... إلخ الرسالة.

رسالة من المرحوم عبد الرحمان زنيير

وأثبت كذلك كلمة قصيرة وصلتني من المرحوم الدكتور عبد الرحمان زنيير، الذي كان التحق بجامعة مونيبي، لدارسة الطب — وكان أول طبيب من (سلا) نال الدكتوراه، وجاء في هذه الكلمة : (إلى صديقي العزيز أبي بكر القادري عنوانا لما أضمره له من ود وإخاء، واعتراف بجميل عنايته) وكانت كلمته هذه مكتوبة على ظهر صورة

(2) عبد الرحمان بن عبد النبي وقاسم الزهيري.



يظهر في الصورة طلبة حزب الاستقلال في جامعة مونبلي بفرنسا :
من اليمين إلى اليسار : الدكتور المهدي بنعبود — الدكتور الديوري — الدكتور
عبد الرحمان زنيير — الأستاذ العربي حصار.
الواقفون من اليمين إلى اليسار : الدكتور عبد اللطيف بنجلون — الأستاذ أبو بكر
بومهدي — الأستاذ مولاي احمد العلوي.

فتوغرافية، ظهر فيها مع الطلبة الذين يدرسون معه، وهم : الدكتور المهدي ابن عبود، الأستاذ العربي حصار، والدكتور الديوري، والدكتور المرحوم عبد اللطيف بن جلون، والمرحوم أبو بكر بومهدي، ومولاي أحمد العلوي، وطالب آخر، لم أتعرف عليه، وكانت هذه الصورة مع ماكتب في ظهرها مؤرخة بيوليوز عام 1942.

وفي نطاق اهتمامنا بالطلبة، كنت تلقيت رسالة من المرحوم عبد الرحمان بن عبد النبي، هذا نصها : يوم 3 أكتوبر 1940 : صديقي العزيز، تحية وسلاما، تلقيت من عدة أشخاص مهناتهم، بمناسبة نجاحي في امتحان البكلوريا، ولكن لاأكون مبالغا، إذا قلت إنك أحد الأشخاص القليلين الذين طربوا حقاً لهذا النجاح، وكانوا يتمتعون لي ولستقبلي، فلقد لمست من بين أساطير رسالتك، الموجهة إلي أخيراً، روحاً تطرب بحق، وهذه الروح حذرة من جهة أخرى، مثلها الأعلى، أن توجهني توجيهها حسناً، تستفيد منه البلاد، لذا دع يا أبا بكر — عبد الرحمان يطبع على جبينك قبلة من أعماق قلبه، شكراً على إخلاصك، وليعبر لك هو أيضاً من جديد، عن حبه المتواصل، وأخيراً يشكرك على هديتك، ويتمنى لك حياة سعيدة، وللبلاد تطوراً و رفياً، والسلام.

صديقك : عبد الرحمان بن عبد النبي

رسالة من المرحوم الحسين الشرقاوي

وجاء في رسالة تلقيتها من الأستاذ المرحوم الحسين الشرقاوي وكان من البعثة التي أخذتها بنفسني للقرويين، لإتمام دراسته سنة 1937 فكتب يقول : أخي أبو بكر القادري، إن على المرء واجبات، هو مكلف بأدائها، لآخر نفس من أنفاسه، فلا يمكن أن يتخلى عن أدائها، أو التلهي عنها، وإن أعظم هذه الواجبات وأقدسها عندي هي (النصيحة) الممزوجة بالصراحة، المشعة بإخلاص، وأرى أن الله الذي كَوَّن الحياة، ووضع حجرة أساسها، قد طوقك، كما طوق إخواننا لك، من بني آدم، أن تقوم بتأدية بعض هذا الواجب المقدس، وتبليغه لمن أسند أمره إليك، أو كان على الهامش، وأراي يوم العرض البشري، وغير البشري، أؤدي واجبا هو أجل من السابق، وأشد خطراً، هو الإقرار بأنك قمت بهذا الواجب، وكنت خير أمين على تبليغه، وإيصاله إلى مضجعه الأخير.

بكل سرور، وبكل ما تعرفه في، من طبيعة المخلص الوفي، وبكلمتي الشرفية، أقول لك، إنني أقبل منك جميع النصائح والملاحظات، والانتقادات، ولا حاجة لتزكية

دعواي، مادمت تعلم كل صغيرة وكبيرة عني، فأياك أن لا تريني في رسالتك، ما يبدد هذه السحب المتكاثفة، وأخيرا تقبل سلامي واحترامي، أخوك الحسين الشرقاوي.

وفي رسالة أخرى طويلة تلقيتها من نفس الكاتب، وهي مؤرخة بـ 1359 / 1 / 25 هـ يقول فيها :

آه يا أخي، لو أنك التفت إلي قليلا، لرأيتني بئسا حزينا
آه يا أخي، لو فكرت في قليلا، لألفيتني مهبط الجناح ذليلا
آه يا أخي، لو أنك واسيتني قليلا، لطاوعتني الأقدار، ودنت لي ناصية الزمن
آه يا أخي، لو حزنت لي قليلا، لابتسمت لي للحياة، وأضاء النور جوانبي المظلمة
آه يا أخي، لو سكبت لي دمعا قليلا، لصهرت نفسي من الارجاس، وألقيت بأوساخ الوجود

آه يا أخي، لو أنك ثقت إلي قليلا، لوجدتني متيما بليقائك، إلى أن يقول : آه، ثم آه، ثم آه وأواه : لو كنت سمعت كل هذا وشعرت به، وأحسسته ولمسته، لكنت أدركت من حينك لا محالة، أنني مفتقر إليك، مفتقر إلى السماء التي ينزل منها الوحي على سجيته، مفتقر إلى البحر العذب، لأغتسل فيه من أدران الحياة الحبيثة، مفتقر إلى مصلح للحياة جديد، لأخذ عنه مبادئ الوداد، والعطف، والحنان، لأخذ عنه سبل السلام. فهأنت ترى وتسمع، وتحس وتشعر وتلمس، فافعل ماشاءت لك سنن الحياة، واعمل على ما أرادته لك مشاريع الكون، وكن جميلا، تر الوجود جميلا الحسين الشرقاوي، فاس 59/1/25 هـ

رسالة من المرحوم عبد الله التيال

وفي ختام رسالة للعالم المرحوم عبد الله التيال، وكان من البعثة الثانية التي أخذتها إلى القرويين قال : سيدي، وفاء بالاخوة الثابتة، المبينة على الأسس الدينية المتينة، فهذا هو ذا كتابي، يمثل شخصيتي، أمام عينيك الوقادتين، تمثيلا حقيقيا لا غبار عليه، ويخبرك بأنني أنا الذي أعترف بكمال فضلك، وجودك وكرمك، وأنا الذي إن أنس فلا أنسى طوال حياتي، المعروف الذي أسديته إلى هذا الابن العزيز، مما سبجازيك به الذي يعلم دخائل الأمور وخفاياها، بأضعاف مضاعفة، إنه تعالى جواد كريم، وحق حياتك أيها الأستاذ النبيل، وحق أياديك البيض ماخلوت بنفسي، إلا

وتذكرتك، فأستروح من ذكراك، ما أستروح يعقوب من قميص يوسف، ثم أستعرض أمام عيني، جدك، وهزلك، ومجونك ونكتك اللطيفة، إلى آخر الرسالة.

وفي رسالة من الدكتور المرحوم محمد زبير جاء ما يلي : ولتعلم أيضا الأخ العزيز، اننا نذكرك كثيرا مع إخواننا عبد الرحيم وعبد الرحمان وغيرهما، ونجد أن الساعات التي قضيناها معك، لا تزال بارزة في ذاكرتنا بين ملايين الساعات التي مرت في حياتنا، ولتعلم كذلك أن أكثر ما يعجبني فيك، هي صراحتك وإقدامك على قول الحقيقة من غير مصانعة، وهذا شأن الأخ النصح الذي يدل الانسان على عيوبه، ويبين له مواطن الداء، وما أحوجنا إلى أخ كهذا. إلى آخر الرسالة التي تجدها في ملحق الكتاب بخطه.



ثلاثة من الطلبة الاستقلاليين مع المؤلف في باريس أواخر سنة 1954 وهم من اليمين إلى اليسار السادة : أحمد الشرقاوي — المؤلف — أحمد القادري — محمد عواد

ظروف الحرب وتحدياتها

كانت ظروف الحرب جد قاسية علينا، لا من الناحية المادية، ولا من الناحية المعنوية، فالإدارة الفرنسية، اغتنمتها فرصة لإحكام الضغط والارهاب، وسيف الأحكام العرفية، مصلة علينا، واتهام الأحرار، بأنهم يعطلون المجهود الحربي، خطة محكمة من طرف إدارة الأمور الأهلية، التي تتحين كل فرصة ممكنة، لتوجيه اتهامات إلى الوطنيين، حتى لا يتحركون، ولا يقومون بأي عمل من شأنه أن يثبت أن هناك حركة وطنية قائمة الذات.

الموقف من لجنة الهدنة الألمانية

لقد أعلن المغرب موقفه من الحرب المعلنة، وأعلن تضامنه مع فرنسا، لمكافحة النازية، ولكن الأمر تغير بعد احتلال الألمان لفرنسا، وخضوع الماريشال «بيتان» للنظم النازية، وانقياد «نوكيس» المقيم الفرنسي العام بالمغرب لسلطة «فيشي» وفتح أبواب المغرب أمام الكيستايو الألماني، وما كان يسمى بلجنة الهدنة الألمانية التي قدمت إلى المغرب بإذن وموافقة من «بيتان» الذي كان اتفق مع الألمان، على أن تكون اتصالات لجنة الهدنة بصورة محدودة، حتى لا تفسد عليه وعلى أعوانه وأنصاره خطته في الإبقاء على الاستقرار في المغرب، وبقائه خاضعا لسلطته أي لسلطة، الألمان في الواقع.

لقد حاولت لجنة الهدنة الاتصال ببعض المغاربة، ولكن في حد محدود، وكان من جملة الذين وقع الاتصال بهم، أخونا المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، الذي أدرك من أول وهلة أن السياسة الألمانية، لاترمي إلا لغرض واحد، هو انتصارهم في الحرب، وأن قضية تحرير الشعوب — ومنها المغرب — لايعبرونها أي اهتمام، وأن مجيء لجنة الهدنة الألمانية، إنما كان لمراقبة تطبيق شروط الاستسلام، ومنع الفرنسيين من أي تحرك عسكري من المغرب.

لقد كانت الدعاية الألمانية قائمة على ساق الجدد، وكانت إذاعة برلين تقوم بدورها في إثارة الأحقاد على الحلفاء، والدعاية ضدهم، وكان أحد المذيعين العراقيين، المسمى

يونس بحري، ويكنى بالسائح العراقي، يجلجل بصوته الجمهوري في إذاعة برلين مهاجماً الحلفاء داعياً إلى مناصرة الألمان. وكان الكثيرون يتطلعون إلى سماع صوته، يسب السب الذريع الفرنسيين السائرين مع الحلفاء، وكانت تصدر برلين نشرة بالعربية تهاجم الحلفاء واليهود، وتحرض المسلمين عليهم

والواقع أن الكثيرين من المغاربة، كان يلذ لهم أن يستمعوا لراديو برلين، وهو يسب الاستعمار الفرنسي، ويهاجم اليهود وأنصارهم، والموالين لهم، من دول الحلفاء، ولكن هذا الإنصات، أو هذا الإعجاب بصوت المذيع يونس بحري الملقب بـ«السائح العراقي» لم يكن له أي تأثير لدى الأوساط الوطنية التي كانت عارفة حق المعرفة بما تهدف إليه هذه الدعاية، وكنا متأكدين من سوء نية النازية، ومدركين أخطارها من أول يوم. وحتى عندما رأينا بعض القادة العرب، كالحاج أمين الحسيني، ورشيد عالي الكيلاني، والدكتور تقي الدين الهلالي والأستاذ عبد الرحمان ياسين من تونس والسيد الحمامي من الجزائر والدكتور الوكيل من مصر طمعوا في أن السياسة الألمانية قد تعبر بعض الاهتمام للقضايا العربية، وتعمل على حل مشاكلها، بما يفرضه الحق والصواب، فإننا كنا مقتنعين بأن ذلك خطأ، دفع إليه اليأس من سياسة الإنجليز الذين ساروا في التأيد غير المشروط للصهيانية وزدنا تأكيداً مما كنا نؤمن به، عندما وصلتنا رسالة من أخيها المرحوم الحاج أحمد بلافريج، الذي كان قام بزيارة استطلاعية لبرلين، لاستكشاف مايفكر فيه القادة الألمان بعد انتهاء الحرب، فتأكد له أنهم ليست لهم أية سياسية تحررية كما يدعون، وأن الواجب على الوطنيين أن يحذروا منهم، ولا يسيروا في ركابهم ولا يعتمدوا عليهم، ولقد علق المؤرخ الفرنسي (شارل أندري جوليان) في كتابه : (المغرب في مواجهة الاستعمار) على اتصال بلافريج بالألمانيين فقال : (إذا كان بلافريج قد ذهب إلى ألمانيا ليقف على حقيقة النوايا الألمانية من سلطات برلين، فإنه لم يقدم لهم قط أية خدمة، بل على عكس ذلك، لم يقع في الأخطاء التي وقع فيها الوطنيون الفرنسيون الذين تعاونوا معهم. وفيما يتعلق باتصالات الطريس مع الألمان قال : ان عبد الخالق الطريس كان يرمي في اتصاله بالألمان إلى إيهام الألمان أن المغرب جدير بعطفهم وذلك حتى يكسب جولة في معركته ضد سلطات الحماية الاسبانية في الشمال.

لقد بقيت سياستنا في الحزب الوطني، سائرة في النهج الذي خططناه لنفسنا في تصريح غشت 1939، وبقيت سياسة الملك المعظم سيدي محمد الخامس ثابتة في الخطة التي دعا إليها، ولذلك فإنه رحمه الله رفض الرفض القاطع كما ذكرنا، بأن يسير في

خطة المقيم العام الفرنسي، والتزم الحيطه كل الحيطه، فيما كان يعرضه عليه من اقتراحات، ويقدمه إليه من سن قوانين، لا تتلاءم مع الخطة التي سلكها المغرب، بقيادة ملكه المفدى، ويظهر أن الأخ المرحوم الحاج أحمد بلافريج الذي كان في فترة إعلان الحرب، يتنقل مابين طنجة وسويسرا، كان يقف موقف الحياد أولا، فلم يعلن موقفه لا مع الحلفاء ولا مع المحور، ودليلي على ذلك أن جريدة «المغرب» اليومية، كانت نشرت مقالا مترجما للأمير شكيب أرسلان ضد إيطاليا، فأثار نشر هذا المقال بعض ملاحظات من بلافريج، حيث كتب للسعيد حجي يستفهمه عن سبب نشر المقال مبتورا، كما أن الأمير شكيب بدوره كتب للسعيد في الموضوع، مؤكدا في رسالته أنه يعتبر الاستعمار شيئا واحدا، وإن لديه ملاحظات على الفرنسيين أنفسهم، تستحق النشر، فأجابهما السعيد، بأنه لم يستطع نشر مقال الأمير شكيب بتمامه، نظرا للرقابة المفروضة على الجريدة، والواقع أن الفرنسيين كانوا يرغبون من الجميع، أن يسير في ركابهم، مهما كانت سياستهم، والواقع كذلك أننا وإن كنا اتخذنا موقفا واضحا أثناء إعلان الحرب، فإننا كنا — كما شرحت ذلك من قبل — لا نتطوع في تأييد أية سياسة لهم، بل كنا نقف موقف الحياد، حتى لا يستفيدوا منا، مع أننا لانستفيد منهم، ولقد سعي المرحوم عبد اللطيف الصبيحي، في جمع فئة من الشباب، مقترحا عليهم أن يحتجوا ضد إيطاليا واعتدائها، ولكننا عارضناه، بأننا لانقبل أن نؤيد أي موقف تقفه فرنسا أو غيرها، دون أن تعيرنا سياستهم أي اهتمام، ولقد اقترح بعض الفرنسيين على عبد اللطيف، أن يعقد اجتماعا يحضره بعض الشخصيات المغربية والفرنسية، وتوجه منه بقرقيات استنكارية لاعتداءات إيطاليا، فعملنا على إفشال هذا الاجتماع، وإن كان موقفنا واضحا ضد اعتداءات إيطاليا على الشعوب المستضعفة، ومنها طرابلس، كتبنا فيه المقالات، وعارضناه واحتججنا ضده، ولكننا مع ذلك، لم نكن نقبل أن نصبح مطية يستعملنا الاستعمارون عندما يريدون، ولا يلتفتون إلى مطالبنا، ولا يعطونا حتى حق الاعتراف بالوجود، لقد كنا نريد أن نثبت للفرنسيين، أن لنا شخصيتنا، وذاتيتنا، وسياستنا، وقراراتنا الذاتية المستوحاة من قناعتنا، وأنا لسنا مستعدين للمير في ركابهم كما يودون، وطبق ما يرغبون.

راديو برلين يذيع نبأ وفاة الزعيم علال الفاسي

في نطاق السياسة التي كان يتبعها راديو «برلين»، لإثارة الأفكار، وتهييج العواطف أذاع ذات يوم، أن الزعيم علال الفاسي، التحق بالرفيق الأعلى، فارتاع جميع الوطنيين، واضطربوا لهذا النبأ المفجع، وتساءلنا مع بعضنا، عما يجب القيام به من عمل، لإزاء هذه الكارثة إن صحت، لا قدر الله، ونظرا للعلاقة التي كانت بين السعيد، وبعض أعضاء ديوان المقيم العام، فلقد اتصل بهؤلاء مستفهما عن الخبر، وطالبا إجراء بحث عن حقيقته، وملحاً أن يصدر عن الإقامة العامة بلاغ، يكذب ما أذاعه راديو برلين، إن كان الخبر في حد ذاته كاذبا، وبعد مدة أخبرته الإقامة العامة أنها استعلمت عن الخبر، فتأكد لها أن الاشاعة كاذبة، وأن الزعيم علال الفاسي، يتمتع بصحة جيدة، وهكذا اتفق رأينا جميعا، على أن نطمئن الشعب على صحة الأخ علال، بل اتفقنا حتى على الصيغة التي نكذب بها الخبر الذي أذاعته إذاعة برلين، حول وفاة علال، لقد كنا نريد أن نضغط على الإقامة العامة لتذيع بلاغا، تطمئن فيه الشعب المغربي، بأن الزعيم علال يتمتع بصحة جيدة، وأن ما أذاعه راديو برلين، باطل من أساسه، ولكن مناوئين لنا، اتصلوا بالإقامة العامة، وأقنعوها بأن إصدار بلاغ في الموضوع، يعطي مركز الزعامة لعلال، ويزيد في قوة تأثيره في الرأي العام المغربي، ولقد علمت بعد ذلك بكثير، أن إخواننا بفاس، ارتاعوا للخبر الذي أذيع حول وفاة الزعيم علال، فكونوا وفدا ذهب إلى الإقامة العامة، لاستجلاء الخبر، ومعرفة الحقيقة، ولكن دوائر المقيم العام، لم تلقهم القبول الذي يستحقونه، ولم تنف الخبر، ولم تثبته، بل اكتفت بأن طلبت منهم أن يغادروا الرباط، وكفى، وهذا ما جعل أولئك الإخوان، ينتقدون بشدة، ما نشرته جريدة «المغرب» من نفي خبر وفاة الزعيم علال، متهمين لها بأنها تطفئ الحماس الشعبي الذي وقع، عندما أذيع خبر وفاة الزعيم، والانتقاد الموجه إلى الإدارة الفرنسية.

لقد أكد لي خبر الانتقاد الموجه إلى «المغرب»، بسبب نشرها تكذيبا لما أذاعه راديو برلين، حول وفاة الزعيم علال، والذي كنا اتفقنا عليه مع إخواننا في الرباط، وعلى رأسهم الفقيه غازي، أن العمل الوطني لا يمكن أن يبقى مبعثرا، وأن مسؤولية تسيير الحزب، يجب أن تتحدد، في انتظار أن يطلق سراح الإخوان، الذين كانوا لازالوا رهن الاعتقال، وهم : الحاج عمر بن عبد الجليل، محمد اليزيدي، وعلال الفاسي، بالإضافة إلى بلافريج، الذي كنت تلقيت منه خطابا يؤكد فيه على ضرورة بعث الحركة، وتنظيم

صفوفها، لمواجهة المستقبل، وهكذا بعد ما وقع إطلاق سراح الحاج عمر بن عبد الجليل، سنة 1941 صارت تنتظم الأمور أكثر، ثم أتى سراح الأخ اليزيدي سنة 1942 لنزيد قوة، ثم بعد رجوع بلافريج من أوروبا وطنجة سنة 1943، التأم الجمع، ولم يبق في المنفى من أعضاء حزبنا إلا الأخ الزعيم علّال الفاسي، الذي لم يطلق سراحه إلا سنة 1946، وبالمناسبة أود أن أسجل هنا رسالة خطية وصلت للسعيد رحمه الله، من طرف المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، وذلك عندما وصل تلغراف من الأخ اليزيدي يخبره بإطلاق سراحه، والتي تدل على أن السعيد بقي مرتبطا بالجماعة إلى أن لقي ربه، وإن عمله السياسي لصالح سراح المعتقلين بقي مستمرا، وتقول الرسالة :

الحمد لله وحده
الأخ الأعز سعيد،
تحية طيبة وأشواقا

وبعد، فقد وصلنا التلغراف طيه، وأخشى أن يقابل «بوشعيب» بنوع من الجفاء، بالإقامة العامة، فيقع ما نخذره، لذلك أرجو من أخوتك، أن تذهب للإقامة، وتبحث القبطان «دوباتيستي» والقبطان «أولي» عن الشخص الذي سيقابل «بوشعيب»، فتحاول التأثير عليه مباشرة، أو بواسطة، ليلين العبارة، ولا يمس عاطفة أخينا، وإلى الملتقى يوم الجمعة، حيث آتى مع قطار المساء، والله يحفظك ويرعاك، أخوك :
عمر⁽³⁾.

وأنشر هنا صورة لرسالة الحاج عمر بخط يده وصورة التلغراف الذي وصله من محمد اليزيدي :

(3) كان الحاج عمر يخشى أن لا يقابل الزعيم اليزيدي بما يستحق من اعتبار من طرف رجال الإقامة العامة، فيرفض الحديث معهم أو يحتج على خطابهم له، إذا كان غير لائق، فتسوء العلاقة، ويفسد الجو.

**Signification des principales indications de service
toutes pouvant figurer en tête de l'adresse**

Urgent
 PC. = Accusé de réception
 RP. = Réponse payée.
 RC. = Télégramme collationné.
 NP. = Remettre en mains propres.
 XPR. = Expres payé.
 TM. = Télégramme multiple.
 GP. = Poste restante.
 OUVERT = Remettre ouvert.

Dans les télégrammes imprimés ou caractères romains par l'appareil télégraphique, le premier
 caractère qui figure après le nom du lieu d'origine est un numéro d'ordre, le second indique le
 numéro de l'envoi. Les autres désignent la date et l'heure de dépôt.
 Dans le service intérieur et dans les relations avec certains pays étrangers, l'heure de dépôt est
 indiquée au moyen des chiffres de 1 à 24.

L'Etat n'est tenu à aucune responsabilité à raison des services de la correspondance privée par
 le télégraphe. (Dahir du 25 novembre 1924, art. 7).

NUMÉRO	NOMBRE DE MOTS	DATE	HEURE DE DÉPÔT	MENTIONS DE SERVICE
162	1	5	0900	T3

libéré samedi tard partira mardi
 doit monter dire de leur résidence
 Lyajidi

صورة البرقية التي وصلت إلى الحاج عمر بن عبد الجليل
 من محمد الزيدى يخبره فيها عن إطلاق سراحه

السياسة الألمانية إزاء المغرب

كما ذكرت من قبل، فإن الألمانين رغم انتصارهم على فرنسا، واحتلالهم باريس، لم يظهر لهم وجود عملي في المغرب، وبقوا يتصرفون من وراء ستار السلطات الفرنسية، التي صارت خاضعة لهم، فكنا في الواقع محميين من دولة مغلوبة ومنهزمة، هي الدولة الفرنسية، وذلك قبل نزول القوات الأمريكية بالشواطئ المغربية، ورغمنا من أن لجنة ألمانية، تسمى بلجنة الهدنة، كانت توجد بالمغرب، ورغمنا من أن طابورا من الجستابو كان يوجد بالمغرب، ليتجسس على المغاربة، ويحاول إثارة أفكارهم ضد الحلفاء عموما، ولربما كان يرمي إلى إثارة بعض القلاقل، مستغلا الحقد الموجود على الاستعمار الفرنسي، رغمنا عن ذلك فإن السياسة الألمانية لم تتضح إزاء المغرب، لقد كنا عارفين بأطماع ألمانيا في بلادنا، أو بالأحرى في معادنها وثرواتها، قبل الحرب العالمية الأولى، وكنا عارفين بأن تلك الأطماع، لازالت قائمة الذات في المناطق الشمالية المغربية، الواقعة تحت النفوذ الإسباني، وأن ارتباط (فرانكو) بألمانيا النازية، ارتباط مصالح، وتعاون وثيق، ولذلك كان طموح ألمانيا أن تستفيد من هذه العلاقات المتميزة مع إسبانيا (فرانكو)، فيما يتعلق بالاستفادة من بعض الثروات المعدنية، الموجودة في الريف، كالنحاس وغيره، وجرى الحديث — كما نقل ذلك الأستاذ محمد الوزاني في مذكراته — حول اتفاق بين الحكومة الإسبانية وألمانيا، التزمت بمقتضاه شركة المعادن الإسبانية في الريف، بتقديم بضعة آلاف من الأطنان من المعادن، خلال ثمانية أشهر، وذكر الوزاني أيضا نقلا عن جريدة «نيوزيكرونيل» اللندنية (أن شركة أنشئت تحت إسم «هيسما» ومقرها باشبيلية، مهمتها تحت رقابة الصناعة الألمانية، إمداد ألمانيا بالمنتجات المعدنية، وقد منحها «فرانكو» إحتكار إصدار جميع معادن الريف) أثبت بهذا لأدلى على أن ألمانيا، كانت لها أطماع في المنتجات المغربية المعدنية على الخصوص، للاستفادة منها في صناعتها الثقيلة، وإذا كانت ظروف الحرب المشتعلة، أخرت بروز هذه الأطماع، بالنسبة للمنطقة الجنوبية التي كانت تحت حماية فرنسا، فإن ذلك يرجع لأحد سببين : إما لأن ألمانيا، كانت اتفقت مع إيطاليا على أن منطقة شمال إفريقيا، تكون بعد انتهاء الحرب، من الممتلكات التابعة لها، وإما لأن ظروف الحرب منعتها، وهي لازالت لم تتحقق من انتصاراتها — أن تخلق مشاكل مع فرنسا قبل إبانها.

المغتربون بالدعاية الألمانية

وليس من البعيد أن تكون السياسة الألمانية في ذلك الإبان، أي إبان الحرب، كانت تمهد لتفتح الأبواب أمامها، ببعض الدعايات التي كان يقوم بها «كوييلز»، من أن بعض القادة المسلمين، ركنوا إليها، مؤملين أن ينالوا بعض حقوق شعوبهم، بالتعاون معها، كما وقع للحاج أمين الحسينين والأمير شكيب أرسلان، ورشيد كيلاي العراقي، وبعض المغاربة القليلين، الذين لم يكتفوا بحس نبض سياستها مع الدول الضعيفة، والمغلوبة على أمرها، بل مدوا يدهم لها، وأملوا منها، وعلى رأسهم السيد إبراهيم الوزاني الذي كان يوجد إذاك بتطوان، والذي أسس فيه مكتبا أسماه «مكتب الدفاع الوطني» قام بدعاية واسعة النطاق ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية، لقد عرفت سيدي إبراهيم الوزاني أوائل الثلاثينات وطنيا صادقا، امتحن وهو شاب، أصعب امتحان من طرف السلطات الفرنسية، فما وهن وما وضعف، بل بقي ثابتا صابرا، وعند انفصال الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني عن كتلة العمل الوطني، كان من المؤيدين له، والمنفصلين مثله، والمتحمسين ضد كتلة العمل الوطني والحزب الوطني، ثم غابت عنا أخباره، إلى أن صرنا نسمع أخباره عندما فتح «مكتب الدفاع الوطني»، للدعاية ضد السلطات الفرنسية في المغرب، وكان يلقي التشجيع من السلطات الإسبانية والرضا منها، وأثناء الحرب، قام ببعض النشاطات، كان من جملتها تحريض بعض المغاربة، ودفعهم لبعض الأعمال التي كان يظن أنه يخدم بها بلاده، ولكنها كانت تأتي بعكس ما كان يهدف إليه، وكان من جملة الذين استعملهم شخص يسمى (ابن سعد) الذي اتهم شخصيات وطنية كبرى، بالتعاون مع المحور، مع أنها بريئة براءة الذئب من دم يعقوب، فألقى القبض على تلك الشخصيات، وامتحن أعظم امتحان، بالسجن والتعذيب، والتنكيل، والوقوف أمام المحاكم العسكرية، ومن جملة الذين أودوا في هذه المحاولة وعرضوا على المحكمة العسكرية بمكناس، بعد تعذيبهم العذاب الأليم : الاخوة : إبراهيم الكتاني، ورشيد الدراوي، وعبد الهادي الشرايبي، وغيرهم، ولولا لطف الله بهم، لكان الإعدام جزاءهم، مثل ما وقع لغيرهم، وحتى لا أكون تجنيت على إبراهيم الوزاني، ونسبت إليه ماقد يتبرأ منه لو كان حيا، آتى بما كتبه المرحوم عبد الهادي الشرايبي في مذكراته : (ثمن الحرية) عن ابن سعد، وإبراهيم الوزاني. وأشار هنا إلى أن الأستاذ الشرايبي هذا لقي من العذاب ألوانا وأشكالا، (تحدث عنها بتفصيل في مذكراته)، بسبب مااتهم به ظلما وعدوانا، ونتيجة التهور والطيش اللذين أشرت إليهما، يقول الشرايبي ص (172)

من مذكراته : (وقد استدعاني القاضي (قاضي البحث العسكري) ذات يوم، ووجدتني أمام شخص غريب علي، ماعرفته في حياتي، في يوم من الأيام، زعم أنه يدعى (ابن سعد) وأنه ابن خالة (إبراهيم الوزاني) وسكرتير له، وادعى أنه هو الذي كان يتلقى رسائلي بحكم وظيفته، وأن رسائلي كانت تتضمن أخبارا مفصلة، عن تنقلات قوات الحلفاء، وادعى أنه تلقى مجموعة من هذه الرسائل، ثلاثة، أو أربعة، وزعم أنه يعرف تفاصيل ما احتوته كل واحدة منهما، وقد لذت بالانكار المطلق، لكل هذه الترهات، ونفيت أني أعرفه، وأنني كتبت لرئيسه (إبراهيم الوزاني) وأنني كنت أخبره بالأكاذيب والمفتريات التي لفقها، بالرغم من أني كنت أعرف إبراهيم الوزاني، هذا الذي كان معنا يوما من الأيام، عضوا في الحركة القومية، التي كنت أُنتمي إليها، وظل يعمل فيها إلى أن تطورت الحركة، ودخل أعضاؤها إلى عالم السدود والقيود، واستطاع هو أن يفلت عبر الحدود، وانتقل إلى منطقة الشمال، التي كانت تحت الحماية الإسبانية، وانقطع إذ ذاك أي نوع من أنواع الاتصال بيننا وبينه، إلى أن جاء (ابن سعد) هذا في صيف سنة 1944، وادعى زورا، أنني كنت أجري الاتصال معه) وبعدها تحدث عن المقابلات التي جرت بينه وبين ابن سعد، أمام قاضي التحقيق قال : (وكان لا يكاد يمر يوم، دون أن نسمع في الصباح الباكر، ونحن في غيابات السجن، ضحية أو ضحيتين، يجران أرجلهما المكبلتين بالسلاسل والأغلال، من المحكوم عليهم بالإعدام، حيث يشفي الاستعمار غليله من هؤلاء الضحايا، الذين حوكموا، وكلهم أو أغلبهم، من أبناء المنطقة، الذين كان إبراهيم الوزاني، وأمثاله من أذناب الاستعمار، يزجون بهم في هذه المآزق، خدمة لأغراضهم وأطماعهم (ص 175) إنتهى ما كتبه الشرايبي.

ولقد لاحظت وأنا بالسجن بعض هؤلاء الاخوة المعذيين، وأرجلهم تقطر دما، من جراء كثرة التعذيب، لا لذنوب ارتكبوها، ولا لعمل قاموا به، وإنما كان نتيجة للاندفاعات التي أتت من المهوورين، والتي كان ينقصها الحكمة والتفكير، والله الأمر من قبل ومن بعد، أقول أن إبراهيم الوزاني رحمه الله، كان تأثر بالدعاية الألمانية، وأمل أن يأتي عن طريقها بعض الخير للمغرب، فكان من جملة ما فعله، أن وجه برقية إلى هتلر عقب خطاب ألقاه، وتعرض فيه للقضايا العربية، مظهرا الاهتمام بها، والدفاع عنها، ولقد جاء في برقية الوزاني إلى هتلر مايلي : (إننا نبلغكم الاعتراف العميق من الشعب المغربي، على دفاعكم عن القضايا العربية، أثناء خطابكم الحازم، وندتمس من عطفكم، اعتبار المغرب تحت النفوذ الفرنسي من ضمن الدول المحتاجة إلى العدالة، لنفس الأسباب الواردة في خطابكم، إن حالة المغرب، لاتقل سوء عن حالة الشعوب الأخرى، بسبب

التدابير التعسفية المتخذة فيه من لدن فرنسا، المنافية لتعهدات الأوفاق الدولية، وخاصة معاهدة الحماية) وكانت هذه البرقية ممضاة بمكتب الدفاع الوطني المغربي في تطوان. ونلاحظ مما جاء في هذه البرقية أن إبراهيم (الوزاني) كان يؤمل الخير في «هتلير»، مع أن مبادئه وإيديولوجيته من خلال ما كتبه، وخططه، كانت تتنافى كلياً مع مبادئ الحرية، والديموقراطية، والانعقاد، بل تتصادم حتى مع المبادئ الانسانية السامية، حيث كان يؤمن بالمبادئ العرقية، ويحتقر كل الاحتقار، الجنس السامي الذي يدخل فيه الجنس العربي.

وحتى لا أظلم التاريخ أشير إلى أن بعض إخواننا في الشمال، ظنوا في بعض تحليلاتهم آنذاك، أنه قد يمكن الاستفادة من الظروف، للاعتراف باستقلال المغرب، من طرف ألمانيا والمحور، فكان أن سافر الأستاذ عبد الخالق الطريس مرتين إلى ألمانيا، للاتصال بالمسؤولين الكبار، وعرض القضية المغربية عليهم، طلباً لمساعدتهم في تحقيق استقلال بلادهم، خصوصاً وأن إسبانيا حليفة ألمانيا، كانت تظهر بعض الاعتدال فيما يتعلق بتحقيق بعض المطامح المغربية، وتفسح مجال الكلام، أمام إخواننا الوطنيين ليشيدوا بفكرة الاستقلال على صفحات جرائدهم، التي كانت تصدر إذاك، وليقاوموا المقاومة الشديدة تصرف الإدارة الفرنسية، في المنطقة الجنوبية، ولقد ذكر الأخ الأستاذ عبد الكريم غلاب في تاريخه للحركة الوطنية، أنه كان تلقى رسالة خاصة من المرحوم الأستاذ الطيب بنونة، يخبره فيها أنه كانت تكونت لجنة من خمسة أفراد، هم الأستاذ عبد الخالق الطريس، والأستاذ التهامي الوزاني، والفقير السيد محمد طنانة، والحاج أحمد بلافريج، والطيب بنونة، وقررت الاتصال مع ألمانيا، قصد الاعتراف باستقلال المغرب، وبناء على ذلك القرار، سافر الطريس مرتين إلى ألمانيا، كما ذكرنا ووقع الاتصال باللجنة الألمانية في المنطقة الشمالية، لأخذ تصريح منها في الموضوع، ولكن ذلك لم ينتج إلا المراوغة، والكلام المعسول، وعدم الالتزام بأي شيء، ولاشك أن المسؤولين الألمان، لم يفكروا أبداً في إقلاق راحة أصدقائهم الأسبانيين بدورهم، بالاعتراف بحق المغرب في الاستقلال.

إسبانيا تحتل مدينة طنجة واحتجاج محمد الخامس

تفكير الاسبان، لم يتجه أبداً اتجاه التحرر والانعقاد، بالنسبة للمغرب، بل العكس

من ذلك، كانت له أطماع في الاستيلاء على بعض المناطق المغربية، التي كانت تحت النفوذ الفرنسي والدولي.

ودليل ذلك ما قاموا به بعد انهزام فرنسا أمام القوات الألمانية، حيث اغتصموا فرصة فاحتلوا مدينة طنجة التي كانت تحت النفوذ الدولي، وطردوا المندوب المخزني منها، الأمر الذي دفع جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس، لكتابة احتجاج شديد اللهجة بواسطة المقيم العام الفرنسي الجنرال نويس كمكلف بوزارة الخارجية بالمغرب، ليرفعه إلى الحكومة الإسبانية، وأثبت هنا النص الكامل لاحتجاج جلالة الملك، والذي نشرته الصحافة المحلية إذذاك، ومنها «جريدة السعادة» التي كانت تصدرها الإقامة العامة :

الحمد لله وحده

سعادة المقيم العام للدولة الفرنسية بالمغرب، ووزير خارجية دولتنا الشريفة، الجنرال نويس. دامت سلامته. وبعد، فبمناسبة دخول إيطاليا في الحرب، أخبرت الدولة الإسبانية بطريق الخابرة السياسية الخارجية، بأنها تريد بصفتها غير محاربة، أن تتخذ بعض الاحتياطات في منطقة طنجة، للمحافظة على النظام، والأمن فيها، وفعلا اتخذت تلك الاحتياطات ونشرت من غير أن يعترض عليها، مادامت منحصرة في دائرة الحثيات المسببة لها، إلا أن الحكومة الإسبانية، ظهر لها أن تزيد في تلك الاحتياطات، إلى حد أوقفت فيه سير النظم المؤسسة بأوفاق دولية، مقررة بظهير شريف، ولم تقف عند ذلك الحد، بل أمرت مندوبنا هناك، أن يفرغ المندوبية المخزنية، قائلة : انها قررت حذفها من منطقة طنجة، التي صممت على إدخالها في منطقة نفوذها من إيالتنا الشريفة.

وان الواجبات التي تقلدناها يوم صعودنا على عرش الملك المغربي، وتعهدنا بتدبير شؤون رعيتنا، والمدافعة عن حقوقها، تلزمنا أن نحتج أقوى الاحتجاج، على هذه التقارير، الصادرة من جهة إسبانية وحدها، من غير موافقتنا، وفي كامل المخالفة، لقواعد حقوق الدول، متحافظين على كل ما لعرشنا السلطاني من الحقوق والامتيازات، المتعلقة بالنظام الأساسي لمنطقة طنجة، ولذلك نرجو من حكومة الدولة الفرنسية، أن تبلغ نص هذا الاحتجاج للدولة الإسبانية، والسلام.

ولقع وقع دفع هذا الاحتجاج لوزير خارجية إسبانيا بمدير، بواسطة سفير فرنسا فيها.

ومن خلال هذه الرسالة الاحتجاجية، ندرك أن الملك المنعم سيدي محمد الخامس قرر رغم ظروف الحرب الحالية، وتطبيق الأحكام العرفية من طرف السلطات الاستعمارية أن يعلن للملأ أنه الممثل الوحيد للسلطة الشرعية في المغرب، وأنه لا يسمح بأي اعتداء على التراب المغربي من أي دولة مهما كان شأنها وأنه يتتبع الأحداث بعين يقظة، مدركاً مسؤوليته الكبرى في الدفاع عن بلاده، والوقوف ضد كل من يود أن يصيبها بمكروه، أو يعتدي على أي جزء من ترابها، رغم وجود القوة الفرنسية، وتذبذب السياسة الفرنسية، التي كانت خاضعة كل الخضوع للسلطة الفيشية البيتانية.

المغرب في ظل متاعب الحرب ومشاكلها

عانى المغرب والمغاربة من الحرب، كثيرا من المشاكل والمتاعب والمصائب، فزيادة على فقدان الحرية، والضغط على المواطنين، وتتبع تحركاتهم، آناء الليل وأطراف النهار، فلقد استولت الادارة الفرنسية على كل مقدرات المغرب ومنتجاته، وجميع موارده، لتستفيد منها الجالية الفرنسية، واليهودية والمحظوظون من المغاربة، دون غيرهم من الطبقات الشعبية، لقد أصبحت مواد التجارة كلها دون استثناء، في قبضة الإدارة، ولا يستطيع أي مواطن، أن يشتري أي شيء، سواء من المواد الغذائية، أو الملابس، أو غيرها، إلا إذا كانت بيده بطاقات تدفعها الادارة، ليشتري بها ما يحتاج إليه من تلك المواد. لقد استغل الفرنسيون خطاب جلالة الملك المنعم في بداية الحرب، أسوأ استغلال، وتصوروا أنه عندما قال : (اننا نساند فرنسا مساندة غير مشروطة، وغدها بكل ثرواتنا، البشرية، والمادية، ونضحي معها بكل مالدينا) أنهم مسموح لهم أن يجوعوا شعب المغرب، ويُعزوه، ويتصرفوا في مقدراته طبق ما يريدون، ووفق ما تحتاج إليه جاليتهم أولا وبالذات، اما المغاربة المساكين، غير المحظوظين، مثل طبقات الأعيان، والموظفين. فلياكلوا التراب إن شاءوا، وهكذا كنا نرى بأعيننا جماعات متراسة، واقفة واحدا أمام الآخر. أمام الإدارات المختصة، تنتظر ما تحصل عليه من بطائق (أبوان)، لتشتري بها ما تتوقف عليه من مواد غذائية، أو ألبسة ضرورية لأهلها وأبنائها.

وبمناسبة ذكر (الأبوان)، وهي البطائق التي كان يشتري بها المواطنون، ما يحتاجون إليه من مواد غذائية وغيرها أثبت هنا قطعة شعرية بالملحون، (اللغة الدارجة المغربية) كانت مسجلة على أسطوانة، وتذاع على أمواج الأثير، وكان صاحبها هو الشاعر الموهوب : الحسين السلاوي، وتتعلق بقضية ومشكلة الأبوان :

قال الحسين السلاوي في أغنيته التي أثبتها مع قصائد أخرى في الموضوع صديقنا المؤرخ، السيد عبد الله الجراري في كتابه «شذرات تاريخية» :

نَسَا وَرَجَالَ مَتَسَابِقِينَ عَلَى الْبَوَاتِ كَأَمْلِيْنُ

فَقَنَّا بَكْرِي فِي الظُّلَامِ	نَهَارَ الْعِيدِ رَمَضَانَ
قَبَضْنَا السَّرِيْسَ عَلَى الْكَثَّانِ	وَاللَّهِ الْقَصِيْرَ مَا يَّانَ
وَإَيْنَ لَقَصِيْرَ مَا يَّانَ	طَوِيْلَ ثَانِي عَاكِرِ بَعْ يَضِيْعِ
قُنُوغَتْ عَضْ عَضْ فَقَنَفْتُو	بَاشْ خَلَلُو نُوَيْتُو
الْكُزَّارَا مُجَبِّدِيْنَ	مَنْ لَفُوْقْ تَلْقَى هَبْرَتِيْنَ
مَنْ لَتَحَتْ غَيْرَ عَظْمَتِيْنَ	أَعْطِ لِفَلَانِ بْنِ فُلَانٍ وَاعْطِ لِمَقْدَمٍ بِالتَّمَامِ
نَّاسٍ لِحَوْمِ كَامِلِيْنَ	دِرَاوْشَ بِحَالِي كَامِلِيْنَ
أَحْضِرْ رَاسَكَ لِأَيُّفُوْرُ فِيكَ	الْقَوْمَانِ يَافُلَانِ

وبالمناسبة كذلك أود أن أسجل هنا أن رجال الادارة الفرنسية، كانوا يعاملون التجار الوطنيين، معاملة فيها كثير من الظلم، والحيف، فإذا ما فرقوا بعض الأبوان على التجار، لشراء بعض الأنواب مثلا، لبيعوها للمواطنين، فإن حظ الوطنيين يكون قليلا، وقليلا جدا، وحتى إذا ما واتهم الحظ، فتكرموا عليهم ببعض «الأبوان» فإنها لاتكون في المستوى اللائق، وقد ينالون بها مايشتم من رائحته الاحتقار والتشفي.

لقد كان أحد إخواننا الوطنيين الخالص، يتجر في الثياب، ولما جاءت الحرب الضروس، وقفت حركته التجارية بالمرة، لأن حظه من نيل الأبوان، كان حظا أقل من القليل، بعكس غيره من بعض التجار المجاورين له، ولما كثر احتجاجه، ومطالبته بأن يعامل مثل بقية زملائه التجار، أعطوه «بونا» يشتري به بعض السلع، ولما ذهب للدار البيضاء، ليشتريها، ظنا منه أنه سيربح فيها، فتح الصندوق الذي كان مقفلا، فإذا هو مملوء «بشاشيات اليهود» أي الطرابيش السوداء التي كان اليهود يجعلونها على رؤوسهم، وفي ذلك ما فيه من الاستهزاء والاحتقار، لهذا الوطني الذي لايقصده اليهود لشراء أية بضعة منه.

تجنيد المغاربة والرمي بهم في أتون الحرب

ومن جهة أخرى، فلقد قامت السلطات المذكورة بحملة واسعة النطاق لتجنيد كثير من الطبقات الشعبية، وإلحاقها بالجيش الفرنسي، لتشارك في حرب ضارية لاناقة لها فيها ولا جمل، حتى بلغ عدد المجندين المغاربة، أزيد من ثلاثمائة ألف نسمة، جابوا بهم

أنحاء الأرض كلها، في أوروبا، وآسيا وإفريقيا، فكان المجندون المغاربة يوجدون في صحراء ليبيا مثلاً، وفي كورسيكا، وفي ألمانيا، وفي صقلية، وفي إيطاليا، وفي سوريا، وفي لبنان، وفي الهند الصينية، لا ليتفرجوا ويتفسحوا، ولكن ليريقوا دماءهم الغالية، في سبيل حرية افتقدوها في بلادهم، ولم يتمتعوا بها، لا في ظروف الحرب، ولا في ظروف السلم، ومن الغريب العجيب، أن هذه التضحيات الجسيمة، التي كان يقدمها الشعب المغربي، معونة للدولة التي تحميها، لم تنل حظها من التقدير، والاعتراف بالجميل، سواء أثناء الحرب أو بعدها، رغم اعتراف الجنرال «دوكول»، بأن المغرب وملكه المنعم، وقفوا في الحرب موقف المناصر المشارك الثابت، أمام القوات النازية، وأمام الذين شايعوها من الفرنسيين، المتعاونين، من أنصار «بيتان»، حتى استحق جلالته الملك، أن ينال من يد «دوكول»، وسام التحرير، ويعتبر دون غيره، رفيق التحرير، ويدعوه لئلا ينتهاء الحرب للقيام برحلة إلى فرنسا في يونيو سنة 1945 ليشهد أمام الملا، أن ملك المغرب محمدا الخامس، وفي كل الوفاء، بما التزم به، ساعة اندلاع الحرب العالمية الثانية.

هذا الموقف الذي وقفه الجنرال «دوكول» من ملك المغرب، واعترافه بما أسداه من معونة كبرى لفرنسا حتى تحررت، لم يمنعه أن يكون له موقف آخر، معاكس لمطامح الشعب المغربي في الحرية والانعقاد، والذي تجلى عندما تقدمنا بوثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944، كما سنتحدث عنه في حينه إن شاء الله.

نزول القوات الأمريكية بالشواطئ المغربية

لم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية الحرب رسميا وعمليا، إلا بعدما رأت أن اكتساح القوات الألمانية لكثير من الأقطار، وتهديدها القوي للقضاء على الحلفاء، وأخيرا انضمام اليابان إليها، وإقامتهم قواعد حربية في وسط، وشمال، الفيتنام، ثم تسلل الأسطول الياباني، إلى جزر «هاواي»، وهجوم طائراته على الأسطول الأمريكي، الذي كان راسيا في «بيرل هاربور»، وقتله لحوالي ثلاثة آلاف أمريكي، إلى آخر ماوقع بعد ذلك، إزاء كل هذا، قررت أمريكا الدخول إلى الحرب، بجانب حلفائها، وخصوصا انكلترا. لقد كانت الولايات المتحدة، تظهر الحياد والانعزال، وإن كانت ميالة إلى تأييد الحلفاء، تمدهم بالأسلحة والعتاد. ولكنها وقد رأت أن سياسة الانعزال، لا تجلب لها هي نفسها إلا الدمار، فقررت عندئذ الدخول إلى الحرب عمليا، وإقناع الرأي العام الأمريكي بهذا الدخول.

وبدخول أمريكا الحرب، صارت كفة الحلفاء تتقوى على ألمانيا، وصارت القوات الألمانية تتراجع شيئا فشيئا إلى الوراء.

كان دخول أمريكا الحرب أواخر سنة 1941 أي بعد مضي عامين وزيادة، على اشتعالها، وقبل ذلك بقليل حصل لقاء هام جدا بين الرئيس «روزفيلت» والوزير الأول البريطاني «تشرشل»، على متن السفينة الحربية «بوتوماك» التي كانت راسية في المياه الكندية، وفي هذا اللقاء، وضعت وثيقة ماسمي ب«الميثاق الأطلسي»، ووقع الرئيسان عليها، وفي هذه الوثيقة، حددت المبادئ التي يجب أن يعمل الحلفاء على تطبيقها، لصالح الشعوب، بعد انتهاء الحرب، وانتصار الحلفاء، ولقد جاء في هذه الوثيقة المؤرخة بـ 14 غشت 1941 التي وقعها كل من الرئيس الأمريكي روزفيلت، ورئيس الوزارة البريطانية ونستون تشرشل مايلي :

«1) ان بلديهما لن يسعيا، لتوسع إقليمي أو سواه

2) انهما لا يرغبان في رؤية تبديلات جغرافية، تتنافى مع الرغبات الحرة للدول المعنية.

3) يحترمان حق الشعوب كافة، في اختيار نظام الحكم الذي يريدون أن يعيشوا في ظلّه، ويتمنيان عودة الحقوق الأساسية، والحكومات المستقلة إلى أصحابها الذين انتزعت منهم بالقوة.

4) يسعيان لتأمين التجارة، والمواد الأولية اللازمة للازدهار الاقتصادي في كل الدول، كبيرة كانت أو صغيرة، منتصرة أو مغلوبة، دون التعرض لأي من الالتزامات القائمة.

5) يودان التعاون الواسع بين الأمم، على الصعيد الاقتصادي، مع التشديد على تأمين الأهداف التالية : شروط عمل أفضل، وازدهار اقتصادي، وضمان اجتماعي.

6) بعد القضاء التام على التعسف النازي، يتمنيان تحقيق سلم، يوفر لجميع الأمم أسباب عيشها بأمان، داخل حدودها، ويؤمن الضمانة لكل الشعوب، لتتمكن من العيش بحرية، دون خوف أو حاجة.

7) إن سلما كهذا، يتيح للجميع عبور البحار المحيطات دون عوائق.

8) يؤمنان بأن كل دول العالم، مدعوة لأسباب واقعية ونفسية، للإقلاع عن استعمال القوة، إذ لا يمكن استمرار السلم في المستقبل، مع إصرار بعض الدول على اعتماد التسليح البري والبحري والجوي، والتهديد بالعدوان، ويعتقدان أن نزع سلاح أمم كهذه، أمر ضروري، بانتظار وضع نظام أمن واسع ودائم، وكذلك يساعدان في كل التدابير العملية الأخرى، ويشجعان عليها، من أجل رفع عبء التسليح عن الشعوب المسالمة.

أُتيت بالنص الكامل لـ «ميثاق الأطلسي»، لأشير إلى أننا في حزب الاستقلال، استفدنا منها، لدى تقديمنا لوثيقة 11 يناير 1944، للمطالبة باستقلال المغرب، وطالبنا في نفس الوثيقة بانضمام المغرب، للدول الموافقة على ميثاق الأطلسي، والمشاركة في مؤتمر الصلح، كما أننا أثناء محاكمتنا بالحاكم التي كونتها الحماية الفرنسية، كنا نستند، وكذلك محامونا الذين يدافعون عنا، بالفقرة الواردة في ميثاق الأطلسي وهي الفقرة الثالثة، التي تعطينا كامل الحق في اختيار نظام الحكم الذي نريد أن نعيش في ظلّه، وهو حقنا في الاستقلال والحرية في ظل الملكية الدستورية. وأسجل بهذه المناسبة أنني

شخصيا لدى عرضي على محكمة الجنايات بالرباط، أثرت لدى تدخلتي في الدفاع عن نفسي قضية الميثاق الأطلسي، وما جاءت به، وأن أحد المحامين الذي تولى الدفاع عني، إغتنمها فرصة ليتوسع في عرض نصوص الميثاق، ولعله كان المرحوم الأستاذ إدريس المحمدي.

لقد كان الرئيس «روزفيلت» دون شك هو المملي الأول لبنود الميثاق، وبالأخص ما يتعلق منها بحق الشعوب في تقرير مصيرها، لأن الأمريكيين لم تكن لهم إذ ذاك نزعة استعمارية مثل اليوم، مثل الانكليز والفرنسيين، ولأن المبادئ، التي دافع عنها «ويلسون» في الحرب العالمية الأولى، كان يعتنقها الرئيس روزفيلت على ما يظهر.

لقد كنا نتتبع هذه الأحداث بكامل الاهتمام، وكانت جريدة «المغرب» اليومية تعلق على بعضها، حسبما يسمح به الرقيب الفرنسي، وبدا بصيص من الأمل يظهر عندما صارت ترجح كفة الحلفاء.

لم يكن الفرنسيون في المغرب وفي طليعتهم الجنرال «نوكيس» مرتاحين لهذا التطور، لأن نوكيس كان في سياسته المتبعة في المغرب، ذيلا تابعا منقادا لسياسة «فيشي» لا اقتناعا، وإيمانا بما يفعل، ولكن لأنه كان حريصا كل الحرص، على أن يحتفظ بمنصبه كمقيم عام بالمغرب، ويجب أن أشير هنا إلى أن «بيتان» وبعده «دوكول» و«جيرو»، كانوا مصرين على أن يبقى المغرب والشمال الإفريقي جميعه، تابعا لفرنسا، بعد انتهاء الحرب، وكانت ألمانيا رغم هزيمتها للفرنسيين، لاتمانع في بقاء ارتباط المغرب بفرنسا، مادامت سيطرتها العليا عليها، ومادامت استراتيجيتها الحربية، لاتهدد من منطقة الشمال الإفريقي، خصوصا وإنها كانت اتفقت مع حليفتها إيطاليا، إذا ما انتصرت على الحلفاء، فإن منطقة المغرب العربي، لاتكون من نصيبها بعد التوزيع، وإنما ستكون من نصيب «إيطاليا» حليفتها، حسب الأطماع التي كانت عند موسوليني.

سنة التحول في الحرب العالمية الثانية

كانت سنة 1942 سنة تحول في الحرب الطاحنة، الدائرة في العالم، فرغما من أن النازيين وحلفاءهم سيطروا على أوروبا، وشمال إفريقيا، وجنوب شرق آسيا، ورغما من الانتصارات التي كان يحققها «رومل» في كثير من المواقع، فإن الحلفاء صاروا يردون الهجوم، ويسترجعون بعض المواقع، سواء بقيادة «مونتغمري»، الذي رد الألمانين على

أعقابهم خاسرين في معركة «العلمين» أو بقيادة الجنرال «إيزنهاور»، الذي أخذ القيادة العليا، وقرر طرد الألمان من شمال إفريقيا، وتطويق قوات «رومل»، والإيطاليين، في المراكز التي كانوا يحتلونها، وهكذا وصلت القوات الأمريكية إلى المغرب، والجزائر، لتطرد النازيين والبيتانين الفرنسيين، وتقضى القضاء المبرم على ما كان يسميه الألمان بالجهة الإفريقية.

موقف نويس من نزول القوات الأمريكية بالمغرب

كان نزول القوات الأمريكية بشواطئ الدار البيضاء، وآسفي، والقنيطرة، مفاجئا لنويس، فقرر أن تقوم الجيوش التي تحت إمرته بمقاومتها، غير معط أي اعتبار لصاحب السلطة العليا بالبلاد، جلالة الملك محمد الخامس، الذي أظهر في ذلك الوقت من البراعة السياسية، والروح الوطنية الصادقة، ما اعترف به الأمريكيون أنفسهم، إنه رحمه الله لم يقبل أن تداس كرامة المغرب، ويقرر في شأنها ما يتنافى مع مصلحته، ومع وفائه للخطوة التي قرر السير عليها، عندما أعلنت الحرب، وهكذا لم ينصع لما قرره «نويس»، من مقاومة الجيوش الأمريكية، فرفض كما ذكرنا من قبل، أن ينقل عاصمة ملكه إلى فاس، عندما طلب منه «نويس» ذلك، ولم يوافق على مقاومة الجيوش الأمريكية النازلة بالشواطئ، مؤكدا للمقيم العام الفرنسي، أن المغرب غير مستهدف لأخطار، ونزول الجيوش الأمريكية ليس نزول احتلال، ولا حرب ضده، بل ان هذا النزول يتماشى مع الخط الذي ارتضاه لنفسه، عندما أعلن الحرب هو نفسه ضد ألمانيا المعتدية على الشعوب، متضامنا مع القوات الحليفة التي أعلنت هي نفسها الحرب ضد ألمانيا، فنزول القوات الأمريكية بالشواطئ المغربية، يتماشى مع الموقف الذي وقفه لدى اشتعال الحرب، وكل موقف آخر، يعتبر تنكرا لما ارتضاه لنفسه، ثم خاطب المقيم العام الفرنسي قائلا : كما جاء في كتاب «التحدي» لجلالة الملك الحسن الثاني : (قال والذي للجنرال نويس يوم تاسع نونبر : ان الدم الفرنسي، ودم الجنود المغاربة، ودماء المدنيين تراق، وقد أعلن الرئيس «روزفيلت» والجنرال «إيزنهاور» أن القوات الحليفة أتت إلى المغرب كقوات صديقة، وأنت تعرف أكثر مني، أن هذه القوات لا تغلب، فعليك إذن، أن توقف القتال، أما بالنسبة لي كملك للأمة المغربية، فإن أول واجب علي، هو حقن الدماء.

كان موقف «نوكيس» غير متجاوب مع موقف جلالة الملك، المنافع الأول عن مصلحة المغرب، ولذلك كان مصرا على مقاومة نزول الجيوش الحليفة، منفذا للأوامر التي يتلقاها من الجنرال «دارلان»، الذي كان مقيما بالجزائر، والذي كان وافقه على المقاومة، ورفض الانذار الأمريكي، وهكذا دخلت الجيوش الواقعة تحت إمرة «نوكيس» في حرب مع الجيوش الأمريكية، الأمر الذي لم يرتضه الملك ولم يوافق عليه.

لم تدم المقاومة النوجيسية، إلا ثلاثة أيام : 8 و 9 و 10 نوفمبر، ثم توقفت بعد ذلك بأمر من الجنرال «دارلان» نفسه، واستسلمت للجنرال «إيزنهاور»، ولقد انتهى الأمر بعزل الجنرال «نوكيس» من منصبه كمقيم عام، ثم فراره إلى البرتغال، حيث بقي لاجئا فيها، حتى انتهت الحرب، وسقطت مكائته لدى الأمريكيين، الذين أصبحت لهم الكلمة العليا، ولقد جاء في تقرير وضعه «روبرت مورفي» كبير المستشارين المدنيين للرئيس «روزفيلت» في شمال إفريقيا، أشار فيه إلى الشخصيات الفرنسية الموجودة بالمغرب لدى نزول الجيوش الأمريكية فقال : حسبما ورد في كتاب «روم لاندو» ص 262 : (نوغيس جنرال مقيم عام في المغرب، لايرجى منه كبير نفع، ويتنظر معه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، أن يسير بحسب الأوامر التي تصدر من «فيشي» كما أن الجنرال «إيزنهاور» نفسه، في كتابه «حرب صليبية في أوروبا» وصف نوغيس بما يلي : (لا يعتمد عليه، بل هو شر من ذلك، انه قبيح الصيت).

اتصال أمريكي مغربي بعد نزول القوات الأمريكية

كما قلت سابقاً فإن جلالة الملك محمد الخامس، رفض الرفض القاطع، مقاومة الجيوش الأمريكية، النازلة بالشواطئ، لأنه كان يعتبرها جيوشا حليفة، وليست جيوشا معتدية، وهذا الموقف الذي وقفه جلالة الملك أخذه الأمريكيون بعين الاعتبار، وأكد لهم من جهة، أن جلالة الملك حليف وقي لقضايا التحرير، ومقاومة العبودية والظلم، ومن جهة ثانية، أنه يقدر مسؤوليته حق قدرها، ويحرص على أن تبقى للمغرب مكانته، وحرية في اتخاذ القرار الذي تفرضه مصلحته هو، لا مصلحة مستغليه من الفرنسيين، ومن المعلوم — وهذا مهم — أن أميركا لم يسبق لها أن اعترفت بنظام الحماية المفروض على المغرب، ولذلك رأى ساستها أن يغتنموا هذه الفرصة، ليتصلوا بجلالة الملك، دون واسطة السلطات الفرنسية، وهكذا قرر الرئيس «روزفيلت»، أن يبعث برسالة إلى جلالة

الملك، نوه فيها بالعلاقات التي تربط بين الشعبين خلال التاريخ، وبالموقف الذي وقفه جلالته، بانضمام المغرب إلى صف الحلفاء. ولقد جاء في رسالة الرئيس روزفيلت إلى جلالة محمد الخامس حسب ما جاء في ذكريات ومشاهدات الأستاذ عبد الهادي بوطالب ماييلي : أن الرئيس روزفيلت يتذكر العلاقات الودية التاريخية، التي قامت بين المغرب وبلاده، منذ قرنين، ولا ينسى ما ربط رئيسي الدولتين : السلطان سيدي محمد بن عبد الله، والجنرال «واشنطن» مؤسس الدولة الأمريكية، من مودة واحترام، حتى إن السلطان أهدى لرئيس الولايات المتحدة، دارا مغربية بطنجة، ظلت منذ ذلك الوقت مقر البعثة الأمريكية.

إن الرئيس روزفيلت، قبل بارتياح، ما أعرب عنه السلطان الحالي للمغرب (محمد بن يوسف) من حرصه على قيام تعاون وثيق، بين الشعبين، المغربي والأمريكي، وأنه متهج بانضمام المغرب إلى صف الحلفاء، وختم الرئيس الأمريكي خطابه، بأن مجيء قوات الولايات المتحدة الأمريكية إلى المغرب، هو تطهير الشمال الأفريقي من النازية، وإنفاذه من سيطرة المحور، الذي يريد التحكم فيه سياسيا واقتصاديا، ثم أضاف : ومن دواعي الغبطة، أن نوحّد جهودنا، ونتضامن للقضاء نهائيا على العدو المشترك، وأن النصر الذي سيحصل عليه الحلفاء، سيكون فاتحة عهد جديد، من السلام، والرفاهية للمغرب والمغاربة).

لقد حمل هذه الرسالة إلى جلالة الملك محمد الخامس (الجنرال كيبس) (KEYES)، وكان الذي سيجملها إليه هو الجنرال (باطن) (GEORGES PATON)، ولكن وعكة صحية طرأت عليه، فأناوب عنه «كيبس».

إنها رسالة واضحة المبني، والمعنى، من الرئيس روزفيلت، لاتعبر عن مطلق شكر، لموقف المغرب في الحرب المشتعلة، ولكنها تؤكد أن للمغرب كيانه الخاص به، ووجوده الحضاري، والسياسي، والدولي، خلال القرون، وأن مواقفه الثابتة الصامدة، تستحق الإشادة من أكبر دولة عالمية إذ ذاك، كان دخولها ومشاركتها في الحرب، هو الذي غير رجحان كفة النازية، وجعل الحلفاء ينتصرون على القوات المعادية المخربة، والعنصرية، والدائسة لحرمان الشعوب، كما وأنها (أي الرسالة) تعبر عن روح مرسلها : الرئيس روزفيلت، الذي شاءت الأقدار، أن لايعيش فترة طويلة، حتى يتحقق ماكانت تطمح إليها الشعوب المستضعفة، ومنها شعب المغرب.

ونلاحظ أن رسالة الرئيس «روزفيلت» إلى محمد الخامس، لم تصل إليه عن طريق

عادية، بل قدمت إليه يوم السبت 23 نونبر 1942 بطريق رسمي، حين وقع استقبال رسمي بالقصر الملكي للجنرال الأمريكي «كيس» خليفة القائد الأعلى للقوات الأمريكية بالمغرب، استقبل فيه الجنرال المذكور بما تستقبل به الشخصيات الكبرى، وأديت له مراسيم التحية، من طرف لفيف من الحرس الملكي، وكان على رأس المستقبليين مدير التشريفات الملكية السيد محمد معمري الزواوي الذي أدى له بدوره التحية، ثم قدمه إلى جلالة محمد الخامس نور الله ضريحه، ولاشك أن هذا الاستقبال الرسمي، لم يرض المقيم العام «نوكيس» ولكنه صار يشعر أن جلالة الملك، اتخذ قراره النهائي في شأن هذا الاستقبال، وأنه لا أراد لما يقرره رحمه الله.

لقد تغيرت الأوضاع السياسية بالمغرب، بعد نزول القوات الأمريكية، ولم يبق النفوذ المطلق للقوات الفرنسية، الخاضعة لسيطرة بيتان، ويمكننا أن نقول : إن المغاربة الأحرار، وفي طليعتهم جلالة محمد الخامس، تنفسوا الصعداء، وأملوا أن يصبح تغيير الأوضاع حقيقة واقعية، وأكد هذا الأمل اللقاء التاريخي، الذي وقع بين جلالة الملك محمد الخامس، والرئيس روزفيلت، والرئيس تشرشل، والمسمى بلقاء «آنفا» في الدار البيضاء.

لقاء «آنفا» التاريخي

بعدما صارت كفة الحلفاء ترجح، صارت الاجتماعات تتوالى، لتقرير مصير الحرب، وتوحيد الأفكار، وتمتين علاقات المنتصرين، ووضع استراتيجية موحدة، عسكرية، وسياسية، لضمان الانتصار وتثبيت مواقع الحلفاء، وهكذا انعقد مؤتمر في الدار البيضاء، ما بين 14 و24 يناير 1943، حضره بالخصوص الرئيس الأمريكي روزفيلت، ورئيس الوزراء البريطاني، ونستون تشرشل، ومساعدوهما وأعوانهما من الضباط الكبار والمدنيين المسؤولين.

لم يستطع أي أحد أن يعلم أي شيء عن انعقاد هذا المؤتمر الذي دام عشرة أيام، باستثناء منظميه، لأنه كان في منتهى السرية والكتان، وكان المفروض أن يحضره أيضا الرئيس السوفيتي «ستالين»، والرئيس الصيني تشان كاي تشيك»، ولكنهما اعتذرا عن الحضور، نظرا للظروف الحربية التي كانت تلزمهما بالبقاء ببلديهما، للإشراف بنفسهما على العمليات العسكرية التي كانت تجرى.

لقد رأى الرئيس «روزفيلت»، أن يكرم محمد الخامس، الذي وقف الموقف الصامد

ضد النازية، ولم يوافق على مخططات «بيتان» المستسلم للنازية، والمقاوم لقوات الحلفاء، رأى «روزفيلت» أن يستدعي محمدا الخامس لحفلة عشاء، أقامها على شرفه في دار السعادة، بحى آنفا بالدار البيضاء، حضرها بالإضافة إليه، الرئيس نستون تشرشل، وسمو ولي العهد المولى الحسن، وبعض الشخصيات الأمريكية، والسيد معمرى الزواوي رئيس التشريعات الملكية، والجنرال نوكتيس وغيرهم.

ولقد تحدث عن هذا اللقاء، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في كتابه (التحدي) فقال : في 22 يناير 1943 دعانا الرئيس «إيزنهاور»، إلى مأدبة عشاء أقامها على شرف والدي، وكان العشاء، في حى آنفا، بالقرب من الدار البيضاء، وفي نفس المكان الذي كان قد سبق للرئيس روزفيلت، أن صرح فيه قبل بضعة أيام، أن الحرب ستستمر — وأذكر هنا ما قاله حرفيا — إلى أن تستسلم قوات المحور، بلا قيد ولا شرط، إلى أن يقول : إن الكلمات التي ترددت أثناء العشاء في آنفا، لم تخلف في ذهني، إلا أنرا يكاد يكون مبهما، فقد دار الحديث بالخصوص عن الحالة العسكرية في أوروبا وإفريقيا والمحيط الهادي، وكان من الطبيعي أن يجلس أبي على يمين مضيفه، وقد حضر العشاء، رئيس الحكومة البريطانية، ونستون تشرشل، كما حضره الجنرال نوكتيس، وباطن، وروبرت مورفي، الممثل العام للرئيس الأمريكي في إفريقيا الشمالية، وهاري هوبكنز، والكولونيل إيليوت روزفيلت، والقبطان د..مالك ري الملحق البحري في البيت الأبيض، والصدر الأعظم، الحاج محمد المقرى، ورئيس المراسم السيد محمد المعمرى، وأنا ولما كنت في الرابعة عشرة من عمري، لم أتصور كيف فتحت عيني، وأرهفت سمعي، وأنا في محضر هؤلاء الرجال المرموقين، وعندما كنا نترك مأدبة العشاء، استأذن البعض في الانصراف، وكان من بينهم الجنرال نوكتيس، فأذن لهم، بينما تمسك بنا الرئيس الأمريكي، ورجانا أن نبقى، وهكذا وجدنا أنفسنا مجتمعين : ف.د.روزفيلت، وونستون تشرشل، وروبرت مورفي، والدي، وأنا.

وبعد حديث دار عن الحالة العامة، أخذت المحادثة تشكل حوارا، بين الرئيس، والوالدي، وكان السيد المعمرى، يترجم للآخر ما يقوله الأول، وفي الواقع أكد الرئيس الأمريكي، أن النظام الاستعماري، قد عفا عليه الزمن، وبالتالي أصبح محكوما عليه بالزوال في رأيه، ولكن، تشرشل، أكد في البداية على ضرورة التدقيق في وجهة النظر هذه، وقال بعدها : انه بعد الغزو الفرنسي للجزائر، قامت بريطانيا، خلال نصف قرن، بوظيفة الحارس لسلامة الامبراطورية الشريفة، محاولا بذلك «أن يفرق السمكة» كما يقول المثل الفرنسي، لكن روزفيلت علق حالا على ذلك قائلا : اننا لم نعد الآن في سنة

1830 ولا في سنة 1912، ونتطلع إلى اليوم الذي سيصل فيه المغرب بيسر، إلى الاستقلال، وفقا لمبادئ الحلف الأطلسي، متمنيا أن يكون هذا اليوم قريبا، يوم أن تضع الحرب أوزارها، وأضاف مؤكدا : بعد الحرب، ستصبح إعادة التنظيم السياسي، الاقتصادي، للمجتمعات الانسانية، ضرورة ملحة، وقال : ان الولايات المتحدة، لن تكتفي يومئذ بوضع أية عراقيل في وجه استقلال المغرب فحسب، بل أنها كما أكد ستخص المغرب المستقل كذلك، بمعونات اقتصادية انتهى بعض ماكتبه الحسن الثاني في كتابه التحدي عن لقاء «آنفا». وأريد أنؤكد هنا، أن علاقتنا إذ ذاك مع جلالة الملك محمد الخامس، كانت متينة جدا، وبالقوة التي لاتضاهي، وكانت اتصالاتنا معه مثمرة ودائمة ومحكمة، كانت المشاورات معه في كل القضايا السياسية العارضة، تكاد تكون يومية، ولذلك فإننا نحن أعضاء (الطائفة) وهي الجماعة السرية في الحزب الوطني، ثم حزب الاستقلال، كنا نعقد اجتماعات متوالية يومية، وكنا على اطلاع بكل ما جرى بينه وبين الرئيس روزفيلت من مذكرات، وانه رحمه الله بمجرد ما باغثته دعوة الرئيس روزفيلت للعشاء، خبرنا قبل الذهاب، وبعد العشاء، بكل ماجرى، وأذكر أنه عرض على بعض إخواننا الذين اتصلوا به إذ ذاك، وكان من بينهم إن لم تخنى الذاكرة المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، الهدية التي قرر أن يقدمها لعقيلة الرئيس روزفيلت التي أكد بعد ذلك أنها ستكون جد مسرورة بهذه الهدية التذكارية، لقد علق الكثيرون على لقاء آنفا وما وقع فيه، وعن الحديث الذي جرى بين روزفيلت، وجلالة محمد الخامس، وأناي أذكر بهذه المناسبة أن من جملة ماخبرنا به محمد الخامس، أن الرئيس روزفيلت حذره من استيلاء الأجانب على ثروة المغرب، واستغلال أراضيه، وأن المستقبل سيكون سعيدا، بل مضمون السعادة.

وجاء في كتاب «تاريخ المغرب» «لروم لاندو» مايلي : «أبدى الرئيس أكثر مايمكن من الاهتمام، بماضي المغرب وحاضره، وقدم ملاحظات متعددة، تتعلق بمستقبله، والسلطان الذي سره اهتمام المضيف، كان يقدم المعلومات اللازمة، وكثيرا ماطلب منه النصيح، وقد أثر في نفس الرئيس، اهتمام السلطان الدقيق بأمريكا، اهتماما حسنا، يقول «بندار» الذي كان له شرف استضافة الرئيس في مراكش، بعد ذلك ببضعة أيام : (تحدث إلى الرئيس عما دار بينه وبين السلطان، وعن الاهتمام الخاص الذي أبداه الملك بأمريكا، وفي كل شيء أمريكي، وقد اتضح لكل واحد، أن السلطان والرئيس، كانا مسرورين في ذلك الوقت، وقد تضمنت الملاحظات التي أبداهما الرئيس، أن المغرب، يجب أن لايسمح للأجانب، أن يمتصوا ثروته، وانه يجب أن يطور إمكاناته الاقتصادية،

في أعقاب العشاء التكريمي الذي أقامه الرئيس روزفيلت لجلالة الملك

أشرت فيما سبق إلى أن جلالة الملك محمد الخامس أجرى حديثاً مطولاً مع الرئيس روزفيلت، أثناء لقاء أنفاً التاريخي، وكان هذا الحديث يتعلق بمستقبل المغرب، بعد انتهاء الحرب، وكان من جملة الحاضرين في هذا العشاء من المغاربة، الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ، ومن الأميركيين هاري هوبكنس (Harry Hopkins) المستشار الخاص للرئيس، وماكريا (Mekeria) الضابط البحري، الذي كان حمل رسالة من الرئيس روزفيلت إلى جلالة الملك، ومن الفرنسيين المقيم العام الجنرال «نوكيس» الذي كان متضامناً كل التضاميق، من الترحية التي وقعت له، حيث كان مجرد ضيف ثقيل، لا يؤبه لوجوده، ولقد قرأت مؤخراً في مذكرات الأستاذ المرحوم السيد محمد بن الحسن الوزاني ص (46) الجزء (6) إن هو بكنيس المذكور، سجل في مذكرة له، لخصها عنه رفيقه «ويلبور» ونشرت في مصدر أمريكي صحيح، وعثر عليها المرحوم الوزاني، وعربها، وأثبتها للتاريخ في مذكراته، ليطلع عليها الباحثون والمؤرخون، وهي تتعلق بمحادثة خاصة جرت بعد العشاء المشار إليها، بين الحاج محمد المقرئ ومحمد المعمرى من جهة، وبين هوبكنس المستشار الخاص لروزفيلت من جهة أخرى، وكانت سرية للغاية بحيث لم يطلع عليها أي أحد، لولا أنها ورد ذكرها في وثائق «هوبكنس» وها ماجاء فيها : (لقد شرح الصدر الأعظم، أن الموضوع الذي ستتناوله المناقشة، لن يطلع عليه إلا الرئيس، بحيث لا تعرف المحاوراة أية سلطة أخرى، باستثناء الولايات المتحدة، وقد يكون الأفضل عدم مناقشة أي شيء، إذا لم يتوصل إلى الاتفاق حول الموضوع المشار إليه أعلاه، وأكد السيد هوبكنس للمصدر الأعظم، أن مايرغب فيه، سيحترم تماماً، وأن الموضوع الذي سيناقش لن يعلمه غير الرئيس. فصرح الصدر الأعظم، بأن أربعة أسئلة، تحتاج إلى أن تعرض على اهتمام الرئيس.

السؤال الأول : لقد سمع جلالة الملك بأن اجتماعاً للتباحث يدور الآن، بين الجنرال «جيرو» والجنرال «دوكول»، وأن فرنسا التي تشعر بعدم الأمن، تريد أن تغير هذه الحالة، قبل الاتجاه إلى غيرها، ومنذ 8 نوفمبر (يوم نزول الجيوش الأمريكية في المغرب) ظلت العلاقات مع فرنسا مضطربة، وذلك نتيجة وجود عدد من الفرق المنشقة، وليس للملك أي اعتراض على الجنرال «نوكيس» فهذا الأخير، رجل إداري كفء، وعلاقته مع السلطان وحكومة جلالته، والشعب جيدة، ولكن الجنرال نوكيس، اقترح منذ 8

نوفمبر برنامج عمل، وعلى الفور عارضه بعض الدوكولين، أو أصحاب جماعة فيشي، إن السلطان متخوف بسبب ماذكر آنفا، وقد تلقى بسرور مجيء جيوش الولايات المتحدة اتجاه المغرب ؟ وأية علائق ستوضع مع الولايات المتحدة ؟ ومن أجل أن يقرر سياسته المستقبلية، يود السلطان معرفة السياسة القارة للولايات المتحدة، فيما يخص المغرب ؟

والسؤال الثاني : لم يكن اليهود الشعب المتفوق في المغرب، بل كانوا دائما وبكيفية جد محددة، ثانويين عددا ونفوذا، وكانوا يعاملون معاملة حسنة من المسلمين، ولما حلت لجنة الهدنة الألمانية بالمغرب، ألح أعضاؤها أول الأمر على معاملة اليهود فيه، كما كانت معاملتهم في ألمانيا، فامتنع السلطان بقوة من أن يفعل هذا.

إن الحالة الراهنة، ناشئة عن قرون من التعايش، فالمسلمون محتاجون إلى اليهود، كما أن اليهود محتاجون إلى المسلمين، ولاتوجد مشاكل يهودية في المغرب، ولن تكون في المستقبل، إذا بقي هذا الموضوع كما هو الآن، وقد ظن بعض اليهود، أن مجيء الجيوش الأميركية، يعني أنه سيضعهم في مراكز قوة ونفوذ بالنسبة للمسلمين، وهذا مايجب أن لايقع.

والسؤال الثالث : إن للمغرب احتياجا كبيرا للتزود ببعض مواد التموين، والألبسة، والأجهزة، إلخ وقد تعرض نفوذ الولايات المتحدة، بكيفية أو بأخرى، في هذه المسألة، كما دلت عليه التصريحات التي أكدت أن هذه المواد الضرورية ستصل، والمؤمل أن احتياجات المغرب الأكثر أهمية، يمكن إرضاؤها قريبا.

السؤال الرابع : إن السلطان متأكد من أن الحرب ستنتهي بانتصار الولايات المتحدة، وستعقب هذا الانتصار، معاهدة سلام، وعندما يحين وقت التداول في شروط السلم، ينوي السلطان أن يرمي بين يدي السيد روزفيلت، بشرط قبول السيد روزفيلت، وكذلك بلاده.

فإذا قبل السيد روزفيلت عروض السلطان، الرامية إلى استفتاء شعبه، فإن السلطان متأكد من أن شعبه كله، سواء في المنطقة الفرنسية أو الاسبانية، ستكون موافقة وراضية بأن يضع مستقبله بين يدي السيد روزفيلت، وصرح الصدر الأعظم، بأن للسؤال الأخير، أهمية تتطلب أن يحفظ بمطلق السرية والكتان، وبأن يرغب في أن يعرض على السيد روزفيلت وحده، فأكد السيد «هوبكنس» أن هذا السؤال لن يعرفه غير السيد روزفيلت.

وبما أن السيد هوبكينس» كان مطلعاً على وجهات نظر السيد «روزفيلت» فقد أعلن أنه يستطيع أن يعطي فوراً جواباً مقنعاً عاماً.

الجواب العام : إن السيد روزفيلت، يعتقد أن هذه الحرب، معركة حياة أو موت، وفي الوقت الراهن، يجب أن تبذل كل الجهود، لهزم ألمانيا، وإيطاليا، واليابان، ونعتقد أننا سننجح، وأن انتصاراً تاماً سيتحقق. وسنواصل الحرب، إلى أن تقبل ألمانيا، وإيطاليا، واليابان، الاستسلام، بلا قيد، ولا شرط.

ويعي الرئيس، الصعوبات التي تواجه الآن المغرب، كما يدرك أن السلطان كان عالماً بما حاولته لجنة الهدنة الألمانية، لإكراهه على الامتثال لمطالبها، فقد ظهر السلطان كرجل حازم وقوي، وهذا ما يهنيء به الرئيس نفسه، ويعلم كذلك أن السلطان رجل عظيم. وفي الماضي دخل الجيش البلاد، وبعد إعادة السلم إليها، بقي فيها بدعوى أو بأخرى، أما الجيش الأمريكي، فلن يبقى في المغرب، وقد استغلت البلاد القوية، البلاد الفقيرة، وامتصت الثروة والخيرات، فأخذت خارج البلاد، لمنفعة البلاد القوية، ورجا السيد «هوبكينس» أن يؤكد الصدر الأعظم للسلطان، أن الولايات المتحدة، لاتنوي استغلال المغرب، كما يتمنى وضع علائق اقتصادية وثيقة، خصوصاً وإن الطائرات، ووسائل النقل البحري الآخذة في التقدم، ستسمح للبلدين بأن يكونا أكثر تقارباً، ويعلم الرئيس أنه لاتوجد أسباب تدعو إلى تغيير الحكومة الحالية في المغرب، لأن هذه الأخيرة، سمحت له بزيارة المغرب، وبملاقة السلطان، وقد تأثر الرئيس تأثراً عميقاً، وستكون زيارته ذات فائدة، حيث أنه أصبح صديقاً كبيراً للسلطان وللبلاد.

وصرح السيد «هوبكينس» بأنه لا يستطيع أن يعطي جواباً نهائياً على كل الأسئلة، وفيما يخص التموين من أجل المدنيين، فسيرسل، ولكن الأسبقية للحاجيات العسكرية، ويعرف الرئيس أن الشعب المغربي، صاحب الشأن ويجب أن لا يكون هذا بكيفية غير عادلة، ويمكن انتظار النتيجة النهائية، بدون شك ولا ريب. وشكر السيد «هوبكينس» الصدر الأعظم على صراحته، معلناً أنه سيلفغ الرئيس، التقرير الكامل والصحيح عن هذه المناقشة.

التوقيع : (رويلهور بريكاادي جنرال)

* * *

انتهى ماجاء في مذكرة «هوبكينس» ولخصه «رويلبور وترجمه عن الانكليزية المرحوم الوزاني. والمعلومات الواردة فيه، لم يسبق لي أن اطلعت عليها، رغم أنني مع إخواني في الحزب الوطني، كنا على اتصال وثيق جدا مع الملك المنعم سيد محمد بن يوسف، وحكي لنا بصفة إجمالية على ما يظهر مارج بينه وبين الرئيس «روزفيلت» أثناء لقائه به في آنفا بالدار البيضاء، والواقع أن الذاكرة قد تخون الإنسان بعد طول المدة، فينسى كثيرا من الأحداث، ويغفل عن كثير من الوقائع، وقد يكون محمد الخامس، قد حكي للإخوة الذين اتصلوا به، وفي طليعتهم المرحومان : محمد الفاسي وج عمر عبد الجليل بعض الوقائع والمخادئات التي جرت مع «هوبكينس»، بواسطة الصدر الأعظم، وقد يكونان حكيا لنا عنها ماسمعاها من محمد الخامس، فنسيته ذاكرتي، وقد يكون اكتفى بالحديث الذي جرى بينه وبين الرئيس «روزفيلت» رأسا، كل ذلك ممكن، والمهم الآن، وأنا أسجل في مذكرتي بعض الأحداث التي عشتها، أو شاركت فيها من قريب أو بعيد أن محمدا الخامس، كان يستعمل كثيرا من الوسائل والطرق، لتحقيق ماكان يطمح إليه لصالح شعبه. وأنه أوتي من المهارة والذكاء، وحسن التدبير، ماجعله، يستعمل أمثال الصدر الأعظم ج محمد المقرئ، لتبليغ رسائل هامة، إلى المسؤول الأول في الولايات المتحدة، رغم أنه كان موضع ثقة من الفرنسيين، ولا يسير في خطة تتنافى مع مايريده الفرنسيون، ومسألة لا بد أن أسجلها بهذه المناسبة، وهي أن محمدا الخامس صمم التصميم المسؤول على أن يستفيد من ظروف الحرب، ومن نزول القوات الأمريكية بالمغرب، لتحقيق مطامح شعبه في تغيير الأوضاع المتردية، التي كان يعيشها المغرب تحت الحماية الفرنسية، ويخشى أن تبقى الحال على ماهي عليه بعد انتصار الحلفاء، الذي كان متحققا منه وأنه كان يأمل في مساعدة الرئيس روزفيلت، لتغيير الأوضاع في المغرب وهو أي الملك عندما يعرض أفكاره أو مطالبه على رئيس الولايات المتحدة، بواسطة الصدر الأعظم، يستعمل في خطابه الأسلوب الحذر جدا، ويوصي بأن لا يطلع على أحاديثه أو رسائله إلا الرئيس نفسه، الذي يطمئن لصدق حديثه، ونبل مقاصده على ما يظهر من تعابيره وأحاديثه.

عهد وميثاق تاريخيان

كثرت إشاراتي في هذه المذكرات، إلى أن اتصالاتنا نحن أعضاء الطائفة بمحمد الخامس كانت وثيقة، (والطائفة) هي الجناح السري في (الحزب الوطني)، والذي سمي سنة 1944 (بحزب الاستقلال) ويسرني جدا بهذه المناسبة أن أسجل هنا أن، ارتباطنا وتعلقنا بمحمد الخامس، لم يكن وليد الأربعينيات أو الخمسينيات، ولكنه يرجع إلى الثلاثينيات، فمنذ بويغ بالملك يوم 18 نوفمبر سنة 1927 وهو في سن الثامنة عشرة من عمره، وإلقائه خطاب العرش الأول، الذي قال فيه رحمه الله (إن الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا، لا من أجل سعادته المادية وحدها، ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري، يكون متلائما مع احترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة، بأكثر ما يمكن من السرعة) انجذبت قلوبنا إليه نحن الشباب المغربي، انجذابا، لا أقول إنه مجرد محبة أو مجرد تعلق، وإنما هو انجذاب رباني، جعلنا نلهج بذكره، ونعلق على توليه الملك كثيرا من الآمال، وجاءت سنة 1930 التي أصدر فيها الفرنسيون ماسمي بالظهير البربري، الهادف إلى تقسيم الشعب المغربي، وخلق النزاعات فيه، وبذر بذور التفرقة بين عربي وبربره، ووضع المخططات لتنصيره وإبعاده عن شريعة الاسلام، جاءت سنة 1930 لتؤكد أن هذا الملك الشاب، مُتجاوب مع شعبه كل التجاوب، لبذ كل تفرقة، ولتتمسك بالوحدة المغربية القائمة على الحفاظ على التمسك بالاسلام، والحفاظ على اللغة العربية : لغة القرآن والدين، والاعتزاز بالقيم المغربية الأصيلة، التي لا تتنافى مع أصول الاسلام وقواعده المثل.

لقد كانت الآمال معقودة عليه، ليجعل يده في يد المخلصين من أبناء شعبه، حتى ينهضوا بالوطن، ويعملوا على تحريره من قبضة الغاصبين، وأخيرا فإن هذه العلاقة بين الملك والطائفة المخلصة من شعبه تؤكد أن العرش المغربي فريد من نوعه، إذ يعتقد الجالس عليه أن العرش بالشعب، مثل ما يعتقد الوطنيون، أن الشعب بالعرش.

وجاءت سنة 1943 لتبرز حقيقة أساسية، كان لابد لها أن تتحقق عندما يحين الأوان، ويدعو الواجب لخوض المعركة الحاسمة لخدمة البلاد، وتحريرها من ربة الاستعمار، وإخراج التجاوب الروحي والعاطفي بين الملك والأحرار من بني شعبه، إخراجهم من حيز العاطفة إلى حيز التطبيق العملي.

التحضيرات الأولى لوثيقة الاستقلال التاريخية

لقد كانت الظروف، ظروف الحرب كما هو معلوم، وصارت الكفة ترجح لصالح الحلفاء، وكان الاتصال مع محمد الخامس أخذ أبعادا جديدة، بحيث أصبحنا نقترح عليه بعض الاقتراحات في صالح المغرب، فنجد أنه متفق معنا، وكأننا كنا معه على موعد، وتأكد هذا عندما كلفنا أخانا المرحوم السيد محمد الفاسي أن يتصل به، ليبلغه أننا نرى أنه لا ينبغي أن يساير ما يطلبه منه المقيم العام «نوكيس» من نقل عاصمة ملكه من الرباط إلى فاس، لدى نزول القوات الأمريكية بالشواطئ المغربية، لأن ذلك سيؤول من طرف الأمريكيين تأويلا لا يمت إلى الحقيقة بشيء، فأكد لنا بواسطة الأخ الأستاذ محمد الفاسي أنه سوف لا يليي رغبة «نوكيس» ولا ينتقل إلى فاس، وأنه مع شعبه في السراء والضراء، ولم يكتف بهذا، بل استفسر الفاسي عن علاقته بقيادة الحركة الوطنية، فلما أجابه بأنه واحد منهم، صمم على ربط العلاقات الوثيقة معهم، وسأل بعد ذلك عن أعضاء (الطائفة) أي الجماعة السرية في الحزب الوطني، واحداً واحداً، وفي هذه الأثناء كان أخونا المرحوم الحاج أحمد بلانريج، رجع من منفاه الاختياري، فوالينا الاجتماعات معه — نحن أعضاء اللجنة التنفيذية — وبدأ التفكير الجاد، للقيام بعمل لصالح بلادنا، خصوصا وقد كنا نتبع التطورات العالمية، والتحركات السياسية، التي صارت تقع في بعض الأقطار، ومنها بعض الأقطار العربية، وعملها على تحرير بلادها من قبضة الاستعمار، وقلنا مع بعضنا لابد من القيام بعمل لصالح بلادنا، لتحريرها من الاستعمار البغيض، لابد من أن نقفز من المطالبة بالإصلاحات التي تقدمنا بها في دجنبر 1934 إلى المطالبة بالاستقلال، ولكن هذه القفزة لا يمكن أن تقع منا وحدنا، بل لابد من استشارة رمز البلاد، الساهر على كيانها، والحارس الأمين لشخصيتها وذاتيتها، وهو جلالة الملك المفدى محمد الخامس، فتوالت الاتصالات معه رحمه الله لمدايسة موضوع المطلب، الذي يعتبر مطلبا ضروريا، وواجبا عينياً، علينا الجهر به، مهما كانت الظروف، لقد كان الاتصال أولاً يقع بواسطة الأستاذ الفاسي، ثم طلب جلالة الملك أن يحضر مع الفاسي بعض الأعضاء الموثوق بهم، لتكون المذاكرة مثمرة وجادة، وهكذا عهدت اللجنة التنفيذية لحزبنا للإخوة المرحومين : الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد اليزيدي ومحمد غازي، زيادة على الفاسي أن يقوموا بهذه المهمة الشريفة، وفي الوقت المقرر، اجتمع هؤلاء الأربعة بمنزل الفاسي برهة من الزمان، في انتظار أن

يصلهم مبعوث جلالة الملك السري الذي سيأخذهم إلى المكان الذي سيجتمع معهم فيه، وكان هذا المبعوث هو المرحوم السيد أحمد بن سعود بفتح السين (لا ابن مسعود) وكان ابن سعود هذا موضع ثقة من جلالة الملك وكان من الأعوان المشتغلين في القصر الملكي، ولما حان الوقت المقرر، حضر ابن سعود في سيارته إلى منزل الفاسي، حيث أخذ الأربعة المذكورين إلى منزله «بتواركة».

وماهي إلا لحظات حتى التحق بهم جلالة محمد الخامس بوجهه الوضاء، وابتسامته المشرقة، وما أن ظهر أمامهم، حتى قاموا للسلام عليه وتحيته وتقديم الولاء له، وابتدأت المذاكرة معه في شأن القضايا العامة، التي تعود بالخير العام على المغرب وبنيه، وتوالت اللقاءات حسب الظروف، وكان أحيانا يكتفي بالفاسي، ليبلغ ما تقترحه الجماعة، وأحيانا يكون الثلاثة أو بعضهم، حسب ما تسمح به الظروف، ولما ترجع لدى جماعتنا مطلب الاستقلال، بعد أن طالت المناقشة، هل يكون بالتصريح أو التلويح، وكانت الأغلبية على ضرورة التصريح بمطلب الاستقلال، تقرر استشارة جلالة الملك في الموضوع، فكان رأيه التصريح، ضرورة التصريح بالاستقلال التام، وهكذا صارت تحرر الوثيقة التاريخية التي تقدمنا بها في حادي عشر يناير 1944.

لم تحرر الوثيقة في الصورة التي عرفها الجميع، إلا بعد مراجعات، وتغييرات، ومناقشات، وكان المشروع الأول الذي كتب ودرس، هو المشروع الذي حرره المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل بمشاركة محمد اليزيدي حسبا أذكر ثم بعد مناقشته وأخذ آراء بعض الإخوة الوطنيين ومنهم بعض الحقوقيين من أعضاء قدماء التلاميذ من كوليچ مولاي إدريس مثل محمد الزغاري وأحمد باحنيني وأحمد الحمياني وإدريس الحمدي، وفي طليعة الجميع جلالة محمد الخامس، الذي كان يبدى كثيرا من الآراء والأفكار، التي تبرهن عن نضجه السياسي، وتفكيره العميق، بعد هذه المناقشات حررت وثيقة المطالبة بالاستقلال بالشكل الذي قدمت به، وليس صحيحا مطلقا ماظهر للمرحوم محمد بن الحسن الوزاني من أن الوثيقة أو العريضة المطالبة بالاستقلال، كتب مشروعها الأول بعض قدماء تلامذة ثانوية مولاي إدريس بفاس، ولكن المشروع الأول كتبه المرحوم عمر بن عبد الجليل، ولكن الصيغة النهائية، كانت كما ذكرت من قبل، بعد الإنصات والتغييرات والاقتراحات المقدمة من كافة الاخوة الذين عهد إليهم بهذه المهمة من قدماء تلامذة مولاي إدريس، أما اعتراض الوزاني على المشروع وعلى الصيغة النهائية، واتهام المحررين بأنهم لم يجيدوا التفكير والتوثيق، عندما حرروا الوثيقة، وأن مطلب الاستقلال لا يحتاج إلى تلك الحثيات، ولا إلى غيرها إلى آخر ما ذكر في تحليله للوثيقة،

فذاك رأي، ولأأريد أن أناقشه، فلكل واحد اجتهاده، ولكل جماعة اجتهادها، والذي يهدف إليه المجتهد هو الأساس، وذاك ماعبر عنه الوزاني عندما كتب في بداية تحليله وتعقيبه قائلاً : (إنها بداية انطلاقة وطنية جديدة، قامت على فكرة المطالبة بالاستقلال، فأخرجتها إلى حيز الوجود، فكانت بهذا خطوة جريئة، وعملا شجاعا، ومرحلة حاسمة في مجال الكفاح الوطني، والتطور السياسي في المغرب⁽¹⁾).

لقد أصبحنا مومنين كل الإيمان، بأن تحركاتنا الوطنية الاستقلالية، أخذت طريقها الصحيح، بسيرها وتكاثفها، وتقوية عرى التحامها بالجالس على العرش المغربي، محمد الخامس رحمه الله، فردنا تعرفا عليه، وزاد تعرفا على جماعتنا، وصار يستشير معنا في الشاذة والفاذة من القضايا والمشاكل السياسية، كل هذا ونحن جادون في التهيء لاعلان وثيقة المطالبة بالاستقلال، ودراسة الموضوع معه دراسة سرية متقنة، سواء في طريقة التقديم، واختيار الوفود، واليوم الصالح لاستقباله للوفد الذي سيقدم الوثيقة له، وفي هذه الأثناء، اتصل رحمه الله بالمرحوم الأستاذ محمد الفاسي وطلب منه عقد اجتماع خاص مع ممثلي «الطائفة» لتتوج هذه الاتصالات والعمل المشترك، بالتضامن المطلق، والعهد الذي لا ينقطع ولا ينفصم، بين الملك وشعبه، لخدمة المغرب، والعمل على استقلاله، واسترجاع حريته، وهنا أدع الكلام لأخي المرحوم الأستاذ محمد الفاسي الذي كان الرسول الأمين بيننا وبين محمد الخامس قال الفاسي : (وقبل تقديم العريضة، أمرني تغمده الله برحمته، أن أحضر الإخوان الذين يلتقون به سرا، في ليلة حددها، وذلك كحدث تاريخي عظيم، ألا وهو أن يأخذ منا قسما، ويُقسم لنا هو بدوره، فحضرت مشروع قسم وافق عليه، وبعد ذلك، أطلعت الاخوان على هذا الأمر المولوي النابع من روحه الوطنية المؤمنة، ثم أخبرته في لقاء تال، أنه سيحضر معنا المجاهد السيد أحمد مكنوار حفظه الله، زيادة على الاخوان محمد غازي والحاج عمر بن عبد الجليل رحمهما الله ومحمد اليزيدي حفظه الله، فجاءوا إلى منزلي على العادة، وحضر السيد أحمد بن سعود، وأخذنا إلى القصر العامر، وأوصلنا داخل القصر، في محل بني فيه خندق تحت الأرض، للوقاية من الغارات الجوية المتوقعة من قبل النازيين، وأنزلنا إليه، فوجدنا به جلالة الملك، الزعيم القوي الايمان بربه، وقدم لنا نسخة من المصحف الكريم، فأقسمنا بأن نخلص لله وللوطن وللملك، وأن نحافظ على السر، وأن لانقدم على عمل، إلا بعد مشاورته وموافقته، وأقسم أجزل الله جزاءه عن هذه الروح الشريفة، التي لم يتحل

(1) مذكرات محمد بن الحسن الوزاني. جزء (6) ص : 173.

بها ملك قبله أو بعده، وفي ختام الجلسة، قدم للأخ الغيور السيد أحمد مكوار غلافاً، وجدنا فيه بعد ذلك خمسين ومائتي ألف فرنك⁽²⁾، مما يساوي الآن، قدراً مهماً، جزاه الله خيراً عن هذا الوطن المغربي، الذي يدين له بالتححرر، وبكل خير⁽³⁾.

وهكذا يمكنني أن أقول وبكل اعتزاز، أننا ضمنا مستقبل المغرب وتحريره من رقة الاستعمار، فالتحام حركتنا الوطنية مع محمد الخامس، وتوثيق العهد بين العرش، وأحرار الوطنيين، قفلا الطريق أمام كل التآمرات الاستعمارية، والمكايد الخيانية، وانفتحت أمامنا آفاق جديدة، وآمال واسعة، استصغرنا معها كل الصعاب، وأقدمنا على خطواتنا الجديدة بالقفز بحركتنا من حركة المطالبة بالإصلاحات، إلى المطالبة بالاستقلال التام الذي تحقق بمعونة من الله، وتأييد منه، في مدة وجيزة، بعد تقديمنا لوثيقة الاستقلال في حادي عشر يناير 1944، كما سأحدث عنه — إن شاء الله — في هذه المذكرات.

اطلاع ولي العهد على سر الاتصالات

بقيت علاقاتنا، واتصالاتنا، مستمرة مع محمد الخامس، طوال فترة الأربعينات والخمسينات، وبقي التجاوب الروحي والعملي بيننا وبينه رحمه الله، إلى أن لقي ربه، وسعدنا كل السعادة، عندما أصبح سمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن، يعلم الكثير عن هذه العلاقات، والاتصالات مع والده، بل تخطى ذلك حتى صار يأخذ هو حفظه الله، الإخوان الذين سيتصلون بوالده في سيارته الخاصة إلى القصر الملكي، وأحيانا إلى قصره العام، وقد تحدث عن ذلك في كتابه (التحدي) فقال (من ذلك الوقت كان والدي يقابلهم في طي الخفاء، وكنت أنا في الغالب الذي أدخلهم عليه، كان مسكني خارج أسوار الرباط، وكانت المراقبة أخف عليه، بالنسبة لسواه، كان الوطنيون يأتون عندي خفية في المساء وكنت آخذهم في سيارتي متسترين بداخلها، حتى لا يراهم أحد، وأدخل بهم مسرعا إلى الجزء الداخلي في القصر، فيبقون إلى «ساعة متأخرة من الليل، يتحدثون مع الملك، أحيانا كنت أخرج بهم في الساعة الثالثة ليلا، وحين يشتد البرد، كان محرك السيارة يتوقف، فنضطر إلى دفعها، كان الوزراء المفروضون على الملك في

(2) كان المرحوم الحاج أحمد مكوار أمين صندوق الحزب في تلك الفترة.

(3) أنظر مآكبه محمد الفاسي في كتاب (وقائع الندوة الدولية التي نظمتها جمعية رباط الفتح حول محمد

الخامس : الملك الراحل) ص : 148 — 149.

ذلك الحين، واقعين تحت تأثير الإقامة، فلم يكن لنا ثقة بهم، وبالظواهر التي كانوا يحضرونها، فكان علينا أن نضع نصوصها على محك النقد السري).

تعددت الاتصالات وتكاثرت بعد خروجنا من السجن أواخر سنة 1945، وتعدد المتصلون بجلالته، حسب الظروف والأزمان، فلم يبق الأربعة المذكورون سابقا هم وحدهم الزائرون لجلالته، بل أنضاف إليهم الآخرون أمثال الأمين العام بلافريج وعبد ربه والزعيم علال الفاسي ثم بعد ذلك المرحوم عبد الرحيم بوعبيد وغيرهم. وفي بعض المناسبات الخاصة دعاني والأخ محمد اليزيدي للقاءات خاصة قصد المذاكرة في بعض القضايا الهامة التي كان يريد أن تكون أكثر سرية.

سنة 1943 : سنة تحوّل في مسار الحركة الوطنية

كانت سنة 1943 سنة تحوّل في التفكير، والعمل، وبذل الجهود، فبعد نزول القوات الأمريكية بالمغرب، وبعد توثيق العهد بين حزبنا وجلالة محمد الخامس رحمه الله، أصبحت معطيات جديدة تلح علينا، أن نقوم بعمل حاسم، ونخطو الخطوات التي يفرضها الواجب الوطني، خصوصاً وقد رأينا أن الفرنسيين المستعمرين لبلادنا، سواء منهم الموجودون بالمغرب، أو الموجودون خارج المغرب، صاروا يخططون لبقائهم مستحوزين ومسيطرين على بلادنا، فبعضهم انفصل عن حكومة فيشي، ليرتمي في أحضان ماسمي بفرنسا الحرة، وبعضهم تعلق التعلق الكبير بالسلطات الأمريكية، وكان الممثل لفرنسا الحرة، هو الجنرال دو كول، الذي انطلقت حركة مقاومته من انكلترا والممثل للحركة الثانية هو الجنرال «جيرو» الذي ارتقى في أحضان الأمريكيين، وكان الفرنسيون بالمغرب، يتجادبون بين هؤلاء وهؤلاء، زيادة على النزعة الفاشية التي كان يمثلها نو كيس والتي انقضت نفوذها ووجودها بنزول القوات الأمريكية، وكان هؤلاء جميعاً لا يقبلون أية مناقشة فيما يتعلق بتغيير الأوضاع بالمغرب، بل انهم جميعاً يعتبرون الشمال الافريقي، ومنه بلادنا بالطبع، امتداداً أساسياً للوجود الفرنسي والسيطرة الفرنسية. أما الأفكار والمبادئ التي جاءت في الميثاق الأطلسي، والتي أكّدت على إقامة عالم جديد، يُبنى على ضرورة الاعتراف بحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، فلم تكن تلقى منهم أي اعتبار، كما لم يلق منهم أي اعتبار ما بذله المغرب من معونات ومساعدات، في الدفاع عنهم، سواء بالرجال أو بالمواد. فواجب المغرب في نظرهم وغطرستهم أن يقوم بذلك، لأنه بلد تابع لهم وفي ملكيتهم، وفرنسا لا يمكن ولا يُقبل — في نظرهم — أن لا تبقى رايته مرفرفة على هذا الجناح الافريقي الاستراتيجي الهام.

كان هذا هو تفكير الفرنسيين على اختلاف اتجاهاتهم وميولهم، وكنا نحن الوطنيين نتابع تفكيرهم، مثل ما نتابع الأحداث العالمية، ونتخوف كل التخوف من الأخطار التي تتعرض لها بلادنا، إن لم نبادر إلى رفع الصوت، والإعلان عن موقفنا الوطني، مهما كانت العقبات والعراقيل والضغط، وزاد في عزمنا، وقوّى من إيماننا، ما كنا

نلاحظه من تحركات تحررية، وانتفاضات شعبية، في بعض الأقطار العربية، مثل ماوقع في سوريا ولبنان اللتين كانتا بدورهما تابعتين للنفوذ الفرنسي، فتحررتا منه، بعد الانذار الذي وجهه تشرشل إلى الفرنسيين الموجودين في سوريا ولبنان تحت رئاسة الجنرال كاترو والذي طلب تشرشل منه أن تنسحب القوات الفرنسية عن القطرين الشقيقتين، وتكف عن هجوماتها على الشعبين، والذي تجلّى في الهجوم الفرنسي على البرلمان السوري، وإلقاء القبض على كثير من الأحرار السوريين ومحاكمتهم وإعدام بعضهم، وكذلك ماوقع في لبنان.

وكان جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس بدوره يسير في نفس التفكير، ويتجه نفس الاتجاه، وتجلى هذا في اتصالاته مع الرئيس روزفيلت أثناء اجتماعه معه في «أنفا» بالدار البيضاء، وفي تعامله مع المقيم العام الفرنسي «نوكيس» عندما لم يوافقه ولم يسر معه في مقاومته للقوات الأميركية، وعندما لم يلب طلبه في الانتقال بعاصمة ملكه إلى فاس.

لقد اختمرت فكرة المطالبة بالاستقلال في أذهاننا، وصارت تشق طريقها بين مختلف طبقات الشعب المغربي، فكان علينا لكي نضمن تظافر الجهود، والوقوف صفاً واحداً أمام الأعداء، أن نستقطب كل القوى الموجودة في المغرب، سواء من الأفراد أو الجماعات، لنسير يداً في يد لتحقيق مطامحنا، وكان محمد الخامس بدوره حريصاً كل الحرص على أن نجتمع كل القوى الوطنية، لنقفل الطريق أمام المستعمرين، ولا نبقي أمامهم من يستطيعون أن يستعملوهم كواجهة، يدعون معها أن بعض المثقفين أو السياسيين يسايرونهم في سياستهم، خصوصاً وأن سياسة الجنرال نوكيس، كانت تسير في النهج الذي خطه الماريشال ليوطي فيما يتعلق بتقريب بعض المثقفين إليه، ليتقدموا إليه ببعض المطالب، التي لاتتعدى النطاق التعليمي، وبهذه السياسة كانت الإقامة العامة تسمح بتأسيس بعض الجمعيات الثقافية، المراقبة من طرف رجال السلطة الفرنسية، كجمعية قدماء تلاميذ كوليج مولاي إدريس بفاس، وجمعية قدماء تلاميذ مدرسة مولاي يوسف بالرباط، والجمعية التي كانت تدعى بالنادي الأدبي الاسلامي بسلا، والتي لم تكن يلتحق بها في الغالب إلا التلاميذ المتخرجون من مدرسة أبناء الأعيان، كما تحدثنا عن ذلك في الجزء الأول من ذكرياتنا الوطنية، لقد كان نوكيس يحتضن هذه الجمعيات من قريب أو بعيد، خصوصاً جمعية قدماء تلاميذ كوليج مولاي إدريس، وكان يترأسها في هذه الفترة التي نتحدث عنها الآن، المرحوم الأستاذ محمد الزغاري، كنا على علم بالأحداث التي وقعت إذ ذاك في تونس، والمواقف التي وقفها بائي تونس

محمد المنصف رحمه الله بعدما نزلت قوات الاحتلال النازي في الأراضي التونسية، بتشكيله حكومة تونسية برئاسة محمد شنيق، دون إذن من المقيم العام الفرنسي، وإطلاق سراح الزعيم بورقيبة وبعض زملائه، والضغوط التي فرضت عليه، ليسير فيما تريده سياسة المحور، والعمليات التي قام بها الحلفاء، لتحرير تونس من قبضة النازيين، واغتنام الجنرال «جيرو» فرصة تعاونه مع الأمريكيين، للانتقام من باي تونس محمد المنصف، الذي تصرف — في نظره — تصرفا غير مقبول، بتكوينه حكومة وطنية دون الرجوع إلى السلطات الفرنسية، ثم نفيه إلى فرنسا، جزاء ما قام به من جرم في نظر (جيرو) و(كوان)، كل هذا كان أمام أعيننا ونحن نتهاى لتحضير وثيقة المطالبة بالاستقلال، وأود أن أؤكد هنا أننا كنا نشتغل في كتمان تام، وسرية مطلقة، وتحفظ كبير، حتى لا نفشل فيما نحن مقدمون عليه، لأن أي تصرف غير مدروس، واتصال غير مضمون النتائج، سيعرض مجهودنا وتحركاتنا للفشل، ولذلك قررنا أولا أن وثيقة الاستقلال التي ستقدم، لا يوقع عليها إلا المضمونون الثقات، المحافظون على الأسرار، الذين جربناهم التجربة الكافية، وهم أعضاء جماعتنا السرية : (الطائفة)، حتى يبقى سر الوثيقة مضمونا مائة في المائة، ونظرا لأن قرارنا كان يفسح المجال أمام بعض الوطنيين غير المنتمين لحزبنا (الحزب الوطني)، كحزب الحركة القومية، وبعض الشخصيات الحرة، فإننا أخذنا كامل الاحتياط لدى الاتصال بهم، وإخبارهم بما نحن عازمون عليه، من اتخاذ موقف وطني، يعيد لبلادنا كرامتها، ويضع القضية المغربية ضمن القضايا الدولية، التي يجب أن تحل طبق ما أتى في الميثاق الأطلسي، وماتعهد به الحلفاء من إعطاء كل الشعوب حق تقرير مصيرها، بعد انتهاء الحرب.

اقتراح انضمام الحركة القومية لتوقيع وثيقة الاستقلال

وفي ضوء هذا كله، ونظرا لأن زعيم الحركة القومية، كانت تحت الإقامة الجبرية، بقرية «ايتزر» قرب مدينة «فاس» فلقد قررنا من جهة، البحث عن وسيلة سرية، نخبره عن طريقها بما نحن عازمون عليه، ونطالبه بأن يشاركنا هو وحزبه، فيما سنقدم عليه، وهكذا وقع الاتفاق مع الأخ محمد الأغراوي، الذي كان بدوره من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وقع الاتفاق معه على أن يوظف المرحوم الحسن بن شقرون — وكان من الشباب الاستقلالي الحي المتوثب للكتوم للأسرار — ضمن العاملين معه

في حافلاته التي تنقل المسافرين إلى «إيتزر»، ليستطيع أن يتصل بالزعيم ابن الحسن الوزاني في منفاه، ويبلغه بطريقة أو أخرى مانحن عازمون عليه، وما نقترحه عليه من المشاركة العملية معنا في تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان هذا القرار قبل تقديم الوثيقة، بل قبل تحريرها، وأود أن أثبت هنا، أن اقتراح الاتصال بابن الحسن الوزاني في منفاه، كان من الأمين العام للحزب الوطني، إذ ذاك المرحوم الحاج أحمد بلافريج، ففي اجتماع مصغر عقدناه بمنزل المرحوم الفقيه محمد غازي، ونحن لازلنا في مرحلة التمهيد لكتابة وثيقة الاستقلال، نطق بلافريج قائلاً : لايحسن بنا ونحن على أهبة القيام بعمل وطني عظيم، وخطير في نفس الوقت، أن لانشر أختانا الوزاني بما نحن عازمون عليه، وطلب مشاركته مع إخوانه معنا في هذه المرحلة التاريخية من حياة بلادنا، وهكذا اتخذ القرار وشرع في التنفيذ، بتوظيف الحسن بن شقرون في خطوط الأغراوي، واتصاله بابن الحسن الوزاني في منفاه، وتبليغه القرار الذي اتخذناه، ولا أدعي بهذه المناسبة أنني تابعت جميع المراحل التي سارت فيها الاتصالات مع ابن الحسن وصحبه، والتي كثر فيها القيل والقال، من طرف بعض المؤرخين، وأصحاب المذكرات بمن فيهم المرحوم الوزاني نفسه، ولكنني أؤكد مع كل ذلك أن قرار الاتصال بالمرحوم الوزاني وصحبه كان قبل تحرير الوثيقة، وكان الدافع إليه هو مشاركته وإخوانه في المراحل الأولى التي كنا نحضر فيها الوثيقة، كما وقع مع قدماء تلامذة مدرسة مولاي إدريس بفاس وشخصيات مستقلة أخرى كالرفاعي والجزولي من مدينة الرباط، الذين أشير إليهم في الوثيقة بالشخصيات الحرة التي تكون منها حزب الاستقلال، مضافة إلى الحزب الوطني الذي كان العامل الأساسي، والمحضر، والمنفذ لحركة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944.

لقد كان اقتراح انضمام الحركة القومية وزعيمها المرحوم الوزاني، اقتراحاً يرمي إلى وحدة الصف، والوقوف أمام الفرنسيين ككتلة موحدة في مطلبنا الشريف، وهدفنا الأسمى، وكنا حريصين على هذا الانضمام قبل تحرير الوثيقة، ولذلك قررنا الاحتياط على الإدارة الاستعمارية، حتى نبليغه الخبر في سرية تامة، وعملنا على توظيف شخصية من شبابنا المرموق، خريج أكبر مدرسة فلاحية بفرنسا، هو المرحوم الحسن بن شقرون كما ذكرت لتبليغه ما عزمنا عليه، فلم يكن قصد الحزب الوطني مطلق إخباره بما وقع أو سيقع، ولكن مقصده المشاركة العملية في تقديم المطلب الشريف الأسمى، وإذا كان الحزب فكر في بعض الشخصيات الحرة، لتخلد اسمها في أشرف وثيقة تقدم بها المغرب لجلالة الملك، وللسلطات الفرنسية، وممثلي الدول الأجنبية، فإنه فكر قبل ذلك، ورأى من واجبه، أن يفكر في إخوانه رجال الحركة القومية، وبالأخص زعيمها ورئيسها،

لتشارك بدورها، وعلى أساس الاتفاق والتعاون والترابط الوثيق، وليسجل اسمها في صدر الوثيقة، مثل ما سجل إسم الحزب الوطني والشخصيات الحرة، فالقضية ليست قضية إدماج في الحزب الوطني، ومحو الحركة القومية كما تصوره البعض، ولكنها قضية مطلب شريف، يتقدم به حزب جديد، سيشترك في تأسيسه كل من الحزب الوطني، والحركة القومية والشخصيات الحرة، ولربما كانت الحركة الوطنية، ستخطو خطوة جديدة في الوحدة العملية، لو قدر الله أن تشارك الحركة القومية في تقديم الوثيقة الأولى المؤرخة بحادي عشر يناير 1944، ولكن الأقدار لم تشأ ذلك، فلم تساهم الحركة القومية أولاً، وإنما تأخر تأييدها وتضامنها مع حزب الاستقلال إلى الثالث عشر من يناير، بتقديم وثيقة تأييدية لمطلب الاستقلال، الذي هو الغرض المطلوب، والتي ألقمت الأعداء المتربصين بالاستقلال حجراً، ذكرت هذا بصراحة، لأجيب المرحوم الوزاني، ولو أنه في قبره، بأن ماكتبه في مذكراته عن طلب مشاركة الحركة القومية، لم يكن يهدف إلا إلى التعاون على الخير ومصلحة الشعب، دون أي شيء آخر، ولم يكن إلا لأن الوزاني كنا ننظر إليه نظرة التقدير والوفاء.

لقد تحدث المرحوم الوزاني في مذكراته عن موقف القوميين من المشاركة في تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، نقلها عنها تاركين التعليق على جميع ماورد فيها للقراء المتفهمين قال الوزاني ص 94 جزء 6 : أريد من الحركة القومية، أن تندفع إلى عمل كان لاشك وطنياً في حد ذاته، ولكن من غير أن تطلع مسبقاً على البواعث أو الجهات التي دعت إليه، وبعبارة، طلب منها أن تنغمر وتحمل المسؤوليات على غير بصيرة وهدي، ودون أن تكون في مستوى أصحاب الاقتراح، من حيث العلم والاطلاع، فتنقاد انقيادا أعمى، متحمسة لما عرض عليها، من أشخاص جُدد في الميدان الوطني، وحديثي عهد بالكفاح السياسي (ولعله يعني بهم : الزغاري وباحنيني) ومع تقدير رجال الحركة القومية للشخصيات المتحاورة معهم من (القدماء)، وتحمسهم لفكرة المطالبة بالاستقلال، الذي كان من أسس (الأيديولوجية) القومية، منذ نشأة حركتها في سنة 1937، لم يكن الإقدام آنذاك على العمل — في نظر القوميين — مسألة هينة، لا تحتاج إلى أكثر من حماس واندفاع، مهما كانت الظروف والعواقب، بل هو عمل جريء، يحتاج إلى أنظمة ووسائل، فضلاً عن ظروف ملائمة، وفرص مواتية، ومؤازرات مجدية، حتى يتم الأمر بإحكام واتقان. ومما زاد القوميين تساؤلاً، أن الدعوة جاءتهم من مسيري جمعية عاشت دائماً على هامش النشاط السياسي، والكفاح الوطني، فإذا بها تتبنى فجأة فكرة المطالبة بالاستقلال كما أن رفض اطلاعهم على ما دفع وقتئذ إلى

هذه المرحلة القصوى من المطالب الوطنية، جعلهم يترثون ليستطلعوا الأحوال، ويتقصوا الحقائق، بوسائلهم الخاصة، حتى إذا انطلقوا للعمل، كانوا على بينة وبصيرة من أمرهم، وتحملوا مسؤوليته عن وعي وإدراك، ومهما كانت العواقب) وبعد كلام طويل مستفيض عن القدماء وتحميلهم مسؤولية عدم مشاركة القوميين أولاً واثامهم بأنهم (إما كانوا مجرد مأمورين ومسخرين من لدن جهة ما... وإما لأنهم لم يكونوا يتوفرون على أخبار موثوق بها، وبعدما ذكر أن الحركة القومية، كانت مضطرة إلى أخذ مهلة للقيام باستطلاعاتها الخاصة، وللاتصال بفروعها أخذاً برأيها، ذكر أن الحركة فوجئت يجعلها أمام الأمر الواقع عندما أعلن عن حزب الاستقلال، وتقديم وثيقة الاستقلال، إلى أن يقول : (ولعل التفسير الصحيح لتلك العجلة، هو أن الأمر لم يكن بيد القدماء، وإن الحزبية الجامحة تغلبت آخر الأمر عليهم، حتى تفوّت (كذا) على الحركة القومية المشاركة في العمل الذي كان وطنياً لاطائياً) انتهى كلام المرحوم الوزاني في تعليقه المستفيض على مضمّن مطالبة الحركة القومية بالمشاركة في تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال الجماعية، وقد أوردت ما كتبه المرحوم الوزاني في الموضوع، لا لأدخل في نقاش أو جدال قد لا يكون مجدياً ولا مفيداً، وإنما لأؤكد على حقيقة أساسية واقعية عشتها بنفسى، وشاركت فيها لدى اتخاذ القرار فيها، ذلك أن اقتراح انضمام الحركة القومية لمطلبنا (الاستقلال) لدى تحضيرنا للوثيقة، وضرورة إعلام وإخبار المرحوم الوزاني ليشترك مع صاحبه معنا، كان باقتراح — كما ذكرت من قبل — من الحزب الوطني ومن أمينه العام إذ ذاك المرحوم بلافريج، والجهود التي بذلها الحزب الوطني ليصل الخبر، ويبلغ إلى الوزاني وهو في منفاه «باتزر» واتصال مبعوث الحزب به في منفاه، واتصال مبعوثي الحزب إلى رجال الحركة القومية بفاس لطلب مشاركتهم، كل هذا يدل — إن كان الأمر يحتاج إلى دليل — على أن (الحزبية الجامحة) (حسب تعبيره) كانت حريصة كل الحرص على بذل كل الجهود، لمشاركة الحركة القومية، وزعيمها، في الخطوة التي خطتها الحركة الوطنية، عندما رفضت الحماية، وطالبت بالاستقلال، باعتبار أننا كنا ولازلنا والحمد لله نعتبر العمل الوطني الشريف، لا ينبغي أن تحتكره أية جماعة مهما قوى إخلاصها، وتضاعف نشاطها، خصوصاً وقد برهنت الأحداث والتقلبات، أن الخير كل الخير في الوحدة، والتعاون، والتضامن، والتآزر.

ومما يقوي ما قلته وشرحته، من أن التحزب غير الشريف، لا ينبغي ولا يقبل، أن يتصف به الوطني الشريف، كيفما كان انتهاؤه الحزبي، ما أكدته الرسالة القصيرة الكلام، المتأججة بروح الاخلاص والوفاء، والتي كتبها بخط يده أحد زعماء الحزب الوطني،

المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، ووقعها معه المرحوم الحاج أحمد بلا فريج، والتي بعثها للوزاني بواسطة نفس المبعوث الذي خصصه الحزب، للاتصال بالمرحوم الوزاني في منفاه ولقد نشر الوزاني هذه الرسالة في مذكراته، وهي تقول :

أخي العزيز لاعدمتك، تحية وشوقا، وبعد، فإننا وفاء بالعهد القديم، الذي سنحتفظ به إلى لقاء الله، نوجه لك نسخة من عريضة الاستقلال، التي قدمناها لصاحب الجلالة، وقدمنا نسخة منها للمقيم، ولعمدتي الدول الأجنبية، ولا تسأل عن أسفنا، لعدم حضورك معنا، في هذه المرحلة الحاسمة من الجهاد الوطني، ولكن روحك وروح علال، كانتا معنا، ولا تسأل عن ألمانا لعدم رضا صديقك السيد عبد الهادي الشرايبي، والسيد علي العراقي، بالتوقيع معنا، ومشاركتنا في التقديم، وقد قام بدور المفاوضة معهما، صديقا للجميع، سيدي محمد الزغاري وسيدي أحمد أباحيني، عسى الله أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والرشاد وحرية الوطن، والله يحفظك لأخيك : عمر بن عبد الجليل ولأخيك أحمد بلا فريج) فهل يشتم من هذه الرسالة، أدنى قدر، مهما كان تافها من التعصب الحزبي ؟ وهلا تظهر الرسالة إخلاص ووفاء للعهد الذي قطعه الوطنيون المخلصون على أنفسهم ؟ وهلا تعبر عن الألم الذي بقي يحز في نفس كاتب الرسالة وإخوانه، لعدم مشاركة ممثلي الحركة القومية في التوقيع على العريضة وفي تقديمها ؟

شخصية من الحركة القومية توقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال

إنه إذا لم تسمح الأقدار بتوقيع مسؤولي الحركة القومية في عريضة حادي عشر يناير 1944، التي قفزت بمطالب الحركة الوطنية، من مطالب الإصلاحات، إلى المطالبة بالاستقلال برغم ما بذل الحزب الوطني من مجهود، لتحقيق ذلك، فإن شخصا واحدا من الحركة القومية، أبقى إلا أن يوقع مع الموقعين، هو المرحوم السيد محمد بن العربي العلمي، وهو وإن كان وقع باسمه كشخص حر، إلا أن انتماءه للحركة القومية كان معروفا لدينا ولدى الجميع، وبهذا يتأكد مرة أخرى، أن الحزب الوطني لم يكن مغلقا ومحتكرا لعمل جبار، كمطلب الاستقلال، ولم يكن قافلا الباب أمام من لهم أهلية التوقيع، وملتزمون بشروط السرية، التي كانت واجبة، ولكنه كان فاتحا صدوره لكل

غيور، تتوفر فيه الشروط، للمساهمة في رفض الوجود الاستعماري والمطالبة بالاستقلال، والتضحية في سبيل الاستقلال.

جس النبض لدى الأمريكيين والانجليز من طرف جلالة الملك وحزب الاستقلال

كان لابد لنا بعد أخذنا قرار المطالبة بالاستقلال أن نجس النبض لدى ممثلي الحلفاء في الرباط، ونستطلع موقفهم من ضرورة تغيير الحالة بالمغرب نظراً للظروف العالمية الجديدة، وتطلع الشعب المغربي لحريته التي بقي فاقداً لها خلال ثلاثين سنة مضت أي من تاريخ فرض الحماية عليه سنة 1912. يقول الأخ المرحوم محمد اليزيدي : لم نكن لنعتب أو نفقد الأمل من اتصالاتنا، فقد كررنا الاتصال بالأمريكيين، سواء بواسطة سفارتهم، أو بممثلهم العسكريين، أو من خلال بعض جواسيسهم، إلا أنهم كانوا يتذرعون لنا كالمئات السابقة، بأنهم منشغلون بالحرب، ولا يمكنهم التفاوض معنا مطلقاً، حول مستقبل المغرب، خصوصاً وأنهم كانوا يصرحون لنا، بأنهم لا يرغبون مطلقاً في قيام أية حركة أو حدوث أي عمل من شأنه أن يعرض الوجود الفرنسي للاضطرابات والقلاقل، على اعتبار أن فرنسا من حلفاء الأمريكيين، ولن يسمحوا مطلقاً من جهتهم بأي عمل من هذا القبيل الذي سيكون حسب رأيهم المستفيد الأول منه، هم الألمان.

وعلى نفس النسق اتصلنا ببعض المسؤولين الأنجليزين، وكنت شخصياً أنا وأخي الحاج أحمد بلافريج، مكلفين بإجراء كل هذه الاتصالات التي كان مضمونها جواب مخاطبتنا عنها سلبياً دائماً.

1) وفي موضوع الاتصالات بالأمريكيين، كتب الأستاذ المؤرخ الدكتور محمد بوطالب مايلي :

(الولايات المتحدة الأمريكية، رفضت مساندة وثيقة المطالبة بالاستقلال، وحذرت الوطنيين من خلق مشاكل أمنية للسلطات الفرنسية) :

استجابة لاهتمام وزارة الشؤون الأمريكية بالأوضاع السياسية بالمغرب، قبيل تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال، سجلت المذكرات الدبلوماسية، والتقارير القنصلية التي كانت ترسلها البعثات الأمريكية بالمغرب، لأهم مراحل إعداد الوثيقة، والأحداث التي

ارتبطت بها، والتي كان يتبعها كل من القنصل العام بالدار البيضاء وزميليته بالرباط وطنجة.

وهذه ملخصات للمراسلات والمذكرات الرئيسية المتبادلة بين ممثلي القنصلية أو المفوضية الأمريكية بالمغرب في تلك الفترة، ووزارة الشؤون الخارجية (المصدر : منشورات الخارجية Foreign Relations لوزارة الشؤون الخارجية بواشنطن لسنة 1944. المجلد الخامس صفحات 524 — 538).

(2) مذكرة القائم بالأعمال بطنجة بتاريخ 28 دجنبر 1943

يُطلع رايغر تشالدرز RIVE Childs المسؤولين بواشنطن على زيارة خليفة باشا مراكش مولاي العربي له في نفس اليوم، حيث أكد له أنه من المنتظر خلال شهر يناير أن يقدم ممثل عن الحركة الوطنية، مطالب إلى اللجنة الفرنسية الوطنية للتحرير، وكذلك لممثلي الحلفاء، وذلك عن طريق السلطان الذي زوّده بما يلزم من تعليمات.

وحسب نفس التقرير، فإن المقيم العام الجنرال كبريل gabriel Bueux عرض على الوطنيين اقتراحاً يطلب فيه منهم، التعبير عن مطالبهم المتعلقة بمساهمة واسعة في تسيير شؤون البلاد، إلا أن الاقتراح لم يحظ بالقبول، لكونه منحصراً في الأوساط السياسية الفرنسية بالمغرب، أما القادة الوطنيون فكانوا يعدّون مطالب تعبر عن مطامح الشعب كله. حيث كان من المنتظر أن يقوم كل من الحاج عمر بن عبد الجليل (المهندس الزراعي) وعبد الكبير الفاسي (القاضي بالمحكمة العليا بالرباط) ومحمد الفاسي (نائب رئيس المجلس العلمي بالقرويين) بتسليم نسخ من الوثيقة إلى القنصل البريطاني السيد بيرد Bird والقنصل الأمريكي ارلي راسل Eari Russel على أن نسخة إلى جلالة الملك لتسليمها إلى المقيم العام، ثم إلى لجنة التحرير الوطنية الفرنسية، والأمر الذي كان يلح عليه الخليفة مولاي العربي، كون هذه الوثيقة، لأنهم الفرنسيين وحدهم، وأنها موجهة كذلك إلى الحلفاء.

وفيما يخص احتمال استقبال وفد الوطنيين، يحذر القائم بالأعمال من وقوع السياسة الأمريكية في إثارة غضب السلطات الفرنسية، بعدم احترام الفصل الخامس من معاهدة الحماية، التي كانت الحكومة الأمريكية قد اعترفت بها سنة 1917، مذكراً بموقف القنصليات الأمريكية، الهادف إلى تجنب اتصالات مباشرة أو رسمية مع الوطنيين، ومنبها في نفس الوقت إلى أن رفض الاستقبال، لن يجلب سوى رد فعل سلبي وسط المغاربة.

(3) مذكرة القنصل بالرباط بتاريخ 5 يناير 1944

يخبر القنصل ماير Mayer المسؤولين في واشنطن باستقباله يوماً قبل ذلك للحاج أحمد بلافريج والسيد محمد اليزيدي، حيث أخبراه بأن حزبهما، كان يستعد لتقديم وثيقة تهدف إلى تغيير الوضع الدولي للمغرب، ولما سألهما عن فحوى الوثيقة، أجاباه بأنها لا تتطلب أقل من الاستقلال، فقال لهما : بأنه قد يسعده أن يطلع على الوثيقة، لكنه غير مؤهل لقبولها بصفة رسمية.

ولما سأله بلا فريج واليزيدي عن موقفه، أجابهما بأنه لم يكن يعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية، قد تساند تحركاً سياسياً يشغل الأنظار عن اتهامات الحرب، وفي نطاق اهتمام حكومته بتطوير الميدان الزراعي بالمغرب، قدم لهما بعض الاقتراحات، منها، تشجيع مواطنيهما على إعطاء الدليل على الرغبة في إرساء قواعد حكم ديمقراطي عن طريق مشاركتهم في جهود الحرب، قصد كسب اعتراف وتقدير هيئة الأمم المتحدة، مشيراً إلى أن تغييرات هامة، قد تحدث بعد الحرب، وكان رد محاوريه أن المغاربة لن ينتظروا حتى ذلك الحين، حيث تكون فرنسا قد استرجعت قوتها، ويصعب آنذاك عليها التخلي عن امتيازاتها بالمغرب، ولم يفت بلافريج واليزيدي تسجيل احتجاج بشأن الدعاية الرائجة، بأن الألمان كانوا من وراء التحركات الوطنية، مع تأكيد سمتها الديموقراطية والإشارة إلى أنه كانت للمغاربة علاقات بالحزبين الاشتراكي والشيوعي الفرنسيين قبل الحرب.

ونظراً لأهمية هذا اللقاء والمعلومات التي أتي بها، أسرع القنصل ماير إلى إشعار رئيس ديوان الإقامة العامة السيد دوروز De Rose الذي أخبره بأن معلومات مشابهة، وردت عليه من القنصلين البريطانيين بكل من الرباط وفاس.

وبعد ذلك قام بزيارة المقيم العام الذي شكره على المعلومات التي قدمها لرئيس ديوانه، وطمأنه بعدم التسرع لاتخاذ تدابير زجرية، ولا القيام باعتقالات كما فعل سابقوه، خاصة لما ذكره بمبادئ الحلف الأطلسي والحزبات الأربع (أي تلك التي عبر عنها الرئيس روزفيلت Rosevelet في خطابه أمام الكونغريس في 6 يناير 1941 وهي : حرية الكلام، وحرية الأديان، والتحرر من الفقر والخوف، وأن أي استخدام للقوة، قد يكون له وقع سلبي لدى الرأي العام الأمريكي.

وعن سؤال المقيم حول اهتمام الحكومة الأمريكية بقضايا المغاربة، أجاب القنصل بأنه كبير، ليس بالنسبة للمغرب فقط، بل للبلدان العربية عموماً، ولما سأله هل كانت

الحركة الوطنية تحظى بتشجيع أمريكي، أجابه بأن ذلك قد يكون صحيحاً، بالنسبة لحقبة ماضية، وعلى يد أشخاص غادروا المغرب⁽¹⁾

وصارح المقيم القنصل بأنه بينما كان يفكر في نقل السيد إبراهيم الوزاني من منفاه في الصحراء⁽²⁾ إلى مدينة «الجديدة» لأسباب صحية، لن يسمح بالعودة للزعيم علال الفاسي الذي وصفه بمتطرف، وغير قابل للتصحيح.

بعد ذلك التقى القنصل بزميله البريطاني السيد بيرد Bird الذي أطلعته على تقرير خطير من القنصلية بفاس، حول الأوضاع هناك، وكذلك على تقرير كان يعده لحكومته يتحدث فيه عن اعتقاد المقيم العام، بأن الوطنيين كانوا يتلقون تشجيعاً من بعض المسؤولين الأمريكيين، وشاطرته الرأي بأن الوطنيين كانوا يهدفون إلى دفع الفرنسيين إلى اتخاذ إجراءات تعسفية، تثير انتباه الرأي الدولي، وخاصة الرأي الأمريكي والبريطاني. كما اتفقا على أن بلديهما لم تكونا ترغبان في تحمل مسؤولية الأمن بالمغرب، وأنه مراعاة للفرنسيين، لا ينبغي تشجيع الوطنيين، ولا المتحررين داخل الجهاز الحكومي المغربي، خاصة وإن المقيم العام عازم على احترام التزامات القوة الحامية، حيث يحاول وضع حد ما كان يقوم به معظم من أتى به المارشال ليوتي Lyautey من ممارسة شؤون البلاد لخدمة المقاولات التجارية والصناعية الفرنسية. ويختم القنصل ماير مذكرته هذه بالتنبيه إلى ثلاثة استنتاجات. أولها : ملءمة الوقت لمراجعة الموقف الأمريكي، تجاه الإدارة الفرنسية بالمغرب. وثانيها : انعدام طموحات وطنية. وثالثها : عدم تمثيلية الشعب المغربي من قبل القادة الوطنيين، أو أعضاء الحكومة المغربية.

4) مذكرة القنصل ماير بتاريخ 12 يناير 1944

بعد إخبار وزارة الخارجية بتسليم الوطنيين العريضة لجلالة الملك بمطالبة الاستقلال بقيادته، والانخراط في الحلف الأطلسي، والمشاركة في مؤتمر السلام، يوحى التقرير بضالة الحركة، وعدم وضوح رؤياها، خاصة وإن السلطان لم يفصح عن موقفه قط، وأنه في حالة الإعلان عنه، قد يعتمد على سند بريطاني كبير، وآخر أمريكي أكبر منه،

(1) لا أعلم أن الأمريكيين كان لهم تشجيع للحركة الوطنية، وإن كان بعضهم كانت لهم اهتمامات باقتصاديات المغرب، وتحلى ذلك عندما دافعوا عن سياسة الباب المفتوح الذي جاء في عقد الجزيرة الخضراء والذي منه حاولوا التسلل إلى التدخل في الشؤون الاقتصادية المغربية. (المؤلف)

(2) لعله يعني السيد محمد بن الحسن الوزاني لا إبراهيم الوزاني.

ثم ينقل محادثة مع بعض المغاربة، حيث وضح لهم فيها عدم ملائمة الوقت، لإثارة مسألة التغيير في الأوضاع، ولو أن نموذج لبنان قد يدعو إلى ذلك.

(5) مذكرة تشايلدز بتاريخ 14 يناير 1944

يخبر القائم بالأعمال الأمريكي بطنجة تشايلدز Childes وزارة الخارجية الأمريكية بزيارة الخليفة مولاي العربي له، حيث كلفه جلالة الملك، وبإبلاغه وإبلاغ زميله البريطاني بموافقة على مضمون العريضة التي تقدم بها الوطنيون، واحتراماً لمكانة مولاي العربي، لم يجرؤ المسؤول الأمريكي على الإفصاح عن أي رأي، لكنه علق في تقريره بأن طريقة التبليغ هذه غير مناسبة، بل إنها مخالفة لبنود معاهدة الحماية.

(6) مذكرتنا القنصل بالدار البيضاء بتاريخ 14 و 15 يناير 1944

يخبر القنصل الأمريكي Eari Russel وزارة الشؤون الخارجية بإلغاء السلطات الأمريكية والبريطانية والفرنسية للرخصة العادية الممنوحة لموظفيها وجنودها، ابتداء من 15 يناير، كما ينفي وجود أي دعم أمريكي حسب ادعاء بعض المغاربة ويرجع هذا الاعتقاد إلى مغالاة بعض المسؤولين الأمريكيين السابقين في تعاطفهم مع القضية المغربية.

(7) مذكرة القنصل ماير بتاريخ 29 يناير 1944

إثر اعتقال الزعيمين أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي في الليلة السابقة، تجمعت حشود المواطنين أمام القصر الملكي في الحادية عشرة صباحاً، حيث تمّ هجوم على السيد محمد معمري الذي يحتل أنه قام بدور وساطة، وتمت قبل ذلك اعتقالات أخرى بمراكش ووجدة، وفي مدينة الرباط التي كانت القوات الفرنسية قد طوّقتهما، اندلعت اشتباكات أدت إلى قتل وجرح في الجانبين.

(8) مذكرة ماير بتاريخ 31 يناير 1944

بعد التعليق على المظاهرات بأنها لم تكن تلقائية، بل كانت مهيأة ومنظمة، يتعرض التقرير لمحصلة مدينة فاس، من قبل القوات الفرنسية، ووضع حراسة عسكرية بالأحياء الأروبية.

(9) مذكرة وزارة الخارجية إلى ماير بتاريخ 31 يناير 1944

بعد التعبير عن تأييد واشنطن لمبادرة ماير تجاه الوضع أثناء محادثته مع بعض المغاربة، يوصي كاتب الدولة في الشؤون الخارجية كورديل هول (Cordell Hull) ملك المغرب

والوطنيين بتجنب ما من شأنه أن يعرقل عمليات الحرب أو يخلق مشاكل أمنية للسلطات الفرنسية، معتبراً أن أية مواجهة مغربية فرنسية، لن تخدم إلا مصلحة دول المحور ودعائياتهما، وأن الموقع العسكري بالمنطقة، لا يسمح بمساندة أمريكية كذلك التي حصلت قبل ذلك بالنسبة للبنان.

(10) مذكرة ماير بتاريخ 2 فبراير 1944

يتعرض التقرير إلى أحداث دامية بفاس التي كانت محاصرة من قبل الجيش الفرنسي، حيث اقتحمت مجموعة من الدباغين مركزاً عسكرياً، مما أدى إلى استشهاد ثلاثين متظاهراً، ثم ينقل اعتراف مدير ديوان المقيم العام دي روز De Rose باستخدام قوات الشرطة والجيش لوسائل العنف، سواء بفاس أم بالرباط، حيث قدم عدد من المتظاهرين للمحاكمة. انتهى ما كان يكتب به بعض القناصل الأمريكيين إلى حكوماتهم.

ويستفاد مما حرره وكتبه هؤلاء القناصل إلى حكومتهم، أنهم كانوا يتبعون الأحداث بعض التبعية، وإن كان ينقصها الكثير من التثبت في الاستنتاجات، وكثير من نقصان المعلومات، وعدم إعطاء حقائق الأحداث كما وقعت خصوصاً الانتفاضات الشعبية العارمة التي وقعت بعد إلقاء القبض على الزعماء سواء في الرباط وسلا أو في فاس أو في غيرهما كما ستحدث عنه بتفصيل، كما يستفاد من التقارير — وهذا مهم جداً — أن الملك محمد الخامس نور الله ضريحه كان بدوره يقوم بنشاطات سياسية سرية لإلغيات نظر المسؤولين الأمريكيين لما يتطلع إليه شعبه من تحرير وانهتاق، مستعملاً بعض الشخصيات التي لم يكن الاستعماريون الفرنسيون يشكون فيها كمولاي العربي العلوي الذي سبق أن شغل منصب مندوب الصدر الأعظم في التعليم وغيره من الشخصيات مثل الحاج محمد المقرئ نفسه في تبليغ آرائه وتطلعاته لمن يهمهم الأمر. إذ ذاك في العالم الدولي، وهذا ما يؤكد أنه رحمه الله كان متحركاً باذلاً جهده لتحقيق الأهداف، ولكن بحكمة وتبصر، لا يستطيعهما إلا من كان في درجة محمد الخامس من الصدق والإخلاص ونشدان الخير للبلاد.

وبهذه المناسبة، أؤكد أننا عندما قررنا، بعد اتفاقنا مع جلالة الملك المنعم، سيدي محمد الخامس رحمه الله، المطالبة بالاستقلال، كنا نشعر شعوراً حقيقياً، بأننا سنقدم على أمر خطير للغاية، لأن الظروف كانت ظروف حرب، وكان الأعداء متربصين بنا للغاية، وكل بادرة تصدر منا، ستؤول بأننا نعاكس القضايا المصرية للحلفاء، ولذلك كان علينا أن نحتاط كل الاحتياط، حتى لا نقع في الفخ الذي يريدون أن ينصبوه لنا،

خصوصا وقد، كان الجو الوطني مشحونا بكثير من التنبؤات، والكل ينتظر ماذا سيقوم به الوطنيون، بعدما انتشرت أفكار التحرر التي جاء بها ميشاق الأطلسي، والأحداث التي صارت تروج بين العام والخاص بعد اجتماع آفنا، والتقاء جلالة الملك بالرئيس روزفيلت. وبالإضافة إلى ذلك، فإن ارتباطنا الوثيق مع جلالة الملك، وتنسيقنا العمل معه في هذه المرحلة الحاسمة في تاريخ بلادنا، كان يفرض علينا أن تسير أعمالنا في أعلى مايكون من الكتمان والسرية، حتى لاتفسد خططنا، وحتى ننجح كل النجاح فيما نحن مقدمون عليه، ومن هنا يتبين أن ماكتبه بعض الاخوة، من أن الذين اتصلوا بهم في موضوع وثيقة المطالبة بالاستقلال، لم يصارحهم كل الصراحة، ولم يحيطوهم علما بأسباب النزول، وطريقة العمل، خصوصا وقد ذكر المرحوم الوزاني في تحليلاته، أن الأمر كان يتطلب استشارات موسعة مع فروع حزبه، وإلا فإن العمل يكون في نظره غير مثمر، والواقع أن هذا لم يكن ممكنا أصلا، ولو وقع كما تصور، لما كانت وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولما وقعت الهزة الكبرى، والانتفاضة الشعبية التي قضت مضاجع الفرنسيين، ولما أعلن المغرب موقفه في المطالبة بالحرية والاستقلال.

نص وثيقة المطالبة بالاستقلال المقدمة لجلالة الملك محمد الخامس في 11 يناير 1944

إن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة. حيث إن الدولة المغربية تتمتع دائما بحريتها وسيادتها الوطنية، وحافظت على استقلالها ثلاثة عشر قرنا، إلى أن فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة.

وحيث إن الغاية من هذا النظام، والمبرر لوجوده، هو إدخال الإصلاحات التي يحتاج إليها المغرب، في ميادين الإدارة، والعربية، والثقافة، والاقتصاد، والمالية، والعسكرية، دون أن يمس ذلك بسيادة الشعب المغربي التاريخية، ونفوذ جلالة الملك.

وحيث إن سلطات الحماية، بدلت هذا النظام، بنظام مبني على الحكم المباشر، والاستبداد لفائدة الجالية الفرنسية، ومنها جيش الموظفين، الذي لا يتوقف المغرب، إلا على جزء يسير منه، وأنها لم تحاول التوفيق بين مصالح مختلف العناصر في البلاد. وحيث إن الجالية الفرنسية، توصلت بهذا النظام، إلى الاستحواذ على مقاليد الحكم، واحتكرت خيرات البلاد، دون أصحابها..

وحيث إن هذا النظام، حاول بشتى الوسائل، تحطيم الوحدة المغربية، ومنع المغاربة من المشاركة الفعلية، في تسيير شؤون بلادهم، ومنعهم من كل حرية خاصة أو عامة. وحيث إن الظروف التي يجتازها العالم، هي غير الظروف التي تأسست فيها الحماية.

وحيث إن المغرب، شارك مشاركة فعالة في الحروب العالمية بجانب الحلفاء، وقام رجاله أخيرا، بأعمال أثارت إعجاب الجميع في فرنسا، وتونس وصقلية، وكورسيكا، وإيطاليا، و ينتظر منهم مشاركة أوسع، في ميادين أخرى، وبالأخص لمساعدة فرنسا على تحريرها.

وحيث إن الحلفاء الذين يريقون دماءهم في سبيل الحرية، اعترفوا في وثيقة الأطلسي بحق الشعوب، في حكم نفسها بنفسها، وأعلنوا أخيرا في مؤتمر طهران، سخطهم على المذهب الذي بمقتضاه، يزعم القوى، حق الاستيلاء على الضعيف.

وحيث إن الحلفاء أظهروا في شتى المناسبات، عطفهم على الشعوب الإسلامية، ومنحوا الاستقلال لشعوب غيرها، هم دون شعبنا في ماضيه وحاضره.

وحيث إن الأمة المغربية، التي تكون وحدة متناسقة الأجزاء، تشعر بما لها وما عليها من واجبات، داخل البلاد وخارجها، تحت رعاية ملكها المحبوب، وتقدر حق قدرها، الحريات الديمقراطية، التي يوافق جوهرها مبادئ ديننا الحنيف، والتي كانت الأساس، في وضع نظام الحكم، بالبلاد الإسلامية الشقيقة.

1 — فيما يرجع للسياسة العامة

يقرر :

أولاً : أن يطالب باستقلال المغرب، ووحدة ترابه، تحت ظل صاحب الجلالة، ملك البلاد المفدى، سيدنا محمد بن مولانا يوسف، نصره الله وأيده.

ثانياً : أن يلتزم من جلالتهم، السعي لدى الدول التي يهملها الأمر، الاعتراف بهذا الاستقلال، وضمانه، ولتوقيع اتفاقيات، تحدد ضمن السيادة المغربية، ما للأجانب من مصالح مشروعة.

ثالثاً : أن يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على ميثاق الأطلسي، والمشاركة في مؤتمر الصلح.

2) فيما يرجع للسياسة الداخلية

رابعا : أن يلتزم من جلالتهم، أن يشمل برعايته، حركة الإصلاح التي يتوقف عليها المغرب في داخله، ويكيل لنظيره السديد، لإحداث نظام سياسي شوري، شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية بالشرق، تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب، وسائر طبقاته، وتحدد فيه واجبات الجميع. والسلام.

ثلاثة محاور أساسية في وثيقة المطالبة بالاستقلال

لقد تضمنت وثيقة المطالبة بالاستقلال، ثلاثة محاور رئيسية. المحور الأول، وجاء في المقدمة، ويتضمن أساسا العوامل والأسباب الداعية إلى مطالبة حزب الاستقلال ووحدة التراب، وهو ما تعبر عنه الحثيات العشر التي تحدد الأسباب، ومن ضمنها

أحقية المغرب في الاستقلال، باعتبار أنه حافظ دائما خلال التاريخ على استقلاله، ولم يسمح لأية قوة أجنبية أن تحتله، فالاختلال آفة طارئة، لا بد من زوالها، والحماية التي فرضت عليه فرضا لا يمكن أن تبقى، والحماية مع ذلك لم توف بالتزاماتها، في إدخال الإصلاحات الضرورية، التي كانت تتطلبها مصلحة البلاد، وبدلا من ذلك فإنها صيرت المغرب وكأنه مستعمرة، يحكمها المستعمرون حكما مباشرا، دون إعطاء أدنى مسؤولية لأصحاب البلاد، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الحماية حطمت وحدة المغرب، وقسمته تقسيمات مفرضة، قصد إضعافه، ومن جهة أخرى فإن المغرب شارك بكل إمكانياته في الحرب العالمية الثانية، وساعد على الانتصارات التي حققها الحلفاء، فمن حقه أن ينال حريته الكاملة التي جاهد مع الحلفاء للظفر بها، ومن حقه أولا أن يظفر بما قرره الحلفاء في ميثاق الأطلسي، ويقرر مصيره، بنفسه، مثل ماظفرت بعض الشعوب الإسلامية وغيرها، وحتى التي هي دونه في التقدم والحضارة ماضيا وحاضرا.

ولا يغفل هذا المحور الإشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه تنظيم المغرب، في المستقبل من ضمان الحريات الأساسية التي يدعو إليها الإسلام، وتطبق في بعض البلاد الإسلامية، وإحداث نظام شورى في نطاق الملكية الدستورية تحت رعاية جلالة الملك المعظم.

أما المحور الثاني، فيقرر المطالبة باستقلال المغرب، ووحدة ترابه، في دائرة النظام الملكي، ويطلب من جلالة الملك، العمل على ضمان هذا الاستقلال، من طرف الدول التي يهمها الأمر، مع الاعتراف للأجانب بما لديهم من حقوق مشروعة، لا تتنافى مع حريته، واستقلاله، وهذا يقتضي أن يكون له دور مع الدول التي كافحت من أجل الحرية، وأقرت ميثاق الأطلسي، وضرورة مشاركته في مؤتمر الصلح، وهذا المحور يشعر بأن حزب الاستقلال متأكد من أن جلالة ملك المغرب، متوافق كل التوافق مع الحزب في المطالبة بالاستقلال، وأنه سيعمل على ضمان هذا الاستقلال، من طريق الدول التي يهمها الأمر، ومن جملتها الدولة الفرنسية بالطبع، كما أن هذا المحور يشعر بأن قضية استقلال المغرب، ليست من اختصاص فرنسا وحدها، وأن المجتمع الدولي مطالب بالاعتراف بهذا الاستقلال، وهو يشير بهذا إلى أن الدول التي شاركت قبل فرض الحماية عليه، في إقرار إدخال الإصلاحات على تسييره، مطالبة الآن بالتدخل لتحقيق الاستقلال وضمانه.

ويشير المحور الثالث إلى أن الحزب كان يفكر في النظام الذي سيسير عليه المغرب بعد الاستقلال، وذلك بضرورة إدخال إصلاحات جوهرية يقوم بها جلالة الملك، تشبه

الاصلاحيات التي وقعت في بعض البلدان الاسلامية والعربية، وتقوم على أساس الشورى التي يدعو إليها الإسلام، والتي تضمن بها حقوق سائر عناصر الأمة. ويلاحظ أن هذه الفقرات التي أتت في هذا المحور، والتي تعتمد المحررون أن لا تكون فيها عبارات مثيرة، كالمطالبة الواضحة بالنظام الديمقراطي، الناشئ على انتخابات حرة ونزيهة، ينشأ عنها مجلس وطني، يرجع إليه في تسيير شؤون البلاد، ومجالس محلية منتخبة، تسيير الشؤون المحلية في المدن والقرى، إلى آخر ما هو ضروري في تنظيم ديمقراطي سليم لبلاد مثل البلاد المغربية. لقد تعتمد المحررون أن لا يعطوا لهذا الموضوع الوضوح الكامل، مع أن الاتفاق كان واضحاً بين جلالة الملك، وحزب الاستقلال، حوله، لسبب وجيه وعاه كل الوعي جلالة محمد الخامس، وأعني به عدم إثارة من كانوا يسيرون المغرب من القواد والباشوات ومن شاكلهم، حيث كان هؤلاء يعتبرون هذا المطلب إذا ما تحقق، يزيل لهم كل نفوذ، ويقلص من تحكماتهم وسيطرتهم ومظالمهم، فتقوم قومتهم، ويعارضون المطلب بشدة، فتجنباً لهذه الإثارة، صيغت الفقرات المذكورة، بالشكل الذي صيغت به، حتى يضمن التعبير عما يريده الحزب، والشعب، بالاتفاق التام مع الملك، ولا يجد المعوقون، والمغرضون والمسيطرون، ما يحتجون به في ذلك الظرف بالذات للوقوف ضده.

وحتى أعطي مثالا واضحاً، مقنعاً، لصلاحيه التعابير الواردة في البند المشار إليه، والتي تشد الطريق أمام المعارضين، أذكر فيما وقع بعد الاستقلال من طرف القائد (عدى وبهي)، عندما رأى تطبيق مبدأ فصل السلطات في منطقته بتافيلات، وغضبه منها، وارتدائه في أحضان الاستعمار ليعرقل تطبيقها، والفتنة التي حدثت إذ ذاك، لولا الحكمة التي سارت عليها حكومة المغرب، لمعالجة الموقف، ولدرء الأخطار. التي لو طالت ونجحت، لسارت الأحداث في غير الطريق التي سارت عليها أوائل الاستقلال.

ملاحظات حول صيغة وثيقة الاستقلال

وهنا يجب أن أشير إلى ملاحظة هامة، تتعلق بتحرير وثيقة الاستقلال، فبعض الذين ناقشوها بعد الاستقلال، ادّعوا أن فيها بعض الثغرات في الصياغة، أو حتى في بعض الأفكار، ولا أريد أن أناقش الذين كتبوا في الموضوع، ولكنني فقط أريد أن أشير إلى أن الوثيقة عندما كانت تحرر، كانت تلي وتتحقق بعض الاقتراحات التي ربما تكون متباينة، والتي تأتي من مختلف الاتجاهات المحررة لها. حتى تعبر — قدر المستطاع —

على رأي الجميع، دون أن تخل بالغرض الأسمى المقصود من تحريرها، وهو المطالبة بالاستقلال والحرية، فالمقصود الأساسي من العريضة هو المطالبة بالاستقلال، والوحدة، وتنظيم البلاد على أساس الشورى، التي يدعو إليها الاسلام، وكل التعابير التي توضح هذه المطالب مقبولة ومستساعة، وهذا ما وصلنا إليه، وهذا ما حقق مطالب الحزب والملك، التي هي مطالب الشعب بأجمعه، وهو ما جعل الحزب ينجح ويتقدم بوثيقة المطالبة بالاستقلال بالشكل والتعبير الذي قدمت به.

لماذا اختير يوم الثلاثاء لتقديم وثيقة الاستقلال

بعد تحرير الوثيقة، والتوقيعات عليها من طرف ست وستين شخصية، وطنية، جاء وقت تقديمها إلى جلالة الملك المعظم، وإلى المقيم العام وإلى كل من ممثلي كل من أميركا وإنجلترا، فاقترح جلالة الملك المنعم، أن يكون يوم تقديمها إليه هو يوم الثلاثاء حادي عشر يناير 1944 الموافق للرابع عشر من شهر محرم الحرام عام 1363، ولم يكن تعيين يوم الثلاثاء للتقديم، تعيينا، اعتباطيا، ولكنه كان مقصودا، حيث أن المستشار الفرنسي الذي كان معينا من الحكومة الفرنسية، كواسطة بين جلالة الملك والإقامة العامة، لتبليغه المقررات والاقتراحات، التي تتقدم بها الإقامة العامة، إلى جلالة الملك، ولأخذ القرارات التي يتخذها جلالتة، لتبليغها إلى الإقامة العامة كانت العادة أن يزور هذا المستشار المذكور جلالة الملك كل يوم ثلاثاء، ولذلك رأى أن تصله وثيقة المطالبة بالاستقلال في ذلك اليوم المذكور، وقبل أن يدخل عليه المستشار الفرنسي، حتى يمكنه بعد ما يأذن له بالدخول، أن يبلغه خبر الوثيقة في وقته دون تأخير، وهكذا كان.

ثلاثة وفود

لقد تكونت ثلاثة وفود، الأول برئاسة الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافرج، وقد تقدم بالوثيقة لجلالة الملك، والوفد الثاني برئاسة السيد محمد الزغاري، رئيس جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس بفاس، وهو الذي قدم الوثيقة لنائب المقيم العام السيد مارشال، والوفد الثالث برئاسة السيد المهدي بن بركة رئيس جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف بالرباط، وهو الذي قدم الوثيقة لكل من قنصل إنجلترا بالرباط، وقنصل الولايات المتحدة الأمريكية بالرباط أيضا.



بعض أعضاء الوفد الذي قدم عريضة المطالبة بالاستقلال
ويظهر في الصورة من اليمين في الصف الأول : إدريس الخمدي — المهدي بن بركة —
محمد الزغاري — الهاشمي الفلاحي — الحاج عمر بن عبد الجليل — أحمد أبا حنيتي. وفي
الصف الثاني من اليمين أيضا : محمد علال — عبد الحميد الزموري — محمد الدسوري —
الحاج أحمد بلافرج — أحمد مكار — عبد النبي إبراهيم.

تقديم الوثيقة إلى جلالة محمد الخامس

صبيحة يوم الثلاثاء حادي عشر يناير عام 1944 كنا مجتمعين بمنزل المرحوم السيد محمد اليزيدي بديور الجامع (طريق تمارة) وعلى الساعة التاسعة تقريبا، انطلقت الوفود الثلاثة إلى الأماكن المرسومة لها، فانطلق الوفد الأول برئاسة «بلافريج» إلى دار المخزن السعيد، حيث وصله بمجرد افتتاح القصر الملكي، فلبث مدة بقاعة الانتظار، وصل أثناءها مستشار الحكومة الذي فوجيء بوجود أفراد من الحزب، لاشك أنه كان يعرف البعض منهم مثل «بلافريج» ومالبث قائد المشور أن نادى على أعضاء الوفد بالدخول إلى قبة العرش، حيث أدى لصاحب الجلالة ما يستحقه من تحية ومباينة واحترام، وأخذ الكلمة في الحين الأمين العام للحزب المرحوم الحاج أحمد بلافرريج وخاطب جلالة الملك وهو في منتهى التأثر، والارتياح، والطمأنينة، قائلا ما مضمونه :

خطاب بلافرريج أمام جلالة الملك

ياصاحب الجلالة ! إننا لسعداء كثير السعادة بزيارتنا لجلالتكم في هذا الصباح، نتقدم إلى سدتكم العالية بالله، بالوثيقة التي حررها ووقعها أعضاء حزب الاستقلال، المتشبتون بعرشكم المجيد، والتي يعبرون فيها عن مطالبهم باستقلال بلادنا وتحريرها من قبضة الاستعمار. فبلادنا التي فرضت عليها الحماية الأجنبية، عاشت طوال تاريخها متمتعة بكرامتها واستقلالها، والحماية التي فرضت عليها، وعلى عرشكم المفدى آن الأوان للتحرر منها، لتنعم بلادنا في عهدكم وتحت قيادتكم باستقلالها، وحريتها، وذلك ما نتوقون إليه أنتم وشعبكم الكريم.

لقد كان جلالة الملك، منشرحا تمام الانشراح، ومنبسطا تمام الانبساط، بل وسعيدا كل السعادة، وهو يستمع إلى الكلمات الصادقة المؤثرة المنبعثة من قلب رجل صادق، وإخوة له مومنين، وجماعة أقسمت بين يديه على المصحف الشريف، لتبقى دائما مخلصنة لله والوطن والعرش.

خطاب جلالة الملك محمد الخامس

ثم أخذ الكلمة رحمه الله ورضي عنه فقال ما مضمونه : (إن هذا اليوم سيبقى يوما تاريخيا في بلادنا، ممجدا لدى شعبنا، وأعتبر نفسي سعيدا كعاهل للبلاد، لأقدر تمام

التقدير، المهمة الشريفة التي تسعون إليها، والتي أنا مطوق بالحفاظ عليها، والسعي الحثيث لتحقيقها، ودراسة الوثيقة التي أتيتم لتقدموها لي كملك للبلاذ، ثم زاد قائلا : سأستدعي إن شاء الله، غدا أعضاء المخزن، والسلطات العليا في البلاذ، سواء منهم القواد أو العلماء أو الأعيان، وأعقد معهم اجتماعا لدراسة الموضوع، واتخاذ القرار الواجب اتخاذه، والقيام بالواجب المفروض علينا جميعا، للعمل على تحرير بلادنا، واسترجاع سيادتها الكاملة، باعتبارنا أمة مسلمة، مخلصه للمبادئ التي أنى بها ديننا الحنيف.

لقد دامت الجلسة مع جلالة الملك نحو الساعة، بقي أثناءها المستشار الفرنسي، جالسا في قاعة الانتظار، ينتظر أن ينادي عليه هو بدوره، وكانت العادة المتبعة بدار المخزن، أن المستشار عندما يحضر إلى دار المخزن، ينادي عليه بسرعة، ليتقابل مع جلالة الملك، ولكنه في هذا اليوم، بقي ينتظر، ولا شك أنه كان في حالة من القلق والإنزعاج، يفكر فيما ستلده الأيام، بعد هذه المقابلة الطويلة غير العادية، بأعضاء وفد الاستقلال.

لم يكن أحد يعرف الغاية التي جاء من أجلها وفد حزب الاستقلال للقصر الملكي، وإن كان الجميع على علم بأن هناك أشياء تحضر، وأن الحزب سيتقدم بمطالب إلى جلالة الملك، قد تكون الاستقلال، وقد تكون غير الاستقلال.

وبهذه المناسبة أسجل أن كثيرا من الأحباب والمخلصين، كانوا يسألوننا في تلك الأيام، عما نحن عازمون عليه، وأن بعضهم كان متحمسا للاستقلال، ومن جملة هؤلاء، وأسجلها للتاريخ، المرحوم الحاج أحمد بركاش، الذي شيعت جنازته بتاريخ (31 أكتوبر 1994) الذي لقيني ذات يوم، ونحن في معمة تحرّكنا، فسألني عما نحن مقدمون عليه، ولما لم أجبه صراحة بما في علمي، وما اتخذناه من قرار المطالبة بالاستقلال، قال لي رحمه الله (لا بد من المطالبة بالاستقلال) أو كلاما هذا معناه.

بعد خروج الوفد من قاعة العرش، كان من اللياقة أن يسلم على الصدر الأعظم، الحاج محمد المقرئ، وهكذا استقبل المقرئ أعضاء الوفد، استقبالا وديا، دون أن يجري معهم أي حديث مهم، وبالطبع لم يوضحوا له الغاية التي من أجلها زاروا جلالة الملك، ولم يسألهم هو عن الغاية من الزيارة.

الوفد الذي قدم الوثيقة إلى الإقامة العامة

أما الوفد الثاني برئاسة المرحوم السيد محمد الزغاري، الذي قصد الإقامة العامة الفرنسية، فلقد استقبله الوزير الفرنسي المفوض لدى الإقامة العامة السيد «مارشال» (marchal)⁽¹⁾ والكاتب العام مسيو «فوازار» ولقد قدم له السيد محمد الزغاري نص وثيقة الاستقلال، مع رسالة بعثتها اللجنة التنفيذية إلى السفير الفرنسي «كابريال بيو» المقيم العام للجمهورية الفرنسية بالمغرب وهذا نص الرسالة :

رسالة اللجنة التنفيذية إلى المقيم العام الفرنسي

سيادة السفير بمقتضى التوكيل الذي نحن مطوقون به من طرف الشعب المغربي يشرفنا إبلاغكم، أننا وضعنا بين يدي صاحب الجلالة المحبوب، سيدي محمد، الملتزمات التي تجدون نسخة منها طيه.

ونرغب من سعادتكم، أن تفضلوا بإيصال سيادة رئيس اللجنة الوطنية للتحرير، النسخة المذكورة، معرفين إياه، بأن ندأنا يتجه إلى الضمير الحر، المتعقل، الذي يتصف به كل المقاومين الفرنسيين، كي تصفى القضية المغربية، طبقا للمبادئ المبينة على النية الصالحة، التي تتركز عليها كل العلائق الدولية.

ونحن متيقنون بأن رغبتنا، ستلاق من الجنرال «دوكول»، ومن سعادتكم، أحسن القبول، راجين منكم أيضا، أن تلاحظوا بأن حركتنا الرامية إلى تحرير بلادنا في إطار المشروعية، لاتعارض في شيء، مع المصالح الحقيقية التي لفرنسا بالمغرب.

ونفكر بأنه قد آن الأوان، أن تأخذ فرنسا بعين الاعتبار، ما أهرقه المغاربة من دماء، وما يجودون به، وما يبذلونه من دم، كي ينتصر المثل الأعلى الفرنسي، ويتحرر تراب بلادها، ملتسمين من سعادتكم، التفضل بقبول عبارات احترامنا العميق.

التوقيع : نيابة عن المجلس الأعلى لحزب الاستقلال : اللجنة التنفيذية.

(1) لم يستطع المقيم العام الفرنسي كابريال بيو أن يستقبل الوفد الاستقلالي حتى لا يصدم بمطلب لا تحمله أذنه، فاختر الخروج من الرباط ذلك اليوم، وعهد لوزيره المفوض أن ينوب عنه.

الوفد الثالث الذي قدم الوثيقة للقنصلين الأمريكي والانجليزي

وأما الوفد الثالث برئاسة المرحوم المهدي بن بركة. فقد قصد أولاً، قنصلية إنجلترا، حيث بلغ القنصل الإنجليزي، القرار الذي اتخذته حزب الاستقلال، في شأن المطالبة بالاستقلال، ودفع له نص وثيقة 11 يناير 1944، التي قبلها بعد تردد كبير، مؤكداً أن تعامل الإنجليز، وقنصليتهم، لا يكون إلا مع الإقامة العامة الفرنسية، ونفس الموقف كان لدى زيارة الوفد للقنصل الأمريكي وبالمناسبة أؤكد أن الحزب كان وهو يتيهاً لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، زار أمينه العام المرحوم بلافريج، صحبة المرحوم محمد اليزيدي، المفوضية الأمريكية، مستعلمين عن موقف الولايات المتحدة. إزاء المطامح المغربية، دون أن يحدد نوعية المطامح، فكان الجواب الصريح : إن الولايات المتحدة، لا تهتم في الظرف الحاضر إلا بقضايا الحرب، وضرورة المساعدة على النجاح ضد العدو، دون أية عرقلة، كيفما كان نوعها، أو كما قيل إذ ذاك.

الموقعون على وثيقة المطالبة بالاستقلال

لقد وقع على الوثيقة من أعضاء الحزب الوطني (الجناح السري، وهو الطائفة)
الإخوة الآتية أسماؤهم :

- (1) أحمد مكوار رحمه الله
- (2) الحسن بوعباد رحمه الله
- (3) الهاشمي الفيلاي حفظه الله
- (4) أحمد بلافريج رحمه الله
- (5) الحسن بن جلون حفظه الله
- (6) عبد العزيز بن إدريس رحمه الله
- (7) محمد السوداني رحمه الله
- (8) أحمد بن دلة رحمه الله
- (9) العيساوي المسطاسي حفظه الله
- (10) عبد الكبير بن المهدي الفاسي رحمه الله
- (11) أحمد بن شقرون المكناسي الملقب بولد النبي رحمه الله
- (12) بوشتي الجامعي رحمه الله
- (13) محمد بن عبد الرحمان السعداني حفظه الله
- (14) محمد (فتحا) بن الجيلاني بناني رحمه الله
- (15) عبد السلام المستاري رحمه الله
- (16) عبد الله بن إبراهيم حفظه الله
- (17) محمد اليزيدي رحمه الله
- (18) أبو بكر القادري حفظه الله
- (19) محمد غازي رحمه الله
- (20) قاسم بن عبد الجليل رحمه الله

- (21) محمد البوعمراني رحمه الله
- (22) عبد الرحيم بوعبيد رحمه الله
- (23) الطاهر بن الفقيه أبي بكر زنيير رحمه الله
- (24) مسعود الشيكور رحمه الله
- (25) عمر بن عبد الجليل رحمه الله
- (26) أحمد اليزيدي رحمه الله
- (27) عبد الله الركراكي رحمه الله
- (28) عبد الجليل القباج رحمه الله
- (29) ج أحمد الشرقاوي رحمه الله
- (30) المهدي بن بركة رحمه الله
- (31) ج بوبكر الصبيحي رحمه الله
- (32) عبد الكريم بن جلون التويمي رحمه الله
- (33) عبد الوهاب الفاسي رحمه الله
- (34) الصديق بن العربي رحمه الله
- (35) قاسم الزهيري حفظه الله
- (36) محمد البقالي حفظه الله
- (37) أحمد المنجرة حفظه الله
- (38) عبد القادر حسن رحمه الله
- (39) الجيلاني بناني رحمه الله
- (40) الحفيان الشرقاوي رحمه الله
- (41) سي بريك بن أحمد رحمه الله
- (42) الحسين بن عبد الله الورزازي رحمه الله
- (43) محمد الفاسي رحمه الله
- (44) محمد (فتحاً) بن الخضر حفظه الله
- (45) مالكة الفاسية حفظها الله
- (46) محمد الديوري رحمه الله
- (47) محمد الحمداوي حفظه الله
- (48) بناصر بن ج العربي رحمه الله
- (49) محمد بن عزو حفظه الله

(50) ج عثمان جوريو حفظه الله.

ووقع من قدماء تلامذة مولاي إدريس الاخوة :

- (1) محمد الزغاري رحمه الله
- (2) أحمد الحمياني حفظه الله
- (3) أحمد أبا حنيني رحمه الله
- (4) محمد الغزاوي حفظه الله
- (5) عبد الهادي الصقلي حفظه الله
- (6) عمر بن شمسي حفظه الله
- (7) عبد الكبير الفاسي الفهري بن حفيظ رحمه الله
- (8) إدريس المحمدي رحمه الله
- (9) أحمد بن بوشتي رحمه الله

ومن مدرسة آزرو (1) عبد الحميد بن مولاي أحمد حفظه الله (2) عبد الله بن عمر،
اعمر أو بناصر رحمهما الله

ومن شخصيات حرة :

- (1) محمد بن العربي العلمي رحمه الله
- (2) محمد الجزولي رحمه الله
- (3) ج محمد الرفاعي رحمه الله

ومن الشخصيات الموقعة على الوثيقة وإن لم يظهر اسمها واضحا : المرحوم الدكتور
محمد الفاطمي الفاسي.

ويجب أن أسجل هنا أن جميع الموقعين يعتبرون حسب تصريح الوثيقة من مؤسسي
حزب الاستقلال، فالوثيقة تقول بالحرف :

(ان حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات
حرة)، فليس صحيحا ما كان كتبه بعض الإخوة، من أن المتقدمين والمضين على وثيقة
الاستقلال، يكونون جبهة، ولا يكونون حزبا، لأنهم هم أنفسهم اعتبروا أنفسهم حزبا،
فلم يبق مجال، لأن يأتي من يغير لهم ما ارتضوه لأنفسهم، ويسمهم جبهة، باعتبار
أنهم لم يأتوا من منبع واحد، ومصدر واحد، ومن جهة أخرى فإن الكثيرين منهم،
أخذوا مسؤوليات داخل حزب الاستقلال بعد تنظيم الحزب، سنة 1945، والقليلون

هم الذين لم ينضموا إلى التشكيلات الحزبية، والبعض منهم بقي متابعا للعمل معنا في فترة الحماية وبعد تحقيق الاستقلال، والبعض توقف عن العمل الحزبي في ظرف من الظروف، وتلك سنة الله في خلقه، فلكل واحد ظروفه الخاصة، ودوافعه التي قد تكون متباينة، والله في خلقه شؤون.

وإن إلقاء نظرة على الموقعين على الوثيقة تعطينا أنهم كانوا من المدن الآتية :

(1) وقع من الفاسيين 23 فردا، (2) (الرباط) وقع منها أحد عشر فرداً (11)، (3) (سلا) ووقع منهما سبعة، (4) (مكناس) ووقع منها ستة، (5) (مراكش) وقع منها خمسة، و (6) (القنيطرة) ووقع منها أربعة، و (7) (آسفي) ووقع منه ثلاثة، (8) (ووجدة) وقع منها واحد وأعطاه إخوانه في وجدة التوكيل عنهم لأن الظروف لم تسمح لهم بالانتقال والتوقيع، كما أن المرحوم السيد أحمد بن دالي وجه برقية يؤكد فيها أن سي بناصر وقع باسم أعضاء الحزب في وجدة و (10) (سيدي قاسم) ووقع منها واحد، (11) ووقع من الخميسات (3) (والدار البيضاء)، وقع منها اثنان، فيكون مجموع الموقعين ستة وستين فرداً، ينوبون عن إحدى عشرة مدينة.

ارتياح واطمئنان لنجاح الخطوة

بعد النجاح الكامل للخطة الذي وضعها الحزب، بتبليغه جلالة الملك، والإقامة العامة الفرنسية والفنصليتين الإنجليزيتين، والأمريكية، نص وثيقة المطالبة بالاستقلال، كنا نعيش في غمرة من الارتياح، والفرح، ورضى الضمير، مالا يستطيع أن أعبر عنه بكلمات، أو جمل، مهما كانت بليغة، فلقد شعرنا أن أمانة خطيرة كانت في أعناقنا، أديناها والحمد لله برضى واطمئنان، وأخرجنا قضية استقلال المغرب من حيز النطاق الثنائي، إلى النطاق الدولي، ووضعنا قضية استقلال المغرب، ضمن القضايا التي يجب أن تعالج بما تستحقه، بعد انتهاء الحرب، وحمدنا الله وشكرناه، أن هياً لنا الأسباب، وصرف عنا العراقيل، حتى استطعنا أن نخطو هذه الخطوة الجريئة الحاسمة، متكاثفين ملتحمين متعلقين، بجلالة ملكنا المحبوب سيدي محمد الخامس، الحارس الأمين لقضايا ومطامح شعبه الأمين، في الانعتاق، معتمدين على ربنا العظيم، الذي لم يخيبنا في أية حركة من حركاتنا.

لقاء بمنزل الأمين العام

إلتقينا بعد رجوع الوفود الثلاثة، من أداء مهماتها بمنزل المرحوم الأمين العام الحاج

أحمد بلافريج، لتناول طعام الغداء عنده، وكلنا في غمرة من الفرح، وكأننا حققنا عمليا استقلال بلادنا، وأذكر أن المرحوم الأمين العام، خاطبني ونحن جالسون حول مائدة الغداء ممازحا كعادته، عندما يكون منشرحا، وكنت في غاية النشوة والسرور، ما رأيك إذا ما تناولنا خمرة معتقة في هاته اللحظات السعيدة التي نعيشها الآن ؟ وهل تشاركنا خمرتنا ؟ فأجبت بما مؤداه : إن الخمرة الحقيقية التي تسعدنا وتزيدنا فرحا، هي ما نحن فيه، من سعادة، ومسرة، واطمئنان، بعدما أدينا واجبا بتوفيق من الله، أو كلاما هذا معناه⁽²⁾.

انتشار خبر المطالبة بالاستقلال

لم يصل وقت الزوال، حتى صارت الأخبار تنتشر هنا وهناك، بأن حزب الاستقلال، طالب بالاستقلال، وصارت نسخ من نص الوثيقة توزع على المناضلين لدراستها، وتحمس الطلبة بصفة خاصة تحمسا كبيرا وهم ينسخون الوثيقة ويوزعونها، فهاجت الجموع الاستقلالية وماجت، وتوالت اجتماعات أعضاء الحزب وشبابه، لتقرأ البيان، وتنسخه، وتوزعه هي بدورها على المناضلين هنا وهناك، في مختلف الأحياء، ومختلف المدن والقرى، وتعقد الاجتماعات، ليقرأ فيها، بأصوات مرتفعة ويعلو الهتاف بحياة المغرب، وحياة الاستقلال، وحياة حزب الاستقلال وحياة محمد الخامس.

لقد عاش الشباب الاستقلالي في تلك الفترة، عيشة تكاد أن تكون جنونية، واندفعوا بهوى بعضهم بعضا، وأذكر أن شابا متحمسا، خاطبني إذ ذاك قائلا : لابد أن يتحقق الاستقلال قريبا جدا، ولا يمكننا أن نتساهل أي تساهل في تأخير تحقيق مطمحننا المشروع، لقد هاج الجمهور المغربي هيجانا عظيما، عندما سمع بمطالبة الحزب بالاستقلال، الأمر الذي دل دلالة واضحة أن الروح التحررية الحقيقية، لازالت كامنة مشتعلة في نفوس كل أفراد الشعب المغربي، لم يطفئها وجود القوات الاستعمارية، طوال اثنتين وثلاثين سنة في المغرب، وأخذها بخناق الشعب المغربي، في الحاضرة والبادية، على السواء، وستبرهن الأيام والأحداث التي ستقع بعد ذلك، أن المغاربة مستعدون لبذل أرواحهم، والتضحية بدمائهم، في سبيل عزتهم وكرامتهم، هكذا كان الجو العام في اليوم الأول وما يليه من أيام.

(2) تؤكد أن ما فاه به الأمين العام للحزب آنفا كان بقصد الممازحة لا غير فهو لم يكن يتعاطى الخمر أبداً.

جلالة محمد الخامس يترأس اجتماعا مع شخصيات كبرى في الدولة

وطبقا للخطة التي وقع الاتفاق عليها، بين جلالة الملك المعظم، ورجال حزبنا، كان الحزب قد تقدم بملتمس آخر إلى جلالته، يرجوه أن يعقد اجتماعا مع المسؤولين في الدولة، وبعض الشخصيات المرموقة، التي لها وزن ومكانة في المغرب، ليعرض عليهم نص الوثيقة، يأخذ رأيهم فيها، وهكذا كما ذكرت من قبل، إستدعى جلالته نخبة من الوزراء وكبار القواد، والعلماء، والقضاة، والأشراف، اختارهم بنفسه، وطبق مارأى أن حضورهم مفيد، فعقد معهم اجتماعا بدار المخزن، يوم الثالث عشر من يناير، ترأسه صاحب الجلالة بنفسه، افتتحه بكلمة سامية، ذكر فيها أنه تلقى من حزب الاستقلال، وثيقة تاريخية. تطالب باستقلال المغرب، الذي هو حق من حقوقنا، ثم وضح للمجتمعين أنه من حيث المبدأ، موافق على فحوى هذه الوثيقة ومضمونها قائلا : وقد استدعاهم هم بدورهم لهذه الجلسة الرسمية، التاريخية، ليشيروا عليه برأيهم، ولتحميلوا معه مسؤولية القرار الذي سيتخذ، لأن الجميع مسؤولون أمام الله، وأمام أمتنا، ثم زاد رحمه الله قائلا، (حسب مابلغنا) ما معناه : إن التصرفات التي تصرفها الحماية بالمغرب، بعيدة كل البعد، عما التزمت به في معاهدة فاس، الأمر الذي لم يحقق أي تقدم، ولم يلب رغبات الشعب المغربي، فالحماية فشلت في مهمتها، الفشل الذريع، ولذلك أصبح من حق الشعب المغربي، أن يظفر باستقلاله، لقد استدعيتكم باعتباركم أهل الحل والعقد بهذه البلاد، وباعتبار بعضكم، الحكومة الشرعية التي اقتص جناحها، ولم يبق لها أي نفوذ أو تصرف، لقد جردتكم الحماية من كل اختصاصات السلطة، وأصبحتم مجرد صورة صامتة، لا تحصلون على أبسط المعلومات، حول ما يجري، وما يقرر في غيابكم، إن الظروف الدولية، ومرحلة 1900 — 1912 لم تعد هي نفسها اليوم، فالخلفاء الذين حاربنا إلى جانبهم، يبشرون بقدوم عهد الحرية، بالنسبة لكل الشعوب الكبيرة والصغيرة، إن ماضينا العريق، كدولة مستقلة، وواجبنا أمام الله والشعب، يفرضان علينا إعلان إرادتنا الجماعية، في استرجاع المكانة التي نستحقها بين الأمم الإسلامية الحرة) كانت كلمات وتعايير جلالة محمد الخامس، في غاية الوضوح ومنتهى الصدق والصراحة والإخلاص، وكان جميع الحاضرين ينصتون إليها باهتمام، ولربما كان البعض منهم ينصت إليها باستغراب، كان في الحاضرين الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ ووزير العدل العلامة السيد محمد بن العربي العلوي وباشا مراكش الحاج التهامي الكلاوي ونقيب

الأشراف العلويين السيد عبد الرحمان بن زيدان، وباشا سلا الحاج محمد الصبيحي ومندوب الصدر الأعظم في التعليم، الحاج أحمد بركاش وغيرهم من رجالات القوم، وانتظر الجميع أن يبادر بالجواب، الصدر الأعظم، باعتباره المسؤول الأول في الحكومة الذي وجه إليه الخطاب، ولكن الصدر الأعظم بقي صامتا، مطأطئ الرأس، فagتنم فرصة سكوته المصلح الكبير العلامة سيدي محمد بن العربي العلوي، وأخذ الكلمة مخاطبا جلالة الملك بصوت جد متأثر : أشكر الله يا صاحب الجلالة الذي أمد في عمري، لكي أشارك في هذه المناقشة التاريخية، إنكم تجسدون الاستمرارية التاريخية لهذه الأمة الإسلامية العظيمة، وتجسدون سيادتها وتطلعاتها الأكثر نبلا، وقد اختاركم الله للقيام بهذه الرسالة : رسالة الكرامة، والحق، والعدل، كل الأمة معكم، فقل لنا ما ينبغي علينا أن نفعله ونحن نعتبر أنفسنا منذ اليوم، تحت قيادتكم في طليعة المعركة المجيدة التي تقومون بها، والله سيساعدكم، لأن قضيتنا وهي قضيتكم يا صاحب الجلالة، عادلة⁽³⁾.

ولعل الباشا الحاج التهامي الكلاوي تحركت فيه النخوة المغربية، عندما استمع لعرض صاحب الجلالة محمد الخامس وجواب الفقيه ابن العربي، فخاطب صاحب الجلالة قائلا : يا صاحب الجلالة، أنت ملكنا، وقائدنا الأعلى، وسنكون دائما وراءكم كلام قصير، ولكنه جاد وحاسم، فما كان أحد ينتظر أن ينطق الكلاوي، بمثل هذا الكلام، وكان جلالة الملك، كان يريد أن يسير غور الرجل، ويحاول في الوقت نفسه أن يكسبه لتأييد فكرة الاستقلال، فخاطبه قائلا : (ما تقوله يا الحاج التهامي، يشهد على نبل روحك، فكن بالأحرى بجانبني، لأن مستقبل بلادنا، مستقبلا جميعا، سيكون من صنع الجميع، كبارا وصغارا)⁽⁴⁾.

وهكذا تبين من خلال العرض الذي ابتدأ به الملك حديثه، مع من يمكن أن نسمةهم إذ ذاك أهل الحل والعقد، ومن خلال ما صرح به كل من وزير العدل الفقيه ابن العربي، وما أظهره الكلاوي في تصريحه المقتضب، أن جلالة الملك، كان حريصا على أن يظهر المغرب بجميع طبقاته، متضامنا في فكرة المطالبة بالاستقلال، وكان يريد أن يشعر الإقامة العامة، والمسؤولين الفرنسيين في الجزائر إذ ذاك، أن جميع المغاربة بمن فيهم الكلاوي وأضرابه، متشبثون بالمطالبة بالاستقلال، وأنه هو بدوره متضامن مع شعبه

(3) راجع الحديث الصحفي الذي أدلى به المرحوم عبد الرحيم بوعبيد لجريدة «الاتحاد الاشتراكي» الصادرة بتاريخ 11 يناير 1990 العدد 2350.

(4) كل الحوارات التي جرت بين الملك والحاضرين، رويت عن بعض الحاضرين، ولم تصلنا بنصوصها.

في المطالبة بالاستقلال، وأن عهد الحماية، يجب أن ينتهي، ليحل بعده عهد جديد، تنعم فيه بلاده بالحرية والاستقلال.

وهكذا أشرع المستشار الحكومي الفرنسي، أن مجلس الحكومة الذي انعقد تحت رئاسة جلالة الملك، وبحضور أهل الحل والعقد من العلماء والفقهاء وأعضاء الأسرة الملكية وكبار المسؤولين في الدولة، قرر الموافقة على ما طالب به حزب الاستقلال في وثيقة التاريخية المؤرخة بـ 11 يناير 1944.

تضاعف الحماس الشعبي وتضامن مختلف طبقات الشعب مع المطالبة

صار الحماس الشعبي يتضاعف، عندما شاعت الأخبار بما راج بين جلالة الملك، والمسؤولين في الحكومة المخزنية، والموقف الصارم الواضح الذي اتخذته جلالته أثناء حوارهِ مع الحاضرين في الاجتماع، وصار بعض المعوقين يدعون بأن المغرب غير مؤهل للاستقلال، لفقدانه للأطر الكفأة التي تسهر على تسيير دواليب الدولة، ولكن الحماس الشعبي الذي أظهره الشعب المغربي في كل الأنحاء والجهات، والذي تجلّى أعظم وأحسن ما يكون التجلي في الوفود المتلاحقة التي صارت ترد على القصر الملكي لتأييد حزب الاستقلال في وثيقة المطالبة بالاستقلال بعرائض ماهرة من مختلف طبقات الشعب المغربي، أَلْقَمَتْ حَجَرًا أَوْلَثَ المعوقين، من الفرنسيين وأذنانهم، وأصبح من الضروري التأكيد التفكير في الطريقة التي من شأنها أن توصل إلى تحقيق الهدف المنشود، وهكذا بعد أربعة أيام من تقديم وثيقة الاستقلال، تكونت بأمر من جلالة الملك لجنة وزارية متركبة من السادة : وزير العدل الفقيه السيد محمد بن العربي العلوي، ومندوب المعارف السيد ج أحمد بركاش، ورئيس التشرifications الملكية الفقيه محمد معمري الزواوي من أجل المفاوضة مع رجال الحزب، في شأن ما جاء في وثيقة الاستقلال، وإمكانيات التوفيق بين نظرية الحماية، التي كانت تشبث بإدخال إصلاحات على تسيير الشؤون في المغرب، ونظرية الحزب، والشعب كل من ورائه المتشبث بفكرة الاستقلال.

وانعقد أول اجتماع للجنة المفاوضة مع رجال الحزب يوم 15 يناير 1944 بمنزل الباشا السيد عبد الرحمان بركاش، ثم عقد اجتماع آخر يوم 18 منه، صدر على إثره بلاغ يوضح الموقف.

وفي هذه الأثناء، استقبل المقيم العام «بيو» أعضاء الوفد التفاوضي الذي عينه جلالة الملك، واستمع إلى حديث رئيس الوفد بالخصوص الفقيه ابن العربي العلوي الذي خاطبه بما مضمونه حسب ما بلغنا : (لقد جئنا يا صاحب السعادة، للتعبير لكم عن الرغبة الجماعية للأمة المغربية، في وضع حد لعلاقات الوصاية التي فرضت على المغرب بمعاهدة فاس، إذ هذه المرحلة قد ولت، ونود أن تسترجع بلادنا كرامتها وحريتها في دائرة تعاون جديد، مبني على الصداقة والاحترام المتبادل⁽⁵⁾) ولقد أجاب المقيم مخاطبيه بأن يود أن تقدم له مقترحات عملية، لما يتصوره الحزب، في مطالبته بالاستقلال.

ويظهر أنه لم يقل هذا إلا تسويقاً وربحاً للوقت ريثما ترد إليه التعاليم من رؤسائه في الجزائر، ثم وقعت اتصالات أخرى، أكدت فيها الإقامة العامة أنه لا مجال ولا مذاكرة في موضوع تغيير نظام الحماية، وأنها أي الإقامة العامة مستعدة للمناقشة في موضوع إصلاحات سياسية واجتماعية في دائرة الحماية. وأمام هذا التصلب الذي أظهرته الإقامة العامة في موقفها من قضية «الاستقلال» ورفضها الرفض النهائي المذاكرة فيه، وأمام صمود رجال حزب الاستقلال في موقفهم الثابت من ضرورة تغيير نظام الحماية، وتلبية مطلب الاستقلال، انقطعت المفاوضات أو المذاكرات بين الحزب وبين الإقامة العامة، وصار الجو يتوتر إلى أبعد الحدود، وينذر بأن رجال الحماية سيدخلون في مرحلة جديدة، إزاء مطلب الاستقلال، وسيستخدمون مقررات قاسية لمحو فكرة المطالبة بالاستقلال من الأذهان، كما صرح بذلك المقيم العام الفرنسي نفسه، وهكذا تبين أنه لابد من التأكيد على مطلب الاستقلال، والرد على ما صرح به المقيم العام من الاكتفاء بإدخال إصلاحات على نظام الحماية. وهو ما دفع رجال الحزب إلى تحرير مذكرة ثانية إلى جلالة الملك مؤرخة بثامن عشر يناير 1944 الموافق لواحد وعشرين من محرم عام 1363، هذا نصها : الحمد لله وحده. يا صاحب الجلالة.

بعد تقديم ما يليق بمقامكم الأسمى، من مراسم الولاء والطاعة والإخلاص لشخصكم الكريم، فإن لجنة المفاوضة التي اجتمعت مع وفد من وزراء جلالتم الشريفة حرسها الله، يوم السبت 18 محرم، موافق 15 يناير 1944 ثم يوم الثلاثاء 21 محرم، موافق 18 يناير، تتشرف برفع هذه الوثيقة إلى أعتابكم الشريفة، وهي تتضمن ملخص نظرها بعد هذه المفاوضات، لتنظروا فيها نظرکم، وتعملوا فيها بما تقتضيه مصالح أمتكم المتشبهة بطاعتكم، التي جعلها الله بالنسبة للإمام العادل، واجباً من أهم الواجبات.

(5) يؤكد أن كل الأحاديث التي كانت تجري نرويه بالمعنى حسب ما بلغنا.

وإن مقام الإمامة التي بوأكم الله مكانتها، بإجماع الأمة على مبايعتكم، يقتضي السعي في مصالح كافة رعاياكم المخلصين.

وقد عبّروا بالاجماع في هذا الأسبوع التاريخي الجليل، عن تضامنهم مع حزب الاستقلال، بلا شرط ولا قيد، وعلى أنهم مستعدون للدفاع عن مطلبهم الوحيد، الذي يضمن لهم كل خير وكل إصلاح، مطلبهم الوحيد، الذي يضمن لهم كل خير، وكل إصلاح.

هذا وإن برنامج الإصلاحات المهمة التي كانت فيها المذاكرة مع ذلك الوفد من وزراء سيدنا نصره الله، بكل إمعان وتدقيق، فاقنتنا بأنه لا يمكن أي إصلاح جوهري ولا ينجح، مادام مبنيا على أساس اقتسام السيادة بين المغرب وفرنسا، والحجة على ذلك، أن كتلة العمل الوطني، قدمت لجلالتكم، وللحكومة الفرنسية، برنامج الإصلاحات سنة 1934، فلم ينفذ منه شيء، وبقي حبرا على ورق، وبقيت السيادة الفعلية، في يد الفرنسيين، بحيث لا يمكن لأي مغربي كيفما كانت حيثيته، أن يقوم بأدنى عمل، بدون استشارة مراقب فرنسي، وموافقته، بينما يفعل ذلك المراقب كل ما يشاء، بدون أن يتوقف على استشارة أحد، ثم أنه لاضمانا لنا في تطبيق تلك الإصلاحات المقترحة، نعم، نعلم أن لسيدنا الحق في اتخاذ بعض التدابير، إذا لم يف المتعاقدون بما اتفقوا معنا عليه، ولكن ذلك لا يتأتى في كل حين، ولا يمكن أن يحصل بواسطته، إلا على بعض الإصلاحات التافهة، هذا بقطع النظر عما ينتج عنه من مشادات بين السلطتين، ومن إخلال بسير الأمور.

وعلى وجه الإجمال، لا يمكن أن يقع إصلاح صحيح، إلا على أساس سيادة واحدة في البلاد. ولا يتصور أن تكون تلك السيادة، لغير جلالة الملك، فهو الذي يجب أن يضع القوانين، ويأمر بتنفيذها، وهو الذي يجب أن يقرر الجبايات، ويوزع المداخل على مختلف المصالح العامة إلخ. وليس معنى هذا، أن المغاربة يريدون مقاطعة الفرنسيين، أو الاستغناء عن مساعدتهم، في كثير من الميادين، بل إن لهم شديد الرغبة في التعاون مع الخبراء والأكفاء منهم، في تنظيم كثير من المصالح الإدارية، والاقتصادية، والعسكرية، كما أن المغاربة لا يجهلون ما للفرنسيين والأجانب من مصالح مشروعة، يجب المحافظة عليها بكيفية قانونية، والتعاون مع الفرنسيين، والاحتفاظ بمصالحهم المشروعة، متيسر في دائرة الاستقلال، ولا يتنافى معه.

أما فيما يرجع لإصلاح البلاد الداخلي، فينبغي الانتباه إلى أنه في دائرة الاستقلال،

أيسر منه في دائرة الحماية، ولو حورت أسسها، فإذا أردنا مثلاً تنظيم العدلية المخزنية في البوادي، وراعينا نظام الحماية، لا نستطيع التوفيق بين اختصاص القواد المغاربة، والمراقبين الفرنسيين، ولو تخلى هؤلاء عن أساليب الحكم المباشر.

أما في دائرة السيادة الموحدة، فسهل على سيدنا المؤيد بالله، أن يجمع عماله وقواده الحاليين، ويخطط لهم خطة واضحة يتبعونها، في تسيير الأحكام، في دائرة النزاهة والعدل، ويراقب أعمالهم عن كثب، ثم يعاقب عقوبة صارمة، من لا تستقيم حاله، ويرعى ذلك بنفسه الشريفة، نظراً لما يكن له سائر المغاربة من محبة وإجلال.

وفي هذا الطور، طور الانتقال، تهيء الحكومة المغربية، برنامج إصلاح للعدلية. وتشرع في تطبيقه بالتدرج، دون أن يعرقه تنازع السلطة بين المخزن والحماية. هذا مثال نعرضه لنظر سيدنا نصره الله، ليستيقن هو ولتيقن وزرائه وكبار دولته، أننا لاندعوه إلى تنظيم حكومة المغرب من أول وهلة، على أساس حكومات الدول الغربية الكبيرة، ولكن ندعوه إلى الشروع في نظام يشمل سائر مرافق الحكم، يكون كالطفل صغيراً، ثم ينمو شيئاً فشيئاً، تحت رعاية سيدنا نصره الله، وبإعانة سائر رجال دولته.

أما فيما يرجع لبعض الإدارات الفنية للدولة المغربية، فمما لا ريب فيه، أن المغرب لا يزال في حاجة إلى فنيين، وهو لا يرفض التعاون مع من يريد أن يعينه في هذا السبيل، ولكن على أساس السيادة المغربية، لا على أساس سيادتين، وإننا نرى أننا أضعف منا في ميادين الاقتصاد، وأقل منه رقياً، تتمتع بكامل سيادتها، ولا أضمن للعلاقات بين الدول، من روابط تبنى على الحرية والعدل، وعلى مثل هذا الأساس، نعقد أواصر المحبة والثقة.

وفي الختام نجدد لمولانا المنصور بالله، مراسم الطاعة التامة، جاعلين كل اعتمادنا بعد المولى سبحانه، على مساعيه، ومساعدته وزرائه الكرام، وكبراء دولته الفخام، أطال الله حياته للأمة، حتى تتمتع تحت لوائه بكامل حريتها، وحفظه الله في شبلة الكريم، ولي عهده مولانا الحسن، وفي كافة أنجالة، والسلام.

وحرر بالرباط بتاريخ 21 محرم عام 1363

موافق 18 يناير 1944

المقيم العام يخاطب جلالة الملك : هل أنتم مع فرنسا أو ضدها ؟

ومن جهة أخرى بقي المقيم العام الفرنسي «كابريل بيو» يوالي اتصالاته مع جلالة الملك لعله يستطيع أن يغير من موقفه المساند والمؤيد لفكرة الاستقلال، وصار ينتقل من لهجة الحوار إلى لهجة الضغط. وهكذا في بعض اللقاءات خاطبه قائلا : هل أنتم مع فرنسا أو ضدها ؟ طائناً أنه سيوقعه بهذا السؤال في مأزق، ولكن جلالة الملك أجابه في الحين بما معناه : أنا لست عدواً لفرنسا، ولكني مع شعبي. جواب في منتهى الحكمة والرزانة والثبات. بقي «بيو» أمامه مندهشاً، لأنه لم يفتح الباب أمامه ليضيق الخناق على محمد الخامس ويسقطه منهزماً أمامه، إذا ما صار معه في نفس الخطوة التهديدية المغلقة التي أراد أن يصل بها إلى مبتغاه من إبعاد محمد الخامس عن معركة الاستقلال، واستشعر محمد الخامس رحمه الله ما كان يهدف إليه «بيو» فصاغ جوابه الحكيم بالطريقة التي أقحمت المقيم وردته خاسراً خائباً، ولكن «بيو» بقي متشبثاً كل التشبث برفض الحوار حول الاستقلال، وعاود اتصالاته برؤسائه في الجزائر، طالباً منهم تدعيمه في رفض الحوار حول الاستقلال، وهكذا قرر الجنرال دو كول إفقاد شخصية فرنسية كبيرة إلى الرباط لتعبر وتؤكد لجلالة الملك موقف فرنسا الحرة من قضية الاستقلال.

كانت هذه الشخصية هي وزير خارجية فرنسا «روني ماسيكلي» (René Massigli) لقد استقبل جلالة الملك الوزير ماسيكلي بمجرد وصوله بحضور المقيم العام «بيو» وبعض الوزراء المغاربة، وأثناء حديثه معه، أكد ماسيكلي، أن فرنسا التي يمثلها الجنرال دو كول، لاتقبل أن تغير علاقاتها مع المغرب، وأن كل تفاوض أو حوار، يجب أن يكون في نطاق الحماية، وزاد فقال : إن فرنسا بمقتضى عقد الحماية، تملك وحدها إدخال الإصلاحات الضرورية التي تتطلبها مصلحة المغرب، دون أن تفرض هذه الإصلاحات من أية جهة.

وهكذا اتضح أن سياسة دو كول في ذلك الظرف لانتخلف عن سياسة سابقه في الحفاظ على المستعمرات التي تقع تحت نفوذ فرنسا قبل الحرب، ومنها المغرب بالطبع، ولقد تأكد هذا في البيان الصادر من مؤتمر برازافيل الذي انعقد بعد يومين من استقبال الملك لما سيغلي والذي ترأسه الجنرال دو كول نفسه، فلقد جاء في هذا البيان : (إن الغايات المستهدفة من العمل الحضاري الذي تنجزه فرنسا في الأقطار التابعة لها، تستبعد

كل تفكير في استقلال هذه الأقطار، وكل إمكانية لتطويرها خارج نطاق التبعية لفرنسا، وكل احتمال أو توقع، لأن تحكم نفسها بنفسها، ولو في أجل بعيد) وأشار هنا إلى أن الذي مثل المغرب في هذا المؤتمر : المستعمر الحقود الذي كان على رأس إدارة الداخلية «فاللا» (Vallat) والمراقب المدني «بيرك» (Berque)، كما أشار إلى أن الزعيم المرحوم علال الفاسي الذي كان منفياً إذ ذاك في الكابون، كانت له اتصالات ومذكرات من منفاه لدى انعقاد مؤتمر برازافيل.

لقد اتضحت المواقف، موقف حزب الاستقلال بالذاكرة الثانية التي رفعها لجلالة الملك والمؤرخة بـ 18 يناير 1944، وموقف فرنسا الذي تأكد بمجيء ماسيكلي، وبيان برازافيل، وجاء وقت الحسم من طرف الإقامة العامة لتشنّ الحرب على المغرب وعلى فكرة الاستقلال، وهكذا وزعت الإقامة منشائر مزورة تدعي فيها أن محمداً الخامس تراجع عن مطلب الاستقلال، وبقي متشبثاً بالحماية الفرنسية، لتجعل بعض الطبقات الشعبية تعتقد أن حزب الاستقلال بقي وحده في مطلب الاستقلال، وأن الملك نفض يده من هذا المطلب، وهكذا تستطيع أن تعزل الحزب عن الشعب لتدخل في مرحلة الانتقام.

لقد كنا نتابع الأحداث ساعة بساعة ودقيقة بدقيقة ولم يكن يخفى علينا ما تبيته الإقامة العامة الفرنسية لنا، وكان جلالة الملك رحمه الله يتتبع بدوره الأحداث، ويبلغ قادة الحزب كل ما يصله من المعلومات التي تتعلق بما يحكيه الاستعماريون لنا، وأحياناً يقترح بعض الاقتراحات لمجابهة ماتدبره الإقامة العامة من شرّ، وما تمهيء له من عنف إن اقتضى الحال، وفي هذا النطاق كان يصدر الحزب بعض البيانات ويدلي رؤساؤه ببعض التصريحات لإلزام الإدارة الفرنسية حجراً، وإبعاد ماتود أن تحيكة من مؤامرات، وجاء يوم 29 يناير 1944 لتخرج تأمرها من حيز التفكير إلى حيز التطبيق.

المقيم العام «بيو» يؤكد لجلالة الملك رفض فرنسا لفكرة الاستقلال

بقيت الإقامة العامة كما ذكرنا في مواقفها الراضية للاستقلال، وزاد تصلبها بعدما اتصلت برؤسائها في الجزائر، ثم طلب المقيم العام «كابريل بيو» مقابلة مع جلالة الملك، أكد له فيها، أن اللجنة الوطنية الفرنسية للتحرير، لا تقبل بدورها أي تنازل عن الحماية،

ولانتقبل إجراء أية مناقشات، في تغيير الأوضاع بالمغرب، وأن الإصلاحات التي ترى الحماية إدخالها على تسيير البلاد، ستدرسها وتقدمها هي لجلالة الملك، ليصادق عليها.

مجلس الوزراء يعقد جلسة برئاسة جلالة الملك

ولأثر ذلك، قرر جلالة الملك، عقد اجتماع آخر مع الهيئة الوزارية، ومن معها من رجال الحل والعقد، الذين حضروا في الاجتماع السابق، وبلغهم ماتلقاه من المقيم العام، طالبا منهم أن يناقشوه، ويمعنوا النظر فيه، وأنه سيستدعيهم لاجتماع آخر لإتمام المذاكرة.

الباشا الكلاوي يتراجع عن موقفه السابق

وفي الاجتماع التالي الذي انعقد بدار المخزن، صارت تبرز العجائب للعيان، وصار بعض الذين كانوا متحمسين في الجلسة الأولى، وفي طليعتهم الباشا التهامي الكلاوي، يقبلون ظهر المحن، وينقادون الانقياد الأعمى لموقف الإقامة العامة.

لقد كان الباشا الكلاوي خاطب جلالة الملك، بأن الرأي ما يراه جلالته، وأنه طوع أمره، فيما يريد ويختار، فصار في هذه الجلسة الأخيرة، هو المعبر الأمين عما تراه الإقامة العامة، ولقد علمنا من مصادر موثوقة أنه كان يظن أثناء الاجتماع الأول مع جلالة الملك، أن من وراء مطالبة حزب الاستقلال بالاستقلال، قوة أجنبية مساندة، أو بالأحرى دافعة، (ويعني أمريكا)، فلما تبين له أن الأمر غير ما يعتقد، وأن القوة الدافعة الحقيقية لحزب الاستقلال، هي إخلاصه لبلاده، وعمله على تحريرها من قبضة الاستعمار، وأنه أخذ على نفسه القيام بواجبه، رغم ظروف الحرب، وإن اقتضى منه الواجب، بذل التضحيات الضرورية، لتحقيق ما يطمح إليه الشعب المغربي من حرية وانعتاق، وإذا كان الكلاوي وأضرابه أمثال المقرئ، تنكروا لبلادهم وحرمتها وانعتاقها، فإن فكرة الاستقلال آمن بها الشعب المغربي، وانفتحت أمامه الطريق، للسير في طريق تحقيق الاستقلال، الذي تحقق والحمد لله، بعد مرور إحدى عشرة سنة من تقديم وثيقة

الاستقلال، وصدقت قوله الشاعر الشابي الذي قال :
إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بُد أن يستجيب القدر
لأنَّ إرادة الشعب من إرادة الله.

وقول الشاعر المصري :
إن لم يجمعنا الاستقلال ففي الفردوس تلاقينا



محمد الخامس يستقبل غداة الاستقلال أعضاء من حزب الاستقلال ويظهر في الصورة :
الزعيم علال الفاسي ومحمد اليزيدي وأبو بكر القادري والمهدي بن بركة وعبد الكبير
الفاسي ومحمد المدور.

الاسبوع الخالد

لقد كانت الأحداث تتوالى بشكل سريع، فلقد تحمس الشعب حماسا منقطع النظير. إثر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال. وصارت العرائض التأييدية، تتوالى على القصر الملكي، من جميع الأنحاء المغربية، حتى أصبحت الطرقات إلى القصر غاصة بالحافلات والسيارات، المملوءة بالوفود التي أتت من شرق البلاد وغربها، وشمالها وجنوبها، وبقيت حركة التأييد الواسعة، مدة أسبوع كامل، من حقنا أن نطلق عليه : (الأسبوع الخالد) الأمر الذي أخاف الاستعماريين، فلم يطبقوا رؤية ذلك، وصاروا يمنعون الناس من المجيء إلى القصر، وتطورت الأحداث في شكل مريع، أدى إلى استفحال الأزمة، واعتقال الأحرار، واضطهاد الشعب بأجمعه، مما سأعرض له بتفصيل بحول الله.

نصوص بعض العرائض التأييدية

لكي أعطي القاريء الكريم، صورة ولو مصغرة، عن بعض العرائض التأييدية، أثبت أصول ثلاثة نصوص من مآت العرائض التي قدمت، ونص رابع تقدمت به الحركة القومية، بالإضافة إلى عريضة حزب الإصلاح الوطني بالشمال التي تأخر وصولها لظروف الحرب التي كانت خانقة ولم يكن من المتيسر مجيء وفد من المنطقة الشمالية لإعلان التضامن مع حزب الاستقلال في مطلب الاستقلال والوحدة والحكم النيابي.

أولاً : عريضة أشرف سلا

إلى صاحب الجلالة ملك المغرب المفدى، سيدي محمد بن يوسف، أيد الله نصره وخلصه في الصالحات ذكره، يا صاحب الجلالة. يتقدم إلى سدتكم العلية، بكل احترام وإجلال، أشرف (سلا) بهذه العريضة المشتملة على توقعاتهم، معلنين تضامنهم التام، مع حزب الاستقلال، فيما رفعه رجاله المقدامون إلى جلالته، من المطالب، بتاريخ رابع عشر محرم، الرامية إلى رفع منار البلاد، وانتشالها من براثن الاستعمار الغاشم، وكلهم واثقون تمام الثقة، من نصرتكم لهذه الحركة المباركة، شأن جلالته في كل

ما يرجع لخير الأمة المغربية وصالحها، ونشفع هذا التضامن بولائنا وإخلاصنا الكامل لجلالتكم، وتفانينا في خدمة عرشنا المفدى، الذي نعتز به، ونعول عليه بعد الله، في إنقاذ وطننا العزيز، حقق الله الآمال، وسدد خطاكم، وحرسكم بعنايته الكريمة، وعلى كامل الطاعة والولاء، حرر بسلا يوم الاثنين 20 محرم الحرام 1363 موافق 17 يناير 1944.

ثانيا : عريضة تجار سلا

ياصاحب الجلالة.

إن الشعب المغربي يعلق على جلالتكم كل الآمال، لتحقيق رغباته الشرعية، التي يتوقف عليها مستقبل البلاد.

وإن تجار «سلا» وأعيانها، يتقدمون لجلالتكم الكريمة اليوم، ليعلنوا تضامنهم التام مع حزب الاستقلال، ويوافقون تمام الموافقة على ما جاء في الوثيقة التي رفعت لسدتك العلية، بتاريخ 14 محرم الحرام، المحتوية مطالب تضمن حقوق الشعب، ومستقبل الأمة، ويقدمون لجلالتكم بهذه المناسبة، دلائل الطاعة، والخضوع لأوامركم ونواهيكم، حقق الله الآمال، وحفظكم بعين رعايته، حتى تتحقق آمال الشعب المغربي على يدكم، ويبلغ أمانيه، تحت ظل عرشكم المنيف. فليحفظ الله جلالة الملك، وليكأله بعين رعايته، وليحفظه في أنجاله الكرام، وليدم العرش المغربي الخالد، وعلى تمام الطاعة والولاء والسلام.

حرر (بسلا) يوم الإثنين 20 محرم الحرام 1363
موافق 17 يناير سنة 1944.

ثالثا : عريضة الدار البيضاء

حضرة صاحب الجلالة، ملك المغرب المعظم سيدي محمد بن السلطان المقدس مولانا يوسف، أدام الله عزه وعلاه،

أما بعد، فإن الموقعين أسفله، أعيان الدار البيضاء من شرفاء وتجار وفلاحين وأعضاء المجلس البلدي، والغرفة التجارية الصناعية، يعلنون إلى سدتك المولوية، ولاءهم وإخلاصهم، مؤيدين وثيقة الاستقلال، التي رفعها إلى جلالتكم الشريفة، حزب الاستقلال، مؤمنين بإيماننا قويا، بأن جلالتكم، لن تألوا جهدا في تحرير المغرب من ربقة



لدى استقبال جلالة الملك محمد الخامس وقداً عن الحزب
بمناسبة أحد الأعياد في عهد الاستقلال

بسم الله الرحمن الرحيم
 وطر الشغل تسير لا عسر ولا حرج

أية الشركة المضمونة في التقليل لتعويض البورصة والمطالبة من صاحبها
«عن» — «مستند»

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

تکے الہ یلیریا تہی
مہلرہ جمع الیہ انزل اللہ

١) ان الله يحب المتكلمين
 ٢) ان الله يحب الذين الذين ياتون الى الله على فطرته
 ٣) ان الله يحب الذين الذين ياتون الى الله على فطرته
 ٤) ان الله يحب الذين الذين ياتون الى الله على فطرته
 ٥) ان الله يحب الذين الذين ياتون الى الله على فطرته
 ٦) ان الله يحب الذين الذين ياتون الى الله على فطرته
 ٧) ان الله يحب الذين الذين ياتون الى الله على فطرته
 ٨) ان الله يحب الذين الذين ياتون الى الله على فطرته
 ٩) ان الله يحب الذين الذين ياتون الى الله على فطرته
 ١٠) ان الله يحب الذين الذين ياتون الى الله على فطرته

(۱) فلقی من ... جلالتی ...
 (۲) ...
 (۳) ...
 (۴) ...
 (۵) ...
 (۶) ...
 (۷) ...
 (۸) ...
 (۹) ...
 (۱۰) ...

عريضة الحركة القومية لتأييد
وثيقة المطالبة بالاستقلال

الاستعباد، والنهوض به إلى المستوى اللائق به وبتاريخه المجيد، نهضة شاملة، يعم فضلها جميع رعاياكم المخلصين. أبقاكم المولى. ذخرا لهذه البلاد وحفظكم في أشبالكم الغر الميامين، وعلى خالص الطاعة والمحبة والامتثال، في 20 محرم الحرام فاتح عام 1363. تم التوقيعات

رابعا : عريضة الحركة القومية

عريضة الحركة القومية للتضامن مع وثيقة المطالبة بالاستقلال»

إن الحركة القومية التي تعمل لتحقيق الوحدة المغربية، والتي تضم صوتها إلى حزب الاستقلال، نظرا لما يتمتع به المغرب منذ أقدم عصوره من الاستقلال الذاتي، والسيادة الوطنية، ونظرا لأن الحماية التي فرضت على المغرب، لم تقم بمهمتها التمدينية، بل تعدتها إلى الحكم المباشر.

ونظرا لأن ميثاق الاطلانتيك، يقرر مبدأ حق الشعوب الضعيفة في تحقيق مصيرها، والتمتع بسيادتها القومية، ونظرا إلى مبدأ الحريات الأربع، التي قررتها الدول الديمقراطية، تطالب بما يأتي :

فيما يرجع للسياسة العامة :

- (1) أن تطالب باستقلال المغرب، ووحدة ترابه، تحت ظل صاحب الجلالة، ملك البلاد المفدى، سيدي محمد بن مولانا يوسف، أبدا الله ملكه وأيده
- (2) أن تلتمس من جلالته، السعي لدى الدول التي يهملها الأمر، للاعتراف بهذا الاستقلال وضمانته، وبوضع اتفاقيات، تحدد ضمن السيادة المغربية، ما للأجانب من مصالح مشروعة.
- (3) أن تطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على وثيقة الاطلانتيك، والمشاركة في مؤتمر الصلح.

فيما يرجع للسياسة الداخلية :

- (4) أن تلتمس من جلالته أن يشمل برعايته، حركة الإصلاح التي يتوقف عليها المغرب في داخله، ويكل لنظره السديد إحداث نظام سياسي، شورى، شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية بالشرق، تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي، وسائر طبقاته، وتحدد فيه واجبات الجميع، ثم التوقيعات، وهي (1) عبد الهادي الشرايبي

(2) عمر بن محمد العراقي (3) علي العراقي (4) عبد القادر بن شقرون (5) محمد بردلة (6) محمد بن الغالي الكتاني (7) حماد العراقي (8) عبد الهادي بن المامون العراقي (9) إدريس بن الماحي الإدريسي (10) عبد العزيز بوطالب (11) الحاج عبد القادر العلي (12) محمد بوطالب (13) محمد بن المكي بن زاكور (14) محمد الصميلي (15) محمد بن عبد الله (16) العابد الخرشفي (17) عبد الرحمان بن محمد الوزاني (18) الحبيب بن عمور (19) إدريس بن محمد الوزاني (20) محمد بن عبد السلام المنوني (21) محمد الطاهري (22) محمد بن عبد الهادي المنوني (23) إبراهيم الهلالي (24) محمد بن أحمد برادة (25) عبد القادر بن جعفر العلوي (26) العلوي بن محمد الزهراوي.

ولقد حررت الحركة القومية، رسالة تقديم إلى جلالة الملك هذا نصها :

(وبعد، فإن الحركة القومية، وهي الهيئة العاملة دائما في سبيل البلاد، والمجاهدة تحت ظل عرشكم العلوي الخالد، والتي برهنت دائما على تضحياتها وإخلاصها للعرش والمغرب، والتي عملت كل ما في وسعها في سبيل القضية المغربية، والمحافظة على الوحدة، ترفع لجنابكم، هاته المذكرة، مطالبة باستقلال البلاد وتحريرها، تحت ظل عرشكم المفضل، وكلمتكم السامية، ضامة صوتها إلى صوت حزب الاستقلال، وراجية من جلالته العمل على تحقيق أمل الأمة المغربية، وتبليغ رجائها، وإنقاذها من هوة الظلم والاستبداد).

في منزل الأمين العام للحزب

وأسجل هنا أن وفد حزب الشورى والاستقلال، تحت رئاسة المرحوم عبد الهادي الشرايبي، زارنا بمنزل الأمين العام لحزب الاستقلال، الأستاذ أحمد بلافرج يوم 13 يناير 1944 وهو اليوم الذي قدموا فيه وثيقتهم التأييدية لعريضة حادي عشر يناير 1944، فتبادلنا معهم أحاديث أخوية، وأعطاهم الأمين العام معلومات عن سير المذاكرة التي تجريها لجنة المفاوضة مع كل من رجال الحزب، والإقامة العامة، حسبما شرحنا ذلك سابقا، وكنا جد مسرورين لالتحام الجمع، رغم تأخره، والسير بخطى موحدة في معركة الاستقلال، ولا أود أن أناقش ما جاء في مذكرة المرحوم الوزاني حول هذا الموضوع، رغم ما لدي على بعضها من اعتراضات، فالغاية التي كنا نسعى إليها تحققت بوحدة الشعب المغربي في مطالبته بالاستقلال والانعتاق، والحمد لله على ذلك.

وقبل أن أقفل الباب في موضوع الحركات الشعبية، المؤيدة لوثيقة حادي عشر يناير 1944، والتي تقدم بها حزب الاستقلال، مطالباً بالاستقلال، والتحرر من الحماية المفروضة عليه، أشير إلى أن المرحوم السيد محمد بن الحسن الوزاني، لاحظ في مذكراته على بعض نقط المطالب الواردة في الوثيقة المذكورة، أربع ملاحظات :

أولها : (إن المطالبة بالاستقلال، معناه التماسه من الغير، مع أنه حق طبيعي ومقدس لا يحتاج إلى أن يطالب به).

ثانيها : (التماس السعي من الملك لدى الدولة للاعتراف بالاستقلال، وضمائه، فيه إخراج للملك)

ثالثها : (طلب انضمام المغرب لدول الميثاق الأطلنتيكي والمشاركة في مؤتمر الصلح) يعتبر ضرباً من العبث.

رابعها : رعاية حركة الإصلاح من الملك، أمر متعذر.

والذي أريد أن أتساءل فيه، هو أن الأمر إذا كان كما فهم المرحوم الوزاني. فيما يتعلق بهذه الملاحظات الأربع، فلماذا تبنى أعضاء الحركة القومية في مذكرتهم التأييدية، كل هذه الأفكار، والتعابير الواردة في وثيقة 11 يناير، وأثبتوها بنصها في مذكرتهم المقدمة بتاريخ 13 يناير ؟ فمذكرة الحركة القومية تطالب باستقلال المغرب، مع أنه حق طبيعي في نظر الوزاني لا يلقى أن يطلب، وهي تلتبس من جلالة الملك السعي للاعتراف بالاستقلال، وهي أيضاً تطالب انضمام المغرب لدول الميثاق الأطلسي، والمشاركة في مؤتمر الصلح، مع أنه يعتبر ضرباً من العبث حسبما قال، وهي في الأخير تطلب من الملك رعاية حركة الإصلاح، مع أنه أمر متعذر.

لو لاحظ المرحوم الوزاني على الحركة القومية، انسياقها مع ماجاء في عريضة 11 يناير، لقلنا إن اجتهاده، جعله يلاحظ على الأفكار التي وردت في المذكرتين، ويخطئهما معاً، أما أن يلاحظ على واحدة، ويسكت عن الأخرى، مع أنها أتت تقريباً بنفس التعابير، فلم أوفق إلى فهمه، ولا بد أن أشير إلى أن رجال الحركة القومية عندما قرروا التضامن في طلب الاستقلال، لم يلزمهم أحد أن يأخذوا نفس التعابير، أو نفس الأفكار، حيث إن المهم هو التضامن في مطلب الاستقلال.

خامساً : كان لابد من انضمام الحركة الوطنية في المنطقة الخليفية، إلى أختها في المنطقة السلطانية، للمطالبة بالاستقلال التام، والتحرر الكامل من ربة الاستعمار

الفرنسي والاسباني والدولي، ولكن ماهو السبيل لتحقيق ذلك ؟ لقد كانت ظروف الحرب، مانعة كل اتصال بين الوطنيين في الجنوب، والوطنيين في الشمال، وكان متعذرا كل التعذر، الاتصال بإخواننا أعضاء حزب الاصلاح الوطني، لمطالبتهم بإعلان تضامنهم مع وثيقة المطالبة بالاستقلال المؤرخة بحادي عشر يناير 1944 مثل ما وقع في مختلف المناطق المغربية في المنطقة السلطانية، فرغما من أننا كنا نتبع، ولو من بعيد، التحركات التي قامت بها الحركة الوطنية في الشمال خلال ظروف الحرب، خصوصا عندما تأسست الجبهة الوطنية بين حزب الاصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية، لمواجهة الاستعمار الاسباني، الذي لعب فيه المقيم العام الاسباني «بيكيدير» دورا خطيرا، في تفتيت القوى الوطنية في الشمال، فإننا لم نتمكن من مطالبتهم بإعلان تضامنهم. لقد كنا على علم بأن القوى الوطنية، وضعت مجتمعة ميثاقا وطنيا، حددت فيه الأهداف التي يجب أن يعمل لها كل الوطنيين على اختلاف ميولاتهم ونشأ عن ذلك، تأسيس الجبهة القومية التي قدمت مذكرة هامة في 14 فبراير 1943 إلى الدول الغربية، بواسطة قناصلها في طنجة، والتي سنتحدث عنها فيما بعد، لأنها قدمت بطريقة سرية، ولم يعلن عنها إلا بعد ذلك بمدة، ولكننا كما قلت لم نطالبهم بالتأييد والتضامن معنا، أما الآن فالذي أريد أن أثبته هنا أن إخواننا في حزب الإصلاح الوطني، بمجرد ما بلغهم خبر تقديمنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وإيجادهم الفرصة لإعلان تضامنهم معنا، قرروا رفع مذكرة تأييدية لجلالة الملك المنعم محمد الخامس، كانت البرهان الساطع على أن المغرب بجنوبه وشماله، لايرضى بغير الاستقلال والوحدة بديلا وهنا أدع الكلام للمرحوم الطيب بنونة، يحكي لنا كيف وصلهم خبر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكيف قرروا تأييدها، ومن هم الذين وقعوا عليها.

قال الطيب بنونة⁽⁶⁾، ان الشيخ مولاي العربي العلوي، كان قد زار تطوان، في أوائل سنة 1944، مكلفا من قبل جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، لتصفية إرث السلطان مولاي عبد العزيز مع الخليفة السلطاني، الأمير مولاي الحسن بن المهدي، الذي كان خاطبا لكرمية السلطان مولاي عبد العزيز، واتصل بنا، وأخبرنا بوثيقة المطالبة بالاستقلال التي قدمها الوطنيون في الجنوب، وعلى إثر ذلك، اجتمعت اللجنة التنفيذية لحزب الاصلاح، وقررت إرسال عريضة إلى السلطان، تؤيد فيها حزب الاستقلال، ولم تعمل على جمع التوقيعات، لتجنب عرقلة الفكرة، من جانب سلطات الحماية

(6) انظر ملحق جريدة «العلم» الصادر في 11 يناير 1969.

الاسبانية، وهذا نص العريضة التي كانت مكتوبة بخط الطيب بنونة نفسه وموقعة من طرف الاخوة : عبد الخالق الطريس، التهامي الوزاني (التطواني) أحمد غيلان، محمد الطنجي، محمد طنانة، محمد افيلال، الحاج محمد الشرقي، الحاج محمد الصفار، الطيب بنونة.

والعريضة مؤرخة برابع ربيع الأول 1363 الموافق 29 فبراير 1944 أي أنها قدمت أو بالأحرى حررت بعد مضي نحو الخمسين يوما من تقديمنا لوثيقة حادي عشر يناير 1944.

وثيقة حزب الإصلاح الوطني في الشمال لتأييد عريضة الاستقلال سنة 1944

بسم الله الرحمن الرحيم الله أكبر

جلالة مولانا السلطان المعظم سيدي محمد بن يوسف أدام الله نصره وتأييده السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فإن هيئة حزب الإصلاح الوطني — بصفتها الهيئة الوحيدة التي أحرزت على ثقة الشعب الغالية، في هذه المنطقة الشمالية من المغرب، والتي تعتمد قوتها على سمو المبادئ، وطهارة النفوس، والاخلاص لله، وللوطن، وللعرش المغربي المقدس بالمهيج والأرواح، تتشرف برفع هذه العريضة إلى سدتكم العالية بالله، وهي تسأل الله تعالى، باسطة يد الضراعة أن يحفظكم ذخرا لهذه الأمة، حتى تحققوا ما نصبوا إليه من حرية، واستقلال، ووحدة كاملة، لجميع التراب المغربي، فنحظى بالمثل بين يدي مولانا لنعبر له عن عميق شكرنا، وصادق محبتنا، ونجدد الولاء، ونؤكد عهدنا لله ولرسوله، ولسيدنا الامام، راعي حمى المغرب الأقصى، على الوفاء والاخلاص، والتضحية بالنفس والنفيس، في سبيل الاسلام، والعروبة، والمغرب.

مولانا

لقد اطلعنا على القرارات السامية، التي رفعتها إلى جلالكم تلك النخبة الطاهرة من المغاربة الاقحاح، والوطنيين المجاهدين الأبرار، هيئة حزب الاستقلال المغربي، وانها لقرارات عظيمة في تاريخ المغرب المجيد، وانها لقرارات الحق والعدل والانصاف، وانها

لمطالب الأمة بأكملها، والشعب بأجمعه، لا يعارضها ولا يخرج عنها، إلا من نزع الله من قلبه الإيمان، وأودع فيه الكفر، والشقاق، والخيانة والنفاق، وإن حزب الاستقلال إذ يرفع الصوت اليوم، ويرسلها صرخة داوية في آفاق، فإنما يرفع بذلك اسم المغرب عاليا بين الأمم الحية، والشعوب اليقظة، ويثبت للعالم أن المغاربة أحرار، لا يرضون بالذل والاستعباد، ولا يصبرون على الضيم، ولا يستكينون، ولا يستسلمون لقوة الحديد والنار، وهم بعزائمهم الإسلامية وشهامتهم المغربية يذودون عن الحمى حتى يعيدوا للمغرب عزته ويسترجعون للدولة المغربية قوتها وسيادتها، ويصونوا العرش المغربي المجيد، والعائلة المالكة المحبوبة من عدوان الأجانب المسيطرين، وخطرسة الدخلاء المقتوتين، وإن أمنية الأمة ورغبتها التي عبر عنها حزب الاستقلال خير تعبير، ومثلها أصدق تمثيل، هذا وقت عرضها على الخاص والعام، وتبليغها بالخصوص لمن بيدهم مقاليد الأمور، لتسجيل القضية المغربية في لائحة القضايا التي يجب درسها على مائدة مؤتمر الصلح، ولتعلم العالم أجمع أن الشعب المغربي، من الشعوب التي كافحت، وتكافح حكومة وشعبا ضد الاستعباد والاستعمار، وإن الشعب المغربي، يطالب بنصيبه في السيادة، والحكم الذاتي، وبحقه في الحرية والمساواة، فالمغاربة لم يقبلوا في يوم من الأيام أية سيطرة أجنبية على بلادهم من أي نوع كانت، وهم يفتنمون هذه الفرصة، للتحرر من قيود الاستعمار، والعمل على توحيد البلاد المغربية، وضم أجزائها إلى بعضها، تحت النفود الموحد، لجلالة السلطان وإن الحلفاء الذين صرحوا غير ما مرة، بأنهم يحاربون من أجل تحرير الشعوب يجب أن يعلموا أن المغاربة غير راضين عن الاستعمارين الأفرانسي، والأسباني، وأنهم من تلك الشعوب المستعبدة، التي أهينت كرامتها وهو جمت في دينها، وعوائلها ومعتقداتها، واغتصبت منابع ثروتها، مع أنهم جديرون بما لهم من ماض مجيد، وعقلية وقادة، ومركز جغرافي ممتاز، ومقدرة على المساهمة في الحضارة البشرية الكبرى إن يعيشوا أحرارا في بلادهم مستقلين في شؤونهم.

مولانا

إننا نغتنم هذه الفرصة لنضم صوتنا إلى حزب الاستقلال نؤازره ونؤيده في المطالبة العادلة، معبرين بذلك عن شعور شعبكم الوفي في هذه المنطقة من المغرب، ومؤكدين لجلالتكم أن مبادئنا وإحساسنا في هذه الديار هي عين المبادئ المغربية الخالصة، والإحساسات الوطنية الصرفة، فما يؤلم الأمة هناك، يؤلمنا هنا، وما يبهجها هناك يبهجنا هنا.

وإننا لا نعتبر أنفسنا إلا جزءا متما للمغرب العظيم الجبار وعظمة المغرب في صحرائه، وريفه، في جباله، وسهوله، في أنهاره وشواطئه، في رجاله الأشداء، وعقول أبنائه الأقوياء.

وإذا كان إخواننا في الجنوب، يشكون من الجور الفرنسي، فإننا في شماله، نشكو من أمرين نشكو من الاستعمار الاسباني الممقوت، ونشكو من فصلنا عن الوطن الأكبر كما يفصل العضو من الجسم الحي الكامل، فلا العضو يقوم بمهمته ووظيفته، ولا الجسم يبقى سالما من العطب والتشويه، وإن فداحة مصيبتنا وجسامة خطيئنا، أعظم من أن توصف بالفقر، والجهل، والظلم، والعداء الديني والأحقاد السلالية التاريخية، كلها معاول تحطم في جسم الشعب البئيس، وتهدد معالمنا بالزوال والخراب، وتندرننا بقيح المصير، وسوء المآل.

مولانا

لقد كانت البشرية عظيمة، وكان الفرح يملأ المهج والقلوب، عندما علمنا أن جلالته حفظكم الله ذخرا للاسلام، وللمغاربة، كنتم خير من شجع فكرة التحرر، والدعوة إلى الاستقلال، بما أظهرتموه من عطف تام على القضية المقدسة وإخلاص مولوي للشعب المغربي الكريم، وللوطن المغربي العزيز فتزعمتم الحركة الاستقلالية المباركة، بارك الله في زعامتكم، وأظهرتم من البطولة، والتضحية، ما رفع عرشكم فوق العروش، وبرهنتم للعالم أجمع، على سمو محبتكم، وعلى أنكم من أرومة كريمة طيبة، وأنكم من تلك السلالة التي جاهدت قرونا طوالا، في نشر تعاليم النبي الكريم، ورفع ألويته بين الأنام، وكافحت في الدفاع عن بيضة الدين الحنيف، وصيانة حرمة العروبة والاسلام، وإن وجود جلالتهم ملكا على هذه البلاد، هو الضمانة لمستقبلنا الزاهر، وهو البشرية من الله بزوال الاستعمار وانهيار صروحه القائمة على أساس من الجور والطغيان.

يا صاحب الجلالة — إن آمال الشعب المغربي كلها معلقة على جهودكم ومساعدكم الديبلوماسية، في سبيل تحرير المغرب، وأن مصير الأمة، ومستقبل الوطن في يديكم، فتظافر المغاربة حكومة وشعبا، ووقوفهم على قلب رجل واحد، في وجه العدوان، هو الطريق الأوحده، والسبيل الأقوم، لوصولنا لساحل النجاة ظافرين منتصرين، ونحن يامولانا من هنا من شمال المغرب، بالنيابة عن باديته وحاضرتة، وشرفائه، وعلمائه، وزراعته، وتجاره، وصناعه، وملاكه، نستغيثكم باسم الاسلام، ونرجوكم بحق النبي الأعظم، أن يكون

دفاعكم عن المغرب دفاعاً عن وحدته لجميع مناطق وحدوده، وأن يكون استنكاركم لاستعمارهم، استنكاراً عاماً، لا فرق فيه بين فرنسي وإسباني، لعل الله يجعل الفرج على يديكم ﴿وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

وختاماً نؤكد لمولانا، أننا جنود أوفياء في خدمة الاسلام والمغرب وأنا خدام مطيعون للملكنا المحبوب، وسلطاننا المعظم، أدام الله نصرته وعزته، وأعز به المسلمين، وأيد به الدين، وأطال حياة أنجاله الكرام آمين.

تطوان، حرر 4 / ربيع الأول / 1363

الموافق ل: 1944/2/29

الامضاءات : عبد الخالق الطريس، التهامي الوزاني
أحمد غيلان، محمد الطنجي، محمد طنانة، محمد أفيال،
الحاج محمد الشرقي، الحاج محمد الصفار، الطيب بنونة.

موقف الحزب الشيوعي في المغرب من طلبنا الاستقلال

لا يخفى أن السلطات الاستعمارية الفرنسية سمحت للفرنسيين الموجودين بالمغرب بتحركات سياسية للدفاع عن مصالحهم وفي هذا المجال سمحت بتأسيس حزب سياسي شيوعي تابع في الواقع للحزب الشيوعي بفرنسا.

ولقد انخرط في هذا الحزب بعض المواطنين المغاربة، وكان لهذا الحزب بعض النشاط السياسي والصحفي، فكانت له جريدة تسمى بالمساواة (Egalité) وكان يديرها المحامي المشهور «ليون سلطان»، واسسوا جريدة أخرى أسموها (الحرية) وجريدة أخرى اسمها (L'éberation) وأخرى اسمها (L'action Syndicale) وأخرى اسمها (Espoir) كل هذا في الوقت الذي لم يسمح لنا فيه باصدار أية جريدة كيفما كان نوعها، باستثناء جريدة «المغرب» التي كانت تراقب مرافقة شديدة وجرائد أخرى أسبوعية.

لقد كان من المنتظر من هؤلاء الشيوعيين الذين كانوا يتغنون بالحرية والمساواة أن يكونوا مع الشعب المغربي الذي طالب بالاستقلال والحرية متجاوباً مع ملكه الهمام الذي أيد مطلب الاستقلال، وكافح في سبيله ولكنهم سواء في صحافتهم أو في غيرها ردوا علينا باللائمة والعتاب والاستنكار عندما طالبنا بالاستقلال بل اتهمتنا بعض

صحفهم ومنها صحيفة (L'Ebération) بزرع القلاقل والعمل ضد طموحات الشعب وضد الديمقراطية⁽⁷⁾ ولقد كتب ميشيل مازيلا في جريدة (Espoir) بتاريخ 5 غشت 1945 مقالا جاء فيه : (هل استطاع شعار (الاستقلال أولاً) أن يحقق بعض الرفاهية لسكان هذا البلد ؟ هل جعلهم يحصلون على الحقوق الديمقراطية الأساسية ؟ نقول : لا العكس تماماً هو الذي حصل، إن ذلك الشعار، إنما يسر لعبة رجال التروستات والفيوداليين والاستعماريين الذين وجدوا فيه ذريعة لبث الانقسام.

... فنحن نتساءل إذن ؟ اليس هؤلاء المستفيدون هم الأصحاب الحقيقيون لذلك الشعار ؟

هذا ما كتبه مازيلا سنة 1945 وهو يتهم الاتهام الواضح الوطنيين الشرفاء الذين رفضوا الوجوه الاستعمارية بأنهم فيوداليون ويستمدون أفكارهم من الاستعماريين في الوقت الذي يدّعي هو وأمثاله من اخوانه في حزبه انهم يدافعون عن الحرية والمساواة وتحرير الطبقات المستضعفة من البغي والعدوان، كأن الاستعمار الفرنسي الأجنبي للمغرب أتاناً بالعدل والمساواة والحرية واعطاء الحقوق، ولكن هذا الموقف الذي وقفه مازيلا وحزبه من مطالبتنا بالاستقلال ينسجم تمام الانسجام كما قال الأستاذ (جامع بيضا) مع موقف الحزب الشيوعي في فرنسا الذي جاء فيما كتبه بعض رفاقه وهو (Joana Berlitz) في (Cahiers du Communisme) والذي قال :

(ان الحالة المؤلمة التي يعيش فيها العرب والأمازيغ، تعتبر بالطبع، تربة صالحة للدعاية المناهضة لفرنسا، والتي يقودها أولئك الذين يزعمون أنهم وطنيون (كذا) فهم يثرثرون حول استقلال (كذا) أو حول قومية عربية يستحيل قبولهما، في ظل الوضعية الاقتصادية الحالية لشمال افريقيا، إلا كجسر نحو هيمنة من نوع آخر، لكن هذه الدعوة لا تجد استجابة الا من لدن نخبة، ضيقة مرتبطة بالفيودالية الاسلامية، أو متأثرة بها).

لقد صدر هذا المقال بالجريدة المذكورة الصادرة بباريس بتاريخ فبراير 1945 أي بنحو ثلاثة عشر شهراً من تقديمنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وهو يعبر بوضوح عن موقف الشيوعيين بفرنسا مثل ما عبر الشيوعيون بالمغرب عن رفضهم المطلق لفكرة المطالبة بالاستقلال، سائرين في نفس الموقف الذي وقفه المقيم العام الفرنسي وكل من

(7) انظر مقال الأستاذ جامع بيضا في كتاب دراسات تاريخية مهداة للفقيه جرمان عياش ص : 308.

(8) نفس المصدر.

حوله من المستعمرين من قضية استقلال المغرب، وحكمهم على الأحرار الوطنيين بأنهم فيوداليون متأثرون بالفيودالية الإسلامية حسب زعمهم، كأن الإسلام الذي يدعو إلى الحرية ويناصرها ويمجدها يعتبر في نظرهم من المناصرين للفيودالية الغربية التي يتشبث بها الشيوعيون وزعماءهم الذين يدعون أنهم يناصرون الأحرار، ويدافعون عن المستضعفين، هذا الموقف الاستعماري المخزى من طرف الشيوعيين هو الذي جعلنا في ذلك الظرف وبعده نرفض كل تعاون معهم، ونرفض أن نعتبر حزبهم حزباً مغرباً متحرراً يمكن أن نعقد معه جبهة وطنية قومية كيفما كان شكلها ونوعها، وبالخصوص عندما كنا نعرف أن مسيريه الحقيقيين هم الفرنسيون الدخلاء على المغرب، وأن بعض المغاربة الذين غرر بهم حتى انخرطوا في سلوكه، يجب أن ينفضوا من حوله، ويرجعوا لحضيرة الوطنية الحقة التي لا ترضى ولا تقبل أن تكون تابعة لأي أجنبي كيفما كان نوعه أو شكله أو مذهبته، إذ الاستقلال في نظرنا يشمل الفكر والمذهب مثل ما يشمل الأرض والحكم والتسيير وهذا الموقف الواضح البين من الاندماج والتبعية عبرنا عنه في كل مراحل نضالنا الوطني، ابتداء من أوائل الثلاثينيات، عندما دعانا بعض الاشتراكيين الفرنسيين الأحرار الذين كانوا ينصروننا في مطالبنا مثل المسيو كيمولي الاشتراكي المعروف الذي دعا إخواننا الذين كانوا بفرنسا سنة 1932 أن يندمجوا في سلك الحزب الاشتراكي الفرنسي حتى لا يتهموا بالرجعية التي كانوا يسمون بها المنتمين للإسلام والمتشبهين بهويتهم الإسلامية المغربية العربية وهذا الموقف الواضح منا كذلك هو الذي جعلهم دائماً ينظرون إلى حزب الاستقلال بالخصوص نظرات فيها كثير من الحذر والخوف، وينشرون ضده كثيراً من التقولات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولربما يصنفونه ضمن الأحزاب الرجعية التي ليست لها برامج تقديمية تحررية، وأفكار ديمقراطية سليمة، تهدف أول ما تهدف إليه إلى نشر الأفكار التحررية والدفاع عن الطبقات المحرومة مثل أو أكثر مما يدعون أنهم يدافعون عنها، غاضين الطرف عن دراسة البرامج التي أقرها الحزب في مختلف مؤتمرات واجتماعاته فيما يتعلق بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، والتي أثبتنا فيها بما لا يدع مجالاً لأي شك، أن حزبنا حزب تقدمي تعادلي ديمقراطي متحرر هدفه الأول والأخير هو تحرير الشعب المغربي من كل سيطرة أجنبية أو غير أجنبية وتمتعه بتحريره من الخوف والجوع والجهل والظلم بما فيه الظلم الاجتماعي.

الفرنسيون يرتاعون من طلب الاستقلال

اندهش الفرنسيون لمطلب الاستقلال الذي تقدم به حزب الاستقلال، وتضاعفت دهشتهم عندما رأوا الحماس الشعبي لإزاء فكرة الاستقلال، والاجماع الوطني الذي ظهر في المغرب، شماله، وجنوبه، شرقه وغربه، أمام هذا المطلب العظيم، فكيف استطاع المغاربة أن يتجرأوا هذا التجرد الكبير؟ فيطالبون بالاستقلال، وتسير أنفسهم بأنفسهم؟ فهل هناك قوة خفية، دعتهم للتكرار لفرنسا التي حضرتهم ونهضت ببلادهم؟ فلربما تكون السياسة الأمريكية من وراء هذا المطلب، ولربما تكون قوة أخرى عدوة تحركهم من وراء ستار، وكيفما كان الأمر فلا بد من التروي وتقليب وجهات النظر، وأخذ رأي السلطات العليا الفرنسية في الجزائر قبل الإقدام على اتخاذ أي قرار، لقد كان المقيم العام الفرنسي «كابريل بيو» يتتبع التطورات التي وقعت في المغرب بعد تقديم وثيقة الاستقلال، وزادته محادثاته مع جلالة محمد الخامس اقتناعاً بأن المغرب بجميع قاته ومنظماته وأحزابه، وفي طليعة الجميع ملكه المفيدي، مقتنعون كل الاقتناع بضرورة تغيير نظام الحماية، والمفاوضة على تحقيق الاستقلال، وأن ما شرحه له أعوانه ومساعدوه في إدارة الأمور الأهلية، من أن حزب الاستقلال وحده يطالب بالاستقلال شرح لا يعبر عن حقيقة الأمر، فحركة الأسبوع الخالد الذي تواردت فيه الوفود من جميع أنحاء المغرب، معبرة عن تضامنها مع حزب الاستقلال، في مطلب الاستقلال، تبرهن على أن الأمر أكبر مما صورته له إدارته، وأن الخطاب الذي يخاطبه به جلالة الملك، تعبیر حقيقي صادق، وأنه هو المعبر الأمين عما يطمح إليه شعبه، لايداري، ولايجامل إلا في دائرة الحق وطبق ما يبتغيه شعبه.

إذن فالمعركة الحقيقية، ابتدأت مع الاستعمار يوم حادي عشر يناير 1944، والمطلب الأساسي هو الاستقلال، ولايضير الملك والشعب ماينتج عن مطلب الاستقلال من عراقيل وأزمات، وفي ذلك يقول جلالة الحسن الثاني في كتابه: «التحدي»: (في هذه المرة، بدأت المعركة الحاسمة في سبيل الاستقلال ولم يكن والذي يجهل الخطر الذي يتعرض له لكنه كان قويا بعدالة حقه، وكان يدرك أن بجانبه شعبا وفيها شجاعا مخلصا في كل ما يتعرض له من محن وأتينا سنحقق النصر في النهاية.

لقد اتضحت المواقف، وزال الالتباس، وأصبحت قضية الاستقلال، قضية الملك والشعب، وانهارت الخرافات التي كانت الإقامة العامة تمنى بها نفسها بأن مطلب الاستقلال مطلب خاص بحزب الاستقلال، وهنا ظهر للمقيم العام «كابريل بيو» أنه لا بد من تغيير الخطاب، وأن الصراحة واجبة فصار أولاً يطالب بالتخلي عن فكرة المطالبة بالاستقلال، والمذاكرة في الإصلاحات التي ينبغي إدخالها على نظام الحماية الثابت الذي لا يمكن التخلي عنه بوجه من الوجوه. ثم لما رأى أن الجميع مصمم على مطلب الاستقلال، كشف عن حقيقته الاستعمارية التي جربها في تونس، ثم في سوريا مؤخراً فخطب في بعض زيارته لجلالة الملك قائلاً : (هل أنتم مع فرنسا أو ضدها؟) متوقفاً أن يعجز جلالته الملك في الجواب ويوقعه في المأزق، ولكن جلالته الملك الموفق كان كعادته رحمه الله بارعاً في الجواب، موقفاً خصمه في المأزق فقال : (أنا لست ضد فرنسا، ولكني مع حرية شعبي، واستقلال بلادتي، فليس من اللازم أن يكون المطالب بالاستقلال، ضد فرنسا، وليس التعاون مع فرنسا مربوطاً بفكرة الحماية).

لقد كانت لفظة (الاستقلال)، تغيظ الفرنسيين عموماً، سواء منهم، رجال الإقامة العامة وأنصارهم وأعوانهم من المعمرين والمستثمرين وأصحاب الشركات الاستغلالية أو حتى رجال المقاومة الفرنسية، وفي طليعتهم الجنرال دو كول نفسه، فلقد صرح المقيم الفرنسي العام «كابريل بيو» قائلاً : ينبغي استئصال كلمة «استقلال» من الصدور، ونزعها من الأفواه، وأكد الجنرال دو كول في البيان الذي أصدره في أعقاب مؤتمر برازيل المعروف بما يلي : (إن العمل الحضاري الذي قامت به فرنسا في مستعمراتها، يستبعد كل فكرة لاستقلال هذه الأقطار، وكل إمكانية للتطور خارج الامبراطورية (أي الامبراطورية الفرنسية) كما يحذر استبعاد تشكيل محتمل ولو بعيد الأمد، للحكومات تسير نفسها بنفسها في هذه المستعمرات) وعلى ضوء هذه التوجهات التي وجهها دو كول الذي قاد لجنة التحرير الوطني الفرنسية، سار المقيمون العامون الفرنسيون في مختلف الأقطار التي كانت مبتلاة بالاستعمار أو الحماية أو الانتداب الفرنسي، وفي ضوء هذه التوجهات، كان تصريح كابريل بيو الذي أثبتناه، لقد تأكد للفرنسيين وقادتهم في المغرب والجزائر، أن المغاربة ملوكا وشعبا، مصرون على المطالبة بالاستقلال، ولذلك قررت حكومة دو كول الفرنسية في الجزائر أن تبعث رجلاً من رجالها المسؤولين هو «روني ماسبيكلي» مفوض الشؤون الخارجية، أن تبعثه إلى المغرب ليتصل بجلالة الملك المعظم، ويبلغه باسم الجنرال دو كول موقف الحكومة الفرنسية من طلب المغاربة الاستقلال، والذي قابل جلالته بالفعل يوم 28 يناير 1944 وأكد له أن أي اقتراح

يقضي بالاستقلال مرفوض، وأن المغرب مرتبط مع فرنسا (بعروة وثقي لا انفصال لها)⁽¹⁾ وأن الاصلاحات السياسية، لا يمكن أن يبحث فيها، لأن وضع المغرب، قد حدد بصورة نهائية في معاهدة الحماية) وأنه إذا كان المغاربة ساهموا في الخدمات الحربية، فإنهم لم يزيدوا عن كونهم (قد ردّوا إلى فرنسا ما كانت قد أعطته إليهم)⁽²⁾ ومن خلال ذلك كله تأكد لدينا أن موقف السلطات الفرنسية بدأ يتضح، وأنها داخلون حتما في المعركة الحاسمة بيننا وبين الاستعمار، ومن المعلوم كما أشرنا إلى ذلك من قبل، أن كل خطواتنا السياسية في تلك المرحلة الدقيقة، كانت تسير وفق مائسقه التنسيق الوثيق مع جلالة محمد الخامس، وأنه رحمه الله كان يطلع المكلفين بالاتصال به من رجال حزبنا على مايدبره المقيم العام الفرنسي وما يخطط له بمساعدة أعوانه وعلى رأسهم «بونيفاس» مدير الداخلية، وأن الواجب يقتضي منا أن نكون على حذر حتى لانقع في الفخ الذي يريد الاستعماريون أن يوقعونا فيه، خصوصا والظروف ظروف حرب — كما هو معلوم، ولا يعجز الاستعماريون عن خلق ما من شأنه أن يوقف مسيرتنا الموفقة في تحقيق ما نطمح إليه، وحتى نقفل الطريق أمامهم، وهم يمحرون ضدنا، ويبتئون لنا، كان حزبنا أصدر بيانا توضيحيا عن حقيقة مطلبنا، جاء فيه : (نحن مقتنعون أن المثل الأعلى في الحرية التي ينشدها الحلفاء، بما في ذلك فرنسا والمغرب، والتي يدافعون عنها بتضحياتهم وأرواحهم وحياتهم، تبقى بالنسبة لنا، خير دليل نسترشد به، دون أن يكون ضروريا الوصول إلى هذا المثل الأعلى، بإقامة دم الشهداء).

لقد كانت الإدارة الاستعمارية، تؤدّ أن ترمينا بأننا نسعى لعرقلة المجهود الحربي ضد ألمانيا وحلفائها، وتدبر المكائد لاتهم بعض الشخصيات الوطنية، بأنها لها علاقة تعاون مع ألمانيا النازية، الأمر الذي يبرر لها الانتقام من الحزب، والقضاء على فكرة الاستقلال. والرج بالأحرار الوطنيين في غيابات السجون. وكان على رأس الإدارة الفرنسية المقيم العام الفرنسي «كابريال بيو» الذي كانت الحكومة الفرنسية عينته مقيما عاما بالمغرب، عوض الجنرال «نوكيس» الذي كان أظهر تعاونه مع الماريشال بيتان» ومقاومته لنزول الجيوش الأمريكية بالمغرب، وكان «كابريال بيو» قبل تعيينه بالمغرب، مندوبا ساميا لفرنسا بسوريا ولبنان وقام بمقاومة شديدة للأحرار الوطنيين في كل من سوريا ولبنان عندما طالبوا وعملوا على تحرير بلادهم من قبضة الاستعمار الفرنسي، والاستفادة من

(1) انظر كتاب روم لاندو (تاريخ المغرب) ص 271.

(2) نفس المصدر.

ظروف الحرب لاعلان استقلالهما الكامل، فأعطى أوامره الصارمة لقمع الحركة التحريرية، وحل البرلمان السوري والبرلمان اللبناني وتوقيف الدستور وإلقاء القبض على بعض الزعماء ومنهم رئيس البرلمان «فارس الخوري» ورياض الصلح وإعفاء الحكومة اللبنانية، ومحاولته القضاء على فكرة الاستقلال بالقطرين الشقيقتين، ولولا تدخل السلطات الأنجليزية برئاسة تشرشل، والتي لم ترتض ذلك الموقف العنيف الذي وقفه «بيو» حفاظا على الوجود الفرنسي في القطرين المذكورين، حيث كانت هي بدورها لاترغب في بقاء الوجود الفرنسي بالمنطقة العربية، ولذلك فإنها عارضت عمليا موقف «بيو» وحالت بينه وبين ما يريد تحقيقه في سوريا ولبنان، وهددت المسؤولين الفرنسيين بأنها ستتدخل عمليا، إذا لم يتراجعوا عن مواقفهم ضد السوريين واللبنانيين، بتحقيق مطامعهم في الحرية والاستقلال الكاملين، الأمر الذي أعاد الطمأنينة والأمان للشعبين المكافحين.

والواقع أن كابريل بيو» رغم ما قيل عنه بأنه رجل مثقف ثقافة عالية، ومن الذين وقفوا، وقفة شجاعة مع الجنرال «دوكول» في مقاومته للنازية وأنصارها، رغما عن ذلك فإنه كان متشبعاً بالأفكار الاستعمارية، متعلقاً بأمجاد فرنسا، ولو على حساب الشعوب المستعمرة منها، معتبرا نفسه «حاكما رومانيا، كما وصفه بعض المحللين السياسيين، فبدلا من أن يعطي لنفسه التفكير السليم، فيما تهدف إليه الحركة الاستقلالية، الذي تقدمت بوثيقة المطالبة بالاستقلال كان يرى — كما عبر عن ذلك — روم لاندو في كتابه : (تاريخ المغرب) (أن المغرب نوع من الخزان لعظمة فرنسا، وكانت القاعدة التي أراد أن يتمشى عليها، هو أنه من الواجب على السلطان أن يتأكد بأن الاستقلال فكرة تتعارض مع معاهدة الحماية).

لم يستسغ الفرنسيون، فكرة الاستقلال، ولم يدركوا أن حركة التاريخ لايمكن أن تقف لأنهم هم لا يريدون التغيير، ولم يعملوا مامن شأنه أن يحافظ على العلاقة الطيبة بين المغرب وفرنسا، كما يريده جلالة الملك والأحرار الوطنيون، علاقة تكون مبنية على أساس إعطاء الحقوق الكاملة للشعب المغربي، وتغيير أوضاع الحماية بفتح مفاوضات مع جلالة الملك لتحقيق الاستقلال، الأمر الذي زاد المشكل المغربي الفرنسي تعقيدا، وأدّى إلى ما سنتحدث عنه بتفصيل في الصفحات المقبلة.

لقد كنا على إدراك واع بما سيقدم عليه الفرنسيون ضدنا، وكنا مستعدين كامل الاستعداد لجميع أنواع التضحيات التي يتطلبها منا مطلب الاستقلال، ولذلك فإننا

نظمنا شؤوننا الداخلية قدر ما نستطيع، فهيأنا المناضلين من إخواننا للقيام بواجباتهم عندما ينادي الواجب بذلك، سواء في المجال السياسي والتعبوي والتضامني، أو في مجال تقديم الإسعافات الضرورية للمعتقلين من إخواننا والشهداء الذين يتعرضون لبتنادق العسكرين الجفافة، والبوليسيين القساة.

بداية العمل السري في إنشاء الخلايا الوطنية

الواقع أن بداية تنظيماتنا الجديدة كانت عمليا وبإحكام أكبر قبل سنة 1943، عندما بدأ تفكيرنا يتضاعف وعزمنا يتقوى، للقيام بعمل حاسم تستفيد منه بلادنا، ونرفع به قيمة وطننا، فصرنا نؤسس الخلايا الحزبية، متحدّين قرار المنع الذي كان أصدره الجنرال نويس ضد حزبنا سنة 1937، وبدأنا في الوقت نفسه نوسع دائرة «الطائفة» وهي الجناح السري في الحزب، بتكوين خلايا خاصة، أدخلنا فيها بعض العناصر الشابة التي أبانت عن وطنيتها ونضجها وحماسها، ومن جملة هذه الخلايا التي أنشأناها بمدينة «سلا» جماعة (فتح)⁽³⁾ التي كان من بين أعضائها الذين سيلعبون دورا هاما في معركة الاستقلال المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، والإخوة : قاسم الزهيري والصدّيق بن العربي ومحمد البقالي ومحمد بن الخضر من آسفي وأحمد بن اليمنى والطاهر بن الفقيه زنيير وج بوبكر الصبيحي وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم وأنا أسجل أحداث 1943، كما تفرع عن جماعة «فتح» بعض الخلايا الأخرى، كان من جملة أعضائها المرحوم يونس نكروف من وجدة، والذي كان أثناء تحضير وثيقة الاستقلال معلما، بمدرسة أبناء الأعيان بسلا، والأخ العربي حصار وغيرهما.

لقد تسلط اهتمامنا إذ ذاك، على تنظيم خلايا شبابية في المدارس الثانوية التي كانت موجودة إذ ذاك على قلتها، ومن جملتها «كوليج مولاي يوسف» بالرباط، وكوليج مولاي إدريس بفاس، وكوليج مدينة آزر والذي فتحت إدارة الحماية، ليختص بتلامذته سكان المناطق الأمازيغية، والذي كان له برنامج دراسي خاص، منعت بسببه دراسة اللغة العربية، وعوضت باللغة الأمازيغية، والفرنسية، بل منع فيه حتى الحديث باللغة العربية، سواء في الأقسام أو غيرها، وكان مقصود إدارة الحماية من إنشاء هذا الكوليج، تكوين شبان

(3) انظر قانون جماعة (فتح) في الملاحق.

أمازيغيين يتنكرون كل التنكر لمقوماتهم الأساسية، سواء منها الدين الإسلامي أو اللغة العربية أو الوحدة الوطنية والقومية، بحيث ينشأون نشأة خاصة تجعلهم بعيدين كل البعد عن إخوانهم الشباب في المدن الأخرى، لا يقتربون منهم ولا يتفاهمون معهم، ولا يشعرون بأية رابطة تربطهم بهم، ولكن الحماية الفرنسية كانت تخطط وتدبر، وتمكر وتسطر، والأقدار الإلهية تقدر عكس ما تهدف إليه الإدارة الفرنسية.

لقد كنا في الحركة الوطنية مقدرين كل التقدير، وعارفين كل المعرفة، ما تخطط له الحماية الفرنسية، ابتداء من سنة 1930 وهي السنة التي صدر فيها ما كان يسمى بالظهير البربري، وكنا نعمل بكل ما نستطيع لمقاومة المخططات والسياسات التفريقية التي يبيتها لوطنا وشعبنا ووحدتنا الاستعمار، وابتدأت المعركة صامتة أولا بين الحركة الوطنية، وبين إدارة الحماية، ثم صارت تعلو وتتضاعف وتتقوى من جانبنا، وجانب إخواننا، وأبنائنا، في تلك المناطق الأمازيغية نفسها، فكان التفاعل والتجاوب قوين بين شباب المناطق التي كانوا يدعونها بالمناطق العربية، والمناطق التي كانوا يسمونها بالمناطق البربرية، ووقعت أحداث في مدينة «الخميسات» والمناطق القريبة منها، عندما أرادت الكنيسة الكاثوليكية إقامة موسم لراهبة مسيحية تسمى «سانت تيريز» وأحداث أخرى عندما منعت السلطات الفرنسية إقامة مهرجان قرآني كان يقام بقبيلة قرية من مدينة الخميسات في شهر نوفمبر من كل عام تسمى آيت أوريل، وأذكر بهذه المناسبة أنني عندما كنت مسجوناً بسجن العذير قرب مدينة الجديدة سنة 1937 التقيت بمساجين وطنيين من تلك القبيلة نفسها، عوقبوا بالسجن والترحيل لأنهم احتفلوا بذكرى قرآنية كانوا أقاموها رغم تعرض الإدارة الاستعمارية ومحاولتها منعهم من إقامة تلك الذكرى القرآنية. وأذكر أيضاً أنني وجماعة من إخواني الوطنيين. منهم الفقيه المرحوم محمد غازي والمرحوم أحمد الشرقاوي، كنا بإحدى زنازن سجن العذير، فإذا بنا نسمع بعدما أقفلت الأبواب عند المساء، أصواتاً مرتفعة بتلاوة القرآن في إحدى الزنازن المجاورة لنا، فإذا هي أصوات إخواننا المعتقلين من الخميسات والقبيلة المجاورة لها، وإذا فيهم شيخ كبير اسمه سي سعيد يسيرهم وينظم معهم تلاوتهم. وإذا هم معتقلون من أجل تمسكهم بقرآنهم ووحدتهم مع إخوانهم في كل رقعة من رقاع المغرب، البعيدة والقرية.

ذكرت أننا كنا مدركين كل الإدراك ما كان يبيته لنا الاستعمار الفرنسي من تفرقة دينية ولغوية ووحدوية، ولذلك كنا نريدان نسابق الزمان حتى لا ينجح في مخططاته الجهنمية، فصرنا ننظم الاتصالات مع إخواننا في المناطق البربرية، ونؤسس المدارس الحرة

فيها، ونجحنا في تكوين خلية طلابية في القرويين كانت أتت من الخميسات كان من جملة أفرادها إذ ذاك شاب يدعى أحمد ابن بوية وآخر اسمه حمادى عمر وكان من ضمن الشباب المتحمس الأخ عبد الحميد بن مولاي أحمد والمرحوم اعمر أو بناصر وغيرهم، ومن جملة المدارس التي عملنا على تأسيسها مدرسة الأطلس في الخميسات، كان من جملة الذين أشرفوا عليها في الثلاثينات المرحوم سيدي محمد بن عبد الله الصابونجي والحاج عمر بن الأمين من سلا، وكان من جملة الذين تولوا إدارتها بعد ذلك المرحوم سي اعمر أو بناصر والأستاذ أحمد قريون من الرباط. كما عملنا على تأسيس مدرسة حرة بمدينة «آزرو» نفسها، كانت لها لجنة رعاية من إخواننا في مدينة آزرو، وكان من جملة المديرين الذين تعاقبوا عليها — إن لم تخني الذاكرة — المرحوم العلامة الشريف سيدي محمد بن عبد الله العلوي الذي تولى القضاء الشرعي فيها في عهد الاستقلال لقد ذكرت أن تكوين «كوليج آزرو» كان الفرنسيون يهدفون من تأسيسه إلى صنع شبان متعلمين، يتكبرون لوحدة بلادهم ومقوماتها الأساسية، ولكن الأقدار الإلهية أرادت عكس ذلك فهذه المدرسة الثانوية البربرية مثل غيرها من الثانويات، تكونت فيها خلايا وطنية مومنة كل الإيمان بوطنها وقيمها، قامت عندما دعاها الواجب الوطني للقيام بالعمل الحاسم ضد الوجود الاستعماري، وضد مخبطات الاستعمار فانبرت جماعة صادقة من شبابها، لتتضامن مع فكرة الاستقلال، وتعمل مع إخواننا في الحزب الوطني الذي سمي إثر ذلك بحزب الاستقلال، وتكون من جملة الشرفاء الذين وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

يحكي لي الأخ الشريف سيدي عبد الحميد بن أحمد الزموري — وهو أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، أنه بعد تحرير الوثيقة والتوقيع عليها من طرف بعض الموقعين الأولين، زاره بأزرو المرحوم المهدي بن بركة، وكان المهدي إذ ذاك رئيسا لجمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف وأستاذا للرياضيات في ليسى «كورو» بالرباط، ومن الشبان الملتزمين في حزب الاستقلال العاملين في دائرة النشاط الحزبي.

زار المهدي بن بركة الأخ عبد الحميد، وعرض عليه المساهمة في عمل يشرف المغرب وشبابه، ولما علم عبد الحميد أن هذا العمل هو المطالبة بالاستقلال، لم يتردد لحظة واحدة بل قدم له بعض أصدقائه من الشباب الذي يدرس بكوليج «آزرو» وهما عمرو وبناصر وعبد الله بن عمر الرحماني ليساهموا بثلاثتهم، ووقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

وأثبت هنا نص حديث صحفي أدلى به لجريدة «العلم» بتاريخ حادي عشر يناير 1969 الوطني الكبير الغيور المرحوم عمرو أو بنّاصر وهو من الموقعين الثلاثة من مدرسة أزرو على وثيقة المطالبة بالاستقلال قال سي عمرو : كان لتقديم الوثيقة صدى عميق في جميع أوساط الشعب المغربي، وبالأخص في البادية، حيث ارتفعت معنويات المواطنين، وبعثت في نفوسهم بريقاً من الأمل، وشجعتهم على المضى في طريق الكفاح والنضال، أما المستعمرون الفرنسيون بالمغرب، فقد أصابهم الرعب، وأيقنوا أنهم راحلون لاحالة، وبالأخص لما وجدونا نحن الذين تربينا على يدها قنتهم الذين بلغوا من المكر والخديعة درجة لم يبلغها أحد من قبلهم، ولا من بعدهم، من الموقعين عليها، ولازلت أذكر يوم وقفت أمام الحاكم الفرنسي وخاطبني بلهجة ممزوجة بالأسى والغضب، وهو ينتف شعر رأسه، ويضرب برجليه الأرض، كيف ؟ نحن علمناكم وجعلناكم أبناءنا، وجزء من لحمنا ودمنا، وتطلبون منا، من أمكم فرنسا، أن تخرج من المغرب، نحن لا يؤثر فينا كلام أطفال صغار، غرر بهم، لتوقيع هذه الورقة التي لاقية لها عندنا، ولكن لابد أن نريكم هذه المرة في السجون والمنافي لتكونوا قدوة لكل الشباب الطائش الذي يريد تقليدكم. ثم يقول سي اعمر أو بنّاصر : بعد اعتقالنا شاع هذا الخبر في جميع الأوساط كالبرق، وبالأخص في جبال الأطلس، وقلبه النابض : ثانوية طارق بن زياد، فقام الطلبة داخل هذه الثانوية بإضراب عام، واعتصموا بحرم الثانوية، معلنين تضامنهم مع مثليهم الذين وقعوا على وثيقة الاستقلال، الشيء الذي جعل الجيش الفرنسي يصاب بهستيريا، ويفقد اتزان، ففي الوقت الذي كان ينتظر من تلاميذ هذه الثانوية، تأييده في سياسته، إذا بهم ينقلبون عليه فجأة ويعطونه دروسا في الوطنية المغربية الصميّة.

وقد تحركت الجيوش من كل مكان، وطوقت مدينة أزرو، وجميع المناطق المجاورة، واحتل حرم المدرسة، وألقى القبض على أزيد من عشرين تلميذا، مع أحد الأساتذة البرابرة، وقدموا لمحكمة القائد الذي حكم عليهم مابين سنتين وستة أشهر سجنًا. أما الطلبة الباقون، فقد أرسلت سلطة الحماية في طلب أوليائهم ليستلموهم. وقد ساعد هذا الاستدعاء على نشر أهداف وثيقة 11 يناير، إذ لا يخفى أن التلاميذ كانوا كلهم من أبناء الأعيان الذين تأثر أولياؤهم للمعاملة القاسية التي عاملهم بها الجيش الفرنسي، كما أصبح شغلهم الشاغل هو الحديث عن هذه الوثيقة وأهدافها، وبذلك كسبنا أباء التلاميذ وقبائلهم التي كانت من أعيانها، بعدما كسبنا التلاميذ ووقعت القطيعة بينهم وبين دهاقنة الاستعمار.

وتشاء إرادة الشعب التي هي من إرادة الله، أن يخرج أولئك الشباب من السجون،

وهم أصلب عودا، وأقوى عزيمة، لاليوجهوا العرائض والملمات، ولكن لينظموا المقاومة، ويواجهوا الرصاص، ويقلبوا الأوضاع الاستعمارية، ويعيدوا للبلاد عزتها، ويوصلوا ماضيها بحاضرها، ويعطوا مثالا للحكم الأجنبي الذي سخر منهم، على أنه هو الطفل الصغير، وهم الرجال الواعون). انتهى حديث سي اعمرو أوبناصر

وهكذا كان عبد الحميد الزموري واعمرو اوبناصر وعبد الله بن عمر من الموقعين على الوثيقة التي تطالب بالاستقلال وهكذا خلدت أسماءهم مثل ما خلدت أسماء كل الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال من مختلف أنحاء المغرب.

إن الخلايا الوطنية من الشباب، سواء منها التي كانت موظفة في سلك التعليم أو غيره مثل عبد الرحيم بوعبيد والمهدي بن بركة وقاسم الزهيري وعبد الكبير بن المهدي الفاسي والحسن بن شقرون أو التي كانت لازالت تتعاطى الدراسة الثانوية والعالية، مثل عبد الرحمان بن عبد العالي ومحمد زنيير وعبد السلام بن عبد الجليل والطاهر غلاب وعبد الرحمان ربيحة وعبد القادر زمامة والحسن بناني ومحمد بن شقرون ومحمد الإدريسي، لعبت دورا هاما في التنظيم الشباني، وكتابة المنشورات، وقيادة المظاهرات، وتقوية الحماس، أثناء الاصطدام بيننا وبين الإدارة الاستعمارية ولدى، إلقاء القبض على القيادات الوطنية في كل من الرباط وفاس وسلا وآزرو، كما ستلعب أدوارا هامة وحاسمة بعد تنظيم الحزب التنظيم الجديد، إثر خروجنا من السجن أواخر سنة 1945، كما سنتحدث عنه إن شاء الله، ومن جملة المدارس التي كان تلامذتهما، وقدمائهما يتهيأون لخوض معمرة الاستقلال، تلامذة مدرسة النهضة بسلا، وفي ذلك يقول أحد قدمائهما السيد محمد بن عياد في كتابه: طريق الحرية: قال ابن عياد ص 118 في كتابه المذكور: (وقد تقلدت جمعية قدماء النهضة مهمة القيام بمظاهرة سنة 1944، إذ أعطت القيادة الوطنية أمرها للجمعية أن تقوم بمظاهرة في اليوم الثالث، بحيث تكلفت الجمعية بالمظاهرة رقم 3 وما يتبع ذلك من إغاثة وإسعافات ودفن الموتى، وهكذا اجتمع محمد بنعياد باسم الجمعية مع مكتب الفرع بدار عبد الكريم حجي لأخذ التعليمات، ووضع الترتيبات وإنجاز القرارات الخطيرة، إذ كانت المظاهرة الأولى من نصيب الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد والثانية للأستاذ المرحوم محمد العزوزي والثالثة تتكلف بها، جمعية قدماء النهضة، كما أخبرونا أن كل الإجراءات قد اتخذت حتى في حالة الاستشهاد، أو القبض على الأعضاء، وأن هناك من سيأخذ بيد الأسر ويساعدها، والحق أنها كانت لحظة ذهبية، ليلة عظيمة، بالنسبة للمجتمعين الذين خرجوا وكلهم حماس ونشاط وعزم وتضحية).

ومن التنظيمات والخلايا الاستقلالية التي قامت بدورها الكامل أثناء فترات تهييء الوثيقة أو بعدها، خلايا بعض العمال والتجار المتوسطين والمنظمين العاملين في الصناعة التقليدية، وأذكر من التجار المرحوم عبد السلام النجار، والمرحوم عبد الهادي لحلو وج محمد بنشقرون ومن الصناع المرحوم محمد زيزاح، والمرحوم مولاي العربي الإدريسي، ولا أنسى لجان الإسعاف الذين كان من جملتهم في الرباط المرحوم المعطي أباحاي وعلال كراكشو وعبد الرزاق بن احساين والمرحوم عباس التناي وفي فاس : الحسن العلوي ومحمد بن الحبيب ومحمد العراقي وأحمد الجباري ومحمد التواي.

ولقد كنا نعقد اجتماعات متوالية مع الخلايا الحزبية، ونحن نستعد لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكنا نشعر أعضاء الخلايا بأن الحزب يتهيأ ويستعد للقيام بعمل لصالح الشعب المغربي، دون أن نصرح لهم بنوع هذا العمل، وإن كانت فكرة الاستقلال بدأت تروج، وهذه السرية كانت مقصودة عندنا، حتى لا ينكشف أمر مانحن عازمون عليه، فتقوم الإدارة الاستعمارية بعرقلة عملنا، وإفساد خططنا، والمهم عندنا هو تهييء الجو المناسب، وبعث الحماس في النفوس، والاستعداد للعمل المجدي، وأذكر أن من جملة الاجتماعات التي أشرفت على عقدها بنفسي، اجتماع بمنزل المرحوم عبد الرحيم بوعبيد الكائن إذاك قرب (طواحن مغار) وسانية حصار وكان الحاضرون فيه من المعلمين الذين انخرطوا حديثا في بعض الخلايا الحزبية ومنهم المرحوم يونس نكروف، فكنت أدرهم على بعض الأناشيد الحماسية التي ستوقظ فيهم الهمم، وتجعلهم يندفعون في العمل، إذا ما نادى نادي التضحية والكفاح، خصوصا وقد صارت تظهر في الأفق بعض السحب المنذرة بأن الفرنسيين يتهيأون لضربنا الضربة القاسية وتكونت لجان من الطلبة وغيرهم، خصصت لها مهمة كتابة المنشورات وتوزيعها على الدور والخوانيت وتعليقها في الجدران، تدعو المواطنين إلى الثبات والإستمرار في التضامن والتمسك بالمطالبة بالاستقلال.

ردود الفعل الأولى من الفرنسيين

كان بدء ردود الفعل العملية من السلطات الفرنسية، تعرضهم للوفود التي كانت تصل إلى الرباط لتقدم لجلالة الملك المعظم عرائض تضامنية مع حزب الاستقلال في مطلب الاستقلال ومطالبة الموجودين في الرباط بالرجوع إلى مدنها أو قراهم سواء منهم الذين قدموا عرائضهم التأييدية أو الذين كانوا على وشك تقديمها.

ثم أصدرت الإقامة العامة الفرنسية بلاغا رسميا بتاريخ 22 يناير 1944 نشرته الصحف الفرنسية الصادرة بالمغرب، وتعلن فيه أنها اتفقت مع جلالة الملك المعظم على إدخال بعض الإصلاحات التي يتطلبها تقدم المغرب في دائرة الحماية الفرنسية التي لا تتخلى عنها.

ثم قام المراقبون المدنيون الفرنسيون بمختلف المدن باستدعاء الأعيان المغاربة وتوبيخهم على تضامنهم مع حزب الاستقلال، ولقد كشف بعض رجال السلطة المغاربة عن حقيقتهم في بعد المدن المغربية مثل مراكش ووجدة وآسفي وغيرها بتضامنهم المطلق مع السلطات الفرنسية، وانتقادهم الشديد لما قام به رجال حزب الاستقلال. ثم قررت السلطة الاستعمارية إقالة العلامة المصلح السيد محمد بن العربي العلوي من وزارة العدل كما أقال مندوب المعارف في دار المخزن السيد الحاج أحمد بركاش وكذلك والده الأشيب الباشا السيد عبد الرحمان بركاش أقالته من منصبه في الباشوية هو وولده الثاني السيد محمد بركاش الذي كان يشغل منصب خليفة الباشا.

ولم تمض إلا أيام معدودات أخرى حتى أذيع من راديو الجزائر خطاب ألقاه مسيو ماسيكي المفوض الوطني في الخارجية الفرنسية قال فيه : إن اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني (التابعة للجنرال دو كول) قررت إدخال مشروع إصلاحات مستعجلة على التسيير الإداري والسياسي بالمغرب طبق ما تتطلبه حالة البلاد وذلك في نطاق الحماية الفرنسية التي من حقها وحدها أن تدخل الإصلاحات على النظام في المغرب وتعرضها على جلالة سلطان البلاد.

كانت هذه الإراصاصات كلها تدل على أننا مقبلون على مرحلة جديدة وخطيرة، كنا والحمد لله كما قلت سابقاً مهيين لها، ومستعدين تمام الاستعداد لنتائجها مهما كانت قاسية وشديدة.

المهجوم على حزب الاستقلال ورجال الحركة الوطنية

في صبيحة يوم 29 يناير 1944 داهمت قوات فرنسية منزل الأمين العام لحزب الاستقلال الأستاذ المرحوم الحاج أحمد بلافريج، وألقت القبض عليه بدعوى أنه متصل بدول المحور، ثم صارت تلك القوات البوليسية تفتش بيته وحديقة البيت، لعلها تجد ما يرر دعواها ثم ذهبت قوة بوليسية أخرى إلى منزل المرحوم محمد البيزدي فألقت القبض عليه وساقته إلى مركز الشرطة، وفي الوقت نفسه بلغنا أن الشرطة ألقت القبض

على المرحوم إدريس رودياس من الحركة القومية بالرباط وعلى بعض الوطنيين بفاس، ومنهم الأساتذة : المرحوم عبد العزيز بن إدريس والمرحوم أحمد مكوار والمجاهد الهاشمي الفلاحي، وكل هؤلاء اهتموا بأنهم على علاقة بدول المحور.

ومن المعلوم أن كل هذه الأحداث التي وقعت أو التي ستأتي، وقعت في عهد فرنسا الحرة التي كان على رأسها إذاك الجنرال دو كول، ففي عهد دو كول تولى منصب المقيم العام بالمغرب (كابريال بيو) الذي حل محل الجنرال نو كيس، وكابريال بيو هذا، كان معروفا كما ذكرت من قبل بنزعة الاستعمارية، وديكتاتوريته الفاشية، ولقد قال عنه المؤرخ أندري جوليان (Charler Andre Jnlien) : إن الجنرال دو كول ما كان يجهل وهو يقدم على تعيينه على رأس الإقامة العامة بالمغرب، نتائج سياسته التي سببت المصائب في المشرق) كما قال عنه حسبا جاء في كتاب (روم لاندو) لقد حالت روحه المحافظة دون تفهمه الآمال الوطنية والشعبية، وبدلاً من أن يرى في المغرب بلداً ضمنت سيادته واستقلاله اثنتا عشر دولة كبيرة، كان ينظر إليه على أنه نوع من الخزان لعظمة فرنسا، وكانت القاعدة التي أراد أن يتمشى عليها، هو أنه من الواجب مع السلطان أن يتأكد أن الاستقلال كان فكرة تتعارض مع الارتباطات القائمة). وقال عنه المؤرخ (جان لاکوتير Jean la couture) : (إنه الموظف السامي المتطرف عن وعي في المحافظة الاستعمارية التي يعتقد نفسه محيطاً بكل علم، ويومن بتوفق فرنسا على سواها تفوقاً جوهرياً مطرداً) وهو الذي لم ينس جلاله محمد الخامس مواقفه معه ومع شعبه خلال المطالبة بالاستقلال، فما أن أتاحت له الفرصة للالتقاء بالجنرال دو كول، والمحادثة معه في موضوع حل الأزمة، حتى طلب منه تغييره بمقيم عام جديد، كان هو (إريك لابون) لقد كان «بيو» متصلياً متغطرساً إلى أقصى الحدود، وبغطرسته وعنجهيته. وفكره الاستعماري أراد أن يطبق بعض الإصلاحات (أو الإفسادات) في المغرب، لقيت المعارضة الكاملة من محمد الخامس ومن حزب الاستقلال، وهو الذي صرح قائلاً (يجب استئصال كلمة استقلال من الصدور، ونزعها من الأفواه) وستحدث عن برنامج إصلاحات بيو في الصفحات التالية بحول الله.

هذا المقيم العام الذي عينه الجنرال دو كول مقيماً عاماً بالمغرب في وقت كانت الجيوش المغربية تحارب بشجاعة مع فرنسا وفي صفها، دفعاً للخطر النازي، والحركات الفاشية، على أي شيء يدل ؟ إنه يدل على أن دو كول رغم عظمته ومواقفه للدفاع عن بلاده وتحريرها، لم يستطع أن يتغلب على نفسه، ويعترف لغيرة بما يريد لنفسه ولبلده، ولذلك لم تكن مواقفه التحريرية بالنسبة للمغرب، منسجمة مع ما كان يقوم

به لتحرير بلاده، ولولا الظروف التي ألزمته مستقبلا بتغيير نظرتة إلى المستعمرات، ولولا الكفاح المستميت الذي قامت به بلاد المغرب العربي، ما انصاع لما انصاع إليه في قضية المغرب أو الجزائر. إنه لاجال للعاطفة والتعلق بالأمازي وتحمسين الظن بالمحتل فيما يتعلق بقضايا تحرير الشعوب، كما لاحظنا ذلك عند بعض الذين يتحدثون عن الجنرال دو كول كزعيم كبير، وقائد ماهر، أدى دوره الكامل أثناء الحرب العالمية الثانية لخدمة بلاده، ولكن نظرتنا نحن له وحكمنا عليه، لابد أن يصدرنا عن مواقفه إزاء قضيتنا، وتحرير بلادنا، وسوف لانكون هاضمين لحقه، ولا متجنين عليه، إذا ما تعاملنا معه، مثل ما تعامل هو مع الذين احتلوا بلاده بالقوة والقهر والغطرسة.

لقد انفتحت قضية تحرير الشعوب وتقرير مصيرها بنفسها، والحرب العالمية على أشدها، وعندما صدر ميثاق الأطلسي، وعندما انعقد مؤتمر آنفا سنة 1943 كانت قضايا تحرير الشعوب مسجلة في جدول أعمال ولقاءات الكبار، وكان الرئيس روزفيلت على رأس الذين يدعون إلى بناء مستقبل الشعوب على أساس التحرر، وكان تشرشل بعكس ذلك، تسيطر عليه فكرة بقاء المد الاستعماري رغم طغيان موجات التحرر في أغلب المستعمرات التي كانت تحت سيطرة الانجليز، ففي أي جانب كان الجنرال دو كول، وكيف كان موقفه إزاء قضية استقلال بلادنا الذي بدت طلائعه خلال سنة 1943، وانطلقت المطالبة به في حادي عشر يناير 1944 عندما تقدم حزب الاستقلال بوثيقة المطالبة بالاستقلال، لجلالة الملك محمد الخامس وباتفاق تام معه.

* * *

إن التاريخ لا يرحم، ففي عهد تولى الجنرال دو كول، سلط علينا مقيما عاما ذا نزعة استعمارية تحدثنا عنها قبل هذا، وأعني به «كابريال» بيو الذي أذاق المغرب ملكا وشعبا خلال توليه الكثير من المحن والأهوال، وفي عهده وبأمر منه زار المغرب وزيره في الخارجية «ماسيكلي» ليؤكد لجلالة محمد الخامس أن فرنسا وحدها هي المكلفة بإنجاز الإصلاحات التي يدعو إليها تطور المغرب، وأنه لاحق للمغرب في الانفكاك عن فرنسا والتمتع باستقلاله، وفي غمرة مطالبتنا باستقلال بلادنا وتحريرها من ربة الاستعمار الأجنبي، فرنسي وإسباني. حضر «دو كول» اجتماعا عقد في مدينة «مراكش» مع الباشا الإقطاعي الكبير التهامي الكلاوي وبحضور «تشرشل» رئيس الحكومة البريطانية لاتخاذ قرار يوافق عليه تشرشل برفض مطلب الاستقلال، وأن قضية المغرب تخص فرنسا وحدها تعالجها كيف تشاء، وبذلك انطلقت يد الاستعمارين الفرنسيين برئاسة «بيو»

تصب غضبها، وترمي بالأحرار الوطنيين في السجون والمنافي، وتقدمهم للمحاكم العسكرية والجنائية لتنتقم منهم شر انتقام، وتحكم على الكثيرين منهم بالإعدام.

لقد كان الجنرال دوكول يتعامل مع محمد الخامس شخصيا تعاملًا فيه كثير من المجاملة والتنويه بمواقفه الشجاعة أثناء الحرب وأثناء محنة فرنسا بالخصوص، ولكن هذا كله كان في نطاق المجاملات، ورغما من أن محمدا الخامس عبر له أثناء لقاءاته المتكررة معه عن مطامح بلاده في العزة والكرامة والحرية وتغيير أوضاع الحماية، فإن الجنرال دوكول احتفظ بكل ذلك في ذاكرته، ولكنه لم يعط أي وعد صريح، ولم يحقق أي مطمح من مطامح الشعب المغربي في الحرية المنشودة، لقد اعترف دوكول في مذكراته بما عبر له عنه محمد الخامس عن مطامح شعبه في عبارات رقيقة فقال : (في نطاق المراسم الرسمية، ربطت الاتصال مع السلطان محمد بن يوسف، شخصا لشخص، هذا العاهل الشاب الأبي الصريح، لم يكن يخفي طموحه في قيادة مسيرة بلاده نحو التقدم في يوم من الأيام نحو الاستقلال، حين تراه وتستمع إليه وهو يتحدث تارة بحرارة وطورا بحذر، ولكن دائما بكثير من اللياقة، تشعر بأنه مستعد للاتفاق مع كل من يساعده على القيام بهذا الدور، لكنه قادر على الصمود في وجه كل الذين يعترضون طريقه نحو هذه الغاية) لقد كانت روح الجنرال دوكول وأخلاقيته، تفرضان عليه أن يثني على محمد الخامس ذلك الثناء العاطر، ويعترف ضمنا بأحقية فيما يطمح إليه من تحرير بلاده، ولكنه لم يخط أية خطوة في هذا المجال بل إنه غض الطرف عن التصرفات الهوجاء، والعنف القاسي الذي تصرف به كابريل بيو وهو يقاوم فكرة الاستقلال ويصمم على أن يحياها من قاموس المغاربة حتى لا يبقى لها وجود لا في أفواههم ولا في قلوبهم ولا في عقولهم.

حقا إنه كان يشعر بما بذله محمد الخامس من معونة لفرنسا وهي في معركة تحريرها من النازية والفاشية الطاغيتين، ولذلك بادر في يونيو 1945 بعد تحرير فرنسا بدعوته إلى باريز للمذاكرة معه في موضوع الأزمة المغربية، والبحث عن طريقة حلها، ولكنه لم يهضم أو لم يترك له ما كان يطمح إليه من بقاء الإمبراطورية الفرنسية باسطة ظلها على البلدان الخاضعة لها ومنها المغرب، فاكتفى بإعطاء بعض الوعود التي لاتمس جوهر الوجود الفرنسي بالمغرب، مثل التفكير في إطلاق سراح المعتقلين وتغيير المقيم العام «بيو» وتعيين «أريك لابون» في مكانه، وإقامة حفل كبير، واستعراض لفرقة من الجنود المغاربة الذين ساهموا في تحرير فرنسا وتوشيح صدر محمد الخامس بوسام رفيق التحرير، وهو وسام فرنسي لم ينله إلا أقل الأقل من الساسة الكبار.

قد يكون الجنرال «دوكول» ناويا أن يحقق بعض المطامح للشعب المغربي إذا ما بقي في الحكم، مثل ماكان «روزفيلت» يفكر في مساعدة المغرب على تحقيق أمانيه في الحرية والاعتناق، ولكن المنية عاجلت هذا الأخير، والانعزال السياسي الذي فرضته الظروف السياسية على الأول عاقا تحقيق ذلك. ولكن الواقع الذي لاينبغي عدم تسجيله أن ما قاساه المغرب ملكاً وشعباً بعد انعزال دوكول أو لدى بقاءه في الحكم يتحمل دوكول كثيراً من المسؤولية الأدبية فيه، فالأحداث التي وقعت أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات والتي توجت بنفي محمد الخامس من بلده إلى كورسيكا ثم إلى انتسيرايني كل ذلك لايمكن أن ينساه التاريخ ولا أن يغفله.

إثر اعتقال الزعماء

صبيحة يوم 29 يناير 1944 دق جرس التليفون بمنزلي، ليخبرني أحد الإخوان من الرباط، أنه أُلقي القبض على الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج ومساعدته محمد اليزيدي، لم يكن الخبر مفاجئاً لي، فقد كنا نتوقع أن ساعة الاصطدام مع الاستعمار قد دنت، وأن الإقامة العامة الفرنسية جادة في البحث عن الوسيلة التي ستستند عليها لمهاجمة الحزب، والقضاء على فكرة الاستقلال، وبمقدار ماكانت الإقامة جادة في مهاجمتنا، كنا مهيعين نفسانيا وتنظيميا لمقاومة كل المخططات التي سيلجأ إليها الاستعماريون، فالشباب متحمس غاية الحماس، والمناضلون ينتظرون الأمر بالقيام بواجبهم، عندما يدعو الواجب القيام بأي عمل. عقدنا اجتماعات مستعجلة مع بعض الأطر الحزبية بمنزلي، وقررنا القيام بمظاهرات تضامنية مع المعتقلين، مطالبين بإطلاق سراحهما، وانطلق المكلفون بالدعوة إلى التظاهر يطوفون بالأسواق، ويجوبون الشوارع والطرق، داعين الجماهير إلى الذهاب إلى المسجد الأعظم بعد صلاة الظهر، لقراءة اسم الله اللطيف، ثم الانطلاق من المسجد للتظاهر في أهم الطرقات، لرفع الصوت واستنكار إلقاء القبض على الزعيمين، والمطالبة بإطلاق سراحهما، والاحتاف بالاستقلال والحرية.

مع باشا سلا

حوالي العاشرة جاءني استدعاء من طرف باشا المدينة، فذهبت توا لمقابلته، حيث وجدت بعض الإخوة ينتظرون ماذا سيقول لهم، وبمجرد جلوسي، خاطبني وكان معه

المراقب المدني الفرنسي قائلا : لقد أخبرتني المراجع العليا، أنه أُلقي القبض على الحاج أحمد بلافريج، نظرا لثبوت اتهامه بالتعاون مع الألمانين، ومن أجل هذا فأني أحذركم من كل هيجان أو تظاهر أو احتجاج، وأحضكم على الهدوء والسكينة. حتى لا يقع مايكدر صفو المدينة والسكان (أو كلاما هذا معناه) فأجبتة فوراً بأن مثل هذه الاتهامات، أَلفنا أن نسمعها من رجال الإدارة الاستعمارية، ونحن نرفضها جملة وتفصيلا، ونؤكد لكم أننا يد واحدة مع بلافريج، ومع أي فرد من أفراد حزبنا، ونحتج على إلقاء القبض عليه وعلى الأخ اليزيدي، فأجاب بأن اليزيدي سيطلق سراحه وأما بلافريج فسيقدم للمحاكمة، وساد سكوت وصمت، أعقبه خروجنا جميعا من عنده، مصممين على الاستمرار فيما قررناه، في الدعوة إلى الإضراب العام الشامل للمدينة وضواحيها.

صارت الأسواق تقفل أبواب دكاكينها، والشبان يطوفون هنا وهناك داعين إلى الإضراب، وتلاميذ المدارس بأجمعها أوقفوا دروسهم، وخرجوا بدورهم إلى الشوارع، والفلاحون في الحقول المحيطة بالمدينة أوقفوا حركتهم وصاروا يقصدون المسجد، وساد المدينة جو قاتم، وظهر الغيظ على النفوس، الكل ساخط وناقم على الإدارة الاستعمارية. رجعت إلى بيتي بحومة زناتة، حيث كان يرد على الأفراد جماعات ووحدانا، مخبرين بتطور الأحداث وسيرها، والكل مستبشر بالإجابة التلقائية لدعوة الإضراب، من طرف جميع الطبقات، وصار المنافقون والمتخاذلون يخنفون ويتسللون إلى بيوتهم، خائفين حذرين، وعيون الوطنيين تلاحقهم، ناظرة إليهم نظرة السخط والاحتقار. ولربما كانت بعض الألسن المتحمسة، تصب عليهم عبارات سخطها وغضبها.

لقد كنا قررنا أن نقوم بمظاهرات متتابعة، إذ ما هاجمتنا السلطات الفرنسية، وكانت القرارات ترجع إلي، باعتباري المسؤول الأول في المدينة، وحوالي الساعة الثانية عشرة زوالا، وفد علي المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، وكان يطوف المدينة مع جماعة من المناضلين مثل الأخ محمد البقالي والمرحوم عبد السلام النعجار، داعين إلى الإضراب العام الشامل، أقول دخل علي الأخ بوعبيد مخبرا بأن الأمور تسير سيرا حسنا جدا، وراجياً مني أن يكون أول مترئس للمظاهرة الأولى، فوافقته توا على طلبه، ثم فارقتني ليتيها إلى الذهاب إلى المسجد وقيادة المظاهرة الأولى.

لم أفارق البيت في اللحظات الأولى، بعد الزوال، وكانت الجماعات تلو الجماعات تتوارد على بيتي، لإخباري بالأرتال التي كانت ترد على المسجد، من الرجال والشبان

من مختلف الطبقات، وبعد صلاة العصر، شرع المصلون في تلاوة إسم الله اللطيف، وكان النساء الوطنيات برئاسة المرحومة البتول الصبيحية، يرفعن أصواتهن بذكر إسم الله اللطيف، عندما يسكت الرجال، كان منظرا مؤثرا جدا، هذا الجو الروحاني المتجه إلى الرب العظيم أن يلطف بعباده، وقيهم من شر الاستعمار ودسائسه ومكره، وما مضت إلا نحو الساعة حتى قام المرحوم عبد الرحيم بوعبيد ليلقي كلمة قصيرة في الجموع، ويطلب منهم الخروج إلى الشارع للقيام بمظاهرة سلمية، تضامنا مع المعتقلين، ومطالبة بإطلاق سراحهم. وبينما أنا بالمسجد، إذ قصدني بعض المناضلين — لم أذكر إسم أي واحد منهم — ليحكوا لي عن مظاهرة الرباط الصاخبة، وما وقع فيها من أحداث، ويطلعنني أحدهم على قطعة من الثوب ممزقة من الملبوس الذي كان يلبسه الفقيه محمد معمري الزواوي مدير التشريفات الملكية، والذي ارتقى عليه المتظاهرون عندما نطق بأن بلا فرج اعتقل لأنه كان متصلا بالألمانيين، ولقد كاد المتظاهرون المتحمسون يقضون على حياته، إذ أسقطوه على الأرض، وصاروا يضربونه، ولم ينجه منهم إلا بعض عقلاء الحزب الذين كانوا ضمن المتظاهرين كما ستحدث عنه.

انطلقت المظاهرة من باب المسجد القبلي، مارة بالعقبة المسماة بعقبة المدرسة، متجهة إلى «الطالعة» ومنها إلى الحرارين فالشراطين فطريق باب الخباز، فساحة الشهداء وفي الطريق التي مرّ منها المتظاهرون مروا محاذين لبيت الوطني الغيور الحاج بوبكر المالحقي، وكان مريضا، فأطل عليهم من شرفة بيته رغم مرضه، وصار يشجعهم ويقوي معنوياتهم، ثم صار يرمي إليهم بعض العصي الغليظة، ليحموا بها أنفسهم، إذا ماداهم قوات الليف الأجنبي التي كانت متجمعة في ساحة الشهداء، وحواليها، منتظرة الإذن لها لتفريق المتظاهرين بالقوة، وقرىبا من باب البلدية كان المراقب المدني (كوستودوآدو لآمازك) مع بعض مساعديه الفرنسيين ومنهم المندوب المخزني (دوسانطي) الذي كان متجلببا بجلاية مغربية ويسير بين المتظاهرين يستمع لأقوالهم ويتتبع خطواتهم، وقيل لي أن المتظاهرين ضربوه على رأسه، ومنهم عميد الشرطة الفرنسية «لورانزي» وخليفة الباشا المكي الصبيحي مع بعض أعوانه، فدخلوا مع بعض قادة المظاهرة ومنهم المرحوم عبد الرحيم بوعبيد والأخ محمد البقالي في نقاش حاد، عندما حاول المراقب المدني أن يتهم البقالي بالاعتداء على رئيس الشواش الذين عندهم والمسمى بنعيسى. وكان بعض المدنيين الفرنسيين ومنهم طبيب كان يسكن قريبا من الساحة متسلحين بمسدسات متحرشين بالمتظاهرين، فاقدين لأعصابهم بعكس طبيب فرنسي آخر المسمى «لوبلان» فقد كان موقفه مع الجرحوحين في منتهى الإنسانية. واحتد الجدل بين المتظاهرين من

جهة، وبين المسيرين للقوى المناهضة للمظاهرة، وصار بعض الشرطيين يطلق الرصاص عندما رأوا أن المتظاهرين مصممون على تخطيهم والذهاب إلى الرباط، قصد التعبير لجلالة الملك عن تضامنهم مع المعتقلين : بلا فيج ومن معه، ومطالبتهم بإطلاق سراحهم، وما أن سمع المتظاهرون بالرصاص ينطلق، وما أن رأوا بعض إخوانهم الوطنيين يسقطون متخبطين في دمائهم، حتى اشتد هيجانهم، وماهي إلا لحظات حتى كان خنجر يغرس في ظهر أحد الشرطيين الفرنسيين المسمى بدافيد، فيسقط بدوره يتخبط في دمه، واحتدت المعركة بين هؤلاء وأولئك فلم يبق يسمح إلا دوي الرصاص، والأناشيد تتعالى بها الأصوات، والاعبارات السخطة على الاستعمار وأذئاب الاستعمار، والهتاف بالحرية والاستقلال، وتوالى استعمال الرصاص لتفريق المتظاهرين، وأصيب الكثيرون من الشباب الوطني برصاص العدو الغاشم — عرفنا منهم إذ ذاك : العربي المريني وأحمد السفياي محمد الناصري وعبد الرحيم حركات، أما الشهداء الذين سقطوا في الساحة، فكان منهم الشهيد خلافة الصحراوي والزمراي، والشهداء بوعزة بن العربي الشاوي وبلال بن فاتح الدكالي والفقيه اللجلالي الفيلاي ومن بين اللاتي أصبن برصاصات العدو السيدة خنثة الروندة زوجة العمري التي أصيبت في ساقها اللتين كانتا تتقاطران دما، كما رأيتهما بأم عيني عندما زرتها بعد انتهاء المظاهرة في بيتها رحمها الله.

وعندما أوشكت الشمس أن تغرب، حمل الضحايا الشهداء إلى منازلهم، وقامت لجنة الإسعاف بزيارة ذويهم وأهلهم والتعزية فيهم وتهنئة ذويهم بالشهادة التي أنعم الله عليهم بها. ويجمل لي في هذا المقام أن أشهد أنني مع أفراد من إخواني لما زرنا بيوت الشهداء التي استطعنا أن نتعرف عليها في ذلك المساء، لم نلاحظ تذمرا ولا تشكيا من أهلهم، بل إنهم قابلونا باظهار الاستسلام والرضى بما قدر الله. كما وأسجل بتمتني الفخر والاعتزاز أنني لما زرت منزل الشهيدة خنثة الروندة في بيتها التي تأخر موتها بعد ذلك — وجدت جالسة فوق كرسي عال، وساقاها ممتدتان أمامها، وهما عبارة عن قطعة حمراء قانية من الدم، حيث أن الرصاص الأجنبي الغاشم، محا جلدهما، وتركهما عبارة عن عظمين مكسوان بالدم لاغير، والشيء الذي أثر فيّ جيدا، أنني وأنا أسلمها وأخفف عنها الآلام بالكلمات التي انطلق بها لساني في تلك الساعة، أجابني رحمها الله بابتسامة ويقين ورضي، معبرة عن فرحتها بما لقينته في سبيل الله والوطن.

وما أن بدأ الليل يرخي سدوله، حتى صار الجيش الأجنبي برئاسة الكوماندان «جيرالطون» وهو رجل كما حكوا لنا عنه رجل متعصب استعماري متصلب يحتل المدينة جزءا جزءا، وحومة فحومة، ولا يكتفي بوجوده في المراكز الأساسية في المدينة وبين

الأزقة، بل صار يحتل سطوح المنازل والدور، ليطوق المدينة من الأرض وما فوقها، ويراقب المارين والمارات، فساد المدينة جو من الظلام والتوتر والرعب، وكان العسكريون يكسرون أبواب الدور والمخازن التجارية، ويتناولون منها مايشاؤون ويفتشون الدور بحثا عن الوطنيين، وإلقاء القبض عليهم وجمعهم في السيارات العسكرية المصفحة وإرسالهم إلى الثكنات العسكرية وإلى السجون مستعملين أقصى أنواع الإرهاب والضرب واللكم والسب وفي الغد بعد هدوء الحالة ألزمت السلطة العسكرية السكان بإطعام الجنود الأجانب وأداء غرامة عن قتل الشرطي دافيد.

عقد اجتماع مصغر

بعد انتهاء المظاهرة عقدنا اجتماعا مصغرا بمنزل المرحوم الطاهر زنيير قيمنا فيه الأحداث كما وقعت، وتدارسنا ما يجب عمله ابتداء من الغد، وكان المقرر عندنا أن تتوالى المظاهرات في اليوم والأيام الموالية، ولكن احتلال المدينة بتلك الكثرة من الجنود، وعدم تعرفنا على كل الحوادث والأحداث نظرا لأننا لم نستطع الاتصال بجميع إخواننا المناضلين المكلفين بتسيير المظاهرات المقبلة، كل هذا جعلنا نقرر التريث بعض الوقت حتى لانفشل فيما سنقرره.

بدء اعتقال الوطنيين

وجاء صباح 30 يناير 1944، لتسرع السلطات الخزنية، المسيرة من طرف الإدارة الفرنسية في إلقاء القبض على المناضلين من مختلف الأعمار والحيثيات، وحوالي الساعة العاشرة، طرق باب بيتي عون مخزني يساعده شرطي فرنسي، وأخذاني إلى منزل باشا المدينة الذي خصص بجانبه مكان، كان بمثابة محكمة، جلست فيه بعض الوقت ثم أخذوني إلى ساحة البلدية الواقعة قريبة من ساحة الشهداء ثم صار المناضلون يلتحقون تباعا، وكانوا مختلفي الأعمار، وأغليبتهم من مناضلي الحزب الوطني وفيهم بعض مناضلي الحركة القومية، وأثناء الذهاب بي إلى محكمة الباشا، اعترضني في الطريق الشاب الشهيد أحمد بن اعبود، وكان من الأطر الشابة المتحمسة وسألني بصوت جهوري عما أمره به من عمل، فأجبتته بأن التعاليم ستصل فيما بعد، ولم أكن أعرف في تلك اللحظة، الدور الذي قام به أثناء المظاهرة، وبالأحرى لم أكن أعرف أنه سيلقي عليه القبض بعد قليل، وستوجه إليه تهمة قتل الشرطي دافيد السالف الذكر.



الشهيد أحمد بن اعبود
الذي أعدم ليلة المولد النبوي

بقينا مجتمعين في حديقة البلدية، واقفين الواحد بجانب الآخر، وفي الآونة بعد الأخرى، يلتحق بنا بعض المناضلين الذين يلقي عليهم القبض، وبينما نحن واقفون، والجيش الأجنبي محيط بنا من كل جانب، إذ نرى من بعيد الأرتال من الأعيان يوتي بها إلى المراقبة المدنية، لتسمع من المراقب ومعاونيه التوبيخ والوعيد والأخذ بالثأر، جزاء ما وقع بالمدينة من أحداث.

وما هي إلا بضع دقائق، بعدما اكتملت أفواج المعتقلين، حتى لاحظت عسكريا كبيرا خرج وبجانبه ترجمان جزائري، اسمه (روسطال) فتكلم العسكري، وأعطى الكلمة للترجمان الجزائري ليلقي كلمات تهديدية، من جملة مافيا على سبيل التقريب : انكم معتقلون بأمر من الجنرال لوكليير، وأنتم مسؤولون عما وقع من أحداث، وإذا ما وقعت أحداث أخرى فإنكم تتحملون مسؤوليتها، وستعاقبون على مقتضى ذلك، إلى آخر ما قال.

كان الترجمان يتكلم بصوت مرتفع جدا، وكنا واقفين صفا مترابعا طويلا، ثم أمرنا أن ننزع ثيابنا كلها لنبقى تقريبا عراة، والوقت وقت برد شديد (مساء ثلاثين يناير) ثم صاروا يفتشوننا واحدا واحدا، وأمرنا أن ندفع لهم كل ما في جيوبنا من أوراق



السجن المدني بالرباط

وفلوس وغيرها حتى يأخذونا إلى المعتقلات مجردين من كل ما نحتاج إليه، كان خطابهم في غاية الغلظة والعنف، بل ربما تعدى مع البعض منا إلى الضرب والركل. كما كانوا يحاولون أن يربحونا بخطاباتهم العنيفة، وتهديداتهم وإظهار قوتهم وغلظتهم، وبقينا بعض الوقت في تلك الحالة المزرية، معرضين لأخطار البرد إلى أن جاءت السيارات العسكرية التي أقلتنا إلى السجن المدني بالرباط، وأقلت الآخرين إلى المعتقل العسكري (كَانَ كَارْنِي) بطريق تمارة بالرباط، وكنا محظوظين لأننا كنا من الأولين الذين رُمي بهم إلى السيارات التي نقلتنا إلى سجن الرباط، لأن الذين نقلوا إلى المعتقل العسكري لاقوا من العسكريين كثيراً من العنت.

إثر مجيء السيارات العسكرية، أمرنا أن نلبس ثيابنا ونصعد إلى السيارات المعدة لحملنا كما تحمل الأمتعة، كل هذا ونحن مطوقون بالجيش الفرنسي، من ذات اليمين وذات اليسار، فانطلقت السيارات إلى سجن الرباط الواقع قرب الاودايا، وهناك وقفت ونزلنا ليرموا بنا في زنازن المجرمين، فبعد تسجيلنا واحدا واحدا في دفتر السجن، أخذونا إلى الحمام (الدوش) لنغتسل حتما بالماء البارد، رغم أن الفصل فصل شتاء، وإني أذكر وأنا واقف في الدوش، بعدما صب الماء البارد علي، والمرحوم عبد الرحيم بوعبيد بجاني، وأنا أفقّف من البرد، لأني لم أعتد في حياتي أن أغتسل بالماء البارد لاصيفا ولا شتاء، فأكد عليّ الأخ بوعبيد أن أجفف لحمي وصدري تحفيفا قويا حتى لا يبقى به بلل وحتى لأصاب بالزكام، وبعد الانتهاء من هذه المرحلة، أخذوا بعض ملابسنا ليخروها وينقوها مما قد يكون فيها من قمل وغيره أخزاهم الله، حسبا يطبق على كل المساجين ثم ردوها لنا لنلبسها من جديد، وهناك أخذونا إلى زنازن المجرمين، الذين عندما دخلنا عليهم، حدث لهم اندهاش، فلم يألّفوا أن يلتحق بهم في زنازهم هذا النوع من البشر، والواقع أنهم تأثروا وعبروا عن مشاعر الاحترام والتقدير، لما عرفوا الدوافع والأسباب التي أتت بنا إلى السجن، لنحشر معهم كمجرمين.

أقفلت علينا الأبواب، وساد الظلام، وقضينا ليلتنا جائعين، يحدث بعضنا بعضا، ويتحدث مع بعضنا أولئك المجرمون، متسائلين عن قصتنا، والدوافع التي أتت بنا لنلتحق بهم في هذا السجن المظلم البائس.

لا أتذكر بالضبط كل ما عشته مع إخواني في تلك الفترة القاسية العذبة في آن واحد،⁽⁴⁾ القاسية باعتبار المعاملة الجافة الغليظة التي عاملتنا بها السلطات الاستعمارية،

(4) خصصت فصلاً من هذه المذكرات عن ذكريات السجن.

والعذبة باعتبار راحة الضمير التي كنا نحس بها في تلك السويغات، والاطمئنان القلبي الذي نشعر به، وشعورنا بأن الطريق الصحيح الذي يوصلنا لتحقيق أهدافنا الشريفة في الحياة، هو طريق التضحية والوفاء، ونكران الذات، والتحمل لكل أنواع الصعاب، في سبيل إعزاز بلادنا وتحريرها من رقة الاستعمار.

لم نكن قلقين ولا منزعجين ولا نادمين على ماقمنا به من مطالب مشروعة، ولم نكن ننتظر ونحن نخطط للمطالبة بالاستقلال، أن تفرش لنا الأرض بالزهور، وتنخطفنا الأيدي بالتصفيق والترحاب والتأييد والهاثاف، ولكننا كنا ندرك كل الإدراك أن اللجنة حفت بالمكارة، وأن الأبواب لا تفتح، إلا إذا ضرجت الأيدي والأجسام بالدماء، كما عبر عن ذلك أمير الشعراء أحمد شوقي عندما قال :

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

أعطونا «كاشتين» (ملاءتين) : واحدة للفراش وواحدة للغطاء، وأخذنا أماكننا وسط هذه الجموع من السجناء المختلفي السحنات والأعمار والأسباب التي أتت بهم إلى السجن، ففهم المجرمون الكبار، وفهم السراق المختصون البارعون، وفهم الذين ارتكبوا بعض المخالفات أو العصيان المدني المتعدد الأشكال والألوان.

أما نحن الذين حشرنا معهم حشرا، فلم نكن من نوع واحد، فاقد اختلط بنا بعض الذين لاعلاقة لهم بالنضال، وبالمشاركة في المظاهرة، ولا بالوطنية لا من قريب، ولا من بعيد، إذ حشروا بين صفوفنا من اهتموهم ظلما وعدوانا، سواء من بعض المعلمين أو من غيرهم، كما ألقوا على بعض من وجدوهم في الطريق العامة، رغم عدم اهتمامهم بأي شيء.

وأذكر أن أحد المعلمين وكان شابا ظريفا بعيدا كل البعد عن أي اهتمام بالقضايا السياسية، ألقوا عليه القبض بدوره لا لسبب، إلا لأنه كان معلما بمدرسة ألقى القبض على عدد كثير من معلميه، لأنهم كانوا متحمسين وطنيين، إنني لازلت أتصور هذا المعلم جالسا في جنب من جوانب الزنزانة الكبرى، التي كنا مكدسين فيها، جلسة القرفصاء، متكئا على الحائط يفكر في المصير الذي صار إليه، لقد ناداني وهو يتسم : وأنا يا أبا بكر (ياسيدي بوبكر) لماذا يأتون بي معكم ؟ أسبق لي أن شاركتكم في عمل من أعمالكم الوطنية ؟ إنني مظلوم مظلوم. فطمنته بأن محنته لاتدوم، ولاتطول إن شاء الله، وبالفعل لم تمض عليه إلا أسابيع قليلة حتى أطلق سراحه.

كما ألقى القبض على أفراد شعبيين، لم تكن لهم أية علاقة بالحركة الوطنية، لا من

قريب ولا من بعيد، منهم واحد كان يسمى «المزيري» وكان يظل النهار جميعه يفلي ثوبه من القمل، وكان ذاته وملابسه معامل للقمل، فكان يقتل العشرات والمآت. وهي تتزايد، ومنهم آخر كان يسمى بمحمد (الهايج، ويلقب بالاستشحات، وكان ضحوكا لَعُوبًا لا يفتر عن النكت، والفكاهة والضحك وغير هؤلاء كانوا كثيرين، ومنهم الفقيه محمد الدكالي وكان معلما في اللغة الفرنسية بمدرسة أبناء الأعيان، وبعيدا عن السياسة وأهواها ومتاعبها، ولكن متاعبه وسجنه جاءه من أنه كان زميلا لعبد الرحيم بوعبيد، وأحمد بن اليمنى، ويونس نكروف، في مدرسة أبناء الأعيان، والمثل يقول (مَعَ مَنْ شَتَّكَ مَعَمَّنْ شَبَّهْتِكَ) فَرَمَالُهُ لَأَلْثَمُ الْمَذْكُورِينَ، مَنَحَهُ شَرَفُ الْإِنْتِمَاءِ لِلْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّةِ، لَقَدْ عَيْنُوا عَلَيْنَا الْفَقِيهَ الدَّكَالِي هَذَا رَئِيسًا (كَأَبْرَال) لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ يُحَسِّنُ الْكَلَامَ بِالْفَرَنْسِيَّةِ، فَإِذَا مَا أَرَادُوا مَخَاطَبَةَ أَحَدٍ فِي قَضِيَّةٍ مِنَ الْقَضَايَا، فَإِنَّ الدَّكَالِي هُوَ الْوَاسِطَةُ، وَمَنْ الَّذِينَ حَشَرُوهُمْ مَعَنَا - وَلَمْ تَكُنْ - لَهْمُ آيَةٍ مَسْئُولِيَّةٍ وَلَا مِشَارَكَةٍ عَلَى مَا أَظُنُّ السَّيِّدَ الصَّدِيقَ عَوَادَ، وَذَنْبُ هَذَا عَلَى مَا أَظُنُّ، أَنَّهُ كَانَ كَتَبَ مَقَالًا قَصِيرًا فِي جَرِيدَةِ عَمَلِ الشَّعْبِ عِنْدَمَا كَانَتْ تَصْدُرُ فِي الثَّلَاثِيَّاتِ، وَالصَّدِيقُ عَوَادَ، كَانَ شَابًا ظَرِيفًا، لَا يَخْلُو لِسَانَهُ مِنْ نَكْتَةٍ، وَفِيهِ غَيْرَةٌ، وَكَانَ وَالِدُهُ وَكَانَ قَاضِيًا يَتَعَامَلُ مَعَنَا عِنْدَمَا كَانَ إِمَامًا لِلْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ تَعَامَلًا فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْاحْتِرَامِ وَالتَّوَادُّدِ وَلَكِنَّهُ مَعَ الْأَسَفِ الشَّدِيدِ أَفْتَى ضِدْنَا فِي بَعْضِ الْفَتَرَاتِ التَّارِيخِيَّةِ مُسْتَدَلًّا بِالآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَقُولُ ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ونشرت فتواه في جريدة كانت تصدرها إدارة الاستعلامات، ويديرها أحد الخونة، ولربما كانت تسمى بالقيامة» ولقد أطلعني على العدد الذي نشرت فيه هذه الفتوى، بعد خروجي من السجن الشاب الوطني السيد محمد (فتح) بن ج محمد عواد، قلت إن الصديق عواد كان لا يخلو من نكتة، ومن مرح، وكان ألوفا ومبتلى بشرب القهوة كثيرا، فلما دخل السجن، رغم أنه لم يطل مقامه فيه إلا نحو العشرين يوما لما دخل السجن، افتقد شرب القهوة، فكان يحن إليها، ويتشوق إلى تناول شربات منها ويقول : إن ما أتمناه من صميم قلبي، أخذ جرعات من قهوة مقطرة تقطيرا متقنا، فتسرى من فمي إلى صدري وأمعاني وذاتي جميعها، فتنعشها. آه من فقداني للقهوة، متى يمن الله علي بجرعات منها، ولو كانت قليلة، يقولها وهو يضحك ويتأزح مع أصدقائه.

مؤامرة الإقامة العامة ضد الوطنيين

ويجب أن أسجل هنا أن الإقامة العامة الفرنسية، كانت دبرت مؤامرة كبرى ضد الحزب وبعض رؤسائه ومسؤوليه، واتبعتها باتهام بعض مسؤولي الحركة القومية، بأن الجميع كانت لهم اتصالات بالمحور، وكانوا يتآمرون ضد الحلفاء، وبسبب هذا ألقى القبض على بلافريج واليزيدي وإدريس رودياس في الرباط، وعلى الهاشمي الفلالي والشهيد عبد العزيز بن إدريس والمرحوم أحمد مكنوار والمرحوم محمد إبراهيم الكتاني والمرحوم رشيد الدرقاوي والمرحوم عبد الهادي الشرايبي من فاس وغيرهم من الإخوان الذين لم أتعرف إلى أسمائهم وكان قصد الإقامة العامة أن تفتنم فرصة ظروف الحرب، لتقضي القضاء النهائي على الحركة الوطنية المغربية، باتهام مناضليها بالتعاون مع المحور، وعرقلة المجهود الحربي الذي يقوم به الحلفاء، خصوصا وقد بدت تباشير الانتصار تظهر للعيان، وصار الفرنسيون يرفعون رؤوسهم تحت زعامة دو كول، ولكن الله سبحانه كان بالمرصاد للمتآمرين من الفرنسيين وأعوانهم وأذنابهم، فرجع كيدهم في نحورهم، وبقيت شعلة الوطنية مشتعلة، وبقي الوطنيون يقومون بواجبهم في الدفاع عن الوطن، ومتابعة السير بالحركة الاستقلالية إلى أن ظفر المغرب باستقلاله، وانتصر الحق على الباطل، إن الباطل كان زهوقا.

لقد أطلقوا في يوم اعتقال «بلافريج» صديقه الحميم، ومساعدته الفذ المرحوم محمد اليزيدي تحت ضغط الظروف، واشتعال المقاومة، وتوالى المظاهرات، وفقدان الحجة التي يستندون إليها، لتقديمه إلى المحكمة العسكرية، مثل ما كانوا دبروه لبلافريج، ولقد وجدوا في محمد الخامس رضوان الله عليه، الرائد الحكيم، والمنافع الصلب الذي لاتلين قناته، فلقد استطاع أن يلقيهم حجرا بعدما قرروا القبض على بلافريج واليزيدي، عندما خاطبهم قائلا : لايلقى القبض على أي شخص من المواطنين إلا إذا كانت هناك حجة تبرر ذلك، فبلافريج الذي تهمونه بزيارة ألمانيا والاتصال بزعماء المحور، لا بد أن تعرض قضيته على رجال العدل ولو كانوا من العسكريين، ولا بد أن يعين إلى جانبه محامون، ليتابعوا قضيته، ويشدوا أزره، لتظهر براءته التي نحن متيقنون منها أما اليزيدي فليس

لديكم أي اتهام ضده، بالإضافة إلى أنه هو الذي يستطيع أن يهدى من ثورة المحتجين والمتظاهرين الذين قصدونا في قصرنا، مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين، وهكذا أقم محمد الخامس رجال الإقامة حجرا، فاضطروا لإطلاق سراح اليزيدي في الحين، وأتوا به إلى القصر الملكي ليلتقي بمحمد الخامس، ويتفق معه على معالجة الوضع الغضبي الذي نشأ عن إلقاء القبض على بلافريج إلى آخر ماحدث كما سنفصله، ومن هنا يتضح أن ماكتبه الأستاذ عبد الهادي بوطالب في ذكرياته وشهاداته صفحة 126 من الجزء الثاني تنقصه بعض المعلومات، فلقد كتب يقول : (وما أزال أرى محمد اليزيدي الذي كان في طليعة من اعتقل بالرباط، وهو ينزل من سيارة مخفورة، ويتوجه إلى مخاطبة المتظاهرين، ليحثهم على توقيف المظاهرات، وفتح الدكاكين والعودة إلى الحياة الطبيعية، وقد قيل إن مدير إدارة الداخلية الفرنسية (فاللا Valla) صحبه بنفسه، وأنه خاطب الجماهير ونصحهم بالتفرق، فلم ينصع إليه أحد، وكان المتظاهرون يقولون أين هم المعتقلون الآخرون ؟ ومتى سيطلق سراحهم ؟ لدرجة أنه أخذ يقتصر — وهو محمول على الأعناق علي مخاطبة كل فوج من المتظاهرين بقوله : «حلوا حوائيتكم والسلام» وجرب محمد ملين، زعيم حركة الأحرار المستقلين، أن يهدى المتظاهرين، ولكن بدون جدوى، حسب تعبيره في كتابه «نضال ملك» ولم يكن في إمكان اليزيدي أن يكشف عن الدوافع التي جعلت الإقامة العامة تطلق سراحه وحده، وتسمح له بمخاطبة المتظاهرين، ودعوتهم إلى الهدوء، لكن تبين بعد ذلك أن الإقامة العامة أخرجت من جعبتها تهمة التآمر على الأمن الداخلي لشل مجهود الحرب، وتهمة العمالة للنازية والفاشية، وأصبقتها بطلاب الاستقلال، معتبرة أن الاستقلال يشكل طعنة من الخلف لظهر فرنسا والحلفاء، وقد كان بلافريج في زعمها هو كبير الوطنيين الذي علمهم السحر. أليس أنه أقام بالخارج مدة، وطاف على أعداء فرنسا لاستعدادهم على حضورها بالمغرب ؟ ومن أجل هذا الزعم، استحق الأمين العام لحزب الاستقلال، أن يفرد بعناية خاصة، فنفته الإقامة العامة إلى كورسيكا، وكأنه مجرم حرب، ولتخفيف التهمة على الوطنيين، وسعيا إلى احتواء الأزمة السياسية، سارع اليزيدي إلى التحدث إلى المتظاهرين، لحضهم على تجنب تعقيد الأزمة، ويقال إن الإقامة العامة وعدته مقابل ذلك، بإطلاق سراح المعتقلين وعدا كاذبا، حيث عمت تدابير القمع، المدن والقرى، ولم يسلم من الاعتقال أي وطني يقول : مطلبى الاستقلال، إلا من رحم ربك) فمن خلال هذه الفقرات التي كتبها الأستاذ بوطالب في حق المرحوم اليزيدي، لاتبرز الدواعي الحقيقية التي جعلت الفرنسيين يطلقون سراح اليزيدي، والتي نتجت عن نقاش أو

حوار جرى أولا في دار المخزن بين رجال الإدارة الفرنسيين والمسؤولين المخزنيين، ثم بين الفرنسيين وجمالة محمد الخامس الذي استقبل اليزيدي بعد سراحه، وأعطاه تعاليمه بإبعاد المتظاهرين عن القصر، وإخبارهم بأن بلافريج ستحال قضيته على المحكمة ويدافع عنه محامون يعينون من طرف جمالة الملك نفسه، كما صرح رحمه الله بذلك لبعض الذين استقبلهم في تلك اللحظات التي كانت فيها المظاهرات صاحبة وحامية، فاليزيدي لم يطلق سراحه لسواد عينيه في تلك الظروف، ولم يكن يستطيع وهو معتقل أن يغادر الزنزانة التي كان معتقلا فيها دون احتياج إليه وإلى شخصيته التي كان الجميع يعرف قيمتها ومركزها الاجتماعي والسياسي، ولم يكن محمولا على أعناق المتظاهرين لأنه رجل عادي لا يعطي كلامه أي معنى، والذين كانوا متزعمين للمظاهرة ومؤطرين لها كانوا يعرفون قيمة اليزيدي في قيادة معركة الاستقلال. وموقف اليزيدي في ذلك الظرف كان تلبية لأوامر ملك البلاد الذي كان حريصا كل الحرص على أن لا تتطور الأحوال، لتنعكس سلبيا على ما كانت تهدف إليه الحركة الوطنية الاستقلالية، ولو أتيح للأستاذ بوطالب في ذلك الظرف أن يتصل ببعض أصدقائه الوطنيين الذين أشار إليهم الأستاذ السيتل العيساوي فيما كتبه عن المظاهرة التي كان أحد المؤطرين لها، لأعطاهما وصفا أكثر عمقا، ولشرح الأسباب والمسببات، والدوافع والدواعي، ولأنصف اليزيدي الذي لاشك أنه يعرفه حق المعرفة.

شهادة الأستاذ عبد الله الجراري عن المرحلة

وتتميمًا للفائدة، وزيادة في إعطاء الأضواء، حول المظاهرة وبلافريج واليزيدي، أنقل ما كتبه المرحوم الأستاذ عبد الله الجراري في كتابه : (شذرات تاريخية) ص 158 وما بعدها، قال الجراري : (بعدما اجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم، وتجمعوا في حماس مرهب، توجهوا نحو القصر السلطاني، رافعين أصواتهم المدوية في أجواء الشوارع بالأناشيد الحماسية، والنداءات الحارة، هاتفين بحياة الملك والزعماء، طالبين إطلاق سراح المعتقلين، وعند وصولهم القصر، تجمعوا داخل مشوره على حالة رهيبة، في ثبات وحماس يبعثان على التفاؤل بالمستقبل السار، وفي هذه الأثناء كان الشاب النشيط المرحوم محمد المدور محمولا على أكتاف المتظاهرين، كخطيب يشعر الجماهير بالواجب الذي تظاهروا من أجله، شارحا مساوئ الاستعمار ومكايده، وكل ما ينصبه لأبناء الشعب من أشواك، وما يبئ لهم من مصارع وآلام.

في تلك الساعة الرهيبة، طلب الوزير الأول الحاج محمد المقرئ اثنين من أعضاء المحكمة العليا، هما : الأستاذان عبد الكريم بن جلون وعبد الكبير بن حفيظ الفاسي، وبعد حديث طلب منهما الاتصال بالمتظاهرين وأن يقترحا عليهم، اختيار أربعة منهم نيابة عن الجمهور، قصد المذاكرة معهم في الموضوع، وبالفعل اتصلوا بالثائرين، واختاروا أربعة أشخاص، غير أن الكل تبعهم هاتفا بحياة المعتقلين، وإطلاق سراحهم، وعقب مذكرات كانت النتيجة إطلاق السيد محمد اليزيدي، أما الأستاذ بلافريج، فلم يطلق سراحه، بدعوى أن له يدا مع ألمانيا، اقتضت الحكم عليه عسكريا بالبقاء في السجن على عادة فرنسا مع رجال الشعوب وأحرارها، ممن هيأتهم كقادة للدفاع عن الأوطان، والاستماتة في سبيلها بأعلى ما يملكون، فتخلف في طريقهم ما تحسبه مبررا لأعمالها الاستفزازية والانتقامية، قائلة مرة : رجال الحركة، آلات تحركها : موسكو، وبرلين، وروما، ومرة ترميهم بالتمرد على نفوذ السلطان، إلى غير هذا من الأقاويل الباطلة، والأساطير البالية، الموصولة بخيوط عنكبوتية، ابتغاء كبت الأفكار، وخنق الحريات وبالتالي : إقبار الوطنية المتأججة حرارة وإيمانا، وهيبات هيبات تنطفئ جذوة العقيدة المقدسة، والمنبعثة عن نور الإيمان الحق، الذي لاتزيد الأحداث إلا نصاعة، ولا بدع مادام المكافحون يستمدون الهداية والعون من عالم الحقيقة (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).

أمام هذا المشهد الرهيب اندفعت السلطة الفرنسية لإطلاق السيد اليزيدي، حيث أحضرته عن كلب بالقصر للمذاكرة مع السلطان، وفي لحظات تحدث فيها مع جلالة الملك في المشكل، أمره أن يصرف المتظاهرين عن القصر، ليخرجوا إلى ساحة (تواركة) كي يتمكن من إجراء المخابرة مع ممثلي الحكومة الفرنسية، وفي اللحظة التي فارق فيها السيد اليزيدي جلالة العاهل، بادر المتظاهرون لحملة على الأعناق، وأصواتهم تتردد عالية بالأنشيد الوطنية والمقطوعات الحماسية، والتهافتات الحارة، بحياة القائد الرائد محمد الخامس وحياة المكافحين. كانت كل هذه المحاولات من جانبه أيده الله، صونا لكرامة الشعب، وحفظه من مكر الاستعمار الغاشم، وكانت الغاية من اجتماعه بالسلطان، أن قال له : ان الأمين العام للحزب في ضماني، وسيطلق سراحه، وسرعان ما انشرفت الصدور، واسبشر الجمهور خيرا، وانصرف الكل على ميعاد اللقاء لدى صلاة العصر بالجامع الكبير).

هذا ما كتبه المرحوم الجراري في كتابه «شذرات تاريخية» الصادر بتاريخ 1396 هـ — 1976 م. وهو يؤكد ما كتبه الأستاذ السيتل العيساوي الذي سنأتي به كاملا لدى

حديثنا عن مظاهرة الرباط والذي سيوضح بعض الجوانب التي لم تتح الظروف أن يطلع عليها الأستاذ بوطالب، خصوصا فيما يتعلق بإطلاق سراح المرحوم محمد اليزيدي. والموقف الذي اتخذته مع المتظاهرين، وقيادتهم إلى خارج المشور السعيد، إلى أن وقع ماوقع من استمرار للمظاهرة خارج المشور، وتعرض اللقيف الأجنبي لها. في باب شالة، واصطدام المتظاهرين مع القوات الأجنبية التي حاولت أن تمنعهم من الدخول إلى المسجد الكبير وسقوط الضحايا نتيجة رميهم بالرصاص الأجنبي.

لقد تدخل الملك الراحل محمد الخامس نور الله ضريحه، التدخل المباشر في قضية بلافريج لدى إلقاء القبض عليه، وطلب من السلطات الفرنسية أن تحيله على المحاكم إذا كانت لها حجة في اتهامه بأن له يدا في الاتصال بدول المحور لعرقلة انتصار الحلفاء، وللتأمر على الأمن الداخلي، كما أكد ذلك رحمه الله للوفد الذي استقبله أثناء المظاهرة، والذي أكد له أنه سيعين له محاميا يدافع عنه من ماله الخاص، فتولى محمد الخامس أمر بلافريج، هو الذي أخاف الفرنسيين من أن تنقلب عليهم الآية، عندما تعرض قضيته على المحكمة، خصوصا وإنه كان يعرفه حق المعرفة ومطلعا كل الاطلاع على التحركات التي قام بها أثناء وجوده بالخارج، وأنه لم يقع مطلقا في حبال الدعاية الألمانية، ولم يثق بوعودها الكاذبة، بل كان يحذر أصحابه منها ومن خداعها، ومن كذبها، وأن ما تدعيه إذاعتها من أقوال، إن هي إلا افتراءات وأكاذيب، لا يطمأن إليها، ولا يمكن أن يصدقها أي عاقل.

المعذبون في الله

أقول ؛ مادامت تحدثت عن إلقاء القبض على بلافريج بتهمة الاتصال بالعدو، فلأثبت هنا أيضا، أنني وأنا بسجن الرباط، لاحظت ذات يوم وأنا ماراً إلى الساحة الصغيرة التي كنا نشم فيها بعض الهواء دقائق معدودة في الصباح أو في المساء، لاحظت زنزارة قد فتحت، وظهر فيها شخص ممدود على ظهرة، وقدماه عاريتان، ودامتان، ولما أمعنت النظر في الشخص الممدود، وجدت أنه أخي الشهيد عبد العزيز بن إدريس، وما أن رأيته أطل عليه من بعيد، حتى أشار إلى قدميه بسبابته، وكأنه يقول لي : أنظر إلى ما فعله الاستعمار يون بنا من تعذيب، وما أذاقونا من ألوان المحن، وعلمت بعد ذلك أنه يوجد معنا في سجن الرباط الاخوة المرحومون : أحمد مكوار، وعبد الهادي الشرايبي زيادة على الأخ الهاشمي الفلاحي أمد الله في عمره، وأنهم ذاقوا من العذاب ألوانا وأشكالا

أثناء استنطاقهم، وقبل تقديمهم للمحكمة العسكرية بمكناس بتهمة اتصافهم هم أيضا بالعدو الألماني، وأن المحكمة العسكرية بعد ذلك اضطرت إلى تبرئتهم، لأنها لم تجد أمامها أية حجة تستند إليها في ادعاء الإقامة العامة الفرنسية.

اتهامات المجاهدين بعرقلة المجهود الحربي

وآتي هنا بفقرات أملاها أخي المجاهد الهاشمي الفلالي حول اتهامات الوطنيين بالاتصال بالألمانيين، قال الهاشمي كما جاء في استجواب أجرتة معه جريدة العلم بتاريخ 11 يناير 1990 : (بهذه المناسبة لا بد وأن نتحدث عن صفحة مطوية من هذا الملف، وكيف حاول الاستعمار اتهامنا بعرقلة المجهود الحربي، والاتصال بالمحور، إلى أن يقول : لم نكن طيلة عملنا الوطني نستبعد استعمال السلاح والعمل المباشر في الوقت المناسب، ولذلك كنا في مخططاتنا السرية الخاصة، دائما نحتفظ في خلايانا ولجاننا السرية، بالمؤهلين للعمل المباشر من الذين سبق لهم أن حملوا السلاح عند مواجهة المستعمر، خاصة أيام المقاومة للاحتلال الفرنسي، وفي الأطلس بصفة خاصة، ثم يتحدث عن فترة الحرب العالمية الثانية وكيف حاولت ألمانيا استعمال بعض المقاومين ضدًا على فرنسا، وكيف كان الوطنيون محتاطون كل الاحتياطات من الوقوع في حبالها، وان الألمانيين اتصلوا بأحد المقاومين الأولين هو الشريف سيدي عبد الرحمان العلوي للاستفادة من تجاربه واستعماله لصالحهم ضد الفرنسيين، ولكن الفرنسيين اكتشفوا أمره، فألقوا عليه القبض، كما اكتشفوا أنه أي العلوي كان متصلا بمقاوم آخر هو السيد هلال (من الأطلس) وكان هذا الأخير اتصل بالأخ الهاشمي والسيد عبد العزيز بن إدريس، وأنه هو بدوره ألقى عليه القبض في أزرو، فاعترف باتصاله ببعض الوطنيين في فاس، الذين لم يذكر أسماءهم، كما اعترف بأنه كان له اتصال بالسيد عبد الرحمان العلوي الذي لقي مصيره رحمه الله تحت التعذيب، ثم يحكي الهاشمي الفلالي ان السيد هلال هذا أتوا به إلى فاس ليدهم على الأشخاص الذين وقع الاتصال بهم، ولكنه احتال عليهم حتى فر من بين أيديهم ودخل إلى ضريح المولى إدريس محتما به، وهكذا وقع الاتصال به سرا داخل الحرم الإدريسي، وأخذت منه المعلومات الضرورية عن الاستنطاق، وحول الأسئلة التي كانوا يوجهونها للتعرف على الشخصيات الوطنية، إلى أن يقول الأخ الهاشمي في استجوابه الصحفي (ظل السيد هلال في الحرم الإدريسي إلى أن جاء تاريخ تقديم الوثيقة سنة 1944 ووصلنا إلى 29 يناير فأخرج هذا الملف، ليستأنف العمل به من جديد، في محاولة لتأكيد تهمة الاتصال بدول المحور، وعرقلة المجهود الحربي، وقد جيء بنا نحن :

الهاشمي الفلالي وأحمد مكوار وعبد العزيز بن إدريس إلى إدارة الأمن بفاس، وظللنا رهن التحقيق لمدة عشرين يوما، عرفنا فيها أبشع أساليب التعذيب لنعترف بالتهمة التي حاول الاستعمار أن ينسبها لنا باطلا، وهي الاتصال بالألمان، بواسطة عبد الرحمان (أي العلوي المذكور سالفاً) والتخطيط معه ضد فرنسا، وقد كان الحاج أحمد بلافريج، يستنطق هو الآخر بالرباط حول نفس التهمة، ورغم التعذيب والتنكيل، فإن التحقيق ظل معلقاً، لأننا لم نعترف بشيء) ثم يذكر الأخ الهاشمي أنهم بعد التعذيب والتنكيل بفاس نقلوا إلى الرباط ليواجههم شخص اسمه عبد الرحمان العلوي ثم يقول : (وقد وصلنا الرباط فعلاً وأذكر أننا لم نستطع أن نستوضح رؤية المرحوم أحمد مكوار وشخصه من شدة التعذيب الذي تعرض له، وبعدما يتحدث عن مقامهم بسجن الرباط وتقديمهم للاستنطاق أمام لجنة عسكرية ومقابلتهم لشخص يسمى عبد الرحمان كان طالبا بالقرويين وكان ألقى عليه القبض عملياً بتهمة الاتصال بالألمانيين وحكم عليه بالسجن المؤبد، وكانت النتيجة الأخيرة أن مجابتهم لهذا الشخص (أثبتت أنه كذاب وعميل، فكانت النتيجة إثبات براءتهم من تهمة الاتصال بالألمانيين). انتهى ما أملاه الأخ الهاشمي الفلالي كما أثبت هنا ما كتبه أحد المعذبين في الله المرحوم عبد الهادي الشرايبي في كتابه : (ثمن الحرية) عن المحنة القاسية التي اجتازها هو وإخوانه المعذبون المذكورون.

شهادة الأستاذ عبد الهادي الشرايبي عما قاساه من التعذيب



عبد الهادي الشرايبي

قال في صفحة (154) (بدأ رجال الشرطة يأخذوننا على التوالي إلى مقر الشرطة، لإجراء البحث وتوجيه التهم الفظيعة التي ستؤدي بنا حتماً إلى الدمار فيما يحكون، ولم يطل بنا المقام حتى جاء دوري، فنودي عليّ، وكنا نحن الوطنيين في حي واحد من أحياء السجن، وكان كل واحد منا، دائم الترقب ليلاً ونهاراً لكي ينادي عليه، وبعد حضور جلسة أو جلستين، ومعرفة ما يجري فيهما، أصبح هذا النداء مفزعا تنخلع لأهواله القلوب، وذهبت في حراسة رجال الشرطة إلى مقر الاستنطاق، وكان عبارة

عن دار مشتملة على عدة حجر، كأنها متحف مكون من آلات التعذيب المختلفة، وتقع هذه الدار في حي الطيارات بالرباط، في ناحية منفردة خالية من العمارة والسكان، واجتزت عتبة الباب، وقادني صاحبي في زيارة خاصة إلى متحف القاعات التي صفت بداخلها أدوات التعذيب، حتى طاف بي عليها حجرة حجرة، وتملت برؤية ما احتوت عليه من آلات، وما تفنن الزبانية في ابتكاره من وسائل التنكيل والإهانة للإنسان، ومحاولة قتل نفسه، وإرغام أنفه في التراب، إلى أن يقول : ففي هذه الحجرة نصبت طاولات، بعضها على شكل مربع، وآخر مستطيل ذي قوائم ليس له سطح، يعلق عليه الإنسان، ويربط من يديه ورجليه في قوائمه الأربع، ويظل معلقا في الفضاء، وتسلب عليه سياط التعذيب بالضرب من لدن رجال أشداء، في ريعان الشباب والقوة، وقد علقت على جدرانها أنواع السياط المختلفة، المطعمة بأسلاك الحديد، والتي تفنن في استعمالها لهذا الغرض، وفي حجرة أخرى نصبت المصابيح الكهربائية القوية التي توجه إلى العينين وتعشيها حتى ليكاد الإنسان يفقد بصره، وبجانها وضعت آلة التعذيب بالكهرباء، في حجرات أخرى صحنون مائية ضخمة، تفرق فيها الرأس إلى العنق، وتبقى عائمة في المياه، حتى تكاد تختنق أنفاس المتهم، وخصصت حجرات لأنواع التعذيب الأخرى، منها إرغام الشخص الذي يراد استنطاقه على الدوران منحنيا في نقطة معينة، وقد وضع السبابة على الأرض في دائرة لاتتعداها، ويرغم على الاستمرار في ذلك وقتا طويلا حتى تستنزف قواه، ولا يعود قادرا على الوقوف لحظة) وبعدها يتحدث عن مرحلة الاستنطاق، ومقاساته لكل أنواع التعذيب التي ذكرها المرات المتعددة، وتتابع نقله من السجن إلى مقر الشرطة للاستنطاق (Instruction) وتوجيه التهم إليه وهو مصرّ على رفض تلك التهم، رغم المعاناة الشديدة القاسية من ضرب وركل وصفع وتعليق وتعذيب أليم بالكهرباء، واستخدام الآلة الجهنمية، ذات الأسلاك الكهربائية، التي تلصق في جسم الإنسان، وفي المواضيع ذات الحساسية الشديدة، والتي تقع من جرائها رجاءات في الجسم لا يتحملها البشر، والتي ينشأ عنها تشنجات، وانقباضات في الوجه، والأطراف، وبروز في العينين، وجحوظهما، إلى غير ذلك من ألوان التعذيب الذي لا يطيقه إنسان، بعد كل هذا التعذيب، صار يفكر في إنهاء حياته بالسجن، فاستدعى مدير السجن، وأخبره بأنه سيضع حدا لحياته، إذا مابقي في هذه المعاناة إلى آخر ما ذكر في كتابه رحمه الله وجزاه. وهذا الذي وصفه المرحوم الشرايبي في كتابه، هو نفس ما سمعناه من إخواننا الثلاثة الآخرين المعذبين : الحاج أحمد مكوار والشهيد عبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلالي، ففي سبيل الله مالاقوا من تعذيب وآلام، وهنيئا لهم صبرهم وتحملهم وثباتهم.

أتيت بهذا الوصف المنقول من كتاب المرحوم عبد الهادي الشرايبي، لألفت نظر الجيل الجديد الذي لم يعيش فترات الكفاح الوطني أيام الاستعمار، بأن الاستقلال والحرية في بلادنا لم يأتينا في أطباق من ذهب، ولم تتحرر بلادنا دون ثمن غال، كان فيه التعذيب والامتحان والآلام، وكان فيه الاستشهاد، وتقديم الأرواح الزكية، فداء للحرية والكرامة، وتطهير البلاد من رجس الاستعمار، فيجب عليهم أن يعرفوا كل ماوقع، حتى يقدر المجاهدين الأبرار الذين سبقوهم بالإيمان، وحتى يدركوا أن بلادهم التي حررت بالدموع والدماء والآلام، تنتظر منهم أن يصونوا استقلالها، ويدوذوا عن حماها، ويستमितوا في سبيل وحدتها وتحرير ماتبقى من ترابها مغتصبا، ويدركوا أن آباءهم وضعوا أمانة في أيديهم، لاليلعوا ويتمتعوا، ويلهوا ويغفلوا عن مسؤولياتهم في الذود عنها وعن عقيدتها وقيمها وحضارتها والسير بها في طريق العزة والكرامة والتقدم، لتربط حاضرها بماضيها المشرق، الذي كانت أنواره تشع في كثير من الأقطار المجاورة والبعيدة، وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

مظاهرة مدينة الرباط سنة 1944

«إثر اعتقال «بلافريج» يوم 29 يناير 1944 تظاهرت مدينة الرباط بأجمعها» فبمجرد ما تلقى المسؤولون في الحزب نبأ اعتقال بلافريج واليزيدي قامت قيامتهم، وتنادوا على المناضلين أن اقصدوا جميعكم، حي (تواركة) الذي يقع فيه القصر الملكي، وماهي إلا ساعة أو نصف الساعة، حتى صارت الأفواج تلو الأفواج تقصد «تواركة» هاتفة بحياة الاستقلال، ومحتجة على إلقاء القبض على الزعماء، فاكثظت جوانب «تواركة» بالمتظاهرين المتحمسين الذين أتوا من جميع أطراف مدينة الرباط، من المدينة القديمة، من ديور الجامع، من العكاري من دوار الدبغ، من حي المحيط، من جميع الجهات، من المدارس وفي طليعتها كوليج مولاي يوسف، ومن الإدارات المختلفة التي لم يبال موظفوها بما سَيَّأَلُهُمْ من عقاب الطرد والانتقام، من كل الحثيات، ومن كل الجرف، ومن المعامل وغيرها. أصبحت «تواركة» تغلي غليان المرجل، وكل من فيها ينادي بالاستقلال ويطالب بإطلاق سراح المعتقلين، تحلق المتظاهرون حول القصر الملكي يهتفون بحياة محمد الخامس، ويطالبون بالاستقلال وبتحرير المعتقلين، واشتد الغليان،



محمد المدور

وكانت المظاهرات مؤطرة من شباب الحزب، وفيهم المرحوم محمد المدور الذي وقف خطيباً في الجمهور يقول :

(أيها المسلمون، ان الاسلام يعرض عليكم اختياره وامتحانه، فهل سيجدكم مسلمين ؟ أم أنكم ستدعون إلى الإسلام ولاتستجييون، وما استجابتكم لله ولرسوله، إلا استجابتكم لهذا الرجل (يعني محمد الخامس) وبعد احتجاجه على اعتقال بلافريج واليزيدي يرجع فيقول : لمن هذا القصر ؟ من هو صاحبه ؟ انه القصر الملكي العامر. إن صاحبه هو محمد الخامس، فاستجيوا له، واستجابتكم له هي استجابة لله ولرسوله).



محمد عليوة



السيطل العيساوي

وفيهم السيطل العيساوي، ومحمد عليوة وغيرهم من مسيري الجماعات الحزبية، كانت «تواركة» تعج بالمتظاهرين وهم في حالة تكاد تكون هستيرية، فلا تسمع إلا كلمة الاستقلال، ومحمد الخامس، وسراح المعتقلين، وشارك مشاركة عملية طلبة المدارس الثانوية، وبالأخص تلامذة كوليج مولاي يوسف بقيادة مؤطريهم من شباب الحزب، وتجاوب معهم من داخل المدرسة المولوية تلامذتها، وفي طليعتهم سمو ولي العهد المحبوب مولاي الحسن الذي كان يتابع المظاهرة من وراء سور المدرسة المولوية، بنفس حماس المتظاهرين. وفي ذلك يقول الأستاذ عبد الهادي بوطالب في كتابه : (ذكريات، شهادات، وجوه) ص 125 : (تفاعل ولي العهد مع الجماهير في حماس فجّر منه مشاعره المكنونة، وهم بالالتحاق بالمتظاهرين، لكنه كان محاطاً ببعض الموظفين الفرنسيين العاملين بالمعهد الملكي ثم يقول بوطالب : وقد كان إذذاك أستاذاً بالمعهد المولوي، وحاضراً داخل المعهد يوم المظاهرة : ماأزال أبصره وهو يقذف باحتجاجاته من وراء سور المعهد، ويجهر بعبارات تعاطفه مع المتظاهرين، مستعملاً العربية حيناً، والفرنسية التي شب على إتقانها حيناً آخر. إلى أن يقول : وما أزال أرى الأمير وقد

بدأت عليه مشاعر الارتياح عندما انتهت إلى المعهد أصداء تفاصيل مثيرة عن سير المظاهرات، وكان من بينها أن المتظاهرين أمسكوا بتلايب الفقيه المعمري وزير المراسم الملكية، وأنهم مزقوا جلبابه وسلهامه (برنسه) عندما نصحهم بالتفرق والاحلال إلى السكون)

زاد احتياج المتظاهرين، فاخترقوا باب القصر الملكي، مستنجدين بجلالة محمد الخامس، هاتفين باسمه وبالاستقلال والحرية، ولوحظ أن المخازنيين (الحراس) الواقفين بباب القصر، لم يعترضوا، ولم يمانعوا في دخولهم، ولعلمهم كانوا بدورهم متعاطفين معهم، ولربما كان البعض منهم مؤطرا في خلية من خلايا الحزب، مثل الخلايا التي كانت في مختلف الشرائح الاجتماعية، ومنها المعهد المولوي نفسه الذي كان تلامذته وفي طليعتهم سمو ولي العهد شبه مؤطرين في الجماعات الحزبية، مزودين بالتوجيهات الوطنية والسياسية التي بلغت منتهاها في تلك الظروف.

عنف المظاهرة عجل بإطلاق سراح الزيدي

حاول الفرنسيون وأعدائهم، تفريق المظاهرة الصاخبة، واستعملوا جميع الوسائل التي بين أيديهم، وجاء «بونيفاس» — وكان إذ ذاك رئيس ناحية الرباط — ليعد ويتوعد، ومعه مساعده «باولينى» ولكنهما لم ينجحا، ولم يبال بوعيدهما وتهديدهما أحد، وحتى الموظفون الذين تركوا وظائفهم، وحضروا يشاركون في المظاهرة لم يبالوا بهما، هناك رأى «بونيفاس» أن يستنجد بالمخزن الشريف، ليتغلب على الصعوبات التي تعترضه، فذهب إلى القصر الملكي، وعقد اجتماعا مع الصدر الأعظم، محمد المقرئ، بحضور معمري رئيس التشريفات الملكية، فاهتدوا بأن التغلب على هيجان المتظاهرين والابتعاد عن القصر الملكي، لا بد له من شخصية لها نفوذ وطني قوي، يمكن أن يكون لحضورها وتدخلها التأثير اللازم، ونظرا لأن الشخصيتين اللتين يطالب المتظاهرون بإطلاق سراحهما، هما بلافريج، واليزيدي، فلنحضر أحدهما، ونطلق سراحه، في انتظار ماستسفر عنه الأحداث، ولعل مقررده أحيط به علما بجلالة الملك محمد الخامس، ولعله اعتبره الخطوة الأولى في حل الأزمة التي أصبحت مستعصية، وهكذا ذهب «بونيفاس» ليطلق سراح المرحوم محمد اليزيدي، ويبقى على بلافريج رهن الاعتقال بدعوى أن له علاقة بدول المحور، وقبل أن يطلق سراح اليزيدي خرج «معمري» من القصر وخاطب

المتظاهرين الذين حوله قائلاً مامعناه : إن اليزيدي قد أطلق سراحه الآن، أما بلافريج، فهو متهم بالخيانة العامة، حيث كان متصلاً بدول المحور إلى آخر مقال، الأثر الذي زاد في هياج الجمهور المتظاهر وثورته، فانقض المتظاهرون على معمرى، وأخذوا يتجاذبونه بعنف، ومزقوا ثيابه، ولم يتركوه حتى أغمى عليه بل ظنوا أنه لفظ أنفاسه. يقول الأخ المناضل السيد السيتل العيساوي، وكان من المؤثرين الأساسيين للمظاهرة⁽¹⁾

في هذه الأثناء أثناء هيجان الجمهور، أحسست أن يدا قوية تمسك بساعدي الأيمن، فإذا به أحد المخازنية من خدام القصر، يقودني بتودة إلى باب المنزه السفلي، حيث عاehl البلاد راعي الأمة الأمين، واقفاً، يتتبع باهتمام حركة المتظاهرين، وهم في حالة هيجان لا تتوقف، والماسك ب يدي يصيح بأعلى صوته : هذا ياسيدي واحد من قادتهم، وخاطبني حامي الحمى بأناة ولطف وعطف أبوي — رغم حدة الموقف — بهذه العبارات التي لا يزال طينها يرن في أذني : (هل هناك من يمكن التحدث إليهم ؟ أسرع وأحضرهم إلّى ؟) فانطلقت مَهْرولاً أبحث في بنائق كتاب المخزن الشريف، فعثرت على إخوان من صفوة الاستقلايين رحمهم الله جميعاً من أفراد (الطائفة) المتسترين المسؤولين من طرفها عن سير الحزب عند الاقتضاء، من بينهم : الأستاذ عبد الكريم بنجلون التونمي، ومسعود الشيكري، وعبد الكبير بن حفيظ القاسي ومحمد الدزيري، فأبلغتهم أمر مولانا السامي، ورغبته الملحة في الاتصال ببعض المسؤولين، وقدمتهم حيث عاehl البلاد ينتظرهم، ثم رجعت إلى ساحة المشور، لأساير المظاهرة التي كنت من بين مسيريهـا المسؤولين، فإذا بي أمام أخي وأستاذي الكريم محمد اليزيدي، وقد أطلق سراحه، وهو محمول على الأكتاف، فأبلغته الخبر، وقدته بدوره إلى حضرة السلطان، ثم قفلت راجعاً، فوجدت أمامي الأخ محمد الرشيد ملين، محمولاً هو أيضاً على الأكتاف، فرافقته إلى مجلس أمير المؤمنين، وقفلت راجعاً،

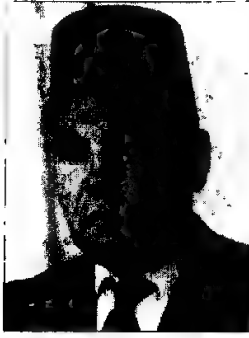


محمد اليزيدي

وإذا بقائد المشور آنذاك يصيح بي، ادخل أنت أيضاً، وكأن في نفسه حزازة، من جراء استغناء سيدنا عنه في هذا الموقف الحاسم، فأجبتة على الفور، إني بين إخواني وسط المظاهرة، فبينما المظاهرة في أوج حرارتها، إذ بقائد الأمة، ورائدها الأسمى، يبدو بوجهه

(1) انظر جريدة «العلم» رقم..... السنة..... شهر.....

الصباح، بباب المنزه السفلي، محاطا بالإخوان الاستقلاليين، وفي مقدمتهم كاهية الأمين العام للحزب، الأخ محمد اليزيدي فالتفّ في الحين جميع المتظاهرين حولهم، فإذا بالسلطان المطاع، يخاطبنا جميعا ونحن نستمع، وكأنّ على رؤوسنا الطير : (هذا خادمتنا السيد محمد اليزيدي بيننا، وقد أطلق الله سراحه والحمد لله، أما الأمين العام للحزب السيد أحمد بلافريج فهو في كفالتنا، وسنختار أجود المحامين للدفاع عنه من مالنا الخاص، حتى تتحقق براءته، ويطلق سراحه إنشاء الله، فسيروا على بركة الله إلى المدينة بهدوء ونظام، تحرسكم عناية الله، بقيادة الأستاذ محمد اليزيدي) وبعد هذا الخطاب الملكي القصير، اتجه المتظاهرون إلى المسجد الأعظم بالرباط، مارين في طريقهم بشارع علال



عبد الهادي الحلو

بن عبد الله، حاملين الأخ محمد اليزيدي على الأكتاف، وفي باب «شالة» تعرضت لهم كوكبة من الجيش الفرنسي، وأرادت منعهم من اختراق الباب، والدخول إلى المسجد، ولكن المتظاهرين لم ينصاعوا لما أَرادَه الجيش الفرنسي، ودخلوا المسجد عنوة، حيث وقف فيهم خطيبا المرحوم عبد الهادي الحلو، مطالبا بالاستمرار في التظاهر، إلى أن يطلق سراح الأمين العام، ولكن القوة الفرنسية من جنود وشرطة كانت في حالة من الهيجان، وحب الانتقام، مآدى إلى الاشتباك معها، وقتل عميد من عمداء الشرطة الفرنسية،

وأحرقت دراجته النارية، فاشتد غضب الفرنسيين، وتضاعف هيجان المتظاهرين، فسقط قتيلان، جنديان آخران، وهجم الجيش على المسجد، وصار يطلق النار على المتظاهرين، حيث سقط الكثيرون، ضحايا الغطسة والبطش والانتقام، وكان من بينهم الشاب الصغير الشهيد «الصديق احساين» وصار المتظاهرون يبحثون عن القتلى، ليحملوهم للدفن، ولكن الفرنسيين مانعوا من ذلك، ولكن المتظاهرين لم يبالوا بما يتعرضون له، وأبو إلا أن يحملوا موتاهم إلى ركن من أركان المقبرة الواقعة باب لعلو، والمجاورة للسجن وكان هتافهم التكبير والتهليل، فصار الجيش والشرطة، يلقي القبض على المتظاهرين، ويحشرهم في الحافلات المعدة لذلك، وحوصرت مدينة الرباط من جميع الجهات، وامتلات الشكنات العسكرية بالمعتقلين، حيث صاروا يذوقون من العذاب ألوانا، وكان من جملة المعتقلين الإخوة : محمد الجزولي، عبد الله الركراكي، والسيّتل العيساوي، ومحمد كريم، وعبد الرحمان بن إبراهيم، ومحمد المدور، وعبد الكريم بن العربي، محمد عليوة، الذين أحيّل بعضهم على المحاكم العسكرية، وبعضهم على محكمة الباشا الزمراني،



الشهيد الصديق احسان

الذي جاءوا به عوض عبد الرحمان بركاش الذي أقالوه على إثر الحوادث، وأوقفوا ابنه : أحمد ومحمد، كما ألقوا القبض على الشهيد المختار جازوليت الذي أحيل على المحكمة العسكرية، فحكمت عليه بالإعدام، وأعدم ليلة عيد المولد النبوي رحمه الله، كما أعدم أربعة من رفقائه : ومنهم الشهيد العربي الشاوي العضو في الاتحاد الرباط السلوي للرياضة، ثم يحكي السيتل العيساوي صاحب هذا التقرير عن حوادث الرباط يوم 29 يناير 1944 أنه بعدما انتقل من سجن الرباط إلى سجن الدار البيضاء، وجد من المسجونين الفقيه المريني السيد محمد السموني والسيد محمد بن جلون وهما من الدار البيضاء، كما وجد في السجن الفقيه السيد حمزة، وهو من سلا وانتقل إلى البيضاء كإمام مسجد وخطيب، ومن جملة من وجد في السجن المرحوم قدور الورطاسي وأحمد بن دالي وبناصر بن العربي ومحمد بن تاهلة وهم من مدينة وجدة.

ويجب أن أسجل هنا أن لجنة الإسعاف التي كونها حزب الاستقلال في فرع الرباط قامت بواجبها أحسن قيام، وأسعفت أسر الشهداء والمعتقلين، واهتمت كل الاهتمام بالتلاميذ المطرودين من كولينج مولاي يوسف، فأوتهم وأطعمتهم حتى التحقوا بديارهم في مختلف الجهات.

تلامذة ثانوية مولاي يوسف بالرباط يشاركون في مظاهرة 30 يناير 1944

كما أشرت لذلك سالفاً، اهتم الحزب الوطني الذي سمي بحزب الاستقلال ابتداءً من يوم حادي عشر يناير 44، يوم تقدم حزب الاستقلال بوثيقة المطالبة بالاستقلال، اهتم الاهتمام الكبير بقضايا التلاميذ والطلبة ومساعدتهم في دروسهم من جهة، وتنظيمهم في خلايا مكاتبها المسيرة، كان لهذه الجمعيات دورها الهام، في تسيير خلايا التلاميذ في المدارس الثانوية، وكان تلامذة البكلوريا المؤطرين في الحزب والمسيرين من قبل بعض أساتذهم الوطنيين، يقومون بتسيير الأقسام التي تحتهم، وتلامذة أقسام السنة الخامسة أي التي قبل أقسام البكلوريا يسيرون الأقسام التي تحتهم وهلم جرأً، وهنا يجب أن أسجل بكل ثناء وتقدير، الدور الهام الذي قام به الشهيد المهدي بن بركة فيما يتعلق بثانوية مولاي يوسف، ومثله ما قام به المرحوم السيد محمد (فتح) بن سودة والمرحوم العابد العمراني فيما يتعلق بثانوية مولاي إدريس بفاس، وكذلك ما قام به الأخ عبد الكبير بن المهدي الفاسي فيما يتعلق بثانوية الدار البيضاء والمرحوم عبد الرحيم بوعبيد

فيما يتعلق بالتلاميذ السلويين الذي كانوا يدرسون ثانوية مولاي يوسف بالرباط حيث لم تكن بسلا أي مدرسة ثانوية وفيما قام بها المرحوم عَمْرُو أُوْبْنَاصر وعبد الحميد مولاي أحمد في ثانوية آرزو، ان هذا الاهتمام الذي بدأناه في أواخر الثلاثينات تضاعف بعدما قررنا الإعداد للمطالبة بالاستقلال سنة 1943. وهكذا عندما أُلقي القبض على الزعماء يوم 29 يناير 1944 وقامت المظاهرات في الرباط وسلا، قام تلامذة ثانوية مولاي يوسف بالرباط بدور رائع، وتضامن مطلق مع المعتقلين والمتظاهرين. فبمجرد مابلغهم خبر اعتقال بلافريج واليزيدي وقيام المظاهرات في الرباط قاصدة دار المخزن للمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، وعندما وصلهم الأمر بالمشاركة في المظاهرة من طرف المسؤولين عنهم من مسيرهم.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف، والتلاميذ في أقسامهم الدراسية، فلم يشعر المسؤولون في المدرسة من مدير وأساتذة، إلا والتلاميذ يغادرون أقسامهم متجهين إلى ساحة الثانوية حيث اجتمع التلاميذ الداخليون والخارجيون، وصاروا يهتفون بالاستقلال وإطلاق سراح المعتقلين، قاصدين باب الثانوية ليخرجوا منه وليلتحقوا بالمتظاهرين في المشور السعيد بتواركة، فاعترض طريقهم في الباب مدير المدرسة مسيو (روكس) ومعاونوه، محاولين منعهم من تخطي الباب، والخروج إلى الشارع، ولكنهم لم يعبؤوا بكلامه، ولا بمنعه ولا بتهديداته، وتحذوه وقراراته، لقد كان إسم «روكس» هذا يثير الفزع في نفوس التلاميذ، نظرا لشدة وصرامته، ولكنه رأى نفسه في تلك اللحظات، قد سقطت هيئته، ولم تنفعه شدته ولاصرامته، ولما وقف بنفسه في طريق التلاميذ متوعدا مهددا، داسوه حتى سقط على الأرض وكسرت يده، ثم خرجوا هائجين صائحين محتجين، رافعين أصواتهم بالمطالبة بالاستقلال، وإطلاق سراح المعتقلين، قاصدين المشور السعيد، مختلطين ببقية المتظاهرين الذين أتوا من جميع أحياء الرباط، كما أشرنا إلى ذلك من قبل. وبعد انتهاء المظاهرة، بقي التلامذة الداخليون في حيرة من أمرهم، فلاهم يستطيعون الرجوع إلى المدرسة، ولا توجد مساكنهم ومساكن عائلاتهم قريبة منهم، والظروف جد قاسية، حيث إن مدينة الرباط مطوقة برجال الأمن وفيالق الجيش الفرنسي، ووسائل المواصلات مفقودة. وهكذا صار التلاميذ الخارجيون يستضيفون بعض إخوانهم في منازلهم حتى تهدأ الأحوال، وترجع الأمور إلى مجاريها، كما أن الخلايا الحزبية قامت بدورها الوطني فيما يتعلق بإيجاد منزل يأوي إليه التلامذة المذكورون، ولقد أسندت هذه المهمة للمرحوم عبد الكريم الفلوس وكان إذذاك أحد مساعدي الكاتب العام لجمعية قداماء تلامذة ثانوية مولاي يوسف،

وكان مفتاح نادي الجمعية تحت يده فقرر هو والمرحوم صالح الشرقاوي الذي كان من مسيري خلايا الحزب في الثانوية المذكورة والسيد مصطفى السرايري، قرروا أن يفتحوا النادي المذكور ليستقر فيه التلاميذ الذين ليس لهم مأوى بصفة مؤقتة، ثم اتصلوا بالوطنيين المرحومين : زين العابدين بن إبراهيم والحاج عبد اللطيف فرج، فاستضاف هذان الاخوان التلاميذ المذكورين بمنزليهما، ومنزل المرحومين صالح الشرقاوي والطاهر الشرقاوي واستضاف الأستاذ أحمد القادري بعض هؤلاء بمنزل جده بسلا، كما حكي ذلك لي بعضهم ومنهم السيد حجاج الكاتب العام بوزارة الداخلية الآن والحسن الزموري وآخرون. لقد كان أغلب هؤلاء الداخلين من أبناء أعيان القوم في البادية، وفيهم أبناء باشوات وقواد مرموقون، الذين بلغهم خبر فراق آبائهم المدرسة، ومشاركتهم في المظاهرة حتى صاروا يبحثون عنهم وعن أماكن إقامتهم، ولكنهم لم يبتدوا إلى أي مكان، لأن أولئك التلاميذ استقروا في أماكن ضيافتهم عدة أيام منتظرين أن تناح لهم الفرصة، ويهدأ الجو، وتهدأ لهم وسائل النقل الآمنة ليتحققوا بعائلاتهم في منازلهم.

المظاهرات التضامنية مع معتقلي 29 يناير 1944 بفاس

قبل تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، كانت التنظيمات الحزبية، تنتظر عمل ماسيقوم به الحزب، ويوم عاشر يناير 1944 وصل مبعوث من الحزب من الرباط إلى فاس ومعه نسخة من وثيقة المطالبة بالاستقلال لتنسخ النسخ الكثيرة منها وتوزع بعد خروج الوفود التي قدمتها إلى جلالة الملك المعظم ومقيم فرنسا العام وممثلوا الدول الحليفة، وهكذا ماعلم المسؤولون بفاس بمغادرة الوفد الذي قدم الوثيقة إلى جلالة محمد الخامس، حتى أعطوا الإذن بتوزيع نسخ من الوثيقة المكتوبة بخط اليد على مختلف الهيئات والأفراد، ثم بدأت العرائض التأيدية تكتب، والتي وقع عليها الآلاف من المواطنين على اختلاف أوساطهم كالعلماء والشرفاء والأعيان والتجار والحرفيين وغيرهم، وصارت الوفود تترى على الرباط لمقابلة جلالة الملك وتأيد عريضة المطالبة بالاستقلال، وبعد بداية تحرش الفرنسيين بالوطنيين ومنعهم من الالتحاق بالرباط، ومحاصرتهم في الطرق، أدرك الجميع أن الأزمة ستبتدىء بين الشعب المغربي وبين الإدارة الفرنسية.

لقد كان الجميع متحمسا أشد ما يكون الحماس، وكان طلبة القرويين وتلامذة ثانوية

مولاي إدريس من طلائع المتحمسين، فكانوا يعقدون اجتماعات يخطبون فيها، محمسين الجماهير الطلابية وغير الطلابية، وكأنَّ الاستقلال أعلن بالفعل، الأمر الذي أغاظ سلطات الحماية، وعلى رأسها بفاس الكولونيل جورج الذي استدعى ستة من تلامذة ثانوية مولاي إدريس يمثل كل واحد منهم قسماً من الأقسام الثانوية، وهددهم بكلام قاس وصرح لهم بأن الحزب وأنصاره يتحملون مسؤولية كل تشويش يقع بالمدينة، وأن السلطة ستلجأ إلى استعمال القوة والعنف، إن بقيت الأمور تتصاعد، والدعاية تزيد انتشاراً، والكتابة على الجدران تتوالى.

وفي يوم 29 يناير بلغ المسؤولين في الحزب أن الفرنسيين ألقوا القبض على الأستاذ بلافريج والأستاذ اليزيدي بالرباط وأن المظاهرات التضامنية قامت في كل من الرباط وسلا، وفي اليوم نفسه وقع اعتقال الاخوة الشهيد عبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلاحي والحاج أحمد مكوار، فقرر المسؤولون أن يعلن الإضراب بالمدينة، وتنطلق المظاهرات في الشوارع والأزقة، وهكذا ابتدأ الإضراب عشية اليوم نفسه، ولكنه تقوى وازداد حدة وضراوة يوم 30 منه، خصوصاً عندما رأى المواطنون أن المدينة صارت تحتل من طرف الجيش الفرنسي، وكأنه يتهيأ لمعركة حربية داخل المدينة، حيث أصبحت أزقة فاس محاصرة، وأقيمت تحصينات محكمة، أسلاك شائكة، وأكياس من الرمل، وكان الفرنسيون يظنون أنهم بهذه التهديدات والإرهابات سيقضون على معنوية المناضلين المحتجين الذين تضامنت معهم كل الطبقات الشعبية، ولكن الأمر كان بعكس ذلك، فإن الحماس قد تضاعف والجماهير صارت تتجه إلى جامعة القرويين، الذي تقرر أن يكون المنطلق والتجمع العام فيها، فأخذ المتظاهرون يتكاثرون ويردون من كل الجهات، وتخوف الفرنسيون من وقوع أحداث، وتكاثر الهيجان، وزاد من تخوفاتهم ماوقع في الرباط وسلا في اليوم السابق، فصاروا يطلقون الرصاص على المتظاهرين، لينعواهم من الاستمرار في المظاهرات، والذهاب إلى القرويين، ولكن ذلك لم يزد المتظاهرين إلا اندفاعاً وحماساً، فلم يعبأوا بالرصاص الذي صار يحصد الكثيرين منهم، فيسقطون شهداء في الطريق، ويحكي بعض الذين شاركوا في المظاهرة الأولى أن الشهيد مولاي الحسن العلوي تمسك بجدار، وأخذ يزيل منه الآجر، ويرمي به جنود اللقيف الأجنبي، بينما الجنود بدورهم يتجهون إلى جهته ليردوه قتيلاً، ولكنه بقي صامداً إلى أن سقط الجدار من كثرة الرصاص الذي أصابه، وهناك سقط ميتاً فكان أول شهيد في ذلك اليوم رحمه الله.

لقد كانت الاستعدادات أخذت، والترتيبات نظمت من طرف فرع الحزب، وكان

الشباب معباً التعبئة الكافية لقيامه بالواجب في تسيير المظاهرات، وإلقاء الخطب الحماسية، في الجماهير، وفي ذلك يقول الأستاذ عبد الرحمان ربيحة أحد شباب الحزب إذ ذاك : (اختار (الحزب) من شباب القرويين من يعمل على بعث الحماس في صفوف الشعب أثناء المظاهرات القادمة، فكلّف الأساتذة الدكتور محمد السعداني والمرحوم عبد الوهاب الفاسي وعبد الوهاب القباج والطلبة : الطاهر غلاب وعبد السلام بن عبد الجليل ومحمد أحمد الإدريسي وعبد الرحمان ربيحة بتنظيم المظاهرات وبعث الحماس في جموع المتظاهرين، وألزم الجميع بالإقامة الإجبارية في دار (عشرة والكلب حداث) بسيدي العواد، وكون لجنة أخرى للإسعاف والتنظيم والتنسيق من الإخوة : الشهيد الحسن العلوي ومحمد الحبيب ومحمد حمادي التوالي والعربي الإدريسي ومحمد بن جلون إدريس السلوي وإدريس الريفي وأحمد الجباري ومحمد العراقي والعربي بن جلون وغيرهم إلى جانب ما عهد به لتلامذة ثانوية مولاي إدريس بقيادة المرحوم الحسن بنشقرون من طبع المناشر وتوزيعها في الأحياء الأروبية، ولأجل أن يتأكد الحزب بأن الأمور تسيير سيرها الطبيعي، قام بشبه مناورة، ليعلم مقدار استعداد الشباب الذين سيغتمد عليهم في إلهاب حماس الشعب إلى التضحية، فأعلن مساء يوم 28 يناير (أي قبل وقوع الأحداث) أن الأستاذ الشهيد عبد العزيز بن إدريس والأستاذ الهاشمي الفلاحي، قد أُلقي عليهما القبض، وطلب من الخطباء الالتحاق عاجلاً بدار إقامتهم بسيدي العواد، وقدم في تلك الليلة إلى دار الإقامة (المركز الذي تقرر أن يجتمع فيه الخطباء) كل من الأستاذ عبد الكبير الفاسي (ابن المهدي) والأستاذ المرحوم محمد (فتح) بنسودة، ليطلعا عن كتيب على مدى تنفيذ أوامر الحزب، وليتفقا على استعداد هؤلاء الشباب للتضحية والفداء، فسرا بروح التضحية التي أعرب عنها الجميع، ولاحظا أن المحل سيكون بعيدا عن قلب المعركة، فالأولى أن تكون الإقامة في محل يساعد على القيام بالعمل الجبار المنوط بهذه الجماعة المومنة، حتى لا تتعذر المواصلات في الوقت الذي تشتد فيه المعركة، ويحتل فيه جيش المستعمر أحياء المدينة، فتم اختيار منزل مولاي أحمد الإدريسي بحي مولاي إدريس وفي مدرسة النجاح بحي زنقة حجامة، وقدم الجميع الأستاذ عبد الكبير الفاسي كمسؤول أول عن سير الأحداث بفاس وتنظيمها، ويخلفه في حالة القبض عليه المرحوم الحسن بنشقرون، ثم تحدث عن المظاهرة فقال : (وفي القرويين خطب الأساتذة الدكتور محمد السعداني والمرحوم عبد الوهاب الفاسي وعبد الوهاب القباج في جموع المتظاهرين، وألهبوا حماسهم، وذكروهم بماضي بلادهم، وبالمجهود التي أخذوها على أنفسهم بالرجوع بهذه البلاد إلى مجدها واستقلالها، وفي تجمع عظيم هائل، انطلقوا في

شوارع البلاد، مرددين إسم الله اللطيف، قاصدين ضريح المولى إدريس ومسجد الرصيف، واستمرت المظاهرة طيلة يومي السبت والأحد 29 — 30 يناير،⁽²⁾ ولم تحرك الإدارة ساكنا أمام هذا الحشد الاستقلالي العظيم، ففي كل حي مظاهرة، وفي كل مسجد قراءة اللطيف، والخطباء بدورهم يلهبون حمية الأمة، ويحافظون على النظام، وانضم إليهم خطباء آخرون : أمثال العربي العمراوي شقيق الشهيد عبد العزيز بن إدريس، والمرحوم إدريس ربيحة، ولقد كان من المقرر أن يختفي يوم الإثنين 31 يناير المسؤولون الثلاثة عن تنظيم المظاهرات وتوجيهها، ليخلفهم عبد الرحمان ربيحة ومحمد بن العربي الأسفي، ولم تشأ الإدارة أن تبقى مكتوفة الأيدي أمام مايجري في البلاد من مظاهرات صاخبة، فقررت احتلال المدينة ليلة 31 يناير، ففي ظلام الليل وسكون البلاد، تسرب الجيش لاحتلال المدينة، وتطويق القرويين، لينع على المتظاهرين دخولها أو الاقتراب منها، واستعد للمواجهة بحفر الخنادق في حي الشماعين وسماط العدول وبلغت أخبار تحركات الجيش في وقتها إلى قيادة الحزب، وبات من المؤكد وقوع الاصطدام بين جيش الاحتلال والمجاهدين من رجال حزب الاستقلال، وأعطيت الأوامر للدباغة في تلك الليلة بقيادة سيدي العربي الإدريسي (رحمه الله) بأن يتسللوا من دار الدبغ واحدا بعد واحد، جاعلين بذلك حاجزا بين صفى الجنود المدججين بالسلاح، ثم يهجم كل واحد من الدباغة، على واحد من الجنود، تلافيا لإطلاق النار، كما أعطى الأمر للفتات الأخرى من خرازة وغيرهم من بقية الشعب، للقيام بنفس الدور في نفس الوقت، لكن الأطفال والنساء، سبقوا الأحداث، فهاجموا الجند في حي المشاطين بالحجارة، فرد الجند عليهم بإطلاق النار، فهاج الشعب، وتعالى الصياح، وتقدم المجاهدون من حزب الاستقلال وإخوانه إلى المعمة بالتكبير والتهليل، وفي حي الشماعين هاجم الحسن العلوي الجنود، وامطرهم بوابل من الحجارة، وتمكن أحدهم من إطلاق النار عليه، فسقط رحمه الله في ساحة الشرف والمجد بوجود نفسه فحمله رفيقه ابن حمادي إلى منزل أصهاره، وأراد أن يذكره بما يذكر به الموتي، فأجاب رحمه الله بقلب ثابت مومن قوي، بأن الواجب يقضي على ابن حمادي أن يرفع إلى المحمل الذي أتى به منه، وودع كأول شهيد معركة الاستقلال، هذه الحياة (أي في فاس) عزيزا كما عاش فيها مناضلا شريفا، وتمكن الشهيد العربي الكفاط بوسائل، من الصعود إلى برج القرويين، وصار يطر من أعلاه، الجنود بالحجارة، فصبوب إليهم أحدهم بندقته، فكان ثاني شهيد

(2) لعلهما يوما 30 و31 يناير.

في المعركة، وتوالت الاصطدامات، وسقط الشهداء في ساحة الشرف أمثال سيدي عبد العزيز بوطالب (من الحركة القومية) والعربي كعبوط ومحمد بناني وعبد العلي الصقلي وغيرهم، وكنت صحبة ابن العربي الأسفي وسط المتظاهرين، نلهمهم حماسا وتوقدا، مؤبنين الشهداء، تحت وابل من الرصاص والمفرقات، وانضم إلينا الطالب مولاي علي بن عبد القادر الصقلي الذي ألقى قصيدة في جموع المتظاهرين.

سقوط خائن في المعركة

وكان أحد المتعاونين يدعي إسماعيل⁽³⁾ يسأل عن أسماء الخطباء والمنظمين وبيده لائحة يستفسر منها عن أسماء معينة، فارتاب المجاهدون في أمره وانقض عليه أحمد الجباري وربط يديه إلى ظهره، وفتش جيوبه، فألقى بها مسدسا ورصاصا ولائحة تضم بعض رجال الحزب. أمثال الحاج أحمد مكواري وعبد الكبير الفاسي وعبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلاحي وغيرهم، وصرح أنه جاء من الرباط خصيصا لقتل هؤلاء، فأشبعه المتظاهرون ضربا بسكاكينهم ومقداتهم، وأخيرا وضع العربي العلوي من سكان فاس الجديد حدا لحياته، وتجنّد المرضون بقيادة المرحوم الحاج محمد بن يحيى فاستعملوا خبراتهم وكل ما عندهم من مواد طبية، في معالجة الجرحى، وقدموا لهم حسب إمكانياتهم الإسعافات الأولية، وكان المجاهدون يحملون القتلى إلى القرويين لتأبينهم والتعرف على هويتهم، واستطاع محمد (فتحا) العراقي أن يتعرف على أسمائهم وعناوينهم فجمع منها ما يزيد على الثلاثين، وأخذوهم من القرويين إلى سيدي أحمد التيجاني وإلى مسجد الرصيف، حيث أبّنه الحاج أحمد بنشقرون (رئيس المجلس العلمي بفاس الآن) ومحمد بنشقرون العضو الحالي في اللجنة التنفيذية (أي ساعة كتابة هذا الاستجواب) واستمرت الاصطدامات بين المجاهدين وجيش الاحتلال إلى أن جاء أمر الحزب بإيقافها بعد غروب الشمس.

دفن الشهداء

أما الشهداء (الذين كانوا مجمعين في القرويين وجامع الرصيف) فنقلوا تحت ظلام

(3) إسماعيل هذا أحد المخبرين الملتحقين بإدارة الاستعلامات بالرباط، كان هو ورئيسه الحريقي من الذين يتبعون نشاطنا الوطني.

الليل إلى جامع الجنائز بجامع الأندلس في انتظار مراسيم الدفن، وأصدر الجنرال سوفران (رئيس ناحية فاس الفرنسي، والمسؤول الأول، وأمره بعدم تشييع جنازة الشهداء في وقت واحد، وأن يتولى تشييعهم الجيش بنفسه، وأن يدفنوا في مقابر متعددة، وأن لا يقل بعد ما بين القبر والقبر عن خمسين ميترًا، وشاء الله أن تنتصر إرادة الشعب لأنها من إرادة الله، ونقل الشهداء ليلاً في سرية تامة إلى روضة الشرفاء العراقيين بحمي وادي الحريق «ساحة الشهداء» في غيبة عن الإدارة، وعيون أعوانهما، ولم يجد الجيش في جامع الجنائز إلا الفشل والخيبة، ولم تستطع الإدارة معرفة موضع الدفن، إلا بعد فوات الأوان. وكانت رغبة زعيم التحرير الراحل علال الفاسي نور الله ضريحه أن يدفن جميع الشهداء بما فيهم شهداء 1954 في روضة واحدة، وأن يكون مقره الأخير في وسطهم، تقديراً لأعمالهم، وتخليداً لذكراهم، ورمزا للاستمرار على المبدأ الذي استشهدوا من أجله.

استماتة واستمرار

واستمر الشعب في المقاومة وتنظيم المظاهرات في صمود واستماتة خمسة عشر يوماً بمشاركة الإخوة : عبد السلام بن عبد الجليل والطاهر غلاب ومحمد الإدريسي وأحمد بنموسي، وقاوم بكل بسالة وإخلاص وإيثار ما قامت به الإدارة من منع الضوء والماء والمواد الغذائية، وفتح أهل فاس قلوبهم ودورهم لكل محتاج، وتوصل كل بيت، وكل عائلة بواسطة لجنة الإسعاف بما يكفيه ويغنيه من الماء والطعام والثياب، وأصبح الكل كما حكى الله عن أهل الجنة (إخواناً على سرر متقابلين) ولسان حالهم ينشد : هل نحن ياناس هنا أو نحن في الجنة الشيء الذي فقد معه المستعمر صوابه، فأطلق لجنوده السبيل



الطاهر غلاب

لنهب الدور والدكاكين، ولم يتمكن من إلقاء القبض على الخطباء، إلا بإلقاء القبض على آبائهم، وهكذا اعتقل والذي رحمه الله، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن سلمت نفسي بأمر من حزب الاستقلال وبقي الإخوة الآخرون، يقلقون راحة المستعمر إلى أن قبض على الإخوين : الطاهر غلاب وعبد السلام بن عبد الجليل، في مظاهرة بمسجد الرصيف، حينما أحاط الجيش بالمتظاهرين من كل جانب) هذا ما كتبه الأستاذ عبد الرحمان ربيحة عن

ذكرياته عن أحداث يناير 1944 (أنظر جريدة «العلم» عدد 9.986 المؤرخ بتاريخ 30 يناير سنة 1975).

لقد نقلت مآكث الأستاذ ربيعة من أحداث يناير 1944 بفاس، لأنني لم أعشها بنفسني مثل مآكثها في (سلا) ولأن الأستاذ ربيعة شارك فيها بنفسه مشاركة عملية فعالة وأعطى عنها معلومات ضافية، أتى فيها بما يغيب استحضاره عند الكثيرين، والأستاذ ربيعة عندي رجل صدق ووطنية، ولا يحكى إلا الواقع الذي عاشه بنفسه حفظه الله.

رواية الأستاذ الطاهر غلاب

أما بقية الأحداث فقد تحدث عنها رجل صدق آخر، شارك فيها بدوره مشاركة عملية طوال الأيام العديدة، وتحمل من أجل مشاركته كثيرا من المحن والآلام هو الأستاذ الطاهر غلاب، قال غلاب كما نشرته جريدة «العلم» الصادرة بتاريخ 30 يناير 1975 : كانت آخر مظاهرة هي التي نظمت في مسجط الرصيف، فما أن حان وقت صلاة الظهر، حتى تواجد هناك جمع كبير، يضم الشباب والكهول من الصناع والعمال والتجار والطلبة، وكنت مع الأخ عبد السلام بن عبد الحليل مندوبين لتسييرها وأثناء إلقاء كلمتي، لاحظت قوة من العسكر، تقف بباب المسجد، وتنصب مدفعا في مواجهتي، فلم أبدأ حراكا، وتابعت خطبتي إلى نهايتها، فلم يشعر الحاضرون بشيء، وفي الأخير أبلغنا أحد المقدمين (عون السلطة) أن المسجد مطوق من كل أبوابه، وعلمنا إما الاستسلام أو الموت، فخرجنا حيث صففونا في ساحة، وقادونا وسط حراسة مشددة إلى (باب فتوح)، وهناك استعرضنا الجنرال سوفران وخليفته سالاني، فوقف الجنرال بعجرفة وصلف، لم يحسن تمثيلهما، يتطلع إلى أسراه، هذا الجنرال الذي سبق أن رأيته في فرنسا أيام الحرب، متقاعدا صعلوكا، يطوف على المغاربة يستجدي تجارهم، ويأكل معهم الطعام المغربي (الذي يحبه) ويتودد إليهم بالكلمات العربية التي يعرفها، وبأيامه التي قضاها موظفا في إدارة الاستعمار، حتى إذا دخل الحلفاء إلى المغرب، سلطوه على مدينة فاس، فمثل فيها دور المتعطر الجبار، وانتقم ممن أحسنوا إليه — فنهب متجر آل ابن عمور، ومتاجر أخرى، وألقى القبض على من كانوا يصارحونه في أفكارهم في أيام محتهم.

في معسكر باب الساكمة

وقضينا عشرة أيام في معسكر باب الساكمة، محاصرين بالأسلاك الشائكة، فراشنا الأرض، وغطاؤنا السماء، في ليالي يناير وفبراير القارصة، وطعامنا خبزة واحدة في اليوم، وما تصدق علينا به الجنود السينغاليون ليلا في حذر من ضباطهم الفرنسيين، وفي نفس المعسكر حاكمونا حكما جماعيا، بدون دفاع ولا مرافعة، ففي ساعة أو أقل وزع علينا خليفة الباشا والمراقب الفرنسي، أكثر من مائتين وخمسين سنة سجننا نافذة. وذات يوم أوقفونا وراء الأسلاك، وعرضونا على بعض المساجين أتوا بهم مكبلين، عرفنا منهم السيد العربي الإدريسي، وعزوز السحاق، فلم نفهم لهذه الحركة معنى إلا بعد أن سمعنا أنهم اتهموا بقتل الجاسوس، وحكم عليهم بالإعدام، وأتوا بهم ليدلوهم على من شاركهم في القتل، فلم يتهموا أحدا، وتحملوا الحكم وحدهم، فأعدم منهم من أعدم، وبقي الآخرون حتى تحرروا بعد الاستقلال.

في معتقل مرموشة

وكانت جماعة الرصيف كما كانوا يسمونها، تحمل النقطة السوداء في سجل المستعمرين فاختاروا لها معتقل مرموشة : غابة تبعد عن فاس بأكثر من مائتي كيلومتر، في جبل مرموشة على ارتفاع ألفي متر تقريبا، بعيدة عن الحياة، ليس بها ماء، ولا تبليغها السيارة، يصلها التموين مرة في الأسبوع على ظهر الدواب، حينما لا تنقطع الطريق بالثلوج، ليس بها مساكن. فكان علينا أن نقطع الشجر، لنبني بأعوادها نوابات للسكنى، ونعبد طريقا طوله 20 ك. م يربط المعتقل بمرموشة، ونقطع كمية كبرى من أشجار الغابة، لنصنع بها الفحم، ومع كل هذه المشاق، وفي هذا الجو البارد، والعلو المرتفع، لم يعدوا لنا التموين الكافي المتواصل، فكان الكل على قلته ينقطع إذا ساء الجو، أو تأخر وصول الشاحنات إلى مرموشة، وقد أثر هذا إلى جانب العذاب الشديد، والضرب الذي لا ينقطع، في صحة الشبان، فكانوا يسقطون صرعى من الجوع والبرد والتعذيب، ولكن معنويتهم لم تتأثر. وروحهم لم تتبدل، فظلوا في صمودهم، حتى انقضت أربعة أشهر في عزلة عن العائلة واخبارها، والحياة ومباهجها، وبعدها نقلنا إلى سجن عين مومن، حيث أتممنا بقية المدة المحكوم بها.

كان سجن مرموشة نموذجا لما تعلمه الفرنسيون في معتقلات النازية، فطبقوا علينا

ماعانوه أو سمعوه عنها من التجويع والتعذيب، وارتكبوا فيه، أفظع مارتكبه في حق الوطنيين، فاستحال البشر بعد أيام، إلى هياكل عظمية، عليها أسمال ممزقة، يطبعها أثر الدماء، ومن الأمام والخلف، يظهر الرقم الذي يعوض أسمائنا، فلا نعرف إلا به، لقد تفنن الفرنسيون في التعذيب، وبالغوا في القسوة والمكر، وأوحوا إلى الكوم أن يزيدوا من عندهم، فلم يتركوا وسيلة إلا استعملوها وتقربوا بها إلى السادة الضباط، لم يزرنا طبيب، ولم نحصل قط على دواء، بل لم يكن من حقنا أن نمرض، أو نشكو إذا مرضنا، ولم نخلق وجوهنا ولا شعورنا، ولم نغتسل من أوساخنا، بل لم يكن لدينا مانعير به لباسنا الذي على ظهرنا، وتصور بعد ذلك ماشئت من أنواع الميكروبات والحشرات التي تعلق بنا في هذا الجو الموبوء، وامتخلف في ذواتنا وأمعائنا وأعصابنا من آثار، كان الواحد إذا أجهد الجُر والضرب، سقط على بقعة الثلج، يبلل فمه، ويرد وجهه، ثم ينهض لجولة أخرى وكان غذاؤنا في الأخير، صحناً من الجلبنة أو الحمص (سبسيه) وخبزة صغيرة، وفي الليل، ننام كالأغنام في نواله من أعواد متشابكة، لاتقينا من البرد، ولا من الثلج، وطاؤنا التراب، ووسادتنا حجر، وغطاؤنا ماعلى ظهرنا، نتعبد كثيراً، ونقرأ القرآن، وندعو الله حتى ينتهي الحطّيب الذي تندفأ به، أو يغلبنا النوم، فننام إلى الصباح».

هذا ماكتبه الأستاذ الطاهر غلاب عن مظاهرة جامع الرصيف، وعن محنة مرموشة، وملاقاه فيها الشباب الوطني من عذاب وآلام، جزاء موقفهم من استقلال بلادهم، ومساهمتهم في الدفاع عن حريتها، أثبتت هنا في هذه المذكرة، كدليل على أن الشباب الوطني من طلبة أو غيرهم، لم يكونوا يربون داخل خلاياهم الحزبية على الرفاهية والميوعة والخلاعة وانتظار الاستقلال يأتيهم عفواً، وإنما كانوا يربون على أساس الاستعداد الكامل للتضحية بكل مايملكون، من سجن، وضرب، وتعذيب وآلام وجوع، وحرمان، من أجل الوصول إلى إعزاز بلادهم وتحريرها من قبضة الاستعمار. ولأؤكد أنه لولا هذه الروح، وهذه التربية الوطنية والدينية، مااستطعنا أن نحقق لبلادنا ماكانت تهدف إليه من حرية واستقلال، الذي تحقق عملياً — والحمد لله — بعد أحد عشر سنة لاغير، من تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، فلتعرف الأجيال الجديدة التي تنعم بالاستقلال، دون أن تعيش ظروف الكفاح والتضحية، أن مسؤوليتها في الحفاظ على استقلال بلادها، والنهوض بها في مختلف الميادين والمجالات المختلفة، مسؤولية ضخمة وأن الحفاظ على الاستقلال، يقتضي كثيراً من الأداءات، إن كانت تختلف عن أداءات

فترات الكفاح من أجل الحرية والانعقاد من قبضة الاستعمار، فإنها تقتضي العمل الجبار المتواصل لبناء المغرب، على الأسس السليمة الصحيحة التي تجعله في مصاف الشعوب المتقدمة، في مجالات العلم والعرافان، محافظا على قيمه ومقدساته الدينية والوطنية والأخلاقية. ساعيا لصيانتته من عبث العابثين، وتلاعب المتلاعبين، وتآمر المنافقين والخائنين، عاملا على وحدته الترابية والسياسية والعقائدية والفكرية واللغوية، واقفا وقفة صادقة مخلصه، ضد كل انحراف أو تعثر أو فساد، مدركا كل الإدراك أن الاستعمار إذا انهزم وانحدر في معركة الاستقلال، فإنه سيبقى عاملا جهده لكسب الرهان، حتى يزيل من الأذهان مدلول كلمة الاستقلال الحقيقي، في المجال الاقتصادي والفكري والتراخي، وحتى يعيد ما كان يعمل على تطبيقه في فترات الحماية المختلفة، من تفريق لكلمة الشعب المغربي، وجعله يتطاحن مع بعضه بعضاً، اتباعا لنزعات وعصبيات وعنصريات، قضى عليها الشعب عندما اجتمع واحتفى تحت شعار : لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الأحداث في مدينة وجدة المكافحة

من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال من وجدة المرحوم سي بناصر بن الحاج العربي الحسني، ويعتبر سي بناصر من أوائل الذين أثار الله بصيرتهم، وملأ قلبه بالإيمان بوطنه ودينه وعقيدته، فكان الممثل الأول لحركتنا الوطنية في المغرب الشرقي، وكان الرسول الأمين والرباط للعلاقات بين حركتنا، والحركة الوطنية في الجزائر الشقيقة، ونظرا لعسر الاتصال مع وجدة في ظروف الحرب التي كانت المراقبة الفرنسية على أشدها علينا فيها، فإن بعث وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى وجدة، لأخذ بعض التوقيعات كان عسيرا، ولذلك قرر المسؤولون في حزبنا استدعاء سي بناصر للتوقيع على الوثيقة في الرباط باسمه واسم جميع إخوانه المسؤولين عن فرع الحزب في وجدة، والذين وكلوا سي بناصر في برقية أمضاها المرحوم أحمد بن دالي، تؤكد أن توقيع الوثيقة من طرف سي بناصر يجب أن تعتبر باسمه واسم جميع إخوانه الذين عهدوا إليه بهذه المهمة.

كان فرع مدينة وجدة، فرعاً نشيطاً جداً، ابتداءً نشاطه في أواسط الثلاثينيات، وكان للمرحوم سيدي عبد السلام الوزاني العالم السلفي الملتزم، دور هام في تنشيط الحركة، وفي تسيير المدرسة الحرة التي أسسها الحزب بوجدة، ويجب أن أسجل هنا أن إخواننا الوطنيين الاستقلاليين في وجدة وفي المغرب الشرقي على العموم، التزموا التزاماً صحيحاً بمعتقداتهم الوطنية، وكافحوا الاستعمار الفرنسي بكل طاقتهم، وهكذا عندما بلغهم خبر

إلقاء القبض على الأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلافرنج قامت قومتهم، وأعلنوا تضامنهم بقراءة إسم الله اللطيف في المساجد، والتظاهرات الكبيرة في الشوارع، مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين وبتحقيق مطلب الشعب المغربي في الاستقلال.

كان المسؤول عن الفرع إذذاك هو الأخ الوطني الصادق السيد محمد الجندي حفظه الله الذي ترأس أول مظاهرة نظمت في وجدة بتاريخ ثاني فبراير 1944، وترأس المظاهرة الثانية الأخ المرحوم قدور الوطاسي الحسني وذلك بتاريخ سادس فبراير 1944، ووقعت هذه المظاهرة الثانية، بعد خطاب ألقاه سي قدور بالمسجد، ثم قاد المظاهرة في الشوارع وكانت الجماهير متحمسة للغاية، والنساء يزغردن من فوق السطوح، والشباب الاستقلالي يترنم بالأناشيد الوطنية الحماسية الداعية إلى التضحية والفداء.

ولقد أعقبت هاتين المظاهرتين إلقاء القبض على العدد العديد من الوطنيين الأحرار، كان من جملتهم الشاب الوطني النشيط السيد محمد الدرفوفي، والوطني الحر السيد أحمد بن دالي وإخوانه الأحرار : محمد بن رياح ومحمد بن عبد القادر بن تاهلة ومصطفى المشرفي ومحمد بن التهامي برادة والتهامي الأودي وبناصر بن ج العربي الذي أمضى على الوثيقة باسمه واسم إخوانه ومحمد الجندي الذي قاد المظاهرة الأولى ومحمد بن منصور والفقيه الحاج محمد فرج وموهوب الصافي ومحمد حجيرة الكبير والطيب بن الحاج العربي (ويحكى المرحوم سي قدور الورطاسي أنه وإخوانه الوطنيين المسجونين لما نقلوهم إلى سجن غبيلة بالدار البيضاء، زارهم مدير السجن (ديبوا) مع رئيس السجن وأخبرهم بأنهم سينقلون إلى سجن عين أعلى ومومن، وبعضهم سينقل إلى سجن العدير، وأنه سيوصي بهم خيرا، ثم سأهم هل أريقت دماء في وجدة ؟ ولما أجابوه بالنفي، قال : حسنا ما فعلتم في اختيار هذا الظرف للمطالبة بالاستقلال، فقال له رئيس السجن : هل من الوفاء أن يطالبوا بالاستقلال في هذا الظرف ؟ وفرنسا محتلة من الألمان، فقال : وهل ينتظرون حتى تتحرر وتتقوى ؟، فأجابه الرئيس : هل من الحق أن يقتل شرطي فرنسي ؟ وله خمسة أولاد، فأجابه المدير : وهل عرفت من قتلوا من المغاربة ؟ ثم قال : إن حكاما يستخفون بالمغاربة، الأمر الذي دعاهم إلى المطالبة بالتحرر (انتهى حديث مدير السجن مع رئيس السجن) ومنه ندرك أن طائفة من الفرنسيين الأحرار، سواء داخل المغرب أو في فرنسا لم تكن راضية عن معاملة الإدارة الفرنسية، وقد أتيح لنا ونحن في ضيافة بعض السجون أن نلتقي ببعض الحراس الفرنسيين، فيحادثونا بأنهم مشمئزون تمام الاشتزاز مما تعامل به الإدارة الفرنسية طبقات الشعب

المغربي، وكان أحد الحراس الفرنسيين في سجن الرباط، يمدنا عندما يكون دوره في الحراسة. يمدنا ببعض الجرائد الفرنسية التي تتحدث عن قضايا المغرب وأحداثه، وبالأخص الجرائد المتعاطفة مع قضيتنا، وهذا ما يؤكد ما سجله المرحوم سي قدور الورطاسي من موقف مدير السجن في التعاطف معنا.

* * *

لقد أتيت بذكر كثير من أسماء إخواننا الوجديين الذين اعتقلتهم السلطات الاستعمارية، ويسرني أن أسجل هنا أنني تعرفت على الكثير من هؤلاء الإخوة، ونحن جميعا في سجن غبيلة بالدار البيضاء، وبأقي في طليعتهم الأخ المناضل المرحوم السيد أحمد بندالي والشاب المناضل المرحوم السيد محمد الدرفوفي وهذان الأخوان ذاقا من العذاب ألوانا وأشكالا، واتهما ظلما وعدوانا بالاتصال بالألمان، فعذبا العذاب الأليم، وكانت أقدام المرحوم ابن دالي تتفجر بالدماء من آثار التعذيب، والمرحوم ابن دالي من رجال الحزب المخلصين كان — كما أشرت إلى ذلك من قبل — وجه للحزب برقية وقعها باسمه الصريح أكد فيها تفويض المرحوم سي بناصر بن ج العربي التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال باسم فرع حزب الاستقلال في وجدة، فكان جزاؤه الاتهام بالاتصال بالمحور، وتعذيبه وسجنه، أما المرحوم السيد محمد الدرفوفي فقد عهد إليه في فترة من الفترات بتسيير شؤون الحزب بوجدة، فكان مثال الشاب الوطني المتحمل للمسؤولية بكفاءة وإخلاص ونشاط، ومن الذين تعرفت عليهم كذلك الإخوة محمد الجندي ومحمد بن رياح ومحمد عبد القادر بن تاهلة ومحمد منصور ومحمد بن التهامي برادة والحاج محمد فرج (وكان يدير مدرسة حرة بفجيج) وهو من الشخصيات العلمية المرموقة، وكذلك التهامي الأودي ومصطفى المشرفي بالإضافة إلى الوطني الصادق بناصر بن الحاج العربي الموقع على الوثيقة الأساسية معنا، والأخ المناضل العالم المرحوم السيد قدور الورطاسي الذي أبى زيادة على أعماله المتعددة في ميادين الكفاح إلا أن يحرر عدة كتب ومقالات تؤرخ للحركة الوطنية في المغرب الشرقي، ويترجم للكثيرين من أعلام الوطنيين في تلك الديار فجزاه الله أحسن الجزاء.

مدينة آسفي تشارك في التوقيع على وثيقة الاستقلال

رغما من أن شخصيات وطنية في مدينة آسفي شاركت في التوقيع على وثيقة الاستقلال، فلم يصل إلى عملي أن أحداثا وقعت فيها إثر المطالبة بالاستقلال باستثناء العرائض التأييدية إثر إلقاء القبض على زعماء الحزب، ولكنني أود أن أسجل هنا أن من جملة الموقعين الأساسيين الأسفيين الوطني المرحوم الحاج محمد البوعمراني الذي كان من أوائل الذين عملوا في المجال الوطني منذ سنة 1930 والفقير السيد عبد السلام المستاري والأستاذ محمد بن الخضر، وهذا الأخير كان معلما في مدرسة أبناء الأعيان بسلا، وكانت بينه وبين المرحوم أحمد بن البني مصاهرة، وبسبب وجوده بسلا اتصلت به وانخرط في سلك جماعة «فتح» ومن هناك اقترحت على إخواني أن يكون من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، لوطنيته واستقامته ومحافظته على الأسرار.



محمد بن الخضر

لقد كانت حركة الحزب في آسفي ابتداء من الأربعينات نشيطة كل النشاط، وكانت في الثلاثينات في بداية انبعائها، بسبب وجود المرحوم الفقيه محمد غازي فيها حيث كان يشتغل كمحام شرعي في محكمة القضاء الشرعي، ولقد كنت أزور آسفي في الأربعينات إلى الخمسينات المرة تلو المرة، وكانت الحركة نشيطة فيها بفضل من ذكرت أسماءهم من قبل، وبفضل الاخوة : المرحوم محمد السرعيني الذي ظل يشغل في بعض الفترات مفتشا للحزب في تلك المنطقة، والفقيه السلفي السيد إدريس بناصر والفقيه المومن السيد محمد الهسكوري والوطني الغيور الثابت السيد محمد بن الطالب وكان يشغل أمينا للمال بالفرع والفقيه الخطيب السيد محمد بن الطيب الوزاني، وكان للطبقة العاملة نشاط ملحوظ بالفرع، كما كان لحركة الشبيبة وجود قوي بفضل بعض الأطر النشيطة مثل عبد السلام مجيد وعبد الخالق الشقوري وغيرهم ممن لم تحضرني أسماءهم.

تضامن مدينة الدار البيضاء مع أحداث 29 يناير 1944

كان قرار حزب الاستقلال، أن يقع تضامن من طرف الشعب المغربي إذا ما طبق الاستعماريون تهديداتهم إثر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944. وهكذا عندما امتدت أيدي الجيش الفرنسي إلى بعض القادة الاستقلاليين أولاً، وهما الحاج أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي وألقى القبض عليهما، قامت قيامة الوطنيين في الرباط أولاً، ثم في سلا ثانياً، ثم في فاس ثالثاً، فكانت المظاهرات العنيفة، وكانت التضحيات المتوالية، وكانت الأحكام القاسية، وكان إعدام الشهداء في مختلف المدن الثلاث التي ذكرنا حوادثها بتفصيل، وكان المفروض طبعاً أن تقع حركات تضامنية في مدن أخرى، وفي طليعتها الدار البيضاء.

وقبل أن أتعرض لما وقع من أحداث في الدار البيضاء. يجب أن أشير إلى أن التنظيمات الاستقلالية فيها كانت في بدايتها في كثير من أحياء الدار البيضاء، فبغض النظر عن المدينة القديمة ودرب السلطان وبعض المناطق الأخرى القليلة، كانت الأمور تتطلب كثيراً من التأطير والإشراف على التسيير، حتى يضمن النجاح في كل مايقوم به الحزب من أعمال، سواء في أيام التوجيه والتكوين، أو في ساحة النضال والمقاومة، والتعبير عن الوجود الوطني المنظم القائم بواجبه ساعة ينادي النادي، حتى على الكفاح، وغير خاف أن ساحة الدار البيضاء، ساحة واسعة ممتدة الأطراف، مختلطة الأجناس، والجلالية الأوروبية الأجنبية فيها تكاد أن تجعلها أساس ومنطلق وجودها، ومركز ثقلها واشتغالها، وكل ماسيقع فيها من أحداث، يجب أن يدرس بكامل الاهتمام، حتى لا تكون له انعكاسات تأتي بعكس ما تهدف إليه حركة الاستقلال من منافع، وحتى يضمن الوجود الوطني الاستقلالي في تلك المدينة الكبرى مستقبلاً، ونحن في بداية معركتنا الحقيقية مع الاستعمار، وهذا ما جعل حزب الاستقلال يختار شخصية كبرى من قيادته، للإشراف على تسيير تنظيمات الحزب في الدار البيضاء، لتسير الحركة الاستقلالية السير المرضي النافع، سواء أثناء المطالبة بالاستقلال، أو في الشهور والأعوام التي تليها، عندما نخوض معركة النضال مع الاستعمار بعد انتهاء الحرب، وهذه الشخصية الكفأة المجرية

والصادقة في جميع مراحل كفاحها النضالي، هي شخصية المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، ولأحتاج أن أعرف بالحاج عمر بن عبد الجليل في مجال الكفاءة والتضحية والرجولة وتقدير المسؤولية حق قدرها، ولأحتاج أن أعدد ماقام به من أدوار في تاريخ الحركة الوطنية ابتداء من سنة 1930 إلى أن لقي ربه راضيا مرضيا، وأشير هنا إلى ضرورة مراجعة ماكتبته عنه في الكتاب الذي خصصته له في سلسلة : (رجال عرفتهم)، ففيه الكثير مما امتاز به رحمه الله. كان الحاج عمر بن عبد الجليل هو المسؤول عن فرع الدار البيضاء، زيادة على مسؤولياته القيادية في الحزب، بجانب علال الفاسي والحاج أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي وإخوانه الآخرين، وهذه المسؤولية هي التي جعلته بعد استشارة إخوانه المتعاونين معه في الدار البيضاء وعندما تلقى أمراً من قيادة الحزب في الرباط أن يعمل على أن يكتفي بإعلان الاضراب العام الشامل في الدار البيضاء دون الخروج إلى الشوارع ودون القيام بمظاهرات، حتى لاتحقق الجالية الفرنسية الحاكمة ماكانت تخطط له من مجزرة لاتعتبر مجزرة سنة 1947 التي قام بها «بونيفاس» إلا لعبا في لعب، فلقد كانت جمعية الوجود الفرنسي تخطط للمذبحة العنيفة القاسية للقضاء على الحركة الوطنية القضاء النهائي، وهذا ما أدركه الحاج عمر وصحبه في الدار البيضاء، وهو ماوصلت أخباره السرية إلى قادة الحزب في الرباط، فقررت أن تبعث شخصية هيأتها الأقدار هي شخصية طالب كان في باريز، ومر على الرباط عفوا ليؤدي رسالة لازال الجميع يعترف له بأدائها، كان ذلك الطالب هو السيد ابن سالم الصميلي الذي حملته الإخوة في الرباط رسالة إلى الحاج عمر، يأمرونه فيها بالاكثفاء بإعلان الإضراب العام، دون ضرورة الخروج إلى الشارع ويغلب على ظني، ولست متأكدا أن ذلك كان باتفاق مع المنعم الملك محمد الخامس الذي بقي اتصاله بإخواننا محكما، وتديره معهم متقنا، رغم الظروف القاسية التي كان يعيشها المغرب إذ ذاك.

ما كتبه الأستاذ محمد بلحسن الوزاني في مذكراته

أتيت بهذا التقديم، لأجيب المرحوم الزعيم السيد محمد بن الحسن الوزاني عما جاء في مذكراته حول أحداث الدار البيضاء جزء 6، ص 145، فلقد كتب يقول :
«وفي الدار البيضاء وقع إضراب في 30 يناير، فاحتلتها قوات كثيرة مجهزة بالمصفحات والدبابات والمدافع، ووقعت حوادث بين الجيش والسكان الذين تعرضوا لاضطهادات وتعسفات، وقد قتل واحد منهم، وجرح البعض، واعتقل عدد من

الأشخاص فغذبوا، وطرد التلاميذ المغاربة من الثانوية الفرنسية، كل هذا دل في الواقع على أن الدار البيضاء، كانت متأهبة للتضامن، وفعلا أظهرت بعض التأييد للحركة، ولكنها لم تقم بالدور المنتظر منها، لأن عمر بن عبد الجليل الذي كان مكلفا بها من الحركة، تقاعس (كذا) عن العمل، في الوقت الذي كانت المعارك فيه، حامية الوطيس، بين الشعب الثائر، وقوات القمع في الرباط وسلا وفاس، حيث كان يسقط الشهداء والجرحى، ويعذب المعتقلون في السجون الجهنمية، وقد انتظر الناس قومة الدار البيضاء، وطال انتظارهم، ثم فوجئوا بتخلف الدار البيضاء عن الركب، لأن عمر، قرر أن تبقى غير متضامنة، ولو تحركت الدار البيضاء، كما كان مقرراً ومنتظراً، لكان لها شأن عظيم، في صالح حركة الاستقلال، وتساءل الجميع لماذا؟ ومن المسؤول؟ فقيل لهم: هو عمر، ولما سأله أصحابه من داخل سجنهم بالعاذر، أجاب بأنه تلقى أمراً بالكف عن العمل من لجنة الرباط، وهذا ما لم يقتنع به أحد، ولذلك ترك عمر حراً مقابل تجميد الحركة البيضاء، فتحمل مع لجنة الرباط جسارة المسؤولية).

مناقشة ما كتبه الوزاني

هذا ما كتبه المرحوم الوزاني عن تضامن الدار البيضاء مع أحداث 29 يناير 1944، وقبل أن أناقش ما كتبه ونشره في آخر حياته رحمه الله، لأن مذكراته لم يكتبها إلا قبل وفاته بقليل، أود أن أتساءل، أين كان المرحوم الوزاني ساعة وقوع أحداث 29 يناير، ولدى إضراب الدار البيضاء، وساعة أخذ القرار بالاكثفاء بالإضراب على نطاق الدار البيضاء كما سألته بالدليل القاطع؟ إن المرحوم الوزاني كان إذذاك لازال في قرية لادزر منفيا من طرف السلطات الفرنسية، وكان ممنوعا من أي اتصال مع الغير، ولم يكن له دور في الأحداث، لا من قريب ولا من بعيد، فكيف صاغ له أن يصدر الأحكام التي كانت دون أن يأتي بأي سند يثبت ما ادعاه؟ وماهي الدلائل التي تثبت صحة ما ادعاه؟ وهل كان أعضاء منظمته السياسية رجال الحركة القومية خاضعين لقرارات غيرهم؟ لذلك لم يستطيعوا أن يقوموا بتحريك الدار البيضاء وجعل عاليها سافلها، وإذكاء حماس الشعب الثائر، ليكون للدار البيضاء شأن عظيم في صالح حركة الاستقلال.

لقد تألمت بالغ الألم للاتهامات التي اتهم بها صديقه الحميم، وشريكه في الكفاح والنضال المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، رغم أنه كان تلقى منه أثناء تلك الفترة

رسالة تفيض بالإخلاص والوفاء، مؤكدا فيها أنه سيبقى معه على العهد إلى أن يلقي الله، والرسالة المذكورة أثبتتها المرحوم الوزاني نفسه بظلمها في نفس الجزء السادس من مذكراته في الصحيفة رقم 167 وهي بخط يمين الحاج عمر نفسه، وجاء فيها : (أخي العزيز، لأعدمتك، وبعد فإننا وفاء بالعهد القديم الذي سنحتفظ به إلى لقاء الله، نوجه لك نسخة من عريضة الاستقلال إلى آخر ماجاء في الرسالة المذكورة، فهل الحاج عمر بن عبد الجليل هذا الذي يعرفه الخاص والعام كمجاهد من الطراز الرفيع، يتقاعس عن العمل عند نداء الواجب ؟ وهل كان الحاج عمر صديق الوزاني الحميم في يوم من الأيام من المتخلفين المحمدين لحركة النضال والجهاد ؟، المتحملين للمسؤولية الجسيمة في تخلف الدار البيضاء عن القيام بواجبها ؟ لقد قال الوزاني إن عمر بن عبد الجليل كان مكلفا من طرف الحركة وتقاعس عن العمل. فما هي الحركة التي كان مكلفا من قبلها ؟ هل الحركة القومية هي التي كلفته بتسيير الدار البيضاء ؟ لأننا لانعلم أن شيئا من ذلك وقع، وإنما نعلم حسبا جاء في رسالة الحاج عمر إلى الوزاني ونشرها في الجزء المشار إليه من مذكراته، والتي قال فيها بالحرف أيضا : (ولاتسأل عن أننا لعدم رضاء صديقك السيد عبد الهادي الشرايبي والسيد علي العراقي بالتوقيع معنا ومشاركتنا بال تقديم) وقال الوزاني أيضا فيما كتبه في مذكراته عن الأحداث : (وقد انتظر الناس قومة الدار البيضاء، وطال انتظارهم، ثم فوجئوا بتخلف الدار البيضاء عن الركب، لأن عمر، قرر أن تبقى غير متضامنة، فمن هم الناس الذين كانوا ينتظرون والذين طال انتظارهم ؟ ولماذا لم يقوموا بواجبهم حتى لايفاجئوا بقرار عمر ؟ وهل كان لعمر هذا النفوذ العظيم على الدار البيضاء ؟ يحركها كيف يشاء، ويهدئها متى شاء، ومن أعطاه هذا النفوذ ؟ أسئلة كثيرة تخطر على بال القارئ المتمعن وهو يقرأ ماكتبه المرحوم الوزاني في موضوع تضامن الدار البيضاء، فلا يجد لها جوابا صحيحا شافيا مقنعا. ولولا أن الوزاني رحمه الله قال وكرر أنه يكتب للأجيال المغربية، لكي تعلم وتذكر، ولولا أنه أكد أن مذكراته لا يهدف من كتابتها وتسجيلها إلا إظهار الحقائق التاريخية المجردة من كل زيف، لما ناقشته فيها دفاعا عن الحق والحقيقة، وإنصافا للتاريخ والذين كتبوه بدموعهم ودمائهم وكل مايملكون من جهد وقوة وإيمان، ومن جملتهم أخونا المرحوم المجاهد الحاج عمر بن عبد الجليل.

والآن أرجع إلى تضامن الدار البيضاء وكيف سارت الأحداث فيها.

الإضراب العام في الدار البيضاء في شهادة للأستاذ محمد العربي العلمي

يقول المرحوم الأستاذ سيدي محمد بن العربي العلمي وهو من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان في وقت من الأوقات قطباً من أقطاب الحركة القومية، الحائزين على ثقة المرحوم الزعيم سيدي محمد بن الحسن الوزاني، يقول في حديث له لجريدة «العلم» عن تضامن مدينة الدار البيضاء مع أحداث يناير 1944 وذلك بتاريخ عاشر يناير سنة 1988 إن اجتماعاً انعقد بمدينة الدار البيضاء، حضره بعض الشخصيات المسؤولة من حملتها باشا الدار البيضاء السيد الطيب المقرري، وأعضاء المجلس البلدي، والجمعية الخيرية ووجهاء المدينة، للتوقيع على لوائح التأييد لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وفعلاً كانت مدينة الدار البيضاء طوال أسبوعين، تعيش في أجواء الحرية، وكأن المغرب أصبح مستقلاً بالفعل لدى تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان المقيم العام الفرنسي هو (كابريال بيو) وكان الكاتب العام للإقامة العامة هو مسيو «فوازار» وهو الذي استقبل وفد حزب الاستقلال الذي حمل إليه وثيقة المطالبة بالاستقلال، أما المقيم العام فقد تجنب قبول الوثيقة، وسافر إلى أكادير ثم يقول العلمي : الظروف التي تقدم فيها الحزب بوثيقة المطالبة بالاستقلال، كان «تشرشل» كعادته يوجد في مراكش قصد الاستجمام والراحة، وجاءت الأخبار أن الجنرال «دوكول» التحق به من الجزائر إلى مراكش، ليستطلعه عن مقدار تأييد إنجلترا لموقف الحزب، ولما علم أن إنجلترا لا تتدخل لصالح المطالبة بالاستقلال، أصبح موقفه واضحاً ضد مطلب المغرب الأسمى، ثم يقول العلمي : بعد إلقاء القبض على بلافيج يوم 29 يناير 1944، وقعت مظاهرات في الرباط وسلا وفاس، أما الدار البيضاء، فقد تقرر فيها الاكتفاء بالإضراب العام، والسبب يرجع من جهة إلى حنكة الطيب المقرري (باشا الدار البيضاء) الذي كان يعرف العقلية الفرنسية معرفة كافية، وإلى الحاج عمر بن عبد الجليل، الذي كان يدرك الأبعاد التي يمكن أن تصل إليها الأحداث، إذا ما وقعت مظاهرات صاخبة، قد تعود بعكس ما يريده الحزب من تأييد ومناصرة، ويظهر أن المراقب المدني الفرنسي، مسيو «كوسطار» كان لا يريد أن تصل الأحداث إلى منتهائها، حيث كان معروفاً بالنزاهة، وكان دكولياً صادقاً. ثم يقول العلمي : إنه في يوم الإضراب، استدعى الطيب المقرري باشا المدينة إلى المحكمة كلا من الحاج بن عبد الجليل والفقيه الحمداوي وسي بوشتي الجامعي والحسن بن جلون ومحمد بن الجيلاني بناني وإدريس الكتاني ومحمد بن العربي العلمي، وحض الجميع

على تجنب الاصطدام، وإراقة الدماء، ثم سألهم هل يرغبون في مقابلة رئيس الناحية ميسيو (غونتار)، فأجابوا بالقبول، ولدى مقابلته لهم خاطبهم قائلاً : وكان محاطاً بأعوانه، عسكريين ومدنيين قائلاً كلاماً فيه تهديد ووعد، فتصدى له الحاج عمر بن عبد الجليل قائلاً : إنك مقاوم فرنسي فبأي حق ترفض لغيرك، ماتتيحه لنفسك، وزاد الحاج عمر قائلاً : لقد آزرنا فرنسا في حربها مع ألمانيا، ولازلنا متمسكين بهذا المبدأ، وضحي المغاربة بدمائهم في ساحة الحرب، دفاعاً عن مبادئ الحرية، وإننا بدورنا نرى أن من واجبنا أن نطالب باستعادة استقلالنا وسيادتنا) ويقول العلمي أيضاً : وبعد مداولات قصيرة، تم الاتفاق على الاستمرار في الاضراب، شريطة تجنب المظاهرات والاصطدامات، وهذا ماتم فعلاً، فلم يحدث حادث، باستثناء حادثة واحدة، حيث استشهد أحد المواطنين، ولم تسجل اعتقالات واحتفظت الدار البيضاء بطاقتها الوطنية كلها) إلى آخر الحديث.

* * *

هذا ماكتبه المرحوم محمد بن العربي العلمي حول إضراب مدينة الدار البيضاء تضامناً مع أحداث يناير 1944، وكيف تقرر الاكتفاء بالإضراب، دون القيام بمظاهرات، تحدث عنها اصطدامات، فهل اطلع المرحوم بن الحسن الوزاني قبل أن يكتب ماكتب في الموضوع على كل ماوقع ؟ هل علم أن الحاج عمر بن عبد الجليل، عندما اتخذ القرار النهائي في الأمر، باعتباره مسؤولاً أساسياً في حزب الاستقلال، لا مكلفاً من أية حركة كيفما كان نوعها أو شكلها أو قيمتها أو مركزها في المجتمع، مع الإشارة إلى أنه لدى اتخاذه للقرار كان محاطاً بشخصيات وطنية أخرى فيها من ينتمي لحزب الاستقلال، وفيها من لا ينتمي للحزب، ثم إن التدخل الذي تدخله الحاج عمر بن عبد الجليل جواباً عن تهديد رئيس ناحية الدار البيضاء، أيعتبر هو أيضاً تقاعساً من ج عمر، وفراراً من المسؤولية، ويجب أن نلاحظ أن الظرف الذي تحدث فيه، كان في منتهى ما يكون من التوتر وهيجان الأعصاب، وخشية الوقوع فيما لا تحمد عقباه، سواء من طرف الوطنيين، أو من طرف السلطات الاستعمارية، لقد واجه الحاج عمر رئيس الناحية الفرنسية مواجهة وطنية استقلالية صميمة، ولم يسمح له أن يعترف لبني جنسه، بما لا يسمح به للمغاربة الأحرار الذين أراقوا دماءهم من أجل حرية بني الإنسان، لا من أجل حرية جماعة معينة أو قطر من الأقطار فحسب، لقد قال له كما ذكر ابن العربي العلمي : (إننا بدورنا نرى أن من واجبنا أن نطالب باستعادة استقلالنا وسيادتنا) كلام في منتهى الوضوح والشجاعة أمام قوى استعمارية، اجتمعت تحت رئاسة رئيس ناحية

البيضاء الفرنسي، وفيها المدنيون والعسكريون، وتسمع بأذنيها وبصوت مرتفع، غير خجول، ولا متراجع، ولا متعاس، أن من حق المغاربة أن يسترجعوا استقلالهم وسيادتهم، ويقوموا بواجبهم الوطني تعبيرا عن إرادتهم التي لا تتزعزع في الحرية والاستقلال، ويأتي بعد نحو ثلاثين سنة من يقول : إن ذلك الصوت المدوي كان صاحبه متعاساً وعاق بموقفه معركة الاستقلال، ثم أشير أيضا إلى أن الحاضرين مع الحاج عمر في تلك الجلسة التي تحدث عنها ابن العربي العلمي، هل كانوا بالطبع جميعهم متعاسين ؟ فلماذا لم يشر إليهم المرحوم الوزاني، وفيهم من كان ينتمي لحركته القومية.

إن المرحوم الوزاني يرى بعد أزيد من عشرين سنة على الأحداث، أن الأمور كان ينبغي أن تسير في غير ماسارت فيه، وأن التضامن لم يقع، رغم أن الإضراب العام التضامني عم الدار البيضاء جميعها كما يقول : إن عمر بن عبد الجليل جمد الحركة البيضاء، وتحمل مسؤولية هذا التجميد، وهذا التخلف عن الاصطدام، فهل كان المقصود من التضامن هو الاصطدام، وسقوط الضحايا، بمكنني أن لأرفض تحليلات المرحوم الوزاني للموقف — رغم عدم اقتناعي بها — لو سار في طريقة عرضه بغير الأسلوب الذي كتبه، أي بدون هجوم وقبح واتهام بالتعاس للغير، فتحليلات السياسيين للأوضاع قد تكون متباعدة، وتقديراتهم قد تكون مختلفة، وآراؤهم لا يجب أن تكون موحدة، بل قد يكون اختلافهم في الرأي مدعاة للبحث عن طريق الصواب، ولكن على أساس أن لا يكون هناك قدح ولا اتهام ولا نكران لحق الغير في اتخاذ ما يراه من رأي يظهر له أنه هو الصواب، ولو كان مكتبته المرحوم الوزاني سار هذا النحو، لما كتبت هذا الرد، إظهارا للحقائق كما هي، لا كما يحكيها الحاكون، دون بحث عن أسباب النزول، وإدراك لأسرار اتخاذ القرارات.

إن المرحوم ج عمر بن عبد الجليل تحت التراب، يجازي على ما قدم من أعمال، وإن المرحوم سيدي محمد بن الحسن الوزاني تحت التراب سيجازي أيضا على ما قدم من أعمال، وإن الشهادة يجب أن تكون لله، الذي يجازي المحسن على قدر إحسانه، ويجازي المسيء على قدر إساءته، وإن الله لا يظلم مثقال ذرة، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، ورحم الله الأخوين سيدي محمد بن الحسن الوزاني وج عمر بن عبد الجليل على ما قدما من الصالحات، وعفا عن سيئاتهما وأخطائهما، وكل ابن آدم خطاء.

جواب عن تساؤلات

تحدث الأستاذ السيد عبد الهادي بوطالب في ذكرياته عما قاساه بعض الإخوة من رجال الحركة القومية وحزب الاستقلال وقدماء التلاميذ، من محن، ومتاعب أثناء فترة اعتقالهم «في برج النور» أو غيره من السجون، كما تحدث عن حملة الاعتقالات والسعار الذي أصاب السلطات الاستعمارية، وهي تواجه حركة الاستقلال، بكل عنف، ثم تساءل عن المعايير التي كانت السلطات الاستعمارية تستعملها وتعتمد عليها لدى إلقاء القبض على الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، سواء منهم الاستقاليون أو القوميون، ولا أريد أن أجيب عن هذه التساؤلات التي تساءلها الأستاذ بوطالب، فلإدارة الاستعمارية موازينها ومعاييرها، وهي التي تعرفها وتطبقها، ولكني فقط، أريد وأنا أكتب مذكرتي أن ألفت نظر الأستاذ بوطالب إلى أمرين اثنين جاءا في مكتبته في صفحة 139 من الجزء الثاني من ذكرياته وشهاداته، حيث كتب يقول : (في صفوف حزب الاستقلال لم يعتقل في هذه الأحداث، قادة وطنيون كبار، لم يكونوا ليفلتوا من قبضته استنادا إلى جميع المعايير، هم المرحومون : الحاج عمر بن عبد الجليل وأحمد مكوار والفقيه غازي، ولم يكن منتظرا أن يتمتع بالسراح بعد الاعتقال نصف يوم، وطني كبير آخر، كان يشار إليه على أنه الشخصية الثانية في حزب الاستقلال، أغني محمد اليزيدي الذي أخرج من السجن ليحض الجماهير المتظاهرة على حل الاضراب وإيقاف المظاهرات، ولم يكن اعتقال محمد الزغاري وأحمد ابا حنيني من جمعية قدماء التلاميذ، وهما من جملة الممضين على عريضة الاستقلال، منسجما مع إبقاء عبد الكريم ابن جلون طليقا في الرباط، وهو أيضا من الممضين على العريضة، والمنتمين إلى نفس الجمعية قبل أن يلتحق بحزب الاستقلال).

لقد قلت إنني أردت أن ألفت نظر الأستاذ بوطالب إلى أمرين اثنين، أما أولهما فلقد ذكر أن المرحوم أحمد مكوار نجا من قبضة الاستعمار، وهذا ليس صحيحا بالمرّة، فاجاهد أحمد مكوار رحمة الله عليه، لم يلق عليه القبض فحسب، ولكنه ذاق من العذاب ألوانا وأشكالا، فجُلد الجلد المبرح، وعلق من يديه ورجليه أثناء فترات التعذيب والاستنطاق ذاق مذاقه إخوانه : الهاشمي الفلاحي وعبد العزيز بن إدريس وعبد الهادي الشرايبي وآخرون، تعذبا تضطرب من قساوته ومحنة الأفدة، ويكفي أن نرجع لما كتبه المجاهد عبد الهادي الشرايبي في كتابه (ثمن الحرية) لنرى ما قاساه الوطنيون، وما عاناه

المخلصون، أمثال مكوار والشرابي، أما الأمر الثاني فيتعلق بالمجاهد المرحوم اليزيدي الذي أشار إليه للمرة الثانية في كتابه أو ذكرياته من أنه أخرج من السجن ليحض الجماهير المتظاهرة على حل الإضراب وإيقاف المظاهرات، ولقد أعطيت التفاصيل الكافية في موضوع سراح اليزيدي، فلا أعيد الكلام فيه، لأنني شمتت من الصيغة التي حرر بها الأستاذ بوطالب هذا الموضوع أن سراح اليزيدي كان برغبة وطوعية منه ومن أجل حل الإضراب وإيقاف المظاهرات، وكأنه كان سراحه من تلقاء نفسه، لأجل الغرض المذكور، مع أنه حسب ما وضحت في السابق بالحجة، والبرهان كان بقرار ملكي شريف، وأن المقصود هو إبعاد المظاهرات عن القصر الملكي، وأنه لم يدع مطلقاً إلى حل الإضراب وفتح الدكاكين، لأنه لم يكن إضراب داخل القصر ولا في دار المخزن ولا وجود للدكاكين وإنما كانت مظاهرات، ربما كانت ستتطور إلى مالاتحمد عقباه، خصوصاً بعدما امتدت الأيدي إلى مدير التشريفات الملكية، وكانت على وشك القضاء عليه، لولا تدخل بعض العقلاء من الوطنيين الذين افتكوه من قبضة المتظاهرين، وسبحان من لا تخفى عليه خافية. وبالنسبة لا بد أن أشير إلى مقابلة المرحوم عبد الكريم بن جلون جلالة محمد الخامس أثناء فترة التحام المظاهرة وتدخله لفك الحصار على الفقيه معمري وإنجائه من الموت ولا بد أن ذلك كان من العوامل التي جعلت الإدارة تكف عن اعتقاله.

وتتميماً للفائدة أشير إلى استجواب كان أجراه المرحوم محمد اليزيدي حول إطلاق سراحه ونشرته جريدة «العلم» في العدد الصادر يوم 11 يناير 1989 ولقد جاء فيه :
في الساعة الثانية عشرة زوالاً (أي يوم 29 يناير 1944) جاءني بونيفاس مرفوقاً بأحد مساعديه، وطلب مني أن أرافقه في سيارته، وفي الطريق طلب مني إقناع المتظاهرين بالعدول عن التظاهر، وفعلاً قابلني جلالة الملك، وتذاكرنا في الموضوع طويلاً، وقررنا إثر ذلك دعوة الجماهير إلى تفريق مظاهراتها، ولكن بصعوبة شديدة، ثم إقناع المواطنين بالموقف، وحدث أن تكونت مظاهرة اخترقت الرباط في نفس اليوم، وعند نهاية شارع علال ابن عبد الله وجدنا الجنود مدججين بالسلاح، بعد أن نصبوا متاريسهم ومدافعهم ومنعوا التجوال وقطعوا كل اتصال بأحياء المدينة، وحاولوا تفريق المظاهرة بالسلاح، إلا أن المتظاهرين أحرقوا شرطياً حاول التعسف بهم، ثم دخلوا للجامع الكبير، وألقوا خطباً حماسية ثم تفرقوا).

موقف الكلاوي في مراکش بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال

قبل تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال زار مراکش الأمين العام لحزب الاستقلال المرحوم الحاج أحمد بلافريج، فوقعت مقابلة بينه وبين الباشا الكلاوي، ودار حديث بينهما حول الحالة بالمغرب، وكان كل منهما يريد أن يتعرف إلى ما يضره الآخر، كان بلافريج يريد أن يعرف ما يفكر فيه الكلاوي إذا ما وقع حدث هام في المغرب مثل المطالبة بالاستقلال دون أن يصرح بذلك، وكان الكلاوي بدوره يريد أن يعرف هل وراء ما يفكر فيه الوطنيون في ذلك الظرف بالذات، وربما يكون المطالبة بالاستقلال — هل وراء ذلك من يسانداهم ويشد أزهرهم ويقصد الأمريكيين بالذات، ولكن كلا منهما : بلافريج والكلاوي لم يصل إلى ما كان يطمح إلى معرفته، فبلافريج أدرك أن الكلاوي لا يمكن أن يشجع مطلباً كمطلب الاستقلال إلا إذا أدرك أن هناك قوة أجنبية كبرى تسانده.

وعندما حررت وثيقة المطالبة بالاستقلال كان من جملة الموقعين عليها من مراکش أولاً الأساتذة عبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن ثم الحسين الورزازي والسيد بريك (مبارك) الغراس وأحمد المنجرة، ويحكى مولاي أحمد المنجرة عن قضية التوقيعات فيقول : عاد مولاي عبد الله إبراهيم من الرباط حاملاً الوثيقة العظيمة، فوقع عليها هو، ووقع الاخوان : الحسين الورزازي وعبد القادر حسن، أما أنا والأخ بريك الغراس، فكانت لنا مناقشة مع الأخ عبد الله إبراهيم قبل التوقيع، ذلك أن الأخ بريك الغراس كان قائماً على إحدى مدارس التعليم الحر بمراكش، وكان عطاؤه في هذا الباب عظيماً فعزّ عليه أن يترك المدرسة، لأن التوقيع كان يعني في نظرنا الموت فوراً، أو المجهول الذي لا يوصف، فقال له مولاي عبد الله إبراهيم : أنا أحدثك عن استقلال المغرب، وأنت تتحسّر على المدرسة، فوقع بعد ذلك، أما أنا (المنجرة)⁽¹⁾ فقد عزّ علي أن أفارق عملي ولا أترك من يعوضني، ولكنني أمام الواجب، وقعت مع إخواني.

ثم يقول مولاي أحمد المنجرة : بعد توقيعنا على الوثيقة، كان رد الفعل من الفرنسيين، ان اعتقلنا نحن : عبد الله إبراهيم، عبد القادر حسن، الحسين الورزازي، بريك الغراس، أحمد المنجرة، لمدة أسبوع، ثم أطلق سراحنا، لكون الباشا الكلاوي لم

(1) جريدة «العلم» العدد الصادر في 11 يناير عام 1990 (حديث لمولاي أحمد المنجرة).

يكن متفقاً مع الفرنسيين على اعتقالنا وإثر سراحنا، استقبلنا الكلاوي، وطلب من مولاي عبد الله بأدب، التراجع عن فكرة الاستقلال، ولما أجابه بأدب، بما لا يتضمن أي تراجع، انتهت القضية بدون مشاكل، انتهى حديث المنجرة. ويظهر أن الكلاوي حاول بموقفه هذا أي سراح المعتقلين بعد اعتقالهم لمدة أسبوع لاغير. تفادى وقوع أحداث ومظاهرات في مراكش، ولذلك اتخذ خطة المهادنة كما وأنه كان لازال في موقف المنتظر لما سيكون عليه موقف الأمريكيين من حدث المطالبة بالاستقلال، ولذلك احتاط لنفسه، حتى تتضح المواقف، كما وأنه لم يرد أن تقرر السلطات الاستعمارية إلقاء القبض على الوطنيين دون استشارته، مع أنه الحاكم بأمره في مراكش فلذلك أمر بإطلاق سراح المعتقلين.

عريضة التأيد من مراكش

وكما وقع في كل المدن المغربية وحتى في بعض القرى توالى على القصر الملكي وفود مغربية متعددة مصاحبة معها عرائض التأيد لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وموقعة من مختلف الطبقات الشعبية، ولم تتخلف مدينة مراكش عن هذه التأييدات، إلا أن وصولها للرباط كان متأخراً على ما يظهر، فلم تُقدّم إلى جلالة الملك من طرف مندوبين عن مراكش كما حصل مع ممثلي وفود مدن أخرى، حيث كانت تلك الوفود تحظى باستقبالها من جلالة محمد الخامس، ويتقبل منها بنفسه عرائض التأيد داخل القصر الملكي. أما عرائض مراكش التأيدة، فلم يات بها وفد متكامل ومتنوع التمثيل، وإنما أتى بها أحد الوطنيين شبه المنتكر، نظراً للظروف التي كانت تعيشها مراكش. إذ ذاك، وفي ذلك يقول مولاي أحمد المنجرة حسب الاستجواب الذي أجراه مع مندوب جريدة (العلم) عدد 11 في يناير 1990 يقول المنجرة مامعناه : (بعد تهيئتنا لعرائض التأيد، أخذناها لمتجر الحاج البشير الشرايبي الذي كان صديقاً للكلاوي، وكان على ما يظهر استشار الكلاوي في موضوع التوقيعات، فأعطاه الضوء الأخضر لأنه كان يظن أن الأمريكيين يؤيدون المطالبة بالاستقلال، وهكذا كانت التوقيعات تقع في متجر الشرايبي ثم في متجر آل بنكيران، وكان الذي حملها إلى الأمين العام للحزب هو الأخ أحمد عمور.

استطلاعات أولية قبل أخذ قرار المطالبة بالاستقلال

كما أشرت إلى ذلك من قبل فإن قرار المطالبة بالاستقلال، لم يؤخذ إلا بعد التروي الكبير، واستطلاعات الرأي العام في المغرب وتهيء المواطنين معنوياً للقيام بهذه القفزة الكبيرة والخطيرة، للخروج من المطالبة بالإصلاحات التي تقدمنا بها إلى المراجع المختصة في سنة 1934 وما بعدها إلى المطالبة بالاستقلال والحرية والانعقاد الكلي من الأجنبي المستعمر. كما قام رجال حزبنا بحسّ نبض بعض الدول الأجنبية لمعرفة موقفها إذا ما أعلننا مطالبتنا بالاستقلال وفي ذلك يقول أخونا المرحوم السيد محمد اليزيدي : (كنا نتصل ببعض الأجانب من الأوروبيين والأمريكيين في تلك الفترة، لعلنا نستطلع شيئاً من نواياهم في مستقبل البلاد المستعمرة، وبالخصوص وطننا «المغرب» الذي يهمننا بالذات، وبدا لنا أنهم لم يكونوا مستعدين بالمرة، لإعطائنا معلومات دقيقة، أو مؤشرات مضبوطة عن حقيقة نواياهم، لأنهم بالإجماع كانوا يعتبرون أنهم مازالوا يعيشون في دوامة الحرب، وأن كل مجهودهم يجب أن يصبّ في المجهود الحربي، بالاحتياط والدفاع والانتصار على العدو، أما الفرنسيون، فلم يخوضوا معنا في هذا الموضوع، لأنهم كانوا على عجرفة المستعمر) ثم يقول : كررنا الاتصال بالأمريكيين سواء بواسطة سفاراتهم أو بواسطة ممثلهم العسكريين أو من خلال بعض جواسيسهم، إلا أنهم كانوا يتذرعون لنا كالمرات السابقة، بأنهم منشغلون بالحرب، بل لا يرغبون مطلقاً في قيام أية حركة أو حدوث أي عمل من شأنه أن يعرض الوجود الفرنسي للاضطرابات والقلق على اعتبار أن فرنسا من حلفاء الأمريكيين، فلا يمكن أن يسمح بهذا، ليكون المستفيد الأول هم الألمان... وعلى نفس النسق اتصلنا أيضاً ببعض المسؤولين الانجليزيين، وكنت أنا وأخي الحاج أحمد بلافريج مكلفين بإجراء كل هذه الاتصالات التي كان مضمون جواب مخاطبتنا عنها سلبياً دائماً.

وفي نطاق جس نبض الدول الأجنبية التي لها اهتمام أو تطلع إلى وضع اليد على المغرب، كان القرار الذي اتخذته الأمين للحزب الحاج أحمد بلافريج بذهابه إلى ألمانيا

واتصاله ببعض المسؤولين السياسيين فيها، فرغماً من أنه كان مقتنعاً بأن التعامل مع هتلر ومساعديه لا يمكن أن يأتي بأية فائدة، فإنه وقد رأى استقبال الألمانين لبعض القادة العرب مثل الحاج أمين الحسيني ورشيد الكيلاني والحمامي من الجزائر وغيرهم من بعض الشخصيات العربية، ومحاورتهم في قضايا شعوبهم، رأى أن يقوم بهذا الاستطلاع الحذر كل الحذر، لعله يستطيع أن يستنتج من ورائه ماترمي إليه ألمانيا إذا ما انتصرت فيما يتعلق بالمغرب. والحاج أحمد بلافريج حسباً عرفناه من قبل ومن بعد، لا يقدم على أمر، ويتخذ أي قرار، إلا إذا قلبه من جميع جوانبه، وإلا إذا اتضح له مافيه من إيجابيات وسلبات، لقد كان بلافريج لدى اتخاذ قرار السفر إلى ألمانيا متصلاً بالزعيم عبد الخالق الطريس في تطوان، ونحن نعرف أن الطريس بدوره كان له اتصال بالساسة الألمانين، وكان يسير في خط سياسي يتلاءم مع وضعه في منطقة الشمال التي يختلف وضعها عن منطقة الجنوب، نظراً لسيطرة إسبانيا الفرنكوية المتحالفة مع ألمانيا إذ ذاك عليها، ولقد كنا ندرك نحن في الجنوب نظراً للأوضاع المختلفة أنه لا بد لنا من وضع الأسس الواضحة لعلاقتنا مع إخواننا في الشمال، حتى لا ندخل في متاهات لامصلحة للمغرب الموحد فيها، وفي هذا الموضوع، موضوع تنسيق العمل وتنظيمه وتوضيح معالمه مع قادة حزب الإصلاح الوطني في الشمال كان أخونا المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل وجه رسالة باسم الحزب الوطني إلى المرحوم السيد عبدالسلام بن جلون كاتب اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح هذا نصها :

(الحمد لله وحده — 9 يناير 1937 — الأخ الأعز المحترم سيدي عبد السلام بن جلون، تحية طيبة : وبعد، فقد اقترح إخواننا أن نحدد بكيفية نهائية، الصلة التي يجب أن تكون بين الوطنيين في المنطقتين : السلطانية والخليفية، ونظراً لاختلاف الأساليب الحكومية بالمنطقتين، فلا يمكن لنا أن نتفق في كل الوسائل التي نستعملها، ولا أن نتضمن في كل الأحوال، وغاية ما في الإمكان هو أن نحدد أسساً عامة للوطنية المغربية، نتفق عليها جميعاً، ونترك لكل منطقة الحرية التامة في اختيار أساليبها الخاصة لخدمة المبادئ الوطنية العامة. أما هذه المبادئ العامة، فهي : (1) تحرير المغرب (2) الوحدة الترابية (3) سيادة السلطان على التراب المغربي (4) حماية العروبة والاسلام. وبهذه الكيفية، لا يمكن أن نتحمل بهذه المنطقة مسؤولية كل ما يقع بتلك المنطقة، ولا أن نتحملوا بتلك المنطقة مسؤولية كل ما يقع هنا. هذا ودمت لأخيك

لقد وقع هذا الاتفاق بين كتلة العمل الوطني في الجنوب وكتلة العمل الوطني في الشمال بعد قيام فرانكو بحركته الانقلابية، وكان الذين يسيرون بالحكم بفرنسا هم

رجال الواجهة الشعبية تحت زعامة ليون بلوم، ومن المعلوم أن اتجاهات الدولتين كانت متباينة كل التباين

لقد قلت أن بلافريج قرر أن يستطلع مايفكر فيه الساسة الألمان في ظروف الحرب بالنسبة إلى المغرب، ولذلك سافر إلى ألمانيا وقام ببعض الاتصالات مع بعض المسؤولين الألمان، قصد جس نبضهم فيما يتعلق بمستقبل المغرب، فزادا اقتناعاً بأنهم لا يفكرون مطلقاً في الموافقة على تحرير المغرب من قبضة الاستعمار، وحتى إذا ما انتصروا في الحرب، فإن المغرب سيكون من حظ موسوليني الذي كان يطمح في الاستيلاء على الشمال الأفريقي جميعه بالإضافة إلى ليبيا بالطبع، وهكذا لم يطل مقام بلافريج بألمانيا، بل رجع تَوّاً إلى طنجة، حيث كتب خطاباً إلى إخوانه أعضاء الحزب الوطني، يؤكد لهم فيه أنه لا أمل مطلقاً في تحقيق أي مطمح وطني أو تحريري عن طريق ألمانيا، ويجب أن أشير هنا إلى أن إلقاء القبض على بلافريج واستنطاقه وسجنه ثم نفيه إلى كورسيكا بعد تقديم وثيقة الاستقلال كان بسبب زيارته هذه لألمانيا. لم ينخدع بلافريج بمقولات الألمان، وما كانت أبواقهم تصرح به إزاء تحرير الشعوب وذاك ما أقرّ به المؤرخ الفرنسي الكبير (شارل أندري جوليان) في كتابه : (المغرب في مواجهة الاستعمار، فلقد كتب يقول : (إذا كان بلافريج قد ذهب إلى ألمانيا، ليقف على حقيقة النوايا الألمانية من سلطات برلين، فإنه لم يقدم لهم قط أية خدمة، بل على عكس ذلك، لم يقع في الأخطاء التي وقع فيها الوطنيون الفرنسيون الذين تعاونوا معهم)

لقد كان اقتناعنا نحن أعضاء ومسؤولي الحزب الوطني منذ بداية اندلاع الحرب العالمية الثانية في أواخر سنة 1939 أن النظام الألماني النازي لا يرجي منه أي خير لبلادنا، ولا لأي بلاد مستضعفة، ولذلك بادرنا بإعلان موقفنا الصريح في البلاغ الذي نشرناه والتصريح الذي أدلى به أخونا المرحوم الفقيه محمد غازي باسمنا جميعاً إثر مقابلة المقيم العام الفرنسي لنا في سبتمبر 1939 قبل اندلاع الحرب ببضعة أيام، والذي أكدنا فيه تعلقنا بمبادئ الحرية والديموقراطية واستعدادنا للتعاون مع الدول الحليفة التي تعمل على الدفاع على تلك المبادئ⁽¹⁾، ولذلك فإن إدارة الأمور الأهلية (الفرنسية) لم تجد أي مبرر لإلقاء تهمة التعامل مع الألمان مثل ما فعلت مع بعض إخواننا الذين كانوا معتقلين وقت بداية اندلاع الحرب، ومثل ما فعلت مع المرحوم بلافريج الذي فرضت

(1) انظر نص قرار اللجنة التنفيذية المؤقتة للحزب الوطني في موضوع السياسة التي اتبعتها الحزب أثناء الحرب بتوقيعات أعضاء اللجنة التنفيذية في الملاحق.

عليه الظروف الذهاب إلى ألمانيا قصد جس نبض الدوائر المسؤولة فيه إزاء حرية شعبنا، وحاولت الادارة المذكورة إلصاق تهمة بنا أثناء محاكمتنا بعد أحداث يناير 1944 هي الدعوة إلى العنف والقتل وعرقلة المجهود الحربي، ولكنها فشلت في ذلك عندما لم تجد أي مستند تستند إليه المحكمة، ولا أي متهم (بالكسر) لنا مثل ما فعلت مع إخواننا : الهاشمي الفلالي وعبد العزيز بن إدريس وأحمد مكوار وعبد الهادي الشرايبي حيث أتت بأشخاص أمثال ماكان يسمّى بابن سعد، ليشهدوا زوراً وبهتاناً أنهم كانوا على اتصال بإبراهيم الوزاني الذي أسس ما أسماه بجهة الدفاع عن المغرب، والذي اندفع يؤيد السياسة الألمانية مؤملاً أن يحقق المغرب بواسطتها مايرجوه من حرية وانعتاق.

الاتصال بالألمانيين

وفي موضوع الاتصال بالألمانيين تؤكد أن مخبراتهم عملت جهدها للاتصال بجلالة الملك المرحوم محمد الخامس و ببعض رجال الحركة الوطنية المغرب في الجنوب ليتعاونوا أو يتعاطفوا مع المخطط الألماني ولكن الجميع كان مومناً بأن ألمانيا وحليفها إيطاليا لا يطمحان إلا إلى كسب المعركة وبسط النفوذ، دون أن يمكنوا الشعوب المغلوبة على أمرها ومنها شعبنا من تقرير مصيرها والظفر بحقوقها، ولقد كان من جملة الذين اتصلوا بهم أخونا المرحوم ج عمر بن عبد الجليل الذي زاد اقتناعاً بعد محادثتهم، انه لا يرجي منهم أي خير ولا تحقيق أي مطمح من مطامعنا المشروعة، ورغمماً من انهزام فرنسا أمام ألمانيا واحتلال باريس، واستسلام الماريشال بيتان وتعاونيه مع ألمانيا، فإن المغرب ملكاً وشعباً بقي في موقفه المعادي لدول المحور، وتأييده لمبادئ الديمقراطية، وانتظاره الفرصة المناسبة ليخطو الخطوة الحاسمة للمطالبة بالاستقلال والحرية التي كانت في 11 يناير 1944.

إن الموقف الذي وقفه المغرب ملكاً وحركة وطنية أثار انتباه المؤرخين الأجانب وغيرهم من بعض السياسيين الغربيين والأمريكيين، فلقد علق على هذا الموقف المؤرخ الانجليزي «روم لاندو» في كتابه «تاريخ المغرب» فقال : (كان الوضع يقضي بطبيعة الحال أن ينجم المغرب أو يهلك مع فرنسا، ولكن موقف السلطان والوطنيين — وحركتهم كانت الحركة السياسية الوحيدة الواعية المنظمة — من قضية الحلفاء، كان قضية مهمة جداً بالنسبة للدول الغربية، فقد اختارت هذه، المغرب، ليكون نقطة تعبر منها الجيوش في حملتها الهجومية ضد النازيين، وهذا كان يقتضي تعاوننا مع الأهليين

ضمانة للنجاح، والمغاربة مثل بقية العرب، يعجبون بالقوة والنجاح وكان كثيرون منهم قد أعجبوا بقوة الألمان وانتصاراتهم في معارك مختلفة، ولكن هؤلاء ظلوا على ولائهم لقضية الدول الغربية، سائرين في ذلك على نهج السلطان الذي كان واثقاً من انتصار الحلفاء، كان كثيرون يأملون قبل وصول قوى الحلفاء أن تثير ذكريات سنة 1905، والأموال الكثيرة التي وزعها الوكلاء الألمان في البلاد المغربية لتحويلهم ضد الحلفاء، ولكن حتى قبل سنة 1942 كتب أحد وكلاء وزارة الخارجية الأمريكية، وكان مقيماً في المغرب يقول : (لاشك أنه مما يُدهش أن تكون أكثرية العرب إلى جانبنا) ثم يقول روم لاندو :

وكتب سفير الولايات المتحدة في فيشي حسب مارواه الأميرال ليهي مايا تي : (كان نحو ثلاثة آلاف ألماني من العلماء والسياسيين يزورون المغرب، ويقومون بنشر الدعاية بين العرب، فماذا كان أثر هذه الدعاية ؟ إن المغاربة أصغوا إلى الخطب التي ألقاها العملاء الألمان بكثير من الاهتمام، وناقشوها طويلاً، وأخيراً لم يصدقوها. وقد وضع كبير عملاء ألمانيا، وهو تيودور أوزر تقريراً بعث به إلى حكومته في برلين، فوقع هذا التقرير في أيدي الصحافة المغربية، فكانت نتيجته وبالأعلى القضية الألمانية» ذلك بأن واضع التقرير، قال فيه : إن المغاربة كانوا شعباً منحطاً، وأنهم ليسوا حريين بأن ينظر إليهم كشعب أهل للسيادة⁽²⁾.

كيف تلقى مسؤولو فرنسا الحرة في الجزائر خبر المطالبة بالاستقلال

قلت سابقاً إن الفرنسيين بالمغرب تلقوا نبأ مطالبتنا بالاستقلال باندهاش كبير، وأن المستشار الفرنسي الذي كان يزور جلالة الملك محمد الخامس كل يوم ثلاثاء لإطلاعه على الشؤون العامة التي تجري بالمغرب، بقي يوم الثلاثاء 11 يناير 1944 ينتظر داخل المشور مدة طويلة — على خلاف العادة — من أجل أن يقابله جلالة الملك لأنه كان في ذلك الوقت بالذات يتحدث مع وفد حزب الاستقلال، الذي رفع إليه وثيقة المطالبة بالاستقلال، وأنه أي المستشار الفرنسي كان في حالة من الارتباك والاندھاش أثناء انتظار خروج وفد الحزب من مقابلة جلالة الملك الذي خبره في تلك الساعة بالذات

(2) روم لاندو في كتابه تاريخ المغرب ص 260 و 261.

بأن وفد الحزب، قابله ليقدم له وثيقة المطالبة بالاستقلال، الذي أكد له ضمناً أنه مطلب شرعي، وأن الوثيقة يجب أن تدرس وتتخذ بعين العناية. وان المستشار الفرنسي اندهش لهذا المطلب الذي لم يكن يتوقعه لاهو ولا رجال الإقامة العامة الفرنسية، وعلى رأسها المقيم العام كابريل بيو.

أما وقع خبر المطالبة بالاستقلال لدى المسؤولين الفرنسيين بالجزائر، فقد تحدث عنه الجنرال جورج سبيلمان الذي يعرفه المغاربة ويعرفون عنه الشيء الكثير، لأنه تقلب في عدة مناصب في المغرب، سواء قبل الحرب العالمية الثانية أو أثناءها، خصوصاً أثناء الحرب الريفية وأثناء مقاومة آيت عطا وجبل صغرو وغيرها. كما كان مستشاراً في شؤون المغرب العربي لدى حكومة الجنرال دو كول الموقفة إلى غير ذلك من المهمات السياسية والعسكرية التي كانت مسندة إليه.

لقد كتب الجنرال سبيلمان كتاباً أسماه : (المغرب من الحماية إلى الاستقلال : 1912 — 1955) تحدث فيه من جملة ما تحدث عن بلوغ خبر المطالبة بالاستقلال : إلى الدوائر الفرنسية العليا بالجزائر، فقال :⁽³⁾ (كنت آنذاك، مع صديقي روبير مونطاني في ديوان الجنرال كاترو بالجزائر، وصارت الأخبار الواردة من المغرب مبعث قلق، وكان الغليان شديداً في المدن، وشمل الفوران البرجوازية والشبيبة وفئات الحرفيين البروليتاريا، ويبدو أن السلطان لم يبذل مجهوداً لتهدئة النفوس، لا، بل إنه يظهر كما لو أنه متواطئ مع حزب الاستقلال، وأخيراً وعلى مايروج، فإن الولايات المتحدة تساند مطالب الوطنيين، وأن القوات الأمريكية المستقرة في المغرب، قد تتدخل لمنعنا من اتخاذ الإجراءات اللازمة، لفرض النظام، كما حصل منذ شهرين، من تهديد القوات الانجليزية بالتدخل في سورية ولبنان كل هذا غير صحيح، غير أنه كان له تأثيره.

على إثر محادثة مطولة بين الجنرال دو كول ووينستون تشرشل المقيم في مراكش (للاستجمام) أصدر الجنرال دو كول تعليماته للمقيم العام «غرييل بيو» يوم 12 يناير

1944

المقيم العام «بيو» يقابل جلالة الملك

وبمجرد عودة المقيم العام إلى الرباط، استقبل وفداً من كبار موظفي المخزن، باعتبارهم ناطقين باسم الوطنيين، فطالبوه بإعلان استقلال المغرب، وطلب منهم المقيم بدوره تقديم

(3) راجع (وثيقة التحدي ومصداقية البديل) محمد خليل بوخريص ص 163 وما بعده.

برنامج للإصلاحات، ليرفعه بدوره إلى الجزائر، مقر الحكومة الفرنسية المؤقتة، وقامت نفس الشخصيات بنفس المساعي لدى قناصل بريطانيا والولايات المتحدة، وهو أمر غير مقبول إطلاقاً، وهكذا صارت مقابلة السلطان أمراً جد مُلحّ. ويوم 14 يناير أجرى المقيم العام «كبريال بيّو» مقابلة مع سيدي محمد، استغرقت ثلاثة أرباع الساعة، وكانت جلسة رأساً لرأس بدون ترجمان، وأفهم المقيم العام للسلطان، أنّ الوطنيين لن يتلقوا أي دعم من الانجليز والأمريكان، الحريصين على عدم خلق أية صعوبات لفرنسا، وأثناء انشغالها بالمجهود الحربي، وطلب منه أن يحدد موقفه، إمّا إنه مع فرنسا أو ضدها، وفي يوم 17 يناير، تمّ نشر البلاغ التالي، الذي تمّ تحريره باتفاق مع القصر: «إنّ فرنسا ستستمر في عملها من أجل الإصلاحات، ويحرص السلطان على أن يكون تطور المغرب، في إطار الصداقة الفرنسية، واحترام المعاهدات، وفي 18 يناير، تمّ استقبال وفد من الموقعين من طرف السّي المعمري وسيد محمد بن العربي العلوي وزير العدل، والمعروف منذ زمان بمساندته للوطنيين، وكان أستاذاً لعلال الفاسي في القرويين، والسّي أحمد بركاش مندوب الصدر الأعظم في التعليم ونقلت هذه الشخصيات السامية للوفد، أمر السلطان بعدم ترديد كلمة الاستقلال مستقبلاً، ولطمأنتنا (أي الفرنسيين) كتب أحمد بلافريج في نفس اليوم لسيدي محمد، إن التعاون مع الفرنسيين، وحماية مصالحهم، أمور ممكنة في إطار الاستقلال، ولاتتعارض معه، وفي 19 يناير، وضّح حزب الاستقلال، بأن حرصه على عدم عرقلة المجهود الحربي، جعله يقرر عدم اللجوء للعنف لتحقيق هدفه⁽⁴⁾.

ويبدو أن هذه التصريحات، لم تكن جدية، ولم يتجاوز مفعولها الشفاه، كما أنها جاءت بعد الأوان، لأن اضطرابات تمّ الاعداد لها سراً، وتستمر تغذيتها، مما يهدّد بتضخمها بسرعة، وتروج إشاعات، بأن هوى السلطان مع الوطنيين، رغم كل التصريحات الرسمية التي أرغمه الفرنسيون عليها وكانت هتافات «تسقط فرنسا» و«عاش الملك» و«عاش الاستقلال» و«ليخرج الفرنسيون» تتردد في المدن العتيقة، وكما هو الحال دائماً في مثل هذه الظروف، فإن الجنود يتجاوزون قاداتهم.

وصار من اللازم، كما هو واضح، التحرك بسرعة، لتجنب ما هو أسوأ، وبموافقة من الجنرال كاترو أجرت جمعية «روبير مونطاني» مقابلة مع غاسطون باليفسكي مدير ديوان الجنرال دو كول في 17 يناير، وعقب ذلك، توجهنا لمفوضية الشؤون الخارجية، حيث

(4) راجع الرسالة التي وجهها الحزب إلى جلالة الملك بتاريخ 18 يناير 1944.

ساهمنا في تحرير مذكرة التعليمات الموجهة للمقيم العام «كابريل بيو» والتي وقعها المفوض «روني ماسيكلي» خلال انعقاد الجلسة.

ونصّت التعليمات على توجّه المقيم العام مرّة أخرى للقصر الملكي، وأن يقرأ على السلطان نصّ معاهدة 30 مارس 1912 (معاهدة الحماية) وأن يثير انتباهه إلى أن الحكومة الفرنسية التزمت حرفياً بالواجبات التي تعهدت بها، وبالمقابل ينبّه العاهل الذي أعيدت له سلطته، والذي وفّرت له الضمانة ضد أية محاولات مضادة لأسرته، بأنه مطالب بأن يستنكر بوضوح، أولئك الذين تجرّؤوا في اتهام الوجود الفرنسي في المغرب في خضمّ الحرب، وكخلاصة يتعين على المقيم العام، أن يشعر السلطان أننا لن ندع المحرضين يستمروا في نشاطهم، وأن القوات الفرنسية، ستتدخل عند اللزوم.

قام المقيم العام «غبريال بيو» يوم 19 يناير، بأداء مهمته الكريمة لدى السلطان بانضباط، وكان دقيقاً هادئاً ويراعى. أما سيدي محمد، فقد كان دقيق الإحساس لدرجة تجعله لا يجهل أن الأمر صار جد خطير. فقام بتحديد موقفه للمخزن، وعمل على تبليغ ذلك الموقف، يوم 21 يناير بواسطة بلاغ من ثلاث نقاط، تشرح بلاغ 17 يناير :
(1) بناء على المعاهدة (الحماية) فإن فرنسا ترغب في تنفيذ برامج إصلاحات في المغرب.

(2) كلمة «استقلال» ينبغي عدم التلفظ بها مستقبلاً.

(3) لا ينبغي الإخلال بالنظام، وفرنسا تتوفر على وسائل المحافظة عليه.

وتمّ تبليغ قرارات العاهل، بعد ذلك للباشوات والقواد بواسطة رسالة للصدر الأعظم.

وفي الثامن والعشرين من يناير، تم استقبال روني ماسيكلي، مفوض الشؤون الخارجية (وزير في الحكومة المؤقتة) من طرف السلطان في مقابلة رسمية حافلة، وقد سمح لطف الاستقبال، ولهجة الخطابات المتبادلة، بإظهار أن العلاقات بين القصر الملكي والحكومة الفرنسية عادية، وهكذا يبدو أن الأمور عادت إلى نصابها.

اعتقال بلافريج :

في الليلة مابين 28 و 29 يناير، ألقت الشرطة العسكرية في الرباط القبض على أحمد بلافريج، عبد العزيز بن إدريس، الهاشمي الفلالي وعبد الرحيم بوعبيد⁽⁵⁾، بتهمة (5) غير صحيح أن عبد الرحيم بوعبيد أُلقي عليه القبض ذلك اليوم (المؤلف).

الإعداد لانتفاضة مسلحة في المغرب، وذلك بتعاون مع الألمان، وقد تمت هذه العملية دون رضی المقيم العام (كابريال بيّو) وجعلت وضعيته حرجة، ذلك أنه خلال لقائه بالسلطان بمعية «روني ماسيكلي» قبل ذلك اليوم ذكرا بكيفية عفوية أنه لن تتخذ أية عقوبة، ضد مجرد جنحة رأي، ويتعلق الأمر بموقعي عريضة الاستقلال ليوم 11 يناير، على وجه الخصوص، واعتبر سيدي محمد اعتقال الزعماء الوطنيين نكثاً فادحاً للوعد، مما جعله يحس بمبرارة عميقة، الشيء الذي جعل السلطان بعد ذلك يقتنع بسوء طوية المقيم العام، خاصة وأن التهمة الموجهة لأحمد بلافريج باطلة، فلم تنتج عنها متابعة قضائية، هذا الحادث المؤسف الذي لا يتحمل «غابريال بيو» مسؤوليته، لأن الشرطة العسكرية لا تدخل ضمن صلاحياته، أثرت كثيراً على العلاقات بين القصر الملكي والاقامة العامة كما سنرى، فالسلطان لم يصدق أبداً عدم وجود تنسيق في الطرف الفرنسي، هذا في الوقت الذي تزايد فيه التنسيق في الطرف المغربي.

مظاهرات (29 يناير — 8 فبراير 1944)

ثم تحدث عن المظاهرات التي وقعت بالرباط وسلا وفاس وسماها بالفتن وذلك بمناسبة إلقاء القبض على الحاج أحمد بلافريج، وذكر أنه قتل في هذه المظاهرات أربعة فرنسيين، وبعدها ذكر أسماء بعض المعتقلين والموقوفين، قال : انه تم اعتقال ألف وثمانمائة وخمسة (1805) وصدرت أحكام في حق ألف وثلاثة وستين معتقلاً، أربعمائة وخمسون في فاس وحدها، ثم عقب على ذلك قائلاً : هذه الحوادث أشد خطورة من حوادث 1937، وهي تبين التقدم الهام الذي حققه الحزب الوطني المغربي منذ ذلك التاريخ، واستخلص السلطان من هذا أن الأمر يتعلق بقوة جديدة لا يمكن تجاهلها، بل من اللازم التفاهم معها إلى آخر ما ذكر والذي لاحظنا فيه كثيراً من الخلط ومن عدم إدراك كثير من الحقائق كما هي في الواقع.

الإصلاحات التي تقدم بها المقيم العام كابريل ييو

لم تستسغ السلطات الفرنسية، سواء منها الموجودة في المغرب، أو التي في الجزائر، لم تستسغ مطلقاً ولم تقبل حتى النطق بكلمة الاستقلال، فأحرى المذاكرة في موضوع الاستقلال، وصرح المقيم العام الفرنسي «ييو» أن كلمة الاستقلال يجب أن تمحي من القاموس المغربي، وجاء المبعوث الفرنسي إلى جلالة محمد الخامس من طرف الحكومة الفرنسية الموقته في الجزائر ليؤكد لجلالته أن فرنسا ستبقى دائماً ملتزمة ووفية لعقد حماية عام 1912 وأنها مستعدة لتطبيق واقتراح بعض الإصلاحات التي ترى هي وحدها ضرورة تطبيقها، وعندما تقدمنا بوثيقة المطالبة بالاستقلال، في حادي عشر يناير 1944 واندھش الفرنسيون لمطلب الاستقلال، ولم يستطيعوا أن يتخذوا قراراً نهائياً ضدنا، اقترحوا على جلالة الملك، تكوين لجنة، دعت بلجنة المفاوضة، مع حزب الاستقلال، وكان الأعضاء فيها من طرف المخزن الشريف، هم : الفقيه السيد محمد بن العربي العلوي وزير العدل، والسيد ج أحمد بركاش مندوب المعارف بدار المخزن، والفقيه السيد محمد معمري الزواوي نائب رئيس التشريفات الملكية، ومن أعضاء الحزب الذين عهد إليهم بالمفاوضة مع لجنة المخزن، الاخوة : الحاج أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي وج عمر بن عبد الجليل وأحمد مكنوار وأحمد الحمياني، وأثناء الاجتماع الأول والثاني مع لجنة المفاوضة التي كانت تتصل بالإقامة العامة الفرنسية لتستطلع رأيها في شأن مطلب الاستقلال، تأكد لها أن الإقامة العامة ترفض الرضا القاطع لمطلب الاستقلال، وتعبير عن استعدادها للمذاكرة في تطبيق إصلاحات — داخل الحماية — في ميادين الإدارة والتعليم والقضاء وما شاكل ذلك، أما تغيير الوضع السياسي للمغرب، بإعلان فسخ عقد الحماية المفروض على المغرب عام 1912 فليس فيه كلام، ولا يقبل التغيير أبداً، وبما أن الحزب بقي متشبهاً كل التشبث بفكرة المطالبة بالاستقلال، وأكد موقفه في الرسالة الثانية الموجهة إلى جلالة الملك والمؤرخة بثامن عشر يناير 1944، فإن المفاوضة توقفت، ولم يبق مجال للمذاكرة في موضوع الاستقلال حسب ماكانت

تراه الدوائر الاستعمارية، وهكذا أكد الوزير ماسيكلي، المبعوث من طرف الجنرال دو كول رئيس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، أن مطلب الاستقلال مرفوض، وأن عليه أن يتحادث مع المسؤولين الفرنسيين في شأن الإصلاحات التي ستدخلها الحماية على نظام الحماية المطبق، وفي الوقت نفسه قررت الإدارة الاستعمارية الانتقال إلى مرحلة المجابهة مع الحزب بإلقاء القبض على قاداته أولاً، ثم الانتقام من كل أعضائه، وتقديمهم للمحاكمات، واتهام بعضهم بالاتصال بالمحور، وملء السجون بالمخلصين في كل أنحاء البلاد، حسب ماتحدثنا عنه بتفصيل.

وبعدما ظهر للإقامة العامة أن الأمر استقر لها، وأن ملء السجون بالوطنيين سيفسح لها المجال لتتصرف وفق ماترغب فيه من إدخال إصلاحات، حسبت أنها ربما ستُرضي بعض الطبقات الشعبية أو تنومها على الأصح، وهكذا قرر المقيم العام كابريل بيو عقد اجتماعات مع لجان أسسها، أسمى الأولى لجنة الشؤون الإدارية وأسمى الثانية، لجنة التأمين والفلاحة واليد العاملة، وأسمى الثالثة لجنة العدلية، بالإضافة إلى هيئة تهتم بقضايا التعليم.

عقدت هذه اللجان الأربعة عدة اجتماعات، شارك فيها الفرنسيون وبعض المغاربة في طليعتهم الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ للمذاكرة في الإصلاحات التي تود الإدارة الفرنسية تطبيقها في المغرب، ومن جملة تلك الإصلاحات في المجال الفلاحي تأسيس الملك العائلي الذي لا يفوت، وفي المجال الإداري تطبيق مبدأ المساواة بين المغاربة والفرنسيين في الوظائف العامة، وفي المجال القضائي إدخال بعض الإصلاحات القضائية تتعلق بالمحاكم الفرنسية والمذاكرة في الاختصاصات القضائية، ومنها قضية فصل السلطات التي كانت إدارة الأمور الأهلية تعارض فيها كل المعارضة، لأنها كانت تريد أن تبقى السلطات بيد القواد والباشوات الذين كانوا في قبضتها، ويتصرفون وفق إرادة المراقبين المدنيين والعسكريين دون اعتبار لأي قانون أو تشريع، وفي مجال التعليم حرصت كل الحرص على أن تبقى اللغة الفرنسية هي اللغة المسيطرة، وتأسس بعض المدارس الابتدائية لأبناء المغاربة والسماح لبعض أبناء المغاربة بولوج اللغيات الفرنسية التي كانت خاصة بأبناء الفرنسيين واليهود والقللة القليلة جداً من أبناء المغاربة.

ولقد جاء في خطاب ألقاه المقيم العام كابريل بيو، بعد الانتهاء من أعمال هذه اللجان قال فيه : (في هذا اليوم الذي يحتفل فيه المغاربة بعيد الأضحى، أجدني سعيداً حين أعلن أنه باقتراح من حكومة الجمهورية الفرنسية، وافق جلالة الملك على مجموع تدابير، سيكون لها تاريخ في تطور المملكة الشريفة، ثم قال : إن اهتمام حكومة الحماية كان موجهاً إلى ثلاث نواحي :

(1) أن تسمح للمغرب بالتوجه تدريجياً إلى شكل الحكومة التي تتمتع بها الدول
العصرية

(2) أن تعطيه النخبة القادرة على مواصلة هذا التطور.

(3) أن ترفع مستوى مجموع الشعب، وبالأخص الفلاح الذي يكون أغلبية
السكان الساحقة. إلى آخر ماجاء في الخطاب⁽¹⁾.

ويلاحظ أن خطاب المقيم هذا الذي أتى وكأنه يجب عن مطلب الشعب المغربي
للاستقلال، أكد أنه بعد مضي أزيد من ثلاثين سنة على فرض الحماية على المغرب،
لا بد من إدخال بعض الإصلاحات على دواليب التسيير، بتغيير شكل الحكومة تغييراً
تدريجياً والتوجه إلى تكوين بعض الأطر من النخبة المغربية، وإعطاء قسط من الاهتمام
للفلاح المغربي الذي يكون أغلبية السكان.

وهكذا ندرك تمام الإدراك، العقلية التي كانوا يسيرون بها بلادنا، حيث يعتبرونا
غير مؤهلين للتكوين حكومة حقيقية تستطيع أن تسيّر بالمغرب في مجال التطور الذي
فرضت علينا الحماية من أجله، ولا للسير ببلادنا في طريق التحرر والانعقاد الذي طالب
بهما شعبنا، وقدم الشهداء تلو الشهداء للظفر بهما.

ومن الغريب العجيب أن يدعى مقيم عام فرنسي مثقف، أن المغاربة لا يقبلون أن
تنظم العدلية المغربية التنظيم العصري الذي تتطلبه وتفرضه المصلحة العامة، كأن تنظيم
العدلية لا ينبغي أن يقع إلا في البلدان الأروبية، لأن البلدان الإسلامية في زعمه ترفض
كل تنظيم عصري يضمن تحقيق العدل المنشود، ونحن نعلم أن هذه التأويلات التي
أتى بها فيما يتعلق بالعدلية أو الفلاحة أو تكوين الأطر أو غير ذلك إنما هي مبررات
لبقاء سيطرة الاستعمار وضمان وجوده، واستمرار تحكم الإدارة الاستعمارية في رقاب
المغاربة. ولقد أدركنا كل هذا تمام الإدراك، ونحن نعاني من تحكم الإدارة وغطرستها
ورفضها الدائم القاطع لكل إصلاح طالبا به طوال عشر سنوات من سنة 1934 إلى
سنة 1944 وزدنا اقتناعاً بأن حل المشكل المغربي مع الاستعمار، لا يتحقق إلا
بالاستقلال.

لقد كان المقيم «كابريل بيو» يظن، وظنه إثم، أنه باستعماله للعنف والتقتيل والتشريد
والسجن والإبعاد للوطنيين الذين طالبوا بالاستقلال، سيخلو له ولأعوانه الجؤ، فيستطيع

(1) انظر التفاصيل حول الموضوع في الملاحق.

أن يمّوه على العالم الحرّ، أنه بعد قضائه وسجنه للأحرار، صار يطبق الإصلاحات التي تدعو إليها حالة البلاد، وأنه ارتاح من تشويشهم ومعارضتهم بوضعهم في السجون والمعتقلات، ولكن الأقدار الإلهية أرادت أن تكذّبه، والحقائق التي أراد أن يخفيها ويغطيها، وجدت والحمد لله من يَكشف أمرها، ويذيع في العالم جميعه أسرارها وحقائقها. لقد ظن الاستعمار أنه قضى على حزب الاستقلال بسجن واعتقال قادته وقواعده، ولذلك فلم يبق من يرفع رأسه، ويعترض على مخططاته. ولكن الله بالمرصاد لمن يَكيدون هذه البلاد ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ لقد أعمى الله الاستعماريين عندما لم تمتد أيديهم لبعض قادة الحزب، وهيأت الأقدار، الظروف والمناسبات من يبقى من الزعماء الذين يستطيعون في الظروف المناسبة أن يَجْهَرُوا بقولة الحق، ويدحضوا دعاوى الغاصبين والمخادعين.

لقد أشرت فيما سبق إلى أن الأقدار فرضت على رجال الإدارة الفرنسية يوم 29 يناير 1944 أن تطلق سراح المرحوم السيد محمد اليزيدي وإبقاء المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل حُرّاً وعدم إلقاء القبض عليه في الدار البيضاء بعد الإضراب العام الذي عمّ الدار البيضاء، لأن الظروف فرضت عليهم ذلك، فكان بقاء هذين الأخوين بالخصوص بالإضافة إلى إخوان آخرين لم يسهم أذى، كان بقاء هؤلاء في الساحة ضماناً لاستمرار حركة حزب الاستقلال، ودليلاً على أنها لم يُقْضَ عليها، وأنها ستتحرك في الوقت المناسب، وعندما تفرض المصلحة الوطنية هذه الحركة.

وهكذا عندما خطب المقيم العام خطابه المشار إليه، وأذيع خطابه على الجمهور، حرّر أعضاء الحزب الباقون بياناً سياسياً هاماً، ردوا فيه على خطاب المقيم، ووضحوا حقيقته وزيف الدعاوى التي فيه، ولقد جاء في هذا البيان مايلي :

فالإقامة العامة، أعلنت بعد الحوادث المؤلمة، تأسيس أربع لجان يوم 16 مارس سنة 1944، ولكن بالأسف، إذا نحن أغفلنا الجمل المعسولة التي يحتوي عليها البيان المقيمي، والتحفظات العديدة التي تحصرها وتجعلها غير قابلة للتنفيذ، وجدنا هذه التعبيرات مُجرّد كلمات في غير محلها، لأنها لا تهتم بحل عميق للأزمة المغربية، بقدر ماتهم بخلق جوّ غامض يفيد في استمرار سياسة التخدير والتهديّة المتبعة حتى الآن، ثم تعرض البيان للإصلاحات التي جاءت في خطاب المقيم العام، فأعطى فكرة واضحة عنها، وبيّن مافيه من مغالطات، ونقدها نقداً صريحاً، وشرح الحالة التي يسير عليها القضاء في المغرب، وأنه خاضع الخضوع الكلي لسلطة المراقبين الفرنسيين، وان القاضي المغربي إنما هو رئيس

صوري ليست لديه أية سلطة حقيقية. بل إن بعض القضاة الذين نصبتهم الحماية، يُختارون من الأميين الطماعين ثم يقول البيان : (يعتبر كل باشا وكل قائد، رئيساً مطلق النفوذ على مرؤوسيه، ومن الطبيعي أن يتحكم كيف يشاء، فليس ملزماً بالبحث ولا بدراسة موضوع الملفات، ولا بحق الدفاع، ولا حرية جلب المحامين، وكل ماهو من شأن العدالة، يمكن أن يحذف أو يهدم برسالة من الحاكم الفرنسي، أو بدقة تليفون إلى آخر ماتعرضت له هذه النقطة. ثم تعرض البيان لقضية فصل السلطات، وأكد البيان أن هذا الفصل تأمر به الشريعة الإسلامية، لأن القانون الإسلامي يقضي بأن يستمد سلطته من الشريعة مباشرة، وأنه مستقل تمام الاستقلال من السلطة التنفيذية، وانتقد البيان ماقامت به اللجان التي أسست لإصلاح القضاء، مبيناً المغالطات والأخطاء التي وقعت فيها ويقول : (فأغراض واضعي الإصلاح المقيمي إذن واضحة، فهم يهتمون بالمحافظة على الوسائل التي تسهل عليهم دوام النظام بطريق القوة، وإجبار الشعب على الطاعة عن سبيل الإرهاب، أكثر مما يهتمون بإدخال تحسينات على القضاء المغربي (1) وفيما يتعلق بالإصلاحات الإدارية، تعرض البيان لما قالت الإقامة العامة من أنها ستعطي بعض الوظائف للنخبة المغربية، وناقش قضية مساواة الموظفين الفرنسيين مع الموظفين المغربية، وذكر أنها مساواة كاذبة، خصوصاً فيما يتعلق بالتعويضات التي يُخصَّصُ بها الفرنسيون حيث ان للموظفين الفرنسيين مالا يقل عن ثلاثة وستين عنواناً لأنواع التعويضات، ومن بينها تعويض التقنية والمحصول، والامتيازات والعطاءات والصلوات، وهي التي ترفع الأرقام التي تتحملها الميزانية المغربية، وعندما تحدث البيان عن التعليم ومشاكله قال : (فالتعليم في المغرب، لم يعتبر إلا من جانب مصلحة الاستعمار الفرنسي، وهذا شيء حقيقي إلى حدّ أن الإدارة في سبيل تقسيم البلاد، وعرقلة التقدم الثقافي للمغاربة، أظهرت خصومتها لشكل المدرسة الموحدة الذي يطبق في سائر العالم، فأصبح المغربية ملزمين بتقديم الزبائن لمختلف أشكال المدارس، وهي (1) المدرسة الفرنسية العربية (2) المدرسة البربرية (3) مدرسة أبناء الأعيان (4) المدرسة الصناعية (5) المدرسة القروية للمناطق العربية (6) المدرسة القروية للمناطق البربرية (7) المدرسة الإسلامية لبنات الأعيان (8) المدرسة الإسلامية للبنات. وانه لمن المتيقن أن هذا العزل سيستمر، إذا لم يزد تنوعاً بمقتضى الإصلاح الذي أعلنه المقيم العام. وإن عمل الحماية بعد ثلاثين عاماً، ليتفق مع المبادئ المذكورة سابقاً، فقد أنجبت ثلاثة أطباء، وستة محامين، وستة مهندسين زراعيين، وعليه فلا يمكن أن ننتظر الآن من التعليم الفرنسي الإسلامي المبني على هذه الأسس، أن يصل إلى تكوين الإطار الذي يتوقف عليه المغرب في أمد قصير،

بمجرد زيادة خفيفة في عدد المدارس، وأيضاً فإن هذه الزيادة في برنامج الحماية، لا تقتضي إلا بتأسيس مائتي فصل، تشتمل على عشرة آلاف تلميذ كل سنة، وذلك لمدة بعض الأعوام، في حين أنه يوجد زهاء مليون من الأطفال في السن المدرسي، منهم ثلاثون ألفاً فقط، منخرطون في المدارس الموجودة.

وعندما تحدث بيان الحزب عن الإصلاح الفلاحي الذي أشار إليه المقيم العام في خطابه قال : أمّا فيما يرجع للبرنامج الاقتصادي، فقد سكّت مشروع الإصلاح المقيمي عن العمال وصناع المدن، الذين هم في حالة سيئة، ولكنه يشتمل على بعض الأشياء فيما يرجع للفلاح، نعم إنّ لجنة النظام الفلاحي قد اضطرت إلى الاعتراف بأن تطوّر العمال الزراعيين أساس لتطوّر جميع البلاد، وهذا صحيح خصوصاً بالنسبة إلى شعب تكون القرية ستة أعشاره، وبعدها يتحدث البيان عن الوسائل التي قررت إدارة الحماية لصالح الفلاحين، وعدم استجابتها لمطالبهم قال : إنّ البدو المغاربة الأذكى، لم يحصلوا في مجموعهم على أيّ تقدم أثناء الثلاث والثلاثين سنة الماضية ولم يبقوا فقط في الحالة المزرية التي كانوا عليها، بل إنهم أصبحوا يكونون جيش الأرقاء المسخر لخدمة الرؤساء المغاربة، أو المراقبين الفرنسيين أو المعمرين أو موظفي الجبايات ورجال إدارة المياه والغابات إلخ⁽²⁾.

وهكذا تصدّى قادة حزب الاستقلال الذين أرادت القدرة الإلهية وحدها أن تبقى عليهم خارج السجون والمعتقلات، رغم ما كان يديره الاستعمار وأذا به للحزب ورجاله ومبادئه وتحركاته، تصدّى قادة الحزب للمخططات التي كانت الإقامة العامة تعمل على تطبيقها فيما يتعلق بما دعتة حركة الإصلاح، وهي في الواقع حركة تثبيت وتركيز الوجود الاستعماري، فرفضوها ووضحوها للعالم أجمع أخطارها وأضرارها وعواقبها، وأنها ترمي فقط إلى عرقلة الإصلاح الحقيقي الذي لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الاستقلال.

وتتابعت نشاطات قادة الحزب الذين بقوا خارج السجون، فصار أولئك القادة يفضحون السياسة التي أراد «بيو» تطبيقها باتخاذ قرار إشراك الفرنسيين في التسيير السياسي لبلادنا، ومنحهم الحق الذي لا يعطى إلا للمواطنين المغاربة وحدهم دون سواهم من الأجانب، كيفما كانت جنسياتهم، فرفع أخونا المرحوم السيد محمد البزيدي نائب الأمين للحزب احتجاجاً قويا قدمه لجلالة الملك وللإقامة العامة الفرنسية جاء فيه :

(2) انظر نص البيان الكامل في الملاحق.

(إن حزب الاستقلال المتأثر لادعاءات الجالية الفرنسية، ان لها الحق في التمتع بالحقوق السياسية في المغرب، بعد أن اعتبر القرار الذي اتخذته القسم الفرنسي لمجلس شورى الحكومة فيما يرجع لهذا المعنى، وبعد أن اعتبر كذلك أن مجلس الوزراء الفرنسي، اتخذ تدابير لتطبيق هذا القرار، وأن الإقامة العامة أصدرت كذلك قراراً بهذا المعنى مؤرخاً بيوم 4 غشت 1945، وحيث أن الحق الوحيد الذي يمكن أن يتمتع به الفرنسيون وغيرهم من الأجانب بالمغرب، هو الحق الشخصي المعترف به بمقتضى ظهير 19 غشت سنة 1915 الراجع للأحوال المدنية، وحيث انه لا يمكن تناسي السيادة المغربية المؤكدة حتى بالمعاهدات القائمة، ولاسيما معاهدة الجزيرة، وحيث إن المعاهدات المفروضة على المغرب، برغم ماغصيته من حقوق ديبلوماسية، فقد أقيمت المغرب بلاداً تتمتع بالحكم الذاتي، وتعتبر أقاليمه أجنبية عن الأراضي الفرنسية. وحيث أن عديداً من الأحكام الصادرة من المحاكم الفرنسية العليا، قد أكدت هذا المعنى، وشرحت حتى المقصود من الحماية المفروضة، وحيث إن هذه النظرية هي التي تبني عليها أحكام سياسية وقضائية، أهمها بالنسبة للوقت الحاضر، أن المؤسسات السياسية الفرنسية، لا يمكن أن يكون لها محل في المغرب الذي هو بلد أجنبي، لأن التمتع بالحقوق السياسية مرتبطة تمام الارتباط بجنسية الإقليم، وقد صرح الماريشال ليوطي في خطاب ألقاه بالرباط يوم 24 نونبر سنة 1918 بأن الفرنسيين يضيعون وقتهم حين يطالبون بالحقوق السياسية في المغرب، وانه لا يمكن أن يحصلوا على أي تمثيل سياسي، وحيث أن منح الجالية الفرنسية حق الدخول في انتخابات الجمعية التأسيسية أمرا ارتكبه الحكومة الفرنسية، خرقاً لكل التعهدات والالتزامات. وحيث أن السكوت على هذا الواقع، يُعدّ مشاركة في جريمة اقتطاع الوطن وتجنيسه، فإن الحزب :

- 1) يحتج بكل صرامة، ومع اليقين الذي يكسبه الحق الثابت على قرار الحكومة الفرنسية المخالف للمعاهدات، والصادر من غير أدنى استشارة للمغاربة.
- 2) يستنكر حركة المطالبة التي تقوم بها الجالية الفرنسية، والتي تعتبر خطراً يهدّد الدولة المغربية والشعب المغربي.
- 3) يوجه نظر جلالة مولانا الملك للخطر الذي يهدّد السيادة المغربية التي يعتبر مولانا حارسها الأمين.
- 4) يطالب الحكومة الفرنسية بإلغاء التدابير المتخذة في هذا المعنى، والتي تذكر من قريب أو بعيد بسياسة التجنيس والإدماج. الرباط في 18 سبتمبر سنة 1945

لقد لقيت رسالة الحزب المذكورة كل ترحيب من طرف جلالة محمد الخامس فاحتج بدوره الاحتجاج الشديد ضد مواقف الفرنسيين وأطماعهم في التمتع بحق المواطنة، وكانت نتيجة ذلك تبرء المقيم العام من موقفهم ومعاكسته لهم فيما كانوا يطمحون إليه. ويمكننا أن نلاحظ من كل مذكرونا، أن الحزب خطا خطوات كبرى إلى الأمام، رغم ما تعرض له من قمع شديد، ومحن شتى، فلقد استطاعت البقية القليلة من زعمائه وقادته أن تبرهن للإدارة الفرنسية وغيرها أن القمع والاضطهاد لم يقضيا على فكرة الاستقلال وعلى حزب الاستقلال، وأن الحزب مازال موجوداً يؤدي واجبه في الدفاع عن حوزة الوطن والمطالبة بتحقيق الاستقلال ورفض كل اندماج أو تبعية للنظام الفرنسي الاستعماري أو ما يسمى بالوحدة الفرنسية، كما أن الحزب استطاع أن يخرج القضية المغربية من نطاق الثنائية الفرنسية المغربية، إلى النطاق الدولي، بحيث إن الفرنسيين كانوا يُلقَمُونَ حَجَرًا عندما يدعون أن قضية الخلاف الفرنسي المغربي قضية داخلية، لايسوغ لأية دولة أن تتدخل فيه، فكانت التقارير والمذكرات التي يعيئها الحزب إلى مختلف الدول الحليفة، ثم إلى هيئة الأمم المتحدة بعدما تكونت، وإلى جامعة الدول العربية عندما تأسست، تلقى الاهتمام الكبير والدراسة الواسعة من طرف كل هذه الدول، وتجعل الحكومة الفرنسية تقف في قفص الانهمام، وتضطر للدفاع عن نفسها بكل ماتستطيع الدفاع به، وتبقى مع ذلك معرضة للانتقاد والظعن في السياسة التي تسلكها في المغرب، خجولة من تصرفات ممثلها في المغرب، لقد خرج المغرب من النطاق الثنائي المغربي الفرنسي، وأصبح لايطالب بالاستقلال فحسب، بل يطالب بأن لايقبى منعزلاً عن باقي الدول العالمية، وأن يعمل مع باقي الدول المحبة للسلم، لإيجاد تعاون دولي قائم على أساس السلام والحرية، وإنقاذ الحضارة الإنسانية من الطغيان والخراب. لقد فتحت وثيقة الاستقلال باباً واسعاً لم تستطع الإدارة الفرنسية أن تقفله، رغم السجون والاعتقالات والإعدامات، واستطاع التعاون الوثيق بين الملك والحزب أن يحرسا هذا الباب، حتى لايقفله أي طاغ أو ظالم أو متعنت، وزاده قوة التلاحم الشعبي الوثيق وراء جلالة الملك الراحل محمد الخامس الذي بقي صامداً إلى أن تحقق الاستقلال على يديه الكريميتين.

وفي نطاق إخراج المغرب وقضيته من النطاق الثنائي الفرنسي المغربي، وإبراز ذاتيته المستقلة عن فرنسا وجه الأخ المرحوم محمد اليزيدي رسالة مؤرخة بثامن مارس 1945 إلى دول فرنسا وأمريكا وإنجلترا والصين، يلتمس فيها — باسم الحزب — انضمام المغرب إلى منظمة الأمم المتحدة مؤكداً أن مواقف المغرب كانت ثابتة وواضحة ضد

النازية الطاغية، ومستدلاً بالخطاب الملكي الشريف الذي تلى بمختلف مساجد المغرب بتاريخ 3 سبتمبر 1939 والذي دعا فيه جلالة الملك رعاياه إلى الوقوف بجانب فرنسا التي كانت إذ ذاك في صف الحلفاء المقاومين للحركة النازية، كما أشارت الرسالة إلى موقف المغرب من نزول قوة الحلفاء بشواطئه في 8 نونبر 1942 وأنها كانت مواقف الترحيب والتكريم، معاكسة لما كان يريده الجنرال نوكتيس من مقاومة لهما، سيراً مع الخط البيتاني.

وفي هذا النطاق أيضاً أكد الحزب مواقفه أثناء اجتماع ممثلي أهم الدول الموقعة على عقد الجزيرة الخضراء بباريس، للنظر في وضعية مدينة طنجة بعد احتلال إسبانيا لها في ظروف الحرب، رافضاً كل الرفض ذلك الاحتلال، ومطالباً بإرسال بعثة من الدبلوماسيين المغاربة إلى باريس باسم السلطان للدفاع عن وجهة نظر المغرب حول الوضعية الدولية لمدينة طنجة، مؤكداً أن الوضع الدولي لها لم يكن مقبولاً أصلاً من طرف الدولة المغربية وممثليها في مؤتمر الجزيرة نفسه.

كما وجه اليزيدي باسم الحزب طلباً إلى أعضاء مؤتمر سان فرانسيسكو، مطالباً أن يحضر في المؤتمر ممثلون للمغرب، ليتتبعوا مع بقية الأعضاء مختلف أشغاله وأن يعترف له بالعضوية فيه وفي المنتظم الدولي، باعتباره دولة ذات كيان مستقل، رغم فرض الحماية عليه، وباعتبار أن مساهمته في الحرب بجانب الحلفاء كانت مساهمة فعالة ومجدية، سواء بجنوده الذين ساهموا في كثير من المعارك ضد قوى المحور أو بما كان يبذله من مساعدات مادية وبشرية، وتختتم المذكرة مطالبتها فتقول : (لذلك كله، فإن حزب الاستقلال الذي يعبر بصدق ووفاء عن رغبات الشعب المغربي، يرى من العدل، أن يعترف للمغرب بمثل ما للأمم المتحدة من الحقوق، ويطلب أن توجه الدعوة إلى ممثلي الأمة، للمشاركة مباشرة في المؤتمرات الدولية للدفاع عن قضيته، وإثبات حقوقه، وهو يطلب ذلك باسم آلاف المغاربة الذين ذهبوا ضحية في سبيل الحرية، خلال الحرب، وباسم الآلام التي تكبدها الشعب المغربي، وباسم مبادئ الحق والعدالة التي هي الغاية السامية للديموقراطية المحاربة).

والحاصل أن ماخطط له الاستعمار الفرنسي بإلقائه القبض على القيادات الحزبية وقواعدها لإطفاء شعلة فكرة الاستقلال، لم تلاق أي نجاح، فبقى العمل السياسي مستمراً رغم ظروف الحزن، ولم يمض عام واحد على الاعتقالات وملء السجون بالأحرار، حتى بدأ البعض من الذين كانت الأحكام عليهم لا تتجاوز السنة الواحدة أو السنة والنصف، يغادرون السجون، ويتمتعون بالحرية التي افتقدوها، فتعززت حركة

الحزب ونشاطاته بوجودهم، ورأينا بعض الشبان المتقدين غيرة وحامساً أمثال المرحوم المهدي بن بركة يقوون النشاط الحزبي، ويزيدون في تحركات ونشاطات القيادة الحزبية. ولم تمض إلا بضعة شهور على سراح أولئك الإخوة حتى وقع سراحنا نحن بدورنا : أبوبكر القادري — عبد الرحيم بوعبيد — قاسم الزهيري — محمد البقالي حيث لم تتمّ المدة التي كانوا حكموا بها علينا والتي كانت سنتين، فلم نقض في السجن منها إلا واحداً وعشرين شهراً — إن لم تحنّ الذاكرة — والتحقنا بإخواننا نقوي صفوفهم، ونزيد في تنظيماتهم ونعمل متكاثفين للسير بفضيتنا إلى الأمام، ولقد شعرنا إذ ذاك — والحمد لله — بقوة متزايدة كانت تستحثنا على مضاعفة الجهد، وبذل الكثير، والإعداد للمستقبل. كما قرر حزبنا أن يضاعف من نشاطاته فيما يتعلق بتكوين الأطر التي ستتحمل الأمانة في المستقبل وهكذا صار الحزب يوجه الأفراد العديدين للدراسة في الخارج وخصوصاً إلى فرنسا. فكان من جملتهم الإخوان المرحوم عبد الرحيم بوعبيد وعبد الله إبراهيم اللذان سيلعبان دوراً وطنياً سياسياً في المهجر.

الخلفيات التاريخية والمقدمات الوطنية للمطالبة بالاستقلال

يجب أن أسجل هنا وأنا أكتب مذكراتي عن الحركة الوطنية المغربي، أن قضية استقلال المغرب وتحريره من ربة الاستعمار الأجنبي، كانت الهاجس الذي يشغل أذهان كل الوطنيين، على اختلاف ميولاتهم وتوجهاتهم، فالوجود الاستعماري في بلادنا لم يكن يستسيغه ويقبله أي وطني، والإعداد لمعركة التحرير، والتهيء لها بكل الوسائل الناجعة، كان شغلنا الشاغل، ومن جملة الوسائل التي كنا واعين كل الوعي بضرورة خلقها وتنميتها، إيقاد الوعي الوطني في النفوس، وتربية أفراد المجتمع المغربي على أساس العمل لصالح المستقبل، والاهتمام كل الاهتمام بالقضاء على فكرة التواكل والرضى بالوضع الذي صار عليه المجتمع بعد فرض الحماية الأجنبية عليه.

لقد شعرنا بالخطر الذي أحرق بنا ونحن في ميعة الشباب، ولم نرض أن ترفرف علينا راية أجنبية، ونحكمنا في عقر ديارنا جالية أجنبية، وتتصرف في مقدراتنا شركات وأصحاب رؤوس أموال أجنبية، وتقف أمام تطورنا وتقدمنا قوات أجنبية، وتفقدنا شخصيتنا وذاتيتنا مخططات أجنبية، وتعمل على تفريق، وتشثيت وتمزيق وحدتنا مؤامرات ومراسيم وظهائر أجنبية.

كنا نشعر بالمرارة والحزني والعار، ونحن نرى الأجانب : مدنيين وعسكريين، يتحكمون في رقابنا وكأننا عبيد، كنا نشمئز كل الاشمئزاز ونحن نرى المتعاونين والمسخرين من المغاربة، خضعوا الخضوع الكامل للأجنبي الدخيل، فصاروا يسيرون في ركابه، وينفذون تعاليمه وأوامره، دون شعور بالمهانة والذل من جراء خضوعهم واستكانتهم والسير في ركاب أسيادهم، كنا نتساءل مع بعضنا بعضاً، ماذا يجب علينا للخروج من هذا المأزق الذي أوقعنا فيه تخلفنا والتآمر علينا وعدم أخذنا الأسباب التي تغير ما بنا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ولكن هل لدينا من الوسائل والإمكانيات ما نستطيع أن نغير به هذا الواقع الذي نعيشه وتأمل له ؟ إن الحرية شيء ثمين، وأثمن من الثمين، ولكن دون الوصول إليها خرط القتاد، فلا بد

لادراكها من كثير من الإعداد، فنحن قلة قليلة بالنسبة للمجتمع الذي يغط في نومه، ومقاومة المستعمر الغاصب لتطهير البلاد من وجوده، تتطلب شروطاً لابد من توفرها، حتى لا تنتكس حركتنا الفتية في بداية تكوينها، لابد من نشر الوعي وتنظيم الشباب، وتكوين الجماعات والخليات الوطنية، لابد من تهيب الجو والقيام بالإصلاحات الضرورية، ونشر التعليم، وفضح سياسة الاستعمار في التجهيل والتفكير وظلم الطبقات الشعبية، لابد من انتزاع الحرية من بين مخالب الاستعماريين البغاة الظالمين، ولابد لتحقيق ما ذكر وغيره من الاستعداد للتضحية والجهاد والمتاعب، فأبواب الحرية لا تفتح دون تحركات مضنية، وهي كما قال شوقي أمير الشعراء :

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يُدق

وسرنا في طريقنا نكسر الأبواب باباً باباً، نطالب بالإصلاح، ونفتح الأذهان، ونربي الشعب، ونفصح أساليب الاستعمار، وأعماله المنكرة، ونضع البرامج لبناء المغرب الجديد، ونعدّ العدة للمعركة الفاصلة مع الاستعمار، حين ينادى المنادى : حي على الجهاد، حي على العمل الجاد. إنني أذكر، ولعل ذلك كان في سنة 1935 عندما كان إخواننا أعضاء جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين قرروا عقد مؤتمرهم السنوي بالمغرب، فاشترطت الإقامة العامة الفرنسية أن لا تسمح بانعقاده إلا إذا قبل المؤتمرين ترأس المقيم العام الفرنسي بنفسه الجلسة الافتتاحية وإلقائه خطاباً في المؤتمرين، ليؤكد فيه أن الوجود الفرنسي هو أساس كل تحرك، وتبريك المقيم العام، هو البداية المشروطة لانعقاد المؤتمر، وكنت عضواً في اللجنة التحضيرية للمؤتمر، باعتباري الممثل الدائم لجمعية طلبة الشمال الإفريقي بالمغرب، فاجتمعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وقررت رفض طلب المقيم العام رئاسة الجلسة الافتتاحية، وإلقائه خطاباً في هذه الجلسة، لأن ذلك سيخرج المؤتمر عن طبيعته الطلابية المستقلة، ويجعله وكأنه مؤتمر سياسي يسير في الخط الذي تسير فيه السياسة الاستعمارية. وهكذا منعت السلطات الاستعمارية عقد المؤتمر، فصرنا نعقد اجتماعات مصغرة في بعض بيوتنا سواء في الرباط أو سلا أو فاس، وفي أحد الاجتماعات التي عقدت بمنزل المرحوم السعيد حجي بسلا، قام المرحوم المنجي سليم التونسي وكان من أعضاء المكتب التنفيذي لطلبة شمال إفريقيا بباريس يرّد أمامنا نشيد طلبة شمال إفريقيا الذي عنوانه :

حيوا إفريقيا، حيوا إفريقيا، يا عباد : شماها يبغي الاتحاد أشباها تأبى الاضطهاد
إلى أن يقول : يا ضحايا الاستقلال : إننا عاهدناكم، أن نسير في خطاكم، أو ننال
نخلدكم

حتى تملأ أعلامنا، حُرَّةُ تُنَادِي الجِهَادَ، الجِهَادَ الجِهَادَ، في سبيل الاتِّحَادِ

وعندما تقدمنا بمطالب الشعب المغربي في دجنبر 1934، قال بعض المسؤولين الفرنسيين، إن ثلث هذه المطالب يمكن التفكير فيها بعد مدة، والثلث الثاني يمكن التفكير فيه بعد وقت طويل، أما الثلث الثالث فلا يمكن التفكير فيه أبداً، لأن التفكير فيه، معناه مغادرتنا للمغرب، ولسنا عازمين على مغادرة المغرب، في أي وقت من الأوقات، لم نتقدم بطلب تحقيق الاستقلال قبل سنة 1944، ولكننا ضمناً كنا نطالب به، عندما كنا نطالب بالحرية العامة على اختلاف أنواعها وأشكالها، ولكن الاستقلال كان دائماً هو الهدف، ربما نصل إليه عن طريق الإصلاحات التي كنا نطالب بها خلال الثلاثينات، ونغتنم كل فرصة ممكنة لرفع صوتنا أمام الفرنسيين، وأمام العالم أجمع، مطالبين بحريتنا. وما أحداث سنة 1936 و 1937 والتي ذقنا فيها الأمرين من طرف الجنرال نويس والتي سجن فيها الآلاف من الوطنيين ونُفي نتيجة لها زعماءنا الأبرار وفي طليعتهم الزعيم المرحوم علال الفاسي الذي نفى إلى أدغال إفريقيا وبقى فيها تسع سنوات كاملات لم يذق فيها طعم الحرية ولو يوماً واحداً، ولم ينعم فيها برؤية أي فرد من أسرته طوال تلك المدة.

لم نكن خلال تلك المدة، نعم برغد العيش، ولا بالركون إلى الراحة، ولكننا كنا مشمرين عن ساق الجدد، ننتظر الفرصة المواتية، خصوصاً بعدما أعلنت الحرب العالمية الثانية لرفع صوت شعبنا، والمطالبة بتحرير بلادنا.

لقد كنا نلح بطلب الاستقلال منذ بداية الثلاثينات، ففي مقال كتبه أميننا العام الحاج أحمد بلافيج في مجلة «مغرب» التي كانت تصدرها جماعتنا بباريس سنة 1932 جاء مايلي بالحرف : (إن تحرير المغرب هو المهمة الأولى التي ينبغي أن يسعى إليها المغاربة جنباً لجنب مع الفرنسيين ذوي النوايا الطيبة، لأن مغرباً حراً، أفضل من مغرب مستغل، إننا لسنا دعاة وطنية انفعالية، إن الاستبداد شيء مقيت، سواء جاء من الباشا النازي أو من الجنرال ماركيز (MARQUIS) إننا نريد قبل كل شيء أن نعيش أحراراً، ونريد أن يقوم التعاون بيننا من أجل تحقيق هذا الهدف) وفي مقال آخر في نفس السنة (1932) كتب : (إن الحماية في نظرنا ليست إلا وصاية، يجب أن تكون لها نهاية، إننا نفكر في اليوم الذي نستطيع فيه تسيير شؤوننا بأنفسنا، وفي اليوم الذي تصبح فيه روابط التبعية بين المغرب وفرنسا، روابط صداقة وعرفان، فهل هذه جريمة ؟ ان بلادنا التي كانت على الدوام مستقلة، ليست مستعمرة، إنها مجرد حماية).

ونشرت جريدة الأطلس في عدد الخامس الصادر سنة 1937 مقالا لبلافريج نفسه جاء فيه : (إن مهمة فرنسا، هي في إحياء السيادة القومية بهذه البلاد، تلك السيادة التي قطعت على نفسها عهداً باحترامها، أمّا سياسة الإدماج، فقد قضى عليها مسيو «بينو» بتصرّحه أخيراً، واعتبرها غلطة قديمة، ولا يمكن لفرنسا أن توفق بين تصرفها، وبين المبادئ الدولية التي طالما نشرتها وعملت على تعزيزها ونصرها في العالم أجمع، إلا إذا حاولت أن تجعل من الشعب المغربي شعباً حراً قادراً على تدبير شؤونه، إننا نريد أن يتجه عمل فرنسا إلى تعويض روابط التبعية التي تربطنا بها، بروابط المودة والاعتراف بالجميل وفي ذلك فائدة للجميع).

وعندما قدم حزب الإصلاح الوطني بتطوان مطالب الشعب المغربي إلى الخليفة السلطاني والمقيم العام الإسباني لسنة 1938 طالب بالاستقلال الإداري فقال : (إننا نلح في الإسراع بتنفيذ هذه المطالب، ونعتبر هذا التنفيذ هو الخطوة الأولى للوصول إلى استقلالنا الإداري الذي نؤمله في القريب العاجل، إذ به يتهيأ للمغرب أن يعد نفسه ليصل إلى غايته الكبرى التي هي الاستقلال المطلق).

وجاء في القانون الأساسي لحزب الإصلاح الوطني، أن من بين الغايات الأساسية للحزب :

1) إيصال الأمة المغربية إلى جميع حرياتنا، وكامل استقلال أراضيها.

2) تحقيق الوحدة المغربية سياسياً ولغوياً، وفي المظاهرة التي نظمها الوطنيون بتطوان بعد استسلام القوات الفرنسية للقوات النازية في بداية الحرب العالمية الثانية (1940) رفع المتظاهرون شعارات تطالب بالاستقلال التام للمغرب.

ونشرت جريدة الحرية الصادرة بتطوان مقالا بتاريخ 24 يونه 1940 للزعيم عبد الخالق الطريس تحت عنوان : (الحقيقة هي هذه، وفي عنقنا عهد لانخونه) وجاء في هذا المقال : المغرب (المستقل لبنه الأوفياء) هو المبدأ الذي يلزم أن نعيش لتحقيقه، أو نموت في سبيله وكتب الأستاذ الطيب بنونة في جريدة (الحرية) بتاريخ فاتح مارس 1937 مقالا جاء فيه : إذا كانت الثورة الفرنكوية إنما وعدتنا بتحرير محدود لسيادتنا، فإن غايتنا نحن الوطنيين ستظل في كلمة واحدة هي الاستقلال، وعندما نصل إلى الحد الذي تنوي الحكومة الإسبانية الوقوف عنده، فسنقول لها : ساعدتنا على الوصول إلى هذا الحد، لكننا نريد تجاوزه إلى السيادة الكاملة، والاستقلال التام) وفي المظاهرة الشعبية التي نظمها الوطنيون بالشمال والتي أشرنا إليها من قبل، طالب المرحوم الطريس بتخلي

فرنسا وإسبانيا عن المغرب بما فيه سبتة ومليلية، الأمر الذي أثار ضغينة المستعمرين الإسبانيين، وخلق أزمة بينهم وبين حزب الإصلاح الوطني بزعامة الطريس. وجاء في الميثاق الموقع بين حزب الإصلاح والوحدة المغربية بتاريخ 18 دجنبر 1942 : (العمل على استرجاع وحدة التراب المغربي الكاملة في أقرب وقت ممكن إدارياً وسياسياً وقضائياً واقتصادياً ومالياً، وبذل كل الجهود لاستعادة السيادة الداخلية والسيادة الخارجية التي أوجب العرش المغربي على التخلي عنها، كلاً أو جزءاً لصالح المطامع الأجنبية المفروضة

وعندما كنا نتحرك وننتهي للقيام بعمل جدي وحاسم، خصوصاً بعد رجوع الأمين العام للحزب (حزب الاستقلال) سنة 1943 دعا إخواننا في حزب الإصلاح الوطني إلى تكوين جبهة قومية للوطنية المغربية مع حزب «الوحدة المغربية» للقيام بعمل حازم عبروا فيه عن طموحات المغرب في العزة والكرامة والاستقلال، وقدموا فكرة تطالب بالاستقلال ووحدة التراب المغربي إلى سفراء وقناصل الدول الأجنبية المعتمدين بمدينة طنجة وذلك بتاريخ 14 فبراير 1943 ولقد جاء في هذه الوثيقة التاريخية مايلي :

(1) إعلان سقوط نظام الحماية المفروض على جميع أطراف المغرب.

(2) اعتبار إرادة الشعب المغربي في حد ذاتها مصدراً طبيعياً لتقرير مصيره وحكم نفسه بنفسه.

(3) حل القضية المغربية على الأساس الشرعي والقانوني الوحيد، وهو تجديد الاعتراف باستقلال المغرب وسيادته الداخلية والخارجية. وإعادة ترابه الوطني، كما كانت في عهد الاستقلال تحت ظل العائلة العلوية المالكة، مع ضمانه هذا الاعتراف من جميع الدول، ولاسيما دول أوروبا وأمريكا

(4) عقد اتفاقات ومعاهدات حرة لضمانات المصالح المشتركة مع كل الدول التي ترغب أن يكون بينها وبين المغرب الحر المستقل، تعاون اقتصادي أو ثقافي منظم، أو غير ذلك من أنواع التعاون، ولاسيما الدول المجاورة، والدول الإسلامية،

(5) اعتبار الأجانب المقيمين في تراب المغرب، على قدم التساوي التام، من ناحية المعاملة والمعيشة والاقتصاد والعدالة.

(6) اعتبار التراب المغربي بجميع أطرافه وحدوده وشواطئه ومياهه وأجوائه أرض حياد تام مطلق، عند قيام أي نزاع دولي مسلح، وبالنسبة إلى كافة المتحاربين حاضراً ومستقبلاً

9) تمثيل المغرب تمثيلاً صحيحاً في مؤتمر الصلح القادم) ولقد وقع هذه المذكرة كل من المرحومين عبد الخالق الطريس ومحمد المكي الناصري.

وفي نطاق التضامن المطلق مع حزب الاستقلال لدى تقديمه لوثيقة المطالبة بالاستقلال، زيادة على العريضة الهامة التي وجهها حزب الإصلاح الوطني إلى جلالة محمد الخامس والتي نشرناها بتوقيعاتها من قبل، بعث كل من الطريس والناصرى مذكرة مشتركة باسم الجبهة القومية للوطنية المغربية إلى الرئيس روزفيلت مؤرخة بفاتح أبريل 1945 أكدت التضامن الكامل مع حزب الاستقلال، وطالبت بـ :

1) إعلان سقوط نظام الحماية الفرنسية الاسبانية، وإلغاؤه بكافة ذبوله من جميع أطراف المغرب

2) اعتبار إرادة الشعب المغربي في حد ذاتها مصدراً طبيعياً لتقرير مصيره، وحكم نفسه بنفسه.

3) حل القضية المغربية على الأساس الشرعي والقانوني الوحيد، وهو تجديد الاعتراف باستقلال المغرب، وسيادته الداخلية والخارجية، وإعادة وحدة التراب الوطني المغربي، كما كانت في عهد الاستقلال.

4) إقامة نظام سياسي شورى ديمقراطي في المغرب، شبيه بنظام الحكم الدستوري في البلاد العربية بالشرق الأدنى

5) عقد اتفاقات ومعاهدات حرة، لضمانات المصالح المشتركة مع الدول التي ترغب في أن يكون بينها وبين المغرب الحر المستقل، تعاون دولي من أي نوع كان

6) معاملة الرعايا الأجانب المقيمين في تراب المغرب، على قدم المساواة التامة مع الرعايا الأجانب، المقيمين في الدول الأخرى.

7) تسهيل الوسائل لانضمام المغرب إلى كتلة الأمم المتحدة، وقبوله في عصبة الأمم العربية، كعضو حر مستقل)

وتوالت هذه التضامانات الوطنية للمطالبة بالاستقلال والوحدة بعد سنة 1945 إلى أن تحقق الاستقلال، كما سنتحدث عنه بحول الله ومعونته وتوفيقه في الجزء الثالث من المذكرات إن فصح الله في الأجل.

الزعيم علال الفاسي يطالب أثناء نفيه في الكابون بالاستقلال

من المعلوم أن الزعيم علال الفاسي نفاه الفرنسيون في عهد الجنرال نويس سنة 1937 إلى إفريقيا الاستوائية الفرنسية، وذلك إثر إصدار الحزب الوطني للميثاق الوطني الذي دعا إلى قطع كل تعامل مع السلطات الفرنسية، مدامت مصرة على سياسة التضييق وخنق الحريات، واضطهاد مختلف الطبقات الشعبية.

ولقد تأكد لدى المقيم العام إذ ذاك، أن وجود علال الفاسي يهدد وجودهم ومصالحهم. وأنه أصبح الزعيم الذي ترتعد فرائص الاستعمارين من حركته وحزبه، ولذلك فإنهم إثر تقديم الميثاق المذكور، وإثر المظاهرات الشعبية التي قامت في غير مامدينة من مدن المغرب، رأوا أن يتخذوا في شأنه قرار الإبعاد النائي البعيد في الغابون والكونغو، حتى لا يمكن الاتصال به لا من قريب ولا من بعيد، ورغم أن الأبعاد لم يخصه وحده بل نفي معه وبعده زعماء آخرون أمثال الزعيم محمد بن الحسن الوزاني والزعيم محمد اليزيدي. والمرحوم ج عمر بن عبد الجليل والمرحوم الحاج أحمد مكوار، ورغم المآت من الوطنيين الذي سجنوا وعذبوا واستشهدوا، فإن «علال» أصبح ينظر إليه الاستعماريون كجبع يخيفهم، ويحسبون لمستقبله ولحركته ألف حساب، ولقد خطب الجنرال نويس بعد نفي علال، خطبة دلت على مقدار حنقه عليه، وصرح بأنه سيسحق حركته ويقضي عليها معبراً بذلك عما يشعر به نحوه. ولقد طال اعتقاله والضغط عليه في إفريقيا تسع سنوات كاملات، لم يزره فيها أحد، ولم يتصل به حتى والده الذي قضى والتحق بربه، وعلال في منفاه ومعتقله، ويحكى رحمه الله أنه «ظل مدة اعتقاله كلها في بعد عن كل اتصال بالحياة العامة، وأخبارها وفي منع كامل من الاجتماع بالناس وقراءة الصحف والاستماع للإذاعة».

وبالرغم من هذا التضييق الكبير عليه، ويظهر أن ذلك بالخصوص كان في السنوات الأولى من النفي، فإن بعد إعلان الحرب العالمية الثانية، وقيام الحركة الديغولية، ودخول القرية التي كان منفياً فيها «وهي قرية «مويلا» الواقعة في جنوب الكابون — في حوزة الديغوليين، استطاع أن يتنفس الصعداء، ويتتبع الأحداث، ويرفع الصوت، ويطلب بدوره بالاستقلال لبلده، وعن هذه المرحلة يقول علال في كتابه : (الحركات

الاستقلالية⁽¹⁾ : (دعائي ذات يوم الكومندان روجي، وتحادث معي مليا في الشؤون الحاضرة، وبشرني بأن الحال سيتبدل، وأن الثورة الدجولية ستعمل عملها في قلب السياسة الاستعمارية الفرنسية، وطلب مني أن أكتب للولاية العامة برأيي في موضوعها، فتملصت من الموقف، وقلت له : يمكنك أن تكتب بنفسك، وتخبرهم بأني كرئيس للحزب الوطني، لأريد إلا الوصول لما يصبو إليه الحزب من تطور وتحير، ومضت أيام كتب فيها الكومندان روجي للولاية العامة، وسافر لبرازافيل، ثم عاد فقال لي كلاماً يدل على أنه لم يجد في الولاية المحليين نشاطاً واستعداداً لأن يكونوا على غرار «ليوطي» حسب تعبيره — في العمل لصالح فرنسا، ثم تحدثنا ملياً في الحالة الدولية العامة — وكنت في حديثي معه، ضارباً على الوتر الذي يحسه الفرنسيون، فطلب مني بصراحة أن أكتب رسالة للجنرال دي جول، وقدم لي مشروع رسالة على مثال الرسائل التي يقدمونها للفرنسيين، فأجبت بأن قضية الخلاف الحادث بين فيشي ودي جول، قضية فرنسية محض، لاحق لي، ولا لسائر المغاربة في التدخل فيها، نعم فيما يرجع لمقاومة الألمان، يمكنني أنؤكد أنه ليس في المغاربة أحد يريد أن يصبح محكوماً لا لألمانيا أو إيطاليا، على أنه من الوجهة المنطقية، مادامت فرنسا قد دخلت الحرب، ومادام في استطاعتها أن تقاوم، فليس من الوفاء أن تخون حلفاءها، وتلقي بهم في أحضان الألمان، وتخيس بدمهم وهم في أشد الحاجة إليها، وأما فيما يخص القضية المغربية، فأنا كممثل للحزب الوطني، أعتبرها قضيتي، وأنا مستعد للتعاون مع الجنرال دي جول، إذا كان راعياً في أن يحقق أمان الشعب المغربي، ولذلك فمعرفتي بسياسة الثورة الجولية، فيما يخص فرنسا لا يكفي، بل يجب أن أعرف سياسة دي جول المغربية، وحينئذ يمكنني أن أعمل على ضوء استنتاجاتي منها، إلى أن يقول : كتبت رسالة للجنرال دي جول بواسطة الجنرال سيسى، أقص عليه بعض ماجرى بيني وبين الكومندان روجي وأقول له :

رسالة الزعيم علال الفاسي للجنرال دي جول

إن المغرب الأقصى، المرغم على استمراره في نظام من العصور الوسطى، والذي يرغب في تطور شبيه بما وصلت إليه مصر والعراق، لا يمكنه أن يقبل تجديد الاحتلال من ألمانيا أو إيطاليا، وهو يعتقد أن حكومة حقيقية لفرنسا الحقيقية، جدرة بأن ترضيه

(1) الحركات الاستقلالية ص 236 و 237.

بتحقيق أمانيه القومية. لست أريد أيها الجنرال أن أحدد في هذه الرسالة مطالبنا، ولكنني أريد أن أؤكد أنني شخصيا لا أرغب في جاه ولا مال، وإنما أرغب في مصالح وطني وحقوقه.

ورئيس الحزب الوطني المبعد منذ خمسة أعوام، لا يريد إلا أن يعرف السياسة الجديدة التي ستدشنونها فيما يخص المغرب الأقصى، إنني لأمثل شيئا من ذاتي، وإنما قيمتي فيما أتمتع به من ثقة الشعب، وفيما سأحمله لأمتي من نتائج عملكم الرسمي. إن ليوطي الذي تحترمونه، لم يرتكب أخطاء نوجيس وأمثاله، وقد أعرب عن ندمه على كثير من أنواع السياسة التي اتبعها بنفسه، ولقد أيد الكثير من الفرنسيين حركتنا، فإذا كانت سياسة سعادتك، تتفق مع سياستنا نحن، فإنه من الممكن لي أن أفعل.

ومضت أيام وأسابيع وشهور على هذه الرسالة، وقعت فيها اتصالات مع كثير من المسؤولين العسكريين الفرنسيين الذين كانوا يتصلون ببرازافيل المركز الرئيسي للسياسة الفرنسية إذاك، وأخيراً اتصل بعلال ليوتنان البحري دولو جران الذي كُلف بالتخاير معه في شأن القضية المغربية والشمال الافريقي عموماً للبحث عن الطرق التي من شأنها أن ترضي الوطنيين ليكونوا مع فرنسا ضد الاحتلال الألماني، ولقد وضع علال هذه النقطة، معبراً عن رأيه الواضح فقال: (2)

وقد بينت له استعدادي للتوسط بين فرنسا الحرة، وبين الوطنيين التونسيين والجزائريين فيما يخص تونس والجزائر، وأما فيما يخص المغرب، فقد أكدت له استعدادي أن أعمل ومعي رجال الحزب الوطني لتحرير المغرب من الضغط الألماني، متعاوناً في ذلك مع فرنسا الحرة، ولكن هذا التعاون لا يمكن إلا بشرط واحد صريح، هو أن يعلن الجنرال ديغول استقلال المغرب منذ الآن، ثم بعد التحرير، يشكل جلالة السلطان حكومة وطنية، تعقد مع فرنسا، معاهدة تحالف وصدقة) وإثر ذلك بعث ليوتنان دولجران برقية لحكومة فرنسا الحرة جاء فيها: (تفاوضت مع الأستاذ علال الفاسي، وهو يقبل التعاون مع فرنسا الحرة على تحرير شمال إفريقيا من ضغط المحور، بشرط الاعتراف الناجز باستقلال المغرب، والسيد علال الفاسي صريح، ويتكلم في استقامة ووضوح، ويتمتع بزيادة على نفوذه في المغرب، بثقة كثير من زعماء العرب).

وبعد وصول هذه البرقية وقع استدعاء الزعيم علال للسفر إلى برازافيل، لتتميم

(2) الحركات الاستقلالية ص 238.

المذاكرة فسافر فعلا صحبة الضابط المذكور، ومكث في برازافيل سبعة أشهر كلها لقاءات واستفسارات وإعطاء التوضيحات، وفي يولييه سنة 1941 وصلت برقية من الجنرال دوجول للولاية العامة تقول : (لقد درست قضية الفاسي والمغرب وسأحمل معي الملف لبرازافيل) وتتابعت الاتصالات والمذاكرات، تبين منها أن آراء المسؤولين الفرنسيين مختلفة ومتباينة فيما يتعلق بالمشكل المغربي، فمنهم من كان يرى ضرورة الاعتراف للمغرب باستقلال نوعي، ومنهم من كان يرفض حتى هذا الاستقلال النوعي، وتطورت الأحوال الدولية بعد ذلك، لم يقتنع معها دو كول بإعطاء المغرب استقلاله الذي طالب به علال، فأرجع علال إلى معتقله الذي بقي إلى سنة 1946 حيث صار العمل الوطني متمسكاً وقوياً ونشطاً كما سنتحدث عنه إن شاء الله.

طلبنا بالقاهرة يؤسسون رابطة الدفاع عن مراکش

لم يكن لدينا أي اتصال بالشرق العربي أثناء ظروف الحرب، فرغماً عن وجود بعثة طلابية هامة في القاهرة إذ ذاك، فإن الاتصال بها كان مفقوداً بالمرّة، فلاترد أخبار عنها بواسطة البريد ولا اتصلها أخبار عنا وعن تحركاتنا السرية، وعن تفكيرنا في القيام بعمل وطني، يرفع صوتنا وصوت بلادنا أثناء ظروف الحرب، ولدى تقديمنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 لم تكن لدينا أية وسيلة للاتصال بإخواننا أعضاء البعثة، حتى نخبرهم بما قمنا به، ومانرجو من ورائه لتحرير بلادنا من ربة الاستعمار، ومحدث بعد تقديم الوثيقة من أحداث.

وذاذات يوم لست أدري تاريخه بالضبط، ولا قريباً من الضبط، وإنما الذي أذكره أننا كنا في اجتماع موسع بعض الشيء، أي زائد على أعضاء اللجنة التنفيذية، ولعل هذا الاجتماع كان بمنزل أخينا المرحوم سيدي الحاج أحمد الشرقاوي مدير مدارس محمد الخامس، فجاء من يحدثنا بأن خبراً ورد من القاهرة، ولربما كان بواسطة شخص ورد من الشرق العربي، ويذكر الخبر أن طلبتنا في القاهرة تقدموا هم بدورهم لممثلي الحلفاء بوثيقة تطالب بالاستقلال، متى كان ذلك ؟ ومن هم هؤلاء الذين قاموا بهذا العمل الجبار ؟ لم تكن لدينا حينه أية تفاصيل، ومضت أيام وأسابيع لنستطيع الحصول على بعض المعلومات عن طلبتنا وحركتهم وعن الجمعية أو الرابطة التي أسسوا فيما بينهم، وهي رابطة الدفاع عن مراکش، ومراكش هو الاسم الذي يطلقه لإخواننا في المشرق العربي على المغرب، والتي كان تأسيسها خلال سنة 1943 أي خلال الفترة التي كنا

نتيهاً للمطالبة بالاستقلال، والتي طالبت هي بدورها بالاستقلال في نفس الظرف الذي طالبنا بالاستقلال، أي بعد يومين لاغير من مطالبتنا بالاستقلال وهو يوم 13 يناير 1944، فكيف كان ذلك ؟ وكيف كان التاريخ الذي تقدموا به بوثقتهم، هو نفس التاريخ الذي تقدمنا بوثيقة 11 يناير 1944 ؟ ذاك ماسيحدثنا به أحد صانعي ومحوري هذه الوثيقة الأخ الأستاذ عبد الكريم غلاب الذي كان إذ ذاك بالقاهرة ضمن البعثة الطلابية الهامة التي كان الكثيرون منها ينتمون للحزب الوطني، ومنهم المرحومون الأساتذة : عبد المجيد بن جلون والعربي بناني وعبد الكريم بن ثابت وأحمد بن المليح، يقول الأستاذ غلاب :

1) تكونت هذه الهيئة سنة 1943، وبنفس الظروف التي كانت تفرضها الحرب : ميثاق الأطلسي، تحرير سوريا ولبنان، نزول الحلفاء في المغرب، أخذت الرابطة تفكر في استقلال المغرب، وهو نفس التفكير الذي كان يراود أعضاء الحزب بالمغرب في نفس الوقت، رغم أن القطيعة الكاملة كانت بين مصر والمغرب، فليس هناك مواصلات، ولا بريد، ولا برق، ولا هاتف.

رابطة الدفاع عن مراكش تطالب باستقلال المغرب

وقد قدمت الرابطة في الأسبوع الأول من يناير 1944 مذكرة إلى مكتب فرنسا الحرة، وإلى سفارات دول الحلفاء في القاهرة، إنجلترا وأمريكا والاتحاد السوفيتي، تطلب فيها الرابطة استقلال المغرب، ونشر خبر هذه المذكرة في صحف القاهرة يوم 13 يناير أي بعد تقديم وثيقة الاستقلال في الرباط بيومين، رغم الرقابة على الأخبار، وقلة ماكان ينشر من نشاط الرابطة في الصحف المصرية.

ويلاحظ أن انتماءات أعضاء الرابطة كانت متعددة، فأكثرتهم كانت منتمية لحزب الاستقلال ومنهم الاخوة : عبد الكريم غلاب والمرحومون : أحمد بن المليح والعربي بناني وعبد الكريم بن ثابت، ومنهم المنتمون لحزب الحركة القومية كالأخوين محمد بن عبد الله وأحمد الوزاني، ومنهم المنتمون لحزب الاصلاح الوطني بالشمال كالمرحومين، عبد السلام بناني ومحمد بن اعبود ومصطفى بن عبد الوهاب:

ويلاحظ أيضاً أن فكرة الاستقلال وضرورة المطالبة به في ظروف قرب انتهاء الحرب

كانت تتعامل في ضمير كل الوطنيين، سواء منهم الموجودون داخل المغرب الذين تكوّن منهم حزب الاستقلال والمتضامنون معه في المطلب، كحزب الحركة القومية وحزب الإصلاح الوطني في الشمال والجهة الوطنية في الشمال أيضاً، أو في الخارج كطلبتنا بالقاهرة، وكالزعيم علال الفاسي الذي كان منفياً في الكابون، والذي لم يعقه اعتقاله عن المطالبة بالاستقلال والحرية لبلاده عندما أتيحت له الفرصة المناسبة، وذهبوا به إلى برازافيل، ولقد راجعت مذكرات الزعيم سيدي محمد بن الحسن الوزاني لعلّي أجد بين صفحاتها ما يرشدني إلى الموقف الذي يمكن أن يكون اتخذته أثناء تلك الفترة وقبل سنة 1947، فلم أعثّر على شيء، اللهم إلا ما كتبه عن موقف حزب الاستقلال ورأيه في الوثيقة التي قدمها بتاريخ حادي عشر يناير 1944، وكان مقصودي وأنا أبحث أن أزيد دليلاً على أن الوطنيين المغاربة كما كانت لهم مواقف ثابتة وموحدة، وهم يطالبون بالإصلاحات، فإن الظروف الدولية أثناء فترة الحرب، فرضت عليهم أن يعبروا عن رأيهم الثابت الذي لم يتغير، وهو العمل على استرجاع استقلال بلادهم إلى أن انتزع منهم غصباً وقهراً، ولعلني أجد مستقبلاً بحول الله ما يسد أمام عيني هذه الثغرة. وإن كنت مومناً كل الإيمان أن إخواننا في الحركة القومية عندما تقدموا بوثيقتهم المؤيد لوثيقة 11 يناير كانوا يعبرون بحق عن قرار حزبهم، ورئيسه المنفى.

وكما أشرت لذلك من قبل، فلقد كوّن طلبتنا في القاهرة، رابطة أسموها رابطة الدفاع عن مراكش (المغرب) ولما استعرت نار حرب 1939، وأذن الله للمحور أن ينهزم، ويكفي العالم شروره، تقدمت الرابطة بمطالبها إلى سلطات الحلفاء في القاهرة، وكان المطلب الأساسي هو الاستقلال، ثم توالى نشاط الرابطة السياسي، فصارت تتصل أولاً بالسفارات العربية وزعماء العرب في ذلك الأمان، شارحة الأوضاع الأليمة التي يتردى فيها المغرب، وطالبة مساعدتهم للوقوف مع المغرب في معركته ضد الاستعمار، ناشرة النشرات والكتيبات المتعددة المعرفة بالقضية المغربية، مثل (1) حقوق الدولة المراكشية (في سنة 1944) (2) ومأساة مراكش (سنة 1945) (3) وصوت مراكش في سنة (1946) (4) ومراكش في معركة الحرية (في سنة 1946) (5) ومراكش تحت النفوذ الإسباني، كما ساهمت في توسيع نشاطاتها باستقبالها لبعض القادة الوطنيين التونسيين والجزائريين والتعاون معهم للعمل على تحرير المغرب العربي ككل، و(كان من الذين قدموا إلى مصر سنة 1945 الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة الذي فرّ من تونس في مركب بحري ونزل في السواحل الليبية، ومن هناك اخترق الحدود خلصة إلى مصر، واستطاع أخيراً أن يتصل بالجامعة العربية، بعد أن اجتاز مصاعب في الحدود، رغم

مراقبة إدارة الأمن العام⁽³⁾ ويحكي الأستاذ عبد الكريم غلاب — وكان عضوا فعالا في الرابطة إذ ذاك أنه وقع استقبال السيد الشاذلي المكي مبعوث حزب الشعب الجزائري لخدمة القضية الجزائرية في مصر، وكذلك السيد فضيل الولاتلاني من أعضاء جمعية العلماء الجزائريين، وبمجيء بورقية والشاذلي المكي والورتلاني بدأ وضع الأسس الأولى للعمل الوجدوي في إطار المغرب العربي الموحّد. ويقول الأخ غلاب كذلك : (حتى إذا بدأت المشاورات العربية، بعد نهاية الحرب سنة 1945 في الاسكندرية والقاهرة لإنشاء جامعة الدول العربية، وجدت الرابطة فرصة نادرة لإدماج قضية المغرب في القضايا العربية، رغم الصعوبات التي كانت الرابطة تجدها، باعتبار الجامعة العربية جامعة دول، وباعتبار المشرفين على إنشاء الجامعة، كانوا يريدون لهذا المشروع أن ينجح، ولذلك كان بعضهم يحاول ألا يثير الدول الاستعمارية بإثارة قضايا حساسة مثل قضية المغرب العربي، حتى لا يثير فرنسا ضد المشروع)⁽⁴⁾.

إن نشاط رابطة الدفاع عن المغرب، تقوّى وتزايد بعد خروجنا من السجن، وتنظيم المراسلات مع الحزب وإمداد الرابطة بالمعلومات والنشاطات التي يقوم بها، وهكذا أصبح صوت المغرب عالياً في مصر وغيرها من البلدان العربية وسيتقوى أكثر عندما يكون مكتب المغرب العربي كما ستحدث عنه.

ومن نشاطات لجنة الدفاع عن المغرب، بياناتها ومذكراتها إلى رؤساء وقادة الأمة العربية التي كانت توجهها لهم أثناء فترة الكفاح والمطالبة بالاستقلال، وكمثال على ذلك، أثبت هنا هذا البيان الذي أذاعته، بعدما بلغت الأحداث التي وقعت بالمغرب أثناء فترة المطالبة بالاستقلال.

(3) تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب للأستاذ عبد الكريم غلاب. جزء أول ص 380.

(4) نفس المصدر ص 381.

بيان من لجنة الدفاع عن مراكش إلى قادة الرأي العام

الحمد لله وحده من لجنة الدفاع عن مراكش في الشرق إلى قادة الرأي العام العربي في غمرة هذه الحرب التي فتحت أمام الشعوب المغلوبة على أمرها أبواب الأمل في نيل حقوقها، وتحريرها من الاستعمار البغيض، وبمناسبة انضمام مصر الشقيقة إلى ميثاق الأطلسنطيق الذي قرر حرية الشعوب في تقرير مصيرها.

تري لجنة الدفاع عن مراكش في الشرق، أن تطلع الرأي العام العربي في مصر وسائر البلاد العربية، على قضية مراكش العربية، وماعانته مدة الحكم الأجنبي، من ضروب العنف والاضطهاد، منذ معاهدة الحماية 30 مارس 1912. فحتى هذا الحين، كانت مراكش محافظة على وحدتها، متمسكة باستقلالها ولكن تطاحن الدول الأجنبية في سبيل الاستعمار، وتسابقهم إلى الفوز بمراكش، يتوسلون إلى ذلك بمختلف الذرائع، فأثاروا الثورات داخل مراكش، وعلى حدودها، وحركوا رعاياهم لإثارة المشكلات، ونشر الفوضى في البلاد، حتى يكون ذلك سبباً في تدخل الدول الأجنبية في شؤون البلاد، بدعوى حفظ النظام، وإقامة الأمن، وصيانة المصالح الأجنبية. وانتهت هذه الحالة التي خلقتها الدسائس الأجنبية، إلى عقد معاهدة الحماية، في 30 مارس 1912، وقد قبلت الحكومة المراكشية هذه الحماية، على أساس معناها المحدد في المعاهدات والقوانين الدولية، وكما شرحها المارشال ليوطي، أول مقيم عام، مندوب سام في مراكش، إنها عبارة عن وطن محتفظ بأنظمته القومية يحكم نفسه بنفسه، وتكون إدارته بيد هيأته الخصوصية، تحت المراقبة الصرفة من دولة أجنبية، ولكن فرنسا وإسبانيا، بعد أن فازتا بمراكش، اتجهتا في حكم البلاد، اتجاها يناقض معنى الحماية، ويقوم على الحكم المباشر، بكل مظاهره الاستعمارية، فمزقت وحدة البلاد، وقسمتها إلى ثلاث مناطق مختلفة النفوذ، وجزأت كل منطقة إلى مراكز عسكرية، تحكم حكماً استعمارياً محضاً، وقُضي على مظاهر السيادة القومية في البلاد، وأصبحت شؤون الشعب المراكشي كلها بأيدي السلطات الأجنبية، ولم يبق من مظاهر السيادة القومية، سوى مظهر الحكومة المراكشية الأسمى، وقد سلب رجالها كل تدخل في أمر البلاد، حتى أصبحوا مجرد رمز ليس له أثر فعلي، وقد مضى على الحماية الفرنسية الاسبانية زهاء ثلاثين عاماً، وكان المظنون

أن تصل مراكش بعد هذه المدة الطويلة، أن تتولّى شؤونها بنفسها، وتحرر من سيطرة الحكم الأجنبي، وقد جاهدت في سبيل ذلك منذ إعلان الحماية إلى الآن، ولكن فرنسا وإسبانيا تعملان على أن تظل مراكش حيث هي، وتحاولان القضاء على الروح المراكشية العربية المتطلعة إلى الاستقلال والحرية، فالتثيل الشعبي الصحيح، لا وجود له، والحكومة المراكشية، والوظائف الرئيسية الحيوية بين أيدي الفرنسيين والإسبانيين، والتعليم يتجه اتجاهها أجنبياً، ويقوم على سياسة الإدماج ومحو الروح القومية، والحرية العامة لا وجود لها، لا في الاجتماع ولا في الصحافة، ولا في الشغل، ولا في الدين. وليس هذا الضغط وليد حالة الحرب الحاضرة، وإنما هو أمر صارت عليه فرنسا وإسبانيا منذ إعلان الحماية حتى الآن. وبالرغم من هذا كله، فقد قامت في مراكش حركات شعبية تطالب بالحرية والعدالة، ولكنها قوبلت في فرنسا وإسبانيا بالعنف والشدّة، فاضطهد الرجال القائمون بها، وزجّ بهم في المعتقلات وشرّدوا في المنافي، وعطلت صحفهم الحرة، وحلّت هيأتهم المعبرة عن رغبات الشعب القومية، فالحماية الأجنبية إذًا، لم تحقق لمراكش، ما كانت ترجوه منها.

ولذلك أصبح من حق المراكشيين أن يطالبوا برفع هذه الحماية، ويعطوا الحق في تقرير مصيرهم، بعد هذه الحرب، كأمة لها كيان صحيح، وأمان وطنية سامية.

وبما أن مصر دولة عربية شقيقة، تربطها بمراكش روابط الدّم واللغة والدين، وبما أنكم من ذوي المكانة الممتازة في مصر، ومن موجدي الرأي العام فيها، ترى لجنة الدفاع عن مراكش في الشرق، أن تعرض عليكم أماني مراكش القومية، ورغباتها الوطنية التالية :

(1) المطالبة بإلغاء الحماية الفرنسية الاسبانية المفروضة على مراكش من سنة 1912، وإعطاء مراكش حريتها الكاملة في تقرير مصيرها بعد الحرب

(2) إرجاع وحدة البلاد المراكشية إلى ماكانت عليه قبل المعاهدة، وإلغاء التقسيم الثلاثي، الذي فرضه عليها الاستعمار.

(3) انضمام مراكش إلى اتحاد الدول العربية.

ولنا كبير الأمل في أن ترفعوا باسم مصر صوتكم في الدفاع عن مراكش العربية المجاهدة في سبيل حريتها واستقلالها

وتفضلوا بقبول تحياتنا وفائق احترامنا.

الإمضاء : لجنة الدفاع عن مراكش في الشرق

طنجة والاحتلال الأجنبي

المركز الاستراتيجي لمدينة طنجة، جعلتها تتعرض للاحتلال الأجنبي، خلال الأحقاب التاريخية القديمة والحديثة، سواء في عهد الفنيقيين والرومانيين، أو في عهد التكالب الاستعماري البرتغالي حيث كانت أساطيلهم البحرية تمخر مياه المحيط الأطلسي، فذاقت مدينة طنجة من متاعب استعمارهم الذي طال نحو القرنين (1471 — 1661) الشيء الكثير، ولقد أعقب الاستعمار البرتغالي لطنجة، استعمار الإنجليز الذي بقي نحو اثنتين وعشرين سنة (1662 — 1684) ولم تتحرر من الإنجليز إلا بفضل التحركات الجهادية التي قام بها المولى إسماعيل العلوي الذي استعادها بالقوة من سيطرة المحتلين.

وخلال تكالب الدول الاستعمارية على المغرب أواخر القرن التاسع عشر، كانت هذه الدول تتطلع دائماً إلى الاستيلاء عليها نظراً لموقعها الجغرافي الممتاز، وكانت إنجلترا بالذات تخشى أن تقع طنجة تحت سيطرة دولة أخرى، فتهدد مصالحها التجارية والملاحية في مضيق جبل طارق، وهكذا صارت تفاوض فرنسا باعتبارها دولة استعمارية مثلها، لتحسين الفرص لفرض سيطرتها في المواقع الاستراتيجية والتي قد تكون مدينة طنجة من ضمنها، وهكذا وقع الاتفاق بين الدولتين الاستعماريتين على فرض نظام دولي في طنجة، تحتفظ فيه طنجة بشخصيتها المستقلة تحت السيادة المغربية، دون أن تخضع الخضوع النهائي لأية دولة من الدولتين، ولقد خاطب سفير فرنسا في لندن (بول كمبون Paul Cambon) رئيس الدبلوماسية البريطانية اللورد (لسندون Lord lasdoun) قائلاً : ماهي مصلحتكم في المغرب ؟ إنها طنجة، إن أوروبا لا يمكن أن توافق على خضوعها لسيطرتكم، كما لا يمكنكم أن تتركوا أية دولة أخرى تسيطر عليها، ألا يمكن إذاً تحييد طنجة ؟ وهكذا وقع اتفاق (في غيبة المغرب) سمي بمعاهدة ثالث أكتوبر عام 1904 بين فرنسا وإنجلترا جاء في فصله التاسع مايلى : (ستحتفظ طنجة بالطابع الخاص الذي يخوله لها وجود الهيئة الدبلوماسية ومؤسساتها البلدية والصحية) كما وقع اتفاق أو معاهدة بين فرنسا وإسبانيا بتاريخ 27 نونبر 1912 جاء في فصله السابع مايلى : (ستزود طنجة وناحيتها بنظام خاص يحدّد فيما بعد، وستشكلان منطقة تقع ضمن الحدود التالية : من رأس الطارس إلى مصب وادي تهمضارت على المحيط) ثم وقع اجتماع

آخر في مدريد بتاريخ مارس 1913 ضم فرنسا وإنجلترا وإسبانيا، وتناقشوا في موضوع وضع القانون الدولي لمنطقة طنجة، دون حضور للمغرب ولكن ظروف الحرب العالمية الأولى إذ ذاك، جعلت تطبيق مايو دون تطبيقه عسيراً.

لقد كانت إسبانيا تتميز غيظاً من مواقف كل من إنجلترا وفرنسا من قضية طنجة، وكانت تعتبر نفسها هي الأحق بالسيطرة عليها، بل تدعي أنها تملك فيها حقوقاً تاريخية بحكم مجاورتها لها، وكان المسؤولون الإسبان يودون أن يضموا طنجة إلى منطقة الحماية الإسبانية أثناء الحرب العالمية الأولى، وعبر عن ذلك أحد وزرائهم (مورا) في خطاب له فقال : (إنه لمن الضروري أن تصبح طنجة إسبانية، حتى يمكن لإسبانيا الاضطلاع بواجبها في المنطقة الإسبانية وأنه لمن السخريّة أن تزرع هذه المنطقة الدولية في قلب المنطقة الإسبانية)⁽¹⁾ وصرح سفير إسبانيا في لندن بتاريخ 16 فبراير 1920 قائلاً (إن طنجة تنتمي جغرافياً واثنوگرافياً وسيكولوجياً وبالتالي منطقياً إلى المنطقة الإسبانية، إنها إسبانية كأية مدينة أخرى في بلادي، فاللغة الإسبانية، هي لغة الفآت العليا والدنيا من أروبيين ومغاربة ويهود، وأسماء الأزقة، أو النقود المتداولة والصحف والمسرح وأناشيد الأطفال، هي أساساً إسبانية)⁽²⁾.

وهكذا بوقاحة وتعنّت يتحدثون عن بلادنا وعن قطعة غالية من ترابنا، جاهد شعبنا وملوكنا السابقون لافتكاكها من يد الغاصبين الرومانيين والبرتغاليين وغيرهم في غير ما فترة من فترات التاريخ، ويأتي أحد سفرائهم ليقول دون حياء أو خجل : إن طنجة مدينة إسبانية مثل بقية البلاد الإسبانية، وإن اللغة الإسبانية هي لغتها، وحتى أسماء أزقتها ودروبها تشهد بأنها إسبانية إلى آخر ما قال

لقد بقيت مدينة طنجة مطمع الدول الأجنبية وخصوصاً الدول الأروبية الثلاث، وخصوصاً الدولة الإسبانية، فاجتمعت المؤتمرات واللقاءات من أجلها في لندن وباريس، ونتج عن هذه المؤتمرات، ما أطلق عليه النظام الدولي لمنطقة طنجة الذي وقع عليه في 18 دجنبر 1923 والذي خضعت فيه طنجة للإدارة الدولية (التي أنشأت أجهزة وهيآت ومجالس تدير شؤونها وتمارس اختصاصات إدارية وقضائية واسعة فيها)⁽³⁾ ومعنى هذا أن سلطة السلطان عليها تبقى مقيدة بضرورة الرجوع إلى الدول الموقعة

(1) ملاح من تاريخ طنجة المعاصر للدكتور عبد العزيز خلوّق التسماني ص 48.

(2) نفس المصدر ص 49.

(3) نفس المصدر ص 64.

على عقد الجزيرة الخضراء في كل مايتعلق بشؤون تسييرها الادارية والقضائية والصحية وغيرها من قضايا الأمن والجمارك، أي أنها سيطبق فيها نظام الحماية المطبق في كل من المنطقة الخاضعة للنفوذ الفرنسي، والمنطقة الخاضعة للنفوذ الاسباني، وكل هذا ورد في المشروع البريطاني الذي بموجبه تكون خاضعة لسلطة دولية، مشابهة لما هو قائم في منطقتي النفوذ الفرنسي والاسباني، وكانت بريطانيا تهدف بهذا المشروع إلى عدم خضوع منطقة طنجة إلى النفوذ الفرنسي والاسباني، وإلى رفض أية سلطة حقيقية تبقى للسلطان، (وقد لفتت بريطانيا أنظار فرنسا بهذا الخصوص إلى أن اللجنة الصحية (رفضت اقتراحاً مغربياً بضم إثني عشر وجيها مغربياً إليها) وهو يعني بالوضوح إبعاد سلطة السلطان الذي كان يعني في نظرها إبعاد سلطة فرنسا وإسبانيا التي عن طريق السلطان يقع تدخلهما⁽⁴⁾).

كانت غاية فرنسا وهي تعمل على تدويل مدينة طنجة، إبعاد أطماع إسبانيا فيها، وضمها للمنطقة التي تحت نفوذها، ولما نجحت هي وانكثرت في ذلك، وجاءت ظروف الحرب العالمية الأولى وانتصر الحلفاء فيها، صارت تطالب بضمها إلى المنطقة الجنوبية التي تقع تحت نفوذها بحجج واهية صارت تدلي بها، من جملتها أنها هي التي تستطيع أن تحافظ على الأمن فيها، وصارت تبحث عن مؤيدين لها حتى من الانجليز أنفسهم، وهكذا صرنا نرى أن صحفياً انجليزياً يسمى «ولتر هاريس» يؤيدها في مطلبها فيقول : (عندما نعلم أن الانجليز يحتفظون أسراً بأسرها، قرب أسوار مدينة سبتة، وهي قلعة محصنة، يمكننا أن نتصور مايمكن أن يحدث في طنجة المدينة التي لا تتوفر على تحصينات دفاعية، وكما هو عليه الأمر في تطوان التي تحاصرها القبائل منذ بداية الاحتلال، فإن طنجة ستصبح بسرعة في وضع مماثل، وستسد أمامها جميع السبل، ولن تتزوّد بأي منتوج من الخارج، وستعرف البؤس والمصاعب التي تعرفها حالياً؛ عاصمة المنطقة الاسبانية : (تطوان).

وهكذا كان التآمر على طنجة من ذات اليمين، وذات اليسار، وكان المقصود الأول والأخير، هو تحقيق المصالح والمطامح الأجنبية، وإبعاد الأخطار التي تهدد تلك المصالح والمطامع، غير منظور بالكلية لحقوق المغرب ومصالحه وكرامته، وهكذا أمام تضارب المصالح الأجنبية تم إقرار النظام الدولي لمدينة طنجة في 18 دجنبر 1923. فما هو هذا النظام الدولي الذي أقرته اتفاقية دجنبر 1923 ؟

(4) تنظيم الحماية في المغرب للدكتور محمد خير فارس ص 72.

لقد أنشئت بمقتضى النظام الدولي عدة مجالس وهيآت تسير شؤون طنجة، فهناك ماكان يسمى بالمجلس التشريعي، وهو يقوم مقام المجلس البلدي، وهناك لجنة المراقبة وهي التي تسهر مبدئياً على تطبيق بنود المعاهدات الدولية بشأن المغرب، وهناك المحكمة المختلطة التي حلت محل القنصلية للنظر في الخصومات التجارية والمدنية والجنائية، وهكذا بمقتضى هذا النظام، أصبح (رجال الأعمال الأوروبيون واليهود الأثرياء مستأثرين بالوصول والجولة في ساحة طنجة المالية، وأصبحت طنجة مسرحاً واسعاً للتهريب والجناسوسية، وحلبة المنافسة الرأسمالية)⁽⁵⁾ وهكذا أثناء ظروف الحرب العالمية الثانية، وطنجة في الوضع المشار إليه، انقض علىها الاحتلال الاسباني الفرنكوي بكله بتاريخ 14 يـونـيـو 1940 ليضمها إلى نفوذ إسبانيا الفرنكوية، بدعوى انضمامها إلى المنطقة الخليفية المشمولة بحماية إسبانيا، ويطرد المندوب السلطاني من مركزه الشرعي، ويمكن ممثل ألمانيا النازية من مركز المندوبية لتصبح مركزاً له، الأمر الذي دعا جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس إلى الاحتجاج على هذا التدخل، ويرفضه، ويطالب المقيم العام الفرنسي إذ ذاك، باعتباره مسؤولاً عن القضايا الخارجية المغربية أن يرفع هذا الاحتجاج إلى السلطات الاسبانية. مطالباً منها أن تنسحب بجيوشها عن منطقة طنجة بأجمعها، وأن المغرب ملكاً وشعباً يرفض هذا الاحتلال الاسباني، ويعتبره مساساً بحقوقه واعتداء على سيادته، وعلى الشرعية الدولية المفروضة عليه بدورها وبقي جلالته محمد الخامس متابِعاً لهذه القضية، مثيراً لها في كل المناسبات التي تعن له حتى جاءت سنة 1945 لدى انتهاء الحرب، لتجلى إسبانيا عن منطقة طنجة، وترجع إلى ماكانت عليه، قبل انقضاء الجيوش الاسبانية عليها، وهكذا لم تأت سنة 1947 حتى يقرر محمد الخامس القيام بأول زيارة لها، وليؤكد مغربيتها وخضوعها مثل بقية أجزاء وأطراف النفوذ الملكي المغربي، للعرش المغربي رمز الوجود المغربي الدائم.

(5) ملاح من تاريخ طنجة لعبد العزيز خلوخ التسماني ص 64 و65.

زيارة جلالة محمد الخامس لباريز

كانت سنة 1944 سنة التحدي للاستعمار، فمطلب الاستقلال الذي تقدم به حزب الاستقلال في حادي عشر يناير 1944 فاجأ الدوائر الفرنسية على اختلاف اتجاهاتها وميولاتها، وزاد في اندهاش الفرنسيين الموقف الواضح الصريح الذي وقفه محمد الخامس إزاء فكرة الاستقلال، ومساندته المعنوية لحزب الاستقلال في مطلبه الذي كان بتنسيق كامل معه.

لقد كان الفرنسيون يظنون أن محمداً الخامس، لا يمكنه أن يتخذ أي موقف واضح صريح ضد معاهدة الحماية (1912) التي كانوا يعتبرونها العقد الدائم الثابت الذي لا يصوغ للملك ولا لغيره أن يتحداه ولذلك فإن حزب الاستقلال عندما طالب بالاستقلال، لقي العنت والرفض القاطع والاستنكار من طرف الإقامة العامة، ومن ممثلي فرنسا الحرة ورؤسها الجنرال دو كوكول، وتأكد موقف فرنسا عند ما وصل الوزير ماسيكلي إلى الرباط ليهدد ويتوعد باسم دو كوكول، ويؤكد أن فرنسا ملتزمة بعقد الحماية ولا يمكن أن تقبل أي تغيير فيه، وإن مساهمة المغاربة في الحرب وتحقيقهم لكثير من الانتصارات فيها، إن هو إلا ردٌّ للذين الذي عليهم من قبل «الأم الحنون» فرنسا التي أرجعت الهدوء للمغرب عندما كانت القبائل المغربية نائرة ضد الوضع في المغرب، والذي كان في الواقع ضد التدخل الأجنبي.

لقد كان الفرنسيون يتهددون ويتوعدون حزب الاستقلال ومن يساندونه ويسيروا في نفس النهج الذي يسير فيه، ويعنون بذلك في الواقع جلالة محمد الخامس الذي اتضح لهم أنه مغرم ببلاده، متشوق إلى تحريرها واستقلالها، وإن لم يصرح بذلك كامل التصريح وإنما كان يلوح به لدى كل مناسبة تعنّ له، سواء أثناء خطاب العرش مثلاً أو عندما يقابل بعض المسؤولين الفرنسيين الذين قال لهم في بعض مقابلاته : إن مغرب عام 1912 ليس هو مغرب عام 1944 وإذا كنتم ألبستموه قميصاً في ذلك الوقت، فإن ذلك القميص قد ضاق عليه، ويريد أن يبدله بغيره يكون أكثر سعة وراحة، ومثل قوله بعد اجتماعه بالرئيس روزفيلت : (مستقبل جديد لبلادي) وعندما زار فرنسا وقابل

رئيس جمهوريتها فانسان اوريول خاطبه قائلا : (لقد ضحى المغرب برجاله وثروته، وقدم موقعه الجغرافي لكم، وقد ساهمنا جميعاً من أول مغربي، إلى آخر مغربي في تحرير فرنسا في وقت كانت فيه في أشد الحاجة إلى ذلك، إن المغرب ليأمل أن تقوم الجمهورية الرابعة بالواجب عليها نحو جميع الشعوب التي هي الآن، في أوضاع شبيهة بالأوضاع القائمة في بلادنا، وذلك عن طريق منحها الحريات السياسية والاجتماعية وتوفير العدل والمساواة لها، ان عملاً كهذا، يساعد على تقوية العلاقات بين فرنسا والعالم الإسلامي، ويوثق روابط الألفة بين فرنسا والشعوب العربية، ويجب أن لا يغيب عن فرنسا قط أن المغرب الذي عرف كيف يضحى، يرغب أيضاً في تحقيق آماله)⁽¹⁾

يقول الأستاذ الانجليزي روم لاندو عن محمد الخامس : (بمرور الزمن، وازدياد الخبرة، أصبح سيدي محمد أكثر قوة، كما أصبح أكثر صراحة في التعبير عن آرائه، كان دائماً حريصاً على ألا يقوم بعمل، إلا متى اطمأن إلى أن الأكثرية الواعية سياسياً من شعبه تؤيده، وكان حريصاً على أن يصفى إلى مايمكن أن يدور على ألسنة شعبه، من آراء وعواطف) ثم يقول : (كان سيدي محمد حريصاً دوماً على أن توضع تصريحاته العامة، ومذكراته إلى الحكومة الفرنسية في صيغة لطيفة، تضيف عليها مسحة من الصحة والدقة، ثم يقول : وعندما كان يتاح له الأمر، ليقوم بمفاوضات سياسية، كان يظهر كثيراً من الدعة واللفظ مما ساعده على التغلب حتى على الذين كانوا يضمرون له روح العداء)⁽²⁾.

والواقع أن محمداً الخامس كان يحير الفرنسيين بقديسيته ولباقته وحنكته وثباته في مواقفه وانحيازه التام لمطامح شعبه، مع صدق لهجته، وحسن استقباله للجميع من يزوره ويتحدث معه حتى من الذين كان لايرضى عن سياستهم التي يتبعونها معه ومع شعبه، أمثال المقيم العام كابريل بيو، الذي كان يتقزز من تصرفاته ومعاكسته لمطامح شعبه. لقد كان يشعر أن الفرنسيين عموماً لا يريدون منه أن يتنكر لعقد الحماية المفروضة على المغرب، ويتبنون منه أن يسايرهم في مخططاتهم الاستعمارية، ويقف في وجه متطلبات شعبه، ولكنه دائماً كان يخيب مسعاهم، ويكون في جانب مطامح شعبه، فيخاطبهم باللين من الكلام واللباقة في الحديث، ولكنه في المواقف الصعبة يكون دائماً بجانب شعبه مدافعاً ومناصرأ، وفي الوقت نفسه سائراً في الخط الذي نهجه لنفسه أمام

(1) تاريخ المغرب لروم لاندو ص 273.

(2) نفس المصدر ص 256.

الأزمات الدولية، عارفاً الطريق التي يسلك — دون خضوع لما يريد الفرنسيون إملاءه عليه في بعض الظروف، كإملاء الجنرال نوغيس عندما طلب منه اضطهاد اليهود إبان الحرب، ومطالبته بأن يقاوم نزول الحلفاء في الشواطئ المغربية إلى غير ذلك من المواقف التي تبرهن عن علو همته، وسمو إدراكه، ونظراته البعيدة في سياسته واتخاذ قراراته مؤكداً دائماً وأبداً أنه سيبقى وفياً لتعهداته، سواء أيام الحرب أو أيام السلم. هذه الصفات، وهذه الأخلاق، وهذا التصرف السياسي النظيف مع الجميع، كان يدركه الكثيرون من الفرنسيين الذين أتيح لهم الاتصال به، والتعامل معه ومنهم الجنرال دو كوكول الذي رغم مواقفه المتحجرة فيما يتعلق بالموافقة على منح المغرب استقلاله، فإنه لم يستطع ولم تبح له عبقريته ونخوته وخلقه، أن ينسى المواقف الشجاعة والوفية التي وقفها محمد الخامس مع فرنسا أثناء فترات الحرب، سواء في وقت انهزامها أمام الطغيان النازي أو في وقت ارتجاعها لكرامتها وتحرير بلادها قرب انتهاء الحرب، ولذلك فإنه بعد تحرير فرنسا استدعاه لزيارة فرنسا للمشاركة في الاحتفال بذكرى إعلان المقاومة 18 يونيو 1945، فقبل هذه الدعوة مشروطاً أن لا تكون مطلق زيارة مجاملة واعتبار، قائلاً : (إذا زرت فرنسا، فيجب أن أعود بما يحقق المطامح التي يتطلع إليها شعبي) وهكذا زار فرنسا زيارة طويلة في الجملة، حيث مكث فيها ثلاثة أسابيع، زار خلالها كثيراً من المدن الفرنسية، وبعض المدن التي كانت توجد فيها جيوش فرنسية في ألمانيا، واستعرض فرق الجنود المغاربة الذين شاركوا في الحرب، وقلده الجنرال دو كوكول وسام التحرير الهام الذي لم يشاركه فيه غيره من الرؤساء والقواد العسكريين الذين شاركوا في الحرب، واعتبر الجميع تقليده هذا الوسام، اعترافاً من فرنسا وقائد تحريرها دو كوكول بجميله نحو فرنسا وحلفائها في معارك التحرير.

لقد كان دو كوكول يريد أن يترضى محمداً الخامس بالتقرب منه والتحدّث معه، وكذلك كان يفعل الجنرال كاترو الذي أكثر من الاتصال به خصوصاً بعد تعيينه (كاترو) مندوباً عاماً في أفريقيا الشمالية إثر تحرير باريس في 24 غشت 1944 ولكن هذه الاتصالات والزيارات والحفاوة الكبيرة، لم تكن تهدف إلا إلى شيء واحد، هو إبعاده عن فكرة الاستقلال وحزب الاستقلال، وقبوله لبعض الإصلاحات التي تقترحها الحكومة الفرنسية في دائرة الحماية التي لا يجوز مطلقاً الخروج عنها، وعن المعاهدة التي فرضتها فرنسا عام 1912 ولكن محمداً الخامس كان يدرك تمام الإدراك، ما تهدف إليه هذه الاتصالات والاستقبالات، ويصر كل الإصرار كلما عنت له مناسبة على ضرورة تغيير الأوضاع في المغرب، واستبدال القميص الذي ألبسوه للمغرب أي عقد



دو كول يقلد وسام التحرير لجلالة محمد الخامس

الحماية، بقميص أوسع الذي هو الاستقلال، وفي الوقت نفسه، بقي ارتباطه بحزب الاستقلال ورجاله موثقاً ومضاعفاً، سواء أثناء اعتقال الكثيرين من زعمائه، حيث بقي اتصاله محكماً بالذين لم يعتقلوا، أو بعدما انفرجت الأزمة اثر انتهاء الحرب وتحلر المعتقلون الذين كانوا في السجون أو في المعتقلات أو المنافي، أمثال الزعيم المرحوم علال الفاسي الذي أفرج عنه في سنة 1946 بعدما مكث في الاعتقال تسع سنوات، أو الأمين العام للحزب المرحوم الحاج أحمد بلافريج الذي بقي منفياً في كورسيكا نحواً من عامين ونصف، وزادت الاتصالات وتوثقت، وتواصل التعاون مع محمد الخامس في سنة 1946 وما بعدها إلى الخمسينات، وما وقع فيها من أحداث جسام، كما ستحدث عنه ان مد الله في الأجل، ووقفنا لصالح العمل إن شاء الله.

وبمقدار ما أراد كابريال بيو المقيم العام الفرنسي أن يبعد ما بين محمد الخامس وحزب الاستقلال، بمقدار ما زاد إصراره رحمه الله على توثيق الروابط والتعاون بينه وبين القادة الوطنيين الذين أخلصوا له وللمغرب وللعرش المغربي، وأخلصوا للعهد الذي أقسموا عليه أمام المصحف الكريم وأقسم هو بدوره أمام كتاب الله على أنهم جميعاً سيسيرون في الكفاح والجهاد إلى أن يتحرر المغرب من العبودية والاستغلال، ويتحقق الاستقلال والتحرر من كل عبودية واستغلال وهكذا لم تات سنة 1956 حتى تحقق وعد الله الذي وعد به المومنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده، فرجع محمد الخامس من منفاه السحيق حاملاً في يديه الكريمتين لواء النصر والتمكين والفتح المبين، تالياً ما قاله رب العالمين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ صدق الله العظيم.

من ذكرياتي في السجن

الحياة في الزنزانة

ذكريات السجن وغرائبه ونكته متعددة، وقد يكون سماع بعضها فيه متعة للقارئ والسامع، وذكرى وعبرة لمن حفظه الله، لا في موضوع ما يلاقيه السجناء أحيانا من متاعب، قد لا يتحملها بل لا يصدقها من لم تمر عليه محن السجن وتنوعها، ومن لم يذق آلامها وهواجسها، ويعجيني أن أسجل هنا وأنا أستحضر بعض ذكرياتي عن السجن والسجناء الذين شئت الأقدار أن يرافقوني أثناء سجنى المرات المتعددة والتي تعتبر السجنة التي أتحدث عنها الآن هي السجنة الرابعة والتي قضيتها سجيناً نحو العشرين شهرا أو تزيد.

كانوا يأذنون لنا بالخروج من زنازننا، نصف ساعة في الصباح، ومثلها في المساء، لشتم الهواء، وتغيير المناخ، وكانت الساحة التي نتمشى فيها مربعة في الأصل مغطاة بقضبان من حديد غليظ، وبنا في وسطها جدارا ممتدا من الركن اليميني إلى اليساري (من زاوية اليمين إلى زاوية اليسار) فأصبحت الساحة مقسومة إلى مثلثين، يفصل بينهما جدار فيه باب صغير من حديد وعندما نخرج إلى الاستراحة، نقسم نحن بدورنا، فبعضنا يقصد مثلث اليمين» وبعضنا الآخر يدخل مثلث اليسار، وأصوات هؤلاء وأصوات الآخرين يسمعونها كل منهما، وبينما نحن نتمشى وكان معنا المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، ولم تكن لديه سيجارة يدخنها، ولم يكن رحمه الله يطيق أن لا يدخن، فعبد الرحيم صبور متجلد، قوي الإرادة، صعب المراس، ولكن عادة التدخين، أو محنة التدخين، لم تفارقه طوال حياته، كان عبد الرحيم يتمشى كعادته بخطى سريعة وهو صامت، وما لمح حارس السجن في السطح يشرف علينا وعلى كتفه بندقيته، حتى أشار إليه إشارة استعطاف، بأصابع يده أن مُدني ومُنَّ علي بسيجارة، وعطف عليه ذلك الحارس، فرمى له سيجارة، واحدة التقطها عبد الرحيم بلهف ورغبة وشوق، ولكن أين هو عود الكبريت الذي يشعل به السيجارة، الحارس في السطح قد اختفى عن الأعين، ونحن بجانبه لاندخن، وليس عندنا حب ولا مئيل للسيجارة، ولا شوق إليها، وكان أخونا قاسم الزهيري في المثلث الآخر من الساحة الملتصق بنا، فنادى عليه عبد الرحيم : قاسم ! قاسم ! قاسم

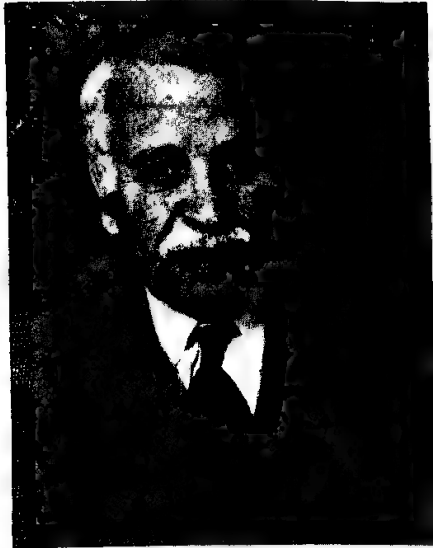
عندي سيجارة، ولكن ليس عندي ما أشعلها به، فهل لك أن تجد عوداً للثقاب تمدني به ؟ لندخن معا قبل فوات الوقت، وبحسب قاسم بسرعة عن عود للكبريت، واستطاع أن يحصل عليه، فخاطب عبد الرحيم قائلاً : إرم لي بالسيجارة من تحت الباب الفارق بيننا لأشعلها، فأجابه عبد الرحيم : إرم لي أنت عود الكبريت، لأشعل أنا السيجارة لأدخن وأترك لك جزءاً منها ولكن قاسم أصرَّ على أن يشعل ويدخن هو الأول، فما وسع عبد الرحيم إلا أن يرمي له السيجارة من تحت الباب، فأشعلها قاسم وصار يدخن، وانتظر عبد الرحيم أن يرمي له السيجارة مشتتة كما اتفقا، لكن قاسم استلذ السيجارة، ولم يطلق فراقها بسرعة، فصاح عبد الرحيم : أعطني سيجارتي، أعطني سيجارتي، فهناك رماها له من تحت الباب، فجذبها عبد الرحيم جذبة قوية، إثر ما وضعها بين شفتيه، وطفق دخانها يتعالى ويتعالى وتتعالى معه كثير من الأحلام وضحكنا نحن واستمتعنا بنشاط أخويننا، وحصولهما على سيجارة واحدة اقتسماها فيما بينهما.

كان الشهران الأولان في السجن، بعد حوادث 11 يناير 1944، قاسيين جداً لا من حيث المقام في الزنازة المكتظة بالمسجونين فحسب، ولكن من حيث قلة الأكل أو فقدانه بالمرة، في بعض الظروف، ذلك أن إدارة السجن لم تسمح بأن يوجه لنا أهالينا وأسرنا ما نسد به رمقنا، ولكنها أصررت على أن نكتفي بما يهبىء السجناء من حُساء (صوبة) وهي عبارة عن ماء أسود، تجعل فيه بعض الحبات من الفول أو العدس مع بعض أوراق يقولون إنها أوراق بعض الخضراوات، وتقدم إلينا حوالي الحادية عشرة صباحاً وحوالي الخامسة مساءً، مع خبزة صغيرة باردة، لا تسمن ولا تغني من جوع، وهذا ما جعل الكثيرين يتدمرون من قلة الأكل، ومن الجوع الشديد، واستوى في هذا أبناء اليسورين، وأبناء الفقراء،

و ذات يوم، ونحن نتمشى في الساحة التي خصصت للمسجونين أثناء فترة الاستراحة (بروموناد) وكانت لا تزيد عن نصف ساعة في الصباح، ونصف ساعة في المساء، أحياناً، بينما نحن نتمشى أطل علينا من فوق السطح حارس من حراس السجن، وكان متزوجاً بمخادمة سبق لها أن اشتغلت خادمة بمنزل أحد إخواننا المسجونين، أقول أطل علينا وأدار وجهه ذات اليمين وذات اليسار، ليتأكد من عدم مراقبته من أي أحد، ثم رمى بخبزة كبيرة محشوة بالزبدة الطرية، فأرادت كثيرة من الأيدي أن ترمي عليها، وتشوف الكثيرون من السجناء الى تذوقها والتهامها. ومحافضة على النظام، وخشية من فقدان العدل في تقسيمها وتوزيعها، احتفظ بها عند أمين، حتى ندخل جميعاً إلى زنرانتنا، وبمجرد دخولنا، كان الكثيرون ينتظرون حظهم من الوزيجة، فعهد الإخوان إلّني بتوزيعها

وتقسيمها، على أساس أن الجميع له الحق في أخذ قطعة مهما كانت صغيرة منها» أخذت الخبزة، وصرت أسأل الواحد تلو الآخر، هل تريد أن تنال حظك وقسمتك ؟ فالقليلون تنازلوا، والكثيرون طالبوا بنيل حقهم، وهكذا قسمت تلك الخبزة على نحو العشرين فردا. ومادمت تحدثت على آلام الجوع، ومشتبهات الجائعين لأكل الخبزة التي تبرع بها الحارس، فلأتحدث عن قصة طريفة، توضح الجو الذي كان يعيشه السجناء معنا، وتصور ما كان عليه بعضهم من مرح ونشاط رغم المتاعب والأهوال، وما كان عليه آخرون من انفعال وضعف وخوف وانزعاج.

كان الليل قد أرخى سدوله، وكل واحد منا أخذ مكانه وامتد فيه يتحدث مع مجاوره أو يحكي له بعض الحكايات، ويغف آخرون في نومهم غير مباليين ولا مكثرتين لا بالجوع ولا بغيره، كان الهدوء يسود الزنزانة، والظلام سجي جميع النائمين أو المتحدثين. كنت ممتدا في ركن من أركان الزنزانة، فإذا بي أسمع من ينادي علي باسمي من الركن الآخر : أسيدي بوبكر أسيدي بوبكر، جلست وأجبت : من ينادي علي ؟ وماذا وقع ؟ أجابني المنادي إن الذين بجواري يتآمرون علي لقتلي، قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ماذا تقول ؟ واستيقظ النائمون جميعا إلا القلائل يتساءلون : ماذا يقول هذا المنادي الذي كان في حالة من الذعر والخوف ما الله به عليم، فنادت عليه، اطمئن ولا تخف، قف من مكانك، واقرب منا، لتكون مرتاحا بجانب من تثق بهم من إخوانك فلا يمسك أذى بحول الله، وقام رحمه الله حاملا فراشه وغطاءه ونام قريبا منا. مرتاحاً مطمئناً.



الدكتور محمد زهير



العلامة السيد أبو بكر زهير

مزاح مزعج

ولكن ماهي قصة هذا المنادي المزعج ؟ لقد امتد في مكانه مثل بقية السجناء، وكان قريبا منه سجينان آخران يتحدثان مع بعضهما، قال أحدهما للآخر : لقد أضربنا الجوع، والأكلات التي تقدم لنا لاتسمن ولاتغني من جوع، فهل سنبقى هكذا حتى نموت جوعا ؟ فأجابه الثاني : وماسنعمل ؟ وكيف نستطيع أن نحصل على مايشبعنا ونحن هنا في غيابات السجن ؟ وممنوعون من كل تحرك ؟ القضية صعبة يا أخي، وليس لنا من حيلة إلا الصبر والرضا بما قدر الله، وفكر الأول قليلا، وكان شيطاننا مريدا، ومرحا كثيرا، ثم نطق قائلا : لقد وجدتها لقد وجدتها، ماذا وجدت ؟ أجاب الثاني. فرفع رأسه وصار ينظر فيمن حواليه من السجناء النائمين، ثم قال : لنبحث عن شخص من هؤلاء النائمين، يكون عريضا سمينا دسما، يشفي لحمه غلتنا، ويطفىء جوعنا، ولنذبحه في خفاء عن أعين الناس، ولنتلذذ بلحمه وشحمه الأيام العديدة حتى يفرج الله عنا، فأجابه الثاني : فكرة صائبة، ولكن ماذا سيكون موقفنا إذا ما افتقده الحراس الذين يعدوننا في الصباح والمساء، وماذا سنقول لهم إذا ما سألونا عنه ؟ ففكر الأول مرة ثانية، ثم أجابه قائلا : لقد وجدتها، لقد وجدتها. وماذا وجدت ؟ تحتفظ برأسه عندنا كما هو، وعندما يدخل الحارس ليعدنا، نجعل ذلك الرأس بين كتفي وكتفك، حتى إذا ماصار الحارس يعدنا، يرى الرأس فيما بيننا، فيحسبه واقفا معنا، ولا يشعر أنه غائب أو مفقود، وهكذا تنطلي عليه الحيلة، ونكون نحن قد قضينا لبائتنا، واستمتعنا بأكلاتنا، وتغلبنا على آلام الجوع الذي كاد يقطع أمعائنا. فأجاب الثاني إنك شيطان ماهر، ومدبر ماهر، ولكن من هو في نظرك، الشخص الصالح المتوفر على الشروط الضرورية، لنستمتع بلحمه وشحمه، ونتلذذ بأطرافه بعد تفصيله وتقطيعه، ونقضي على ألم الجوع بالتهام قطعه اللذيذة من فخذه وأذرعته. قال الأول لقد ألقيت نظرة فاحصة على السجناء النائمين معنا، فما وجدت شخصا أصلح، ولاذاتا أسمن من جسم. فلان وذكر اسم المنادي علينا، انه متوفر على كل الشروط التي ذكرنا، وليس علينا إلا أن نتكل على الله، ونباشر العمل، قبل أن نهلك، وأدرك شهرزاد الصباح، فسكت عن الكلام المباح.

كان صاحبنا المنادي عليّ. ينصت باهتمام للحوار الذي كان يجري بين السجينين الجائعين، ولربما استهواه هذا الحوار الذي يدرك أنه مجرد هراء لقضاء الوقت، والمتعة بالحديث، لتقريب النوم إلى النائمين، ونسيان هموم السجن والجوع والغربة عن الأهل

والأحباب والأبناء، ولكن ما إن سمع اسمه ينطق به ليكون الضحية، حتى دخله الملح والخوف، فحسب ماصرح به المتحاوران العاثران يمكن أن يتحقق، وما يعيثان به ويمزحان، قد يصبح حقيقة واقعية، فلم يشعر إلا وهو يجلس في مكانه، وينادي ياسيدي بوبكر، إن هؤلاء، أرادوا أن يفتكوا بي، ويقتلوني، وما كان هناك عزم على الإذابة، أو إمكانية للاعتداء، ولكنه مكر السخرية، ووحى آلام السجن والجوع. فدعوت الخائف المنزعج إلى الاقتراب منا، والنوم باطمئنان إلى جانبنا، حتى لا يصيبه مكروه ولا إذابة من أي مكر أو عاث.

وجوه في السجن

ذات مساء ونحن قابعون في زنزانتنا الكبيرة، إذا انفتح الباب ليدخل علينا جماعة من الإخوة كانوا معتقلين بمعتقل «كان كارني» العسكري، لم أعرف البعض منهم لأول وهلة، لأنه أصبح ملتجيا أكثر من اللازم، ولم تمس لحيته أية شفرة للحلاقة، طول إقامته في المعتقل، ولعلها دامت أسبوعين أو أكثر. وكان من بين هؤلاء الذين التحقوا بنا شيخ جليل، وعالم كبير، ومفت مبرز، هو شيخنا العلامة المرحوم السيد أبو بكر بن الطاهر زنيير، ومعه ولده الأخوان : الطاهر ومحمد، كما كان من جملة الوافدين علينا الحاج محمد بن شقرون، والمرحوم عبد السلام النجار والطاهر بوخريص والحسين العلمي ومحمد النجار وعبد المجيد حركات وعبد السلام أعمار وغيرهم، لقد ظهر الانبساط على وجوههم عندما التحقوا بنا، وشعروا كأنهم خرجوا من الجحيم، والتحقوا بدار النعيم، فالجو عندنا رغم قساوته، يختلف عن الجو المشحون بالإرهاب الذي عانى منه إخواننا في معتقل «كانكارني»، لقد رحبنا بهم، وأنسناهم، وأنسونا، وخففنا عليهم آلامهم التي ذاقوا منها الأمرين، من لدن العسكريين القساة الغلاظ القلوب، صاروا يحكون لنا ماقاسوه من آلام ومحن، خصوصا المرحوم عبد السلام النجار، الذي كنا نطلق عليه (شرطي الوطن) والذي قام بدور هام وجريء وشجاع يوم المظاهرة، فلقد كانوا يلزمونه بخدمات يندى لها، الجبين، كانوا يأمرونه بخلع قميصه، ليخفف به الزنانة التي يقطن بها هو وإخوانه الوطنيون، ثم يلبسها على الحالة التي هي عليها. ولعلمهم أشبعوه سوطا أثناء خدمته، وكذلك كان تعاملهم مع شيخنا العلامة زنيير، لم يحترموا شيبته ولا علمه، ولم يحنوا لضعفه وعجزه عن المشي، بالإضافة إلى معاناته النفسية عندما رأى نفسه في تلك الحالة، ورأى ابنه الوحيدين يعانيان مايعاني رحمهما الله، وكيفما

كان الأمر، فقد ارتاحوا كامل الارتياح بعدما التحقوا ببناء، وارتفعت معنوياتهم بالالتقاء معنا، واحتسبوا لله مالاقيه في سبيل الكرامة والعزة والحرية التي يضحون من أجلها... كنا نجلس جميعا نتبادل أطراف الحديث، ونعلق على الأحداث. وكان إخواننا وأبنائنا من حولنا، مطمئنين مرتاحين، راضين بما قدر الله عليهم، مؤملين دائما في الانتصار، كان البعض يقضي وقته في قراءة القرآن والمذاكرة. والبعض الآخر، في تعليم المبتدئين بعض القواعد والمبادئ الأساسية، وآخرون يمضون وقتهم في التعاليق والأحاديث والحكايات، إلى غير ذلك من الأمور، التي يحاولون بها، أن يقتلوا الوقت ويمضوه بالمفيد وغير المفيد، ولاتسأل عن التعاليق عن بعضهم بعضا، فهذا جالس جلسة تدل على أنه قلق ويفكر في المصير، وذاك نادم على دخوله في الفضول الذي أودي به إلى هذا المصير.

إلى غير ذلك من التعاليق التي كان يقبلها البعض ويعتبرها من قبل المستملحات، بينما يتقزز منها الآخرون ويعتبرونها من الأكاذيب والمختلقات، كان أخونا المرحوم أبو بكر السماحي، يجلس القرفصاء متكئا على الحائط، وعلى رأسه طربوشه العادي، وفي عنقه فوطة، يُلَفُّها أحيانا على وجهه، ولاحظ الأخ البقالي أن السماحي متشبه كل التشبه بفوطته، لا يكاد يفارقها ولا تفارق وجهه، ولربما رأسه ففكر ودبر، ونطق وأجهر، أن السماحي فضحه الشيب الذي صار يغطي وجهه ورأسه، فلقد كان يتغلب عليه بالحناء والصبغة السوداء قبل السجن، أما الآن فقد افترض كل شيء، ولم يبق لتستر أن يتستر، فليحمد الله على شيبته، وليعتقد أنه بلغ من الكبر عتيا، والتحق بصفوف الشيوخ، ولم يبق من زمرة الشبان. وهكذا كان يتنذر معه، ونحن نصت ونبتسم، ونشاركهما مزاحهما، وكان من جملة المسجونين معنا، بعض الشبان الصغار، أمثال المرحوم عبد الرحمان بن عبد العالي ومحمد بن عياد وعبد العزيز النجار، وكانوا



عبد العزيز النجار



محمد بن عياد

رغم صغرهم أقوياء بمعنوياتهم، لطفاء في معشرهم، ولا أنسى موقفا شهما نبيلاً كريماً رأيته من عبد الرحمان بن عبد العالي، لقد لاحظ أن بعض رفقاءه الوطنيين يلبس لباساً رثاء، لا يكاد يقيه من البرد، ففي تلقائية وتطوع «خلع جلبابه — ولعله كان له اثنان — وألبسه إياه، ليستوى وإياه، لقد أثر في ذلك الموقف الذي وقفه شاب في مقتبل العمر، وليس له ولا لوالديه من الإمكانيات الشيء الكثير، ولكنه أرى أن يرى الضعيف في الحالة التي لم ترضه، وفي هذا من خلق الإيثار ما لم يتصف به إلا القليلون، وخصوصاً من فآت الشبان الصغار، الذين تربوا على الأخلاق الإسلامية المثلى التي تدعو إلى الإحسان وبذل المعروف، وأن تحب لأخيها ماتحبه لنفسها.

وخلة أخرى أو صفة أخرى لاحظتها ونحن في سجننا هذا وفي زنازتنا هذه، هي خلة الحنان والعطف الأبوي، لقد قلت إن الفقيه زينير التحق بنا هو وابناه، وكان القانون الداخلي للسجن، يسمح للسجناء الذين لهم في صندوق السجن بعض المال، أن يشتروا بعض ما يحتاجونه من دكان السجن (الكاتينية) التي تعرض للبيع، نوعاً خاصاً من التبغ، ومثل السكر والشاي، ومثل المربى، وماشاكل ذلك من الضروريات الأساسية، وكان أحد الكتاب الملحقين بالدكان المذكور، ويكون عادة من السجناء، يطوف هو وحارس معه، على المساجين، ليسجل ما يطلبونه مما هم في حاجة إليه، وقد كان المرحوم المهدي بن بركة في بعض ظروف سجنه مكلفاً بهذه المهمة. فصار بعض إخواننا، وبالأخص المدخنين، يطلبون الدخان (للتبغ) ولاحظت أن الفقيه زينير نفسه، سجل نفسه في لائحة الطالبين للتبغ، وعرفت بعد ذلك أنه لم يطلبه لنفسه بالطبع، وإنما طلبه ليدفعه لابنه الصغير إذ ذاك محمد، الذي كان يتطلع إلى أبيه، ليشتري له بعض السجائر.

مكثنا هكذا مجتمعين مختلطين، فينا الوطنيين الذين عرفوا مقاصدهم ومطالبهم، ومعنا من جرّه السيل لاغير، ولربما كان مارا في الطريق، فأتهم بأنه شارك في المظاهرة، فاعتقل مع المعتقلين، ولكن لم تمض إلا نحو الخمسة عشر يوماً أو أكثر بقليل على هذه الحالة، حتى صار يستدعي بعض الأفراد للاستنطاق، وكانت البداية بالذين لم يعرف عنهم انتهاء وطني، وكان من جملة هؤلاء السادة : الصديق عواد ومحمد بن سالم الصفار وغيرهما من الذين لم تحضرني أسماؤهم، هؤلاء اكتفى بما قضوا من أيام في السجن، فأطلق سراحهم، وكان آخرون كان لهم انتهاء، ولكن طلب منهم أن يتبرعوا ويلتزموا بأن لا يعودوا إلى الإخلال بالأمن العام، ففعلوا وأطلق سراحهم، وللأخ البقالي مع هؤلاء تعليقات ومباسطات، وآخرون حكموا عليهم بمدد مختلفة، تبتدىء بالشهر وتنتهي بالسنة، أي منهم من كان جزاؤه قضاء شهر في السجن، ومنهم أكثر من ذلك إلى

السنة الواحدة، وتوالت الاستدعاءات، وتبعتها الأحكام، وصار يتناقص عددنا شيئا فشيئا، إلى أن بقينا نحن الأربعة : عبد ربه وعبد الرحيم بوعبيد وقاسم الزهيري ومحمد البقالي مضافا إلينا سجين آخر هو محمد (فتحنا الناصري) وكانت موجهة إليه تهمة خاصة، لم نستدع نحن للاستنطاق، ولم ندر السبب، ولكن علمنا بعد ذلك بكثير، أن الإدارة الاستعمارية، كانت تُبَيِّتُ لنا نحن الأربعة المذكورين، لنقدم إلى المحكمة العسكرية، كمسؤولين أساسيين عن كل الأحداث التي وقعت بسلا، ونظرا لقلتنا فلقد نقلنا إلى زنزانة أصغر من التي كنا فيها، ثم صرنا ننقل من زنزانة إلى أخرى، إذا ما التحق بنا بعض المعتقلين من مدن أخرى، وبالأخص من مدينة فاس التي التحق بنا منها بعض الإخوة منهم المرحوم الشهيد الحسن بنشقرون ومنهم السيد عمر الأغزاوي والمعلم زيزاح وابن زاكور وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم وأنا أسجل بعض الأحداث التي لم أسجلها مع الأسف في حينها، ولم أرد أن لا أسجل ولو بعضها التي احتفظت به الذاكرة بعد مضي أزيد من خمسين سنة (1944 — 1995).

* * *

لا أدعي وأنا أسجل أحداثا وقعت قبل نصف قرن من الزمان، أنني أكتبها مرتبة الترتيب الزمني الحقيقي، ولكنني أسجلها أحيانا مرتبة تقريبا، وأحيانا أخرى، يكون ترتيبها غير مؤكد عندي، وربما يتأخر الذي يجب أن يقدم، ويقدم الذي يجب أن يتأخر. والذي أحرص على تسجيله هو الحدث بعينه لتاريخه، والأحداث والوقائع التي أسجلها والتي احتفظت بها ذاكرتي رغم مرور خمسين سنة، ليست من نوع واحد، وليست لها الأهمية المتماثلة، أو القيمة التاريخية الهامة، ولكنها تختلف كل الاختلاف في أهميتها، وقيمتها، وإن كانت بالنسبة لي، تعكس الاهتمامات التي كانت عندي في تلك الفترة، أو التي كان لها أثر في نفسي، أو التي كان الجانب العاطفي، هو الذي جعلها تبقى عالقة في ذاكرتي. أو التي تصور ولو بتقريب، الجو الذي كنا نعيش فيه داخل السجن رغم ظروف المحن.

نداء من الشهيد أحمد بن عبود

لقد انفتحت أبواب السجن المدني بالرباط أمامنا عشية يوم ثلاثين يناير 1944 أي بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال بعشرين يوما، وذات ليلة ونحن في زنزانة صفري في السجن في القسم الذي كانوا يسمونه بالقسم الأوروبي *criter européen*، وكانت قد

مضت على سجننا نحو الخمسين يوما، سمعت في غسق الليل، صوتا ينادي علي باسمي : أسيدي بوبكر أسيدي بوبكر، أرخيت أذني، وأرهفت سمعي، واستيقظ من كانوا معي في الزنزانة، ومنهم علي ما أظن : عبد الرحيم بوعبيد، محمد البقالي، قاسم الزهيري، يونس نكروف، أنصتنا جميعا لهذا الصوت المنطلق من بعيد، ومن ثقبه مفتاح باب الزنزانة — حسب ما قدرنا — فإذا هو يقول : لاتخف علي، لاتخف علي، أنا أحمد بن اعبود. وسكت الصوت، وانطلقنا نفكر ونخمن ونؤول، ماذا يقصد ابن عبود من قوله هذا، ولماذا يقول : لاتخف علي، وكل ما استطعنا أن يصل إليه تخميننا، هو أن أحمد بن اعبود، يوجد معنا في السجن، وأنه عانى من الامتحان، وغنا ونحن نفكر، والفكر مشغول بما قاله ابن اعبود، وفي الصباح الباكر أو في المساء — لست أدري بالضبط — وحركة السجن هادئة، فتحت النافذة الصغرى الواقعة في دقة باب الزنزانة، فإذا هو سجين ملتح عليه وقار، وكان اسمه علي ما قيل لي عبد السلام الجيلي الجأش، ينادي علي ويكلمني بسريّة ليقول : (إن الشاب ابن اعبود السجن، أخذوه إلى المقصلة، لينفذ فيه حكم الإعدام، ولقد قضيت معه ليلة إعدامه أذكره وأسليه، فإذا هو ثابت مستسلم لقضاء الله، غير منزعج ولا خائف) ولم أتذكر أن قال لي الفقيه المذكور إنه يبلغك سلامه أو لم يقل لي ذلك، ولكن الحقق عندي أنه رحمه الله هو الذي أعطاه اسمي، وطلب منه أن يخبرني بالمصير الذي ينتظره، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وهنيئا له الشهادة في سبيل الله، وهنيئا له الثبات والسكينة التي أعطاه الله، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ فَرَجِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ صدق الله العظيم، ويقال إن روحه طارت إلى ربها قبل إطلاق الرصاص عليه.

لم أعرف مقصود الشهيد ابن عبود من قوله : لاتخف علي، حتى خرجت من السجن، الذي قضيت فيه عشرين شهرا تقريبا، فلقد حكى لي الصديق المرحوم الحاج أحمد بناني أن الفرنسيين كانوا يتآمرون ضدي، وضد بعض إخواني الموجودين معي بالسجن، لتقديمنا إلى المحكمة العسكرية بتهم التحريض والقتل في الغالب، ولربما كانوا أثناء استنطاق ابن اعبود وتعذيبه، يطلبون منه أن يصرح بأننا نحن الذين دفعناه إلى اغتيال الشرطي «دافيد»، الذي اتهم بقتله، ولعل الله سبحانه قوّاه وثبّته، فلم يلب رغبتهم، ولعل ذلك هو الذي دفعه وهو يعلم أنه مقبل على الموت، أن ينادي علي ليقول : لاتخف علي.

لقد أحدث إعدام الشهيد ابن اعبود، والشاب الشهيد المختار جازوليت ورفقاؤه الأربعة ومنهم الشهيد العربي الشاوي عضو جمعية الاتحاد الرباطي السلوي الرياضية والمعروف بمول الجورنال ومحمد الغماري من قصبة الودايا ومحمد الصحراري وكل هؤلاء مدفونون بمقبرة يعقوب المنصور بالرباط، أما الشهداء الآخرون في الرباط وهم الصديق احساين والهاشمي القسطلاني ومحمد الوزاني الجبلي فمدفونون بمقبرة لعلو. لقد أحدث إعدام الشهداء في ليلة عيد المولد النبوي رجة في نفوسنا، نحن داخل السجن، ولقد شاهدت المرحوم السيد إدريس ابن اعبود شقيق المرحوم أحمد بن اعبود يكي ويتألم ويدعو لأخيه ومن معه، وبعض إخوانه المسجونين معه، محيطون به، يصبرونه ويشبتونه، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

لقد اتهموا أحمد ابن اعبود، بأنه هو الذي قتل الشرطي دافيد يوم المظاهرة، ولست أستبعد أن يكون هو الذي قتله لما رآه يصوب مسدسه أو بندقيته للمتظاهرين الوطنيين، ولكنني لست متأكدا مائة في المائة أنه هو القاتل، فلم يتح لي أن أعترف إلى حقيقة الأمر، والشيء الذي بلغني — ولم أتأكد منه أيضا — أن الذين كانوا يستنطقونه طلبوا منه أن يتهم بعض الأشخاص — وأنا منهم — بأنهم هم الذين حرضوه على القتل ولكنه تحت التعذيب والإرهاب، ربما ذكر لهم اسما آخر أو أسماء أخرى، لم يكن قصدهم اتهامها أو الإضرار بها، وكل هذا، مجرد أقوال، والحقيقة كما هي عند رب العالمين.

زيارة مفاجئة

جاء يوم عيد الأضحى، ونحن أربعة أشخاص في زنزانتنا، نتذكر ونتنذكر، ويوم عيد الأضحى يوم تعطل فيه الأشغال في السجن. ويرتاح السجناء من متاعب الخدمة، وقيل لنا إن إدارة السجن تعمل على الترفيه على المسجونين جميعهم، بمناسبة العيد، ولذلك فإنهما تخصص كبشين أو ثلاثة أو أكثر للذبح، ليذوق السجناء اللحم في ذلك اليوم الذي هو يوم عيد، وحتى تعطى للعيد قدسيته الدينية، فإنها تسمح لبعض السجناء أن يؤدوا صلاة العيد في ساحة السجن، ولعل الذي أم بهم صلاة العيد، وخطب خطبة العيد، أخونا المرحوم السيد قدور الورطاسي، ولست متأكدا أكانت هذه الصلاة في هذه السجنة بالنسبة لي، أو كانت في سجنة أخرى قبلها، وكيفما كان الأمر فإن الأكباش قد ذبحت، والمساجين ذاقوا قطعة من لحمها مهما كانت صغيرة.

والذكرى التي أحتفظ بها في ذهني، وأريد أن أسجلها بمناسبة يوم عيد الأضحى

في السجن، أنا ونحن جالسون نتحدث ونشرب الشاي — شاي السجن يختلف عن الشاي خارج السجن، وبالأخص في مناسبة العيد، أقول بينما نحن جالسون نتحدث، سمعنا مفتاح باب الزنزانة يوضع في القفل، والباب يفتح بسرعة، ليدخل علينا المرحوم المهدي بن بركة، وفي يده صحن، فيه قطع مشوية من كبدة العيد. كانت مفاجأة جد سارة، وكانت لحظات فيها التقاء وعناق بعد طول غياب، وكانت أحاديث فيها ذكريات، وفيها انبساط، نسينا فيها أننا في السجن، فاقدون لحريتنا، مغبونون في تصرفاتنا، محكوم علينا أن تضمنا زنزانة لا تتعدى مساحة أربعة أمتار في أربعة على أكثر تقدير، ومع ذلك كنا سعداء كل السعادة بزيارة أخ من إخواننا لنا ولو لمدة محدودة جدا، لا تتعدى الستين دقيقة، صرنا نتناول ما أتانا به المهدي من كبدة العيد، مصحوبة بكؤوس من الشاي، وإثر الانتهاء من تناول الكبدة، بادر عبد الرحيم بوعبيد فأشعل سيجارته، وتبعه المهدي وإن كان غير مبتلي بالتدخين الكثير — وتبعهما قاسم، الزهيري وأخذ البقالي سيجارة بدوره وإن كان من باب الفضول، لأنه لا يدخن، ولم يبق بعيدا عن التدخين إلا عبد ربه، ولاحظ المهدي أنني لا أدخن مع أن كل الحاضرين شادون بأناملهم سيجاراتهم، ويتتبعون دخانها الصاعد إلى أعلى يتلوي، ورؤسهم مرتفعة إلى السماء، وكأنها بعد استنشاق أنوفهم لرائحة التبغ، وتعالى الدخان إلى أعلى، ترتفع نفوسهم إلى عالم آخر علوى، فتجلب الانبساط والانشراح والهناء، لاحظ أنني لا أحمل في يدي سيجارة كما يحملونها، ولا أعب دخانها كما يعبون، ولا أرميه من أنفي كما يفعلون، ولربما ظن أنني لا أسعد ولا أنشرح كما يسعدون وينشرون، فما لبث أن أخذ سيجارة جديدة، وقدمها إليّ ملحا كل الإلحاح في قبولها — لأنه لا يخرج من الجماعة إلا إبليس — وثني عبد الرحيم عليّ ما قاله المهدي، وتضامن باقي الحاضرين معهما ضدي، والكل يضحك ويمرح، ويطلب بأن أدخن كما يدخنون، خصوصا واليوم يوم عيد، والعيد في السجن يختلف عن العيد في غيره من الأيام، والتدخين بعد أكل كبدة العيد، فيه نكهة، لا يمكن أن يأتي الزمان بمثله، ولم يبق المهدي من العاجزين، بل بادر فأشعل واحدة من عود الكبريت، وألزمني أن أضع السجارة بين شفتي، ليلتئم شمل سجائر المجتمعين في هذه الزنزانة الضيقة، لم يسبق لي أبدا أن وضعت سيجارة في فمي، ولذلك فأنا لا أعرف كيف يمتص المدخنون سجائرهم، ليطلقوها عنيفة أو متددة من أنوفهم، ولكني قلت : هذا ما قدر الله عليّ في هذا اليوم المبارك السعيد، فلا بد من الامتنال، وإلا قامت قيامة السجناء، ولربما يخلّون بالأمن العام داخل السجن، وتقوم قيامة المسجونين الآخرين، ولربما يحتج الكثيرون منهم، لأنهم لم يتمتعوا وتلذذوا بأكل الكبدة

كما تلذدنا، ولم يدخنوا ويشربوا الشاي المنع كـ شربناه، فتتطور الأحوال، وتعظم الأمور، وتضطر إدارة السجن إلى الاستغاثة بالجنرال لوكير الذي استغاثت به الإقامة العامة، عندما ألقت القبض علينا، فيضيفون تهمة جديد إلى ملفنا، وتتضاعف مدة إقامتنا بالسجن، كما هي تتضاعف الآن، حيث أننا نحن الأربعة لازلنا لم يقرر في مصيرنا، فامتناعي عن التدخين ومشاركة إخواني المدخنين، أقل مافيه أنه يدفع المكروه، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتذكرت قصة حكوها عن أحد الصالحين، أن بعض مريديه زاروه يوم عيد المولد النبوي وكانوا صائمين، فصاح فيهم قائلاً : إن هذا اليوم الذي أشرقت فيه الأنوار، بمولد سيدنا محمد المختار، لا يمكن أن نقضيه مثل ما نقضي بقية الأيام بل، لابد فيه من التزاور والتبريك، وتقديم التهاني لبعضنا البعض، والظهور بمظهر المستبشرين السعداء الفرحين، فلا يليق أن نكون صائمين غير متناولين لما لذ وطاب من المشروبات والمأكولات، فرحاً بمقدم النبي وولادته، وتوسيعاً على الأهل والعيال والأولاد وزيارة الأقارب والأحباب، والأيام التي تليه كافية إن شاء الله لتطويع فيها بالصيام تقريباً إلى العلي الكريم الديان) وهكذا انصرفت لما طلبوه متى وإن لم أذق له طعماً.

المهدي بن بركة يعطي دروساً داخل السجن

كان الوقت وقت فصل الشتاء، ولعله كان شهر دجنبر 1944، ولم يبق لإطلاق سراح المهدي على ما أظن إلا نحو الشهر أو الشهرين، بينما كنا ننتظر ماذا سيقرون في مصيرنا، فالمهدي رحمه الله ألقى عليه القبض في شهر فبراير على ما أظن، وحكم عليه بسنة واحدة سجن، قضى بعضها في زنزانة خاصة، وقضى الكثير منها كملحق بإدارة السجن، يساعدهم في الحسابات، وتسجيل ما يطلبه السجناء من مأكولات وغيرها من الأشياء المعروضة للبيع داخل السجن، وقد يتساءل البعض كيف ساغ للمهدي أن يزورنا في زنزانتنا يوم العيد، مع أن السجناء لا يتمتعون بأي حق قانوني يسمح لهم بمفارقة زنازينهم، والاتصال بغيرهم، إلا بإذن خاص من المحكمة، وتحت المراقبة الشديدة، ولكن المهدي كان له وضع خاص في السجن، وهذا الوضع لم يأت من المحكمة، وإنما من إدارة السجن نفسها، ومن مهنة أستاذية الرياضيات التي كان يتعاطاها، فغير خاف أنه تخرج من جامعة الجزائر كأستاذ في الرياضيات، ونبوغه في الرياضيات كان مضرب الأمثال في وقته، وبعد رجوعه من الجزائر، تعاطى المهنة التدريس وكمتمخرج في الرياضيات، عين أستاذا للرياضيات في «ليس كورو» وهناك

ذاع صيته حتى في أوساط الفرنسيين الذين كان أبناؤهم يدرسون عليه في الليسي كورو، رغما من أن الإدارة الفرنسية كانت تعلم حتى العلم اتجاهه السياسي، ورغما من أن الفترة الحاسمة في تاريخ المغرب، وهي الفترة التي تقدمنا فيها بوثيقة المطالبة بالاستقلال، أدت به إلى السجن، فإن ما عرفه عنه بعض الفرنسيين ومنهم مدير السجن أو رئيسه عن طريق أبنائهم وبناتهم، جعلت المدير أو الرئيس يغتنم وجوده في السجن ليعطي دروسا في الرياضيات لابنه أو بنته، وهكذا دعي المهدي ليكون ملحقا بإدارة السجن لتحصل منه الفائدة مزدوجة، فهو يساعد الموظفين الإداريين في بعض الأوقات، وهو يعطي الدروس لبنت أو ابن المدير في أوقات أخرى، وهذا ما قربته إلي المدير، وهو ما أعطاه بعض الامتياز داخل السجن، ومساعدة المسؤولين له في بعض ما يطلبه منهم، وهذا هو الذي سهل عليه أن يزورنا يوم العيد، ليقضي معنا ساعة من أسعد ساعات العمر، رحمه الله.

ازدياد ابنتي «كريمة»



بنتي كريمة

من الذكريات ما لا ينسى أبد الدهر، خصوصا إذا كان لتلك الذكرى وقع في النفس، وتحريك للعاطفة المتأججة في القلب، ومن تلك الذكريات التي أشعر من ذات نفسي كأنها وقعت بالأمس القريب، مع أنها قد مضى عليها أزيد من خمسين سنة، وصول خبر ازدياد ابنتي كريمة» كان ذلك في شهر غشت من سنة 1944، وقد مضى على وجودي في السجن سبعة أشهر، كنا

خرجنا من أزمة الجوع التي طالت نحو الشهرين، سمح لأسرنا أن تمدنا ببعض الأكلات، أحيانا مرة واحدة في الاسبوع مثل بقية المساجين، وأحيانا أخرى تصل لبعضنا أكلة يومية خصوصا في شهر رمضان، وكانت عادتنا أن نؤخر الغداء أو العشاء، حتى تقفل أبواب الزنازن، حيث نتجمع جماعة أو جماعتين أو أكثر، حسب عدد الأفراد الموجودين في الزنزانة، وكانت جماعتنا الخاصة تضم : عبد الرحيم بوعبيد وقاسم الزهيري ومحمد البقالي، ولربما كان معنا غيرهم، وكانت والدتي وزوجتي رحمهما الله، لا يستقر لهما قرار، ولا ترتاح نفسيهما إلا إذا وجها لي يوميا طعام الغداء، أو الافطار في رمضان، مع شاب صغير

كان يشتغل معنا في البيت، ويتقد ذكاء وحيوية ونشاطا، وكان له من الاهتمام بي، وبايصال الأكلة إلى في الوقت المحدد، ما كان يلفت الأنظار، فمن الصباح الباكر، وهو ينادي عليهم في البيت، هل أعددت الأكلة «العزيزي» ليكون موجودا في الوقت المناسب ؟ وبتاريخ 30 غشت 1944 الموافق لليوم العاشر من رمضان 1956. ضاء بيتنا بازدياد مولودة مباركة سعيدة، أدخلت السرور والخبور على جميع أفراد الأسرة، وبالأخص والدتها التي رأت فيها صورة طبق الأصل لزوجها المعتقل من طرف السلطات الاستعمارية، لقد تغيرت أجواء بيتنا بازدياد هذه المولودة، وأتى إلى بيتنا أعمام المولودة وأخواها ليقدموا التهاني والتبريكات للزوجة النفساء، ولوالدتي العزيزة، ولجد المولودة وجدتها من طرف أمها، لقد تغيرت ملامح البيت، ودبّ فيه النشاط، ونسي الجميع الهموم ولو لبضع ساعات، ونادى عليهم الشاب الصغير المكلف بإيصال طعام الإفطار إلى في السجن قائلا : لا تنسو أن السجن يقفل أبوابه إثر صلاة العصر مباشرة في هذا الشهر الذي هو رمضان، وإذا لم أتمكن من الوصول إلى السجن قبل ذلك، فسيبقى «عزيزي» دون إفطار، ولم يمض إلا وقت قليل حتى كان الشاب آخذا طريقه إلى حي الرمل، حيث يركب القارب (الفلوكة) التي تنقله إلى ضفة الرباط، ومنها يأخذ طريقه إلى السجن قرب قصبة الأوداية. (سجن لعلو) كان الشاب واقفا بباب السجن في الوقت المناسب، حيث دفع للحارس المكلف بحيازة الطعام الذي أتى به، ليوصله إليّ، فأخذت الطعام ووضعت في ركن الزنزانة في انتظار أن يصل وقت الإفطار، ووقت الإفطار في شهر غشت يطول، فلا بد من الانتظار الطويل، لا لتقفل علينا الأبواب فحسب، ولكن لنبقى ننتظر غروب الشمس، وسماع طلقات المدفع المنبئ بدخول وقت الإفطار.

كل واحد منا كان يملاً وقته بما يريد، فلقد كانت عندنا بعض كتب المطالعة، وكان البعض يأخذ في بعض الألعاب الورقية، كنت أقضي كثيرا من أوقاتي، إما في المطالعة وإما في تلاوة القرآن سرا، ومن نعم الله عليّ التي أشكره عليها، أنني لم أنس القرآن، بل بقيت حافظا له، مداوما على تلاوته، سواء في أيام السراء أو أيام الضراء. والقرآن الكريم أنيس من لأنيس له، مسلي من لامسلي له، مجلي ظلمات النفس، وموعظ من أراد الله به خيرا أن يتعظ به، فرجائي من ربي تعالى أن يوفقني للتدبر في معاني القرآن، والسير على منوال تعاليمه وتوجيهاته في حياتي، إنه مجيب الدعوات.

آذن وقت غروب الشمس، فصرنا نهيء إفطارنا، ونرهب سمعنا لطلقات المدفع، المنبئة بحلية الإفطار، أطلقنا الإزار الذي كنا نأكل عليه، أمامنا، ورتبنا المأكولات التي كانت عندنا من حريرة وتمر وماوصلنا من طعام، وما أن سمعنا طلقات المدفع، حتى

ابتدأنا إفطارنا ببعض التمرات، وثنيها بشرب الحريرة، ثم تناول واحد من الإخوة خبزة من الخبزتين اللتين جاءتا من بيتي، وصار يقسمها بيننا نحن المتحلقين حول (السفرة) إن صح أن نعبر عن الإزار المفروش أمامنا بهذا التعبير، وتناولت قطعتي من الخبز لأشعر في الأكل، لاحظت في جنبها شيئا بارزا بعد الشيء وغير عادي فدعاني الفضول لمعرفة ما يكون، فإذا هي ورقة صغيرة جدا ملوية ليا دقيقا جدا في حجم أو شكل عود أو إبرة غليظة، ومحشوة في جنب الخبزة بمهارة حتى لا تكتشف ولا يشعر بها ولا يتبينها أحد، مهما دقق النظر، لا يتجاوز طولها خمس سنتيمترات وعرضها أقل من ذلك جذبت تلك الوريقة الصغيرة جدا، فإذا فيها كتابة بخط صهري المرحوم عبد المجيد الجعيدي، يخبرني فيها باقتضاب كبير بأنه ازدادت لدي بنت في نفس اليوم ويبارك لي ويهني بسلامتها وسلامة أمها، وما كدت أتم قراءة تلك الكلمات المقتضبة، حتى صحت في إخواني بصوت جهوري : خير سار، خير سار، ماذا تقول ؟ لقد ازدادت لدي في هذا اليوم مولودة سعيدة، انبها الله نباتا حسنا، صاح الجميع ومن أبلغك الخبر في هذه الساعة ؟ أطلعتم واحدا واحدا على الورقة، وهم يتعجبون كيف اهتدى مرسلها إلى طريقة توجيهها بهذه السرعة، ويهتوني بدورهم بمولودتي الكريمة صانها الله وأكرمها. ومضت ثلاثة أيام أو أربعة، ليزورني في السجن واحد من أقاربي، ولعله صهري عبد المجيد رحمه الله، ليسألني عن الاسم الذي اخترته لمولودتي العزيزة فقلت : سموها «كريمة» فلقد أكرمني الله بها، ولم يأت هذا الاسم الذي اخترته لكريمتي دون إجماع من ربي، فلقد كنت في ذلك الأسبوع أقرأ شفاء القاضي عياض بشرح (القاري) على ما أظن، وبينما أنا أنتقل من باب إلى باب، ومن موضوع إلى موضوع، إذ أقف من جملة ما أقف عليه على محدثة عالمة شهيرة، روت للبخاري وغيره إن لم تخني الذاكرة، روى عنها القاضي عياض، وترجم لها شارح الشفا : العلامة القاري المذكور، فأخذتني حياتها أخذا، وتعرفت إلى علمها ونسكها ودرجتها في رواية الحديث. اسمها «كريمة المروزية» منسوبة إلى مدينة «مرو» وقالوا عنها إنها عاشت أزيد من تسعين سنة، ولم تتزوج قط، بل وهبت نفسها وكليتها ووقتها لحديث سيدي رسول الله ﷺ، وهكذا عندما خبرت بازدياد ابنتي، قررت أن أسميها «كريمة» تأسيا وتبركا بهذه المرأة العالمة المومنة المهتمة بحديث سيد الخلق أجمعين، وهكذا أسموها كريمة كما قررت، وهكذا نشأت نشأة صالحة، أدعو الله أن يبارك في عمرها ويجعلها من الصالحات آمين.

ومادمُ تحدثت عن ميلاد ابنتي «كريمة» وخبر وصول ولادتها إلي وأنا في السجن، فلاذكر أنني لم أرها للمرة الأولى إلا بعد مضي بضعة شهور، لم أرها ولم أقبلها وأنا

صورة أم كريمة حرم المؤلف
التقطت لهما قرب جرة العقبة
بمبنى



صورة صهر المؤلف
المرحوم سيدي عبد المجيد الجعيدي



صورة الولد الذي كان يوصل
طعام الإفطار إلى المؤلف
في رمضان في السجن واسمه عبد الواحد

معه في بيتنا وإنما رأيته لأول مرة، وأنا بباب محكمة «سلا» حيث أتي كنت دعيت للاستئناف من طرف خليفة الباشا عبد الرحمان الصبيحي مع المندوب الخزني الفرنسي، وبعد خروجي من المحكمة، كان جمهور من الوطنيين، واقفين ينتظرون خروجي وكان أفراد من أسرتي واقفين أيضا ينتظرون رؤيتي، ووسط الزحام كان واحد من أفراد الأسرة في يديه المولودة الصغيرة «كريمة» وهي لم تبلغ الشهرين أو الثلاثة أشهر من عمرها، فاقترب مني وحاذاني لأنظر وجهها المشرق وأقبلها بسرعة تحت رقابة الحراس الشديدين، دون أحملها أو أضمرها إلى صدري على الأقل، ثم أغادرها إلى السجن لأغيب عنها نحو العام أو أكثر أو أقل، لست أدري بالضبط.

وبالمناسبة أذكر أن ضرسا، كانت تؤلني ألما موجعا وأنا بالسجن، فاعتنمت فرصة وجودي بالمحكمة، لأطلب من الذي استنطقني أن يعطي تعاليمه للمسؤولين في السجن، كي يسمح لي بزيارة طبيب أزيل الضرس التي توجعني كثيرا، ولا تتركني أرتاح أو أنام بالمرّة، وهكذا هداه الله بالفعل فبعد رجوعي إلى السجن ومرور يوم أو يومين أخذني حارس مزود بالسلاح إلى مصحة تقع بحي سيدي فاتح بالرباط، حيث استقبلني فمرض (لا طبيب) فأجلسني فوق مقعد عادي، ثم أخذ قطعة من قطن، غمسها في مائع، لعله مخدر بعض الشيء، ثم وضعها فوق ضرس، وأخذ «كلابا» ولست أدري أسمّي الله أم لم يسمّه، ثم ضغط بأصابعه على الكلاب، لينزع الضرس من مكانه، وأحمد الله أن قوّاني وثبتني، فتحملت آلام النزاع. دون أن يقع ما يكدر، الأمر الذي جعل الممرض يهتني على تحملي وصبري، وعدت إلى السجن مع الحارس، حامدا الله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

زيارة ابني خالد لي في السجن

ذكرى أخرى عاطفية تذكرتها، بعد كتابتي لما ذكرته سابقا، وهي تتعلق بابني الأكبر «خالد» أصلحه الله، لقد ازداد «خالد» يوم 13 ذي الحجة 1361 الموافق 22 دجنبر 1942، ولدى دخولي إلى السجن، كان عمره لا يتجاوز العام الواحد وتسعة وثلاثين يوما، وبالرغم من صغر سنه، فقد كان متعلقا بوالده، أكبر تعلق، ناطقا باسم «بابا» — في كل وقت وحين، وكان يبلغني ذلك وأنا بالسجن، فتتحرك عاطفتي طبعاً، وأتمنى لو رأيته وناغيته ولاعبته (والمال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولكن (البقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) بلغ «خالد» العامين وأنا بالسجن وكان يردد كلمة

«بابا، بابا» في كل الظروف، وذات يوم قرر خاله أن يزورني بالسجن، فبعد حيازته الإذن بالسماح بزيارتي، وكانت وسيلته للذهاب إلى الرباط، دراجة هوائية، فتعلق به «خالد» ليذهب معه لزيارتي، فما وسعه إلى أن أركبه خلفه في الدراجة، والتي كان يسميها «بوكليتا» ووصلا إلى سجن الرباط، ونادى الحارس عليّ وأنا بزنزانتني ثم أخذني إلى القفص الحديدي (PARLOIR) حيث وجدت صهري مولاي عمر، واقفا وراء الشباك بجانبه الطفل الصغير «خالد» كذلك وما أن سلم عليّ الصهر، وما أن صرت أخطب ابني الصغير وأناديه، وأفرح به، وهو ينظر إليّ بشوق، ويريد أن يرتني علي، والحراس ينظرون إليه بعطف وحنان، وضاق الطفل من حرمانه من عناقي وتقبيلي، واغتاض أشد الغيظ من الشباك الحديدي، الذي يحول بينه وبينني، فصار يدفع ذلك الشباك برجليه، ويديه، يريد أن يتقدم ليعانقني وانطلق ييكي ويكي حتى حنّ لبكائه الحراس، وأشفقوا عليه، وعلى أبيه، فخرج أحدهم من القفص وحمله بين يديه، ليدخله إلى السجن، ويلتحق بي من الجهة التي كنت فيها في القفص، ليعانقني، فأقبله وأعانقه، وأطفئ ظمأه وظمي بعناق حار، منبعث من عاطفة متأججة، وحبّ أبوي عفيف وشوق طاهر نقي، من ولد صغير محروم من والده نحو العامين.

إطالة خاطفة على بلافرج في زنزانته

انقطعت عنا ونحن في السجن أخبار ومصير الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلا فرج، الذي قامت قيادة مختلف الطبقات الشعبية لدى إلقاء القبض عليه من طرف السلطات الفرنسية، فعمت المظاهرات والإضرابات كثيرا من المدن المغربية، وارتاع الفرنسيون من قوة وتنظيم هذه المظاهرات، فقاوموها بالعنف والشدة والقساوة والرصاص، وسقط الشهداء صرعي في كل من الرباط وسلا وفاس وغيرها، واحتلت الجيوش الفرنسية أحياء هذه المدن وأزقتها وحتى سطوحها، وتوالى إلقاء القبض على الوطنيين ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية والمدنية، إلى غير ذلك من الأحداث التي تعرضنا وتعرض لها في هذه المذكرات بحول الله.

أقول انقطعت عنا أخبار بلا فرج منذ إلقاء القبض عليه، وذات يوم وأنا بزنزانتني في سجن الرباط، ضمن عدد من إخواني المسجونين، فتح أحد الحراس باب الزنزانة، وكان الوقت بعد الزوال، والسجن هادئ من كل ضوضاء، نظرنا لأن الوقت وقت راحة فنادى عليّ الحارس قائلا : إئت معي، ثم قفل الباب بهدوء، وأخذني معه أمام

باب زنزانة قرية مني، حيث فتح النافذة الصغيرة الواقعة في الباب، والتي يراقب الحراس منها المسجونين في الزنزانة، ويطلون عليهم، سواء في الليل أو النهار، وقفت أمام النافذة الصغيرة لأجد الحاج أحمد بلا فريج، واقفا داخل زنزانتة، وكأنه ينتظري، كانت مفاجأة سارة لي، حيث اطمأنت لوجوده وصحته رغم ما عاناه من محن — الله بها عليم — ابتسم على عادته رحمه الله لرؤيتي، وانبسط كثيرا لسلامتي، بادرت فخاطبته قائلا : طمّني أولا على صحتك، فأجاب أنا بخير والحمد لله، قلت له : كيف تعامل الفرنسيون معك عند إلقاء القبض عليك، هل عذّبوك وضربوك أثناء الاستنطاق، مثل ما فعلوا مع الآخرين ؟ فأجاب : لم يكن ضرب ولا تعذيب، ولكن هناك تعذيب نفسي، ومعاناة كبيرة أثناء الاستنطاق الذي دام ليلا ونهاراً دون توقف، وقلت له : وماذا استطاعوا أن يحصلوا عليه منك ؟ فأجاب : لم يستطيعوا أن يحصلوا على أي شيء. صار الحارس المغربي، يستعجلني لإنهاء الحديث، فلم أستطع أن أتبادل معه من الحديث أكثر من هذا، فودعته مسرعاً، ليرجعني الحارس إلى زنزاتي، لأحكي لإخواني ما جرى بيني وبين بلا فريج من حديث قصير ولأطمئنهم على صحته، ولم تمض إلا أيام بعد ذلك، حتى بلغنا أن بلا فريج نفته السلطات الاستعمارية إلى كورسيكا.

انتقالنا من سجن الرباط إلى سجن العذير

مكثنا في السجن المدني بالرباط نحن الأربعة : (1) أبو بكر القادري (2) عبد الرحيم بوعبيد (3) قاسم الزهيري (4) محمد البقالي نحواً من عشرة أشهر دون محاكمة، وذات يوم بعد مرور المدة المذكورة استدعينا إلى المراقبة المدنية بمدينة سلا، ولست أدري كيف قابلنا أحد المسؤولين الفرنسيين ؟ ولكنني أذكر أننا قضينا ليلتنا بسجن المراقبة، وكان يسمّى «بيبي» وإطلاق إسم «بيبي» على السجن الصغير بالمراقبة المدنية، يعود إلى أن المسؤول عن ذلك السجن كان يدعى «بيبي» فأطلق إسم المسؤول عن المعتقل، على مكان الاعتقال، فكان المراقب المدني أو المندوب المخزني إذا ما أراد اعتقال شخص اعتقالاً موقتاً، يأمران بإرساله إلى «بيبي» ريثما يُنظر في أمره، ولقد سبق لي أن تشرفت بالإقامة في هذا السجن الصغير، قبل هذا التاريخ، وهو عبارة عن بيت يقع في طرف من أطراف المراقبة المدنية، مسامتا ملتصقا بسور المدينة القريب من باب الخباز (أبو خبزة) ولا يشتمل لاعلى فراش ولا ماء ولا حتى مرحاض، وكان يكس فيه السجناء



الابن خالد القادري الذي زارني في
السجن وهو في الثانية من عمره

تكديسا، قضينا ليلة كاملة في هذا المعتقل قبل أن نقدم إلى خليفة باشا سلا الثاني عبد الرحمان الصبيحي قبل أن نُحال بعد ذلك على محكمة الجنايات بالرباط، وبينما نحن جالسون في ركن من أركان السجن المذكور، إذ فتح علينا الباب، فدخل علينا المرحوم عبد السلام بنسعيد من شباب الحركة القومية، وكان من الذين وقع اعتقالهم في الأحداث، ثم أفرج عنه، ولقد ذكر لنا أنه طلب رخصة من المسؤولين ليزورنا ويطمئن علينا ؟

أحلنا على محكمة الجنايات بالرباط، وبعد استنطاقنا بحضور محامينا وكان من بينهم المرحوم إدريس المحمدي الذي قال لي بعد سراحي من السجن إنه اعتمد على الأجوبة التي أجبت بها لدى استنطاقنا، ومن جملتها استنادنا إلى المواثيق الدولية للمطالبة بالاستقلال، والتي منها الميثاق الأطلسي الذي يضمن الحقوق للشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، اعتمد على كل ذلك أثناء مرافعته للمطالبة بإطلاق سراحنا. ولكن قرار السجن والمدة، كانا اتخذنا في غيبة عن الحكام المغاربة، وكان دورهم الوحيد أن يبلغونا ما قرره الأسياد الفرنسيون، وهو قضاء سنتين في السجن لكل واحد منا.

لم نكن في الواقع نعبأ بهذا، فسواء أكانت مدة السجن سنة أو سنتين أو أكثر من ذلك، فإننا ما ولجنا هذا المعترك حتى كنا مستعدين لتحمل عواقبه، مهما كانت قاسية وبعد، صدور الأحكام علينا، أرجعونا إلى السجن المدني بالرباط في انتظار نقلنا إلى سجن «العذير» قرب مدينة الجديدة، مارين في طريقنا إلى السجن المذكور على سجن الدار البيضاء لست أنسى ذلك الصباح الباكر الذي نودي علينا فيه أن نتهيأ للرحيل، إلى أين ؟ لسنا ندري، إنما الذي علينا أن نهى أنفسنا للانتقال، ونأخذ معنا ما كان مودعا لدى إدارة السجن من ساعاتنا اليدوية وبعض الدراهم المعدودة التي كانت لدينا في الصندوق، ونخرج تحت حراسة الحراس إلى باب السجن لنجد سيارة من سيارات السجن المقفلة، وهي تشبه سيارة رجال الأمن التي تكون جوانبها أو نوافذها بالأحرى مغلقة بشبائيك حديدية، وكراسيها من خشب صلب، يؤلم مقعد الإنسان الجلوس عليه، خصوصا إذا كان نحيف الجسم، وفي مقدم السيارة جلس حارسان مسلحان، بالإضافة إلى «سائق السيارة الذي هو حارس أيضا. وفي مؤخر السيارة كرسيان، جلسنا نحن الثلاثة : أبو بكر القادري عبد الرحيم بوعبيد وقاسم الزهيري في الكرسي الأمامي أما المقعد الخلفي فجلس عليه محمد البقالي، ولست أتذكر أكان معه محمد الناصري أم لا ؟ في المقعد الأمامي من مؤخر السيارة، كنت جالسا في الوسط، وعن أحد جانبي عبد الرحيم بوعبيد، وفي الجانب الآخر قاسم الزهيري، ويدي اليمنى مرتبطة بالسلسلة

الحديدية. مع واحد من الأخوين، ويدي اليسرى مرتبطة بالسلسلة أيضا مع يد الآخر، أما يدا الأخوين الآخرين، فهي مربوطة بقضيب حديدي في نافذة السيارة، وانطلقت السيارة باسم الله مجراها ومرساها، متجهة في طريق الدار البيضاء، ونحن رغم كل هذا في غاية النشوة والانشراح، فلقد مضت علينا أيام وأسابيع، وقبلها شهور، لن نشم فيها هواء الصباح العليل، ولم نر فيها المارّة في الطريق، والآن هانحن نرى الناس يمرون أمامنا، فهم من يمشي مسرعا إلى عمله، وفهم من يمشي مشيا متثدا، وها نحن نرى بعض النساء يسرن في الطريق، يا للعجب ! لازالت النسوة موجودات يمشين على البسيطة، لقد أفتقدنا حتى النظر إليهن، ولو من بعيد طوال عشرة شهور، صرنا ننكث ونطلق التعاليق مع بعضنا، وكأننا نشطنا من عقال، وانطلقت أفتح نشيدا كنت أحفظه منذ مدة، وانطلق إخواني يرددونه معي، بصوت شبه جهوري، وكأننا في نزهة وساعة مرح، والنشيد لساعر سوري لعله حلیم دموس، ولعله لغيره، يقول الشاعر في قصيدته عن السجن :

ياظلام السجن خيم	إننا نهوى الظلاما
ليس بعد الليل إلا	فجر مجيد يتسامى
أيها الحراس رفقا	واسمعوا منا الكلاما
متعونا بهواء	منه كان حراما
إيه يادار الفخار	ومقرر المخلصينا
قد هبطناك شابا	لايابون المنونا
وتعاهدنا جميعا	حين أقسمنا اليمينا
لن نخون العهد يوما	واتخذنا الصديق دينا
يارنين القييد زدني	نعمة تشجى فؤادي
إن في صوتك معنى	للأسى والاضطهاد
فاشهدن ياانجم أني	ذو وفاء وودادي
لست والله بناس	ماتقاسيه بلادي

سارت السيارة، ونحن لاندري أين تتجه بنا وأخيرا وجدنا أنفسنا أمام باب سجن (غبيلة) بالدار البيضاء، حيث فتحت أبواب السجن أمام سيارتنا، لنزل منها ويأخذنا الحراس إلى زنزانة كبيرة، لاوطاء فيها ولاغطاء، ثم يقفلون علينا الباب، دون أن ينبشوا ببنت شفة أمامنا، لقد قضينا مدة عشرة أشهر في سجن الرباط، وكان لنا حصر للنوم

وكاشة (ملاءة) للغطاء، وها نحن افتقدنا هنا حتى الأقل القليل مما نتقي به البرد القاسي، وهل ستبقى الحال هكذا ؟ كنت لابسا جلبابا غليظا بعض الشيء، وكان لونه أخضر زيتي، كان اشتراه لي صهري سيدي عبد المجيد الجعيدي رحمه الله من الأتواب التي كان يبيعها الجنود الأمريكيون في مدينة القنيطرة، وكان على كتفي سلهام أسود من ثوب يسمى بالملف فلم يسعني إلا أن أنزل السلهام (برنس) من فوق كتفي، وأطلقه بجناحيه، فوق الأرض لنجلس جميعاً فوقه، اتقاء لبعض البرد، جلسنا نتحدث مع بعضنا دون جزع أو تشكُّ، وقضينا ليلاً على تلك الحالة، وفي اليوم الموالي أخذونا مرة أخرى إلى باب السجن، ولحمت في طريقي المرحوم محمد المدور وسط ساحة السجن حيث وجدنا سيارة بوليسية تنتظرنا لتقلنا إلى سجن العذير، قرب مدينة الجديدة.

وقبل أن أتحدث عن وصولنا لسجن العذير، ومقامنا فيه، لابد أن أعطي فكرة ولو مختصرة عن سجن البيضاء الذي قضينا فيه ليلتنا، ثم رجعنا إليه بعد قضاء فترة زمنية — نسيت مدتها — بسجن العذير.

في سجن غبيلة

سجن «غبيلة» إن لم تخني الذاكرة يختلف كل الاختلاف عن سجن الرباط بمرتفع «لعلو»، فسجن لعلو بالرباط لم يبن أساساً كمقر للسجناء، باستثناء القسم الأوربي فيه، وإنما كان على ما يظهر معداً لحزن وادخار بعض المعدات الحربية من بارود وغيره، وكان يشتمل على غرف كبرى مظلمة، وليس فيها إلا طاقات في سقوف البيوت، تعطي بعض الضوء، كما أنها لاتشتمل إلا على مرحاض واحد في كل غرفة، والداخل لتلك الغرف الكبرى يشعر بضيق كبير خصوصاً إذا كانت ممتلئة بالسجناء، ومدخل السجن ضيق ومظلم، ولايستثنى من هذا الوصف إلا الجناح الأوربي العلوي، الذي قضينا فيه بعض المدد ونحن بالسجن.

أما سجن «غبيلة» فقد بني في الأصل على أساس أنه سجن، ولذلك فإن هندسته تختلف عن سجن الرباط، فعندما يصل السجين إلى باب السجن، يواجه بباب حديدي أول، تليه ساحة صغيرة (إن لم تخني الذاكرة) ثم يواجه بباب ثان حديدي أيضاً، وبجانبه بعض المكاتب للمدير والرئيس (الشاف) والحراس الذين يستقبلون الضيوف السجناء بمنتهى مايكون من الاعتبار، فيخففون عنهم الانتقال، ويأخذون كل مافي جيوبهم من دراهم وأوراق وأقلام، وينزعون من أياديهم الساعات إن كانت في أيديهم الساعات،

السجن المدني

PRISON CIVILE



مدخل السجن المدني بالدار البيضاء
الذي اعتقل فيه المؤلف عدة مرات

ويأخذون منهم الكتب إن كان في أيديهم كتاب، ولا يبقون لهم إلا الملابس التي على ظهورهم في انتظار أن تنزع هي بدورها بعد ذلك.

بعد الإجراءات التي تجرى على كل سجين لدى دخوله إلى السجن، أخذنا الحراس إلى الزنزانة التي استقرروا فيها مؤقتا. في انتظار نقلنا إلى سجن العذير، قرب مدينة الجديدة حسب ما ذكرت قبلا، مررنا بمر كبير طويل متسع لا تلاحظ فيه إلا بعض أبواب حديدية مغلقة، ومن جملتها باب يدخل إلى الحمامات التي يستحم فيها المسجونون ثم توجد ساحة مسقفة وفي جانبيها ممرات تؤدي إلى زنازن السجناء، والزنازن متنوعة فمنها المتوسطة والكبرى والصغرى، والزنزانة التي قضينا بها ليلة واحدة، متوسطة ووجدناها ساعة دخولنا غير مفروشة لاجباص ولا بغيره، كما أشرت إلى ذلك من قبل. في صباح باكر، نودي علينا أن نستعد لمغادرة الزنزانة التي قضينا بها ليلتنا، ثم امتطينا سيارة السجن تحت حراسة الحراس وبعض رجال الأمن، وكما وقع من قبل، قيدت أيدينا بالحديد، وربطت بالسلاسل، ثم قصدت السيارة السجن الفلاحي الواقع بين آزمور والجديدة — وفي هذا السجن أعدم كثير من المقاومين

بمجرد ما وصلنا لجنابات السجن، أخذونا إلى غرفة كبيرة، وأمرونا بنزع ثيابنا كلها بما فيها الثياب القصير (Slip) فبقينا عراة كما خلقنا ربنا، والواقع أنني ترددت كثيرا في نزع الملابس الخفيفة ومنها الثياب، ولكن الأوامر كانت نهائية، ولاتقبل المناقشة، وبالرغم أن الفصل فصل شتاء، والبرد قارس، فإن تطبيق الأوامر لاهوادة فيها، بعد نزع الملابس أخذونا إلى الحمام (الدوش) ونحن نرتعش، حيث صُبَّ علينا الماء، ونسيت أن كان بارداً أم دافعا ثم رجعنا إلى غرفة الملابس، حيث لبسنا ثيابنا، واسترجعنا أنفاسنا، لقد كنت في تلك اللحظات شبه موقن، بأن نزلة بردية ستلحقني، لأنني لم أكن متعودا أصلا على العرى في رياضة ولا في غيرها، فلقد نشأت في صغري نشأة محافظة، إن لم أقل متزمتة، ولذلك لم أتعود لا على سباحة ولا على لعب رياضة ولا غيرهما، ولكن الله وقائي شر النزلة البردية، وحفظني من مضاعفاتها.

في زنازن المجرمين

أخذونا بعد ذلك إلى الزنازن الكبرى، المخصصة للمجرمين الكبار، وزيادة في الانتقام والكراهة، فرقونا على تلك الزنازن، حتى لانبقي مستأنسين ببعضنا، فأدخلت إلى زنزانة كبيرة جدا، وكان بها على ما أظن مايتجاوز الثمانين سجيناً من أجل جرائم مختلفة، وبمجرد

مادخلنا إلى الزنزانة صاح الحارس الذي كان بجانب رئيس السجن : «فيكس» فقام جميع السجناء، ونزعوا طاقياتهم التي على رؤوسهم وجعلوها في أيديهم، قاموا مرتين كل واحد واقف في مكانه، وخاضع لسلطة (الكابوران) الذي يتحكم فيهم كما يشاء، وهو من السجناء القدامى الذين حكم عليهم بالمدة الطويلة جزاء الجريمة التي اقترفها، وكل زنزانة كبرى من الزنازن عليها (كابران) يتحكم فيها، وتكون سلطته أكثر من سلطة الحارس الرسمي ولا يعلوه في السلطة إلا (السرجان) والسارجان في سجن العذير هذا، كان يسمى إن لم تخني ذاكرتي «تيو، تيو» وهذا السرجان يتحكم في مختلف «الكابانات» وكلمته مسموعة عند إدارة السجن، سواء لدى مدير السجن أو رئيس السجن، وهو يطوف على الزنازن كلها بحرية تامة، وكأنه رئيس للسجن، وكل السجناء يهابونه، ويحكون، ويحكون عنه قصصا لا تخلو من سفاهة، ولربما يعتبر عاملا من عوامل التحكم والاستقرار في السجن، نظرا للسلطة التي أعطيت له.

بقيت أنتظر — ونسيت أن كان معي أحد إخواني الأربعة، أم كنت وحدي — المكان الذي سيخصص لي مع السجناء الذين كانوا واقفين ينظرون باستغراب إلى هذا السجين الغريب من نوعه، والذي لم يلج الزنزانة مثل بقية السجناء العاديين، فلقد دخل معه الرئيس والحارس والسارجان، ثم قال لي «الكابران» خذ مكانك هنا وسط السجناء، وفي جانب من جوانب الزنزانة وهنا لاحظت — والحق يقال — أن السجناء — لم يكونوا ينظرون إلي شزرا، بل كانوا يتحدثون إلى بعضهم همساً وكأنهم سمعوا بالأحداث التي وقعت، وبالوطنيين الذين اعتقلوا، ولربما لاحظوا بعض المعتقلين الذين سيقوا إلى هذا السجن قبلنا.

أخذت مكاني بين السجناء بعد أن أعطوني (كاشتين) ملاءتين باليتين شبه سوداوين واحدة كفراش والأخرى كغطاء، وبمجرد ما أطلقت الملاءة الأرضية، لاحظت أن المجاورين لي من اليمين أو اليسار، يتعدان بعض الشيء عن ملاءتي، وكأنهما يوسعان علي احتراماً، فحمدت الله على ذلك، لأن هذا التعامل مع السجناء العاديين قليل، بل ربما يكون فيه بعض الاشتزاز والاحتقار.

«إلى الخدمة»

قضينا يومنا الأول والثاني ربما داخل الزنزانة، لانغادرها إلا بضع دقائق في الصباح، وبضع دقائق في المساء لشم الهواء، وترييض الأرجل لم نغير ملابسنا التي جئنا بها، ولم يطلب منا أي خدمة كيما كان نوعها.

وفي صباح اليوم الثالث على مأظن — بعد طلوع الفجر مباشرة، وقبل شروق الشمس نودي علينا أن قفوا، فامتلنا بالطبع، فقدموا لنا لباس المسجونين، وطلبوا منا أن ننزع ثيابنا المدنية، ونعوضها بلباس السجناء، لأكون مغاليا إذا ماقلت إن «الكندورة» والقميص والسروال التي قدمت لي كانت شبه خرق من كثرة البلى، فارتديتها طائعا أو مكرها وأنا مشفق على نفسي من لدعات البرد القارس، فالفصل فصل شتاء، ومنطقة الجديدة التي يوجد بها السجن منطقة بحرية باردة، وفيها رطوبة لا تحتمل، ولكن هكذا قدر الله، ولا مراد لقضاء الله، لم يكن معي أي ثوب صوفي — جبلي «مثلا أو وئدي» صوفية حسب تعبيرنا المغربي، وإنما كانت معي فوطة أمسح بها وجهي عندما أتوضأ، فما وسعني إلا أن أجعل تلك «الفوطة» على صدري فوق القميص، وتحت «الكندورة» وأستعد للخروج مع السجناء إلى الخدمة، وبعد أن حازوا منا ملابسنا المدنية، أمرونا بالخروج إلى الساحة، ونحن مرتبون اثنين، اثنين، إلى أين سنذهب، وماهي الخدمات التي سيطلب منا أداؤها ؟ لسنا ندري، وقفنا ننتظر الأوامر بعض الدقائق، ثم صاح الحارس المكلف : سيروا، خرجنا من باب السجن راجلين، متجهين إلى جهة اليسار، ونحن نقف من شدة البرد، والكل صامت، ولا نسمع إلا خطوات الأرجل تسير بسرعة وبانتظام، مثل ما يسير الجنود وماهي إلا نحو الساعة تقريبا، حتى كنا على ربوة في الطريق الذهاب إلى «الجديدة»، حيث وقف الجميع، ومدت إلينا أدوات الخدمة، وهي عبارة عن عتل وفؤوس، لحفر الأرض، وزراعة بعض جذور الأشجار، وطق بعض المسجونين يجمعون الحطب ويوقدون النار قصد التدفئة، وإطلاق الأيدي التي كثر انكماشها وتقلصها من كثرة البرد، وتحلقنا مع المساجين على النار نستدفئ بها، وفي الحين سمعنا أصواتا تتعالى صائحة : (الجنة للصابرين والنار للقوم الكافرين، يا جاه النبي) وبدأت الأيدي تشتغل بالفؤوس والعتل، وأردنا أن نقوم بالواجب مثل بقية المساجين، ولكن المساجين غير الوطنيين، أشفقوا علينا، وألحوا كامل الإلحاح، أن لا نتعب أنفسنا، وأنهم سيقومون بأداء واجبهم وواجبنا في الخدمة المطلوبة، احتراما منهم لإخوانهم الذين قدروا تمام التقدير، أنهم لم يأت بهم إلى السجن والاعتقال والعذاب اعتداء على أحد، أو القيام بسرقة، وإنما أتى بهم إلى السجن، دفاعهم عن المظلومين والمضطهدين، ورفضهم للاحتلال الأجنبي، ومطالبتهم بالاستقلال قضينا يومنا في العمل مع أخذ قسط من الراحة، ثم قفلنا راجعين في العشي لنأخذ أمكتنا في زنازنا مع المسجونين، وجاء اليوم الموالي لنقوم بنفس الخدمة، وفي اليوم الثالث أو الرابع، تغير نوع الخدمة، حيث أخذونا إلى ساحات واسعة مزروعة بالقمح أو الشعير، وطلبوا منا أن ننقي الأرض من طفيليات،

لعلهم كانوا يسمونها «بالكرزاز» والشاق في هذه الخدمة هو أن السجين مطالب طلبا حتميا أن يبقى راكعا طوال وقت التنقية، دون أن يرفع رأسه، ودون أن يجلس على رجليه ولو كانتا قائمتين، والحراس من وراء السجناء يطوفون عليهم وهم راكبون على الخيول فإذا مارفع أي سجين رأسه، نادى عليه الحارس : إنحن واشتغل، والواقع أن هذا الانحناء أو الركوع أثناء الخدمة من أشق ما يتعب السجين الخادم، ويزيد في تعب ان الطفيليات التي تنقي منها الأراضي المحروثة، يجب أن تنزع بجذرها، ولا يقبل مطلقا أن تقطع من أعلاها مهما كان الأمر، ويجب أن أسجل هنا أن الأرض ليست مخدمومة ولذلك فإن نزع النبتة المفروسة فيها يكون متعبا، ولربما غير مستطاع بالمرّة وأذكر أننا في إحدى المرات عندما وصلنا إلى الأرض التي سنشتغل فيها، وجدناها مغطاة غطاء كاملا بما يسمونه «بالجريحة» وهي تشبه البرد (يفتح الرء) فالملشي فوق الأرض وحده، يجعل الأرجل كأنها قطعة من الثلج من كثرة البرد، والبحث عن الكرزاز من خلال «الجريحة» أتعب من التعب.

لم نكن متضايقين — والحمد لله — ولا متبرمين من الخدمة، بل كنا نقابل ذلك بالصبر والثبات والرضى والاطمئنان والابتسام، وندعو الله أن يمدنا بالقوة والتحمل والصحة والعافية.

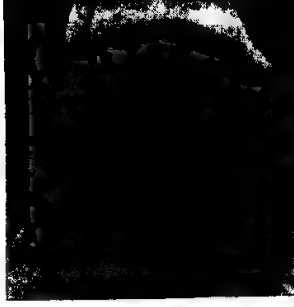
ذات صباح من الصباحات، خرجنا كالعادة للخدمة، ولكنها من نوع جديد، فلقد أخذونا على أرجلنا إلى شاطيء قريب من مدينة آزمور، لتجمع الحصى من الشاطيء، ونجعله في بعض الشاحنات لمصلحة البناء، مشينا ومشينا، تارة مسرعين، وأحيانا متأنين، والحراس معنا وفيهم بعض الفرنسيين هم المتحكمون ممتطون الخيول المطهمة، ونحن مساقون أمامهم كأننا بهائم. تعبت بعض الشيء في ذهائي، أما في الرجوع، فلقد أصبحت رجلاي وكأنهما قطعتان من شحم، فلم أعود مطلقا أن أسير السير العاجل الساعات المتعددة، ربما فاقت خمس ساعات ذهابا وإيابا ولذلك، فإني عندما رجعت إلى السجن، شعرت وكأن رجلاي لم تبقي من جسمي، ولولا أن أصدقائي بحثوا لي عن الماء الساخن، أكمدها رجلاي، ما استطعت الوقوف أبدا حتى في الأيام الموالية، ولقد ارتاع لحالتي حتى الحراس والكبرنات والسارجان نفسه، وهكذا أعفيت من الخروج إلى الخدمة في اليوم الموالي، تم أعفيت نهائيا وأنا وأصدقائي من الخدمة خارج السجن، واستبدلت لنا بخدمة غير متعبة كثيرا داخل السجن، وأذكر أن المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، أحيل على قسم التنظيف (التصيين) للملابس وكان السجناء يستعملون أرجلهم أثناء فرك الملابس لإخراج الأوساخ منها كما أن الأخ محمد البقالي، الحق بقسم

الحيطة ورتق الملابس الممزقة، ولعل المرحوم محمد إبراهيم الكتاني كان كابرانا على قسم من هذه الأقسام لأنه كان قد سبقنا إلى هذا السجن.

أثناء وجودنا بالشاطئ لجمع الحصى، جلسنا نستريح بعض الشيء من تعب المشي، أما جمع الحصى فقد أعفانا منه السجناء العاديون. وخلال هذه الاستراحة، أخرج المرحوم عبد الرحيم بوعبيد سجارات من جيبه، وسار يقدم لأصدقائه واحدة منها، وعندما اعتذرت بأني لا أدخن، ألح — كما فعل المهدي بنبركة في سجن الرباط — علي بضرورة أخذ سجاري مثل بقيت الأصدقاء، خصوصا والمنظر على شاطئ البحر يغري بالنشاط، والسجارة تحلو وتحلو عندما يتعالى دخانها أمام أمواج البحر المتعالية المترطمة. فلم يسعني إلا أن أتناول السجارة من يده، لأجعلها في فمي، وإن لم أجد لها طعما، وإنما ترضية له، ومحافظة على جو المرح الذي كنا فيه في تلك اللحظات.

لدى رجوعنا مساء من الخدمات التي كنا نقوم بها خارج السجن، نمرُّ على باب المطبخ ونحن في طريقنا إلى زنازننا، ويوجد جانب باب المطبخ نافذة صغيرة، يعطوننا منها خبزة صغيرة من صنع محلي أي من صنع السجناء أنفسهم، وتحت النافذة على طول جدار المطبخ، وضعت في الأرض أواني صغيرة من فخار، واحدة، أمام الأخرى، وهي مملوءة ماء مغير اللون، وبعض القطاني مثل العدس وبعض أوراق تسبح على سطح الماء المغير، ويسموننا بالصوبة (الشربة) وكل سجين يمر أمام المطبخ، يأخذ واحدة ويكون السجناء مرتبين الواحد وراء الآخر، يأخذ خبزته اليومية، ثم يحنى إلى الأرض ليتناول الآنية الفخارية التي فيها عشاءه. وكل هذا يسير بنظام محكم كل الأحكام، فلا تسمع ضجيجا ولا صخباً ولا تسابقاً بين السجناء، لأن الأكلة موحدة، وغير متفاوتة مع بعضها. وذات عشية ونحن نمر أمام المطبخ لناخذ أكلتنا المسائية، لاحظنا من بعيد في الجهة اليسرى حركة غير عادية في إحدى الزنازات، ولربما رأينا بعض الوجوه أو بعض الوجهاء من إخواننا الذين التحقوا بالسجن بعدنا، وكانوا من فاس، فبعد ماقتضوا مدة بأحد سجون فاس، أتوا بهم إلى سجن «العذير» وكانوا يمتازون عنا بكثير من الامتيازات، وأهمها أن أكالاتهم ترد عليهم من خارج السجن، وأن التعامل معهم يختلف كل الاختلاف مع ما كنا نعامل به من الضيق وقهر النفس، كما أن ملابسهم المدنية لم تغير وتبدل بالملابس البالية العتيقة. وكان من بينهم محمد الاغراوي وعبد الكبير الفاسي وأحمد بنسودة والحاج عبد القادر بن المهدي العليج ومحمد بن سودة ومحمد الفاسي ومحمد الزغاري. بقينا على الحالة التي وصفت مدة نسيت عدد أيامها، لم يزرنا فيها أحد من أفراد أسرنا، ولم يرد علينا أي طعام من أحد، وإنما هي خبزة السجن وصوبة (حساء) السجن.

زيارة شقيقي عبد الله لي في السجن



مولاي عبد الله القادري
شقيق المؤلف

ذات صباح نودي علينا أن بعض أفراد أسرنا، قد زارونا فخرجنا إلى ساحة السجن، لنجد بعض زوارنا واقفين في صف واحد، الواحد بجانب الآخر، ينتظرون رؤيتنا والتحدث إلينا والبحث عن أحوالنا، ورأيت أخي الشقيق مولاي عبد الله القادري من بين الزوار، فوقفنا أمامهم بدورنا في صف ملتئم، كل واحد منا أمام من أتى يزوره، ولكن لا يقترب منه، فبيننا وبين زوارنا الحراس يراقبون ويرقبون، لاحظت أن أخي عبد الله اكفهر لونه عندما رآني بتلك الثياب

الرثة القاتمة التي كنت لابسا لها، فتأثر بعض الشيء، ولكنني بذلت جهدي لأخفف عنه وأظهرت له أن قضية اللباس أو غيرها لا تهم في مثل هذه المواقف، والمهم أن يكون الجميع بخير وفي صحة جيدة، واطمئنان بال، وسألته عن والدتي وزوجتي وابني خالد وابنتي «كريمة» التي ازدادت وأنا بالسجن، كما ذكرت ذلك من قبل، استفسرته عن المدرسة وسيرها وعن الأحوال العامة، ورجوت منه أن يشتري لي حذاء غليظ النعلين، لأنني به البرد أثناء فترة الخدمة، كما رجوته أن يبلغ سلامي لزوجتي وأمي ويقبل ابني وابنتي، وأن يطلب من والدتي بالخصوص أن لا تنساني من صالح أدعيتها ثم بعد ذلك ناولني بواسطة الحارس ماصحبه معه من مأكولات من صنع الوالدة والزوجة وودعني مثل ماودع كل زائر سجينه القريب منه.

لقد انتعشنا بزيارة بعض إخواننا وأسرنا لنا، وصرنا نستأنس بحياة السجن مع السجناء ونتبع مايرد علينا من أخبار، وذات يوم وصلتني رسالة عن طريق البريد وجهها لي أحد المحامين الذين علمت بعد خروجي من السجن أن إخواني في الحزب نصبوه للدفاع عني وعن إخواني، كانت الرسالة مرقونة بالفرنسية، والمحامي يطلب مني فيها أداء واجب أتعابه في الدفاع عني فابتسمت لهذا الطلب، فأنا لا أطلب منه أن يدافع عني، وبالأحرى فأني في ظرفي الآتي، لا يمكنني أن أؤدي له أي شيء، ولعلي — لأن القضية نسيتها بالمرّة، ولم أتذكرها إلا وأنا أحرر هذه المذكرات أقول لعلي خبرت أحد زواري بالقضية، فعلمت بعد خروجي من السجن ولعل ذلك كان من أخي المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، أنهم سواوا القضية مع ذلك المحامي الذي كان من جملة

الذين كلفوه بالدفاع عنا، لقد كانت رسالة المحامي المحررة بالفرنسية تحت يدي، ولعلها تكون ضمن بعض أوراق المختلطة التي لم أهتمد إليها أثناء كتابتي للمذكرات، وأحمد الله أنني نسيت لإسم المحامي، وإلا لكنت ملزماً بالإعلان عن اسمه.

نوادير وحكايات عن السجن والسجناء

النوادير والحكايات عن السجن والسجناء كثيرة ومتعددة، ولا أتذكر منها إلا أقل القليل، وحتى لا تبقى هذه المذكرات جافة وثقيلة، لا يرد فيها إلا ما يعانيه السجناء من متاعب، أورد حكاية عن بعض السجناء العاديين كنا نراه صباح مساء يتجول داخل سجن العذير، وفي ساحته بالخصوص، ليجمع ما يسميه (بالبنات) بتشديد الباء المكسورة وتسكين النون والبيّنات هي القطع الصغيرة التي تبقى من السجارة، ويرمي بها المدخنون في الأرض ويجعلونها في المرمدة، لقد كان الشغل الشاغل لهذا السجن، أن يجمع تلك القطع يفرغ ما بقي فيها من طابة، ثم يؤلف منها بعض السجارات في ورق خفيف، ويبيعه لبعض السجناء المساكين، الذين لا قدرة لهم على شراء السجارات الأصلية، هذا السجن، كان صغير الحجم، ضعيف البنية، لا تظهر عليه صفات الإجرام، ولكنه قضى مدة طويلة جداً في السجن، حتى صار يعتبر السجن عالمه الخاص، ومحل سكناه الدائم، وانقضت الأعوام التي حكم عليه بقضائها في السجن جزاء ما فعل، وقرب وقت إطلاق سراحه، وخبرته إدارة السجن، بأنه سيطلق سراحه في القريب العاجل، فاعتم هذا الخبر المخزن أيما غم، ولربما صار يبكي ويبكي كثيراً لقرب سراحه، لقد أصبح المسكين يعتقد أن العالم كله محصور في تلك الرقعة من السجن التي يدعونها بسجن العذير، وهو مقيم فيها مرتاح أقوى ما يكون الارتياح، ينام مع السجناء، ويطعم طعام السجناء، ويدخن ما فضل من سجائر السجناء، ويربح ما يبيعه من فضلات سجائر السجناء، فإذا ما أخرجوه من هذه البجوحة السجنية، فإلى أين سيذهب؟ ومن يطعمه ويسقيه ويضمن له معيشته وسكنه؟ ومن سيعاشر ويصادق إن صار خارج السجن؟ أسئلة كثيرة صارت تتوارد على ذهنه، وهم متواصل منعه من الاطمئنان والراحة وحتى من المنام، ترى إذا مانادوا عليه ذات صباح، وفتحوا أمامه الأبواب، وقالوا له أذهب إلى حال سييلك فأنت حر وطلق، إلى أين سيتجه؟ لقد عاش قديماً ربما في الدار البيضاء ومنذ دخل إلى السجن محكوماً عليه بتلك المدة الطويلة، لم تبق له أية علاقة بالبيضاء ولم يبق يعرف أي شخص فيها، ليس له منزل، وليس

له أهل، ولا أصحاب، ولا معارف. ومن أجل ذلك فمن حقه أن يبقى في عالمه الخاص به، يبقى في السجن الذي فيه يجد راحته وسكناه وطعامه وشرابه وراحته ومنامه، وتركنا المسكين يفكر في مصيره، عندما ماغادرنا نحن السجناء أيضا سجن العذير، لنقصد سجن غبيلة بالدار البيضاء، ثم بعد قضاء مدة في ذلك السجن البيضاوي يطلق سراحنا بعدما قضينا بالسجون الثلاثة : الرباط — الدار البيضاء — العذير نحو العشرين شهرا. أو أكثر.

الموقعون على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 كما عرفتهم

1) الحاج أحمد بن عبد السلام بلالفرج



من عائلة رباطية أصلها أندلسي، ازداد بالرباط سنة 1908 م ولما بلغ سن الدراسة التحق بمدرسة أبناء الأعيان بالرباط، ثم التحق بثانوية مولاي يوسف، وانتقل إلى ثانوية (ليسي كورو) الذي كان خاصاً بأبناء الفرنسيين ليستطيع أن يحصل على شهادة البكلوريا التي كان لا يسمح بها للتلاميذ المغاربة الذين يدرسون بالمدارس المغربية الفرنسية، حتى لا تفتح أمامهم أبواب التعليم العالي. وبعد حصوله على البكلوريا سافر إلى باريس وسجل بالسوربون ليحصل

فيها على شهادة الليسانص في الأدب، وعلى دبلوم الدراسات العليا في الأدب أيضاً، وخلال مُقامه في باريس ذهب إلى القاهرة، فسجل في كلية الأدب فيها، واغتنتها فرصة فتعرف إلى كثير من أساتذتها ومفكرها وطلبتها، وكان هذا أواخر العشرينات، ثم رجع إلى باريس بعدما اتصل بالأمير شكيب أرسلان في جنيف بسويسرا الذي كان يعتبره بمنزلة ابنه «غالب» ولا يخاطبه إلا بقرعة العين «أحمد» فأسس باتفاق مع إخوانه الوطنيين إذ ذاك مجلة «مغرب» الشهرية التي تصدر باللغة الفرنسية للتعريف بالقضية المغربية والدفاع عنها، واستطاع أن يكسب لها وللحركة الوطنية الفتية أنصاراً وحواري من أحرار الفرنسيين كانوا يكتبون فيها أمثال «روبير جان لونكي» الذي كانت المجلة تصدر باسمه تبعاً للقانون الفرنسي، وهو محام، ووالده جان لونكي نائب رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب، وبيير رونوديل Pierre Renoudel نائب رئيس الحزب الاشتراكي بفرنسا، وجان بيو (Jean Piot) نائب مدينة باريس ورئيس تحرير (Loeuvre) وعضو لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب، وفرانسوا دوتيسان (François de Tesson) نائب وزير سابق وكاستون بيرجوري Gaston Bergery نائب سابق وعضو

اللجنة المركزية لجمعية حقوق الانسان. وأندري بيرتون (André Berthon) نائب سابق وهنري كليرك (Henri clerc) نائب وأديب وكامبينشي (campinchi) نائب رئيس الفريق الراديكالي الاشتراكي بمجلس النواب، وكابريال كيدني (Gabriel cudnet) رئيس الحزب الراديكالي الاشتراكي، وكامي بيلوتان (camille pelotn) وفيليسيان شالاي (Felicien challye) أستاذ مبرز في الفلسفة، وجورج موني (Georges Mounet) نائب L'Aisne ولويس روبرو (Louis Roubaud) وأندري فيوليس (André Viallis) ومادلين باس (Madeleine PAZ) كاتبة، وفرانسوا آلبر وبعض الشخصيات الحرة من إسبانيا كوزير التعليم لوريس (lorrios) والصحفي أرجيلا (Argila) وكان يكتب فيها من الشبان المغاربة : ج عمر بن عبد الجليل ومحمد حسن الوزاني ومحمد الفاسي ومحمد اليزيدي وعبد اللطيف الصبيحي، وكانت توقعاتهم في الغالب بأسماء مستعارة وينبغي أن أسجل بهذه المناسبة أن الأربعة الفرنسيين الأولين (غير روبر جان لونكي) كانوا هم الوسطاء الذين تقدموا بمطالب الشعب المغربي إلى وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية نيابة عن المرحومين محمد بن الحسن الوزاني و ج عمر بن عبد الجليل اللذين كان عهد إليهما بتقديم المطالب إلى الدوائر الفرنسية في دجنبر 1934.

أثناء وجود بلافريرج بباريس شارك في تكوين جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس وعهد إليه أحياناً بكتابتها العامة، كما شارك في جمعية الطلبة العرب الذين كان منهم الدكتور صلاح الدين المصري الذي شغل مركز وزارة الشؤون الخارجية في حكومة مصطفى النحاس باشا وساعدنا المساعدة القوية أثناء مطالبتنا بالاستقلال، وفي سنة 1934، شارك في الندوة التمهيدية لمؤتمر الجامعة الإسلامية ببرلين، ولدى رجوعه إلى المغرب أسس مدرسة حرة تدعى معهد جسوس، وكانت أول مدرسة مزدوجة نموذجية حرة، اهتمت باللغتين : العربية والفرنسية، وكان تأسيسها في (عرصة جسوس) التي كان تبرع بها عليه خاله المرحوم محمد جسوس، وكانت الجماعة الأولى الوطنية في الرباط تأسست فيها حوالي سنة 1926.

كان بلافريرج من المؤسسين الأولين للحركة الوطنية في العشرينيات، واشتهر اسمه وهو لازال في عنفوان الشباب كشاب وطني متميز بذكائه ورزاقته وحنكته ودهائه السياسي، وعندما قرر رجال الطائفة (وهي الجناح السوري في الحزب الوطني) تقديم مطالب الشعب المغربي كان من جملة العاملين لتحضيرها وإن لم يتحمل مسؤولية تقديمها، وفي سنة 1935 قدم لنائب كاتب الدولة في الخارجية الفرنسية مذكرة هامة حول السياسة الفرنسية في المغرب، وعندما صدرت جريدة الأطلس، الأسبوعية كان

من المحررين الأساسيين فيها وخصوصاً في السياسة الخارجية، ولدى تنمّر الإدارة الفرنسية للوطنيين بالمغرب سنة 1937 قرر الحزب الوطني أن يسافر إلى الخارج ليرفع صوت المغرب وصوت الحركة وصوت الحزب الوطني في الخارج، ويشهر بالاستعمار ومغازيه، فمكث بطنجة مدة شهر ثم سافر إلى فرنسا فسويسرا حيث مَثّن ارتباطه بالأمير شكيب أرسلان رحمه الله. وفي سويسرا أصيب بنزلة صدرية حادة، أعقبها مرضه بالسل، فدخل المستشفى بجنيف، وأجريت عليه عملية جراحية، بُتر فيها جزء من إحدى رثتيه، وغُوض بقطعة من مطّاط، وأثناء مرضه ومقامه في المستشفى زاره المرحوم سعيد حجي ليتباحث معه في موضوع الحل الذي اقترحه المقيم العام الجنرال نويس للمشاكل المغربي، ولكن حالته الصحية لم تكن قابلة للمذاكرة في أي موضوع سياسي، فاكتمى السعيد بالمذاكرة مع الأمير شكيب الذي بلغه رسالة السعيد بعد إبلاله من مرضه، وأثناء وجوده بسويسرا أعلنت الحرب العالمية الثانية، فبقى يتابع تطوراتها في الأول، وسافر إلى برلين للاتصال بالسياسيين الألمانين، ويستطلع نواياهم نحو المغرب وقضيته، فافتنع بسوء نيتهم، وعدم إعطائهم أدنى أهمية لمطامح الشعب المغربي، فرجع إلى طنجة حيث كتب إلى إخوانه في الحزب الوطني يخبرهم بأنه لا أمل مطلقاً في هتلر وأنصاره بالنسبة للقضية المغربية، وبقي ينتقل أثناء فترة الحرب بين طنجة وتطوان حيث كان على اتصال مع المرحوم عبد الخالق الطريس ورجال حزب الإصلاح الوطني، وخلال سنة 1943 حين بدأت كفة الحلفاء ترجح أيضاً ضد المحور، رجع إلى المغرب حيث بدأ مع إخوانه في الحزب الوطني خصوصاً في الجناح السري للحزب وهو (الطائفة) يفكرون فيما يجب القيام به أثناء فترة انتصار الحلفاء في الحرب، فكان قرار المطالبة بالاستقلال وتحرير وثيقة حادي عشر يناير 1944 التي قدمها وفد برئاسته إلى جلالة محمد الخامس، وتأسيس حزب الاستقلال الذي انتخب أميناً عاماً له، وإثر الأحداث التي وقعت عندما امتدت يد الاستعمار إليه وإلى بعض إخوانه، واتهامه بالتعاون مع المحور، وعجز السلطات الاستعمارية عن إثبات ذلك، قضى مدة قليلة بسجن الرباط ثم نفته السلطات الاستعمارية إلى كورسيكا حيث بقي منفياً فيها إلى سنة 1946. وفي شهر يونيه 1946 عندما تولى منصب المقيم العام (إريك لابون) أطلق سراحه، ورجع إلى الرباط حيث انضم إلى إخوانه مسؤولي حزب الاستقلال، وفي سنة 1947 عندما سافر جلالة محمد الخامس إلى طنجة لإثبات مغربيتها ورفع صوته منها، كان من جملة الذين شاركوا في هذه الرحلة الطنجية، وبقي ينتقل منها إلى بعض الأقطار الأوروبية قصد الدعاية للقضية المغربية وتحرير المغرب من ربة الاستعمار ينتقل منها إلى بعض

الأقطار الأروبية قصد الدعاية للقضية المغربية، وتحرير المغرب من ربة الاستعمار وخلال هذه الفترة اتصل به المقيم العام «أريك لا يون» وعرض عليه منصب رئيس شركة اقتصادية، فرفض ما عرض عليه، واعتبره مهزلة من المهازل التي يتفكه بها الاستعماريون، وعندما اشتدت الأزمة بين حزب الاستقلال والملك من جهة، وبين الإقامة العامة الفرنسية من جهة أخرى وذلك في عهد الجنرالين : جوان وكيوم، قام بزيارة نيويورك للاشراف على مكتب الحزب فيها وتنظيمه واختيار الشباب الحزبي الذي يسيره، والذين كان منهم الاخوة : الدكتور المهدي ابن اعبود وعبد الرحمان بن عبد العالي وعبد الرحمان انكاي، وبعد إلقاء القبض علينا في دجنبر 1952 إثر أحداث فرحات حشاد قوى نشاطه وتضاعف، خصوصاً عندما امتدت يد الاستعمار إلى رمز الأمة ورائد الاستقلال والتحرر جلالة محمد الخامس فصار ينتقل بين نيويورك ومدريد ويشارك في الجلسات التي كان يعقدها المنتظم الدولي، ليرفع صوت المغرب عالياً، وسهل عليه عمله هذا حصوله على جواز ديلوماسي باكستاني استطاع الحصول عليه من صديقه ظفر الله خان وزير خارجية دول باكستان الشقيقة، وكان يحضر جلسات هيئة الأمم المتحدة كعضو من أعضاء الحكومة الباكستانية.

وبعد إحراز المغرب على استقلاله سنة 1956 عينه جلالة محمد الخامس أول وزير لخارجية المغرب في عهد الاستقلال، فوضع الأسس الأولى لتأسيس وزارة الخارجية، واختيار موظفيها الأولين، ووضع سياستها المستقلة البعيدة عن كل تبعية، فباشر المفاوضات مع فرنسا وغيرها من الدول الأجنبية، وفاوض إسبانيا لاسترجاع منطقة طرفاية، وأنهى في عهده احتلال مدينة طنجة من ربة ما كان يسمى بالنظام الدولي. وفي 12 مايو 1958 عهد إليه جلالة الملك بتأسيس الحكومة الثانية في عهد الاستقلال، فلم يبق رئيساً للحكومة إلا بضعة أشهر حيث استقال في دجنبر عامه، وفي خامس يناير 1962 تولى وزارة الشؤون الخارجية مرة أخرى، وبعد وفاة جلالة محمد الخامس وتولى جلالة الحسن الثاني عينه ممثلاً شخصياً له، وذلك في خامس يناير 1963، وتخلّى عن هذا المنصب لظروفه الصحية وذلك في يونيه 1972 وإثر إصابته بمرض ألزيمه الفراش نحو العشر سنوات توفي بالرباط بتاريخ 14 أبريل سنة 1990 رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته⁽¹⁾.

(1) انظر ترجمته بتفصيل في الكتاب الذي كتبه عنه تحت عنوان : بلافرج الديلوماسي المهنك.

(2) السيد محمد اليزيدي

يعتبر المرحوم محمد اليزيدي من أبرز الشخصيات في كتلة العمل الوطني وفي الحزب الوطني، ثم في حزب الاستقلال.



ازداد بالرباط في 14 ماي 1902 وأبوه السيد المعطي بن اليزيد التادلوي أصلاً كان موظفاً بسيطاً بإحدى الإدارات بالرباط.

التحق اليزيدي بأحد الكتاتيب القرآنية فحفظ القرآن ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية العربية الفرنسية وبعدها إلى ثانوية مولاي يوسف، وبعد حصوله على دبلوم نهاية الدروس الثانوية التحق بمعهد الدروس العليا شعبة الأدب ثم عين موظفاً بإدارة الأمور الشريفة.

في فترة دراسته اتصل ببعض زملائه في الدراسة وكون معهم خلية اهتمت أولاً بقضية التمثيل، فكان يشرف على الجوق التمثيلي الرباطي الذي كان من جملة أفراده الاخوة : السيتل العيساوي، مصطفى بن عبد الله وعبد اللطيف العتاني والمعطي أبا خاي وغيرهم، وفي سنة 1929 عندما قام الشباب السلوي تحت رئاسة المرحوم عبد اللطيف الصبيحي بحركة تمثيلية مثلوا فيها رواية وفاء العرب، والرشيد والبرامكة وفي سبيل التاج اتصل بهم المرحوم محمد اليزيدي ومثّن معهم علاقات الأخوة والتعاون، وكان عبد اللطيف الصبيحي بدوره موظفاً بإدارة الأمور الشريفة، فتقوّت صداقته معه ومع أصدقاء آخرين منهم المرحوم الحاج بوبكر الصبيحي والمرحوم العباس بن جلون الفاسي وهذان الأخيران قام معهما بزيارة لفرنسا بتنظيم من الإقامة العامة الفرنسية التي كانت تودّ أن تظهر للشباب المغربي المتعلم تقدم فرنسا وعظمتها. وفي سنة 1930 عندما أصدرت الإدارة الفرنسية ظهير 16 ماي المسمّى بالظهير البربري، قامت حركة شبابية مناهضة له تولى الزعامة فيها أولاً المرحوم عبد اللطيف الصبيحي في سلا ثم سارت في نفس الخط مدينة الرباط بزعامة محمد اليزيدي ثم فاس حيث كانت حركة اللطيف في كل هذه المدن الثلاث بالخصوص يصعد صوته إلى عنان السماء، وبعد نفى عبد اللطيف الصبيحي إلى مراكش فأزيلال باعتباره زعيم المعارضة للظهير البربري، وبعد جلد وسجن بعض الاخوة بفاس ومن جملتهم محمد بن الحسن الوزاني والهاشمي الفلالي وعبد العزيز بن إدريس ونفى بعضهم وسجنهم بتازة ومنهم الزعيم علّال الفاسي

والوزاني والفيلاي وابن إدريس جاء دور اليزيدي ليقع نفيه إلى قلعة السراغنة في شهر سبتمبر 1930، فبقي منفياً فيها إلى سنة 1932، وكانت أول مراسلة بينه وبينني وهو في قلعة السراغنة، حيث إنني كتبت له رسالة تضامنية نوهت فيها على ما يظهر بمواقفه وثباته، ولم أكن تعرفت إليه أو تعرف إليّ إلا تلك السنة (1930) وأنا في سن السادسة عشرة وهو في نحو الثمانية والعشرين من عمره، حيث زرته رحمه الله في منزله صحبة عدد من شباب سلا الذين ذهبوا إلى منزله ليهنؤوا المرحوم الأستاذ عبد الله الجرار الذي كان ألقى عليه القبض وسجن بضعة أيام لأنه ألقى خطباً ببعض مساجد الرباط يستنكر فيها السياسة الفرنسية التي استصدرت ظهور 16 ماي، فلما أطلق سراحه استدعاه المرحوم اليزيدي لمنزله حيث صارت تتوافد عليه الوفود لتهنئته بهذه التضحية. ولما تعرف عليّ اليزيدي كان أول سؤال ألقاه عليّ هو استفساره عن أخي وأستاذه المرحوم مولاي الشريف القادري الذي كانت له معرفة به أثناء حركة التمثيل والنشاط الأدبي الذي كان يقوم به النادي الأدبي الإسلامي.

بعد إطلاق سراحه سنة 1932 صرت أزوره الآونة بعد الأخرى، خصوصاً أيام الخميس حيث لا تكون عندي دراسة، فكنت أخصص عشية الخميس لزيارته بمنزله بيقرون وزيارة الشيخ محمد المكي الناصري بعده بنفس الحيّ، لأستفسرهما كل من موقعه عن التطورات التي قد يكونون على علم بها، وأسترشد بآرائهما في بعض ما كنا نقوم به في سلا من أعمال ونشاط، سواء في الميدان السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي، وأذكر بهذه المناسبة أنني زرته خلال شهر ماي من السنة التي أطلق سراحه فيها، وكنا في سلا ننظم اجتماعات بالمسجد الأعظم بمناسبة ذكرى 16 ماي نتلو فيها سوراً من القرآن الكريم ونقرأ اللطيف الذي كان شعارنا في الاحتجاج ضد الظهير البربري، فلقد سألتها عما يود القيام به بهذه المناسبة، فأجابني بأنه هو بدوره سيذهب يوم 16 ماي إلى المسجد تعبيراً عن استنكاره للسياسة البربرية دون أن يقترح عليّ أي شيء في الموضوع، وكنت لم أتعرف عليه كثيراً، كما أنه لم يتعرف عليّ كثيراً، لقد كنا في جماعتنا الوطنية بسلا نشتغل تحت مسؤوليتنا، دون أي ارتباط في القرار، لا مع إخواننا في الرباط ولا في فاس، وبتكرار الاتصال باليزيدي خلال سنة 1932 و1933 و1934 تعرفنا على بعضنا المعرفة الكافية، وصارت تتوطد العلاقة بيني وبينه لدرجة كبيرة، حيث اكتشفت فيه زيادة على الوطنية الصادقة الحمسك المثالي بالمبدأ، والاستقامة في سبيله، وتقدير الأخوة والصدقة حق قدرها، والإخلاص في العمل، والجدية في التعامل مع الجميع، وتقدير المسؤولية حق قدرها، دون دعوى أو تبجح، ومع إدراك سياسي

مستقيم، ومعرفة كافية بالأشخاص، لقد كنت في البداية أستفسره عن بعض القضايا، فأحياناً يجيبني وباقتضاب عما يعرفه، وأحياناً يقول إن الإخوان لم يتخذوا في شأن القضية المطروحة أي قرار، فأدرك إذ ذاك أن ارتباطه مع إخواننا بفاس خصوصاً، قوي ومتين، وأن خطه السياسي يسير في نهجهم، وفي بعض الأحيان كان ينجر بيننا الحديث عن شخص أو أشخاص من رجال الحركة، فأدرك وهو يتحدثني عنه مقدار تعاطفه معه أو نفوره منه ويكون في أحكامه عن الأشخاص صارماً كل الصرامة سواء معهم أو ضدهم، وأذكر أنه رحمه الله حذرني حتى من بعض الذين كانوا بارزين بعض البروز في الحركة وعدم الاطمئنان للتعامل معهم، لعيوب قد يذكرها أو يلوّح بها. وبهذه المناسبة أذكر أنني بعدما انخرطت في سلك (الطائفة) وهي الجماعة السرية في كتلة العمل الوطني اشتتارني في موضوع تعيين أحد الإخوة في (لجنة السافر)، وهي اللجنة التي يعهد إليها بربط العلاقات بين الأعضاء في مختلف المدن، فلما ذكرت له اسم شخصية كانت هي بدورها عضواً في الطائفة، انتفض رافضاً، ذاك لا يصلح لهذه المهمة، ولم أكن أدرك إذ ذاك الدوافع التي جعلته يرفض ذلك الرفض القاطع، ولكن تبين لي بعد ذلك أنه كان مُحَقِّقاً في رفضه، وأن ذلك الشخص غير صالح لتلك المهمة، من خلال هذا وأمثاله صرت أزيد تعرفاً عليه، وعلى أخلاقه وسلوكاته، وحتى أحكامه القاسية والشديدة أحياناً على البعض من الشخصيات، وأقول القاسية لأنه يقسو أحياناً لدرجة لم أكن أستسيغها. انه يتعامل معك بالثقة والصدق والوفاء لحد كبير إذا ما آمن بأنك وفي لمبادئك، لا تتزحزح عنها، ولا تتقلب فيها، ولكن الأمر يتغير كل التغير إذا ما ظن — وبعض الظن قد يكون إثماً — أنك تتحايل في مبادئك أو تتزحزح عنها، ولو ظاهرياً أو سياسياً، أمام بعض الظروف، فإذا ما استشعر ذلك فإنه يصدر حكمه القاطع، وقد يفقد الثقة الكاملة التي تؤدي إلى فقدان التعامل بالكلية.

في سنة 1932 التي وقع فيها سراحه من المنفى في قلعة السراغنة، قررت الطائفة بإلحاح من بلافريج أن تصدر مجلة «مغرب» باللغة الفرنسية، فصار يكتب فيها، ومن جملة ما كتبه مقال بعنوان : تعليم المواطنين بالمغرب وذلك في العدد التاسع الصادر في شهر مارس 1932، وكان المقال مُمضى باسم : بوشعيب الفطواكي وفي العدد العاشر كتب مقالا تحت عنوان : مظاهر في السياسة البربرية بالمغرب بإمضائه الصريح على ما ظن، كما كتب مقالات أخرى تتعلق بالسياسة البربرية في التعليم، وحول تعليم أبناء المسلمين بالمغرب، وعندما صدرت جريدة «عمل الشعب» التي كان يشرف عليها المرحوم محمد بن الحسن الوزاني كان يكتب فيها وحكى لي في آخر حياته وحمه الله

أنه في بعض الظروف كان يسافر إلى فاس ليعقد مع ابن الحسن الوزاني وج عمر بن عبد الجليل اجتماعا يراجعون فيه ما سينشر في الجريدة، وفي سنة 1937 عندما قرر الحزب الوطني إصدار جريدة الأطلس الأسبوعية عهد إليه بإدارتها ورئاسة تحريرها، فكان يكتب مقالات بامضاءات مختلفة أحيانا باسمه الصريح وأحيانا بأسماء مستعارة، مثل جهينة، وعُبو الريج وأخو مدين إلخ وعندما انفصل الوزاني عن الكتلة واستقل بجريدة «عمل الشعب» أصدر الحزب جريدة «العمل الشعبي» فأشرف عليها أيضاً، وكان يحرر فيها، وعندما كنا ممنوعين من حرية الصحافة كنا نصدر نشرات باسم كتلة العمل الوطني، وكانت تطبع بمنزله في المكررة، ويشرف عليها هو والمرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، وأذكر أن مقالا قرأته له سنة 1930 أو 1931 نشر في مجلة «المنار» التي كان يصدرها بالقاهرة الشيخ رشيد رضا رحمه الله، وأسلوبه في الكتابة خاص به، ففيه بعض النقد ولكن بخفة ونكتة وضرب الأمثال، وهو ما يعبر عن شخصيته في بعض جوانبها. وعندما قررت كتلة العمل الوطني تقديم مطالب الشعب المغربي، كان من الأساسيين في تحريرها هو الحاج عمر بن عبد الجليل والسعيد حجي ومسعود الشيكري بالإضافة إلى الزعيم علال الفاسي والفقيه محمد غازي، واستشارة الكثيرين من الأصحاب، وكان هو والرئيس علال ومحمد الديوري الذين قدموها إلى الإقامة الفرنسية. كما قدمها إلى جلالة محمد الخامس بواسطة الصدر الأعظم الفقيه غازي وعبد العزيز بن إدريس وأحمد الشرقاوي وأبو بكر القادري، وقدمها إلى الدوائر الفرنسية في فرنسا بالواسطة : محمد بن الحسن الوزاني وعمر بن عبد الجليل، أما الشيخ محمد المكي الناصري وكان من العشرة الذين تحملوا مسؤولية تقديمها ومن المراجعين لها بعد تحريرها فإنه ذهب أثناء تقديمها إلى تطوان ولم يتحمل معنا مسؤولية تقديمها رحمه الله. وبعد تحريرنا للمطالب المستعجلة وعقد اجتماعات شعبية لتأييدها في كل من الرباط وفاس وسلا، منع الفرنسيون انعقاد اجتماع تأييدي في الدار البيضاء، فنشأت عن هذا المنع مظاهرة خطب فيها المرحوم علال وكانت النتيجة إلقاء القبض على علال والوزاني واليزيدي وسجنهم بالدار البيضاء وتبع ذلك القيام بمظاهرات شعبية تضامنية في الرباط، وسلا وفاس وكنت من جملة المقبوض عليهم فيها وزجهم في سجن الرباط لمدة تقرب من الشهر، ولكن الظروف السياسية إذ ذاك وكان الحكم في فرنسا بيد الواجهة الشعبية بزعامة ليون بلوم. كانت الظروف السياسية لصالح حركتنا وكتلتنا الوطنية، حيث أعطيت الأوامر من فرنسا بضرورة سراحنا والدخول في مرحلة جديدة، يمكن أن تعتبر مرحلة التفتح، فأقى الجنرال نوغيس وكان هو المقيم العام، ألقى بسياسة جديدة،

اعتُبرت في مراحلها الأولى، سياسة إعطاء بعض الحريات، ومنها حرية الصحافة، وقبل الاعلان عن هذه السياسة الجديدة، وبمجرد تعيين نويس على رأس الإقامة العامة، رفع الأخ محمد اليزيدي مذكرة إلى نويس يرحب به باسم الكتلة ويقدم له نسخة من مطالبنا المستعجلة ومنها الحريات العامة، وهكذا ظن الجميع أننا فتحنا عهداً جديداً، حيث أذن لنا بإصدار جريدة «الأطلس» برئاسة وإدارة المرحوم اليزيدي، وأذن للمرحوم السعيد حجي بإصدار جريدة «المغرب اليومية» وأذن للمرحوم عبد اللطيف الصبيحي بإصدار جريدة «العمل» بالعربية، وجريدة «الصوت الوطني» بالفرنسية، وأذن للمرحوم محمد بن الحسن الوزاني بإصدار جريدة «الدفاع» وأذن للسيد محمد بن بوبكر اشماعو بإصدار جريدة «الوداد» الأسبوعية ثم أذن للسيد أحمد بن احساين النجار بإصدار جريدة «التقدم» الأسبوعية.

وفي نطاق فتح أبواب الحريات العامة نسبياً، ارتأت كتلة العمل الوطني أن تنظم صفوفها وتُحكم توجهاتها، وتوزع الأدوار والمسؤوليات على أعضائها، فحصل بعد وضع مشروع القوانين خلاف حاد بين بعض الإخوة الذين رأوا أن من حقهم وحدهم أن يتولوا المسؤولية في الوضع الجديد، وأدى هذا الخلاف إلى انفصال المرحوم محمد بن الحسن الوزاني عن جماعة فاس، وتأسيس ما أسماه بالحركة القومية التي أتت في مقابل الحزب الوطني لتحقيق المطالب. فكان هذا أول انقسام يحصل في الحركة الوطنية، أعقبته أضرار تحدثت عنها في الجزء الأول من مذكراتي

لقد كان المرحوم اليزيدي من الأفراد الذين بقوا متشبثين بكتلة العمل الوطني التي دعيت في المستقبل بالحزب الوطني لتحقيق المطالب، وسار في عمله يسير جريدة «الأطلس» ويقوم بدور رئيسي في تسيير الحزب بجانب علال الفاسي وأحمد بلافرج وج عمر بن عبد الجليل وبقية الإخوة أعضاء الحزب الوطني. وبعد عراكات مع السلطات الاستعمارية، واحتجاجات ضد تصرفاتها ومظالمها تقرر عقد مؤتمر وطني. بمنزل المرحوم الحاج أحمد الشرقاوي بالرباط، صدر عنه ميثاق وطني يدعو إلى مقاطعة التعامل مع الإدارة الفرنسية، ما لم تستجب لمطالب الشعب المغربي، وكان الذي حمل نسخة من هذا الميثاق والقرارات، إلى الإقامة العامة هو المرحوم محمد اليزيدي، فلم تمض ليلة واحدة على تقديم الميثاق حتى صدر الأمر باعتقال الإخوة علال الفاسي وعمر بن عبد الجليل وأحمد مكوار ومحمد اليزيدي، فنفي علال إلى أدغال إفريقيا بالكونغو ونفى اليزيدي إلى النيف بالصحراء بآية عطة حيث بقي فيها إحدى وعشرين شهراً، ثم نُقل إلى أسول بآيت مرغاد ناحية قصر السوق حيث بقي فيها خمسة عشر شهراً،

ثم نقل إلى واويزغت حيث مكث فيها ستة أشهر، ثم أطلق سراحه عام 1941، ومن ذلك التاريخ، ونحن نفكر فيما يجب علينا القيام به لصالح بلادنا في ظروف الحرب، ثم بعد انتهائها عندما بدأت تباشير انتصار الحلفاء على المحور، وفي سنة 1943 بالذات وبعد إطلاق سراح الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج، أخذ تفكيرنا يتضح خصوصاً بعدما وطننا العلاقة مع محمد الخامس رحمة الله عليه، وصرنا نفكر في المطالبة بالاستقلال، ومن جملة القرارات التي اتخذناها في نطاق «الطائفة» جس نبض الحلفاء فيما يتعلق بمناصرتنا في مطلبنا للاستقلال، وكان محمد اليزيدي وبلافريج مكلفين بربط اتصالات مع الأمريكيين والانجليز بالخصوص، لمعرفة مايفكرون فيه وموقفهم من تحركاتنا أثناء تلك الظروف، فكان اليزيدي وبلافريج يؤكدان لنا أنه لا ينبغي أن نعتمد أي اعتماد كيفما كان نوعه، لا على الأمريكيين ولا على غيرهم، فهم لا ينظرون إلا إلى قضية انتصارهم، ولا يريدون ولا يرغبون في أي تحركات سياسية من المغاربة، لأنها في نظرهم ستعرقل نجاحهم المنتظر، ولربما تفسد عليهم مخططاتهم.

لقد كانت اجتماعاتنا السياسية نحن المسؤولين في اللجنة التنفيذية تعقد أساساً بمنزل اليزيدي بديور الجامع بالرباط، وأحياناً بمنزل بلافريج، وقليلاً بمنزل الفقيه غازي، وكل هؤلاء كانوا يسكنون قريين من بعضهم، وكانت الرقابة قوية وشديدة علينا، لدرجة أن بعض المخبرين كانوا يأخذون مواقعهم ليلاً ونهاراً أمام منزل اليزيدي ليراقبوا الداخل والخارج، ولم نكن نعبأ بذلك، فنحن سائرون في أعمالنا، وهم سائرون في رقابتهم، وعندما حُرِّث وثيقة المطالبة بالاستقلال ووقعت من طرف 66 شخصية وطنية، كان في طليعة الموقعين اليزيدي، ومن يده أخذت الوثيقة ليوقع عليها الإخوان الموقعون من سلا، ثم أرجعتها له، لأخذ التوقيعات من الآخرين في مدن أخرى، ويوم حادي عشر يناير 1944 خرجت الوفود الثلاثة من منزل اليزيدي ليحمل كل وفد عريضة الاستقلال إلى كل من صاحب الجلالة محمد الخامس والمقيم العام الفرنسي والمكلفين بمصالح كل من أمريكا وإنجلترا في الرباط، ويوم 29 يناير 1944 ألقى القبض على محمد اليزيدي مع بلافريج بدعوى مسؤوليتهم الأساسية في المطالبة بالاستقلال، ولكن الأحداث التي وقعت بعد إلقاء القبض عليهما، والمظاهرات الكبرى التي قصدت القصر الملكي، وتخوف السلطات الفرنسية من العواقب، جعلتهم يستغيثون بجلالة الملك لإخراج المتظاهرين من القصر الملكي، فوقع الاتفاق مع الملك على إطلاق سراح اليزيدي ليقنع الجماهير المتظاهرة من داخل القصر، حتى لاتداس حرمة من طرف القوات الفرنسية، وهكذا وقع سراح اليزيدي الذي قاد المتظاهرين إلى خارج القصر، واستمرت

بعد ذلك المظاهرات في الرباط بشارع علال بن عبد الله وإزاءه داخل المسجد الأعظم، فسقط الشهداء صرعى، وسقط بعض رجال الأمن الفرنسيين يتخبطون في دماهم. وخلال اعتقالنا بسجن الرباط والدار البيضاء والعدير، بقي اليزيدي مع زمرة من إخواننا الذين لم يلق عليهم القبض يسيرون الحركة الاستقلالية، ويرفعون الصوت الوطني ويقدمون التقارير والاحتجاجات لمختلف الدوائر الدولية، كما حرصوا على تنظيم ماتبقى من أعضاء الحزب خارج السجن، ووضع برنامج الحزب الجديد، وكان اليزيدي المسؤول الأول في كل هذه النشاطات، فهو الذي يوقع على المذكرات والاحتجاجات، وهو يستقبل الوفود والشخصيات التي ترد من الداخل والخارج.

وبعد خروجنا من السجن أواخر سنة 1945 ثم إطلاق سراح الزعيم علال الفاسي ورجوعه بلافريج من منفاه، انطلقت حركة الحزب في شكلها وتنظيماتها الجديدة وكان اليزيدي من الأساسيين الذين يباشرون الأعمال، ويتحملون المسؤوليات، ويتبعون مانشرة الصحافة الداخلية والخارجية، ويشرفون على تسيير صحافة الحزب وعلى رأسها جريدة «العلم» والعمل الشعبي والنشرة السرية التي كان يصدرها الحزب لتربية وتكوين المناضلين الاستقلاليين. وكان وجود المرحوم المهدي بن بركة بجانبه في تلك الظروف، يعطي للتحركات التي يتحركها الحزب حيوية وديناميكية ظهرت آثارها خلال الأربعينيات وبداية الخمسينيات.

وفي شهر دجنبر 1952 بعد قتل فرحات حشاد رئيس النقابيين بتونس الشقيقة من طرف الجيش الفرنسي، إثر القرار التضامني الذي اتخذته حزبنا مع تونس والاضرابات التي وقعت على مستوى المغرب كله، ألقى القبض على اليزيدي مع جميع أفراد اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال وقدم الجميع للمحاكم العسكرية بالدار البيضاء، وكان الامتحان عسيراً وشديداً دام نحو السنتين انتقلنا خلالها من مراكز المنفى التي لم تدم طويلاً إلى سجن الدار البيضاء والسجن المركزي بالقنيطرة حيث أحلنا على المحاكم العسكرية، ثم وقع سراحنا سنة 1954، بعدما قرر الفرنسيون مراجعة مواقفهم، عندما رأوا المقاومة تشتد، وجيش التحرير يتكون، وبدأت المعركة الحاسمة فجاءت مفاوضات إيكس ليبان التي كان اليزيدي من جملة الأعضاء الذين كانوا عينوا لها، وكانت البيانات التوضيحية تصدر وتوقع باسمه نيابة عن الحزب. وبعد إعلان الاستقلال ورجوع محمد الخامس من منفاه السحيق، بقي اليزيدي يقود المعركة مع إخوانه، لم يتقلد منصباً سياسياً لا في وزارة ولا في غيرها، وإنما عهدت إليه الحكومة المغربية برئاسة المجلس المسير لمنجم زليجة الذي كان يتقاضى منه ما يكفي لتسيير شؤون حياته، لقد كان عضواً

أساسيا في اللجنة التنفيذية للحزب ثم عيّن في مجلس الرئاسة القيادي للحزب أيضاً، ولظروف عائلية انتقل إلى الدار البيضاء، فحف نشاطه الحزبي، وبقي يتتبع الأحداث، ويشارك في بعض الاجتماعات الهامة التي تتطلب أخذ آراء المجريين الصادقين قبل اتخاذ أي قرار، وإثر مرض أصيب به في آخر حياته عاجلته المنية فلقي ربه راضياً مرضياً إن شاء الله في شهر. سنة 1989 رحمه الله وأسكنه فسيح الجنة⁽¹⁾

(3) الحاج عمر بن عبد الجليل



من أوائل الذين تعرفت عليهم من الإخوان الفاسيين، وذلك أوائل الثلاثينات سنة 1933 أو 34 وكان إذ ذاك يشتغل كمهندس فلاح في لدى القائد الزهاني بسيدي سلميان، ويزور الآونة بعد الأخرى مدينتي الرباط وسلا، وكان التقائي به لأول مرة بمنزل السيد أحمد الحسناوي الكاتب بالصدارة العظمى.

ازداد ج عمر بمدينة فاس سنة 1907 وكان والده من أعيان المدينة ومن الذين كانت لهم وظيفة في الدولة، ومن أتباع الطريقة التيجانية، تلقى تعليمه

الأولي والثانوي بفاس وكانت دراسته الثانوية بـكوليج مولاي إدريس ومن الذين درس عليهم العربية العلامة المصلح السيد محمد بن العربي العلوي والفقير العلامة السيد عبد السلام السرغيني، وبعد أن أتم دراسته الثانوية، سافر إلى مونيبي بفرنسا حيث التحق بمدرسة فلاحية تخرج منها بعد ثلاث سنوات بلقب مهندس فلاح في ذلك مابين سنة 1923 وسنة 1925، وأثناء دراسته بفرنسا تعرف على بعض الشبان العرب، كان من جملتهم واحد توثقت العلاقة بينهما لدرجة كبيرة، ثم افترقا ولم يلتقيا مرة أخرى إلا بعد أزيد من عشرين سنة وكان لقاؤهما عفويا على ما يظهر لأنني رأيت إذاك الحاج عمر وهو في منتهى الانشراح، وحكي لي الشيء الكثير عن صداقته مع أخيه العربي الذي نسيت جنسيته هل كان مصرية أو لبنانيا. كان في مطلع شبابه منكبا على دراسة الأدب العربي، وصار يتعاطى للشعر، وينظم بعض القصائد التي ضاعت له ولم يحتفظ بأي منها، ثم أعطى كليته للفلاحة فكان يكتب المقالات والأبحاث بالعربية والفرنسية

(2) في عزمي إن شاء الله وفسح في الأجل أن أخص المرحوم محمد اليزيدي بكتاب عن حياته بتوسع مثل ما كتبه عن بلا فريج وابن عبد الجليل.

ومن جعلتها بحث قيم حول المياه ودورها في الحياة نشره في مجلة (المغرب) التي كان يصدرها السيد محمد صالح ميسة الجزائري وكان يحرر فيها المرحوم محمد حصار وغيره من الأدباء كما كان يكتب باستمرار في جريدة (عمل الشعب) بالفرنسية التي كان يشرف على تحريرها الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، وكانت كتابته في موضوع الاستعمار الفلاحي من أحسن الإنتاجات في هذا الموضوع بالذات، كما كان يكتب المقالات في جريدة الأطلس التي كان يشرف عليها الأستاذ محمد اليزيدي، كما كان يحرر المقالات المتعددة بأسماء مستعارة في مجلة «مغرب» الفرنسية التي كان يشرف عليها الأستاذ الحاج أحمد بلافرج، كان نشيطاً كل النشاط في مطلع شبابه، ويعتبر حلقة اتصال بين فاس والرباط وسلا والدار البيضاء، ونظراً لمهنته الفلاحية، واشتغاله لدى قائد كمهندس لم تكن اتصالاته تثير الشبهات لدى إدارة الاستعلامات، كانت علاقته وطيدة مع المرحوم محمد بن الحسن الوزاني وبالأخص عندما صدرت جريدة (عمل الشعب) فكان الركيزة الأساسية التي كان يعتمد عليها الوزاني هو ومحمد الخلطي كما كانت علاقته قوية إلى حد بعيد مع المرحوم محمد اليزيدي، خصوصاً بعدما تصاهر معه، حيث أن اليزيدي طلب يد أخت الحاج عمر وتزوج بها، فزادت العلاقة بينهما إحكاماً، وصار التعاون بينهما يتضاعف، وتحلى ذلك بالخصوص عندما قررت كتلة العمل الوطني إصدار نشرات تعلق فيها على بعض الأحداث، نظراً لعدم وجود صحافة وطنية، فكان الحاج عمر واليزيدي يقومان بمهمة كتابة هذه النشرات وطبعها على المكررة والسهر على توزيعها وكنت بدوري آخذ نسخاً منها لأوزعها على بعض الإخوة الموثوقين ليسايروا حركتنا ومانقوم به من أعمال ونوجهه من توجيهات، وكنا نعتقد أن نمث هذه النشرات بعض المؤرخين الموثوقين ليستفيدوا منها في كتابتهم التاريخية.

ولدى اتخاذ كتلتنا الوطنية قرار تهيب مطالب الشعب المغربي كان الحاج عمر من الأفراد الثلاثة أو الأربعة الذين هيأوا المشروع الأول، وهو غير المشروع الصغير الذي هيأته جماعتنا الوطنية بسلا والذي هيأه المرحوم محمد حصار، كان ج عمر من المتحركين الدينيماكيين أوائل الثلاثينات فهو يكتب ويتصل ويسافر ويستجمع الأخبار والمال الذي تنسّر به الحركة، وكنت عندما أستطيع الحصول على بعض المساعدات المالية لمجلة «مغرب» أدفعها للحاج عمر ليضيفها لما جمعه.

وبعد التحرير النهائي لمطالب الشعب المغربي : تكلف هو والمرحوم محمد بن الحسن الوزاني بتقديمها إلى الدوائر الفرنسية بوزارة الشؤون الخارجية بباريس، فسافرا معا إلى فرنسا واتصلا ببعض الأحرار الفرنسيين الذين كانوا يناصروننا في حركتنا وتكلف أربعة

منهم بتبليغها ودفعها إلى المكلف بالشؤون الخارجية، وكان من بينهم مسيو دوطيسان، وبعد تقديم المطالب ومرور سنة ونصف على تقديمها وعدم استجابة الفرنسيين لأي مطلب فيها، عقدت كتلتنا الوطنية اجتماعاً موسعاً بمنزل الوطني الوجيه سيدي الحفيان الشرقاوي بحي مَارَسَة بالرباط ونشأ عن هذا الاجتماع الذي أُلقيت فيه عدة كلمات من مختلف ممثلي فروع الكتلة، وقعت المصادقة على المطالب المستعجلة التي لقيت التأييدات من كثير من المدن المغربية، وخصوصاً من فاس الذي انعقد فيه اجتماع موسع ترأسه الزعيم علال الفاسي وأُلقيت فيه عدة كلمات من مختلف الشخصيات، ثم انعقد اجتماع ثان بمدينة «سلا» ترأسه أنا، وأُلقيت فيه بدوري عدة كلمات، انتهت بالمصادقة والتضامن المطلق مع المطالب المستعجلة، ولم يحضر في هذين الاجتماعين كل أعضاء الكتلة لأن البعض كان في باريس يشرح للدوائر الفرنسية الأوضاع السياسية في المغرب وعدم استجابة الإقامة العامة لأي مطلب من المطالب وهما محمد بن الحسن الوزاني وج عمر بن عبد الجليل، وبعد انقضاء أسبوع على تجمع «سلا» كان من المقرر أن ينعقد اجتماع رابع بمدينة الدار البيضاء، يعقبه عقد ندوة صحفية تعلن فيها ماقدرته كتلة العمل الوطني فيما يتعلق بالمطالب المستعجلة، ولكن السلطات الفرنسية منعت هذا الاجتماع وألقت القبض على ثلاثة زعماء اعتبرتهم المسؤولين الأولين عن هذه التحركات، وهم : علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني ومحمد اليزيدي، ولربما كان من المقرر لدى السلطات إلقاء القبض على الحاج عمر بن عبد الجليل في تلك الليلة، ولكنه عرف كيف يفلت في تلك الليلة، حيث طبق ماكانت قرره الكتلة من عقد ندوة صحفية بأحد المنازل، وبمجرد انتهاء تلك الندوة، قصد ميناء الدار البيضاء حيث امتطى ظهر باخرة كانت مسافرة إلى فرنسا في اليوم نفسه ووصل إلى باريس ليذيع أنباء الاعتقالات في نشرة صار يصدرها بانتظام خلال تلك الفترة واسمها (المُخبر المغربي) وليتصل ببعض الاشتراكيين وغيرهم من الذين كانوا يناصروننا في مطالبنا. وهكذا قام الحاج عمر بدور هام في تلك الفترة الدقيقة حيث لم يترك المجال فارغاً للإقامة العامة، تنشر الأخبار المزيفة عن حركة كتلة العمل الوطني ومطالبها المستعجلة، الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية، إذ ذاك تعطي تعاليمها لإيقاف الخط الذي كانت الإقامة العامة تريد السير فيه من كبت واضطهاد واعتقالات، وهكذا لم يمض خمسة وعشرون يوماً على اعتقالات الوطنيين ومنهم الثلاثة المذكورون المعتقلون في فاس الرباط وسلا وكنت منهم، حتى أفرج عنا بدعوى أن بعض الأعيان من فاس، التمسوا من السلطات أن تصدر عفوها على المعتقلين كما شرحت ذلك بتفصيل في الجزء الأول من المذكرات.

ولدى أحداث سنة 1937 وعقد المؤتمر الوطني وإصدار الميثاق الوطني الذي تقرر فيه قطع كل اتصال أو تفاهم مع الإدارة الفرنسية، مادامت متشبثة بسياسة القمع والاضطهاد، قررت الإدارة من جهةها الاستمرار في خطها القمعي فنفت علال الفاسي إلى أدغال إفريقيا الاستوائية ونفت وسجنت الكثيرين من الوطنيين وكان الحاج عمر بن عبد الجليل من جملة الذين نفتهم إلى الصحراء المغربية، فبقى منفياً ثلاث سنوات كاملات ولم يطلق سراحه إلا أوائل الأربعينات. ومنذ ذلك الوقت، وهو يوالي نشاطه الوطني رغم ظروف الحرب فكان من الأفراد القليلين الذين يتصلون سراً بمحمد الخامس لينسقوا معه العمل الوطني، ومن الذين جسّوا نبض البعثة الألمانية في المغرب وأدركوا سوء نيتها بالنسبة لاستقلال المغرب، وهو الذي وضع المسودة الأولى أو المشروع الأول لوثيقة المطالبة بالاستقلال قبل إدخال كثير من التعديلات والتوضيحات عليها من طرف الأعضاء الذين عهد إليهم بتحريرها ومنهم بعض أعضاء قداماء تلامذة مدرسة مولاي إدريس، ولدى الاستماع إلى ملاحظات وتنبهات محمد الخامس نفسه، وبعد إتمام تحريرها كان من الموقعين عليها ومن الذين قدموها إلى المسؤولين.

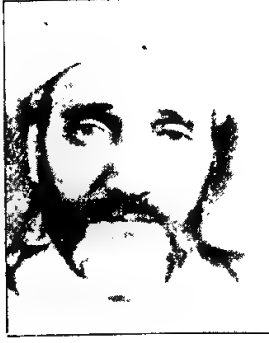
ولدى أحداث 29 يناير 1944 كان مكلفاً بالإشراف على تسيير فروع الحزب بالدار البيضاء فأعطى التعاليم التي وصلته من قيادة الحزب بالرباط، بشنّ إضراب عام في جميع المرافق التجارية والصناعية والتعليمية وغيرها، وكان الإضراب عاماً شاملاً اهتزت له أركان الاستعمار، ونظراً لأنه كان من جملة الذين لم يلق عليهم القبض في أحداث 29 يناير 44 فإنه بقي مع إخوانه في الرباط، يشرف على تسيير حركة الحزب، وإدخال التنظيمات الجديدة عليه، وتحرير المذكرات والرسائل التي كانت تبعث إلى المسؤولين الدوليين والعرب وبعد تأسيس الجامعة العربية سنة 1945. وبعد خروجنا من السجن أواخر سنة 1945 تقرر أن يتوجه وفد حزبي إلى باريس، للاتصال بالمسؤولين الفرنسيين وحثهم على الاستجابة لمطالبنا المشروعة، وإقناع الذين يهمهم الأمر، بضرورة تغيير الوضع السياسي بالمغرب بإلغاء معاهدة الحماية وتحقيق الاستقلال، وكان هذا الوفد الذي سافر إلى فرنسا خلال سنة 1946 تحت رئاسة الحاج عمر بن عبد الجليل وعضوية المرحوم عبد الكريم بن جلون والأستاذ أحمد الحمياي بالإضافة إلى المرحوم عبد الرحيم بوعبيد الذي كان سبقهم إلى باريس لإتمام دراسته في القانون من جهة، وللإشراف على حركة الطلاب الاستقلاليين وتشغيلهم من جهة أخرى، وفي سنة 1950 وقعت أحداث هامة في المغرب وفي الأطلس المتوسط بالخصوص، حيث أن وطنيينا قاموا بحركة مناهضة للقواد الذي كان يسيرهم الاستعمار، فقامت السلطات

الاستعمارية باضطهادهم وقمعهم بصورة وحشية، سالت معها الدماء في إقليم تادلة بالخصوص، فوجه الحاج عمر بن عبد الجليل برقية احتجاج شديدة اللهجة باسم حزب الاستقلال، تعرض إثرها للسجن هو والاخوة : الفقيه غازي وعبد الكريم بن جلون وعضو أو عضوين آخرين نسيت اسمهما، وقدموا جميعهم للمحكمة الفرنسية باعتبارهم مكونين لحزب يهدد الأمن العام، ويعمل ضد وجود الدولة، ولكن المحكمة بعدما استمعت للدفاع قررت تبرئتهم من الاتهامات المنسوبة إليهم، وفي دجنبر سنة 1952 بعد اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، قرر حزب الاستقلال الدعوة إلى إضراب عام في المغرب، تضامنا مع تونس الشقيقة، فألقى القبض على كل القيادة الاستقلالية ومنهم الحاج عمر بن عبد الجليل ونفي إلى الصحراء أولا ثم قدم مع رفقائه إلى المحكمة العسكرية، وذاق مرارة الاستنطاق العسير خلال أيام متعددة وبقي في السجن حتى آخر سنة 1954 عندما بدأت الأزمة تتفرج ويعمل على إرجاع محمد الخامس إلى عرشه. وعندما قرر الفرنسيون السماح لبعض القيادات والشخصيات بالاتصال بمحمد الخامس في منفاه بأنتسراي سافر هو والمرحوم عبد الرحيم بوعبيد إلى تلك المدينة، حيث اتصلا بالملك المجاهد، وتباحثا معه في موضوع الاستقلال ورجوعه من منفاه والشروط التي ينبغي أن تسير على ضوئها المذاكرة مع الفرنسيين، ثم بعد رجوع محمد الخامس من منفاه بمدغشقر إلى باريس كان الحاج عمر ضمن أعضاء اللجنة التنفيذية الذين استقبلوه (بنيس) وتحادثوا معه في موضوع استقلال المغرب أثناء مقامه في القصر الذي استقر فيه في ضواحي باريز.

وبعد الاستقلال شغل الحاج عمر بن عبد الجليل منصب وزير الفلاحة وفي عهده كانت عملية الحرث الجماعي التي كانت تعتبر ثورة في مجال التعاون بين الفلاحين، ثم عهد إليه في بعض الظروف بوزارة التهذيب الوطني، وعينه بعد ذلك جلالة محمد الخامس مديراً للبنك الشعبي في بداية تكوينه وتأسيسه وعضواً في المكتب الاستشاري الاقتصادي لبنك المغرب وبقي يشغل منصب المدير العام للبنك الشعبي إلى أن لقي ربه في شهر رجب عام 1402 الموافق ل 21 مايو 1982 بالدار البيضاء، وتقديراً لأعماله واعترافاً بما أسداه لبلاده وملكه من معروف شارك ولي العهد المحبوب سيدي محمد في تشييع جنازته مع الجماهير الواسعة التي ودعته والتي أتت من مختلف أنحاء المغرب، ولقد أبنته بالنيابة عن الحزب أثناء دفنه في مقبرة الشهداء بالدار البيضاء رحمه الله⁽³⁾.

(3) راجع كتابي عن الحاج عمر بن عبد الجليل.

4) الفقيه محمد غازي



تعرفت على الفقيه محمد بن علال غازي أوائل الثلاثينات، وزادت معرفتي به عندما عهد إليّ بتقديم مطالب الشعب المغربي إلى جلالة محمد الخامس رحمه الله سنة 1934، حيث ترأس الوفد الذي قدم المطالب المذكورة، والذي كان معنا فيه الشهيد عبد العزيز بن إدريس والمرحوم الحاج أحمد الشرقاوي ثم زدت معرفة به وبمركزه في كتلة العمل الوطني عندما زارني بمنزلي بحومة زناتة طالباً مني أن أؤدي قسماً لأنخرط في الجماعة السرية التي كانت تدعى بالطائفة. كما سأذكره في ترجمتي بخط يدي إن شاء الله، ثم توالى نشاطاتنا وأعمالنا الوطنية بعد ذلك إلى أن لقي ربه بالسعودية سنة 1972.

ازداد الفقيه غازي بمدينة مكناس عام 1319 هـ الموافق لسنة 1901 ميلادية، ولا أعرف له أخاً شقيقاً، وإنما أعرف له إخوة من أمه، هم : العيساوي المسطاسي وهو من الموقعين على وثيقة الاستقلال، والعربي المسطاسي وهو من أعضاء الحزب المخلصين ومحمد المسطاسي وهو موظف بالتشريفات الملكية منذ عهد محمد الخامس. وله من الأولاد : جمال الدين وعبد، وعلال.

بعد انتهائه من التعليم الابتدائي التحق بجامعة القرويين، فتعاطى الدراسات الفقهية والحديثية والقرآنية وكان من أوائل الطلبة القرويين الذين تنبه وعيهم، وتفتحت أذهانهم وصاروا يتتبعون الأحداث التطورية والنهضات الفكرية، خصوصاً الدعوة النهضة التي قام بها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ثم علال الفاسي بعد ذلك، ولعل اختيار أسماء جمال الدين وعبد وعلال أسماء لأبنائه الثلاثة كان تعبيراً عن تقديره وإعجابه بدعوات هؤلاء المصلحين، ورغماً عن اعتناقه الفكر السلفي الذي دعا إليه الشيخ محمد عبده ورشيد رضا فإنه بقي متشبهاً ببعض أفكاره الصوفية السنية التي كانت تطفو أحياناً على سلوكاته ولعله كان في شبابه الأول يحضر مجالس الذكر في الزوايا والتكايا وماشاكل ذلك.

أثناء تعاطيه الدروس بالقرويين أنشأ جماعة من الغيورين وعلى رأسهم الوطني الغيور الحاج أحمد بن الطاهر مكنوار مدرسة قرآنية حرة بالزاوية الناصرية بفاس، فدعى إلى

الاشتغال فيها كمعلم تم عيّن مديراً لها وكان ذلك في غضون سنة 1919 و1920، ولعل السبب في هذا التعيين كان يرجع إلى أنه أثناء دراسته بالقرويين كان مقيماً بمنزل الحاج أحمد مكوار الذي يرتبط معه بعلاقة عائلية.

بقي مدة يعطي الدروس ويسير المدرسة المذكورة التي كانت ناجحة، وكان يلتحق بها جمهور من أبناء أعيان ووجهاء فاس، فصارت تنتشر منها بعض الأفكار التحررية والسلفية، وصار الملتحقون بها ينتقدون الطرق التي كان يمثلها عبد الحفي الكتّاني المعروف باتصالاته وتعاونيه مع رجال الحماية الفرنسية، وهكذا تضايق عبد الحفي وأنصاره ومساندوه من رجال الحماية من نشاطاته ودعواته، فقررت الإدارة الفرنسية طرده من فاس ونفيه إلى الدار البيضاء سنة 1927، ولقد تعرض أثناء نفيه للدار البيضاء لبعض الأحوال النفسية زمناً يسيراً ثم توالى في نشاطه الوطني والديني، فأسس جماعة إحياء السنة ونبذ البدعة، وأدار مدرسة حرة كانت تسمى مدرسة عكور الحرة. وفي سنة 1931 إثر حركة الظهير البربري انتقل إلى مدينة مكناس وصار يعطي الدروس في مختلف مساجدها، ويتصل بالشباب والطلبة ليكون منهم جماعات وطنية كانت هي النواة الوطنية الأولى بمدينة مكناس وفي سنة 1934 كان من جملة الذين ساهموا بآرائهم في تهيب مطالب الشعب المغربي ومن الأربعة التي قدموها لجلالة محمد الخامس رحمه الله، وأذكر أنه لدى تقديمنا للمطالب ومقابلتنا للصدر الأعظم، صار هو يقدمنا له واحداً واحداً فأشار إلى المرحوم عبد العزيز بن إدريس كممثل لفاس وإلى سيدي أحمد الشرقاوي كممثل للرباط وإلى كاتبه كممثل لسلا، ثم سكت، فنطق المقرري قائلاً : ولعلك أيها الفقيه تمثل الجميع. وفي سنة 1935 انتقل إلى مدينة آسفي كوكيل شرعي لدى المحاكم الشرعية، وكان القاضي الشرعي إذذاك إن لم نخفي الذاكرة، هو الفقيه العبادي، ومن جملة الذين كان يتصل بهم في آسفي من العلماء الفقيه سي إدريس بناصر والفقيه الخطيب الشريف الوزاني والمرحوم الحاج محمد الباعمراني والفقيه بولحية وكان من أصحاب ورفقاء البطل ابن عبد الكريم ومن الذين نفوا إلى مدينة آسفي بعد نفي ابن عبد الكريم رحمه الله، مكث الفقيه غازي في آسفي سنتان كاملتان : 1935 و1936 ثم انتقل إلى مدينة الرباط، وكان من الذين يشاركون مشاركة فعالة في اتخاذ القرارات التي تتخذها كتلة العمل الوطني ومن الأساسيين في قيادة الحركة الوطنية، وكانت تجاربه وأفكاره واقتراحاته تفيد الجماعة لدى اتخاذ أي قرار حتى صرنا ندعوه بالمفتي والمشير بالحل في عويصات القضايا، كان الإخوان جميعهم ينظرون إليه نظرة التقدير والاحترام، نظراً لما كان يتمتع به من ذكاء ودهاء ومعرفة هامة بالمجتمع المغربي

وطبيعته وتقلباته، كما كانت له دراية وافية بالسيرة النبوية وقصص الأنبياء والمرسلين السابقين صلوات الله عليهم أجمعين، ومن أغرب ما كان يوصف به في صورته الخلقية (بفتح الخاء وسكون اللام) أنه يشبه صورة المسيح عليه السلام كما صورته الرهبان ومن الغريب أن بعض الفرنسيين الذين أتيح لهم الاتصال به، كانوا هم أيضاً يشبهونه بالمسيح. أثناء حوادث أكتوبر سنة 1937 ألقى عليه القبض هو بدوره، وقضينا جميعاً بسجن الرباط وسجن غبيلة بالدار البيضاء وسجن العذير سنة كاملة، ولنامعه بالسجن عدة ذكريات لأطيل بذكرها، وبعد خروجنا من السجن في آخر أكتوبر سنة 1938 تعاوننا جميعاً على إحياء فروع الحزب وتنظيمه، وكان رحمه الله أحياناً يتهرب من بعض المسؤوليات، وربما لاكتشف منه بعض ما يضره، وفي شتنبر 1939 بعد لقاءات ومناقشات كانت حادة في بعض المواقف، اتفقنا على الإدلاء بتصريح حول موقف الحزب في ظروف الحرب، فألقى تصريحاً إثر مقابلتنا للمقيم العام أكد فيه موقفنا الصريح في ظروف الحرب، وأتينا مع الجانب الذي فيه فرنسا والحلفاء ضد النازية ومحورها وأكد استعدادنا للتعاون للنزاهة في المجال الحربي والسياسي مع الإدارة الفرنسية بشرط ضمان مصالح المغرب، وكان هذا القرار الذي اتخذناه بأجمعنا نحن أعضاء اللجنة التنفيذية الموقرة المترتبة من الفقيه غازي والمرحوم أحمد الشرفاوي والمرحوم سعيد حجي وكتبه أبي بكر القادري، ونتج عن هذا القرار السماح باتصالات مع بعض المعتقلين قام بها الفقيه غازي والسعيد حجي، كانت لها نتائج مستقبلية، وبعد رجوع بعض المنفيين من منافعهم، واتفقنا على المطالبة بالاستقلال كان الفقيه غازي من أبرز الذين يشاركون في المناقشة وأخذ القرار، ومن الذين يتصلون سرياً مع الملك الصالح سيدي محمد الخامس لاستشارته وأخذ رأيه قبل اتخاذ أي قرار، كما كان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال ومن أعضاء الوفد الذي قدم العريضة لجلالة الملك. وأثناء الأحداث التي وقعت يوم 29 يناير 1944 كان الاخوة كلفوه بالاشراف على تسيير معهد جسوس الذي أسسه الحاج أحمد بلافريج ولذلك بقي بعيداً عن كل تظاهر، ومن أجل ذلك لم يلق عليه القبض.

وعندما قرر الحزب التحايل على الإدارة في ميدان حرية الصحافة، كلفه بإصدار مجلة (رسالة المغرب) الثقافية التي كان لها دور هام في نشر الوعي الثقافي وجمع نخبة من المثقفين حولها وإثر أحداث دجنبر 1952 ألقى عليه القبض مع باقي أعضاء اللجنة التنفيذية فنفي أولاً إلى آسا بنواحي كولمين ثم أحيل معنا على المحكمة العسكرية بتهمة التآمر على الدولة، فقضينا مدة تقرب من الستين بين جدران سجون : الرباط —

الدار البيضاء — السجن المركزي بالقنيطرة وأُفرج عنه أواخر سنة 1954، وكان أثناء وجودنا بالسجن، ولدى بروز علامات الانفراج يقول لنا : إذا مامن الله علينا بنعمة الاستقلال، فأملّي أن أعين سفيراً للمغرب بالمملكة العربية السعودية، وهكذا حقق الله أمله، ففي سنة 1957 عينه جلالة محمد الخامس أول سفير للمغرب بجدة، وبقي في السفارة إلى سنة 1965 حيث أُحيل على التقاعد، فرفض المجيء إلى المغرب رغم المرض الذي حلّ به، واختار المقام بجدة ليبقى قريباً من الحرمين الشريفين إلى أن يلقي ربه يوم 26 ماي عام 1972، فنقل جثثانه إلى المدينة المنورة وصلى المسلمون عليه صلاة الغائب بالحرم المكي وصلى عليه أيضاً بالمدينة المنورة ثم دفن بالبقيع جزوار الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، رحمه الله وأجزل له الثواب.

5) الشهيد السيد عبد العزيز بن إدريس العمراوي



من أعلام علماء القرويين الشباب، درس علوم الفقه والحديث والقرآن وماشاكل ذلك من العلوم التي كانت تدرس بجامعة القرويين، ومن جملتها علم التنجيم والفلك والرياضيات وكان في هذه العلوم من البارعين، أثناء وجودنا بسجن الدار البيضاء في سنة 1937 و 1938 استفدت منه كثيراً في علم التنجيم، وزاد سجنّي معه في تلك الفترة من تاريخ الكفاح الوطني تعرفاً عليه وعلى صوفيته الوطنية وتدينه المثالي، كان يصلي بنا الأوقات هو والعالم الصالح سيدي عبد السلام الوزاني رحمه الله.

ازداد سنة 1907 بمدينة فاس، وتعاطى دروسه جميعها بين أحضانها، وكان له أثناء دراسته في القرويين رفقاء أعلام كان لهم دور وأي دور في تاريخ الكفاح الوطني، ونشر الوعي الديني، ونشر الثقافة والمعرفة، وفي طليعتهم الزعيم علال الفاسي والسلفي محمد إبراهيم الكتاني والمطلع الفقيه السيد بوشتي الجامعي والوطني الحر السيد الهاشمي الفلالي وغيرهم كثير، ولقد صادف الحال أن يكون تقدّمه لامتحان شهادة العالمية، هو ورفيقه علال الفاسي ومحمد إبراهيم الكتاني سنة 1930 وهي السنة التي استصدر فيها الفرنسيون ظهير 16 ماي 1930 الذي بموجبه خططت السياسة الاستعمارية لتقسيم المغرب، وتمزيق وحدته السكانية والثقافية والقضائية والادارية وحتى الدينية فقام المغرب

قومته الموحدة، لافرق بين سكان المناطق البلدية ولايين سكان المناطق القروية والبربرية، وكان من جملة الذين تظاهروا ضد هذه السياسة الاستعمارية التفريقية الشهيد عبد العزيز بن إدريس الذي لقي كل أذى أثناء تلك الفترة حيث جلد على رجله من طرف الباشا ابن البغدادي ونفي بضعة أشهر إلى سجن مدينة تازة. هو ورفقاؤه في الكفاح، علال الفاسي — محمد بن الحسن الوزاني — والهاشمي الفلالي وربما غيرهم.

وبعد إطلاق سراحه، جاء وقت تقدمه للامتحان كما ذكرت سالفاً، فكان نجاحه بتفوق حسبما قررت لجنة الامتحان، ولكن الادارة الاستعمارية قررت أن تحرمه هو ورفيقاه في الامتحان وهما علال الفاسي ومحمد إبراهيم الكتاني اللذان بدورهما نجحا بتفوق من نيل الشهادة العالمية ما لم يتراجعوا عن موقفهم ضد السياسة البربرية، وعلنوا توبتهم عما قاموا به من احتجاج واستنكار لصدور الظهير البربري، فأبى عليهم شهادتهم الوطنية، وكرامتهم الدينية أن يلبوا ماطلبت منهم الادارة، ورفضوا أن يستبدلوا تلك الكرامة بورقة مطبوعة تعطيهم الاعتراف بالعالمية التي لايعيرونها أي اهتمام، إذ يعتبرون الشهادة الحقيقية هي ماسوف يقومون به من أعمال في ميادين نشر المعرفة والوعي الوطني وخدمة شعبهم الذي ينتظر منهم الكثير، وهكذا دخل عبد العزيز بن إدريس ورفقاؤه في ميدان الامتحان الحق، ونيل الشهادة الحققة، فعاهد الله على مواصلة الجهاد والكفاح والتبشير بالمبادئ الصحيحة، وتربية الناشئة، وخدمة الطبقة العاملة، وتكوين الخلايا الوطنية التي تربي على الفضيلة والاستعداد للتضحية، فصار يدعو إلى التعليم ويعلم الأبناء ويربي الأجيال، وانخرط في سلك المدرسة التي كان يديرها، كثير من الشباب الذي سيصبح له دور وأي دور في الحقل الوطني والثقافي والديني، وكان عبد العزيز بن إدريس المثال الحي، والقُدوة الصالحة لا في علمه وتعليمه فحسب، ولكن في تشخيص الأفكار والمبادئ التي كان يدعو إليها. وكان بالإضافة إلى ذلك، أول من يلبي نداء الواجب الوطني إذا مادعا داعي النضال والجهاد والتضحية بكل مايملك. كان مثال الرجل الوطني الحر المتواضع الذي لايرغب في جاه ولا منصب ولا أي متاع من متاع الحياة الدنيا، عرف السجن والنفي والإبعاد المرات العديدة، في سنة 1930 وسنة 1936 وسنة 1937 وسنة 1944 وسنة 1952 وذاق خلال بعض سجناته المرائر والعذاب والضرب والتنكيل، رأيته رحمه الله أثناء سجننا عام 1944 وهو ممتد داخل زنزانة في سجن الرباط، لا يستطيع حتى الكلام، فأشار إلى رجله البارزين من تحت الغطاء ويكادان يتقاطران دماً من شدة الضرب الذي لاقاه، وحكى بعد ذلك مآلقاته هو وصديقه الهاشمي الفلالي ورفيقه أحمد مكوار من تنكيل وعذاب

لا يتحمّله إلا الصادقون الصابرون، ورغمًا عما قاساه من امتحان، فإنه لم يئأس ولم يضجر ولم يتخل مطلقًا عن أداء واجب من الواجبات التي يتكفل بها، وكان يقول بعد ما يجوز فترة من فترات الامتحان الذي كان يقاسيه : (إنه الانتصار... انتصرنا أولاً على أنفسنا نحن أيضاً، كنا نعتبر السجن عالم المجرمين والمهانين وسيئي السمعة، السجن الآن — وفي عصر المسخ — أصبح يحمل معنى آخر هو الحرية، الحرية ؟ لاتسألوا ولكن اسمعوا، حينما يدخل جسمك السجن، تخرج نفسك إلى عالم الحرية، لأنها تتحرر من السجن الأبدي الذي سكّنها وسكنته، أن تناضل يعني أنك تحرر من الجبن والرضى بالهوان... أن تقول : لا، فتدخل السجن، يعني أنك تجرأت فسلكت الطريق الممنوع، أن تدخل — بكل كرامتك — السجن، يعني أنك أخرجت حرية بلادك وكرامتها من سجن كبير، فرض عليها بقوة الحديد والنار).

عرفت الشهيد عبد العزيز بن إدريس مناضلاً شهماً متواضعاً في كل أطوار حياته، سواء قبل الاستقلال أو بعد الاستقلال، فهو من القلائل الذين لم يتغيروا في سلوكهم ولا في تعاملهم بعد الاستقلال، لم يتطلع إلى وظيف، ولم يرتض أن ينال تعويضات على ما قدم من تضحيات، بقى يؤدي واجبه الوطني والديني بنكران للذات قل نظيره، يتصل بمختلف الطبقات الشعبية، خصوصاً طبقات المحترفين والصناع التقليديين والتجار الصغار والطلبة المجددين والفلاحين اليدويين، يتصيّد كل الأوقات ليؤدي واجبه الوطني، سواء في الليل أو النهار، يتنقل بين الحواضر والبوادي، خصوصاً بوادي فاس والأطلس المتوسط، إذا ما قرر إخوانه في قيادة الحزب أن يترك مدينته المفضلة : فاس ليؤدي واجبه في ناحية أخرى، فإنه لا يتردد، كان مفتشاً للحزب في ناحية الرباط بعد الاستقلال، وانتقل إلى أكادير ثم انتقل إلى مراكش التي لقي في ناحيتها حتفه بيد أئيمه، فلقد كان يؤدي واجبه الوطني في قرية تحاوت القرية من مراكش، وكانت الأيدي الأئيمة النكراء تبرص به الدوائر لتغتاله وتذبحه وهو يقول ربّي الله، لقد اغتالته الأيدي الأئيمة التي تدعي انتاءها إلى الوطنية، والوطنية الحقيقية منها براء، لقد كان عاقداً لاجتماع وطني في دائرة حزبه، فهجمت عليه الفئة الضالة المتعنتة وذبحته في واضحة النهار، وهو يناشدها أن لاتفعل، ولكنها كانت معمية ومضللة وطاغية فسقط مضرجاً في دمايته يوم 15 شوال 1378 هـ الموافق لـ 24 أبريل 1959، ولقى ربه شهيداً يؤدي واجبه بصدق وإخلاص رحمه الله وأسدل عليه شآبيب الرحمة وحشرة مع الشهداء والصدّيقين والصالحين (وحسّن أولئك رفيقاً).

6) أبو الشتاء الجامعي



لا أذكر متى تعرفت على الأستاذ بوشتي الجامعي بالضبط، وإنما أذكر أنني كنت ألتقيه عندما أזור فاساً، فأجده مع الأخوين : عبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلاحي. وعندما يتحدث الاخوان بفاس عنه، يذكرونه بالاحترام والتقدير، ويشنون على الدروس التي يلقيها لتلاميذه، وأنهم يستفيدون منه كثيراً، كما يشنون على وطنيته ودينه المتين وهكذا صرت أتعرف عليه وعلى وطنيته، وأنه كان من السابقين الذين تنبّه وعيهم وأبتدأ نضالهم وتبشيرهم بالأفكار والمبادئ الوطنية، سواء أكان بفاس الذي كان يتعاطى دروسه في القرويين أو في أولاد جامع القرية من فاس التي هي موطنه الأصلي.

ازداد سي بوشتي كما كنا ندعوه دائماً بأولاد جامع، وبعد إنهاء دراسته الابتدائية التحق بالقرويين فتابع دراسته المتنوعة فيها على مختلف العلماء الذين كانوا يلقون دروسهم في العلوم الدينية والأدبية، ويتراءى لي أن عكوفه على الدراسة أكسبه معرفة دقيقة بالعلوم الفقهية واللغوية حسب الطريقة التي كانت متبعة في القرويين، فلقد كان يحلل النصوص ويفهمها حتى النصوص الأدبية مثل ديوان الحماسة مثلاً التي بقي بدرسها لتلاميذه حتى بعد استقراره بالدار البيضاء ويظهر لي أن إدراكه ربما يكون بطيئاً بعض الشيء مثل حديثه، ولكنه عندما يدرك المعنى يكون إدراكه صحيحاً، لقد رأيته يدرس مدارج السالكين لابن القيم وأنا في سجن غبيلة بالدار البيضاء، فكان يغوص على المعاني ويتذوقها ولربما كان يخطئ الآخريين الذين يطالعونها، لقد كان يعطي دروساً ببعض المدارس الحرة بفاس، ثم لما قرر الحزب بطلب من الاخوة الوطنيين بوجدة، أن يفتح مدرسة حرة بها، تولّى إدارتها وتسييرها الوطني الصالح الشريف سيد عبد السلام الوزاني، فكان سي بوشتي يساعده كل المساعدة لدى إنشائها، ثم انتقل إلى مدينة القنيطرة، حيث كان يسيّر المدرسة التي أسسها الحزب تحت إشراف المرحوم الشهيد السيد محمد الديوري، والتي كانت تقع بمنزل صغير أولاً ثم انتقلت إلى منزل أوسع، قبل أن تشيّد في الموقع الذي تقع فيه الآن، وهي مدرسة التقدم التي يديرها الآن أخونا المناضل السيد أحمد بن الحاج السلمي.

لقد زرتة في المدرسة الصغيرة سنة 1937 وكنت باشرت التعليم قبل أربع سنوات عندما أسست المكتب الاسلامي بزاويتنا القادرية، ثم انتقلت إلى دار كانت في ملكي وملك أختي رحمها الله، عندما أدخلت كثيراً من التحسينات على طريقة التعليم وعصرنته، لقد زرتة لأستطلع منه ماطبقه في مناهج التعليم وطريقة التلقين، وتنويع الدروس إلخ، فأدركت أنه حاول إصلاح المناهج التعليمية وعمل على ترقيةها جهد الإمكانات التي كانت لديه إذاك، وانه بمساعدة المرحوم الديوري استطاع أن يركز أسس التعليم الحر بالقنيطرة، حتى أعطى ثمرته الكاملة بعد ذلك في عهد الشريف العلوي الذي تولى إدارة المدرسة بعد انتقال سي بوشتي إلى الدار البيضاء، أو في عهد الأستاذ أحمد بن الحاج السلمي حفظه الله. بعد انتقاله إلى الدار البيضاء، وتأسيس مدرسة «لارميتاج» الثانوية التي كان يديرها الأستاذ الهاشمي الفلالي، كان يعطي دروساً ثانوية ويساعد الأستاذ الهاشمي في التسيير ولايكتفى بذلك، بل كان يعطي دروساً ثقافية ووطنية بمنزله، وكان يستفيد منه الكثيرون الذين بقوا دائماً يعترفون له بالجميل، وأذكر أن الأستاذ علي يعتة رئيس حزب التقدم والاشتراكية كان يثني عليهثناء العاطر، ويعترف أنه استفاد منه كثيراً رحمه الله، وأثناء مقامه بالدار البيضاء كانت له علاقات علمية متينة مع بعض علمائها المخلصين أمثال الحاج محمد المذكوري وأخيه الحاج أحمد رحمهما الله.

وفي المجال الوطني كان سي بوشتي من المؤسسين للحركة الوطنية بفاس والمقاومين للسياسة البربرية سنة 1930 ومن المطالبين بإصلاح التعليم في الفترة التي كانت مطالبة تغيير الأساليب العتيقة في مجال التعليم والتثقيف تعتبر ذنباً وجرملاً لاتغفره الإدارة ولأنصارها من الجامدين، وعندما أسس الزعيم علال الفاسي الخلية الوطنية الأولى أواخر العشرينات، كان سي بوشتي من أنشط الأعضاء فيها، وكان ينتقل بين فاس وأولاد جامع ليث الأفكار الوطنية السلفية، ويكسب الأنصار الأمر الذي جعل الإدارة الفرنسية تتربص به الدوائر، وتلقي القبض عليه وتسجنه، فكان أول سجين من أعضاء الخلية الوطنية المذكورة، ثم نفى إلى الحياينة بنواحي فاس، وبعد سراحه عرضت عليه الإدارة مهنة العدالة لتستريح من تحركاته فرفض هذا العرض، وكانت النتيجة أن منعه من الذهاب إلى فاس، ولكنه كان يتحداها ويلتحق بإخوانه بفاس عندما يُرخي الليل سدوله، ثم بعد مضي الزمن وانتشار الأفكار الوطنية وذيوها وكثرة المنخرطين في الحركة الوطنية، سواء قبل تأسيس كتلة العمل الوطني سنة 1934 أو بعدها كان سي بوشتي من المؤسسين البارزين الوطنيين، وكان من أعضاء الطائفة التي تعتبر الجماعة السرية لكتلة العمل الوطني وللحزب الوطني ثم للحزب الاستقلال،

وأثناء وجوده بالقنيطرة سنة 1937 شارك في المظاهرة الضخمة التي وقعت فيها إثر نفي الزعيم علال وصحبه الكرام، فكان من جملة المعتقلين الذين ذاقوا الأمرين بالريش، ثم نقل إلى سجن عين علي ومومن، ثم إلى سجن غبيلة بالدار البيضاء حيث التقينا هناك مع الكثيرين من إخواننا الذين جمعهم سجن الدار البيضاء. وفي مدينة الدار البيضاء اشتغل فترة زمنية قصيرة بالتجارة في طريق مديونة، ولكن التجارة لم تتلاءم معه — فرجع إلى مهمته الحقيقية التي هي التعليم ونشر الأفكار الوطنية السلفية، فكان من جملة المؤسسين لمدرسة الأزهر الثانوية والعاملين على نجاحها. بعد تحقيق الاستقلال. وكان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ومن الذين تحملوا الكثير من المتاعب في سبيل الاستقلال.

لقد كان سي بوشتي كما عرفته رجلاً وطنياً سلفياً في وطنيته، داعياً إلى الاستمساك بالسنة النبوية، متديناً صحيحاً، يقبل على ربه أثناء صلواته بكل كيانه وخشوعه ملازماً للمطالعة في كل أوقاته خصوصاً عندما أتعبه مرض أصابه في ركبتيه، فكان يقضي أوقاته في منزله يطالع ويذاكر الذين يقصدونه من طلابه ومحبيه، متبعاً مع ذلك مايجري من أحداث وتقلبات وخصوصاً منها مايتعلق ببلاده وانتخب عضواً في مجلس الرئاسة لحزب الاستقلال أواخر حياته كان يعرف حق المعرفة المناوئين للفكر الوطني السليم، ويحض على الابتعاد عنهم. وإذا ماسمع حدثاً جديداً يتعلق بنيل مواطنيه حقاً من حقوقهم، فإنه يُسر كثيراً، وينشط وكأنه ربح الصفقة، كانت سكناه متواضعة، وحياته متواضعة، ولكن قوته الايمانية لاتوزن بميزان. توفي رحمه الله بتاريخ سابع دجنبر من سنة 1990 ودفن بمقبرة الشهداء، وأبّنه بالمسجد رفيقه في الكفاح الأستاذ الهاشمي الفلالي، وبعد مرور أربعين يوماً على وفاته أقام له الحزب حفلاً تابينياً خطب فيه الكثيرون من إخوانه وأحبائه، وألقيت بدوري كلمة في موضوع التأين ونشرتها في كتابي «رجال عرفتهم». رحم الله الأخ سي بوشتي الجامعي، وحشره في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين.

7) السيد مسعود الشيكرك



عندما كنت أزور المرحوم الأخ محمد اليزيدي، أجد أحيانا عنده الأستاذ مسعود الشيكرك، وعلمت أنه درس وإياه في كوليج مولاي يوسف بالرباط، وتوثقت العلاقة بينهما ثم بعد حين علمت أنه من الجماعة الوطنية الأولى وإن كان لم يكشف عن نفسه إلا سنة 1944 عندما وقع مع إخوانه على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

ازداد السيد مسعود الشيكرك (بكسر الشين المشددة، وفتح الكاف المعقدة) بضاحية سيدي قاسم

(قبيلة الشراودة) سنة 1905، ولما بلغ سن الدراسة أدخل للكتاب القرآني ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية ثم إلى كوليج مولاي يوسف بالرباط، ثم التحق بمعهد الدروس العليا التي كان يلتحق بها الحاصلون على شهادة دبلوم انتهاء الدراسة الثانوية (وهي تعادل البكالوريا) وحصل على شهادة الدروس العليا منها سنة 1927 وكانت هذه الشهادة تؤهل الحائز عليها لنيل وظيفة بإدارة الشؤون الشريفة، فالتحق بهذه الإدارة الشريفة التي كان التحق بها أيضاً المرحوم محمد اليزيدي والمرحوم ج بوبكر الصبيحي والتي كان موظفاً فيهما قبلهما المرحوم عبد اللطيف الصبيحي الداعية الأول لمقاومة الظهير البربري 1930 والذي بسبب دعوته هذه استقطب كثيراً من الأنصار المثقفين ومنهم الذين كانوا موظفين بإدارة الأمور الشريفة أمثال اليزيدي والصبيحي ج بوبكر ومسعود الشيكرك.

وعندما تأسست جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف بالرباط كان عضواً فيها، وخلال كل هذه الفترات كانت علاقته وطيدة مع اليزيدي ولربما مع بلافريج أيضاً، فكان محل ثقة الرجال الأولين الذين قامت على أكتافهم الحركة الوطنية بالرباط، وكان يساعد بالكتابة في الصحف الوطنية الصادرة في الغالب بالفرنسية ويوقع بأسماء مستعارة مثل أبو إدريس أو أبو الفوارس، وكان مايكتبه ويحرره محل اهتمام نظراً لدقة تعابيره وابتعاده عن الحشو، ولعل ذلك يرجع إلى دراسته القانونية، التي جعلته يزن الكلمات ويحقق مدلولاتها قبل أن يعبر بها، ومن هنا فإنه أفاد الكتلة الوطنية لدى وضعها لمطالب الشعب المغربي سنة 1934 حيث كان يراجع ما كان يحرق، وييدي كثيراً من الملاحظات

الدقيقة، وقد أدركت بدوري هذه الملاحظات التي يتقدم بها ويديها عندما كانت تجمعنا بعض المناقشات والمذكرات أثناء تحريرنا لمذكرة سياسية، أو كتابة مقال سياسي هام، فيبدي ملاحظات هامة ودقيقة في التعبير، الأمر الذي كان يرهن لي على أنه دقيق كل الدقة فيما يتعلق بتحريراته وكتابته.

لقد كان للحزب أثناء فترة الأربعينات بالخصوص بعض الإخصائين في تحرير المذكرات والعروض التي يتقدم بها إلى الدوائر المختصة في الداخل والخارج، وكان مسعود الشيكرو والحاج أحمد بناني من هاته الجماعة التي تشغل دوماً في التحرير، وإن كان أسلوب تحرير الشيكرو يختلف عن أسلوب بناني من حيث الدقة، فبمقدار ما كان أسلوب الشيكرو دقيقاً وقانونياً بمقدار ما كان أسلوب بناني أدبياً وموسعاً.

وعندما قرر الحزب رفع مذكرة موسعة لهيأة الأمم المتحدة بعد تكوينها في الأربعينات، تدحض ماكانت تقدمه الحماية من أعمال وإصلاحات، كان سي مسعود الشيكرو من الذين ساهموا المساهمة الفعالة في كتابة هذه المذكرة التي بعدما تمت، كانت أعطت كثيراً من البيانات الواضحة، والاحصاءات المدققة عن أعمال الحكومة الفرنسية في المغرب، خصوصاً الفوارق الواضحة والفاضحة الواقعة بين ماينخصص للجالية الفرنسية وماينخصص للمغاربة عندما تقرر الإدارة الفرنسية ماينبوب هذه أو تلك في الميزانية.

لقد انخرط مسعود الشيكرو في سلك الجماعة السرية التي كانت تدعى بالطائفة، فكان مطلعاً على كثير من أسرار الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال، وكان يشتغل بسرية مطلقة، بحيث لم يكن يعرف مقامه في الحزب إلا القليلون من أعضاء الحزب أنفسهم ولم يتعرف عليه الكثيرون إلا بعد توقيعه وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 والتي كان الحزب قرر أن يوقع عليها كل المنخرطين في الطائفة، فكانت نتيجة توقيعه، هي طرده من الوظيفة التي يشتغل فيها.

لقد التحق بالوظيفة التي كان يشغلها بإدارة الأمور الشريفة سنة 1928، وأقصى عنها سنة 1944 وفي سنة 1947 بعد تعيين إريك لابون في الإقامة العامة ومحاولته تلطيف الجو السياسي عيّن سي مسعود الشيكرو رئيساً لمكتب الوزير الأول في الصدارة العظمى، وبقي في هذا المنصب إلى سنة 1950 حيث كانت الإدارة الفرنسية قبلت أن يكون لصاحب الجلالة محمد الخامس ديوان ملكي باختياره، فكان المدير هو الحاج محمد ابا حنيني وكان نائب المدير هو سي مسعود الشيكرو، وأثناء وجوده بالديوان

الملك الذي التحق به في 15 شتنبر 1950 وبقي فيه إلى 26 يراير 1951 تعرف عليه كثيراً جلالة محمد الخامس، وأدرك فعالية فكره ودقة فهمه، فما أن رجع من منفاه بمدغسكر إلى سان جرمان بفرنسا حتى وجه إليه برقية بتاريخ 5 نونبر 1955 يدعوه إلى الالتحاق به في باريز ليصبح عضواً في الديوان الملكي، ثم ليرافقه في الطائرة التي أقلته من باريز إلى المغرب، وهذا يدل على الخطوة التي حظي بها عنده والثقة التي نالها منه رحمه الله.

وبعد الاستقلال عيّن مديراً للديوان الملكي ثم وزيراً للداخلية، ثم كاتباً عاماً لمجلس الدستور، ثم عيّن رئيساً لديوان الحسابات، ثم مستشاراً بالمجلس الأعلى للقضاء.

ويجب أن أسجل له هنا أنه رحمه الله لدى اشتداد الأزمة بين محمد الخامس في الخمسينات وبين الإقامة العامة الفرنسية، كان سي مسعود الشيكري يدخل القصر الملكي متنكراً ليقوم بتحرير بعض المذكرات التي يكون محمد الخامس قرر رفعها إلى الحكومة الفرنسية. ولقد أشرت إلى أن سي مسعود التحق بالديوان الملكي في سنة 1950، ولكن بعد اشتداد الأزمة بين محمد الخامس والفرنسيين، قرر الفرنسيون حل الديوان الملكي، وفصل الأعضاء الذين كانوا فيه والذين كان من جملتهم مسعود الشيكري، حيث قررت الإدارة أن تنقله إلى مراكش كعضو بمحكمة مراكش، فرفض هذا التعيين، ولم يقبل أن يشتغل تحت رحمة الكلاوي.

وفي 18 أبريل 1969 لبي سي مسعود الشيكري بمدينة سلا داعي ربه، فالتحق بالرفيق الأعلى رحمه الله.

8) بنو زكري عمرو أوبناصر الزموري



السيد عمرو أوبناصر بنوزكري من خيرة الوطنيين الشبان الذين تعرفت عليهم في الأربعينيات وما بعدها وبعد الاستقلال، عرفت فيه الاستقامة الوطنية الصميمة والتعلق بالمثل العليا والعمل للخير العام.

ازداد بآيت واحي في دائرة تيفلت إقليم الخميسات يوم عاشر مارس 1916، وتلقى دراسته الابتدائية بمدرسة موسى ابن نصير بالخميسات، ودرسته الثانوية بثانوية آزر التي سميت بعد الاستقلال بثانوية طارق بن زياد، وفي هذه الثانوية ربط علاقات أخوية وطنية

مع بعض رفقاته في الثانوية في طليعتهم الأستاذ عبد الحميد بن مولاي أحمد الادريسي الزموري والسيد عبد الله الرحماني الزموري وكل هؤلاء بعد مغادرتهم الثانوية صاروا يشتغلون بالتعليم. انخرط سي اعمر في مدرسة تخريج المعلمين وتخرج منها معلماً سنة 1934، فصار يعطي دروسه في اللغة الفرنسية إلى غاية 1944 عندما وقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 هو وصديقه السيد عبد الحميد الزموري الذي كان سبقه على ما يظهر إلى الانخراط في سلك الحزب الوطني، لقد كان سي اعمر رحمه الله من الشخصيات الوطنية الشابة التي وعت مسؤوليتها وأدركت بعمق كبير ما يضمه الاستعمار الفرنسي من مكر وتفريق وتشيت للشعب المغربي، كما أدرك أن المدرسة الثانوية التي كان ملتحقاً بها لم ينشئها الاستعمار بالشكل الذي كانت تُسير به، إلا لأغراض استعمارية، خيَّب الشبان الوطنيين الذين كانوا ملتحقين بها أغراض الاستعماريين، وأكدوا للجميع أن دسائس الاستعماريين لم تكن خافية عن أعينهم، وأنهم دائماً مع وحدتهم الوطنية والدينية والثقافية لا يتغنون غيرها أبداً.

لقد انخرط سي اعمر في صفوف الحزب الوطني مع بقية إخوانه، وعندما نادى منادي المطالبة بالاستقلال كان أول الملين للتوقيع على عريضة الاستقلال، غير ملتفت للوظيفة التعليمية التي كان يشتغل بها، الأمر الذي جعل المراقب الفرنسي، في مدينة الخميسات يندهش من توقيعه على وثيقة الاستقلال وينادي عليه ليؤنبه ولربما يحاول إرجاعه عن الالتحاق بجماعة الاستقلال، فتلقي منه الجواب الصريح الواضح أن الاستقلال مطلبنا، وأنني مع إخواني الموقعين على الوثيقة لا أترجع ولا أنكص على عقبي.

لقد سبق له أن نفي إلى مدينة الصويرة سنة 1937، عندما أدرك الفرنسيون أنه يقوم بدور المرابي الوطني، الناشر للأفكار الوطنية، والمكون للخلايا الحزبية، وعندما رآوه يشارك المشاركة العملية في الاحتجاجات والمظاهرات التي ترفض الاستعمار ومخططاته سواء منها ما يتعلق بالسياسة البربرية أو غيرها من المخططات الاستعمارية، وتأكد لديهم إثر توقيعه على المطالبة بالاستقلال، أنه ليس من تلك الطينة التي أرادوا أن ينشئوا الناشئة الأمازيغية عليها.

لقد ذكر لي رحمه الله عدة مرات أنه بمقدار ما هو معتز بمغربيته وانتائه لقبائل زمور، بمقدار ما هو معتز بتسلسله من العثرة النبوية الشريفة، فهو شريف النسب، وشريف الانتماء الوطني، وكثير الاعتزاز بما قدمه ويريد أن يقدمه لوطنه الصغير والكبير، ويعني

بالكبير الوطن العربي والإسلامي، وفي هذا المجال عندما أردنا أن نكون الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الوطني كان من المتحمسين العاملين فيها ومن أعضاء لجنتها المركزية. ومن الذين أسسوا لها فرعاً في الخميسات وتيفلت، وضمنها خلية خاصة بالنساء الزموريات كن عاملات على تعزيز هذه الجمعية المذكورة، ومناصرة الكفاح الفلسطيني بكل مايسْتَطعن من مجهود. كان يوجد بزمور جماعات من حفاظ القرآن الكريم، وازداد نشاط هذه الجماعات بعد أحداث ماي سنة 1930 التي صدر فيها الظهير البربري وهجم جماعة من الرهبان على منطقة الخميسات يحاولون بث دعايتهم النصرانية، وتنصير بعض الذين يظنون أنهم سيفرونهم باعتناق المسيحية والخروج من الاسلام، ولقد تصدى سكان المنطقة جميعهم لهؤلاء الرهبان بالمقاومة والمعاكسة، فلم يستطيعوا أن يؤثروا على أي مسلم ليخرج من دينه ويعتق النصرانية، ولقد لعب بعض الطلبة الزمورين دوراً هاماً في مكافحة هؤلاء الرهبان، خصوصاً لما قرروا أن يقيموا موسماً دينياً لراهبة تدعى باسنت تيريز، فارتاع المسلمون وبالأخص حفظة القرآن في ناحية الخميسات، وأقاموا موسماً قرآنيا ارتاعت له الإدارة، فألقت القبض على الكثيرين منهم، وزجت بهم في السجون، ولقد لقينا بعض هؤلاء الاخوة في سجن العذير سنة 1937 و 1938 فكنا ننصت لتلاوتهم — ونحن سجناء أيضاً — بغاية الخشوع، وإثر هذا رأى الاخوة الزموريون في الأربعينات ومنهم سي عمرو أوبناصر توجيه عدد من الطلبة لفاس ومكناس لدراسة القرآن والعلوم الدينية لتبقى شعلة الإيمان متمكنة في صدورهم، والتفقه في الدين منتشراً بينهم، وفي هذا النطاق أسس سي اعمرو أوبناصر مدرسة أسمها مدرسة الأطلس الحرة، ودعا إلى تدشينها صاحب السمو الملكي، ولي العهد المحبوب الأمير مولاي الحسن، فلبّي حفظه الله الدعوة وكان يوم تدشينها يوماً مشهوداً وذلك في سنة 1947. ولم يكتف بهذا رحمه الله وقد أصبح يشعر بمسؤولية ضخمة في نشر الأفكار الوطنية والوعي القومي والروح الدينية المستقيمة، فأنشأ مكتبة أسمها كذلك مكتبة الأطلس حيث أصبحت لاتعتبر مركزاً لترويج الكتب والصحف فحسب، ولكنها أصبحت مركزاً لالتقاء الأحرار، وجمع المعلومات، وتبادل الأفكار الوطنية. واستمر سي اعمرو يؤدي رسالته الوطنية طوال الأربعينيات، وحين وقعت أحداث ديسمبر 1952 إثر اغتيال فرحات حشاد، واعتقل الوطنيون من منطقة زمور قام بواجبه بالاهتمام بعائلاتهم وأسراهم ومدهم بما يحتاجون إليه من معونة ومال. وشاءت الأقدار أن ينتقل إلى الرباط كمعلم للغة الفرنسية، بمعهد جسوس، فصار بيته في الرباط نادياً لعقد الاجتماعات، وبعد قيام المقاومة الوطنية بعد نفي محمد الخامس، كان يزود المقاومين

بما يحتاجون إليه من سلاح، وصار يخفي الأسلحة حتى داخل الفصل الذي كان يدرس فيه بمعهد جسوس، والتي تسلمها من الشهيد الزرقطوني كما كان يعمل لجمع الأموال كي تؤدي إلى المحامين الذين يتولون الدفاع عن المقاومين المنتمين لزمرور والذين كانوا يحاكمون بالمحكمة العسكرية.

لقد كان سي عمرو الزمرور رحمه الله عضواً نشيطاً داخل حزب الاستقلال، انتخب في المجلس الأعلى للحزب، وبقي مسؤولاً أساسياً عن فروع الحزب في منطقة الخميسات، وكثيراً ما عقدت معه ومع إخوانه عدة اجتماعات وطنية عندما كنت مفتشاً عاماً للحزب وبعد الاستقلال تقلب في عدة مناصب، فعمل رئيساً لديوان وزير الداخلية في أول حكومة كان يرأسها السيد مبارك البكاي ويتولى وزارة الداخلية السيد لحسن اليوسي ثم عين قائداً ممتازاً بدائرة الرماني، ثم مديراً للمدرسة الفلاحية بالقنيطرة ومديراً لديوان وزير التعليم الثانوي الأخ قاسم الزهيري، وأخيراً عين مديراً لثانوية الأيوبي بسلا، وأثناء توليه للثانوية المذكورة، كان يسافر الآونة بعد الأخرى للخميسات، وأثناء سفره سنة 1974 وافاه القدر المحتوم في حادثة سيارة قرب سيدي علال البحراوي في طريق مكناس، رحمه الله وجازاه على ما قدم من الصالحات.

9) السيد عبد القادر حسن



تعرفت على الأستاذ المرحوم عبد القادر حسن أوائل الثلاثينيات، عندما زرت مراکش صحبة الصديق المرحوم سعيد حجي، فلقد استقبلنا عدد من الشبان الوطنيين المثقفين بكثير من الترحاب، وكثير من العناية، وكان في طليعة هؤلاء : أخونا الحميم الأستاذ مولاي عبد الله إبراهيم والمرحوم عبد القادر حسن ومولاي أحمد النور والأستاذ شوقي الدكالي والباحث الكبير السيد محمد الروداني وأخونا الكبير العلامة سيدي محمد المختار السوسي وغيرهم ممن غابت

عني أسماؤهم، وخلال لقاءاتنا المتعددة ومذاكراتنا مع هذه الزمرة من الشباب الوطني المثقف، شعرت بجوّ جد صادق، في الخطاب، وشممت روحاً طيبة منعشة، ربما كانت تختلف بعض الاختلاف عما وجدته في مدن أخرى، لقد استقبلنا هؤلاء الاخوة في جملة ما استقبلونا فيه في روض أو حديقة استدعوا من أجلنا لها كثيراً من الإخوة

المراكشيين، وكان الجو فيها جواً أدبياً شاعرياً ممتعاً ورائقاً جداً، أذكر من جملة ما أذكر فيه أخانا عبد الله إبراهيم يطوف معنا ويتغنى ببعض الأبيات الشعرية، وعندما لاحظ في طريقه وردة من شقائق النعمان، تغنى بأبيات عنها، وأذكر أيضاً أن أخانا عبد الله إبراهيم وأخانا المرحوم عبد القادر حسن زارا معنا بعض المآثر التاريخية وترحما معنا على بعض الشخصيات المدفونة في مراكش والتي كان ذكرها يملأ الأسماع ومن جملتها القاضي عياض الذي شرق ذكره وغرب، إلى غير ذلك من الذكريات التي بقي أثرها عالقاً بذهني رغم مرور ستة عقود من السنين وزيادة.

لم نكن نذكر مدينة مراكش العظيمة إلا ويخطر ببالنا أول ما يخطر التوأمان الصديقان عبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن، فلقد كانا ملازمين لبعضهما ملازمة الظل لظله ولقد كان تعاونهما الوطني والأدبي تعاوناً وثيقاً يمكن أن تضرب به الأمثال.

لقد كان عبد القادر حسن ابن مراكش البار، وهو وإن لم يكن متسلسلاً من مدينة مراكش لأن أصله من تدغة، فإن نشأته وتربيته ودراسته وعطاءاته وخدماته الوطنية والثقافية، كل ذلك كان في مراكش. لقد ازداد عبد القادر حسن في مدينة مراكش سنة 1915 وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة الحياة التي كان يديرها إذذاك الأستاذ المرحوم السيد إبراهيم رضى الله الالهي شقيق العلامة السيد محمد المختار السوسي الدرقاوي، ثم انتقل إلى كلية ابن يوسف التي أتم فيها دراسته الثانوية والعالية، وبعد تخرجه تعاطى لمهنة الوكالة الشرعية، فبقى يياشرها نحو عشر سنوات، وخلال فترة دراسته وبعدها كان يغلب عليه الطابع الأدبي فاهتم بقراءة الأشعار وحفظها، حتى شعر أنه تكوّن لديه رصيد ثقافي شعري، جعله يدق أبواب الشعراء، لينضم إلى صفوفهم ويكون من جملتهم. دون أن يدخل في غوايتهم، وهكذا عندما اجتمعت لديه عدة قصائد قرر أن يخرجها للوجود ويطبّعها وينشرها غير هياب ولا حجل، فكان ديوانه في (أحلام الفجر) من الدواوين القليلة جداً التي صدرت لشعراء شباب محدثين سنة 1936 وكان الذي كتب له المقدمة، هو صديقه الذي لم يكن يفترق معه مولاي عبد الله إبراهيم، لقد اطلعنا على ديوان (أحلام الفجر) في حين صدوره، وقد رنا في الشاعر جرأته وأحلامه الفجرية، ويحكى لنا المرحوم عبد القادر حسن أن ديوانه هذا أثار ضجة بعد نحو عامين من صدوره، حيث اتهموا صاحبه بالإلحاد لأنه تغنى في مطلع ديوانه بيتين شعريين قال في مطلعهما : (أنا قوة جبّارة) والقوة الجبّارة لا يتصف بها إلا الخالق سبحانه وتعالى، ومن أجل هذا فإنهم كتبوا عريضة شكاية إلى جلالة الملك يشتكون فيها من هذا الشاب الشاعر الذي تعدى حدوده، والذي ينبغي أن يكف عن غوايته. ويظهر أن هذا التشكي

لم يقصد به وجه الله، لأن الذين كتبوا العريضة لم ينتهبوا لكتابتها أو لم تطلب منهم كتابتها إلا بعد مرور نحن السنتين على صدور الديوان أي بعدما برز عبد القادر حسن بروزاً كافياً كفائد شاب وطني يقاوم الوجود الاستعماري، ويكافح الرجعية الممثلة في الكلاوي وأضرابه، ويطالب بالحريات العامة. فالقضية ليست قضية غيرة على الدين، وتعظيم للألوهية الخالقة المتصرفة ولكنها استحثات للانتقام من هذا التوجه الوطني الذي صار يتضاعف ويتقوى في مراكش، وتترجمه شخصيات شابة وطنية مستقيمة أمثال شخصية عبد القادر حسن.

لقد برز اسم عبد القادر حسن في مراكش بروزاً قوياً، فتخلّى تقريباً عن حياته الأدبية، وخصّص كل أوقاته وأعماله للتكوين الوطني وتربية الأجيال، والاتصال بمختلف الطبقات الشعبية، من عمال وحرفيين وتجار صغار وطلبة، يرني ويكوّن ويوجه، ويعطي المثال من نفسه في الصبر والثبات والتضحية، وامتاز رحمه الله في عمله ونشاطه الوطني بالمثالية ونكران الذات والاستماتة في الدفاع عن المبدأ. لقد انخرط في سلك كتلة العمل الوطني المؤسسة سنة 1934 وكان سنه لا يجاوز تسعة عشر سنة، وبعدها أعلن عن تكوين الحزب الوطني سنة 1936 كان من الشبان المتحمسين العاملين في الميدان المنضمين للوطني الرائد في مراكش المرحوم محمد الملاح، وظهرت وطنيته أجلى ما يكون الظهور لدى زيارة الوزير رمادي لمراكش سنة 1937 عندما أتى به نوكتيس ليؤكد له أن مراكش راكدة وراضية عن حكامها والسيطرين عليها، رغم الظروف التي كان يمر بها المغرب إذاك، فكان عبد القادر حسن وإخوانه من الذين قاموا في وجه هذه الدعاوي الخادعة الكاذبة، فواجهوا «رمادي» و«نوكتيس» بما يستحقانه

وكان الجيش العرمم من المحرومين والمستضعفين الذين قصدوا ميدان الاحتفال الذي أقيم لهما (رمادي ونوكتيس) الحجة القاطعة، والكلمة الفاصلة لتكذيب ماتدعيه الإقامة العامة من أن المغرب راض بوضعه البئيس التعس، وأنه يرفض السياسة الاستعمارية التي يطبقها نوكتيس وأتباع نوكتيس من الإقطاعيين الذين يمثلهم رجال السلطة في مراكش أحسن تمثيل.

لقد نشأ عن هذا الموقف الذي وقفته مراكش ضدّاً على سياسة الإقامة العامة اعتقالات وسجون، كان عبد القادر حسن أول من اكتوى بنارها فسجن وعذب ثم نفي إلى تارودانت، وبعد سراحه اعتقل مرة أخرى سنة 1938 وسجن بمراكش ثم وقع اعتقاله مرة أخرى في ظروف الحرب سنة 1939 وبقي في السجن ستة عشر شهراً بسجن أبي المهاريس بمراكش.

ولدى تهيئتنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال، كان عبد القادر حسن من الموقعين عليها والمتحملين لمسؤوليتها، فتعرض للاعتقال مرة أخرى، ولكن اعتقاله لم يطل لأن سياسة الكلاوي في ذلك الظرف بالذات، لم تكن متطابقة مع سياسة الإقامة العامة.

وبعد انفراج الأزمة (أزمة 1944) تضاعف نشاط عبد القادر حسن في دائرة حزب الاستقلال الذي كان عضواً في مجلسه الأعلى، فاهتم بتكوين الأجيال من الطلبة وغيرهم وتخرج على يديه الأبطال من الوطنيين والمقاومين الصامدين في وجه الاستعمار، ولدى اشتداد الأزمة مع الكلاوي، وتضامن طلبة كلية ابن يوسف مع طلبة جامعة القرويين في الخمسينات كان عبد القادر حسن المؤطر والموجه والصامد في وجه عميد الاقطاعيين في المغرب الباشا الكلاوي، ويكفي أن نقرأ ماكتبه أخونا الفقيه المجاهد محمد البصري، وكان إذ ذاك من طلبة كلية ابن يوسف في حق عبد القادر حسن حيث قال :

(كانت حياته مدرسة تعلمنا فيها أهمية الحسم عندما يكون الموقف استراتيجية تضع المناضل أمام مسؤولية الإعداد التنظيمي ليرتفع لمستوى التضحية)

(إن المرحوم جمع بين الصلابة والكياسة، ركيزة نضالية في مواجهة الاستعمار والإقطاع، ولكنه ودود وقور في تعامله مع المناضلين، قائد كما يراه المناضلون، أخ كما يترجمه سلوكه العملي، لا يشعر أن هناك ما يميزه عن باقي المناضلين⁽⁴⁾) ويقول عنه المناضل الصامد السيد محمد بن سعيد آيت يدر : (بفضل هذا القائد الصلب، دخلت الحياة السياسية بالمغرب، حينها أدت اليمين للانحراط في حزب الاستقلال في أواخر الأربعينات، بمنزل بحمي المواسين، وإني أحفظ له بهذا الجميل الذي دفعني إلى مسيرة طويلة لم تنته بعد)⁽⁵⁾ وعندما حدثت أزمة 1952 اعتقل مرتين، قضى أولاهما بقرية تازناخت بإقليم (ورزازات) وثانيتهما بتاكونيت ومحمد الغزلان وقلعة مكونة ثم اغبالو نكردوس التي بقي بها إلى شهر يوليوز 1955.

اشتغل أول حياته كوكيل شرعي ثم اشتغل في التعليم الحر وبعد الاستقلال عين مفتشاً للحزب بمراكش. ثم انتقل إلى الوظائف الرسمية، فكان مستشاراً بالخارجية وقائماً بأعمال سفارة المغرب في كل من الأردن والخرطوم ومندوباً للمغرب في الجامعة العربية وقنصلاً للمغرب في بنغازي وتونس، ثم عين بديوان وزير الخارجية قبل أن يحال على

(4) العلم 30 أبريل 1996.

(5) المصدر نفسه.

التقاعد سنة 1977 ووافاه الأجل المحتوم يوم الثلاثاء خامس مارس 1996 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط رحمه الله.

(10) السيد محمد الجزولي



الفقيه الأديب الشاعر السيد محمد الجزولي من الشعراء المبكرين النابيين النبغاء الذين تعرفت على شعرهم وأنا شاب في مقتبل العمر، فلقد كنت أتتبع شعر «وأناشيد الوطنيين الأحرار، وكان يلذ لي أن أتغنى به وأردده مع نفسي ومع أصدقائي الشباب الآونة بعد الأخرى، وكان اسم الشاعر المبدع السيد محمد الجزولي — وكان يُدعى بالفقيه الجزولي — من المبدعين الأولين الذين تغنوا بأعجاء الوطن، وأطربوا المسامع بشعرهم الوطني وعندما قرأت قصيدته الوطنية التي قال فيها :

زمان المجد هل لك أن تُعوذاً ونُنشُرُ فَوْقَ مغربنا بُودا
نمجد في تحياتها الجُودا بآيات نخلدها نَشِيدا
عجيب أن ننام ولا نكنُ ومنحربنا به ظُفر وسن
ونصل في الحُشاشة مستكنَّ

إلى أن يقول :

أبعد جلالنا نرضى الهوانا أينعم في بلادنا سوانا
أعلو بالمعارف من عدانا وتبقى في جهالتنا رقودا
إلى آخر القصيدة الغراء التي هزت مشاعري وأنا شاب، فصرت أقرأها وأعيد قراءتها
المرات والمرات.

لقد ازداد الجزولي بمدينة الرباط عام 1307 الموافق لـ 1889 م أي قبل فرض الحماية على المغرب بأزيد من عشرين سنة، وبعد دراسته الابتدائية مثل أنداده، صار يتعاطى الدروس العلمية المتنوعة على علماء وقته في الرباط أمثال الفقيه الأديب سيدي المكّي البيضاوي والفقيه السيد عبد الرحمان بربطل والفقيه السيد التهامي الغربي والفقيه السيد عبد السلام بن إبراهيم، وعندما رجع الفقيه المحدث الكبير الشيخ بوشعيب الدكالي

من المشرق العربي وصار يعطي دروسه الحديثة بالزاوية الناصرية، وخبره صديقه الحميم الشاعر المُجيد الحاج محمد بن اليمنى الناصري بهذه الدروس وقيمتها التجديدية، صار يواظب على الحضور فيها، وينور أفكاره بتوجيهات الشيخ الدكالي وسعة اطلاعه، وسلفية أفكاره، وثورته الفكرية على الجمود والتقليد الذي ما أنزل الله به من سلطان، وهكذا صارت تتسع مداركه وتتزايد معلوماته، ويتنبه وعيه، وتصفو معارفه الدينية والأدبية فصار يقول الشعر، ويتبادل مع شعراء وقته، وكان الشعراء في ذلك الظرف يُجيزون بعضهم بعضاً، وتستزيد شاعريتهم إذا ما التقوا مع بعضهم، أو إذا ما تلقوا قطعة أو قصيدة من بعض زملائهم.

ذهب وهو شاب مع والده إلى مدينة العرائش التي توظف فيها مع المخزن، ولربما كانت الوظيفة هي أمين أو عدل في ميناء العرائش، حيث كان يعين في المراسي الأمناء والعدول.

وفي أوائل العشرينات، عين عضواً في المحكمة العليا بدار المخزن، وفي تلك الأثناء توجه مع وفد متركب منه ومن الحاج أحمد الزبدي وسيدي محمد المنجرة لمقابلة المقيم العام ليوطي وعرض بعض المطالب عليه، فقابلهم الجنرال موريال وتحادث معهم حول خطاب كان ألقاه رئيس الغرفة التجارية الفرنسي، فأخذ الكلمة بعده الأستاذ محمد الجزولي وكان من جملة ما قال : (ان فرنسا ما جاءت إلى المغرب إلا لأجل الإصلاح لا للحكم المباشر، وإذا كانت نوايا فرنسا هو ماعبر عنه رئيس الغرفة التجارية فإننا نطالب باستعادة استقلالنا) وهذا مايدل على أنه كان من الواعين الشجعان، ومن الذين يجابهون الاستعمارين بصراحة وقوة، وهذه الصراحة والعزة لم يطقها الاستعماريون فطردوه من وظيفة عضو في المحكمة العليا، واختار من ذلك الوقت العمل الحر، الذي أصبح بسببه من أكابر الأغنياء، وفي مجال الغنى والثراء، أسجل له رحمه الله أنه زارني بمدرسة النهضة في آخر حياته وخبرني بأنه جاء يستشيرني في أمر فكر فيه، ودفعه إلى استشارتي حسب قوله رحمه الله أنه يستشير أيجاً موثقاً بنصحه — أو كما قال — ذلك أنه بحمد الله أصبح غنياً ثرياً، والشمس على أطراف النخيل، ولذلك صار يفكر في أسداء عمل برّ يفيد به أبناء شعبه، ويبقى دائماً مسجلاً في صحيفته، وهذا العمل هو تحسيس بعض أملاكه على طلبة في الأقسام والدراسات العليا العلمية العصرية، ينفق عليهم من ريعها ويخلفهم غيرهم عندما ينهون دراستهم وهكذا وحتى يبقى هذا الحبس مستمراً يعطي نتيجته، سيجعل على تلك الأملاك المحبسة نظاراً أمناء، يشرفون عليها، ويقومون

بتطبيق ما قصد إليه من التحسيس بأمانة ونزاهة، فشجعت رحمة الله على فكرته، وهنأته على تفكيره الخيري هذا ولست أدري ما وقع بعد هذا اللقاء.

كان الفقيه الجزولي ذا ضمير حي، ووطنية صادقة، منذ شبابه إلى شيخوخته، ساهم في مقاومة السياسة البربرية مساهمة عملية، فحرر العرائض الشعبية، وشارك في قراءة إسم الله اللطيف في المساجد، وبقيت روحه مع الحركة الوطنية الفتية حتى إذا قررنا المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 وعرضنا عليه التوقيع على الوثيقة كان من المبلين المستجيبين، رغم ما تعرض له من مضايقات.

وفي سنة 1953 عندما اعتدى على العرش المغربي بنفي الملك الصالح محمد الخامس، قام وقعد ورفع صوته بالاحتجاج والاستنكار، فكانت النتيجة أن داهم الجيش الفرنسي منزله وألقى عليه القبض، ف قضى في السجن مدة، امتحن فيها، وذاق ألم الاغتراب توفاه الله بمدينته الرباط بتاريخ

رحمه الله وجازاه وجعله في زمرة الصادقين الأوفياء.

11) سي بناصر بن الحاج العربي الحسيني

لعل أول شخصية وطنية تعرفت عليها في مدينة وجدة، هي شخصية سي بناصر بن الحاج العربي، شخصية هادئة رزينة كتومة، لا تتكلم كثيراً، عندما تجلس إليه، تشعر أنك تحدث شخصية تعمل في صمت، ولا ترغب في الظهور، لأدعي أنني خالطته كثيراً ولكنني عندما كنت ألتقيه، أشعر أنني أحمل له بين جنبي كثيراً من الاحترام، ربما كان أول وطني من مدينة وجدة انتمى إلى كتلة العمل الوطني والحزب الوطني وحزب الاستقلال، والجماعة الوطنية في مدينة



وجدة المكافحة، كانت تكن له كثيراً من التقدير، هو من أسرة عالة مشهورة بالفضل والتقوى، ووالده كان من أكابر علماء وجدة، ومن الذين حملوا مشعل السلفية في المغرب الشرقي، تولى مهمة القضاء الشرعي، فكان من أشهر القضاة السلفيين، وكان منزله ملتقى لعلماء السلفية في وجدة، ولست أدري هل كان له اتصال مع القائد السلوي السيد عبد الله بن سعيد عندما كان منفياً في وجدة، والذي كان منزله مقصد

كثير من علماء وجدة، أم لم يكن له اتصال به، وإن كنت أرجح أن يكون له اتصال به لأن مواقف عبد الله بن سعيد ضد الفرنسيين ونفيه إلى وجدة، كان يجذب إليه العلماء والغيورين، سواء أكانوا سلفي العقيدة أمثال الدكتور تقي الدين الهلالي أو من الذين ينتمون إلى بعض الطرق الصوفية أمثال أصحاب الشيخ محمد الكتاني رحمه الله.

ازداد سي بناصر بن الحاج العربي الحسيني سنة 1907 بمدينة وجدة، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي، ويظهر أن والده رحمه الله رغم سلفيته لم يكن منغلقاً وبعيداً عن الثقافة العصرية ولا متخوفاً من المدارس التي فتحتها الفرنسيون، ولذلك فإنه لم يكتف بتعليمه وتثقيفه الثقافة العربية الإسلامية، بل سمح له بدراسة اللغة الفرنسية في المدارس الفرنسية التي كانت لاتعطي أهمية للغة العربية ومن هنا فإن ثقافة سي بناصر كانت ثقافة مزدوجة، ولربما كان وجوده في مدينة وجدة، وهي قرية من الجزائر التي كانت الفرنسية سائدة فيها، جعله وجعل والده يريد أن يحصل على مقدار من الثقافة الفرنسية، تجعله في صف بعض المثقفين المزدوجين، وإذا كانت هاته الاستنتاجات مجرد تخمين مني، فإني أريد أن أدلل عليها بأن سي بناصر كان أول من ربط العلاقات مع بعض إخواننا أعضاء حزب الشعب الجزائري الذي كان زعيمه المرحوم مصالي الحاج، ومن هؤلاء الإخوان الجزائريين الدكتور محمد الأمين الدباغين الذي وقع معه باسم حزب الاستقلال وثيقة الأخوة والتعاون والتي وقع عليها باسم حزب الدستور الجديد في تونس المرحومان : علال بلهوان ومنجى سليم

لقد كنا نعتبر سي بناصر واسطة الاتصال بيننا وبين حزب الشعب الجزائري، وكان بيته في وجدة، مقصد الأخوة الذين يزورون وجدة من الوطنيين الجزائريين والتونسيين. ورغم أن الظروف كانت قاسية، والفرنسيون كانوا بالمرصاد لكل تحركاتنا الوطنية واتصالاتنا مع إخواننا في الجزائر وتونس، فإن سي بناصر بتعقله ورزاقته وحسن تدبيره كان ينظم بعض الاتصالات مع أولئك الإخوة، وقد يهيبهم لهم بعض السفريات إلى فاس أو الرباط، ويسهر على سلامتهم من أعين الرقباء والعيون، وهكذا يمكننا أن نعتبر بحق أن سي بناصر بن الحاج العربي من أوائل الذين خدموا فكرة وحدة المغرب العربي، في الوقت الذي كان غافلاً عنها الكثيرون.

عرفت سي بناصر بن ج العربي مع زمرة صالحة من وطنيي وجدة. أمثال السيد أحمد بن دالي والسيد محمد بن التهامي برادة والسيد ابن عودة وغيرهم وهؤلاء كان لي اتصال بهم وتقدير لوطنيته، سواء عندما ضمنا جميعاً سجن غبيلة بالدار البيضاء

أو عندما كنت أزرهم الآونة بعد الأخرى بوجدة قبل الاستقلال وبعده وأسجل هنا أن السيد أحمد بن دالي كان في فترة من فترات سجنه معنا (كابورالاً) علينا، حيث أن إدارة السجن كانت تختار «كابورالاً» من السجناء من يحسن الفرنسية كما أذكر أن المرحوم بن عودة، وكان إذذاك في بداية الشيخوخة بالنسبة لنا ولكنه مع ذلك كان كثير الانبساط، وكان يدرينا على لعبة يدوية كنا نضحك بها ونشرح لها تمام الانشراح وكان مطلعها : دَرْبَلْ دَرْبَالْ دَرْبَالِي.

كان سي بناصر بن ج العربي في فترة الثلاثينيات، وهي فترة المطالبة بالإصلاحات ومنها أساساً الحريات العامة، مندوب الحزب الوطني بوجدة وناحيته، وكنا ومعنا سي بناصر نتعرض للسجون الآونة بعد الأخرى سواء في سنة 1935 و1936 أو 1937 وفي هذه السنة الأخيرة سنة 1937 حكمت المحكمة الاستعمارية عليه بستين سجنًا، قضى البعض منها في الدار البيضاء وهناك جمعنا جدران السجن وكان معنا كذلك من وجدة الشريف سيدي عبد السلام الوزاني الذي كان الحزب الوطني وجهه من فاس إلى وجدة لإدارة المدرسة الحرة التي أسسها الحزب هناك. وفي فترة بداية الأربعينات زار جلالة محمد الخامس مدينة وجدة، فتحايل سَي بناصر كي يتصل به ويسلم عليه رغم معارضة إدارة الأمور الأهلية، وحين قررنا المطالبة بالاستقلال، وحررت وثيقة الاستقلال. كان من الضروري الأكيد أن توقع من رجال الحزب الوطني الموثوقين في وجدة وناحيته ولكن ظروف الحرب، ورصد العيون على تحركاتنا ومراقبة تنقلاتنا، كل ذلك منعنا من أن نخاطر ونوجه الوثيقة لوجدة للتوقيع عليها من طرف إخواننا في وجدة، فوقع الاتفاق مع سي بناصر كي ياتي إلى فاس لقضاء أغراض له، وهناك في فاس وقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال باسمه ونيابة عن وطني وجدة، وتأكدت هذه النيابة بالرسالة أو البرقية التي بعثها السيد أحمد بن دالي يؤكد فيها أن سي بناصر ناب عنهم في التوقيع على الوثيقة. وبعد رجوع سي بناصر من فاس لآثر توقيعه على الوثيقة ألقى عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية وحكم عليه بستين أو ثلاث سنوات، قضى جزءاً منها بوجدة والأجزاء الأخرى بسجن على أومن، قرب سطات وسجن الدار البيضاء، وأسجل هنا أن إخواننا في وجدة وبركان وما يتبعهما كانوا يلقون كل عنت من طرف السلطات الاستعمارية، وكانوا عندما تقع أحداث، لايلقى عليهم القبض بالآحاد، ولكن يلقي عليهم القبض بالعشرات، وأذكر أنني دخلت سجن الدار البيضاء في إحدى المرات فرأيت في ممرات السجن المتسعة العدد العديد من المسجونين الوطنيين كانوا جميعهم من المغرب الشرقي.

ولدى نفي محمد الخامس، وقبل نفيه بنحو أربعة أيام أي يوم 16 غشت 1953 وقعت مظاهرات صاخبة في وجدة، وتعرض فيها كثير من إخواننا للعذاب الأليم، ومنهم الأخ عبد الرحمان بادو والذي ذاق الأمرين، من أجل اتهامه بأنه هو الذي أعطى الأوامر من الرباط لقيام المظاهرات، كما أن سي بناصر تعرض لامتحان عسير لاتهامه بأنه يمتلك ويعرف مفتاح الشفرة التي يتعامل بها الوطنيون في الرباط مع وطني وجدة.

لقد عاش سي بناصر بن الحاج العربي فترة الحماية كلها مناضلاً شهيداً ووطنياً صادقاً، وبعد الاستقلال دخل لسلك القضاء، فسمي حاكماً للسداد بمدينة ابركان، ثم قاضياً بالمحكمة الإقليمية بفاس، ونظراً لمنصب القضاء الذي انتقل إليه، فإن نشاطه السياسي الحزبي ضعف نظراً لأن الحزب نفسه، كان وزع منشوراً على مناضليه، بأن يكفوا عن نشاطهم السياسي أثناء توليهم منصباً قضائياً، حتى لا يخلوا بنزاهة القضاء. ان سي بناصر بن الحاج العربي أدى واجبه الوطني، سواء في عهد الحماية أو في عهد الاستقلال، وما علمنا منه رحمه أي انحراف أو زيغ عن الطريق المستقيم وبتاريخ تاسع شتنبر عام 1970 انتقل رحمه الله من هذه الدار الفانية إلى دار الخلود والبقاء، حيث وافاه الأجل بمدينة الرباط، فنقل جثمانه الطاهر إلى مدينة وجدة. حيث ووري فيها التراب حسب وصيته. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

(12) السيد محمد الزغاري



السيد محمد الزغاري من عائلة فاسية، أصلها من تلمسان، تعرفت عليه أواخر الثلاثينيات، وكان إذاك رئيساً لجمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس بفاس، وهذه الجمعية مثل أخواتها : جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف بالرباط، والنادي الأدبي الاسلامي بسلا وجمعية قدماء تلامذة الدار البيضاء سمحت بإنشائها سلطات الحماية في عهد المقيم العام ليوطي، وكان مقصود الحماية من السماح لهم بتعاطي بعض النشاطات الأدبية الخاصة، جلب بعض الشبان

المتخرجين من المدارس المغربية الفرنسية لهم، وتقريبهم إليهم، وبما أن الإدارة الفرنسية كانت قافلة أبواب تكوين أية جمعية كيفما كان شكلها أو نوعها، ولو كانت جمعية رياضية محضة، وبما أن المصلحة العليا لإدارة الحماية كانت تقتضي إذاك التقرب من

بعض الشبان حسب تخطيطات وتوصيات «ليوطي» فإنها سمحت بتكوين هذه الجمعيات بشرطين اثنين :

(1) أن لا ينخرط فيها إلا الذين درسوا في المدارس العربية الفرنسية.
(2) وأن يشارك في مجلسها الإداري مدير المدرسة التي تسمى الجمعية باسمها كمراقب إداري أو فني أو غير ذلك. تأسست جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس في العشرينيات، وكان أول رئيس لها في الغالب هو السيد محمد الزغاري.

والزغاري من مواليد سنة 1902، بعد انتهائه من الدراسة الابتدائية التحق بكوليج مولاي إدريس التي أتم دراسته فيها فحصل على دبلومها. وكانت تظهر عليه ملامح النجابة والذكاء وحسن الإدراك، وهذا ما جعله يهتم ببعض النشاطات الأدبية فلما أسست جمعية قدماء تلامذة مولاي إدريس، انتخب أول رئيس لها، وبقي يترأسها مدة طويلة. نظراً للباقة في التسيير، ولطفه في التعامل، سواء مع الأعضاء أو مع غيرهم، وكان لها دور سياسي تقريباً في علاقتها مع رجال الإدارة الذين كانوا مطمئنين كل الاطمئنان من أن دورها وأعضائها المسؤولين لا يتوجهون توجه المعارضة العلنية لسياستها. في الوقت الذي كانت مدينة فاس تموج بالتطورات السياسية والفكرية خصوصاً من جامعة القرويين التي أصبحت بعد أحداث الظهير البربري، ولدى الدروس التي كان يلقيها الزعيم علال الفاسي تلعب دوراً أساسياً هاماً في الانقلابات الفكرية والوطنية، كانت جمعية قدماء تلامذة مولاي إدريس ترسم الاعتدال وعدم التطرف وكان نشاطها الأدبي ومطالبها التعليمية لا تخيف الإدارة الفرنسية.

لقد اهتمت ببعض النشاطات الأدبية. مثل إلقاء المحاضرات وعقد الندوات، وإنشاء الفرق التمثيلية، وكان السيد محمد الزغاري من أنشط العاملين في ميدان التمثيل، ومن الروايات التي مثلت في عهد رئاسته رواية صلاح الدين الأيوبي، ورواية انتصار البراءة التي كانت من تأليفه ورواية طرثيف، وهي من ترجمته متعاوناً مع السيد المهدي المنيعي والسيد عبد السلام التويحي بن جلون.

كانت للسيد محمد الزغاري شخصية جذابة، وهو وإن لم يكن يتحدث كثيراً، فإنك عندما تحدّثه تحترمه، وتشعر أنك تخاطب شخصية لها وزنها الثقافي والفكري، وأنه لا يطلق الكلام على عواهنه، ويصحب حديثه إليك بابتسامة غير متصنعة تكسوه كثيراً من الجاذبية، وتفرض كثيراً من الاحترام، إنه يتكلم بتأنٍ ولطف ويدافع عن أفكاره بكل لباقة ولياقة وأدب. ولعل هذه الصفات حبيته إلى الكثيرين من أصدقائه

وعارفيه، وهو وإن لم ينخرط في كتلة العمل الوطني ولا في الحزب الوطني، فإنه لم يكن من المناوئين ولا من المعارضين، بل كان له خطه يسير فيه ولا يتعداه، لا في أيام الانتصار ولا في أيام المحن، كان يشتغل في البنك (الشركة الجزائرية) الذي هو بنك (وفاء) الآن كرئيس لفرع فاس ثم أسس مع بعض أصدقائه المطاحن الادريسية، وخلال عمله الوظيفي، لم يتخل عن نشاطه الثقافي، وكانت جمعيته تقوم ببعض الدراسات وتقدم بعض المطالب للإقامة العامة في مجال التربية والتعليم، وعرف عند بعض أصدقائه باهتماماته الاقتصادية، ولذلك أرى السيد حجي رحمه الله يستكتبه في جريدة المغرب عندما أصدر عدداً أو أعداداً تعالج بعض القضايا الاقتصادية. كان معروفاً لدى الجماعة الوطنية بالاعتدال وعدم مواجهة الاستعمار، مثلما هو معروف بالاستقامة والنزاهة الفكرية. وكان له أصدقاء يلتفون حوله، ويشاركونه نشاطه الأدبي والثقافي، فيهم من كان منضماً إلى كتلتنا الوطنية وإلى (الطائفة) أيضاً، مثل محمد الفاسي وج عمر بن عبد الجليل وأحمد بن بوشتي وعبد الكريم بن جلون وفيهم من لم يكن منضماً إلى الكتلة وإن لم يكن ضدها ومنهم السيد أحمد أبا حنيني وأخوه سي محمد أبا حنيني والسيد أحمد الحمياني والسيد قاسم بن عبد الجليل وأغلب هؤلاء الأخيرين انخرطوا في حزب الاستقلال لدى تأسيسه.

وعندما قررنا المطالبة بالاستقلال في سنة 1943، ورأينا من الواجب لف جميع الصفوف حول فكرة الاستقلال، وحتى الذين لم يكونوا منخرطين معنا في الحرب، تقرر الاتصال بالأعضاء البارزين في جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس، وجس نبضهم لتكون يداً واحدة في مطلب الاستقلال، وهكذا وقع الاتصال بالسيد محمد الزغاري وإخوانه الأخصاء لتعرض عليهم أولاً أننا نريد القيام بعمل هام لصالح وطننا في ظروف الحرب، وأن الواجب يفرض علينا أن نلتم الصفوف، ونوحد الجهود، لنكون خلف ملكنا الذي نؤمن بأنه يفكر نفس تفكيرنا، ولا بد أن يعمل معنا، وهكذا أدرك الزغاري وإخوانه أن واجبهم الوطني يفرض عليهم أن يكونوا معنا حركة وطنية جديدة ترمي إلى المطالبة بالاستقلال وتسمى حزب الاستقلال وهو ما أشارت إليه وثيقة المطالبة بالاستقلال عندما جاء في ديباجتها أن الحزب الوطني وشخصيات حرة التي تألف منها حزب الاستقلال، فالشخصيات الحرة هي أعضاء جمعية كوليج مولاي إدريس وغيرهم من بعض الشخصيات الحرة التي وقعت على وثيقة المطالبة بالاستقلال، كنا نُهيء للمطالبة بالاستقلال في سرية تامة، وكان السيد محمد الزغاري من الشخصيات التي أطلعت على مانهيء له، بل كانت من جملة الذين أعطوا أفكارهم وملاحظاتهم قبل إقرار

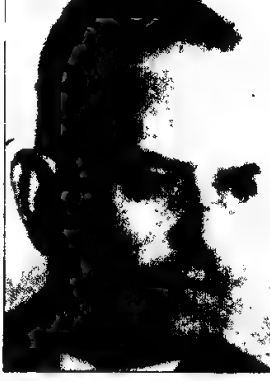
الصيغة النهائية لنص الوثيقة، وكان مومنا معنا بأن الاقدام على المطالبة بالاستقلال، يتطلب أول مايتطلب وحدة وطنية متماسكة من طرف كل المخلصين، سواء منهم أعضاء الحزب الوطني أو غيرهم، ولذلك فإنه مع بعض إخواننا تكلفوا بالاتصال بإخواننا في الحركة القومية التي يتزعمها الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، ليطلبوا منهم الانضمام إلى الجماعة الوطنية ككل ليتكون منا جميعا ماسمي بعد ذلك بحزب الاستقلال ولكن الأقدار شاءت أن يتأخر هذا الانضمام، وإن كان وقع التضامن بعد ذلك، لقد كان السيد محمد الزغاري من الموقعين علي وثيقة المطالبة بالاستقلال، ومن أعضاء الوفد الذي قدمها للإقامة العامة الفرنسية، حيث استقبلهم الوزير المفوض الفرنسي لدى المقيم، وتسلم منهم نص الوثيقة، لأن المقيم العام نفسه لم يستسغ مطلقاً أن يتسلم بيده وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولذلك أناب عنه وزيره المفوض.

ولدى الأحداث التي وقعت يوم 29 يناير 1994 ومابعدھا، أُلقي القبض على السيد محمد الزغاري وبغض الاخوان الآخرين : محمد الاغزاوي ومحمد (فتح) بن سودة وعبد الكبير بن المهدي الفاسي ومحمد الفاسي وأحمد الحمياني وأحمد ابا حنيني وعبد الوهاب الفاسي وكل هؤلاء من حزب الاستقلال ومن الذين وقعوا الوثيقة، كما كان من المعتقلين في نفس الوقت، مولاي علي العراقي وأحمد بن سودة وج عبد القادر العلج وهم من رجال الحركة القومية، وكل هؤلاء وألك سجنوا أولاً بسجن برج الشمال بفاس مدة أربعة شهور، ثم التحقوا بنا في سجن العذير قرب الجديدة، وإن كان وضعهم يختلف عن وضعنا، ولقد بقوا بالسجن الأخير المذكور سنة واحدة.

وبعد خروج الزغاري من السجن بقي يشغل معنا في الحزب كعضو في المجلس الأعلى ولجنة التعليم، ثم عضوا في مجلس شورى المقيم كمنتخب من الغرفة التجارية بفاس، وأثناء وجوده في مجلس الشورى كان يقدم التقارير الانتقادية الهامة للسياسة الاقتصادية المتبعة في المغرب، وكان من جملة المنسحبين منه عندما طرد الجنرال جوان أحد إخواننا الأعضاء، متضامنا معه.

وبعد الاستقلال تولى السيد محمد الزغاري وظيفة رئيس الحكومة وشارك في مفاوضات الاستقلال مع فرنسا وإسبانيا، ثم عين وزيراً للدفاع وسفيراً للمغرب بباريس. ثم مديراً للمكتب الشريف للفوسفاط ثم عين وزيراً مكلفاً بالتنمية، ثم مديراً لبنك المغرب حيث بقي يزاول مهمامه إلى أن أدركته الوفاة سنة 1969 رحمه الله وأجرل له الثواب.

13) الحاج بوبكر الصبيحي



الحاج بوبكر الصبيحي من أسرة نبيلة معروفة من أسر «سلا» تولّى البعض منها مسؤوليات مخزنية منذ أوائل القرن، وهو الحاج الطيب الصبيحي الذي كان يشغل باشوية سلا لدى فرض الحماية على المغرب، وبعد وفاته تولى الباشوية ابنه الحاج محمد وكان فقيهاً أديباً شاعراً، وبعد وفاته تولى الباشوية أخوه المكي الذي بقى في الباشوية مدة بعد تحقيق الاستقلال.

والحاج بوبكر الصبيحي هو من أبناء عم الباشا الصبيحي، وهو أخو الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي

الذي تزعم حركة مقاومة الظهير البربري سنة 1930، وكان من الشخصيات المثقفة ثقافة مزدوجة، ومن الشخصيات اللامعة.

ازداد الحاج بوبكر بمدينة سلا عام 1321 هـ الموافق لسنة 1903 م، وأخذ تعليمه الابتدائي مثل بقية إخوانه على أحد الفقهاء المعلمين وهو الحاج محمد بربطل المشهور بتجويده للقرآن وخطه الجميل، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية العربية الفرنسية أوائل افتتاحها، وكان من أوائل الذين حصلوا على الشهادة الابتدائية سنة 1918، ثم تابع دراسته الثانوية بكوليج مولاي يوسف، فنال شهادة نهاية الدروس الثانوية سنة 1923 ثم تابع دراسته العليا بمعهد الدروس العليا بالرباط، فنال دبلوم الدراسات العليا في القانون والإدارة والترجمة. وكان معه في الدراسة المرحوم محمد اليزيدي والمرحوم مسعود الشيكرو وغيرهما، ومن الذين أخذ عنهم الدراسات العربية والفقهية : الفقيه أقصبي والفقيه أحمد بن عبد النبي والفقيه السايح والفقيه أحمد سكيرج والفقيه المحقق السيد محمد الحجوي الثعالبي والشيخ المحدث أبوشعيب الدكالي.

بعد انتهائه من الدراسة اشتغل موظفاً بإدارة الشؤون الشريفة، ثم انتقل إلى مدينة الدار البيضاء، ككاتب خاص للباشا الطيب المقرئ، وفي الدار البيضاء عيّن كاتباً للجمعية الخيرية الإسلامية، وكانت تؤدي دوراً اجتماعياً إحسانياً هاماً، وكان رحمه الله مهتماً كثير الاهتمام بها، معتزاً بالاشتغال فيها.

وأثناء اشتغاله بالدار البيضاء، كان يرد الآونة بعد الأخرى إلى سلا لزيارة أهله وأحبابه وعندما صارت تؤسس بعض الجمعيات الأدبية في بعض المدن المغربية كجمعية

قدماء كوليج مولاي يوسف، صار يدعو إلى تكوين جمعية مماثلة لها بسلا، فكان تكوين النادي الأدبي الاسلامي الذي جاء في الرسالة التي وجهها العاملون على تأسيسه وعلى رأسهم الحاج بوبكر الصبيحي مايلي : (وبعد، فإن بعض التلاميذ السلويين ممن حركتهم عواطف الروابط الودادية، والغيرة الأدبية. تآقت نفوسهم إلى تأسيس ناد أدبي الغرض منه بث روح العلم والتعليم، من نشر أفكار علمية، وإلقاء مسامرات أدبية، لهذا تلتمس الجمعية من جنابكم أن تشرفوا مدرسة أبناء الأعيان بسلا يوم الجمعة تاريخ 5 ربيع النبوي 1346 هـ على الساعة الثالثة مساء، ولكم مزيد الشكر والسلام 2 شتنبر 1927)

إن فكرة تأسيس النادي الأدبي الاسلامي كانت من اقتراح الحاج بوبكر الصبيحي، فهو الذي دعا لعقد اجتماع أول، شارك فيه نخبة من شباب سلا وأدبائها وعلمائها وعلى ضوء هذا الاجتماع الأول كان الاجتماع الثاني الذي وجهت الدعوة السالفة إليه وفيه انتخب الحاج بوبكر الصبيحي بالاجماع كاتباً عاماً للنادي، ويلاحظ أن المؤسسين لهذا النادي لم يكونوا كلهم من تلامذة مدرسة أبناء الأعيان، ولذلك وقع الاعتراض من طرف السلطة الاستعمارية على تكوين المجلس الاداري المنتخب، ولكن المجتمعين صمّموا على قبول الجميع رغم اعتراض الادارة.

ولدى انتخاب المجلس الاداري للمرة الثانية سنة 1929 كان من بين المنتخبين سبعة أعضاء موظفون، وإثنان يدرسون بالخارج، وكان الحاصلون منهم على شهادة الدبلوم النهائية ثلاثة أو أربعة.

كان مُقام الحاج بوبكر الصبيحي بالدار البيضاء في تلك الأثناء بالدار البيضاء، ولما استصدر الفرنسيون ظهير 16 ماي 1930، وقاومه أخو المترجم الأستاذ عبد اللطيف أولاً، ثم قاومه الشباب المغربي في مختلف المدن المغربية وقرى اسم الله اللطيف في المساجد احتجاجاً على صدور الظهير الذي كان يدعى بالظهير المشؤوم، تقرر رفع عريضة احتجاجية إلى جلالة محمد الخامس موقع عليها من كل السكان السلويين، وكان من جملة أعضاء الوفد الذي سيرفعاها إلى الملك الحاج بوبكر الصبيحي وكان أول الموقعين على العريضة شيخ الجماعة بسلا العلامة الشيخ أحمد الجريري، ولكن الادارة الفرنسية وقفت ضد الوفد، فوجهت العريضة بطريقة أخرى.

توثقت العلاقة بيني وبينه في الثلاثينيات، فكنا نعتبره عضواً عاملاً معنا في كتلة العمل الوطني، وإن لم يكن منخرطاً بصفة رسمية. وكان يساهم بعض المساهمة في بعض

الظروف. وفي سنة 1933 أدى فريضة الحج ومراً في طريقه على مصر واتصل بكثير من أعلامها، وتعرف إلى النهضة التي كان إشعاعها الثقافي يعم البلاد العربية بأجمعها. وخلال عام 1940 انتقل إلى الرباط كموظف بإدارة الشؤون الشريفة من جديد، ثم ارتأى أن يستقيل من تلك الوظيفة ليتولّى مهنة مدافع (محام) أمام المحاكم المخزنية، وفي هذه الأثناء كنا نهيئاً للمطالبة بالاستقلال، وأسسنا عدة خلايا وطنية حزبية كان من جملتها خلية (فتح) السرية التي أقسم اليمين ليدخل في زمرة أعضائها، وبانخراطه في (فتح) دعوانه إلى توقيع وثيقة المطالبة بالاستقلال، فوقع مع الأعضاء الآخرين من فتح، وهم : أبو بكر القادري — عبد الرحيم بوعبيد — قاسم الزهيري، محمد البقالي — الصديق بن العربي — أبو بكر الصبيحي — الطاهر زنيبر.

وإثر الأحداث التي وقعت في 29 يناير 1944 أعفي من الوظيفة التي كان يشغل فيها كنائب عضو بالمحكمة العليا الشريفة، ونظراً لعلاقته النسيئة مع الباشا الصبيحي فقد وقع غض الطرف عنه، واكتفى بأن ألزم بالإقامة بمنزل الباشا فترة زمانية محدودة. لقد كان رحمه الله من أخلص الاخوان الذين عرفناهم، متديناً أقصى مايكون التدين، حلو اللسان، صاحب نكتة في أحاديثه، لايمله إخوانه، ولايستغنون عن فكاهاته. وافاه الأجل المحتوم يوم 10 يوليوز 1971 في حوادث الصخيرات المشهورة رحمه الله وأثابه.

14) محمد الفاطمي الفاسي



الدكتور محمد الفاطمي الفاسي من أسرة علمية كبيرة. أنتجت خلال التاريخ كثيراً من العلماء والشيوخ الأفذاذ، ومن سلالة هذه الشجرة الزعيم محمد علال الفاسي والأستاذ الباحث السيد محمد الفاسي والمؤرخ الرحالة الشيخ عبد الحفيظ للفاسي. ازداد الفاطمي الفاسي بمدينة فاس عام 1914 م، ووالده سيدي المهدي الفاسي، كان قاضياً في عدة نواحي منها مدينة مكناس، وكان يهتم الاهتمام الكبير بأولاده، ومنهم السيد الفاطمي هذا، والأستاذة مليكة الفاسية التي وقعت على وثيقة المطالبة بالاستقلال وكانت المرأة المغربية الوحيدة التي

نالت هذه الخطوة، ومنهم كلك الأستاذ عبد الكبير بن المهدي الفاسي الذي وقع بدوره على وثيقة المطالبة بالاستقلال، فكان أبناء سيدي المهدي جميعهم من الموقعين على المطالبة بالاستقلال، وهي خطوة لم ينلها غيرهم فيما أعلم.

التحق الفاطمي الفاسي بالمدرسة الابتدائية والثانوية بفاس، وعندما حصل على البكلوريا بقسمها الأول والثاني التحق بكلية الطب بفرنسا، فنجح في الحصول على الدكتوراة ثم تخصص في الجهاز الهضمي بكلية الطب في الجزائر أوائل الأربعينات، وكنا إذذاك بصدد تحضير وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان من الشباب الوطني المنخرط في الحزب الوطني والمؤهل للتوقيع على الوثيقة، وصادف الحال أنه لدى الشروع في تحرير الوثيقة كان على وشك السفر إلى الجزائر لمناقشة رسالته الطبية المتخصصة في الجهاز الهضمي، ولم يشأ أن يُحرّم من التوقيع على الوثيقة، فأبى إلا أن يوقع على الورقة البيضاء التي ستحرر فيها الوثيقة، قبل كتابتها نظراً لسفره، وهكذا شاءت الأقدار أن يكون أول موقع عليها قبل أن تكتب.

لا أعلم رغم توقيعه على الوثيقة أن كان له نشاط سياسي بارز في الحزب الوطني أو في حزب الاستقلال، مثل أخيه عبد الكبير وأخته مليكة، ولكن عواطفه الوطنية كانت متجلية، ويكفي أنه وقع على وثيقة الاستقلال في بياض،

عندما أنهى دراسته فتح عيادته بمكناس ثم انتقل إلى فاس وفتح عيادته فيها وهناك بفاس أتيح له أن ينتخب عضواً في المجلس البلدي، فكان يقوم بدوره في الدفاع عن مصالح المدينة ويواجه الفرنسيين الذين كانوا لا يهتمون إلا بمصالح جاليتهم، وفي الوقت نفسه أسند له وظيف طبيب ملحق بإدارة الصحة العمومية بمستشفى كوكار.

كانت مدينة فاس في الأربعينات تتقد نشاطاً وحيوية، وكان طلابها ومتخرجوها مضرب الأمثال للشباب المغربي في الحماس، ولما كثر وتضاعف نشاط حزب الاستقلال صارت الإدارة الاستعمارية تنصب له الأحابيل فوقعت أحداث دجنبر 1952 التي ملكت السجون والمعتقلات بالوطنيين الأحرار، وفي هذه السنة نفسها سافر الفاطمي الفاسي إلى الدار البيضاء لأداء مهمة وطنية وفي طريق رجوعه وقعت له حادثة سيارة ألزمته الفراش مدة مديدة وانتهت بلقائه ربه في يونيو 1953 إثر إجراء عملية جراحية عليه، فدفن بمكناس رحمه الله رحمة واسعة.

15) إدريس المحمدي



الأستاذ إدريس المحمدي من الشخصيات اللامعة التي تعرفت عليها خلال الأربعينيات عندما تولى تسيير الكشفية الحسنية التي كان لها دور في التأطير والتثقيف والتكوين الكشفية وكانت تضم في صفوفها نخبة هامة من شباب الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال أمثال الدكتور المهدي ابن اعبود والأستاذ العربي حصار والأستاذ عبدالمهدي الصبيحي، وغيرهم من مختلف المدن والقرى، وكان له تأثير كبير على تكوينهم وتوجيههم في أوائل الأربعينيات، نظراً لثقافته وقوة

شخصيته، وأسلوبه الخاص به في التعامل مع الشباب، حيث كان صاحب نكتة ومرح، يستعملهما أثناء فترات التكوين، فلا يمل حديثه ولا تستقل توجهاته، وكانت الأناشيد الوطنية الحماسية، تلعب دورها في لم شتات الشباب، وتقوية عزمته، واندفاعه التلقائي لخوض ما يتطلبه منه الواجب الوطني من مهمات.

ازداد المحمدي بفاس سنة 1912 م يوم 30 مارس وفيها تلقى دراسته الابتدائية والثانوية والعالية ولم يلتحق بالتعليم العصري إلا بعد أن قضى وقتاً في الكتاب وغيره، وهكذا لم يحصل على البكلوريا إلا سنة 1935 ولم يحصل على الليسانس في الحقوق إلا سنة 1938 والتحق إثر ذلك بسلك المحامين بمكناس سنة 1941 فكان من المحامين اللامعين، وهناك بدأ يشتغل في الميدان الوطني الجاني أولاً مثل الكشفية الحسنية ثم رئاسة الاتحاد الرياضي الرباطي السلوي. وأود أن أسجل هنا أن الاتحاد الرياضي الرباطي السلوي تأسس أول الثلاثينات بالرباط، ومنه نشأت الكشفية الحسنية التي عهد برئاستها الشرفية إلى ولي العهد الأمير مولاي الحسن الذي أطلق عليه إذاك أمير الأطلس، وكان الرئيس الأول للاتحاد الرياضي الرباطي السلوي هو المرحوم السيد أحمد بن غريبط.

ولدى تفكير الحزب الوطني في المطالبة بالاستقلال، واستحثات كل الهيآت والجمعيات والشخصيات المخلصة لتأييد فكرة المطالبة بالاستقلال كان الأستاذ إدريس المحمدي من الذين دُعوا للتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال ضمن أعضاء جمعية قدماء التلاميذ، فكان من الموقعين الأساسيين ثم صار من أعضاء المجلس الأعلى للحزب ونظراً لمقامه بمكناس، فقد أصبح يشرف على النشاط الوطني الحزبي هو والأخ المرحوم السيد

محمد بن أحمد الديغوسي سواء داخل مكناس أو ناحيتها مثل آزر وخنيفرة وغيرهما وكانت اتصالاته مع أعضاء ومتخرجي مدرسة ثانوية آزر و اتصالات وثيقة جداً حيث كانوا يكونون له كل تقدير.

وعندما كنت أزور مكناس أو ناحيتها خلال تكليفي بمهمة المفتشية العامة للحزب كان اتصالي به قوياً ومفيداً جداً، وكان منزله ومكتبه مقصد الوطنيين الذين يردون من الأطلس المتوسط ليزودهم بإرشاداته ويبلغهم تعاليم الحزب.

وفي سنة 1950 عندما كونت الإدارة الفرنسية لجنة إصلاح القضاء، كان من حملة أعضائها وأبدى نشاطاً فيها، وإثر الإضراب الذي عمّ أنحاء المغرب في دجنبر 1952 إثر اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد بتونس ودعوة الحزب إلى الاضراب العام تضامناً مع الحزب، كان تضامن مدينة مكناس بالطبع، فصارت الإدارة تنتقم من الوطنيين الأحرار، وترمي بهم في السجون أو تنفيهم إلى المعتقلات، وكان حظ إدريس المحمدي إبعاده من مكناس إلى الخميسات ثم بوذنيب ثم معتقل اغبالو انكردوس الذي ضم الجمهور الكبير من وطنيي المغرب كله، فبقي رهن الاعتقال إلى سنة 1955 حيث بدأت الأزمة تنفجر، وتحقق الاستقلال بعد ذلك في سنة 1956 وأثناء اعتقاله باغبالوا انكردوس، كان من المسجونين المرحين على ماحكي عنهم، وكانت له تعليقاته الخاصة على المجتمع الخاص الذي يعيش فيه، فهو لم يكن مثل الأستاذ الفاسي في انكبابه على المطالعة والبحث والدراسة، ولا مثل الأستاذ المختار السوسي الذي يهتم بإلقاء الدروس على المعتقلين وكتابة المذكرات التي صدر البعض منها بعد وفاته، ولا مثل المهدي بن بركة الذي يتتبع النشاط. ويلتقط الأخبار، ولكن حياته في الاعتقال كانت مختلفة عن ذلك كله، ولا يستطيع الانسان أن يلم الإمام الكامل بشخصية الأستاذ إدريس المحمدي إلا إذا عاشه وخالطه في كثير من أطوار حياته.

بعد تحقيق الاستقلال وتأسيس أول حكومة، برئاسة مبارك البكاي أسند إليه منصب وزير دولة، ثم عيّن في منصب وزير الداخلية بعد الحسن اليوسي، من تاريخ 27 أكتوبر عام 1956 إلى 26 ماي 1960، وتعيينه في هذا المنصب كان مثار جدل بين جناحين : جناح كان يمثله بلافريج، وجناح كان يمثله عبد الرحيم بوعبيد. وبعد مغادرته وزارة الداخلية التي كان في عدم اتفاق مع وزير العدل إذ ذاك الأستاذ عبد الكريم ابن جلون تولى وزارة الشؤون الخارجية في 26 ماي 1960 إلى يونيو 1961، وعيّن بعد ذلك مديراً عاماً للديوان الملكي في عهد الملك الحسن الثاني، وإثر إصابته بمرض

أُجريت عليه عملية جراحية بباريز، التحق بالرفيق الأعلى يوم سابع فبراير 1969، فنقل من باريز إلى مكناس ثم وري التراب رحمه الله وجزاه على ما قدم

16) السيد محمد بن سودة



من الوطنيين العاملين النشطاء الذين تعرفت عليهم بفاس السيد محمد (فتحاً) بن سودة لقد كان منزله، القريب من الدُّوح، نادياً يعج بالتلاميذ والطلبة الذين يقصدونه كل عشية تقريباً قصد التوجيه والتكوين، وكان حزب الاستقلال في فترة الأربعينات بالخصوص، أعطى كثيراً من الاهتمام للطلبة والتلاميذ في الأقسام الثانوية، يساعدهم في دروسهم، ويربي فيهم الروح الوطنية، ويعدهم للمستقبل، وكانت فاس تضرب المثل في هذا التكوين والتوجيه والتأطير، حيث

كان كوليج مولاي إدريس، كأنه خلية نحل، فالاعتناء بالتلاميذ يتبدى من أولى الثانوية، ويستمر إلى أقسام البكلوريا، وكانت الأقسام العليا، يشرف عليها طلبة الكليات وبعض أطر الحزب المثقفة، بينما الأقسام السفلى، يشرف على مساعدة التلاميذ فيها وتوجيههم وتكوينهم تلامذة الأقسام العليا، وهكذا دواليك، ومن جملة الذين كنت أعرف أنهم مطوقون بهذا التسيير والتكوين المرحومان : الحسن بنشقرون والعايد العمراني، ومن التلاميذ في الطبقات العليا وهو مكلف بالأقسام التي تحتها الأخ محمد الدويري.

كان السيد محمد بن سودة من جملة المكلفين بقطاع التعليم والرياضة من طرف الحزب، وكان بيته من أجل هذا مقصد الطلبة والرياضيين، وكثيراً ما زارته في البيت، وبيته يعج بالشباب الحي المتوثب، حيث أسس منهم بعض الجمعيات الرياضية والثقافية وحيث أشرف على البعض منها كإشرافه على جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس والعصبة المغربية لكرة القدم.

كانت أخلاق سي محمد بن سودة وتواضعه وحيويته يحبونه إلى الشباب عموماً وكان تنوع البرامج الثقافية من دراسة ومطالعة وغناء أناشيد وتعاط للرياضة البدنية، كل ذلك كان يجعل النشاط غير منقطع.

وأود أن أشير هنا ان التحاق سي محمد بن سودة بكتلة العمل الوطني والحزب الوطني كان في الثلاثينات، ولم تأت سنة 1944 التي تقدم فيها حزب الاستقلال بوثيقة

المطالبة بالاستقلال، حتى كان سي محمد مؤهلاً ليوقع مع إخوانه بفاس، هذه الوثيقة، وعندما امتدت أيدي الاستعمار لقادة الحزب يوم 29 يناير 1944 وفي طليعتهم الاخوة : عبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلالي وأحمد مكوار كان سي محمد بن سودة من الذين قاموا قومتهم، فشاركوا في المظاهرات التي أقيمت بفاس والتي دامت نحو الأسبوعين، فكانت النتيجة أن أُلقي عليه القبض ضمن الكثيرين من إخوانه، فكان من الذين اعتقلوا بسجن فاس، ثم نقل إلى سجن العذير قرب الجديدة ولم يفرج عنه إلا أواخر سنة 1945.

وبعد خروجه من السجن بقي يؤدي رسالته الوطنية كما كان من قبل وأضاف إليها اهتمامه ببعض القضايا الاجتماعية والخيرية كتأسيسه لحيأة الاسعاف التي كانت تهتم بأسر الضحايا والمنكوبين.

وعندما جاءت سنة 1952 واعتقل فيها الآلاف من أعضاء الحزب، كان من جملة المعتقلين فنفي إلى ميسور في الصحراء ولقي من العنت مالاقيه إخوانه ولما جاء الاستقلال، شغل عدة مناصب كان فيها مثال الرجل المسؤول المخلص، ونظراً لخبرته في مجال تكوين وتوجيه الشباب، فلقد عين مندوباً للشبيبة والرياضة بالدار البيضاء، ثم مفتشاً لمخيمات الشباب في المغرب وأشرف على تنظيم الألعاب العربية الأولى بالدار البيضاء.

وفي شهر غشت من سنة 1970 قام برحلة إلى ألمانيا الاتحادية، وبينما هو راكب القطار في ألمانيا إذ أصابته نوبة قلبية حادة بمحطة القطار في الحدود، ففارق الحياة، والتحق بربه راضياً مرضياً، فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته، فنقل إلى الدار البيضاء ودفن بمقبرتها.

لقد كان ازدياد سي محمد بن سودة عام 1912 بمدينة فاس، وكانت وفاته سنة 1970 فعاش رحمه الله تماناً وستين سنة أعطى خلالها الكثير لصالح وطنه.

17) السيد الصديق بن العربي



من الشخصيات العصامية التي كونت نفسها بنفسها، الأستاذ الصديق بن العربي قضى فترة من حياته وهو صغير في الدار البيضاء وفيها انخرط في سلك تلامذة المدرسة الابتدائية العربية الفرنسية، وتابع دراسته للفرنسية عن طريق المراسلة مع مدرسة بفرنسا.

هو من مواليد مدينة «سلا» سنة 1911، وبها تلقى تعليمه الأولي في الكتاب قبل انتقاله مع والده

الذي أسندت له بعض الوظائف الدينية والمدنية بالدار البيضاء، وبعد رجوعه إلى سلا أواخر العشرينات، انكب على المطالعة والدرس والكتابة في الصحيفة التي كان يصدرها صديقه المرحوم السعيد حجي والتي كانت تسمى «بالوداد» ومنذ ذلك التاريخ برزت مواهبه الصحفية، ثم لما فتح باب ظهور الصحافة، صار يكتب في بعض الصحف كجريدة «المغرب» اليومية و«رسالة المغرب» و«المناهل» و«العالم» وغيرها ولما أصدرت مجلة «الايمان» في الستينات، كتب فيها عدة مرات.

وعندما كان بسلا أواخر العشرينات، توثقت عرى الصداقة بينه وبين السعيد حجي فكان عمدة من عمدة «الجمعية الودادية» التي كانت تشرف على جريدة «الوداد» الخطية وغيرها، وكان في الوقت نفسه، يشرف على القسم الدراسي فيها، وأثناء ذلك نجده يوقع على شهادة دراسية نالها السعيد حجي بعد نجاحه في الامتحان. أوائل الثلاثينيات. توظف بالمطبعة الرسمية، وتعرف على الكثيرين من العاملين فيها ومن جملتهم المرحوم العربي بن بوبكر زنيير الذي كانت له عواطف وطنية متأججة.

وبعد مغادرته المطبعة الرسمية اشتغل بإدارة المالية (الترتيب) فانتقل ما بين المدن الآتية : البيضاء — مراكش — القنيطرة — آسفي — الرباط، وأثناء وجوده بالرباط صار يوثق علاقته من جديد مع إخوانه وأصدقائه في الرباط وسلا وفي سنة 1943 انخرط في خلية «فتح» الوطنية التابعة للحزب الوطني، ومن خلالها دُعي للتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، فكان من الموقعين السبعة من مدينة سلا، وإثر المظاهرة الصاخبة التي وقعت في سلا بعد إلقاء القبض على بلافيج، والحملة التي قامت بها الإدارة الاستعمارية ضد أعضاء الحزب، أُلقي عليه القبض بدوره ودخل سجن الرباط

مع الجمهور الغفير من إخوانه في الحزب، وبعد سراحه، اشتغل أحياناً بالتعليم وأحياناً بالصحافة ثم كلف بالإشراف على تسيير مطبعة الأمنية وفي الوقت نفسه كان يحرر بجريدة (العلم) التي ابتداءً صدورها في سبتمبر سنة 1946 وخلال أزمة 1952 و1953 التحق بثانوية النهضة كأستاذ في الأدب العربي والتاريخ وكانت دروسه جد مفيدة، وكان تلاميذه يثنون عليه أحسن ثناء. ثم انتقل سنة 1956 إلى مدارس محمد الخامس كأستاذ أيضاً.

وعندما افتتحت سفارة للمغرب بتونس وعيّن السيد محمد بن العربي العلمي سفيراً فيها عيّن سي الصديق بن العربي كاتباً فيها هو والمرحوم عبد الكريم بن ثابت، ولكن الجو الروتيني الفاقد للإنتاج جعله يتضايق من وجوده في السفارة، فاستقال هو وزميله ابن ثابت ليتحق بوزارة الشؤون الخارجية، ثم ليستقيل من الوزارة أيضاً ويلتحق كمحرر بجريدة «العلم».

وفي سنة 1958 عيّن محافظاً لخزانة ابن يوسف بمراكش، وفي مراكش طاب له العيش، وفي خزانها وجد بغيته في المطالعة والبحث ومساعدة الباحثين الراغبين في الاستفادة وزيادة المعرفة.

لقد استقر بمراكش وخزانتها ثلاثين سنة كاملة، كرع فيها من مناهل المعرفة المختلفة، وكان يلتهم الكتب التهاماً، ويقطف مالذ وطاب منها، وكان طلبة مراكش وأساتذتها يقصدونه في كل الأوقات، لايحدهم بالكتب فحسب، ولكن ليوجههم ويساعدهم في أبحاثهم ودراساتهم، الأمر الذي جعل الألسن تثني عليه أحسن الثناء.

لقد كان الأستاذ الصديق بن العربي من العلماء الباحثين المتواضعين الراضين بالعفاف والكفاف والغنى عن الناس، لم يقف أي موقف فيه شبهة، ولم يتعلّق بأي أحد من أجل الحصول على المال أو الجاه أو حب الظهور.

عاش رحمه الله فقيراً ومات فقيراً، كانت بيني وبينه روابط صداقة قديمة ترجع إلى الثلاثينات، ورغم قلة الاتصالات عندما استقر بمراكش، بقي ودنا قوياً، وأخوتنا صادقة، كنت أزوره أحياناً في بيته المتواضع بمراكش عندما عجز عن المشي بسبب مرض أصابه في ركبتيه، فأجده رغم مرضه راضياً مطمئناً بشوشاً مقبلاً على مطالعته، وكتاباته وتلاوته للقرآن كما ذكر لي ذلك أثناء حديث معه. ولاشك أن له كتابات وأبحاثاً متعددة، طبع منها عدة مرات كتيب صغير عنوانه : اعرف بلادك : (المغرب) وفيه يتحدث عن سكان المغرب وقبائله إلخ.

ومنذ أزيد من سبع سنوات أقام له بعض أحبائه بمراكش حفلا تكريمياً ألقى فيه بعض كلمات، وألقى بدوري كلمة في التعريف به.

وخلال سنة 1995 التحق بالرفيق الأعلى ليلقى ربه راضياً مرضياً قنوعاً مطمئناً وأقام له إخوانه في كل من مراكش وسلا حفلتين تأبينيتين من ألقى فيها عدة كلمات وقصائد. رحمه الله رحمة واسعة⁽⁶⁾.

18) السيد أحمد بن إدريس بن بوشتي



كان الأستاذ أحمد بن بوشتي من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944، وهو من قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس بفاس، ومن المتحقين بالوظائف العامة منذ أوائل الثلاثينات.

لم تكن لي معرفة كافية، ولا اتصال وثيق بالسيد أحمد بن بوشتي، ولكنني كنت أسمع عنه كثيراً من الثناء، من طرف بعض الإخوة في قيادة الحزب، ومنهم حسب ما ذكر الأخ محمد اليزيدي الذي كان اكثرى منه منزلاً بحي ديور الجامع بالرباط، وفي هذا المنزل كانت تعقد اجتماعات اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، التي كانت في ظروف النشاط والتحرك تكون يومية، بل ربما في الصباح وفي المساء.

لقد ازداد سي أحمد بن بوشتي بمدينة مكناس سنة 1909 حسبما وصلتنا من معلومات عنه للحزب، ولقد تابع دراسته الثانوية بكوليج مولاي إدريس بفاس، ثم انتقل إلى الرباط ليلتحق بمعهد الدروس العليا مثل كثير من رفقاءه أمثال سي أحمد اباحيني والأستاذ عبد الكريم بن جلون والمرحوم محمد اليزيدي، ويظهر أن اليزيدي تعرف على ابن بوشتي من خلال معهد الدروس العليا الذي كان يتابع الدروس فيه، وكان ابن بوشتي من جملة الطلبة المتحقين بنفس المعهد، فحصل على الكفاءة في الحقوق ودبلوم الدراسات الإدارية والقضائية وشهادة الترجمة، وهي نفس الشهادات التي نالها المرحوم ج بوبكر الصبيحي.

(6) انظر ما كتبه عنه في الجزء السادس من (رجال عرفتهم).

وبعد نجاحه في معهد الدروس أسندت له عدة وظائف، فعين أولاً كاتباً بإدارة الأمور الشريفة (لجنة البحث عن إصلاح العدلية الشريفة) من فاتح شتنبر 1931 إلى مم دجنبر 1932، ثم اشتغل بعمل حر كمدافع مقبول متطوع بمكتب أحد المحامين بفاس، ويظهر أن المجال لما فتح أمامه وأمام غيره لتعاطي مهنة المدافع المقبول لدى المحاكم، سجل نفسه فيها، مثل ماوقع للصبيحي أيضاً. ولكنه بعد فترة رجع إلى الوظيفة حيث عين نائب عضو بالقسم الجنائي بالمحكمة العليا الشريفة (وهذه المحكمة كانت توجد بدار المخزن وتستأنف إليها كثير من الأحكام التي تصدر من الباشوات والقواد) ولقد حوكمنا أمامها في سنة 1944 إثر الأحداث التي وقعت في سلا في 29 يناير 1944، ومن الذين ترأسوها في بعض الظروف الفقيه السيد العربي الناصري والفقيه بوعشرين

لقد بقي نائب عضو بالمحكمة العليا من سنة 1934 إلى سنة 1942 حيث قدم استقالته، وعاد إلى مهنة مدافع مقبول لدى المحاكم المخزنية.

وخلال فترة الأربعينات ونحن نتهياً للمطالبة بالاستقلال، اقترح بعض رفقاءه وأصحابه أن يكون من جملة الموقعين، فقبل الاقتراح ووقع على الوثيقة وبعد حصول المغرب على الاستقلال سنة 1956 عين على رأس المحكمة الإقليمية بفاس ابتداء من فاتح ماي، ثم بعد إحداث محكمة استئنافية بفاس، عين رئيس غرفة بها من فاتح يناير 1962 إلى 16 يونيو 1963، ثم عينه صاحب الجلالة الحسن الثاني عاملاً على إقليم فاس، ثم رجع إلى السلك العدلي فعين مستشاراً بالمجلس الأعلى، ثم عين في شتنبر 1970 وزيراً للعدل ثم وزيراً للداخلية في غشت 1971 ثم رجع إلى المجلس الأعلى سنة 1972 وبقي يزاول مهامه إلى أن لحقته المنية في 28 نونبر 1973

والفكرة الثابتة التي أسجلها عليه بهذه المناسبة أن الجميع كان يشهد له بالنزاهة والإستقامة وحب الخير

لقد كان رحمه الله هادئ الطبع، قليل الكلام، بعيداً عن الفضول، ولذلك كان محبوباً من جميع معارفه، رحمه الله رحمة واسعة.

19) السيد عبد الكريم بن جلون التويمي



تعرفت على الأستاذ عبد الكريم بن جلون في الأربعينيات، فعرفت فيه الاستقامة الفكرية، والوطنية الصادقة، والإدراك الحصيف، والموضوعية في الحديث، والتدين الصحيح. لم يكن من المؤسسين الأولين في الحركة الوطنية، ولم ينتم لحزب الاستقلال إلا قبل الاعلان عنه بقليل، كان من قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس الجادين المستقيمين وكان له مقام عندهم وتقدير، لم يحظ به إلا القليلون.

عندما أصبحنا في الحزب الوطني نفكر في الاستقلال، ونحاول جمع ذوي الفكر الوطني والأحرار الوطنيين على وحدة الرأي حوله، كان في مقدمة من وقع التفكير فيهم الأستاذ عبد الكريم بن جلون، ولعل المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل هو الذي اقترحه ولعله هو الذي أدى القسم على يديه لاليدخل الحزب فحسب، ولكن ليكون عضواً في (الطائفة) وهي الجماعة السرية في الحزب، وليطلع على بعض الأسرار التي لم يطلع عليها إلا القليلون، ومنها اتصالات الحزب السرية بمحمد الخامس، والاتفاق معه على طلب الاستقلال. انخرط الأستاذ عبد الكريم بن جلون في الحزب، ووقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان أحد أعضاء الوفود التي قدمتها للمسؤولين، وبعد تنظيم الحزب سنة 1945 كان عضواً في المجلس الأعلى للحزب ثم في سنة 1957 انضم إلى أعضاء اللجنة التنفيذية وانسجم الانسجام الكلي مع قيادة الحزب، وصار يشتغل وييدي الآراء الجادة المستقيمة خصوصاً في المسائل القانونية.

لدى تقديمنا لوثيقة الاستقلال وتوقيعه عليها كان موظفاً بدار المخزن برتبة قاض في المحكمة العليا، ولدى قيام المظاهرات العارمة بعد إلقاء القبض على بلافريج ووصول المتظاهرين إلى القصر الملكي، وهجومهم على الفقيه معمري الزواوي نائب مدير التشريعات الملكية إثر نطقه بجمل اعتبرها المتظاهرون اتهامات مرفوضة، دعى من طرف المسؤولين في دار المخزن، ليعمل على تخفيف الحدة التي بلغت أفصاها، وكاد الأمر يؤدي إلى مالاتحمد عقباه، فعرف بكياسته والتقدير الذي كان يحظى به، كيف يخفف من تلك الحدة، هو والمرحوم الأستاذ عبد الكبير بن حفيظ الفاسي، وأدى الأمر إلى سلامة الفقيه معمري وفكه من قبضة المتظاهرين الذي كاد أن يقضي عليه بسبب هيجان

الجمهور المتظاهر الذي لم يقبل من سي معمر أن يتهم بلا فريج بالاتصال بالأجنبي، ولذلك — على ما يظهر — لم يلق عليه القبض ولم يسجن هو وعبد الكبير الفاسي وإنما طُرِدَا من الوظيف مثل ما وقع للكثيرين.

كثر اتصالاتي مع سي عبد الكريم بن جلون في نطاق العمل الحزبي أولاً وخلال تأسيسنا للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني الذي اقترحه رئيساً لها مثل ما اقترح أن أكون الأمين العام لها. زدت معرفة به، وتعاطفاً معه، وتوافقاً في الآراء في القضايا الوطنية ومنها القضية الفلسطينية، فلم يحصل أن أخذت الكلام في يوم من الأيام أثناء الاجتماعات وأبدت بعض الاقتراحات، فلم يوافقني عليها ولم يؤيدني فيها، خصوصاً في موضوع القضية الفلسطينية، وكثيراً ما كنا نعقد اجتماعاتنا في الرباط أو فاس فأطلب منه أن يترأس ويسير الجلسات، ولكنه يكتفي بالافتتاح ثم يسلم إلى الأمر في التسيير.

كان رحمه الله حصيفاً جداً في تعامله، مستقيماً في سلوكه، صادقاً في وطنيته. لقد ازداد بفاس سنة 1911 وبها درس الدراسة الابتدائية والثانوية، وانتقل إلى الرباط ليلج معهد الدروس العليا ويحصل على الإجازة في الحقوق والآداب، ثم ينخرط في سلك المحاماة كمحام متمرن بمكتب الأستاذين : بيكار المشهور وبورجي. ثم في سنة 1944 سجل في سلك المحامين الرسميين، وصار يباشر عمله كمحام مستقل. ولدى أحداث وقعت في ناحية الأطلس المتوسط سنة 1951 إثر قيام الشعب ضد القواد الذين أصبحوا يتآمرون على المغرب وعلى العرش المغربي، واحتجاج الحزب الشديد ضد ما كانت تقوم به السلطات الاستعمارية، تعرض للمحاكمة فحكم عليه بثلاثة أشهر سجناً موقوفة التنفيذ، ومنع إثر مرور الشهرين من مباشرة مهامه في الدفاع في الرباط فنقل إلى فاس.

ولدى أحداث سنة 1952 و1953 بعد اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات عباس، كان من القادة الحزبيين الذين وقع نفيهم إلى املاكو ثم آسول ثم اغبالو نكاردوس، وبقي منفياً عامين كاملين.

وبعد الاستقلال عين وزيراً للعدل في أول حكومة وطنية، ثم تولى بعد ذلك وزارة التربية الوطنية، وفي كلتي الوزارتين، وخصوصاً في وزارة العدل التي وضع أسس تسييرها وإيجاد الأطر لها، سعى لتكون وزارة عدل بالمعنى الصحيح.

وعندما أسست نقابة المحامين بفاس انتخب أول رئيس لها، وبقي يترأسها إلى سنة 1969 ولما أسست النقابة المذكورة على مستوى المغرب بأكمله، انتخب رئيساً عدة سنوات، إلى أن توفي وهو المسؤول الأول فيها، وعندما تأسست ودادية المغرب العربي، انتخب رئيساً لها كذلك.

اشتهر الأستاذ عبد الكريم بن جلون في أوساط المحامين المغاربة، بالجدية والاستقامة، وفرض احترامه على جميع من اتصل به منهم، وكان مضرب الأمثال في الدفاع عن الحق، خصوصاً لدى اعتقال الأحرار من الوطنيين في ميادين الفكر والصحافة وحرية الرأي، رحمه الله وجزاه أحسن الجزاء⁽⁷⁾.

20) السيد قاسم بن عبد الجليل



السيد قاسم بن عبد الجليل عم المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل وإن كان أصغر منه سناً، تعرفت إليه عن طريق الحاج عمر، وإن كنت لم أخالطه ولم أشاركه في أي اجتماع، لأنه وإن كان من أطيب الناس خلقاً ووطنية، فهو لم يكن قبل حادي عشر يناير 44 من المنخرطين في الحركة الوطنية ولا من العاملين في صفوفها حسب علمي، وكل ماعرفته عنه، كان عن طريق الحاج عمر.

ازداد السيد قاسم بن عبد الجليل بمدينة فاس سنة 1909، فهو يصغر ابن أخيه الحاج عمر بعامين، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بفاس أيضاً، ثم انتقل إلى مدينة الرباط التي كان الفرنسيون أنشأوا فيها مدرسة للمعلمين. وكان يتخرج منها بعض المعلمين في الأقسام الابتدائية بعد أن يكونوا حصلوا على شهادة «البروفي» إثر قضائهم أربع سنوات في التعليم الثانوي، ثم بعد انخراطهم في سلك مدرسة المعلمين يقضون سنتين أو ثلاث سنوات يتلقون فيها دروساً في البيداغوجيا في التعليم وبعض الدروس التكميلية، وكان المتخرجون من هذه المدرسة رغم قلتهم يعتبرون نماذج ممتازة في تلقين الدروس الابتدائية.

وفي سنة 1944 عندما قرر الحزب أن يستقطب العناصر الصالحة للمساهمة العملية

(7) راجع ما كتبه عنه في الجزء الأول من (رجال عرفتهم).

في طلب الاستقلال، دعى السيد قاسم للتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال فلبى دون تردد، ولقى جزاءه على التوقيع من طرف الفرنسيين بزجه في سجن برج النور، وفصله عن قطاع التعليم بعد خروجه من السجن، ويظهر أنه تعاظم لبعض الدروس القانونية التي كان مسموحاً بها لرجال التعليم، فاشتغل إثرها مدافعاً أمام المحاكم بفاس والدار البيضاء

وبعد الاستقلال عين وكيلاً لجلالة الملك بالمحكمة الابتدائية بالدار البيضاء ثم بمحكمة الاستئناف بالرباط، ويظهر أنه كانت له مؤهلات قانونية جعلت المسؤولين يقبلونه في محكمة الاستئناف بالخصوص، ثم عينونه مديراً للمدرسة الادارية، حيث بقي يزاول مهامه فيها إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم 7 ماي 1961 تغمده الله برحمته. لقد كنت ألقاه أحياناً بمنزل الحاج عمر، وألاحظ في وجهه الجدية والصرامة والاستقامة. رحمه الله.

21) السيد أحمد اليزيدي



السيد أحمد اليزيدي بن القائد المعطي، هو شقيق المرحوم محمد اليزيدي عضو قيادة حزب الاستقلال، انخرط في حزب الاستقلال لدى التحضير لوثيقة المطالبة بالاستقلال ووقع على الوثيقة مع الموقعين، ولم يكن له نشاط وطني قبل توقيعه للوثيقة، وكان له دور هام في التعريف بالقضية الوطنية ورجاها لدى بعض الضباط العسكريين الذين كانوا بعيدين عن الحركة الوطنية والذين أصبحوا متعاطفين معها لدى المطالبة بالاستقلال وبعدها.

ازداد بمدينة الرباط سنة 1905 وتلقى تعليمه الابتدائي وبعض الثانوي بكوليج مولاي يوسف، ثم انخرط في سلك تلامذة المدرسة العسكرية بمكناس سنة 1922 ليتخرج منها برتبة ضابط، ومن المعلوم أن المدرسة العسكرية بمكناس كان يسيرها ضباط فرنسيون، وكانت في الواقع خاضعة للعسكرية الفرنسية، وبسبب ذلك فإن السيد أحمد اليزيدي بعد تخرجه من المدرسة العسكرية صار تابعاً للقيادة العسكرية الفرنسية، ولذلك كانت تنقلاته في تلك الفترة في نطاق العسكرية الفرنسية، وفي هذه الفترة تعرف إلى بعض الأقطار العربية ومنها سوريا.

وأثناء فترة الحرب العالمية الثانية استقال من الجندية واشتغل بالتجارة وكان في تجارته الأولية شريكاً للمرحوم سيدي الحفيان الشرقاوي، وعندما قرر الحزب الاستيلاء على الغرف التجارية والفلاحية، وإخراجها من قبضة وتسيير المتعاونين مع الحماية رشحه في الرباط مثل مارشح غيره في المدن الأخرى لرئاسة غرفة التجارة في الرباط، فانتخب انتخاباً حراً وتولى تسيير الغرفة التجارية بحكمة واستقامة، ولعب دوره كاملاً أثناء وجوده في مجلس شورى المقيم، فكان مثل بقية الرؤساء الآخرين يقدم التقارير الهامة لمعارضة مخططات الإدارة الفرنسية في تسيير وتوزيع الميزانية المغربية، وكان مع بعض الأعضاء الآخرين في المجلس والتابعين لسياسة الحزب في معارضة الوجود الفرنسي ومنهم الأستاذ محمد الزغاري والسيد محمد الأغزاوي يقومون بدور هام وخطير ضد سياسة الإقامة العامة في عهد الجنرال جوان، الأمر الذي جعل جوان وكان يترأس بنفسه مجلس شوره يوقف الأغزاوي أثناء بعض تدخلاته، ويطلبه بمغادرة قاعة المجلس دون حياة أو خجل، ولكنه تلقى صفعه أليمة، عندما رأى أنه ارتكب غلطة سياسية لم يكن ينتظرها، وإن كل الأعضاء الوطنيين ومنهم أحمد اليزيدي تضامنوا مع الأغزاوي وانسحبوا من المجلس، ليذهبوا تَوّاً إلى القصر الملكي فيستقبلهم محمد الخامس ويحكوا له ماوقع بالتفصيل طالبين أن يشد أزهرهم كما هو موقفه دائماً مع الأحرار الوطنيين.

كانت فترة الأربعينيات بعد تقديم وثيقة الاستقلال، فترة نشاط وتحرك وقفز بالتحرك الوطني من مرحلة المطالبة بالاصلاحيات إلى المطالبة بالاستقلال، ورفع القضية المغربية إلى أنظار المنتظم الدولي، والجامعة العربية التي أنشئت هي نفسها في فترة الأربعينيات (1945) وإثر تعيين الجنرال جوان، ثم الجنرال كيوم، مقيمين عامين بالمغرب، كان العراق شديداً وقوياً بين جلاله محمد الخامس وحزب الاستقلال من جهة وبين الإقامة العامة من جهة أخرى، الأمر الذي دفع الإقامة العامة في سنة 1952 وإثر الاضرابات والأحداث التي وقعت إلى إلقاء القبض على قيادة الحزب ثم على قواعده، وسجنهم وتقديمهم إلى المحاكم العسكرية، ونفى بعضهم إلى الصحاري، وكان من جملة المنفيين إلى «مير اللفت» ثم «كلمين» ثم (اغبالو نكاردوس) السيد أحمد اليزيدي حيث قضى في منفاه اثنين وعشرين شهراً .

وبعد الاستقلال تقلب السيد أحمد اليزيدي في عدة وظائف، فعين وزيراً للتجارة والصناعة في أول حكومة تكونت بعد الاستقلال، ثم كاتباً للدولة في الحكومة الثانية ثم عين وزيراً للدفاع.

وفي سنة 1958 عاد إلى القطاع الخاص، ليرأس شركة التأمين الملكي، وليهم بتربية الخيول، ويهم بأولاده الثلاثة أصلحهم الله ليقوا مشرفين على تسيير ما كان يهتم بتسييره سواء في مجال التأمين أو تربية الخيول ولقد أصيب بمرض ألزمه الفراش عدة سنوات، ولم يتركه حتى فارق الحياة يوم السبت 17 غشت سنة 1996 رحمه الله رحمة واسعة.

22) السيد عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفهري الفاسي



قد يكون الأستاذ عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي الفهري من خيرة المثقفين ثقافة مزدوجة الذين أنجبهم البلاد، وبالأخص فيما يتعلق بالمغرب وتاريخه الحديث، وما كتب عنه الباحثون والمؤرخون الفرنسيون، ويتراءى لي أنه زيادة على دراسته في القرويين ومعهد الدروس العليا بالرباط، ومطالعته المستمرة والمتنوعة، استفاد من والده السيد عبد الحفيظ وثقافته الدينية والتاريخية والاستطلاعات والكتابات والرحلات التي قام بها في مختلف أنحاء

المغرب، زيادة على اتصالاته بالكثيرين من المصلحين والعلماء الذين كان لهم دور في سير الأحداث وتبعها أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

ازداد عبد الكبير بفاس سنة 1900، ويعتبر من أسنّ الجيل الذي درس معه، أمثال الأستاذ محمد الفاسي والأستاذ الحاج أحمد بناني والأستاذ أحمد اباحيني.

هو متسلسل من آل الجد المشهورين بالأندلس، ودرس بجامعة القرويين، وثانوية مولاي يوسف بالرباط، ومعهد الدروس العليا بالرباط في الشعبة القانونية والادارية، ولعل دراسته بالمعهد هي التي زاملته مع المرحوم محمد اليزيدي الذي بقي له اتصال به إلى فترة المطالبة بالاستقلال.

بعد إنهائه الدراسة بالمعهد توظف بوزارة الأملاك المخزنية التي كان يشغلها إذاك الحاج عمر التازي، وكان يشغل هذه الوظيفة قبله الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي ثم بعد ذلك انتقل إلى إدارة الشؤون الشريفة ثم إلى باشوية الدار البيضاء ثم إلى مندوبية مراكش، ومنها انتقل إلى الرباط ليعين عضواً بالمحكمة العليا (محكمة الجنايات) التي فصل منها سنة 1944 عندما كان من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

وأثناء وجودنا بالسجن إثر أحداث 29 يناير 1944 انتقل إلى مدينة طنجة حيث كان أصهاره آل المنهبي يسكنون فيها، ونظراً لاهتماماته الثقافية، ومعرفته الواسعة بالحضارة الأندلسية، فقد أصدر مجلة ثقافية أسماها (العدوتان) العدو الأندلسية والعدو المغربية، وقد اهتمت هاته المجلة كثيراً بالدراسات الأندلسية ولاشك أنه كان يفكر في متابعة إصدارها لولا عجزه المادي عن الإنفاق عليها، فلم يصدر منها إلا عدد واحد، أمل أن يوجد بالخزانة العامة للمملكة. وأوائل الثلاثينات عندما أصدر محمد الصالح ميسة مجلة «المغرب» الثقافية كان من الكتاب الأساسيين فيها، وعندما أصدر المرحوم السعيد حجي «ملحق المغرب الثقافي» كان من الذين يزودونه بالمقالات والدراسات المتنوعة، وكانت كتابته خلواً من اللغو والتكرار. وإطلاق الكلام على عواهنه، وبقي يد المجلات الثقافية التي صدرت بأبحاثه ومقالاته، فكتب في رسالة المغرب التي كان يصدرها الحزب بإدارة الفقيه محمد غازي، ثم لما أصدرت مجلة الإيمان» أوائل الستينات كان يزودني ببعض المقالات والدراسات.

كانت خزانته العلمية مليئة بالكتب التاريخية والأدبية، سواء باللغة العربية أو اللغة الفرنسية ويعتبر في نظر الذين خالطوه واتصلوا به من رفقاءه من خيرة المطلعين والدارسين المكثرين.

وإذا لم تخني ذاكرتي وأنا أكتب عنه بعيداً عن خزانتي ومراجعي أذكر أنه كان اقترح في مجلة المغرب المذكورة تكوين لجنة للترجمة والنشر، كما اقترح إقامة بنائية لضريح لسان الدين ابن الخطيب الذي مات منفيّاً بناحية مراكش.

وأثناء مُقامه بطنجة، وقعت أحداث 1952 و1953 التي نفى فيها الملك سيدي محمد الخامس، فشعر إذاً أن مهمته ليست ثقافية فحسب، وأن واجبه وقد قام الشعب جميعه يرفض الإهانة والذلة والانصياع للاستعماريين وأذناهم، أن يقوم بدوره في المقاومة ورفض مخططات الاستعمار، وهكذا ساهم بجانب المقاومين في تكوين لجنة التنسيق لربط المقاومة في الداخل والخارج، وصار يزود إذاعة طنجة بأخبار المغرب التي ترد عليه من الداخل والخارج، سواء عن طريق ابن عمه عبد الكبير ابن المهدي الفاسي أو عن طريق الزعيم علال الفاسي الذي كان إذاً يقوم بحملة واسعة من القاهرة ضد الاستعمار الفرنسي، وغداة العملية البطولية التي قام بها الفدائي الفذ علال بن عبد الله ضد السلطان المزعوم الخائن (ابن عرفة) أثناء ذهابه إلى مسجد أهل فاس ركباً فرسه ومحمياً بالجيش الفرنسي، وارتمائه عليه محاولاً طعنه بسكين ثم سقوطه رحمه الله مخرجاً بدمائه شهيداً صادقاً مخلصاً. بعد هذه العملية الفذة التي كانت الشرارة الأولى

للمقاومة المسلحة بعد نفي محمد الخامس وتنصيب الخائن ابن عرفة سافر عبد الكبير الفاسي إلى مدريد ثم باريس من أجل تنسيق العمل الفدائي.

وبعد استقلال المغرب، عيّن سفيراً بإيران ثم سفيراً بتركيا التي بقي فيها ست سنوات ثم نقل إلى الأردن سفيراً بعمّان التي بقي فيها بدورها ست سنوات، ولقد زرتة بعمان رحمه وهو سفير، فلقيت منه كل الترحاب، واستمعت إلى الثناء عليه من موظفيه ومساعديه وكل من عرفه، ثم وقع نقله إلى وزارة الشؤون الخارجية كسفير ملحق بها، كما عين قبل ذلك موظفاً سامياً بالتشريعات الملكية. وبعد إحالته على التقاعد، استقر بمدينة مراكش، وفيها لقي ربه إثر مرض ألمّ به وذلك خلال سنة 1981، ولقد شاركت في تشييع جنازته ودفنه بأحد الأضرحة المشهورة بمراكش رحمه الله وأجزل له الثواب.

(23) الحاج محمد الرفاعي

لا أتذكر أنني تعرفت عليه أو حادثته، وإن كنت عرفت بعض الشخصيات من آل الرفاعي بالرباط، ومنهم المرحوم الأستاذ الوطني الكبير مولاي الطاهر الرفاعي الذي كان معروفاً جداً في الأوساط الثقافية والوطنية، وكان لسناً وذات صوت عالٍ أثناء حديثه، ومن العناصر المثقفة في الرباط، ولست أدري أكانت رابطة نسبية مع الحاج محمد الرفاعي أم إنّما يماثله في الانتماء لسيدي أحمد الرفاعي الولي الصالح والصوفي الشهير دفين القاهرة، ومسجده بالقاهرة مشهور ومقصود.



ازداد الحاج محمد الرفاعي كما قرأت عنه بالرباط عام 1307 هـ الموافق 1886 م وكان من خيرة علماء الرباط فضلاً وتقوى ووطنية، تعاطف مع الحركة الوطنية منذ نشأتها، سواء في حال توظيفه، حيث كان موظفاً بوزارة الأحباس وقاضياً بالنيابة ثم عدلاً في سماء العدول بالرباط ثم لدى تعيينه إماماً وخطيباً بمسجد باريس، حيث كانت الإمامة بهذا المسجد الذي بنى بهندسة مغربية ويد عاملة مغربية، وكان يسيّره من أعلى قدور بن غبريط الذي كان رئيساً لجمعية أحباس الحرمين الشريفين، أقول : كانت إمامة مسجد باريس تقع بالتناوب بين المغرب والجزائر وتونس، فكل سنة يعين واحد من

هذه الأقطار الثلاثة، وكان قبل تعيين الحاج محمد الرفاعي إماماً لمسجد باريس السيد العربي بنسودة الذي سكن مدة بسلا عندما كان موظفاً بدار المخزن.

لما حضرت وثيقة المطالبة بالاستقلال ووقع عليها أعضاء الطائفة وهي الجماعة السرية في الحزب الوطني تقرر أن يضاف للموقعين بعض الشخصيات المرموقة الموثوق بها وبكتمانها، فكان الحاج محمد الرفاعي من هؤلاء الموثوق بهم، ودعي إلى التوقيع، فلم يتردد، ولما علم الفرنسيون بتوقيعه بعد تقديم الوثيقة، صاروا يراودونه لعله يتراجع عن توقيعه، فأجاب الضابط الفرنسي الذي خاطبه في الأمر قائلاً : لا، لن أفعل ولو قطعت يدي.

قيل عنه إنه كتب عدة مقالات في جريدة «الأطلس» بدون توقيع، ولكنني شخصياً لا أعرف عن هذا شيئاً.

انتقل الحاج محمد الرفاعي إلى الرفيق الأعلى سنة 1950 رحمه الله وجازاه.

24) السيد الحاج أحمد بن الطاهر مكوار



لا بد لمن يزور مدينة فاس من الوطنيين أن يزور سي أحمد مكوار، فهو من الشخصيات اللامعة القليلة، التي تنبّه وعيها الوطني قبل فرض الحماية، فعاشوا فتنة الناصر بوحماره وعاشوا الأحداث الدامية التي وقعت بفاس بعد فرض الحماية على المغرب، وهو من الذين سايروا الفكر الوطني وتفتحوا، منذ ثورة البطل ابن عبد الكريم إلى مقاومة السياسة البربرية 1930 إلى تكوين كتلة العمل الوطني إلى الحزب الوطني إلى حزب الاستقلال.

وفي كل هذه المراحل كان سي أحمد مكوار ذا حسّ سياسي وطني، زادته تجاربه في الحياة قوة وصلابة.

عرفت سي أحمد مكوار أواخر الثلاثينات، ولكن معرفتي الحقيقية به وبذكائه ووطنيته المختبرة، لم تقع إلا في الأربعينيات وبعد تقديم وثيقة الاستقلال ورجوع الزعيم علال الفاسي من منفاه بالكابون الذي دام تسع سنوات.

كان سي أحمد مكوار من تجار فاس وأعيانها المرموقين الموثوق برزانتهم وحنكهم،

وحكى لي الأخ الفقيه المطلع السيد الحاج محمد التطواني أنه لما ذهب إلى فاس حوالي عام 1339 هـ ليلتحق بالقرويين، كان من جملة العلماء الذين يأخذ عنهم الدروس الشيخ عبد الحفي الكتاني المشهور بعلمه إذ ذاك، وبخيانته بعد ذلك، أنه لدى اتصاله بعبد الحفي وجد أن سي أحمد مكوار كان من معارفه، ومن الذين كان ينظر إليهم عبد الحفي بكامل التقدير، أحكى هذه القصة لأدلل على أن سي أحمد مكوار كان يفرض نفسه وشخصيته حتى على أمثال عبد الحفي الكتاني وإن كان صار بعد ذلك من أكابر مناوئيه والمخارين له.

لقد ازداد سي أحمد مكوار حسب ما وجدت مسجلاً في بعض التقييدات سنة 1892 أي أنه لدى فرض الحماية على المغرب كان في العشرين من عمره، ولدى أحداث الريف وقيام ابن عبد الكريم ضد الأسبانيين والفرنسيين كان تقريباً في الثلاثين من عمره أي أنه كان في السن الذي يميز التمييز الحقيقي بين المفيد والضار، وبين الصالح والطالح، فتحمس لابن عبد الكريم وناصره وناصر المجاهدين الذين بجانبه.

ويقول في بعض ما كتبه عن نفسه أنه تعرف على الزعيم علال الفاسي عام 1928 وتوطدت العلاقة بينهما منذ ذلك التاريخ، ولديّ تساؤل في موضوع سنّ الزعيم علال الذي ازداد حسب ما هو مسطر في حياته عام 1910، هل كان سن خمسة عشر عاماً كافية لأن تجعل العلاقة وطيدة بين علال ومكوار وسنهما يتعد نحواً من عشرين سنة ويغلب على ظني أن سنّ الزعيم علال ليس كما هو مسجل في بعض كتبه. ولكنه ازداد قبل سنة 1910 كما سبق لي أن وجدته مسجلاً في بعض الصحف المصرية القديمة التي كتبت عن حياته مُعرفة به، وتوجد هذه الجريدة في خزانة سي علال نفسه، وإن كنت غفلت عن اسمها. وكيفما كان الأمر، فإن الروابط بين علال ومكوار، كانت وطيدة لدرجة كبيرة لدرجة أن علال عندما كان منفياً بالكابون وبلغه وفاة والده رحمه الله لم يطمئن إلا لصديقه الحاج أحمد مكوار، ويعهد إليه بالإشراف على تركة والده والوصاية على بنته.

قلت سابقاً أن سي أحمد مكوار تنبه وعيه الوطني مبكراً، وأدرك من جملة القلة التي أدركت أنه لانتجاة ولانتقدم ولانتحر، إلا عن طريق المدرسة وطريق التعليم، وهكذا نراه مساهماً مع بعض المخلصين في فاس في تأسيس مدرسة سيدي بناني الحرة عام 1919 وفي تأسيس مدرسة النجاح عام 1920 بنفس المدينة، وفي مساندة المدرسة الناصرية التي كان يديرها في وقت من الأوقات الفقيه محمد غازي رحمه الله.

وإذا كانت فاس قامت قيامتها إثر صدور الظهير البربري 1930 وإثر قيام التجمعات لقراءة اسم الله اللطيف بسلا أولاً ثم بالرباط، فإن سي أحمد مكوار كان بدوره من الجماعة التي استنكرت واحتجت ضد السياسة البربرية بل كان ضمن الوفد الذي تقدم بعريضة فاس الاحتجاجية ضد السياسة البربرية إلى صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف والذي كان ترأسه العلامة الفقيه السيد عبد الرحمان بن القرشي رحمه الله.

لقد تقوى ارتباط سي أحمد مكوار بالجماعة الوطنية السريّة الأولى بفاس والتي كان يتزعمها سي علال الفاسي وأقسم اليمين هو بدوره مع تلك الجماعة التي سميت بالطائفة على العمل لصالح المغرب وتحريره من ريق الاستعمار الأجنبي، ولما قررت الجماعة إصدار مجلة «مغرب» بالفرنسية، بفرنسا كان الذي يزودها بالمعونة المادية هو سي أحمد مكوار الذي كان يعتبر أمين صندوق الجماعة كما كان يساند جريدة (عمل الشعب) بالفرنسية أيضاً والتي كان يشرف عليها السيد محمد بن الحسن الوزاني وأود أن أسجل هنا أن جماعة فاس الوطنية، قبل انفصال الأستاذ ابن الحسن الوزاني عنها، كانت تعتبر نفسها الرأس المدبر، واللجنة المسيرة العليا للحركة الوطنية بالمغرب، وكان من جملة أفرادها المسيرين سي أحمد مكوار، وعند انفصال سي محمد بن الحسن الوزاني عن جماعة فاس التي كانت تسمى بكتلة العمل الوطني وهو الاسم الذي أعطى للوفد الذي تقدم للمسؤولين بمطالب الشعب المغربي والذي كنتُ من أفراد العشرة الذين هم :

- (1) علال الفاسي
- (2) محمد بن الحسن الوزاني.
- (3) الحاج عمر بن عبد الجليل
- (4) الفقيه محمد غازي
- (5) عبد العزيز بن إدريس
- (6) أحمد الشرقاوي
- (7) المكي الناصري
- (8) محمد الديوري
- (9) أبو بكر القادري
- (10) محمد اليزيدي

أقول بعد انفصال الوزاني عن الكتلة وتأسيسه للحركة القومية بقي سي أحمد مكوار من ركانز الحزب الوطني الأساسيين الثابتين، وإثر الأحداث التي وقعت سنة 1937 في مكناس وفاس وبني يازغة والخميسات كان من جملة المنفيين سي أحمد مكوار حيث

نفي إلى ميدلت وقصر السوق والريش وآسول وبوذيبي ثم ايتزر ولقد قضى في منفاه هذا سبعة وعشرين شهراً ولم يفرج عنه إلا سنة 1940 إثر انهزام فرنسا في الحرب العظمى الثانية.

ولدى تفكير الطائفة في القيام بعمل لصالح المغرب في فترة الحرب العالمية الثانية واتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال، كان سي أحمد مكواري من المتحمسين للاستقلال، وفي منزله حررت الصيغة النهائية للوثيقة، وبالقلم الذي لازال أبنائه يحتفظون به، كتبت، وكان من الموقعين الأولين عليها، ومن أعضاء الوفد الذي تقدم بها لجلالة الملك. وعندما قررت الحكومة إنشاء لجنة للمفاوضة في شأن ماتقدم به الحزب من المطالبة بالاستقلال، كان من جملة أعضاء الوفد الحزبي الذيفاوض الوفد الحكومي سي أحمد مكواري. وهذا ماجعل الادارة الفرنسية تلقي عليه القبض يوم 23 يناير 1944 أي قبل أحداث 29 يناير وتودعه في سجن برج الشمال، ثم تنقله إلى سجن الرباط حيث سلم إلى السلطات العسكرية بتهمة اتصاله بألمانيا، وهكذا ذاق من العذاب ألواناً، فربطت رجلاه بالحبال، وقام ثلاثة من الضباط الصغار بضربه وتعذيبه بعد أن جردوه من ثيابه، ثم ألقوا به في بيت مظلم عندما فقد وعيه، ولقد بقي شهوراً لا يستطيع المشي على رجله من جراء الضرب والجلد، وكان معاون طبيب يأتي لزنزاته في سجن الرباط كل صباح ليزيل ماانفصل من جلود رجله، وهو نفس ماوقع للشهيد عبد العزيز بن إدريس الذي رأيته بأم عيني نائماً على ظهره بإحدى الزنزانات في الرباط ورجلاه ممدودتان وهما عبارة عن قطعة من اللحم حمراء، فأشار لي بأصبعه إليهما في غفلة عن الحارس.

وبعد هذا العذاب الأليم نقل سي أحمد مكواري إلى مدينة مكناس، وقدم إلى المحكمة العسكرية فيها، ولما كان ملف الاتهام فارغاً برأته المحكمة العسكرية من التهمة التي نسب الله وأطلق سراحه، ولكن الادارة الاستعمارية منعت من الانتقال إلى فاس فبقي بمكناس نحواً من سنة كاملة، ثم سمح له بالدخول إلى فاس.

وإثر أحداث 8 دجنبر 1952 نفي أيضاً إلى الصحراء، فقضى بالريش سنة كاملة ثم نقل إلى كولمين، فقضى بها مدة أصيب فيها بمرض، فنقلوه إلى أكادير ثم أفرج عنه في أكتوبر 1954.

وبعد الاستقلال وتكوين المجلس الوطني الاستشاري عين عضواً فيه، ثم انتخب في مجلس النواب سنة 1963 وكذلك في الغرفة التجارية والمجلس البلدي بفاس، وإثر مرض أصابه مكث بإحدى العيادات بالدار البيضاء، ثم نقل إلى فاس حيث وافته المنية يوم

12 فبراير 1988 رحمه الله وجزاه على ما قدم لبلاده وأمته⁽⁸⁾.

25) السيد عبد السلام المستاري

تعرفت على الفقيه السيد عبد السلام بمدينة آسفي حيث كان يدير مدرسة حرّة، لعلها كانت تسمى مدرسة الهداية، ولقد كان أسسها هو والفقيه المؤرخ السيد محمد الكانوني صاحب كتاب : آسفي وما إليه.



والفقيه المستاري من الفقهاء الوطنيين المخلصين الذين تعرفنا عليهم مع الفقيه السيد إدريس والفقيه الكانوني والذين كان التحق بهم في آسفي الفقيه محمد غازي

كان السيد عبد السلام المستاري من الأوائل الذين تنبّه وعيهم الوطني مثل الفقيه الكانوني والحاج محمد البوعمراني، فقاوموا المستعمرين إثر صدور الظهير البربري، وكان الكانوني والبوعمراني من الذين سجنوا في حركة الظهير المذكور، وبقي المستاري متشبهاً بفكره الوطني في مختلف أطوار حياته، سواء في الثلاثينيات أو الأربعينيات أو الخمسينيات، وكان يعطي الدروس ببعض المساجد التي تلقى فيها دروسه هو، ولما تقوت حركة إنشاء المدارس بالمغرب في الثلاثينيات وما بعدها كان من المؤسسين لمدرسة الهداية مثل الفقيه المسكوري الذي لعب دوراً هاماً في التعليم الحر، ولعل المدرسة التي أسسها وهي الهداية، هي التي تولى تسييرها فيما بعد الفقيه السيد محمد السرعيني الذي لعب دوراً هاماً في تنظيم صفوف العمال بمدينة آسفي، وإدخالهم إلى صفوف الحزب في فترة الأربعينيات.

كان سي عبد السلام المستاري هادئ للطبع، قويم الأخلاق، ذات سميت حسن ووجه مستبشر.

ازداد رحمه الله سنة 1900، ومدّ الله في عمره فلم يلق ربه إلا سنة 1991 بمدينة مراكش. اشتغل بالتعليم وبالعدالة وتولى القضاء بمراكش بعد الاستقلال.

(8) راجع ما كتبه عنه في «رجال عرفتهم» الجزء الرابع.

عندما تحررت وثيقة المطالبة بالاستقلال دعونه هو والسيد محمد بن الخضر للتوقيع عليها. فمثلا مدينة آسفي التي صارت في الأربعينيات بالخصوص تعج بالوطنيين وبالأخص من طبقة العمال الذين كانوا يشتغلون في معامل السُّمك، ولقد كان من جملة المعتقلين إثر المطالبة بالاستقلال، وكان الفرنسيون ينظرون إليه كشخص غير مرغوب فيه، فيضايقونه في جميع تحركاته ولو كانت دينية صرفة، وهكذا تعرض للمحاكمة بسبب احتفاله بعيد المولد النبوي فحكمت عليه المحكمة بشهرين حبساً موقوفاً.

وبعد نفي محمد الخامس رحمه الله، نفي من مدينة مراكش التي كان استقر فيها، وقاسى كثيراً من أنواع العذاب بتهمة اتصاله بالمقاوم الاستقلالي الفذ السيد عبد السلام بناني وبالأستاذ الوطني السيد الصديق الغراس، وكانت التهمة التي وجهت إليه هو والمذكوران محاولة اغتيال السلطان الخائن ابن عرفة، اشتغل بالقضاء مدة في مراكش وآسفي، وتوفي بمراكش سنة 1991، بعدما ترك الذكر الحسن والثناء العاطر رحمه الله.

26) السيد الحفيان الشرقاوي



عرفت سيدي الحفيان الشرقاوي سنة 1933 عندما أقمنا حفلة سياسية بمنزل آل حجي بسلا، بمناسبة مرور سنة على صدور «مغرب» وهي المجلة التي أصدرتها الجماعة الوطنية الأولى بباريز، وكان يرأس تحريرها الحاج أحمد بلافرج، وتصدر باسم المحامي الفرنسي الاشتراكي روبرجان لونكي. كان الحفل شيقاً وطنياً بكل معنى الكلمة، وشارك زيادة على وطنيي «سلا» إخوة من الرباط وآخرون من فاس، وألقى فيه الخطاب السياسي الرسمي باسم الجماعة المرحوم محمد بن الحسن الوزاني ثم ألقى كل من الحاج عمر بن عبد الجليل وعبد الرحمان الدكالي كلمات ارتجالية.

كان الحاضرون من الرباط جماعة وطنية هامة برئاسة المرحوم محمد اليزيدي، ومنهم عبد اللطيف العتاني وإدريس البنيوري وسيدي الحفيان الشرقاوي وغيرهم. ولازلت أذكر صوت سيدي الحفيان يرتفع بالهتاف قائلاً : (نحن مستعدون) إذا ما استمع لفقرة من فقرات الخطباء تحض على العمل الجاد لصالح الوطن والنضال في سبيله.

ثم صرت ألتقي أحياناً مع سيدي الحفيان عندما أزور المرحوم اليزيدي في بيته بوقرون زنقة سيدي قاسم، وكنت أنجذب لمرحه واندفاعه الوطني أثناء بعض الحفلات الوطنية، وأثناء بعض اللقاءات.

وجاءت سنة 1936 لتنظم كتلة العمل الوطني أول مؤتمر وطني مصغر بمنزل الوجيه (كما وصف في البلاغ الذي صدر) سيدي الحفيان الشرقاوي بحجى مارسة تصدر عنه قرارات المطالب المستعجلة التي أيدتها الجماهير المغربية من مختلف المذن.

ثم جاءت سنة 1937 لينعقد مؤتمر ثان للكتلة بمنزل سيدي الحاج أحمد الشرقاوي، وليصدر عنه الميثاق الوطني الذي قرر قطع أية علاقة مع الادارة الفرنسية مادامت مستمرة في اضطهاد الطبقات الشعبية في مختلف أنحاء البلاد، ومادامت مُصرّة على حرمان الشعب المغربي من حقوقه الشرعية.

وبعد قضائنا سنة كاملة في السجن أكتوبر 1937. أكتوبر 1938 وإطلاق سراحنا أنا والفقير محمد غازي وسيدي أحمد الشرقاوي اتفقنا على العمل على تنظيم اتصالاتنا باستمرار، نحن أعضاء الطائفة بسلا وأعضاء الطائفة بالرباط، وهكذا عقدنا عدة اجتماعات للمذاكرة في بعث النشاط الوطني من جديد، والسير فيه حسب المستجدات التي جدت، والتطورات التي وقعت، وكان يشارك في اجتماعاتنا ضمن أعضاء الطائفة سيدي الحفيان الشرقاوي.

وجاءت سنة 1944 واتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال، فكان من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال سيدي الحفيان الشرقاوي

ازداد سيدي الحفيان الشرقاوي بالرباط سنة 1897، فهو يكبر المرحوم محمد اليزيدي وهو صديقه الحميم، ورفيقه في الميدان الوطني، ولعله تعلقه وارتباطه الوثيق بالمرحوم محمد اليزيدي هو الذي كان سبب اشتراكه مع المرحوم أحمد اليزيدي في التجارة، حيث كان متجرهما بطريق تمارة.

وسيدي الحفيان الشرقاوي الذي تعرف على محمد اليزيدي أواخر العشرينات، عندما كان اليزيدي يستقطب بعض الشباب الحي لينظم منهم جوق الرباط للتمثيل، فكان حسب مااستنتجته من نشاط تلك الفترة التاريخية من أوائل الذين رأوا في اليزيدي نعم المثل للرجل الوطني الذي يجب أن تلتف من حوله النخبة الوطنية الصالحة التي كان منها بالاضافة إلى سيدي الحفيان : سيدي المعطي الشرقاوي والسيتل العيساوي ومصطفى بن عبد الله صاحب المطبعة الوطنية التي كانت تطبع بعض الكتب والنشرات

وعبد الرزاق بن احساين والمعطي أبا خاي وعبد الهادي لخلو وعبد اللطيف العتاي وغيرهم كثير.

وعندما تزعم محمد اليزيدي حركة مقاومة الظهير البربري بالرباط كان سيدي الحفيان من المقاومين الأشداء، ومن الموقعين على عريضة الرباط التي قدمها الرباطيون احتجاجاً على السياسة البربرية.

وفي كل أطوار الحركة الوطنية بقى سيدي الحفيان الشرقاوي، متشبثاً بمبدئه، لم يجد عنده ولم يتنكر له إلى أن لقي ربه سنة 1961 رحمه الله.

27) الجيلاني بناني



لم تكن مدينة القنيطرة مدينة لها شأن يذكر، حتى استقرت بها شخصيات تجارية وحرفية، كانت لها أياد بيضاء على هذه المدينة المكافحة، وتشبيدها وتطوير مجتمعا والنهوض بها.

وكان في طليعة من عملوا على رفع مكانتها الاقتصادية، وأنشأوا فيها حركة تجارية الشريف الجليل سيدي مشيش العلمي الذي أبلى البلاء الحسن في إعطاء هذه المدينة صفة المدينة، بعد أن كانت مجرد قرية لا يؤبه لها، وكان من أهم شركائه الذين عملوا معه وساعدوه المساعدة الدائمة السيد الجيلاني بناني الذي سكن القنيطرة في بداية الحرب العظمى الأولى 1914 واشتغل بالتجارة والتنمية وتطوير الحركة التجارية في منطقة الغرب كلها وثالث ثلاثة كان لهم بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي والتجاري في تطوير القنيطرة، جانب بث الروح الوطنية، والفكر الوطني وتنظيم الخلايا الوطنية وأعني به الشهيد السيد محمد الديوري.

أما في ميدان الجرفي والعمراي والبنائي وتحديد مدينة القنيطرة بل بنائها من جديد فلا بد أن نذكر العمل المبكر والجاد الذي قام به المرحوم الحاج محمد البوعزاوي، فالذين عرفوا القنيطرة قبل أن يسكن فيها ويرفع بناياتها الحاج محمد البوعزاوي، والذين عرفوها بعد سكناه فيها لا بد أن يعترف لهذا الجندي الجهور بالجميل.

لقد كان الجيلاني بناني من أوائل الذين أعطوا للتجارة والنماء حقهما، فكان يعمل ليل نهار، لا لينمي ثروته فحسب، ولكن ليفيد بلاده أيضاً.

لقد ازداد السيد الجيلاني بناني بفاس سنة 1898، وعائلة بناني عائلة العلماء والفقهاء، ويكفي أن نذكر منها العلامة بناني شارح الزرقاني على مختصر الشيخ خليل الذي لم تكن تخلو منه مكتبة فقيه في المغرب

ويظهر أن نشاطه الاقتصادي البارز هو الذي جعل الادارة تختاره ليكون ضمن الوفد الذي رافق جلالة محمد الخامس إلى فرنسا في رحلته الاستكشافية.

لقد ترأس سي.الجيلاني بناني الغرفة التجارية بالقنيطرة. كما انتخب في المجلس البلدي وفي مكتب الجمعية الخيرية الاسلامية التي كانت تقوم بدور هام في ميدان الاسعاف.

لقد كان ارتباطه قوياً بالمرحوم محمد الديوري وبقية أعضاء الحزب الوطني، وزاد هذا الارتباط وتقوى عندما تصاهر مع المرحوم الحاج أحمد بلافريج، وإثر المظاهرات الصاعبة التي وقعت بالقنيطرة إثر إلقاء القبض على الزعيم علال وصحبة في أكتوبر 1937، ألقى القبض على الجيلاني بناني وابنيه الوطنيين سي محمد (فتح) وسي محمد (رضاً) فقدموا جميعهم إلى المحاكمة، وسجنوا بالسجن المركزي بالقنيطرة ثم نقلوا إلى الصحراء : (الريش) وبعدها إلى سجن عين على أو مومن بسطات في سجن غبيلة بالدار البيضاء، وبعد قضاء المدة التي حكم بها على سي الجيلاني ألزم بالإقامة بسطات ولم يسمح له بالرجوع إلى القنيطرة إلا في أكتوبر سنة 1939.

لقد دُعي سي الجيلاني بناني إلى التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال باعتباره عضواً في الطائفة التي أذكر أن الذي رشحه لها هو المرحوم الحاج أحمد بلافريج.

وان انتهاءه الوطني جعله يتعرض لكثير من المضايقات من طرف السلطات الاستعمارية. وعندما كان الحزب قرر فتح جبهة ضد الإقامة العامة من خلال مجلس المقيم العام (مجلس شورى الحكومة) فلقد كان سي الجيلاني بناني من جملة الذين انخرطوا في هذا المجلس ممثلاً للغرفة التجارية بالقنيطرة

لقد بقي سي الجيلاني وفياً لوطنه وحزبه إلى أن لقي ربه يوم 8 يناير 1979 رحمه الله.

(28) السيد أحمد بنشقرون



الفقيه السيد أحمد بن شقرون المكناسي الملقب بولد النبي، والده السيد عبد السلام بن عبد الله بنشقرون، ازداد سنة 1325 هـ الموافق 1905 م وتوفاه الله بمكناس في رابع مايو 1970

تلقي دراسته الأولى بمكناس فحفظ القرآن في سن مبكرة، ثم صار يتعاطى دروسه الثانوية والعالية على بعض شيوخه بمكناس، أمثال العلامة سيدي محمد بن الحسين العرائشي والفقيه السيد محمد الشبيبي

والقاضي سيدي أحمد بن يوسف الناصري والفقيه السيد الغالي الستيسي والعلامة السيد أحمد البلغيثي. ثم انتقل إلى فاس ليتم دراسته العالية وذلك سنة 1944 فاتصل برجال الحركة الوطنية ورواد السلفية، وعاد إلى مكناس ليتفرغ لإعطاء الدروس بمساجدها وخصوصاً بمسجدها الأعظم. فكان لدروسه تأثير وصدى أزعج السلطات الاستعمارية.

لقد شارك في الحركة الوطنية منذ نشوئها، فكان من المؤسسين لجماعة إحياء السنة وإمالة البدعة، ومن الذين قاوموا السياسة البربرية الاستعمارية.

تعرفت على الأستاذ أحمد بنشقرون في إحدى المرات كنت فيها بفاس، فحملني الاخوان رسالة إليه بمكناس، كانت هي السبب الأول في ربط علاقتي به، ومنذ اللحظة الأولى وجدت فيه بالإضافة إلى علمه ووطنيته روح النكتة وخفة الروح، وأدركت في الحين أن دراسته بفاس أكسبته معرفة بإخواننا رجال الحركة الوطنية الأولين أمثال الزعيم علال الفاسي والشهيد عبد العزيز بن إدريس والمجاهد الهاشمي الفلاحي.

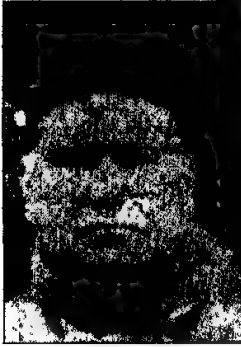
وعندما تقدمنا بمطالب الشعب المغربي سنة 1934 والمطالب المستعجلة سنة 1936 كان مع إخوانه بمكناس في طليعة المؤيدين والمناصرين، فكتبوا العرائض المؤيدة والبرقيات إلى المسؤولين في الخارجية الفرنسية.

وأثناء الانفصال الذي وقع في كتلة العمل الوطني من طرف المرحوم محمد بن الحسن الوزاني بقي كما كان في كتلة العمل الوطني ثم في الحزب الوطني لتحقيق المطالب ثم أخيراً في حزب الاستقلال وفي هذه السنة التي وقع فيها الانفصال وقعت أحداث اغتصاب العمرين الفرنسيين لماء أبي فكران، فقامت قيامة المكناسيين جميعهم بمن فيهم

الرجال والنساء، ووقعت مظاهرات، سالت فيها الدماء، وسقط الضحايا، وكثر الشهداء، فكانت انتفاضة شعبية اهتز لها المغرب بأجمعه إذذاك، وانتهت باعتقال كثير من الوطنيين كان منهم السيد أحمد بنشقرون الذي حكم عليه بالسجن لمدة أشهر ثلاثة، وكان لم يمر على زواجه سوى أسبوعين، فاستبدل الزواج في تلك المدة، براحة ضميره في السجن هو وإخوانه الأربعة الذين سجنوا معه.

وعندما تقرر أن نطالب بالاستقلال سنة 1944 كان من جملة الموقعين من مكناس هو والأستاذ إدريس المحمدي ومحمد العيساوي المسطاسي ومحمد بن عزو، وقبل ذلك بسنة واحدة هي سنة 1943 كان تأسيس المعهد الاسلامي المكناسي التابع لجامعة القرويين فعين فيه كاتباً بتاريخ 22 نونبر 1943 ولدى نفي محمد الخامس سنة 1953 والثورة الشعبية التي وقعت في المغرب كله، كان من جملة المعتقلين فبقي في السجن سنتان كاملتان، نفي بعدها من مكناس واستقر بالرباط مدة ثم رجع إلى مكناس إلى أن وافاه الأجل فيها بتاريخ رابع مايو 1970. فدفن بالزاوية التهامية. رحمه الله وأجزل له الثواب.

29) محمد بن الحاج أحمد الديوري



عرفت الشهيد محمد الديوري في الثلاثينيات، وزدت تعرفاً عليه في الأربعينيات، كان يشتغل بالتجارة وكان يعتبر من أعيان المدينة المشهود لهم بالوطنية والشجاعة في المواقف، وعدم المداراة في المبدأ. ومن الوجوه البارزة إذا ما جلس بين التجار، لا لكثرة ماله، ولكن لجرأته ووطنيته. ازداد الديوري في مدينة فاس عام 1314 هـ الموافق لـ 1895 م ودخل الكتاب مثل بقية الابناء ثم انخرط في سلك المدرسة العربية الفرنسية فحصل على الشهادة الابتدائية ثم

الثانوية ولم تأت سنة 1918 حتى حصل على وظيفة بالبنك المسمى (كريدي فونصي) ويجب أن أسجل هنا أن الذي كان يتولى إدارة المدرسة الابتدائية التي درس فيها بدرب الهكار، هو المرحو عبد الحق ابن وطّاف الجزائري المعروف كثيراً في الأوساط المغربية بغيرته الوطنية والدينية والذي سبق لي أن قرأت له أو عنه (لست أدري) مقالاً في مجلة «المغرب» لمحمد الصالح ميسة الجزائري سنة 34 أو 35. والثناء عليه ووصفه

بالإحسان وإسداء المعروف. أما المدرسة الثانوية التي درس فيها فكان يديرها السيد محمد بن عبودة التلمساني قبل أن يتولى إدارتها بعده (برينو) المشهور بتخطيطاته الاستعمارية في التعليم واهتمامه باللغة الدارجة ومساعدته للإدارة الاستعمارية.

ومن الأساتيد الذين تلقى الدروس عنهم بهذه الثانوية الفقيه السيد محمد اقصبي الذي نقل إلى القصر الملكي ليكون من جملة الأساتيد الذين تعلم عنهم جلالة محمد الخامس.

ويلاحظ أن الذين كانوا ينخرطون في سلك المدارس العربية الفرنسية لا بد لهم في الوقت نفسه من الانخراط في القرويين لتلقى بعض الدروس فيها وهكذا نرى الشهيد الديوري يتعاطى بعض الدروس على الفقيه ابن كبور بن الحاج، والفقيه السيد محمد الشرقي.

اشتغل الديوري بينك (كريدي فونصي) نحو ثلاث سنوات من سنة 1917 إلى سنة 1920 ثم انتقل إلى الدار البيضاء ليتعاطى للتجارة، وفي سنة 1922، انتقل إلى القنيطرة بقصد التجارة أيضاً، وفي القنيطرة استقر نهائياً، ولم تحل سنة 1930 التي صدر فيها الظهير البربري حتى انخرم في الحركة الوطنية المقاومة للسياسة الاستعمارية، وقاومها في جميع أطوارها واهتم كامل الاهتمام بالحركة التعليمية، فكان من المؤسسين الأساسيين للتعليم الحر وتقوى ارتباطه بكتلة العمل الوطني سنة 1934 فكان من العشرة الذين تحملوا مسؤولية تقديم مطالب الشعب المغربي ومن أعضاء الوفد الذي قدمها للإقامة العامة الفرنسية وفي سنة 1937 عندما امتدت أيادي الاستعمار إلى الزعيم علال الفاسي ونفته إلى الكابون ونفت وسجنت الكثيرين من الوطنيين، ترأس الديوري مظاهرة ضخمة في القنيطرة شارك فيها كل السكان والأحرار الوطنيين سواء منهم التجار أو الحرفيون أو العمال أو الأساتيد والطلبة، وذلك احتجاجاً على نفي وسجن الوطنيين الأحرار، وتضامناً معهم.

وعلى إثر هذه المظاهرة التي كان لها صدى في المغرب كله والتي سقط فيها ضحايا كثيرون ألقى عليه القبض وهو جمهور كبير من أحرار الحزب الوطني كان من جملتهم الأستاذ بوشتي الجامعي والشريف سيد مشيش العلمي وسي الجيلاني بناني وأبناءه محمد ومحمد والصدیق المكنيسي والمهدي البوعزاوي ومولاي إدريس البوعناني وغيرهم، ولقد نقل الديوري وصحبه إلى الريش في الصحراء الشمالية حيث ذاقوا جميعهم ألواناً من العذاب، ثم بعد قضاء فترة أسابيع من العذاب نقلوا إلى سجن عين علي أو مومن

قرب سطات فبقوا فيها بعض شهور، ثم نقلوا إلى سجن غبيلة بالدار البيضاء، حيث اجتمعنا معهم داخل جدرانها، فحكوا لنا مآلوقه من العذاب، تقبل الله منهم، وتخليداً لما لاقوه في سجن الريش وعين علي أو مومن سمي الديوري ولده الثاني عبد المومن، وهو الموجود الآن في فرنسا، وبعد قضاء سنتين كاملتين في السجن أطلق سراحه، ولكنه منع من الاستقرار في القنيطرة بل ألزم بالمقام بالصويرة حيث مكث فيها سبعة أشهر أخرى.

كان محمد الديوري من أعضاء الحزب الوطني الأوفياء، ومن أعضاء الطائفة (الجماعة السرية في الحزب) وكثيراً ما عقدنا اجتماعات للطائفة في منزله بالقنيطرة، وأذكر أن في منزله انتخب المرحوم بلافريج أميناً عاماً للحزب، وعندما قرر الحزب المطالبة بالاستقلال سنة 1944 دعى الديوري للتوقيع على الوثيقة وكان من أعضاء أحد الوفود التي قدمتها للدوائر المختصة، ولدى بناء وتأسيس ثانوية التقدم كان الديوري من الأساسيين لتكوينها، العاملين بجد ونشاط على إنجاحها في أداء مهمتها التربوية والتعليمية، وحتى يضمن سيرها ونجاحها، ربط علاقة وثيقة مع مديرها الحالي الحازم الأستاذ أحمد ابن الحاج السلمي حيث زوجه ابنته الفاضلة التي كانت بدورها تشرف على الحركة النسوية بالقنيطرة. وبالمناسبة أسجل هنا أن عقيلة المرحوم الديوري كانت ازدادت بالسينغال وذاك ما أكسبها إذ ذاك الجنسية الفرنسية، حيث كانت السينغال تابعة للجمهورية الفرنسية، ونظراً لأن قانون الصحافة في المغرب في ظروف الاستعمار كان لا يسمح للمغاربة بإصدار صحيفة باللغة الفرنسية للمغاربة، ولا يسمح بذلك إلا للفرنسيين، وعندما قرر الحزب الوطني إصدار صحيفة أسبوعية بالفرنسية للتعريف بالقضية الوطنية، وكان القانون لا يسمح بذلك وقع الاتفاق مع المرحوم الديوري ليتذكر مع زوجته المجنسة بالجنسية الفرنسية كي تسمح بأن تصدر الجريدة باسمها، فوافقت رحمها الله وصارت الجريدة تصدر باسمها.

و شاء الله أن تقع كارثة بالقنيطرة حوالي سنة 1946 وذلك بنشوب حريق فظيع في أكواخ كان يسكنها جمهور من المحرومين والفقراء، فتأسست لجنة ملكية لإسعاف المنكوبين كان الديوري من جملة أعضائها. كما كان الحاج محمد البوعزاوي من أوائل الذين قدموا كل إمكانياتهم لإسعاف المنكوبين واستضافة الكثيرين منهم وإسكانهم في جزء من بيته.

وفي سنة 1952 إثر أحداث (لرحات حشاد) وإلقاء القبض على زعماء الحزب، بينا هو في اجتماع بمنزله إذ داهمته القوات الاستعمارية فألقت عليه القبض حيث نقل

إلى معسكر (كان كَارْنِي) بالرباط، حيث جمعتني الأقدار به والاتفاق معه على بعض القضايا التي تتعلق بالاضراب الذي وقع في المغرب، وبعد افتراقنا من المعسكر، والرمي بنا في مختلف المناطق والجهات، أخذ الديوري إلى مكناس، حيث التقى في إدارة الشرطة بإخوانه : أحمد مكوار وإبراهيم الكتاني والمختار السوسي، ثم نُقل إلى قصر السوق في صحراء الجنوب حيث سجن في بيت مظلم هناك، ثم وقع نقله بعد ذلك إلى آيت أورير قرب مراكش، وإثر مرض أَلَمَّ به نقل رحمه الله إلى مستشفى المامونية بمراكش، فبقي طريح الفراش مدة لم يتلق فيها علاج ولم يهتم به أحد، وبينما هو على تلك الحال، سمع شخصاً ينادي عليه قائلاً : لعل الرجل غريب، فأجابه قائلاً : أنا من أسرة الديوري رقم هاتف المنزل الذي نسكنه بفاس هو : 34.55، فبلغ هذا إلى ابن أخته وصهره السيد بنسالم لخلو عن طريق رجل حدثه من مراكش، فسارع هذا الصهر إلى مراكش لعله يستطيع الاتصال به، ولكن القدر غالبه ففارق الحياة يوم 29 دجنبر 1953، ولقد حاول أهله وذووه دفنه بالقنيطرة ولكن الاستعمارين رفضوا ذلك، فنقل إلى فاس، ليُدفن بمقبرة القباب رحمه الله فلقد كان وفياً لوطنه ودينه وعقيدته، وكان مثال المخلصين الأشداء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. ولقد أوى بعض المسؤولين في القنيطرة وهو الباشا المرحوم الشريف سيدي عبد الحميد العلوي إن لم تخني الذاكرة أئى إلا أن يطلق اسمه على شارع من أهم الشوارع في القنيطرة، تخليداً لأعماله وتضحياته.

30) السيد الحاج أحمد الشرقاوي



عرفت سيدي أحمد الشرقاوي سنة 1934 عندما قررت الحركة الوطنية تقديم مطالب الشعب المغربي إلى الدوائر المختصة، فكنا نحن الأربعة : أحمد الشرقاوي، محمد غازي، عبد العزيز بن إدريس، أبوبكر القادري، الذين تركب منا الوفد الذي قدمها لجلالة الملك بالدار البيضاء.

ثم زدت معرفة به بعد ذلك في الاجتماعات التي كانت تعقدها كتلة العمل الوطني، وعندما ألقى القبض على الزعيم علال الفاسي والحاج عمر بن عبد الحليل ومحمد اليزيدي وأحمد مكوار سنة 1937 إثر الاجتماع الذي عقده الحزب الوطني بمنزل سيدي أحمد الشرقاوي والذي صدر عنه الميثاق

الوطني الذي قرر قطع العلاقات مع الدوائر المسؤولة الفرنسية إلى أن توقف الاضطهادات التي كانت مسلطة على الشعب في مختلف القطاعات، أقول : إثر إلقاء القبض على الزعماء المذكورين يوم 26 أكتوبر سنة 1937 عقدت اجتماعاً مستعجلاً مع بعض المسؤولين في فرع الرباط وذلك في منزل سيدي أحمد الشرقاوي وكان منهم زيادة عن سيدي أحمد الشرقاوي : عبد اللطيف العتاني والمعطي الشرقاوي فوجدت أنهم لا زالوا لم يتخذوا أي قرار للتضامن مع المعتقلين وفي ذلك الاجتماع اتخذنا قرار التضامن المطلق مع المعتقلين الأربعة والقيام بمظاهرات في كل من الرباط وسلا، وإثر هذه المظاهرات وقع القبض علينا ضمن المعتقلين العديدين.

لقد عشت مع سيدي أحمد الشرقاوي في السجن سنة كاملة، كان البعض منها في سجن الرباط والباقي في سجن الدار البيضاء أو العذير القريب من سطات، وخلال هذه السنة في السجن وقبلها زدت معرفة بسيدي أحمد الشرقاوي، فوجدت فيه الرجل الوطني الثابت الصامد الذي لاتزعزعه الأحداث والصدمات مهما كانت، عن مبدئه وعقيدته، وأذكر أنه أصيب بمرض أثناء وجودنا بسجن الدار البيضاء اضطر معه لإجراء عملية جراحية، فأخذه إلى المستشفى وأجروا عليه تلك العملية، ثم أرجعوه إلى السجن وهو لازال في مرحلة النقاهة، فما تشكى وما تذر، ولكنه بقي ثابت الجنان، قوي الإرادة، حتى مرت مرحلة النقاهة بسلام.

لقد ازداد سيدي أحمد الشرقاوي بمدينة الرباط سنة 1897 فأخذ تعليمه الأولي في الكتاتيب القرآنية وصار يتعاطى الدروس العلمية على علماء وقته، ومنهم الفقيه الروندة والعلامة ابن الحُسنى والمحدث الشيخ شعيب الدكالي وغيرهم، ثم التحق بالإدارة كموظف بإدارة الضرائب التي بقي فيها عشرين سنة كاملة من سنة 1914 إلى سنة 1934، وخلال هذه الفترات وبعد صدور الظهير البربري كان له اتصال وثيق بالمرحوم محمد اليزيدي الذي ذكر لي أنه كان ملتزماً بأداء مساعدات مالية منتظمة لتسيير الحركة. كما نشط في مجال الدعاية ضد السياسة البربرية، الأمر الذي جعل الإدارة تعتقله وتنفيه إلى مراكش الذي بقي فيها مدة كان يلقي خلالها بعض الدروس بمسجد القصبة. وخلال سنة 1932 أدى فريضة الحج وصادف الحال أن الشيخ عبد الحي الكتاني قام هو بدوره بزيارة إلى مصر في طريقه إلى الحج، وخلال مقامه بمصر صار يقدم نفسه لا كعالم فحسب ولكن كداعية مصلح حامل معه رسائل تركية من الأمير شكيب أرسلان، فارتاع سيدي أحمد الشرقاوي من نشاط عبد الحي، وخشى أن يلبس على

الكثيرين من الذين لا يعرفونه حق المعرفة خصوصاً وقد حمل معه كما قلت تركية من الأمير شكيب، فاتصل سيد أحمد الشرقاوي إذاك بالطلبة المغاربة الموجودين بالقاهرة، وكان من جملتهم الأستاذ محمد عزيان، ونظم معهم طريق مقاومة، ذلك المشعوذ الذي كان متعاوناً بالتعاون الوثيق مع الاستعمار.

اشتغل بالتعليم بعد خروجه من الوظيفة، فأسس مدرسة حرة بحى العكاري بالرباط الذي كان يسكن فيه، ثم أدار المدرسة الغازية بحومة بوقرون، ثم لدى التفكير في بناء مدرسة ثانوية كبرى للتعليم الحر بالرباط، كان من اللجنة المؤسسة لمدارس محمد الخامس التي أصبح مديراً لها طوال عشر سنوات من سنة 1947 إلى سنة 1957 حيث عين مستشاراً ملحفاً بسفارة المغرب في جدة مع السفير الأول الفقيه محمد غازي. ولدى افتتاح أول برلمان مغربي سنة 1962 انتخب عضواً نائباً عن مدينة الرباط. وفي الأربعينيات عندما كان مشغولاً بالتعليم، عين باللجنة العليا التي كونها حزب الاستقلال للإشراف على سير التعليم وإصلاحه، وخصوصاً التعليم الحر كما عين بلجنة التعليم العليا بمندوبية المعارف سنة 1951

لقد كان له نشاط ملحوظ في تكوين الخلايا الوطنية بحى العكاري، ومنها الخلية التي تخرج منها الشهيد الوطني الفذ علال بن عبد الله.

وعندما تقرر أن يطالب حزب الاستقلال بالاستقلال كان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال ومن الأعضاء المؤسسين للحزب

وكانت له نشاطات اجتماعية أخرى، فانتخب كاتباً عاماً للجمعية الخيرية الرباطية ومن المؤسسين للميثم الإسلامي

قضى مدة بسجن الرباط والبيضاء والعذير عام 1937 — 1938 ونفي إلى الصحراء إثر حوادث 1952 فكان أولاً في فم الحصن (آقا) ومير اللفت وكولمين وقلعة مكونة ثم اغبالو نكردوس، وانتقل إلى عفو الله يوم 22 جوان 1978 رحمه الله وجازاه خيراً⁽⁹⁾.

(9) راجع ما كتبه عنه في الجزء الأول من (رجال عرفهم).

31) السيد عبد الجليل القباج



السيد عبد الجليل القباج من الرجال الصادقين في وطنيتهم، الذين اعتنقوا الفكرة الوطنية في مطلع شبابه، كان مشهوراً بالاستقامة بين إخوانه الذين تعامل معهم، سواء في المجال الثقافي أو المجال السياسي، وكان كتوماً للأسرار، غير مكتر من الكلام الذي لا يرى فائدة فيه. لم أتعرف عليه شخصياً معرفة قوية، إلا بعد الأربعينيات عندما أسند إليه حزب الاستقلال مهمة مدير لجريدة «العلم» الغراء، وهذا التعيين في جريدة «العلم» جاء باقتراح من أحد الإخوة البارزين

في الحزب، حيث كان يرى في تعيينه على رأس جريدة تكون لسان الحزب ضماناً كافية للسير بها طبق الخطة التي يقررها الحزب في المجال السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي.

والأستاذ عبد الجليل القباج من مواليد الرباط في 2 نونبر سنة 1905 الموافق لرابع رمضان عام 1323 هـ. ولقد درس مثل أقرانه أولاً في الكتاب القرآني ثم بالمدرسة الابتدائية وثانوية مولاي يوسف، ثم انتقل إلى معهد الدروس العليا بالرباط التي نجح فيها في دبلوم الترجمة، ثم انتقل إلى كلية بوردو بفرنسا التي حصل فيها على شهادة الليسانص في العربية.

بعد رجوعه من فرنسا توظف سنة 1929 بإدارة الشؤون الإسلامية بصفته كاتباً بوزارة الأحباس، ثم سمي كاتباً في الصدارة العظمى بدار المخزن، وعندما تأسست جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف ترأسها سنة 1934، كما ترأس النادي الثقافي المغربي.

وعندما قرر الحزب المطالبة بالاستقلال كان من الموقعين على الوثيقة باعتباره من قدماء الوطنيين الذين أقسموا اليمين في «الطائفة» وهي الجناح السري في الحزب، وباعتباره من قدماء تلاميذ اليوسفية. وكانت نتيجة توقيعه على الوثيقة طرده من الوظيفة التي كان يشغلها في دار المخزن مع باقي رفقاءه الذين طردوا، مثل عبد الكريم بن جلون وج بوبكر الصبيحي ومسعود الشيكرو وعبد الكبير بن حفيظ الفاسي، وبعد طرده من الوظيفة اشتغل فترة قصيرة بالتجارة قبل أن يكلف بإدارة جريدة «العلم» سنة 1946 التي بقي مكلفاً بها طوال الأربعينيات وأوائل الخمسينيات إلى أن جاءت أحداث سنة

1952 بعد اغتيال فرحات حشاد النقابي التونسي المعروف، فمُنعت جريدة «العلم» من الصدور، وتعرض سي عبد الجليل لكثير من الاستنطاقات والتهديدات والمضايقات من طرف السلطات الاستعمارية

وبعد انفراج الأزمة، عادت «العلم» للصدور تحت إدارته كما كانت، ثم انتقلت إلى الأستاذ قاسم الزهيري ثم إلى الأستاذ عبد الكريم غلاب الذي لازال يشرف عليها ويتولى إدارتها، وفي فترة الأربعينيات عين بمجلس شورى المقيم، وعندما قرر جلالة الملك محمد الخامس تأسيس مجلس الدستور عينه من جملة أعضائه ثم عاد إلى وزارة الأوقاف وعين مفتشاً عاماً بها إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1972.

وفي فترة الثمانينات أصدر كتيبات بعنوان : (نداء الضمير) وترأس الجمعية الوطنية للإحسان ورعاية الطفل رحمه الله رحمة واسعة.

32) السيد عبد الله الركراكي



لم أخالط السيد عبد الله بن محمد بن الطيب الركراكي إلا قليلا، فلقد عرفته في الخزانة العامة بالرباط كمساعد لمحافظها الذي كان فرنسياً، وكانت وداعته وطيبوبته تحببانه إلى جميع من يزور الخزانة ويريد الاستفادة منها، وعندما كان إخواننا المكلفون بتحرير مطالب الشعب المغربي سنة 1934 يهيؤون المطالب، كان عبد الله الركراكي يمدهم ببعض المراجع الموجودة بالخزانة ليستفيدوا منها، وهكذا أستطيع أن أعترف له بأنه كان من المساهمين، — ولو بصفة غير

مباشرة — في تهية مطالب الشعب المغربي التي تعتبر بحق البرنامج الوطني الأول لآفاق العمل الوطني في المستقبل.

ازداد السيد عبد الله الركراكي بالرباط سنة 1905 أو (1903) ودرس القرآن على الفقيه الوزاني والفقيه السيد المكي بريش ثم انتقل إلى المدرسة العربية الفرنسية ثم إلى كوليج مولاي يوسف حيث تلقى تعليمه الثانوي، ومن ثانوية مولاي يوسف التحق بالوظيفة العمومية، فعين بالخزانة العامة عام 1924 ويظهر أنه لم يتم دراسته بالثانوية، لأنه التحق بالوظيفة وهو صغير لم يبلغ العشرين من عمره. لقد كان له اتصال

وثيق بإخواننا الذين كانوا تلاميذ بكولييج مولاي يوسف مثل المرحوم محمد اليزيدي وعبد الجليل القباج ومسعود الشيكرو ومن هنا كان ارتباطه برجال الحركة الوطنية الأولين، ومن هنا انخرط في سلك أعضاء «الطائفة» وكان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944. وبما أن الإدارة الفرنسية فوجئت بأن بعض الموقعين على وثيقة الاستقلال لم تكن تعرف عن وطنيتهم واهتمامهم السياسية وانضمامهم للكتلة الوطنية لا القليل ولا الكثير، فإنها اغتازت من كل هؤلاء، وقررت معاقبتهم إما بالطرد من الوظيفة، وإما بالسجن وكان من حظ السيد عبد الله الركراكي أن يسجن ثلاثة أشهر ثم يطرد من الوظيفة. وهكذا بقي مطروداً من وطنيته خلال الأربعينيات والخمسينيات إلى أن جاء الاستقلال، فرجع إلى الخزنة العامة كمحافظ أول بعد خروج الفرنسيين منها.

وكان من أعماله المشكورة في الخزنة وضعه لفهرس للكتب المخطوطة الموجودة، بالخزنة العامة، لقد بقي وفياً لوطنيته إلى أن أدركته الوفاة سنة 1978 رحمه الله.

33) أحمد بن الطاهر المنجرة



عرفت مولاي أحمد المنجرة تاجراً بمراكش، عضواً أساسياً في الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال وكان على صلة وثيقة بالوطني الصادق المرحوم السيد محمد الملائخ الذي يعتبر بحق من أوائل الأحرار الذين وضعوا اللبنات الأولى للحركة الوطنية بمراكش أوائل الثلاثينات.

ازداد مولاي أحمد المنجرة بفاس سنة 1901، وبها أخذ تعليمه الأولي في الكتاب والقرويين وفي سن

شبابه انتقل إلى مدينة مراكش سنة 1926 مساعداً لأحد التجار الفاسيين الذين كانوا يتعاطون التجارة بمراكش، وفي مراكش ربط عدة علاقات مع إخوانه رجال الحركة الوطنية بمراكش ومنهم محمد الملائخ وسيدي محمد المختار السوسي وابن داود والسيد السعيد الفاسي عم الزعيم غلال الفاسي ثم مع عبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن وغيرهم.

ونظراً لدمائه أخلاقه وطيبوبة قلبه، وحبه للخير، وسعيه فيه، فقد أحبه الجميع

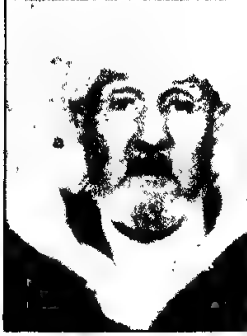
وأصبح بيته من البيوت التي يقصدها الكثيرون من الوطنيين الزائرين لمراكش، كان تعرفي عليه لأول مرة بالمتجر الذي كان فيه بحمي السمارين، ثم صرنا نلتقي في كل الاجتماعات التي كان يعقدها الحزب، فلاحظت أنه لا يتصنع ولا يتكلف أثناء لقائه معك، فهو ودود بشوش طاهر القلب، ومايزيده تقدمه في السن إلا طهارة ونقاء وتجنباً إلى الجميع.

لقد كان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ويحكي أنه عندما طلب منه الأستاذ عبد الله إبراهيم هو وسي ابريك الغراس التوقيع على الوثيقة، تردداً في الأول باعتبار أن سي ابريك كان يدير مدرسة حرة ولربما كان توقيعه على الوثيقة يعرضها للضياع، وأنه بدوره ربما يفقد الحزب بفقدانه بعض المهام التي كان يقوم بها، ولكن الأستاذ عبد الله إبراهيم كان صارماً معهما، فخاطبهما قائلاً : أنا أقول لكم : اننا نطالب باستقلال بلادنا وأنتم تقولون المدرسة وهكذا لم يسعهما إلا أن يوقعا على الوثيقة، وبئالا شرف التوقيع، ونظرا لأنه كان يشتغل بعمل حرّ، وحيث أن الباشا الكلاوي كان له موقف خاص فيما يتعلق بتعامله مع الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، فإنه لم يلحقه أذى بسبب توقيعه.

ولدى الأحداث التي وقعت بمراكش سنة 37 أبعده إلى تازناقت حيث بقي هناك 3 أشهر.

وفي الأحداث التي وقعت في المغرب كله بعد اغتيال الزعيم النقابي التونسي من طرف جمعية الوجود الفرنسي ودعوة الحزب إلى الاضراب، كان سيد أحمد المنجرة من جملة الذين وقع نفهم إلى (تاكنيت) (قلعة مكونة) ثم (اغبالو نكردوس) فبقي مبعداً إلى سنة 1955 حيث أطلق سراحه مع إخوانه الذين كانوا منفيين معه، وبعد الاستقلال عيّن أولاً ناظراً للأحباس بمراكش، ثم بعد إعفائه عاد إلى التجارة، وبقي دائماً مناضلاً شهماً في صفوف حزب الاستقلال حفظه الله ورعاه.

(34) الحاج الحسن بوعياذ



ترجع معرفتي بالحاج الحسن بوعياذ إلى سنة 1933 أو 1934، ففي تلك السنة كان الزعيم علال الفاسي يلقي دروساً في السيرة النبوية بجامع القرويين، وكان لهذه الدروس صدًى عظيماً في مختلف المدن المغربية، وكنا نحن الجماعة الوطنية بسلا أسسنا جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ونظمنا التلاوة القرآنية يومياً بعد صلاة المغرب بالمسجد الأعظم، يحضرها تلامذة المدارس الابتدائية والثانوية، ويشارك فيها جمهور كبير من المواطنين من مختلف الأعمار، فكان المسجد الأعظم يغمص بالشبان والكهول، وتنظم الصفوف في شكل كان يجذب كل زائر للمسجد يود أن يستمع لآيات كتاب الله تتلى عليه.

وقررنا أن نستدعي الأستاذ علال ليلقي درساً من دروسه في السيرة النبوية بمسجدنا ليستفيد منها ومن توجيهاتها الذين يشاركوننا في التلاوة من التلاميذ والطلبة وغيرهم. كان الوقت صيفاً، وكنا لدى الصلاة والتلاوة، نخرج لمراح المسجد المتسع الذي كانوا يسمونه (بالسُحْل) وحين حضر الوقت المعين للدرس، وصل الأستاذ علال وبرفقته بعض الإخوة كان من جملتهم الحاج الحسن بوعياذ، وشاءت الأقدار أن يصاب الأستاذ علال بركام قوي في ذلك المساء، لم يستطع بسببه أن يلقي الدرس المنتظر منه، ولم يشأ أن يخيب مسعى إخوانه الذين ظلوا ينتظرون درسه، فرجا من الحاج الحسن بوعياذ أن ينوب عنه في إلقاء درس، كان موضوعه إن لم تخني الذاكرة شرح للحديث الشريف : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) وهكذا استمعنا لدرس بوعياذ التوجيهي، الذي ألقاه بحماس ونشاط، وكان له وقع طيب.

ولدى التحضير للمطالب المغربية، كان الحاج الحسن يشارك أحياناً في الاجتماع الذي يعقد للمذاكرة فيها، وكانت نكاته ومستملحاته تضيء على الاجتماع كثيراً من الانشراح. وحكى لي المرحوم محمد البيزدي الذي كانت الاجتماعات تعقد بمنزله، أنه ذات صباح وهم مجتمعون صاح ديك بصوته العلي سمعه الحاضرون، فنطق الحاج الحسن في حينه قائلاً : أنصتوا واسمعوا إن هذا الديك ينادي علينا جميعاً : أنا فداؤكم، أنا فداؤكم فاذبحوني لفدائكم، وضحك الجميع لهذه المستملحة التي جاءت على لسان الحاج الحسن.

ازداد الحاج الحسن بوعياذ (بمنشستر) (انكلترا) يوم الأربعاء 8 ربيع 2 1322 هـ الموافق 22 يونيو 1904 ولكنه لم يدم مُقامه هناك إلا تسعة أشهر حسبما ذكر ذلك فيما كتبه، ولدى رجوعه مع والده الذي كان يتعاطى التجارة بانكلترا، إلى فاس موطنه الحقيقي، ولدى بلوغه سن الدراسة التحق بالكتاتيب القرآنية، ثم انتقل إلى مدرسة حرة كان أنشأها بعض الغيورين ومنهم العلامة السيد محمد الدخيسي وتسمى مدرسة درب الطويل. ومن الذين كانوا يدرّسون بها الأستاذ السيد محمد بن عبد الرحمان العراقي ثم انتقل بعد إتمام دروسه الأولى، إلى جامع القرويين ليتلقى الدروس على أعلامها، ومنهم العلامة العراقي السالف الذكر والفقيه سيد الحسين العراقي والعلامة محمد بناني والشيخ بوشتي الصنهاجي وغيرهم أمثال العلامة المشهور سيدي أحمد بن المامون البلغيشي الذي تلقى عنه علم الأصول والبلاغة والمنطق والأدب العربي

لقد بدت طلائع الإصلاح في ذلك الظرف، تظهر في القرويين بسبب الدعوة التي قام بها الفقيه سيدي محمد بن العربي العلوي، وبسبب مطالعة بعض الكتب والجرائد والمجلات التي كانت ترد من مصر ومن الشرق العربي عموماً، فصارت تنتشر بعض الأفكار الإصلاحية والسياسية الجديدة ويذكر الحاج الحسن بوعياذ فيما كتبه عن حياته أن الحاج المهدي الحبابي كان له دور مهم في بث الوعي، لأنه كان يسافر إلى مصر الآونة بعد الأخرى، ويجلب معه الكتب الجديدة التي تصدرها مطابع مصر وبعض المجلات والنشرات، ويمدّ بها الشباب الذي كان متطعاً إلى الجديد المفيد، ويذكر أن الحاج المهدي هذا هو الذي شجعه على الذهاب إلى مصر للدراسة فيها وأخذ العلم عن علمائها بالأزهر الشريف أمثال الشيخ محمد أحمد العدوي والشيخ محمد السملوطي والشيخ يوسف الدجوي والشيخ عبد الله دراز والشيخ عبد اللطيف دراز ومن جملة الذين أفادوه أثناء وجوده بالقاهرة الشيخ محمد المصمودي التطواني الذي مهد له الطريق للانتساب إلى الأزهر والسيد محمد الزين الذي كان له ارتباط وثيق بالحاج المهدي الحبابي.

وبمناسبة ذكر الحاج المهدي الحبابي أذكر أنه كانت له مكتبة ظاهر جامع القرويين (بالسيطرين) وكنت أزوره وأتعامل معه عندما فتحت مكتبة بسلا أسميتها مكتبة المغرب، جعلت القيم عليها ابن عمي المرحوم سيدي محمد بن المكي القادري، فكان يمدني بالكتب الجديدة التي ترد عليه ليستفيد منها مثقفوا سلا ومتعلموها، وكان فتح مكتبة المغرب، وترويجها للكتب والمجلات المفيدة مدعاة لنشر الأفكار الإصلاحية، وتعميم الثقافة بين الشباب، في الوقت الذي كانت المدرسة التي كنت متولياً أمرها

وإدارتها وإلقاء الدروس فيها تقوم بدورها في التعليم والتثقيف والتوجيه. كان هذا بالضبط في سنة 1935 وما بعدها.

لقد قضى الحاج الحسن بوعياذ فترة بمصر قصد الدراسة، ثم عاد إلى فاس سنة 1348 هـ 1929 م ولم تأت سنة 1930 وهي السنة التي صدر فيها الظهير البربري (16 ماي 1930) والانتفاضة التي وقعت فيها بسبب السياسة الخرقاء التي أرادت الحماية الفرنسية تطبيقها والدور الذي قامت به مدينة فاس لإثر ماوقع في سلا والرباط، حتى كان الحاج الحسن بوعياذ من أوائل المتحمسين لمقاومة السياسة الاستعمارية، ويذكر فيما كتبه رحمه الله أن والده الحاج العربي بوعياذ هو الذي افتتح قراءة اللطيف بصوت عال في رحاب جامع القرويين إلى جانب سيدي حمزة الطاهري.

لقد وعى الحاج الحسن بوعياذ مسؤوليته منذ ذلك التاريخ وكان من الجماعة الأولى التي دعا إلى تكوينها الزعيم الشاب علال الفاسي والتي سميت بالطائفة، ويقول الحاج الحسن بوعياذ : إن الاجتماع الأول لهذه الجماعة كان بمنزل المرحوم الحاج أحمد مكوار وأثناء هذا النشاط السياسي الذي تجلى في مقاومة الظهير البربري، قرر الحاج الحسن بوعياذ السفر إلى مصر للتعريف بقضية المغرب، وفضح ماتود فرنسا تطبيقه بسياستها البربرية، وحيث أنه قضى مدة بمصر أثناء فترة الدراسة، وتعرف على الكثيرين من رجالها وعلمائها ومثقفها أمثال الأساتذة : أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا والشيخ محمد الخضر حسين التونسي الأصل والشيخ محمد رشيد رضا والأستاذ محب الدين الخطيب، فإنه استطاع أن يتصل بهؤلاء وغيرهم ليطلب مساندتهم لقضية المغرب، ومناصرتهم لما يبذله المغاربة من رفض قاطع للسياسة الاستعمارية البغيضة، ولقد تعرف من جملة الذين تعرف عليهم في هذه الفترة، على الشيخ حسن البنا بالاسماعيلية الذي كوّن جماعة الإخوان المسلمين الذين لعبوا دوراً هاماً في بعث الفكر الاسلامي ووضحوا معالم الطريق لمن يريد أن يسلك الدعوة الإصلاحية في الإسلام.

وخلال نشاط الحاج الحسن بوعياذ، أصيب بداء السل والعياذ بالله، فرجع إلى المغرب ثم قصد مدينة لوزان في سويسرا بقصد العلاج، وهناك تعرف على الأمير شكيب أرسلان، ثم بعد رجوعه إلى بلاده سنة 1933 أسندت له مسؤولية إدارة مدرسة حرّة، وساهم مع الزعيم علال وأحمد مكوار حركة الاحتجاج على تحويل ماء فاس إلى ضيعات المعمرين.

وفي سنة 1937 إثر الأحداث التي وقعت فيها، سافر إلى الشام ومكث فيها مدة

وكان ينتقل بين مصر والحجاز داعياً إلى مناصرة قضية بلاده، وبعد رجوعه إلى المغرب في فترة الحرب (1940) ولدى وضع وثيقة المطالبة بالاستقلال (1944) كان ضمن الموقعين الأساسيين عليها وكان من أعضاء المجلس الوطني للحزب خلال الأربعينيات وأوائل الخمسينيات.

وبعد حصول المغرب على استقلاله بمدة، فتر نشاطه السياسي، وكانت له بعض الملاحظات على سير الحزب الذي ينتمي إليه، فأُسندت إليه مسؤولية إدارة المعهد الاسلامي بالجديدة سنة 1376 هـ (1957) ثم أُسندت إليه نظارة أحباس القرويين من سنة 1958 إلى سنة 1978، ثم أُحيل على التقاعد، وأثناء فترة تقاعده أصيب بمرض الشلل النصفي الذي ألزمه الفراش وبقي يعاني منه إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء 12 ذي القعدة (1410 هـ) الموافق 6 يونيو (1990) م ودفن رحمه الله بروضة العلويين (بالقريب) بجوار أساتذته ومن بينهم سيدي أحمد البلغيتي، وذلك تطبيقاً لوصية كان وصى بها. رحمه الله وجازاه على ما قدم من الصالحات.

35) السيد مبارك الغراس

السيد ابريك بن أحمد الغراس الذي كنا نعرفه بهذا الاسم من خيرة المخلصين بمدينة مراكش. لم يشتغل أساساً في الميدان السياسي، وإنما اشتغل أساساً في المجال التعليمي. عرفناه وطنياً صادقاً محباً للخير واعظاً مرشداً موضحاً معالم الطريق الديني للناس.



ازداد بمدينة مراكش عام 1906 وبعد أن تلقى تعليمه الأولي انخرط في سلك طلبة كلية ابن يوسف فدرس على العلامة سيدي أحمد بن المحجوب والعلامة سيدي أحمد العلمي والعلامة المصلح الشيخ شعيب

الدكالي وغيرهم، ولما حلّ بمراكش أخونا العلامة الكبير سيدي محمد المختار السوسي أمره بتأسيس مدرسة حرة دعاها أولاً بالمكتب الاسلامي ثم سميت بعد ذلك بمدرسة (الحياة) ومن جملة الذين كانوا يدرسون معه في هذه المدرسة الأستاذان المرحومان : إبراهيم رضى الله الإلغني ومحمد بن عبد الله الروداني وخلال اشتغاله بالتعليم قوى ارتباطه برجال الحزب الوطني أمثال الأستاذ عبد الله إبراهيم والمرحوم عبد القادر حسن، وصار يتعاون معهما في نشر الوعي الوطني وبث الأفكار الوطنية حتى إذا ماجأت سنة

1944 وقرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال، دعاه إخوانه للتوقيع على وثيقة الاستقلال، فتلکاً قليلاً خشية أن يكون توقيعہ سبباً في تعثره في أداء مهمته التعليمية، ولكن صديقه عبد الله إبراهيم كان له موقف حاسم عندما قال له : إن من ينشد تحقيق الاستقلال، لا يمكنه أن يبقى عالقاً بأية جزئية إصلاحية مهما كانت إلا العمل على الاستقلال، فما وسعه حينئذ إلا التوقيع على الوثيقة مثل ما فعل إخوانه الصادقون، وانغمز في عمله التعليمي والوطني خلال الأربعينيات وأوائل الخمسينات فتوجهت إليه أنظار السلطات الاستعمارية، وأصدرت قراراً بنفيه إلى الدار البيضاء يوم 17 غشت 1951 وتولّى أمر مدرسته (الحياة) من بعده صديقه الحميم السيد الحسين بن عبد الله الورزازي وخلال مقامه بالدار البيضاء أسس مدرسة الفتح الإسلامي ومدرسة السعادة بحي الجبوس وعندما أسست مدرسة رياض العروس بمراكش بعد الاستقلال أصبح مديراً لها. كما صار بعد ذلك مديراً بمعهد الفتيات التابع لكلية ابن يوسف، وفي دجنبر 1958 تولى القضاء بالدار البيضاء، ثم انتقل إلى آسفي لنفس المهمة، ثم رجع إلى التعليم بكلية ابن يوسف في سنة 1962 إلى 1972 قبل إحالته على التقاعد. انتقل إلى عفو الله ومغفرته في غرة رمضان عام 1416 — 22 يناير 1996 رحمه الله.

36) أحمد باحنيني



لم أتعرف إلى المرحوم أحمد باحنيني قبل حادي عشر يناير 1944 مثل ما عرفت أخاه المرحوم الحاج محمد باحنيني، فهذا الأخير عرفته كاتباً باحثاً أديباً لامعاً في الثلاثينات، وأنصتت إلى بعض المحاضرات التي كان ألقاها في النادي الأدبي الإسلامي السلوي — ومنها محاضرة عن ابن حزم كنت لخصتها لمجريدة المغرب — أما سَي أحمد. فكنت أسمع عنه من خلال اتصالاتي القليلة بالمرحوم السيد محمد الزغاري الذي كان من مرافقيه وأصدقائه والعاملين معه في دائرة

جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس، ولعلي قرأت له مقالا أو بحثاً في جريدة «المغرب» اليومية التي كان يصدرها الصديق المرحوم سعيد حجي خلال الثلاثينيات.

والصورة التي ارتسمت في ذهني عن الرجل أنه من المثقفين النبغاء، ومن البارزين في مجال القانون حيث أنه خلال بداية الأربعينيات كان يتعاطى مهنة المحاماة، وكان يعرف بدقة ملاحظاته، وهدوء طبعه، وقلة كلامه، وحفاظه على وقاره. واقتصاده في الاتصالات مع غيره.

وخلال تحضيرنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وبحثنا عن الرجال المثقفين المؤهلين للتوقيع معنا فيها، والقرار الذي اتخذناه في شأن بعض أعضاء جمعية قدماء الإدرسية الذين كان لأخيها المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل اتصال بهم، كان اسم سي أحمد باحنيني من أبرز الأسماء التي سمعت الحديث عنها، لامن حيث الثقافة والمؤهلات الشخصية فحسب، ولكن من حيث الرزانة والتعقل والحفاظ على الأسرار، ومن هنا كان تعرفه على جماعتنا وبعض أسرارنا السياسية مرغوباً فيه منا ومنه على السواء. وهكذا دعي إلى التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولم ير فيه الذين اتصلوا به أي تردد فكان من الموقعين الأولين، ومن الذين قدموا الوثيقة إلى المفوضية الانجليزية بالرباط هو المرحوم الحاج أحمد مكوار، وأما صديقه المرحوم السيد محمد الزغاري فكان من الذين قدموا الوثيقة إلى الإقامة العامة الفرنسية، وأما الصديق الثاني السيد أحمد الحمياني فكان من الذين رفعوا الوثيقة إلى جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه.

لقد ازداد السيد أحمد باحنيني بمدينة فاس سنة 1909، وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فيها، ثم تابع دراسته القانونية في جامعة الجزائر، وفيها حصل على دبلوم الدراسات العليا في الحقوق وفي الاقتصاد السياسي، فاشتغل بالمحاماة من سنة 1940 إلى الخمسينيات، وفي فترة الاستقلال تدرج في عدة مناصب. فعين مديراً للأشغال الإدارية سنة 1956 بوزارة الداخلية، ومديراً لديوان صديقه السيد محمد الزغاري عندما تولى هذا الوزارة. وأسندت إليه في بعض الفترات مهمة وزير العدل ثم عين وزيراً أولاً ثم تقلد منصب رئيساً أولاً للمجلس الأعلى للقضاء، وفي كل المناصب التي أسندت إليه، كان الرجل المستقيم المشهور بالنزاهة.

اعتقل من جملة المعتقلين إثر المطالبة بالاستقلال سنة 1944، فبقي مدة في سجن برج فاس ثم نقل مع الذين كانوا معه إلى سجن العذير الذي بقوا فيه نحو العام والنصف، ولقي ربه في سنة رحمه الله وأثابه

37) السيد عبد الوهاب الفاسي الفهري



السيد عبد الوهاب الفاسي من العائلة الفاسية المشهورة بالعلم والوجاهة والاعتبار، ازداد بمدينة فاس سنة 1907، وتعاطى دروسه الابتدائية والثانوية والعالية حيث حصل على العالمية من جامعة القرويين سنة 1942.

لم أتعرف عليه كثيراً، ولأذكر مشاركته في الاجتماعات التي كنت أشارك فيها سواء بفاس أو

بغيرها قبل تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وإن كنت قرأت في بعض الذين ترجموا له أن مشاركته في الحركة الوطنية كانت مبكرة، وأنه تعرض للاعتقال سنة 1936 لدى مطالبة كتلة العمل الوطني بالحرريات العامة وتنفيذ المطالب المستعجلة، وأنه ساهم في المظاهرة التي وقعت بفاس إثر إلقاء القبض على زعماء الحزب الوطني.

بعد تحضير وثيقة الاستقلال في صيغتها النهائية، كان من الضروري كتابتها بخط جميل ونظراً لأن الوطني الغيور، عبد الوهاب الفاسي كان من الموقعين على الوثيقة، فقد طلب منه أن يكتبها بخطه الجميل، وهكذا تناول القلم من المرحوم الحاج أحمد مكنوار، التي نسخت الوثيقة في منزله ببطحاء فاس، وكتبها كما هي في أصلها الحقيقي الموقع عليه من طرف باقي الموقعين و لازال القلم الذي حررت به النسخة الأصلية محتفظاً به لدى السيد الطاهر مكنوار ابن المرحوم أحمد مكنوار.

وبعد الأحداث التي وقعت بفاس في 30 يناير 1944 إثر إلقاء القبض على من اعتبرتهم السلطات الفرنسية مسؤولين أولين في الحزب عن الأحداث، وبعد اعتقال الكثير من الوطنيين كان سيدي عبد الوهاب من جملة المعتقلين حيث أودع سجن فاس أولاً ثم نقل مع بعض المعتقلين الآخرين وهم :

- 1) محمد الأغزاوي
- 2) محمد بن سودة
- 3) عبد الكبير بن المهدي الفاسي
- 4) محمد الفاسي
- 5) علي العراقي
- 6) ج عبد القادر العليج

(7) أحمد الحمياني

(8) أحمد باحنيني

(9) أحمد بنسودة

نقلوا جميعاً إلى سجن العذير قرب الجديدة الذي بقوا نحو سنة تقريباً. (أو تزيد قليلاً) نظراً لأنه قضى بسجن فاس نحو أربعة أشهر ونصف وبعد سراحه عاد إلى نشاطه الوطني إلى أن أصيب بمرض ألزمه الفراش فتوفي رحمه الله في خامس أبريل 1950.

(38) الحاج محمد البوعمراني



لدى زيارتي الأولى لمدينة آسفي أواسط الثلاثينيات، كان الحاج محمد البوعمراني من أوائل الذين تعرفت عليهم كوطني ملتزم في مدينة آسفي، وكانت له علاقة جد طيبة مع الأخ الفقيه محمد غازي الذي كان إذ ذاك مقيماً بمدينة آسفي كوكيل شرعي بمحكمة الشرعية، ولعل المهنة التي كان يشتغل فيها — إن لم تخني الذاكرة — بيع الكتب وما يتصل بها

في دكان صغير، ولربما كان مع الكتب بعض المواد التجارية الأخرى، وتقوت العلاقة بيني وبينه بعد ذلك، فكان من جملة ما حكى لي ذات مساء وأنا معه ومع الأخ محمد بنيس في مصطاف إفران، حكى لي : انه قبل الثلاثينيات كان له اتصال وثيق هو والفقيه الكانوني صاحب كتاب (آسفي وما إليه) مع الفقيه بولحية الذي كان منفياً بآسفي بعد انهزام البطل محمد بن عبد الكريم الريفى في معركته التحريرية، وكان الفقيه بولحية هذا من رفقاء ابن عبد الكريم في حرب التحرير، وكانت الأحاديث التي تجرى معه في منتهى المتعة والفائدة، الأمر الذي كان يدعوهم لزيارته والاستفادة من معلوماته كما حكى لي أنه بعد صدور الظهير البربري 1930 زارهم في مدينة آسفي أخوان من مدينة «سلا» أحدهما هو السعيد حجي والثاني لم أذكره الآن، وطلبا منه ومن رفقاته

الذين كان من جملتهم الفقيه الكانوي المذكور سالفاً أن يقوموا بمناصرة ومساندة إخوانهم الذين قاموا يعارضون السياسة البربرية التي تود فرنسا تطبيقها بالمغرب، وذلك بطلب اسم الله اللطيف في المساجد، وهكذا تصدى هو أي البوعمراني والفقيه الكانوي للأمر، ودعوا إلى ذكر الله اللطيف واتصلوا ببعض خطباء المساجد ليقوموا بواجبهم، فلبى واحد منهم ذكر لي اسمه، أما هو والفقيه الكانوي فقد قاموا بواجبهم ورفعوا أصواتهم في أحد المساجد الجمعية باسم الله اللطيف، فكان عقابهما من طرف السلطة إلقاء القبض عليهما مدة.

أردت بهذا التقديم أن أسجل أن المرحوم البوعمراني كان من السابقين الأولين في الحركة الوطنية المقاومة للمخططات الاستعمارية

ازداد محمد البوعمراني بمدينة آسفي سنة 1906 وتلقى تعليمه الأولي بها، وعندما بلغ العشرين من عمره (1926) التحق بالقرويين، وبعد سنة واحدة (1927) رجع إلى آسفي حيث بدأ نشاطه الوطني، فكان من جملة ما قام به تأسيسه لجماعة وطنية سرية ما بين 1928 و1930 وإصداره لجريدة خطية، أسماها (الدروس) كما أنشأ جمعية تمثيلية، ويظهر أنه كان يتتبع بعض النشاطات التي قامت في كل من مدن فاس والرباط وسلا سواء في مجال التمثيل أو غيره، فأراد أن يسير على نهجها، ويظهر أنه كان على اتصال بالجمعية الودادية بسلا التي أصدرت من جملة ما أصدرت جريدة «الوداد» الخطية التي كان يديرها المرحوم سعيد حجي أواخر العشرينيات، ولاشك أن زيارة السعيد حجي لآسفي بعد صدور الظهير البربري كانت تابعة لبعض الاتصالات.

لقد ارتبط بكتلة العمل الوطني منذ تكوينها وكان من العمدة الذين تعتمد عليهم في مدينة آسفي. ومن الذين أيدوا مطالب الشعب المغربي (1934) والمطالب المستعجلة (1936) ومن الذين تظاهروا احتجاجاً على نفي الزعيم علال وصحبه سنة 1937. كان ارتباطه بكتلة العمل الوطني قوياً، ولذلك دعى إلى الانخراط في سلك (الطائفة) وهي الجماعة السرية في الحزب الوطني وحزب الاستقلال.

وعندما تقرر أن يطالب الحزب بالاستقلال، وحضرت وثيقة المطالبة بالاستقلال كان من جملة الموقعين من مدينة آسفي هو والسيد محمد بن الخضمر والفقيه عبد السلام المستاري.

وأثناء نشاطه في سنة 1937. ولدى ظروف الحرب العالمية الثانية أبعده السلطة الاستعمارية من مدينة آسفي، فاستقر بمدينة الدار البيضاء، حيث صار يشتغل بالتجارة

التي بارك الله له فيها فصار من الأغنياء المرموقين، واهتم بالقضية الفلسطينية منذ نشأتها فحاكمته السلطة بغرامة مالية لدعوته إلى الاكتتاب لصالحها.

ولدى الأحداث التي وقعت بالمغرب إثر اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحت حشاد، سافر إلى مدريد ثم باريس وسويسرا، حيث قام بدور نشيط في ربط الاتصالات مع الوطنيين أعضاء الحزب في الداخل والخارج، وكان قبل وصوله إلى مدريد وباريس مكث مدة بطنجة باتفاق مع اللجنة التنفيذية الموقتة التي كان من أعضائها هو والإخوة عبد الكريم غلاب وعبد الكبير بن المهدي الفاسي ومحمد الدويري، وخلال مقامه في طنجة بلغ تعاليم الحزب إلى الوطنيين الموجودين هناك والتي من جملتها الانتقال إلى مرحلة المقاومة الجدية بكل الوسائل إذا مسّ شخص جلالة الملك محمد الخامس، وكان الفرنسيون إذذاك يترصدون به الدوائر.

وعندما اتخذ المرحوم الرئيس البكاي موقفه المساند لمحمد الخامس وكان إذذاك قائداً بصفرو، ثم سافر إلى باريس بتنسيق مع المسؤولين في الحزب، كلفه الحزب بملازمة البكاي والتعاون معه في كل المواقف التي كان يتخذها للمطالبة بإرجاع محمد الخامس إلى عرشه.

ولدى تنظيم المقاومة المسلحة واتخاذ المسؤولين في الحزب قرار وجود شخصية تتولى تنظيم شؤونها وتحركاتها من تطوان، تكلف الحاج محمد البوعمراني باستدعاء الدكتور عبد الكريم الخطيب للقيام بهذه المهمة وذلك سنة (1955) فلبى الدعوة وقام بالمهمة أحسن قيام.

وبعد الاستقلال وتكوين المجلس الوطني الاستشاري كان من العشرة الذين مثلوا حزب الاستقلال في المجلس المذكور، وفي سنة 1957 عينه صاحب الجلالة أول عامل على إقليم أكادير فبقي يؤدي مهمته إلى سنة 1960 حيث استقال لظروفه الصحية، ثم رجع إلى الدار البيضاء، حيث صار يباشر تجارته مع شريكه الحاج أحمد بن زاكور رحمه الله. إلى أن أدركته الوفاة يوم فاتح يوليوز عام 1994 رحمه الله وأجزل له الثواب.

39) السيد أحمد بن عثمان بن دلة الادريسي



عرفت سيدي أحمد بن دلة وطنياً في مدينة القنيطرة. ضمن الجماعة الوطنية التي كانت ملتفة حول الوطني الشهيد السيد محمد الديوري، وعرفته وطنياً صادقاً في مدينة الدار البيضاء، حيث كان تاجراً في الكتان بطريق مديونة في متجر الحاج أحمد القباج، وعرفته وطنياً صادقاً في الاجتماعات التي كان يعقدها الحزب أحياناً كثيرة بمنزله بدرب السلطان، عرفته رحمه الله في السراء، وعرفته في الضراء عندما جمعتنا الأقدار بسجن غيلة بمدينة الدار البيضاء. وفي كل

الظروف والأوقات التي جمعتني بسيدي أحمد بن دلة، وجدت فيه بالإضافة إلى الوطنية الصادقة، الصدق في المعاملة واللقاء بالابتسام، والحبّة غير المصطنعة، وعدم الكلفة في التعامل، والسخاء والكرم العديمي النظير، لا يلقاك إلا مبتسماً، ولا يجادلك إلا ضاحكاً، عندما تتحدث إليه، تشعر أنه يحدثك بقلبه، قبل أن ينطق لسانه بالكلام. أتت عليه ظروف في تجارته. كان فيها من اليسر والثماء والربح، ما لم يصل إليه غيره، وأتت عليه ظروف بلغ فيها من العسر والضيق ما لا يستطيع تحمله إلا القليلون، وسواء في حال اليسر أو في حال العسر، لا تجده إلا ضاحكاً راضياً، أصيب في آخر حياته بمرض السكري، انتهى به إلى فقدان بصره، فبقي كما هو راضياً بقضاء الله، ضاحك له ماله حتى اضطر إلى بيع المنزل الذي بناه ليسكن فيه، فما تذر ولا قلق ولا اشتكى. ولا تغير، ولكنه بقي كما كان يلقاك بالبشر والابتسام. وخصلة أخرى لا أنساها له أبداً هي خصلة السخاء وعدم التعلق بالمال، وقفت أمامه في متجره ذات يوم، وطلبت منه مساندة لمشروع، فما أنهيت كلامي حتى أمّدتني بمقدار من المال دون تردد، وذات يوم كنت أقوم بجمع مساندات للقضية الفلسطينية في الدار البيضاء، صحبة بعض إخواني ومنهم إذذاك الدكتور عبد الكريم الخطيب، وبلغنا أن سيدي أحمد بن دلة مريض لا يفارق بيته، وكان بالإضافة إلى مرضه، في حالة من العسر والضيق المالي ما لا يتحمله إلا الصابرون، فقصدنا بيته قصد عيادته والتعبير عن تعافطنا معه، وكان قد فقد بصره، فما سمع أننا قد دخلنا عليه حتى استقل قائماً يرّحب بالعناق والابتسام كما هي عادته قبل مرضه، وجلسنا نتحدث معه ومع إخوان آخرين كانوا معه، ونشرب الشاي، ثم أردنا أن نودعه ونغادر البيت، فألحّ علينا بالجلوس بضع دقائق، ونادى على بعض من

كان يلزمه ليحادثه في سرّ، وماهي إلا لحظات حتى ناولنا ظرفاً صغيراً فيه مقدار من المال قائلاً : لقد خبرني بعض إخواني الحاضرين، أن مجيئكم للدار البيضاء كان بقصد جمع اكتتاب لصالح فلسطين، وأنا رغم ما تعلمون عني، من الضيق، لا أقبل أن أُخَرَم من المساهمة معكم ولو بمقدار بسيط، فلاترفضوه جزاكم الله كل خير. فأكبرنا فيه هذه الروح الطيبة، وهذا الايمان المتدفق، وغادرنا منزله وكأنه أعطانا ما يملأ الدنيا بخدايرها.

ازداد سيدي أحمد بن دلة الإدريسي بمدينة فاس عام 1909 وانخرط في العمل الوطني في وقت مبكر، أثناء كتلة العمل الوطني، ولربما قبل ذلك حيث رأيت فيما كتب عنه أنه شارك في أحداث استنكار صدور الظهير البربري (1930) وفي فترة شبابه انتقل إلى مدينة القنيطرة قصد تعاطي التجارة، وكان من المبشرين بالفكر الوطني، العاملين على بث الوعي السياسي في مختلف الأوساط، وكان تعاونه مع الاخوة : محمد الديوري ومحمد بن الجيلاني بناني والصادق المكنيسي وغيرهم من المؤسسين الأولين للحركة الوطنية بالقنيطرة، تعاوناً فيه كثير من الصفاء والطهر والاخلاص.

وفي كل مراحل نشاط الحزب الوطني أوائل الثلاثينات كان سيدي أحمد بن دلة من الجنود العاملين، وفي المظاهرة التاريخية التي قامت بها مدينة القنيطرة سنة 1937 عندما نفى الزعيم علال الفاسي واعتقل أعضاء الحزب البارزون، كان سيدي أحمد بن دلة ضمن المتظاهرين وضمن المعتقلين الذين أبلوا البلاء الحسن، فنفي إلى الريش بالصحراء وتحمل فيها من البلاء الشيء الكثير، ثم نقل إلى سجن علي أومومن، قرب سطات، ففضى فيه بضعة شهور، ثم نقل إلى سجن غبيلة بمدينة الدار البيضاء حيث قضى فيه مابقي من المدة التي كان محكوماً عليه بها.

وبعد اتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال كان من الموقعين على الوثيقة مع الاخوة الآخرين في القنيطرة : محمد بن الجيلاني بناني، الجيلاني بناني، محمد الديوري.

وإثر أحداث سنة 1952 التي تجلّى فيها حق الاستعمار الفرنسي على حزب الاستقلال، كان سيدي أحمد بن دلة من جملة المعتقلين، وبعد نفى محمد الخامس، وقيام الشعب المغربي قومته الصادقة التي تجلّت في اشتعال المقاومة وهجوم جيش التحرير، تعرض سيد أحمد بن دلة سنة 1954 للتعذيب والتنكيل بسجن خريكة، فتحمل ذلك بروح المومن وصدق الوطني، حتى جاء نصر الله، فرجع محمد الخامس إلى عرشه وتحقق الاستقلال.

وبعد مرض أصيب به أدركته الوفاة يوم 24 يوليو 1972 فدفن بمقبرة الشهداء بالدار البيضاء، رحمه الله وجزاه على ما قدم من معروف.

(40) السيد الحسين بن عبد الله الورزازي



لم يسعدني الحظ بالتعرف كثيراً على السيد الحسين الورزازي، ولأذكر أنني اجتمعت كثيراً معه، ولأعلم إلا أنه كان من الأعضاء الموثوق بوطنيتهم وصدق إخلاصهم، ولذلك كان من القلائل الذين زكاهم إخواننا في مراكش ليوقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

ازداد السيد الحسين الورزازي بمدينة مراكش سنة (1909) وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي والعالى بها، وكان والده من جملة الذين تلقى عنهم، ثم اشتغل بالتعليم، فصار أولاً أستاذاً بمدرسة الحياة التي كان يديرها الأستاذ مبارك الغراس. وعندما كان المرحوم الأستاذ بوشتي الجامعي مديراً للمدرسة الحرة بالقنيطرة، كان سي الحسين من جملة الأساتيد الذين يعطون الدروس فيها. وبعد الحوادث التي وقعت بالقنيطرة سنة 1937 نفته السلطات الاستعمارية من القنيطرة، فاستقر بمراكش ثم عاد إلى التجارة التي كان يتعاطاها.

ولدى اتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال، كان سي الحسين الورزازي من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال ضمن إخوانه : عبد الله إبراهيم، عبد القادر حسن، أحمد المنجرة، مبارك الغراس، وبعد توقيعه وقع اعتقاله فترة زمنية.

ولما قررت السلطات الاستعمارية نفي الأستاذ مبارك الغراس من مراكش سنة 1951 حلَّ محله في مدرسة الحياة كمدير بالنيابة.

وفي أحداث سنة 1952 كان من جملة المعتقلين، وبعد خروجه من السجن استقر بمدينة الدار البيضاء كأستاذ في بعض المدارس الحرة.

وبعد الاستقلال عيّن قائداً بآيت أورير ثم قائداً في فطواكة لمدة 11 سنة ثم عيّن وكيلاً لمداخل جناح من سوق الجملة بمراكش.

وبتاريخ عاشر نونبر سنة 1983، تعرض لحادثة سير أودت بحياته رحمه الله.

41) السيد محمد بن العربي العلمي



سمعت الحديث عن السيد محمد بن العربي في الرباط في الثلاثينيات، وكان إذ ذاك على حسب ماسمعت بالقاهرة يدرس بدار العلوم، ودار العلوم معروفة بقيمتها العلمية وقيمة أساتذتها المتخصصين في العلوم العربية، ومضت شهور وأعوام لم يتح لي أن ألتقي بالسيد محمد بن العربي العلمي، رغم أنني كنت أسمع الحديث عنه من طرف أخي الحاج عمر بن عبد الجليل الذي كان في بعض الظروف يشتغل كخبير فلاحى مع السيد عبد العزيز العلمي شقيق السيد محمد العلمي.

وعندما كنا نتهياً لتحضير وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان السيد محمد العلمي حسب مايلغني من أعضاء الحركة القومية التابعة للسيد محمد بن الحسن الوزاني، وأنه في بعض الفترات كان موضع ثقته الأولى، ولربما كان يكلفه ببعض المهام، ونظراً لعلاقة الحاج عمر بن عبد الجليل مع السيد عبد العزيز العلمي الذي كان اتجاهه مع الحزب الوطني ثم مع حزب الاستقلال، فإن الحاج عمر كان يلتقي مع سي محمد العلمي في بيت سي عبد العزيز، وهكذا حصل كثير من التجاوب بينه وبين الحاج عمر لدرجة كبيرة الأمر الذي جعله يطمئن إليه كثير الاطمئنان، ولربما كان هذا هو الدافع الأساسي ليقترحه على الحزب من أجل التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال وهو ما جعل اسم السيد محمد بن العربي العلمي من الموقعين الأولين على الوثيقة. ولست أدري أنه لدى توقيعه على الوثيقة استأذن أصحابه في الحركة القومية أم لا ؟

كان سي محمد العلمي شخصية لامعة متقفة ثقافة عربية عامة، ذا فكر سياسي ذكي، ولعل مكوته مدة في القاهرة أيام الثلاثينيات التي كانت القاهرة تعج بالنشاطات السياسية المختلفة الاتجاهات أكسبته تجربة سياسية، جعلته من جهة يتابع الأحداث بنباهة، ومن جهة أخرى يعتد بنفسه كثيراً من الاعتداد، ولعل هذا الاعتداد هو الذي كان يصرفه عن الانخراط في الحزب الوطني الذي كان يقدر رجاله مثل الحاج عمر بن عبد الجليل وعلال الفاسي والفقيه غازي، ولكنه مع ذلك كان يود أن تكون له منزلة ومقام ربما كان يخشى أن لا يجدهما في الحزب، وهذه كلها مجرد تخمينات لأريد مطلقاً أن أدعي أنني متيقن منها.

لقد اتصلت مع سي محمد العلمي بعض الاتصالات قبل الاستقلال وبعد الاستقلال، وتحادثت معه أحياناً في قضايا عامة، ولكن معرفتي الحقيقية به كانت عن طريق السماع وفي سنة 1958 كان سي محمد العلمي سفيراً للمغرب بتونس وكنت كُلفت من طرف إخواني في اللجنة السياسية لحزب الاستقلال صحبة الدكتور محمد بناني أن أسافر إلى تونس للاتصال بقيادة الحزب الدستوري وفي طليعتهم الرئيس بورقيبة والباهي الأدهم وغيرهم لعرض الاقتراح الذي أقرته اللجنة التنفيذية في اجتماعها بطنجة من أجل عقد مؤتمر تشارك فيه الأحزاب الأربعة : حزب الاستقلال والحزب الدستوري التونسي وجبهة التحرير الجزائرية، لدراسة موضوع وحدة المغرب العربي والذي نتج عنه مؤتمر طنجة لوحدة المغرب العربي. ولدى وصولي إلى العاصمة التونسية وجدت بالمطار السيد محمد بن العربي العلمي مع الشخصيات التونسية من القيادة التونسية إذذاك مثل علي الهلوان صالح المقدم وعبد الله فرحات وعبد المجيد شاكر وغيرهم يستقبلوننا في المطار أيضاً. وخلال بعض الاجتماعات التي عقدناها إذذاك مع قادة الحزب الدستوري شاركنا سي محمد العلمي وخصوصاً في الجلسة الأخيرة التي أقررنا فيها الموافقة على عقد مؤتمر وحدة المغرب العربي بطنجة ومن خلال المداخلات التي كان يتدخل بها سي محمد العلمي زدت إدراكاً بأنه يتوفر على نضج سياسي هام، وإدراك كبير لما كنا نهدف إليه، وهكذا أتممت معرفتي به وزادتي الأيام المتعاقبة بعد ذلك الاطلاع على كثير من جوانب شخصيته.

لقد ازداد سي محمد بن العربي العلمي بفاس في غشت 1914 وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بها (في جامعة القرويين) والتحق بالقاهرة سنة 1935 حيث حصل على شهادة العالمية من جامعة الأزهر (حسباً علمت من بعض الذين ترجموا له) ثم التحق بكلية دار العلوم التي تخرج منها سنة 1940.

وأثناء تلمذته وفي دراسته الثانوية اتصل بالحركة الوطنية على طريق الفقيه محمد غازي فشارك في مقاومة الظهير البربري واعتقل وأبعد إلى مدينة خريكة.

وأثناء وجوده بالقاهرة اشتغل بالكتابة في الصحافة المصرية مثل الجهاد والبلاغ والأهرام ولدى نفي الزعيم علال سنة 1937 كتب مقالا مطولا عنه في الأهرام، كما كان يكتب بجريدة النذير التي كانت لسان جمعية الاخوان المسلمين. كما نشر بالنذير وثيقة تاريخية للشهيد عبد العزيز بن إدريس حول أساليب القمع بمنافي وسجون (كلميمة) وفي سنة 1941. أسس مدرسة الأمير مولاي الحسن بالدار البيضاء التي دشنها ولي العهد المولى الحسن وكانت من أبرز المدارس في الدار البيضاء.

وبعد الاستقلال عيّن سفيراً للمغرب بتونس من سنة 1956 إلى 1960، ثم عيّن سفيراً في لبنان ثم كاتباً للدولة في وزارة الشؤون الخارجية فسفيراً في طهران فسفيراً في القاهرة وأخيراً سفيراً للمغرب بالمملكة العربية السعودية. كما شارك في عدة مؤتمرات دولية، وأخيراً تعاطى للتجارة الكبرى فكان مع أخيه من التجار اللامعين وإثر مرض ألمّ به انتقل إلى رحمة الله يوم 23 يناير سنة 1990 بالدار البيضاء ودفن بمقبرة الشهداء. رحمه الله.

42) السيد الطاهر زنيبر



عائلة زنيبر، عائلة كبيرة ممتدة الأطراف في مدينة سلا، وكان فيهم العلماء والأمناء المشهورون بالغيرة والوطنية، ومنهم الوطني الكبير الحاج علي زنيبر الذي قضى مدة طويلة بالقاهرة أيام السلطان المولى عبد العزيز، ومن القاهرة كان يكتب بعض أصدقائه محذراً من الوقوع في شرك فرنسا التي كانت إذذاك تدبر المؤامرات ضد المغرب، ومن القاهرة تقدم بمشروع دستور إلى السلطان عبد العزيز لتنظيم المغرب على أسس جديدة، ومنهم والد المترجم العلامة المفتي السيد

أبو بكر بن الطاهر زنيبر الذي كان ذا فكر متطور، وعلم كبير بنهضات الأمم وسر تقدمها زيادة على علمه وفقهه مثل بقية علماء عصره، وكان بالإضافة إلى ذلك من الذين ساهموا المساهمة العملية في الحركة الوطنية ابتداء من انتفاضة عام 1930 ضد السياسة البربرية إلى تقديم وثيقة الاستقلال في حادي عشر يناير 1944، كما كانت له مساهمات متواصلة في الكتابة في الصحف والمجلات المختلفة، وكان له ابنان مثقفان لم يرزق غيرهما، الابن الأكبر هو السيد الطاهر، والابن الثاني هو الدكتور محمد زنيبر.

ازداد السيد الطاهر زنيبر بمدينة سطات حيث أن والده كان قاضياً شرعياً بها وذلك بتاريخ 13 شتنبر 1918 وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بسلا والرباط، وواصل دراسته العليا في جامعة بوردو الفرنسية حيث حصل على شهادة الليسانص في الأدب سنة 1941 تعرفت على السيد الطاهر زنيبر أوائل الأربعينيات، وتوثقت العلاقة بيننا عندما انخرط في الحزب الوطني فكان ضمن جماعة (فتح) التي لعبت دوراً هاماً في حركة المطالبة بالاستقلال. ونظراً لثقافته الأدبية الهامة، واستقامة فكره الوطني، وكتماته

للأسرار الذي يعتبر من الشروط الأساسية للالتحاق بالطائفة، أي الجناح السري في الحزب الوطني، فقد زكيت له للالتحاق بالطائفة ضمن الاخوة الذين التحقوا بها من جماعة (فتح) وهكذا عندما حررت وثيقة المطالبة بالاستقلال كان له شرف التوقيع عليها. كانت الخلية الوطنية التي التحق بها وهي خلية «فتح» تقوم ببعض الدراسات الهامة، وتناقش الأفكار الأساسية، وتساهم المساهمة العملية في تسيير شؤون فرع حزب الاستقلال بسلا، وأسجل بهذه المناسبة أننا عقدنا اجتماعاً بمنزله بدرب ابن شعبان مساء يوم 29 يناير 1944 لتقييم الأوضاع بعد مظاهرة ذلك اليوم الناجحة، واتخذنا عدة قرارات تتعلق بمستقبل العمل الوطني والاهتمام بشؤون الشهداء الذين سقطوا ضحايا في ذلك اليوم إلى غير ذلك. ونظراً لموقفه الثابت ومساندة والده وأخيه لحركة المطالبة بالاستقلال، ونظراً لأنه شارك مع صديقه الأستاذ مسعود الشيكري في الاحتجاج الشديد للهجة على القمع الذي وقع على الوطنيين إثر أحداث 29 و30 يناير 1944 فقد ألقى عليه القبض هو ووالده العلامة السيد أبو بكر زنيبر وأخوه السيد محمد وهوجم منزلهم وفتشوا تفتيشاً دقيقاً لعلهم يعثرون فيه على ما يجعلونه حجة لمؤاخذتهم ومحاكمتهم ثم نقلوا جميعهم إلى معسكر (القبليات) بالرباط حيث وقع استنطاقهم من السلطات العسكرية، وبقوا في ذلك المعتقل العسكري مدة ذاقوا فيها من العذاب ألواناً وبالأخص والدهم الأشيب العلامة السيد أبو بكر زنيبر، ثم نقلوا بعد ذلك إلى السجن المدني بالرباط حيث التحقوا بنا، وانتظم شمل الجميع معنا، ودام مقامهم معنا نحواً من ثلاثة أشهر ثم وقع إطلاق سراحهم.

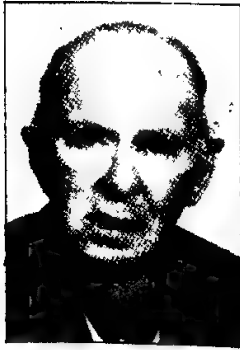
قبل أحداث 29 يناير 1944، كان سي الطاهر زنيبر موظفاً بإدارة الأمور الشريفة، فعزل من منصبه بعد هذه الأحداث، وبقي يعمل في سرية مع إخوانه الذين لم يعتقلوا أو الذين وقع سراحهم بالتتابع، وفي سنة 1946 عندما قررت أنا والمرحوم المهدي بن بركة تكوين فصل دراسي ثانوي لمن ينهون دراستهم الأساسية التي كانت تسمى بالابتدائية، فأسسنا فصلاً بالزاوية الغارية بالرباط التي كان يديرها المرحوم سيدي أحمد الشرقاوي، كانت نواته الأولى من بعض تلامذة المدرسة الغازية وبعض تلامذة مدرسة النهضة بسلا، وكان الذي يعطي الدروس في الرياضيات هو المهدي بن بركة نفسه وكان الذي يعطي الدروس في التاريخ والجغرافية هو الطاهر زنيبر، وكان هذا الفصل الذي أنشئ بالزاوية الغازية هو النواة الأولى لمدارس محمد الخامس المفتوحة سنة 1947 وبعد الاستقلال وتكوين وزارة للأوقاف التي تولاه العلامة السيد محمد المختار السوسي عين السيد الطاهر زنيبر مديراً لديوانه، وبقي يشغل هذا المنصب إلى أن وافته المنية

بتاريخ رحمه الله فدفن بمقبرة باب معلقة بسلا، لقد أُلقيت كلمة تابينية للترحم عليه، والشهادة له على ما قدّم من عمل لصالح وطنه.

كان له بعض النشاط الأدبي والفني فكتب بعض المقالات والأبحاث الأدبية وألقى بعض الأحاديث والمحاضرات في النادي الأدبي الاسلامي السلوي وكان يعزف على العود.

كان لين العريكة، دمث الأخلاق، مؤنساً في الحديث، ضحوكاً مبتسماً، لا يملّه عشير. ولا يستثقله رفيق، وترك ذرية صالحة اتسمت كلها بالأخلاق الفاضلة، والغيرة الوطنية : سعد وأمين وتوفيق وعمر وليلي، وكل واحد من أبنائه يؤدي وظيفة في مجال من المجالات. رحمه الله.

(43) الحسن بن جلون



لم أتعرف على السيد الحسن بن جلون إلا في الأربعينيات بعد التوقيع على وثيقة الاستقلال، وهو ينتمي إلى أسرة ابن جلون الملقبة (بالجينية) بن جلون، وهي ليست أسرة ابن جلون التومي التي ينتمي إليها الأستاذ عبد الكريم بن جلون

والسيد الحسن بن جلون هو الأخ الأكبر لكل من الأستاذ عبد القادر بن جلون الذي كان منتصباً للحركة القومية ومن دعائمه، وللسيد العباس بن

جلون التاجر الكبير بالدار البيضاء وكل من الحسن والعباس كانا ينتميان لحزب الاستقلال وكذلك أختهما عقيلة المرحوم السيد الحاج أحمد مكنوار.

ازداد الحسن بن جلون يوم تاسع يناير 1901 وتابع دراسته الابتدائية والثانوية بفاس ولعله كان من الأوائل الذين تابعوا دراستهم بالمدارس العربية الفرنسية، هو وأخواه عبد القادر والعباس، حيث أن عبد القادر التحق بعد ذلك بباريس فدرس الحقوق وتعاطى لمهنة المحاماة، قبل الاستقلال وبعد الاستقلال، وتولى وزارة كل من المالية والعدل في فترة الاستقلال، أما العباس فلقد اختار مهنة التجارة فكان من التجار المرموقين المعروفين بنشاطاتهم التجارية في مختلف الميادين.

كان الحسن بن جلون من قدماء المدرسة الإدريسية، ومن مؤسسي جمعية قدماء تلامذة المدرسة الإدريسية التي نشطت في المجالات الأدبية والتمثيلية، كما كان هو وأخوه العباس ضمن البعثة التي توجهت إلى فرنسا في العشرينيات والتي كان من جملة الذين رافقوهم المرحوم محمد اليزيدي، فاتصاله بالتطورات الفكرية والصناعية والتجارية كان مبكراً ولذلك فإنه هو بدوره اختار مهنة التجارة، فواكب تطورها بالمغرب وبفاس بالذات. وانتقل إلى الدار البيضاء، ليساهم في عدة شركات تجارية وصناعية. كما أنه ساهم مساهمة طيبة في الحركات التعليمية، وكان من المؤسسين لمدرسة مولاي الحسن الحرة بالدار البيضاء التي كان يشرف عليها ويديرها السيد محمد بن العربي العلمي. وعندما حررت وثيقة المطالبة بالاستقلال، ونظراً لما كان معروفاً به من الاستقامة والوطنية والاخلاص فقد دُعي إلى التوقيع عليها، فلم يتردد، خصوصاً وأنه كان من أعضاء (الطائفة) الموثوق بوطنيتهم وكتائبهم للأمر.

لقد عرفت في السيد الحسن بن جلون صدق الوطنية، والاستقامة الخلقية، وطيبوبة النفس، والسَّمْت الحسن، والأناة في الحديث، ولقد كان الفرنسيون يدركون صدق وطنيته ولذلك اغتنموا فرصة نفي محمد الخامس سنة 1953 فعملوا على إبعاده عن المغرب، فانتقل هو وأفراد أسرته إلى سويسرا، ولم يعد للمغرب إلا بعد تحريره واستقلاله، والآن وقد تجاوز سنه التسعين، لازالت روحه الطيبة كما كانت، ووطنيته ثابتة حفظه الله.

44 السيد محمد الأغزاوي

عرفت السيد محمد الغزاوي رجلاً عصامياً اعتمد على نفسه في تكوين حركة اقتصادية تجارية نامية، تجلّت في شركة النقل الهامة التي كانت تعرف بشركة الاغزاوي وبغيرها من النشاطات التجارية التي اكتسب منها ثروة هامة كان لها أثرها في الاقتصاد المغربي، كان معروفاً بوطنيته وإخلاصه وبملاقاته بالقصر الملكي بفاس، حيث كان مكلفاً بالقيام ببعض المهمات التي تهم القصر ومن جملتها شراء ما يحتاجه المقيمون بالقصر الملكي بفاس من نفقات.



ومن المعروف أن محمداً الخامس رحمه الله قضى فترة طويلة من أيام صباه وشبابه

بقصر فاس، وكان الغزاوي بسبب مذكرنا يدخل القصر، فكان له اتصال ولربما علاقة صداقة مع محمد الخامس في ذلك العهد، وبقيت بعد اعتلاء محمد الخامس على عرش أسلافه المقدسين.

كانت فاس في الثلاثينيات ثم الأربعينيات تغلي بالنشاطات الثقافية والوطنية، فمنها انتشرت الدعوة إلى السلفية بريادة الفقيه ابن العربي العلوي، ومن القرويين انتشرت الثقافة الإسلامية والدعوة الوطنية الإسلامية، ومنها تخرجت أجيال من العلماء المستنيرين، ومن مميزاتهم أن كل الذين يتعاطون للدراسة، سواء الذين يدرسون في الكتاتيب أو الذين يدرسون في المدارس العصرية لابد أن ينجذبوا للقرويين ليتعاطوا بعض الدروس فيها، ويستفيدوا من توجيهات شيوخها وأساتذتها، ولاشك أن السيد محمد الأغزاوي استفاد من بعض شيوخ القرويين وفي طليعتهم الفقيه السلفي السيد محمد بن العربي العلوي رغم أن دراسته كانت بكوليج مولاي إدريس حيث ربط علاقات وثيقة مع قدماء تلامذتها أمثال السيد محمد الزغاري والدكتور الفاطمي الفاسي وغيرهما.

كان للسيد محمد الأغزاوي ارتباط وثيق بالسيد محمد الزغاري، كما أن مشاعره الوطنية كانت تربطه برجال الحركة الوطنية وعلى رأسهم الزعيم علال الفاسي ولذلك فإنه عندما قرر الحزب الوطني المطالبة بالاستقلال وحُضِرَت الوثيقة التاريخية التي قدمت لجلالة الملك والدوائر المختصة للمطالبة بالاستقلال دعا الحزب السيد محمد الأغزاوي ليكون ضمن الموقعين على الوثيقة، فكان من الذين وفقهم الله للتوقيع، ولقد اندهش الفرنسيون لتوقيعه فكان من جملة الذين ألقى عليهم القبض، وسيقوا إلى سجن برج النور بفاس ثم نقل بعد مدة إلى سجن العذير القريب من الجديدة، ويذكر السيد محمد الأغزاوي في حديث معه أنه لدى وجوده بسجن العذير، وكان له وللمسجونين معه بعض الامتياز لاحظ أن بعض إخوانه المسجونين في نفس السجن وهم : عبد الرحيم بوعبيد وأبو بكر القادري، وقاسم الزهيري أرغموا (وهذا تعبيره) على ارتداء بذلة السجناء، فنظم هو ورفقاؤه إضراباً كبيراً مستمراً احتجاجاً على هذا الإجراء إلى أن أذعن إدارة السجن إلى العدول عنه والسماح لإخوانه بتغيير تلك الملابس والاكتفاء باللباس العادي المدني).

وبعد سراحه من السجن، قررت الإدارة الاستعمارية فرض الإقامة الجبرية عليه مدة بمدينة الجديدة.

كان السيد محمد الأغزاوي كثير الاهتمام بالحركات الرياضية، ومن أجل ذلك عمل

على إنشاء جمعية رياضية بفاس كانت تسمى جمعية النجاح، وكان لهذه الجمعية نشاط مهم في مجال الرياضة لم يرض عنه الاستعماريون الذين كانوا يتخوفون حتى من النشاط الرياضي.

وفي سنة 1950 عندما اشتدت الأزمة بين حزب الاستقلال من جهة وبين الإقامة العامة الفرنسية من جهة أخرى، وكان للحزب قرار التدخل في مجلس شورى الحكومة الذي كنا نسميه بمجلس المقيم العام حيث كان هو الذي يترأسه، وكان المقصود من المشاركة في هذا المجلس من طرف التجار والفلاحين الاستقلاليين مجابهة السلطات الاستعمارية في قعر دارها، وفضح تصرفاتها ومظالمها، وكان الاغزاوي من جملة هؤلاء التجار الذين خاضوا المعركة ضد السلطات الاستعمارية، فألقى تقريراً فضح فيه بعض الجوانب التي توضح تلاعب الإدارة، ولم يطلق المقيم العام الجنرال جوان سماع هذا التقرير فمنعه من إتمام إلقائه، وأمر بطرده من المجلس، فقرر كل الوطنيين الحاضرين من بقية الأعضاء التضامن مع الاغزاوي، فانسحبوا هم بدورهم من المجلس وقصدوا جميعهم القصر الملكي حيث استقبلهم جلالة محمد الخامس بما عهد فيه من وطنية وإيمان وإخلاص.

وإثر هذه الحادثة قرر السيد محمد الاغزاوي السفر إلى الخارج فسافر إلى فرنسا ثم أمريكا حيث كان يساند المساندة القوية مايقوم به ممثلوا حزب الاستقلال في أوروبا عموماً وأميركا بالخصوص، خصوصاً لدى طرح قضية المغرب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبعد حصول المغرب على استقلاله تولى محمد الاغزاوي مسؤولية المدير العام للأمن الوطني ثم عين مديراً عاماً للمكتب الشريف للفوسفاط ثم وزيراً للتجارة ثم سفيراً للمغرب في لندرة ثم سفيراً بباريس، ثم تعاطى لشؤونه التجارية والاقتصادية التي لازال يواصلها رغم كبر سنّه، وفقه الله.

45) السيد عبد الرحيم بوعبيد



عرفت عبد الرحيم بوعبيد تلميذاً وطالباً ومحامياً ووزيراً وزعيماً وطنياً، وكلما زدت به معرفة، زدت له تقديراً كان مثال الوطنية الصادقة، والمهارة السياسية الباهرة. كان واسع الأفق السياسي، مدركاً أعماق الساسة الموجهين للسياسة الدولية، ماهراً في التعامل معهم، محاوراً لبقاً وشديداً في الوقت نفسه، مفكراً بعيد النظر فيما يريد الوصول إليه. عرفته في السراء وفي الضراء، داخل السجن وخارجه، وسواء أكان في الشدة أو الرخاء، فهو قوي في وطنيته، شجاع في

أقواله، مبادر في طرح الأفكار، يعرف كيف يقتنص خاطبيه ومفاوضيه فيخاطبهم ويفاوضهم بمنطقهم، ويفرض عليهم أن يعجبوا بمنطقه وصدق حواره. استفاد كثيراً من مقامه في باريس أيام الدراسة وبعدها، فخالط الأتوم، وتعرف إلى المذاهب، واستفاد من المفكرين، ومال إلى الاشتراكية النظيفة، دون أن يتخلى عن مقوماته الوطنية التي نشأ في أحضانها، يناور في السياسة، ولكنه يبقى دائماً وطنياً صادقاً، في طبعه شدة، تتجاوز أحياناً الحد المقبول، وفي معاشرته صدق وأخوة، ولكن حذار أن تثيره أو تناقشه بحدة، قد يظهر لك أنه متعصب في وطنيته، ولكنه في الواقع برىء من التعصب ومن العجرفة، له اعتداد بآرائه إلى حد التطرف غير المقبول، ولكن الذي يشفع له في هذا الاعتداد أنه لا يأخذ الرأي إلا بعد التفكير الطويل، وبعد أن يعتقد أنه الرأي الصائب الذي لا يمكن أن يحيد عنه. استفاد كثيراً من تجاربه السياسية، وقوم بعض أفكاره وآرائه التي قد لا تكون مقبولة من الجميع، لا أقول إنه لم يخطئ في بعض تصوراتهِ وتنبؤاته، ولكني أؤمن أنه كان يراجع نفسه بنفسه، ويصحح بعض الأخطاء التي كانت تحوم حول فكره، ويفرض على نفسه أن يسير في نهج جديد.

ازداد عبد الرحيم بوعبيد بمدينة سلا بتاريخ 23 مارس 1920 وتوفي يوم ثامن يناير 1992، وانخرط في سلك التعليم الابتدائي بمدرسة أبناء الأعيان بسلا ثم تلقى تعليمه الثانوي بكوليج مولاي يوسف، وأثناء الصيف كان يتعاطى دروسه في العربية بالمكتب الاسلامي بالزاوية القادرية التي سمي فيما بعد بمدرسة النهضة، وبعد إنهائه الدروس الثانوية انخرط في سلك مدرسة المعلمين بالرباط، ثم عيّن معلماً بمدرسة المصطفيين بفاس، ثم انتقل إلى مدرسة أبناء الأعيان بسلا، وفيها انتهى اشتغاله بالتعليم حيث جاءت أحداث

المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 ليرأس مظاهرة 29 يناير بسلا ويلقى عليه القبض ويودع بالسجن ليحك فيه نحو العشرين شهراً، وبعد سراحه أواخر سنة 1945، سافر إلى فرنسا ليتعاطى دراسة الحقوق وينال شهادة الليسانس في العلوم القانونية.

أواخر الثلاثينيات، وأثناء تعاطيه للتعليم الابتدائي كمعلم بفاس وسلا، انخرط في بعض خلايا الحزب الوطني، وكان وثيق الاتصال بي، سواء عن طريق المراسلة، أو عندما يرجع إلى سلا بمناسبة العطلة الصيفية، وفي فاس كان مكلفاً بتنظيم وتوجيه الطلبة السلويين الذين كانوا يدرسون بالقرويين، وكان في الوقت نفسه يحضر في اجتماعات الخلايا التي كان ينظمها فرع الحزب بفاس. وفي هذه الأثناء بدأت تبرز شخصيته الوطنية كشاب لامع ذي فكر ثاقب، ووطنية متدفقة، وشجاعة في إبداء الرأي، وشخصية تفرض وجودها. وفي سنة 1942 رجع من فاس إلى سلا ليلتحق بمدرسة أبناء الأعيان كمعلم للغة الفرنسية وليلتحق بجماعة «فتح» التابعة للحزب الوطني، والتي كانت تضم نخبة مثقفة من وطني سلا، وفي هذه الجماعة الأولى التي أقسم فيها اليمين على الإخلاص لله وللوطن والملك، زادت شخصيته اللامعة بروزاً سواء في دائرة المعلمين الذين كانوا معه في المدرسة، أو أثناء الاجتماعات التي كنا نعقدّها معه، أو حتى لدى الشباب الذي كان منخرطاً في سلك النادي الأدبي الإسلامي الذي انتخبناه خليفة لرئيسه.

وجاءت سنة 1943 بظروفها الحربية المعروفة، فصار الحزب الوطني يفكر التفكير الجدي في المطالبة بتغيير الأوضاع في المغرب، أي بالمطالبة بالاستقلال، ولما كان مطلب الاستقلال أمراً ذا أهمية كبرى، وقد تترتب عنه عواقب لا يتحملها إلا الصادقون، كان قرارنا في الحزب الوطني أن أول من يجب أن يتحمل مسؤولية المطالبة بالاستقلال هم رجال الطائفة، وهي الجناح السري في الحزب الوطني، وكان من الضروري أن لا تبقى محدودة الأفراد، وأنه لا بد من توسيعها حتى تضم إليها بعض الشبان الحزبيين الذين ثبتت وطنيتهم، ووقعت تجربتهم، وتحقق كتمانهم للأسرار، وكان من هؤلاء الشبان عبد الرحيم بوعبيد الذي انخرط في الطائفة، وأدى اليمين للمرة الثانية، فصار عضواً من أعضائها الأشداء من الشباب الموثوق بوطنيته، ومن خلال الطائفة، كان توقيع لوثيقة المطالبة بالاستقلال.

وعندما ألقى القبض على الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج، قام عبد الرحيم

بدور فعال بالدعوة إلى الإضراب في سلا، فطاف الشوارع والأزقة منادياً بالاحتجاج ضد إلقاء القبض على بلافريج، ومطالباً بالتضامن معه ومع اليزيدي الذي كان ألقى عليه القبض بدوره.

لقد كان أعضاء الحزب جميعهم مهينين للقيام بالواجب الوطني من إضراب أو غيره، وكان شباب الحزب متحمساً أعظم حماس، مستعداً لكل تضحية في سبيل إعزاز البلاد واسترجاع كرامتها في الحرية والاستقلال، وأنى عبد الرحيم إلا أن يكون أول مترس للمظاهرة التي قررنا تنظيمها يوم 29 يناير، حيث زارني في منزلي الذي كان هو الملتقى، ومنه تنطلق كل التعليمات، فأذنت له في ترأس المظاهرة الأولى، وهكذا ترأس المظاهرة الأولى التي سقط فيها الشهداء المتعددون واغتيل فيها الشرطي دافيد، الذي كان أول من استعمل سلاحه الناري ضد المتظاهرين الوطنيين. وبعد انتهاء المظاهرة كان عبد الرحيم ضمن المعتقلين الذين تجاوز عددهم الخمسين وبعدما قضى فترة السجن بسجون الرباط والدار البيضاء والعدير، أطلق سراحه، فقرر السفر إلى فرنسا لإتمام دراسته في القانون، فقضى في فرنسا نحواً من أربع سنوات لم يهتم فيها بالدراسة فحسب، ولكنه كان مكلفاً بالإشراف على الطلبة الاستقلاليين، وتوجيههم وتنظيمهم، كما كان مهتماً بالطبقة العاملة في فرنسا يوجهها وينظمها، ويهتم بقضاياها ومشاكلها، وفي الوقت نفسه ربط علاقات قوية مع كثير من الشخصيات الفرنسية، والأحزاب اليسارية، وبالأخص الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي كان اتصاله ببعض أفراد من الشباب، اتصالاً قوياً استطاع بسببه أن يقوي من شخصيته، ويفرض وجوده، ويثير الإعجاب والتقدير من حكمائهم. كما شهد بذلك الكثيرون منهم.

وفي سنة 1949 رجع من الديار الفرنسية مكتسباً خبرة كبيرة في مجال السياسة، وربط العلاقات، فالتحق توطاً باللجنة التنفيذية للحزب كعضو مساعد، واهتم أول ما اهتم به بالطبقة العاملة، وأصدر نشرات في موضوع حرية النقابة، وضرورة تنظيمها، واتصل بالنقابيين الذين كانوا ملتحقين بالنقابة الفرنسية، وصار يبحث عن الآخرين في بعض المدن كآسفي وفاس ومكناس، زيادة على الرباط والدار البيضاء. وعندما قرر الحزب إصدار جريدة (الاستقلال) بالفرنسية، كان هو مديرها ورئيس تحريرها، وكانت الافتتاحيات التي يحررها تثير الإعجاب والتقدير والثناء من كل الذين يقرأونها، وأثناء فترة وجود بعض أعضاء الحزب في مجلس شورى الحكومة (مجلس المقيم) كان عبد الرحيم من اللجنة الأساسية التي تحرر العروض التي كان يلقيها الأعضاء المذكورون

أمام المقيم العام، ورفاقه الاستعماريين، وكانت تثير فيهم كوامن الحقد والبغضاء، بسبب فضحها للسياسة الخرقاء التي يطبقها الفرنسيون في المغرب.

وعندما اشتدت الأزمة بين الحزب والملك من جهة، وبين جوان وكيوم من جهة أخرى ابتداء من أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، كان عبد الرحيم يشرف على جريدة (الاستقلال) وكان مكتبه بجانب مكنتي في إدارة الحزب بشارع تمارة زنقة ديبلوايي، وذات مساء، ولعله يوم خامس أو سادس دجنبر 1952 جاءت الأخبار من تونس باغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد، فهاج عبد الرحيم وثار، وعقدنا نحن جماعة مصغرة من أعضاء اللجنة التنفيذية اجتماعاً مستعجلاً، تدارسنا فيه الموضوع وقررنا الاضراب الذي وقع يوم 8 دجنبر 1952، وحررت أنا بخط يدي الرسالة التي وجهت للفروع، للقيام بحركة الإضراب ودفعتها لمولاي مصطفى العلوي الذي كان يشتغل عندنا في الحزب كضارب على الآلة الكاتبة، وبعد إخراج عدة نسخ منها، كلفتُ بعض الإخوة في ذلك المساء نفسه بالسفر إلى الجهات التي عينتها لهم، بحمل الرسالة إلى المسؤولين في بعض الجهات، ومن الذين حملوا تلك الرسائل الأخ محمد البقالي، ومولاي مصطفى العلوي المذكور ولازالا على قيد الحياة حفظهما الله، وصبيحة الغد، عقد اجتماع ثان للجنة التنفيذية بأكثريتها، بمنزل المرحوم اليزيدي لم أشارك فيه أنا لأنني بقيت في مركز الحزب أتلقي وأجيب عن الاستفسارات التي كانت ترد علينا من طرف الفروع. وفي هذا الاجتماع الثاني الذي عقدته اللجنة التنفيذية تكلف الأستاذ عبد الله إبراهيم بالسفر إلى الدار البيضاء للإشراف على تنظيم الإضراب من طرف الحركة النقابية.

وبعد الأحداث التي وقعت يوم ثامن ديسمبر 1952 ألقى القبض على عبد الرحيم ضمن بقية أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب، ونفي أولاً إلى (تنالت اداي بسوس) ثم نقل إلى سجن الدار البيضاء، حيث أحيل على المحكمة العسكرية بتهمة المس بسلامة الدولة وداخل السجن، زادت شخصيته بروزاً، ونبوغه السياسي تفوقاً، ومسؤوليته السياسية تضاعفاً، فكان يتابع الأحداث بكل عناية خصوصاً بعد بروز حركة المقاومة وييدي آراه في ضرورة تنشيطها وتقويتها وكان عمدة من أعمدة حزب الاستقلال في التدبير والتسيير، يشارك في المؤتمرات، ويدافع عن وجهات نظر الحزب في كل القضايا، ويحاور الفرنسيين، ويوجه الطلبة الاستقلاليين، ويحكم اتصالاته بالطبقة العاملة سواء داخل المغرب وخارجه.

وأثناء وجودنا بسجن القنيطرة بعد أحداث 1952 كانت لي معه عدة حوارات ومساجلات في مواضيع مختلفة أترك الحديث عنها لفرصة أخرى، وبعد خروجه من السجن أواخر سنة 1954. انغمز كل الانغمار في التسيير السياسي للحزب، فكانت له اتصالات متعددة مع الفرنسيين في الداخل والخارج، وفي سنة 1955 عندما بدأت تبشير الاستقلال تظهر، وصرنا نفكر التفكير الجدي في مرحلة الاستقلال الفعلي، ووضع الأسس الصالحة المتينة لبناء مغرب الغد المستقل تقرر أن يعقد الحزب مؤتمراً استثنائياً دام ثلاثة أيام : ثاني وثالث ورابع دجنبر 1955، وشارك فيه نحو من ألف شخص يمثلون أزيد من مائتين وخمسين فرعاً من مختلف أنحاء المغرب، ألقى فيه عبد الرحيم خطاباً ضافياً تحدث فيه عن حزب الاستقلال وأهدافه ومراميه وتضحياته وتضاعف مسؤولياته، وقال فيه : (إن من حقنا أن نؤكد مرفوعي الرؤوس أننا كنا المؤسسين لهذه الحركة، والعاملين على تنويع أشكال الكفاح من أجل تحرير البلاد. لقد قاد حركتنا منذ البداية الزعيم علال الفاسي وبلافريج واليزيدي وعمر بن عبد الجليل، نعم هم الذين تزعّموا الحركة عام 1944، وهم الذين يقدمون لنا اليوم الثمار الأولى للكفاح المشترك، الذي واصلوه بدون هوادة ولاوهن، منذ ثلاثين سنة). وعندما تحدث عن التضحية التي قدمها الحزب خلال فترات كفاحه قال : (ففي المدة المتراوحة بين 1950 و 1955 بلغ عددنا ثلاثون ألف سجين من أعضاء الحزب، صدرت ضدهم عقوبات من مختلف المحاكم، أو كانوا موضع تدابير إدارية دون صدور أي حكم ضدهم) ثم تحدث عن برنامج الحزب الانتقالي في تلك الفترة في مختلف الميادين : الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتحقيق الاستقلال العملي، وقال : (نحن نطالب باستقلال بلادنا مع جميع اختصاصات سيادتنا، سواء فيما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية، وهذا مبنى قارّ وثابت لبرنامجنا السياسي، ثم ختم خطابه قائلاً : (إن مهمتنا صعبة، ومتشعبة، وإن الطريق الذي يوصل إلى قمة الاستقلال الوطني لَوَعْر، ولكن لاننسى أبداً أن الاستقلال هو هدفنا الأقصى، فالثورة القائمة الآن، هي ثورة الشعب، ثورة ذلك السواد الأعظم من العمال والعاملات ومن الصناع وصغار التجار، فالتحرير يجب أن يكون مقدمة للتحرر الاقتصادي والاجتماعي للجماهير الكادحة، وهذا هو جوهر رسالتنا).

لقد برز عبد الرحيم في الفترة الأولى للتفكير في بناء الاستقلال، كمخطط لبناء الاستقلال وبالأخص في المجال الاقتصادي والسياسي، حيث سيكون عضواً في اللجنة التي كلفها الحزب بالاتصال مع الرأي العام الفرنسي من جهة، ومع المفاوضين

الفرنسيين لمرحلة الاستقلال من جهة أخرى، وكان هو ومحمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل والمهدي بن بركة، الذين قاموا بالدور الأساسي في مباحثات ايكس ليان في غشت 1955 التي كانت تلقى معارضة من الزعيم علال الفاسي.

وخلال الشروع في المفاوضات بين فرنسا وإسبانيا لتحقيق الاستقلال كان عبد الرحيم من المفاوضين الأساسيين، وقبل ذلك كان من الوفد الذي سافر إلى انتسيرايني للاتصال بجلالة محمد الخامس في منفاه، للتحادث معه في موضوع رجوعه من المنفى والشروط التي يرى الحزب ضرورة توفرها ومنها شرط رجوع محمد الخامس للشروع في مفاوضات الاستقلال. ولقد تلقيت منه في تلك الفترة بطاقة كتبها لي من انتسيرايني يعبر فيها عن فرحته بلقاء محمد الخامس، ونجاح الوفد الاستقلالي في توحيد الرؤية معه.

ولدى تأسيس ثاني حكومة في عهد الاستقلال، أسندت لعبد الرحيم مسؤولية وزارة الاقتصاد والمالية بعد أن كان سفيراً أولاً للمغرب في باريز، وفي هذه الفترة وضحت التوجهات التي كان عبد الرحيم يخطط لها لتحرير الاقتصاد المغربي من تبعية فرنسا، وكانت العروض التي يقدمها في المجلس الوطني الاستشاري من أهم العروض الاقتصادية التي تلقى التأييد من كل الأطراف، وفي فترة من فترات الحكومة التي كونها الحزب برئاسة بلافريج استقال من الحكومة بسبب اختلاف وجهة نظر بينه وبين بلافريج في شأن وزارة الداخلية ومن يتولاها في موضوع يطول شرحه.

ولدى بروز اختلافات في وجهات النظر داخل قيادة الحزب، وإعلان حركة انفصالية منه تولى أمرها المرحوم المهدي بن بركة وبعض رجال المقاومة وبعض النقابيين ورئيس الحكومة إذ ذاك الأستاذ عبد الله إبراهيم، بقي عبد الرحيم متوقفاً عن تأييده للحركة الانفصالية، وفي الوقت نفسه غير عامل داخل قيادته، وكان مومناً كل الإيمان بأن الانشقاق ضار، وليس في صالح المغرب، وأن وحدة الحزب يجب أن يحافظ عليها، ولكن الأقدار شاءت أن يسير هو نفسه في خطة الانفصال، نظراً لأنه كان كما قال لي في بعض مذكراته معي : لابد أن يكون في الجانب الذي فيه العمال أي العمال المنضوون إذ ذاك للاتحاد المغربي للشغل.

وفي فترة حكومة عبد الله إبراهيم بقي عبد الرحيم وزيراً للاقتصاد ونائباً للوزير الأول، وبعد إقالتها دخل عبد الرحيم في مرحلة المعارضة، متعاطياً مهنة المحاماة، عضواً أساسياً في الحركة الانفصالية التي سمت نفسها بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وبعد خلافات داخل هذا الاتحاد، أسس عبد الرحيم الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وأعلن انفصاله عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

وفي كل الأطوار التي مر فيها عبد الرحيم رحمه الله بقي مناضلاً شهماً، وطنياً صميماً، صديقاً حميماً، مخلصاً لبلاده وملكه إلى أن توفاه الله يوم ثامن يناير 1992 وشيّع جنازته جمهور غفير جداً من الوطنيين الذين تواردوا من أنحاء المغرب ومن مختلف الاتجاهات السياسية، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط رحمه الله⁽¹⁰⁾.

46) السيد المهدي بن بركة



لا أدعي أنني سأكتب تعريفاً كاملاً وافياً بشخصية المهدي بن بركة الذي عرفته عن قرب، أوائل الأربعينيات، ودام اتصالي به، وتعاوني معه في المجال الوطني نحواً من عشرين سنة.

شخصية ذات مميزات متعددة، كله حركة، وكله نشاط، فكر منتج، وطموح لا حد له، ونشاط متعدد الجوانب، ومقدرة على العمل لم يصل إليها إلا أقل القليلين، وذهن ثاقب يدفعه إلى القيام بأعمال متعددة، ووطنية صادقة تفرض عليه أن يكون حاضراً في

مختلف الأعمال والنشاطات، خفيف الحركة، فهو موجود يناقش في جلسة من جلسات القيادة السياسية، وهو في الوقت نفسه متأهب ليقفز إلى جلسة أخرى مع الطلبة أو مع جمعية من جمعيات الشباب تركها تنتظره في ركن من أركان بيته ليعطيها التوجيهات والتعليمات التي تنتظرها منه، ثم يمتطي دراجته الصغيرة ليعود إلى تنميط جلساته مع القيادة، وهو حامل قلمه ليسجل القرارات التي تتخذ، ليسهر بنفسه على تطبيقها، وهو كذلك يضع بخط يده مشروع بيان أو تقرير يتعلق بالموضوع الذي وقع تدارسه، ليرفع إلى المسؤولين أو إلى منتظم دولي أو إلى الرأي العام المغربي.

هو متحرك لا يقر له قرار، إلا إذا كان يخاطب في اجتماع، أو يحاضر في ندوة، أو يجري استجواباً مع صحفي، أو يوجه جماعة من الجماعات، أو يحمل سماعة الهاتف ليخاطب ويعطي التعليمات لفرع من فروع الحزب، أو يتصل بجريدة من الجرائد ليزودها ببعض المعلومات، يشغل بالليل والنهار، بيته مفتوح للجميع، وقد يعقد في وقت واحد، اجتماعاً مع جماعة في غرفة، واجتماعاً ثانياً في غرفة أخرى، ولربما يترك

(10) راجع ما كتبه عن عبد الرحيم بوعبيد في الجزء السادس من «رجال عرفهم».

الجماعتين في بيته، ينفذان ماكلفهما به، ثم يخرج إلى الالتقاء بجماعة أخرى في بيت من بيوت إخوانه.

له طاقة على العمل قل نظيرها، وله تتبع للأحداث الداخلية والخارجية في كل الأوقات والظروف، يستفيد من الصحافة والإذاعة، ويكلف الأشخاص بالتقاط الأخبار، ويحملون له القصصات التي تهم بلاده ليطلع عليها، لايفلت اجتماعاً من الاجتماعات السياسية المهمة، فهو حاضر في اللجنة التنفيذية للحزب، وهو حاضر في اللجنة الإدارية وفي مجلس المفتشين، وفي المجلس الأعلى للحزب، وفي مجلس الفروع وفي لجنة البادية، وحضوره ليس حضوراً رمزياً، ولكنه حضور عملي. كنت أترأس مجلس اجتماع المفتشين لمدارسة القضايا المختلفة التي تهم سير الحزب من مختلف فروع ومختلف نشاطاته، ونستمع إلى تقاريرهم وملاحظاتهم، وكان المهدي يأخذ الكلمة بدوره ليعقب على الأحداث الدولية والداخلية، ويعطي التوجيهات الضرورية التي تعنّ له، ويناقش ويتابع، وهو حريص كل الحرص على أن يعرف مايجري في ذلك الفرع أو ذاك، ومايقوم به خصوم الحزب من نشاطات أو دعايات في ذلك الفرع أو ذاك، هو قويّ في حوارهِ وفي توجيهاته، صارم كل الصرامة مع من يعاديه أو يخاصمه أو يقف أمامه، أو يعرقل مشروعاً من مشروعاته، يقدر مسؤولياته حق التقدير.

كان للحزب نشرة أسبوعية تقرأ في كل الخلايا الحزبية، وكان المهدي يسهر كل السهر على إخراجها بطريق المكررة (رونيو) في أوقاتها المحددة، وكانت له جماعة من الشبان الاستقلاليين يشرفون على تشغيلها سواء في الكتابة أو الإخراج أو التوزيع، فلايقع تخلف في إصدارها في الأوقات المقررة لها، كانت مهنته الأولى هي الأستاذية في الرياضيات، ولكن هذه الدروس لم تأخذ له من الوقت إلا القليل، فعندما تعاطى للسياسة، تعاطاها بكليته، خصوصاً أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، واشتغاله بالسياسة معناه النشاط الدائم والدائب في مختلف الواجهات، سواء عن طريق التدبير والتخطيط والدراسة في جلسات القيادة، أو عن طريق الكتابة والتحرير في الصحافة، أو عن طريق الاتصال بالصحفيين الأجانب وإعطائهم التصريحات والتوضيحات لبعض المواقف التي يتخذها الحزب، أو عن طريق المحاضرات والنشاطات التي يشارك فيها في الداخل والخارج.

عرف بلاده، ودرس أحوال مجتمعه، وأدواء هذا المجتمع، فطفق يبحث ويفكر، يبحث عن الأدوية، ويفكر في وسائل العلاج، والمهدي في تفكيره رجل عملي، فهو لايرضى بالأنكار المجردة، ولكنه يريد تطبيقها ويعمل على تعميمها ونشرها، أدرك كل

الإدراك، ووعي كل الوعي أن الأمراض التي يعاني منها المجتمع المغربي، ناتجة عن أمرين اثنين، أولهما ناتج عن التخلف في مختلف الميادين فهو يقول : (ان الجمهور عندنا لا يزال متأخراً من الناحية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ولا يزال المستوى العام منخفضاً عندنا، لأن التقدم الذي غمر العالم وشمل دول البحر الأبيض المتوسط على الخصوص، لا يزال لم يشملنا بعده، ولم يتوغل بين أظهرنا، فنحن إذاً متخلفون عن الركب). أما الأمر الثاني الذي عاق المجتمع المغربي عن التقدم، فهو الاستعمار، (فمن واجبنا أن نعمل لمحو مخلفات الاستعمار، مثل مانجاهد ونعمل ونكافح بقوة وعمق لمحو مخلفات قرنين من السبات والنوم العميق).

كان المهدي رجلاً عملياً، ينظر إلى المستقبل نظرة الفاحص المتبع للأدواء، العامل على ضمد الجراحات، والعلاج للأمراض، لا يرضى ولا يستسيغ أن يرى كثيراً من المجتمعات في مختلف القارات تتقدم وتسير بخطى واسعة، وتبقى بلاده في مؤخرة القافلة. كان يدعو إلى التطور السريع، وإلى بناء مجتمع جديد، مبني على (أنقاض مجتمع ما قبل الاستعمار، ومجتمع عهد الاستعمار) مجتمع تتحقق فيه (الرفاهية والسعادة والازدهار الفكري لجميع المواطنين، وأن نجعل من بلادنا قطراً يقوم بدوره الانساني في ميدان التقدم الفكري والعلمي، ودولة تلعب دورها في العالم، ومغرباً يشع بالمعرفة والنور)⁽¹¹⁾.

وكان يرى أنه لتحقيق النجاح في بناء المجتمع الجديد، يشترط ثلاثة شروط يجب توفرها :

1) التوفر على قيادة حكومية وشعبية مخلصه قوية حكيمة، تفرض احترامها على المواطنين بإخلاصها ونزاهتها وكفاءتها.

2) وضع التصميمات لتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والعمل على تنفيذ هذه التصميمات بدقة.

3) مشاركة الشعب في وضع وتنفيذ ومراقبة هذه التصميمات، وذلك بواسطة المؤسسات الديمقراطية، من مجالس قروية وبلدية، ومجلس وطني منتخب⁽¹²⁾.

هذه الآراء والتصورات والنظرات التي كتبها المهدي بن بركة وألقاها في حديث

(11) نحو بناء مجتمع مغربي جديد للمهدي بن بركة ص 15.

(12) نفس المصدر ص : 26.

أمام مسيري فرع حزب الاستقلال بتطوان بتاريخ 31 يوليوز 1958، لم يكن أي واحد من قادة الحزب، يختلف معه فيها، وفي العمل على تطبيقها، وخلق الأجواء الصالحة لهذا التطبيق، ومن هذه الأجواء تطوير وسائل العمل، وتلقيح مايجب تلقيحه في إدارة التسيير، والاستفادة من الطاقات الجديدة التي برزت في الحزب من الشباب الملتزم الصادق في وطنيته وأخلاقه وتضحيته، وذاك ما أشار إليه عندما قال : (ولكن بناء هذا المجتمع يتطلب إيجاد قيادة قوية، وتصميمات اقتصادية، ومؤسسات ديمقراطية). ثم يقول : (واعتقد بأن الأداة الجديدة، يمكن أن تكون هي نفس أداة الأمس، ولكن مع تغيير وسائل العمل، لأن معركة اليوم، غير معركة الأمس، فلقد خضنا بالأمس معركة من أجل الاستقلال، ويجب أن نخوض اليوم معركة سلمية من أجل بناء مجتمع جديد). ثم يقول : (ان هذه الأداة لن تكون صالحة إلا بعد إحداث تحرير فيها، لأن حزب الاستقلال الذي صنع الأبطال والمكافحين أثناء معركته مع الاستعمار، يجب أن يصنع الأبطال والمكافحين لخوض المعركة من أجل بناء مجتمع جديد، في مغرب جديد)⁽¹³⁾.

أفكار وآراء سليمة، يمكن بل يجب أن تطبق، ولكن على أسس من الحكمة والمهارة والضمآن والثقة وحسن الاختيار وربط الحاضر بالماضي لضمآن المستقبل، وعدم التنكر لأي قيمة من القيم التي جاهد المهدي وجاهد الجميع معه لضمآن بقائها، ومن جملة هذه القيم الحفاظ على الوحدة التي تعتبر الشرط الضروري والأساسي لكل نجاح في البناء، والابتعاد عن الأنانية والغرور. ولكن التطورات التي وقعت، والاستعجال غير المدروس الذي كان يطالب به البعض، والتطلعات التي صارت تبرز للعيان، وبعض الكتابات الطائشة التي صارت تظهر في بعض الصحف، كل ذلك جعل ماكان يطمح إليه المهدي في عمقه، ومايريده إخوانه الذين أسلموا له كثيراً من المسؤوليات في تسيير الحزب، كل ذلك جعل القطار لم يبق سائراً في سكتته، والتطور لم يسر في طريقه، فلم يمحض على ماكتبه المهدي وألقاه في محاضراته بتطوان نحو تسعة أشهر، حتى تغيرت الأوضاع، ووقع الانفصال وتمزقت الوحدة، وانفرط شمل الإخوة، وكان ماكان مما لست أذكره في هذا الأوان، ولله في خلقه شؤون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ازداد المهدي بن بركة بالرباط بتاريخ 1920 وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة باب لعلو، والثانوي بكوليج مولاي يوسف، ثم التحق بجامعة الجزائر ليتابع دراسته في

(13) نفس المصدر ص : 31.

الرياضيات التي كان مجلياً فيها، وبعد نجاحه في الليسانص سنة 1942 رجع إلى بلاده، ليتحمل مسؤوليته في تسيير شؤون الشباب التابع للحزب الوطني، فينتخب رئيساً لجمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف بالرباط، وليعين أستاذاً في الرياضيات بليسي كورو الفرنسي، وفي الوقت نفسه يلتحق بالمعهد المولوي بالمشور السعيد الذي كان مخصصاً لسمو ولي العهد وشقيقه مولاي عبد الله وبعض التلاميذ الذين ألحقوا بالمعهد كأستاذ في الرياضيات.

صار اسم المهدي بن بركة على كثير من الألسن كشاب وطني نابغة مثقف، يدير شؤون الشباب المنتمي للحزب الوطني ويعطي الدروس المتعددة في مجالي التكوين والإعداد، وفي سنة 1943 ونحن نتهباً لاتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال، انخرط في (الطائفة) وهي الجماعة السرية في دائرة الحزب، فتعرف عليه الكثيرون من إخوانه الذين لم يسبق أن عرفوه، ولاحظوا فيه هم أيضاً من النشاط والحيوية والذكاء ما أثار إعجابهم وتقديرهم وثقتهم، فكان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال المقدمة في 11 يناير 1944، وترأس الوفد الذي قدمها إلى ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا يرافقه صديقه الحميم المرحوم عبد الرحيم بوعبيد.

وكبقية الموقعين على الوثيقة، وبعد المظاهرة الصاخبة التي جرت بالرباط إثر إلقاء القبض على الأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلالفرج، وصديقه اليزيدي، ألقى عليه القبض بدوره وأودع سجن الرباط الذي مكث فيه سنة واحدة على ما أظن، فأطلق سراحه سنة 1945، وصار منذ ذلك الوقت يأخذ مسؤوليته في تسيير شؤون الحزب، فصار يحضر اجتماعات اللجنة التنفيذية كعضو ملحق بها، وصارت تبرز نشاطاته المتعددة في التنظيم والتسيير. ولما سمحت الحماية بإصدار صحيفة «العلم» وغيرها من الصحف، كان المهدي من اللامعين النشيطين في المجال الصحفي، يكتب ويوجه ويتابع ويعلق وينتقد، وأثناء الاجتماعات التي كان يعقدها المجلس الأعلى للحزب، كان المهدي من أبرز النشيطين الذين يقترحون ويناقشون وينفذون مايتخذها المجلس من قرارات، ولدى مشاركة بعض الأعضاء المنتمين للحزب من التجار والفلاحين والصناعيين في مجلس شورى المقيم، كان المهدي يهيئ التقارير ويشارك في تحرير بعضها لثلقى أمام المقيم العام، وكلها انتقادات ومحاكمات لتصرفات الحماية الفرنسية في المغرب، وبعد تعيين الجنرال جوان وبعده الجنرال كيوم مقيما عاما بالمغرب اللذين أتيا بسياسة التهديد والقمع ومحاولة القضاء على الحزب وتوقيف نشاطه المتعدد، كان المهدي من أوائل الذين اعتقلوا، فنفي أولاً إلى قصر السوق واميلشيل، وبقي في الاعتقال إلى أن جاءت أحداث ثامن

ديسمبر 1952 التي كُرِّ فيها الاستعمار على الحزب، فألقى القبض على ما يقرب من ثلاثين ألف سجين، وقدمت القيادة العليا للحزب إلى المحاكم العسكرية، لتحاكم بتهمة المس بأمن الدولة، ونُفي الكثيرون من أعضاء الحزب، واستقر بهم المقام، بعد تنقلات عدة في معتقل اغبالو نكردوس، والتحق بهم المهدي في المعتقل نفسه، ولم يطلق سراحه إلا في أكتوبر سنة 1954، عندما بدأت الأزمة تنفرج بيننا وبين الاستعمار، لنشرع في مرحلة تحقيق الاستقلال.

وخلال التمهيدات السياسية التي كانت لتحقيق الاستقلال، ومنها اجتماع إكس ليان كان المهدي من أعضاء الوفد الذي تفاوض مع الفرنسيين في اجتماعات إكس ليان للمفاوضة في تحقيق الاستقلال ورجوع محمد الخامس من منفاه.

وبعد تحقيق الاستقلال والدخول في مرحلة تنظيم البلاد على أسس ديمقراطية جديدة، والاتفاق مع محمد الخامس رحمه الله على إحداث مجلس وطني استشاري، كمرحلة في الدخول في حياة برلمانية ديمقراطية صحيحة، انتخب المهدي بن بركة رئيساً للمجلس الوطني الاستشاري بتاريخ نونبر 1956، فأظهر من براعة التسيير ما أعطى للمجلس مركزاً هاماً في مراقبة أعمال الحكومة.

وفي سنة 1958 عندما قررت اللجنة التنفيذية ثم اللجنة السياسية الدعوة إلى عقد مؤتمر المغرب العربي في طنجة. كان المهدي بن بركة من الوفد الذي مثل الحزب في هذا المؤتمر، وكان هو الناطق باسمه لدى اللقاء برجال الاعلام من صحافيين وغيرهم. كان المهدي آلة متحركة دائمة الحركة في حزب الاستقلال، وكان إخوانه في اللجنة التنفيذية مسلمين له القياد في تسيير الكثير من نشاطات الحزب، في دائرة القرارات التي تتخذها اللجنة التنفيذية، ورغم أن بعض الخلافات في وجهات النظر صارت تبرز للعيان، كنا نأمل أن تتغلب عليها، خصوصاً بعد القرار الذي اتخذناه لعقد مؤتمر للحزب والفصل في جميع القضايا التي كانت مثار بعض الخلافات في وجهات النظر، وبالفعل تكونت لجنة تحضير للمؤتمر، عيّن فيها أربعة أشخاص، اثنان يمثلان طرفاً، وآخران يمثلان الطرف الآخر، وكان الشرط الأساسي لنجاح الخطة الموضوعية، التزام الجميع بالكف عن الانتقادات، والمحافظة على جو المسالمة، ولكن البعض لم يلتزم ولم يسر في تطبيق ماقرر، فكتبته تهجمات في جريدة الطليعة، كانت السبب في فساد الخطة الموضوعية، فوقع المخذور، وأعقب الاتفاق والوحدة المنشودتين، الانفصال والخلاف، وكان المتزعم الأول البارز لحركة الانفصال مع الأسف الشديد، هو المرحوم المهدي

بن بركة الذي أعلن في اجتماع عام عقده، تكوين الجماعات المستقلة لحزب الاستقلال، ثم تكوين الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وذلك في شتبر عام 1959. وهناك دخل المغرب في مرحلة جديدة من مراحل الحياة السياسية، لم أكن أنا ولا الكثيرون من إخواني راضين عنها. وخاض المهدي بعد ذلك معارك سياسية داخل المغرب وخارجه، فانتخب رئيساً للجنة السياسية لمنظمة التضامن الإفريقي الآسيوي، وانتخب في مايو 1963 عضواً في البرلمان. وأثناء وجوده بفرنسا سنة 1965 وقع اختطافه من طرف قوى غادرة، فغاب عن الأعين منذ ذلك التاريخ. وقيل إنه اغتيل من طرف تلك القوى الاستعمارية. فرحمه الله رحمة واسعة وجازاه على ما قدم وغفر له، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

47) السيد عبد الله بن عمر الرحامي



لم تتح لي الأقدار أن أتعرف شخصياً على السيد عبد الله بن عمر الرحامي، رغم أنه كان أحد الموقعين الثلاثة الذين تخرجوا من ثانوية أزرو الشهيرة التي كان الاستعماريون الفرنسيون أسسوها لتكون منبعاً للمتخرجين، يسرون في ركبهم الاستعماري، ويتبنون الأفكار التي ابتدعوها للتفريق بين أبناء الشعب المغربي، وخلق النزعة البربرية العنصرية التي خطط لها ظهير 16 ماي سنة 1930 الذي يرمي إلى التحاكم إلى أعراف ما أنزل الله بها من سلطان، وإلى المحاكم

الفرنسية المحضة التي تحكم باسم رئيس جمهورية فرنسا، فتخرج الشعب المغربي من دائرة المحاكم المغربية التي ترجع في أحكامها التشريعية إلى الشرع الاسلامي وإلى جلالة ملك المغرب الذي انتصب على كرسي العرش المغربي ببيعة شرعية إسلامية.

هذا المخطط الجهنمي الذي وضعه الفرنسيون للقضاء على وحدة الشعب المغربي العربي المسلم هو الذي أنشئت تلك الثانوية على أساسه، وهو ما اقتضت إرادة الله أن يخيب مسعاهم في نجاحه، فكان من أوائل الذين قاوموه فئة صالحة مومنة متخرجة من تلك الثانوية، وكان من جملة هذه الفئة ثلاثة شبان وطنيين صادقين منهم السيد عبد الله الرحامي والشريف الوطني السيد عبد الحميد بن مولاي أحمد الزموري والوطني الصادق المرحوم السيد اعمر أوبناصر.

هؤلاء الثلاثة، كانوا من السابقين على التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 ومن الذين خيخوا آمال ومخططات الفرنسيين في سياسة التفريق. ازداد السيد عبد الله الرحماني في قبيلة آيت ورييل، وقبيلة آيت ورييل مشهورة بتمسكها بالإسلام، ودفاعها عن حياضه خلال التاريخ ومنها الزعيم الخالد الذكر السيد عبد الحميد الأورني الذي استقبل المولى إدريس الأكبر عندما حلّ بالمغرب سنة 172 هجرية، فبايعه ليكون على رأس أول دولة إسلامية بالمغرب، وسارت معه قبيلة أوربة (بضم الهمزة) جميعها التي دانت بالإسلام، وحمته من كيد الكائدين، وزيف الزائغين، ولتقوية الروابط بين القبيلة وبينه، زوجته إحدى بناتها (كنزة) فكانت الذرية الشريفة الأدرسية المغربية مختلطة الدم بين العنصر المغربي الأمازيغي وبين العنصر العربي الشريف الذي ورد على المغرب ليقضي على كل فرقة عنصرية، ويجعل الإسلام وحده الذي يطبع الأجيال المغربية التي اعتنقت الإسلام محبة فيه وتعلقاً به واستمسكاً بعروته.

ومن ذكرياتي الخاصة عن قبيلة آيت ورييل أنني عندما كنت مسجوناً بسجن العدير، قرب الجديدة سنة 1937 استمعت من الزنزانة التي كنت مسجوناً فيها إلى أصوات تهدر بتلاوة القرآن جماعة من زنزانة مجاورة لي، ولما بحثت عن هؤلاء القارئین لكتاب الله قيل لي إنهم جماعة كبيرة من قبيلة آيت ورييل في زمر، اعتقلوا لأنهم احتفلوا بموسم قرآني، وأن على رأسهم شيخ كبير يسمى بسني سعيد، ولعلي اجتمعت معه وحادثته بعد تلك الفترة رحمه الله.

كانت ولادة السيد عبد الله الرحماني بمدينة الخميسات القريبة من آيت ورييل سنة 1923 ولما بلغ سن الدراسة أدخله أبوه إلى الكتاب القرآني أولاً ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية بالخميسات، ومنها انخرط في سلك تلامذة (كوليج دازرو) الذي أصبح بعد الاستقلال يدعى بثانوية طارق بن زياد.

ويحكي بعض الذين عرفوا السيد عبد الله الرحماني أنه تأثر بالأفكار الوطنية منذ الثلاثينيات، فكان من المشاركين في مظاهرة الخميسات التي قامت تدعو إلى مقاومة الظهير البربري والاحتكام إلى الشريعة الإسلامية سنة 1937 والتي كان من جملة قائديها الشيخ سي سعيد المذكور سلفاً والشاب السيد عبد الحميد بن مولاي أحمد والطلبة الذين كانوا يدرسون بالقرويين ومنهم السيد أحمد بوييه.

ولقد لقي الرحماني كل غنت من طرف السلطات الفرنسية، نتيجة روحه الوطنية، فاعتقل ونفي إلى سجن أزرو، وسجن عين اللوح، مدة يسيرة، ثم اعتقل مرة أخرى

بسبب مواقفه الوطنية. واشتغل بالتعليم ففتح مدرسة ابتدائية إسلامية بمدينة إفران سنة 1941 ثم انخرط في سلك الموظفين، فعين مترجماً بإحدى الإدارات، واطلع في وظيفته على ماكان يقاسيه إخوانه من ظلم واضطهاد، الأمر الذي زاده حقداً على الاستعمار والمستعمرين.

وعندما قرر الحزب الوطني تقديم وثيقة الاستقلال، كان من جملة الذين حظوا بشرف التوقيع على الوثيقة وفي سنة 1951 عندما تكالبت السلطات الاستعمارية ضد الحزب والعرش، كان من المتحمسين النشيطين المتحركين، فتخوفت الإدارة الفرنسية من نشاطه، فنفته إلى الريش، ثم إلى إيميل شيل، وأخيراً إلى مدينة الطاوس. وفي عهد الاستقلال عين موظفاً ككاتب عام بعمالة الرباط وسلا، ثم رئيساً لديوان وزير الداخلية ثم كاتباً عاماً لإدارة الدفاع ثم مديراً لديوان وزير الفلاحة. وفي سنة 1965 عين قائداً بسطات ثم باشا لمدينة المحمدية وأدركته الوفاة يوم الجمعة 20 نونبر 1987 وعمره أربع وستون سنة رحمه الله.

48) السيد عبد الكبير بن المهدي الفاسي



السيد عبد الكبير بن المهدي الفاسي من الأسرة الفاسية الفهرية المشهورة بالعلم والتأليف والتصوف ومنها العالم الكبير سيدي عبد القادر الفاسي، ومنها الزعيم المرحوم علال الفاسي.

تعرفت على السيد عبد الكبير الفاسي في الأربعينيات عندما كنا نحضر للمطالبة بالاستقلال، وكان من الشبان اللامعين المنتمين لحزب الاستقلال والمتحلين بصفات الثبات في الوطنية والمبدأ، ساهم مساهمة قوية في تأطير الشباب داخل الحزب، فكان

يعطي الدروس، ويسامر الجماعات ويتنقل بين الرباط والبيضاء وفاس، ومن جملة نشاطاته المتعددة أنه هو الذي حمل وثيقة المطالبة بالاستقلال بعد توقيعها إلى مدينة فاس، لتوزيع النسخ العديدة منها إثر تقديمها مباشرة. وهو الذي كان من المنظمين لمظاهرات فاس التي وقعت بتاريخ 30 يناير 1944 وما بعده إثر إلقاء القبض على الشخصيات البارزة في الحزب يوم 29 يناير 1944.

وإثر المظاهرات التي وقعت بفاس وإلقاء القبض على المئات من الوطنيين، أُلقي القبض على عبد الكبير الفاسي بدوره، فسجن أولاً بسجن برج النور بفاس، وكان من المقبوضين عليهم معه : محمد الفاسي وعبد الوهاب الفاسي ومحمد (فتحاً) بن سودة وأحمد الحمياني ومحمد الزغاري ومحمد الاغزاوي وأحمد ابا حنيني وأحمد بن سودة وعلي العراقي وعبد القادر العلج، وبعدما قضوا فترة في سجن برج النور، نقلوا جميعهم إلى سجن العدير الواقع قرب مدينة الجديدة، وهناك كنا نراهم ونحن في السجن في طريقنا للقيام بالأشغال الشاقة المفروضة علينا، كنا نراهم في زنزانة خاصة كبيرة، وكان التعامل معهم يختلف كثيراً عن التعامل معنا، فلم يكلفوا بأشغال شاقة ولو لفترة قصيرة، ولم يضيق عليهم التضييق الخانق الذي كان علينا ولم يلزموا بلباس المحسوسين مثل ما ألزمونا : أنا وعبد الرحيم بوعبيد وقاسم الزهيري ومحمد البقالي.

كان عبد الكبير شخصية لامعة في دراسته، حيث كان من القلائل الذين نجحوا في علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء، وكانت له قدرة فائقة في تعلم اللغات، فزيادة على اللغة العربية التي كان يتقنها كان يتكلم الفرنسية والاسبانية والروسية والألمانية وإن كان إتقانه للفرنسية كان أقوى.

أربعة أو خمسة من الشباب الاستقلاليين كان لهم تأثير وعطاء مهم في أوائل الأربعينات، في تقوية مكانة الحزب لدى الشباب بالخصوص :

- (1) المهدي بن بركة
- (2) عبد الرحيم بوعبيد
- (3) عبد الكبير الفاسي
- (4) الحسن بن شقرون

وإن كانت أدوارهم العملية كانت مختلفة، فعبد الكبير الفاسي برز أكثر ما يكون البروز أثناء فترة المقاومة بعد نفي محمد الخامس سنة 1953، فكان يتحرك تحركاً قوياً جداً في مجال التنظيم والتأطير والإمداد والاتصال، فتراه في طنجة وفي مدريد وفي القاهرة وفي تطوان، يتصل بالزعيم علال في القاهرة ليأخذ منه التعليمات، ويتصل بيلافريج في مدريد، ليطلعه على ماجد في التنظيم، ويذهب إلى تطوان ليتصل بالمقاومين الأشداء، ويلفهم ماتلقاه من الزعيم علال وينسق معهم الجهود التي تبذل لتسيير المقاومة في داخل المغرب في خطها المستقيم.

ومما أسجله في صحيفته أنه كان من أوائل الشباب الذين تنبهوا إلى ضرورة الخروج

من الكفاح السياسي وخذّه إلى العمل المسلح، ولعل ذلك كان خلال الأربعينيات، كان يتابع الأحداث السياسية بكل حزم، خصوصاً بعد إلقاء القبض على اللجنة التنفيذية في دجنبر 1952 حيث كان من جملة أعضاء اللجنة التنفيذية المؤقتة التي صارت تتحمل مسؤولية تسيير الحزب بعد إلقاء القبض علينا والتي كان من جملة أفرادها أيضاً الأستاذ عبد الكريم غلاب والمرحوم مسعود الشيكرو ومحمد الدويري والمرحوم البشير بن العباس، وكان بهذه الصفة يتصل سرياً هو وشقيقته للا مليكة بجلالة محمد الخامس ليطلعهم على سير الأحداث والأعمال التي يقوم بها الحزب في الداخل والخارج في ذلك الطرف الدقيق وليأخذ منه التوجيهات التي يرى جلالته أن يعطيها للمسؤولين في الحزب. وعندما رأى أن ساعة الانتقام الفظيع قد دقت، وأن الفرنسيين قرروا نفي محمد الخامس إلى جهة نائية، دبر كيف يهرب من الاعتقال ليقوم بواجبه الوطني في الخارج، وهكذا سافر مع زوجته في سيارته إلى طنجة، ومنها صار ينتقل بين طنجة ومدريد والقاهرة، لينسق الأعمال، ويبلغ التعاليم، خصوصاً بعد اشتعال المقاومة في الدار البيضاء وغيرها.

ازداد عبد الكبير الفاسي بفاس في 14 دجنبر 1920 وتلقى دراسته الابتدائية فيها، ثم انتقل إلى الدار البيضاء حيث كان والده السيد المهدي قاضياً شرعياً في نواحيها، وفي الدار البيضاء تلقى التعليم الثانوي حيث نال شهادة البكالوريا في الرياضيات وفي الفلسفة وذلك بليسي ليوطي ثم انتقل إلى الجزائر وباريس لينال دبلوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء. وخلال سنة 1943 رجع إلى المغرب ليعين مدرساً بثانوية مولاي إدريس بالبيضاء ويعطي بعض الدروس بالقرويين بفاس، ثم يعين أستاذاً في الرياضيات أيضاً بليسي ليوطي بالدار البيضاء سنة 1948 بعد خروجه من السجن بمدة.

وعندما كنا نتهياً للمطالبة بالاستقلال كان من الشبان المرموقين الذين اطلعوا على مآقره الحزب من المطالبة بالاستقلال، ومن الذين التحقوا بالجناح السري في الحزب الذي كان يدعى (بالطائفة) وهكذا كان من الموقعين على وثيقة الاستقلال، وبعد خروجه من السجن سنة 1945 كان يكلف بعدة مهمات سياسية ووطنية من طرف الحزب، وكان نشاطه يتضاعف في مختلف المجالات، سواء قبل الاستقلال أو بعد تحقيق الاستقلال.

ولدى تأسيس الحكومة المغربية في عهد الاستقلال، عين مديراً لشؤون الصحراء التي كان مهتماً أعظم اهتمام بتحريرها، فوضع خريطة جغرافية بإرشاد وتوجيه من زعيم الحزب الأستاذ علال الفاسي رسم فيها وبتفصيل وتدقيق الحدود الحقيقية للمغرب سواء

من الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال، ولقد بذل جهداً مضنياً جداً في هذا السبيل. وفي سنة 1958 إلى سنة 1968 عينه صاحب الجلالة سفيراً في الدول الآتية حسب الترتيب : الجمهورية الألمانية، الجمهورية المصرية، الاتحاد السوفيتي، الجمهورية التونسية، ثم انتقل سنة 1968 إلى فيينا بالنامسا كمدير للوكالة النووية، ثم في سنة 1973 عين مديراً منتدباً لشركة كوسيمار.

ومن اهتماماته المتعددة شغفه بالطرب الأندلسي وعزفه على العود والكمّان، وتذوقه للفن الرفيع. لقد أصيب في آخر حياته بمرض مُضِن للغاية ألزمه البيت مدة طويلة ثم انتقل إلى عفو الله يوم الثلاثاء 18 مارس 1997 فدفن بمقبرة الشهداء بالدار البيضاء في اليوم الموالي رحمه الله رحمة واسعة، وجازاه على ما قدمه من الصالحات.

49) السيد أحمد الحمياني تحتات



لم يتح لي أن أخاطب كثيراً الأستاذ أحمد الحمياني، فلم ألتق معه كثيراً، ولم أتحدث إليه إلا في مناسبات خاصة، ولكنني مع ذلك أستطيع أن أقول : إنني عرفت الكثير عن أحمد الحمياني من خلال بعض أصدقائه وأصدقائي مثل المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل والمرحوم محمد الزغاري، ثم من خلال بعض الاتصالات معه، خصوصاً بعد الاستقلال.

ولعل تعرّفي إلى أحمد الحمياني لأول مرة، كان سنة 1943 عندما كنا نتهياً في الحزب الوطني للمطالبة

بالاستقلال ونبحث في الوقت نفسه عن كل الكفاءات المخلصة التي يمكن أن تقوي جانبنا في المعركة الجديدة التي سنخوضها ضد الاستعمار، بتخلينا عن فكرة المطالب الإصلاحية داخل نطاق الحماية، إلى المطالبة الصريحة بالاستقلال، معتقدين أنه لا يحقّ جلدك مثل ظفرك، وأن الإصلاح لا يتحقق عملياً إلا في دائرة الاستقلال، وهكذا كنا أثناء اجتماعاتنا في اللجنة التنفيذية للحزب وبالخصوص أثناء اجتماعاتنا في الطائفة (الجناح السري في الحزب) نستعرض الشخصيات التي ستدعى — إن توفرت فيها الشروط — إلى مشاركتنا في التحضير للاستقلال، وفي هذه الظروف بالذات طرق سمعي اسم السيد أحمد الحمياني والسيد أحمد ابا حنيني مضافين إلى السيد عبد الكريم بن جلون الذي كنت عرفت عنه الكثير قبل ذلك، ولعل الذي ذكر أمامي هذه الأسماء هو المرحوم

الحاج عمر ابن عبد الجليل الذي كان له اتصال وثيق بالمذكورين وعن طريقه — إن لم تخني ذاكرتي — اطلعوا على بعض أسرار الحزب، ومنها علاقته وارتباطه الوثيق بالملك الصالح سيدي محمد الخامس، لقد اطلع السيد أحمد الحمياني على مايفكر فيه الحزب، وبلغني أنه تحمس للفكرة وقبل بارتياح المشاركة مع إخوانه في تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال نفسها وكان من أوائل الموقعين عليها.

لم يكن السيد أحمد الحمياني عضواً ملتزماً في الحزب الوطني أو في كتلة العمل الوطني ولكنه حسبها علمي كان متجاوباً مع الخط الوطني الذي يسلكه الحزب، خصوصاً أثناء المقاومة التي كان يلقاها من طرف المقيم العام الفرنسي الجنرال نويس ابتداء من سنة 1937 كان سي أحمد الحمياني عضواً بارزاً في جمعية قدماء تلامذة ثانوية المولى إدريس بفاس وكان لهذه الجمعية نشاط ملحوظ في الميدان الثقافي والتعليمي بصفة خاصة، وكنا نسمع أنها تتقدم أحياناً ببعض المطالب للدوائر المسؤولة فيما يتعلق بنشر وإصلاح التعليم، ولما جاءت سنة 1944 كان الحمياني من الأعضاء الذين قدموا وثيقة المطالبة بالاستقلال لجلالة محمد الخامس، وكان يترأس الوفد الذي قدمها الأمين العام للحزب المرحوم الأستاذ أحمد بلالفرج، وائر الأحداث التي وقعت بفاس في 30 يناير 1944 وما بعدها كان من جملة المعتقلين السيد أحمد الحمياني فسجن ببرج النور بفاس الذي مكث فيه أربعة أشهر ونصف، ثم وقع نقله ومن كان معه من إخوانه إلى سجن العدير الذي بقي فيه إلى سنة 1945 هـ.

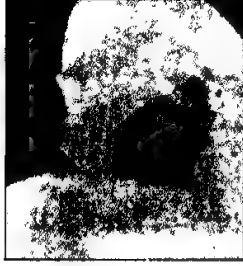
وبعد خروجه من السجن، صار يساهم مع الحزب في بعض النشاطات السياسية التي كان منها سفره مع الحاج عمر بن عبد الجليل وعبد الكريم بن جلون إلى باريس للتعريف بالقضية الوطنية والدفاع عن نظرية الحزب في المطالبة بالاستقلال، فكانت لقاءاته وإخوانه المذكورين مع بعض المسؤولين الفرنسيين لقاءات مثمرة، وضحت الأهداف التي يسعى لها الحزب في مطالبته بالاستقلال.

وبعد تحقيق الاستقلال تولى سي أحمد الحمياني عدة مسؤوليات في الدولة، فعين وزيراً للداخلية سنة 1956 ورئيساً للمجلس الأعلى للقضاء سنة 1957 ثم عين مديراً عاماً للديوان الملكي سنة 1959؛ وأثناء توليه المديرية العامة للديوان الملكي وقع الانفصال داخل الحزب، وحدثت خلافات في المجلس الوطني الاستشاري أحطنا صاحب الجلالة محمد الخامس بها علماً، فتلقيت منه رسالة كمدير للديوان الملكي يخبرني فيها بأن جلالة الملك أحيط علماً بما وقع في المجلس وأنه أعزه الله يوصي بالاستمسك بالتماسك والوحدة والتعاون.

ازداد سي أحمد الحمياني بفاس في 14 دجنبر سنة 1909 وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بها، ثم التحق بمعهد الدروس العليا بالرباط بقسم الدراسات القانونية والادارية، وعين أولاً كاتباً بالقصر الملكي ثم كاتباً للضبط بالمحكمة، واشتغل بالمحاماة في بعض مراحل حياته، كما انتخب عضواً بالمجلس البلدي بفاس، وبعدما أُحيل على التقاعد، تعاطى للفلاحة، ولازال وفقه الله يتابع باهتمام ونشاط حقله الفلاحي أعانه الله.

(50) السيد محمد الفاسي

الأستاذ محمد الفاسي من أسرة بني الجند الفهرية الأندلسية، ووالده السيد عبد الواحد بن عبد الرحمان الفاسي، ازداد بفاس عام 1326 هجرية الموافق 2 شتنبر 1908 ميلادية توفي الوالد المذكور عام 1911 م. وسنُّ محمد الفاسي ثلاث سنوات، فنشأ يتيماً في حضن عمه السيد المهدي الفاسي والد زوجته السيدة مالكة الفاسية التي تزوج بها عام 1935. دخل الكتاب القرآني مثل بقية أترابه ثم انتقل إلى مدرسة أبناء الأعيان الابتدائية ثم المدرسة الادريسية



الثانوية، وأكمل دراسته العليا بباريز حيث حصل فيها أولاً على البكلوريا الفرنسية، ويقول انه هو أول طالب مغربي نال البكلوريا من فرنسا، وفي فرنسا حصل على شهادة الليسانس في الأدب سنة 1932، ثم على دبلوم مدرسة اللغات الشرقية، وفي سنة 1934 حصل على دبلوم الدراسات العليا، وكان يتيهاً للحصول على الدكتوراه في جامعة السوربون بالأطروحة التي حررها في موضوع الرحلة في الأدب العربي، ومن إنتاجه في موضوع الرحلات : الوزير بن عثمان ورحلته. وحقق رحلة العبدري، وكان اسم العبدري هو اسمه الرمزي في الجماعة السرية للحزب الوطني المسماة (بالطائفة) كما نشر الرحلة العياشية والرحلة الناصرية. وأثناء وجوده بفرنسا أيام الدراسة من سنة 1927 إلى سنة 1934 ساهم في تحرير مجلة «مغرب» الفرنسية التي كان يشرف عليها المرحوم بلافريج والمحامي الفرنسي (بييرجان لونكي) ولدى صدور الظهير البربري سنة 1930 ساهم في النشرة أو الكتيب الذي شرح أبعاد ومقاصد الظهير البربري والذي سمي (عاصفة على المغرب) والذي وقع باسم : مسلم بربري. ولدى عزم طلبة المغرب العربي على تأسيس جمعية تضم شملهم في فرنسا، كان من المؤسسين لجمعية طلبة شمال

إفريقيا المسلمين التي ترأسها ثلاث مرات، مثل ماتولى خلافة الرئاسة مرة واحدة، وخلال توليه رئاسة هذه الجمعية وجّه لي توكيلاً عاماً كممثل للجمعية بالمغرب، كما تلقيت منه خطاباً يشكرني فيه مع إخواني وطني سلا عندما وجهنا للجمعية رسالة تضامن لدى انعقاد مؤتمر لطلبة شمال إفريقيا كان الفرنسيون منعوا انعقاده بالمغرب، فانعقد ببافيس.

لقد عرفت محمد الفاسي سنة 1933 أو 1934، ومنذ ذلك التاريخ بقيت صداقتنا تتوثق كلما زدنا معرفة ببعضنا، واستمرت هذه الصداقة إلى أن لقي ربّه. ولقد كان اتصالي بمحمد الفاسي يدخل في نطاق العلاقات الثقافية والارتباطات الوطنية، وكنت أنصت لمحاضراته التي كان يلقيها في النادي الأدبي الاسلامي السلوي في الموضوعات التاريخية والأدبية كحديثه عن ابن بطوطة وأحاديثه المتعددة عن بعض الشخصيات الأدبية والشاعرية في العصر المرابطي والموحدي مثلاً كما كنت أتابع ما كان ينشره في مجلة (المغرب) لمحمد صالح ميسة الجزائري وما كان ينشره في ملحق (المغرب) الثقافي للمرحوم سعيد حجي، وفي هذه الفترة من الثلاثينيات توثقت علاقاتنا إلى حد بعيد، ولدى خروجي من السجن في أكتوبر سنة 1938 توالى اجتماعاتنا في دائرة (الطائفة)، وقرب إعلان الحرب العالمية الثانية قررت الطائفة تكوين لجنة تنفيذية مؤقتة للحزب الوطني كان سعيد حجي والفقيه غازي والحاج أحمد الشرقاوي وأبو بكر القادري هم أعضاؤها، ومن هذه اللجنة وبقرار جماعي منها تقرر موقف الحزب الوطني المؤيد للحلفاء والمناهض للنازية. وعندما عينه جلالة محمد الخامس أستاذاً بالمعهد المولوي سنة 1941 أصبح مع الأيام يحتل مركزاً عنده، لا باعتباره أستاذاً لولي العهد وشقيقه مولاي عبد الله فحسب، ولكن باعتباره شخصية وطنية لها ارتباط وثيق برجال الحزب الوطني الذي ستوثق علاقاته مع الملك المنعم ليقرر معه المطالبة بالاستقلال سنة 1944.

لم يكن الكثيرون يعلمون أن محمد الفاسي شخصية سياسية وطنية مسؤولة في الحزب الوطني، وإنما كانوا يعرفون أنه شخصية مثقفة عالمة نشيطة في مجال الكتابة والتدريس ولكن صاحب الجلالة عندما عينه مديراً لجامعة القرويين ليدخل عليها بعض التنظيمات العصرية التي كانت في أشد الحاجة إليها، كان يرى فيه كذلك الشخصية الوطنية التي ستقوم ببعض المهام الكبرى السياسية كقضية التحضير للمطالبة بالاستقلال.

لقد لعب الفاسي دوراً هاماً في ربط العلاقات وتوثيقها مع محمد الخامس، وكان الوسيط الثقة التي حقق الله على يده ارتباط الحزب الوطني وحزب الاستقلال بالعرش المغربي والجالس عليه محمد الخامس، وبوريث سره جلالة الحسن الثاني ذلك الارتباط

الذي لم تؤثر فيه ولا تؤثر فيه إن شاء الله أية عواصف كيفما كانت طوال فترة الحماية، وفي السنوات الأولى لفترة الاستقلال، بقي الفاسي يلعب دوره السياسي كعضو في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، وعندما تولى أوائل الاستقلال مسؤولية وزارة التربية الوطنية ورئاسة الجامعة المغربية بالرباط ووزارة الثقافة والشباب بقي في الوقت نفسه مسؤولاً في اللجنة التنفيذية، ولم يتخل عن هذه المسؤولية إلا في فترة دخول حزب الاستقلال في المعارضة، فهناك بقي اهتمامه منصباً على القضايا الثقافية والفكرية مضافة إلى ما كانت تسند إليه من مهمات في الدولة.

كان الفاسي من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وإن لم يظهر اسمه واضحاً في صورة الوثيقة المعلنة، نظراً للمهمة التي كانت مسندة إليه في الاتصال السري بجلالة الملك المنعم حتى لا يطلع الفرنسيون على سرية المهمة التي كان يقوم بها، ولكن الفرنسيين بالرغم من ذلك ألقوا عليه القبض ضمن المقبوض عليهم من أصدقائه في فاس أمثال : عبد الكبير بن المهدي الفاسي، ومحمد الأغزاوي، أحمد الحمياني، أحمد بن سودة، علي العراقي، محمد بن سودة، عبد الوهاب الفاسي، محمد الزغاري، أحمد ابا حنيني، ج عبد القادر العليج. فقصوا في الاعتقال مدة في سجن برج النور بفاس وقضوا فترة أطول منها بسجن العدير. وأسجل هنا أن الفاسي كان ترأس وفداً من علماء القرويين، وقصدوا جميعهم القصر الملكي ليعلنوا تضامن العلماء مع حزب الاستقلال في مطالبته بالاستقلال، وأن الفاسي ألقى كلمة مؤثرة أمام جلالة الملك، أجاب عنها جلالته بقوله : (يسرني أن أرى رجال التعليم بالقرويين يعيشون أحداث البلاد، ويدلون فيها بأرائهم وفتاواهم، ونحن عشنا في بلادنا أحراراً، والتاريخ لا بد أن يعيد نفسه). ويجب أن أسجل كذلك أن هذا الوفد من العلماء، كان متكباً من الشيوخ الآتية أسماؤهم :

- (1) السيد الحسن مزور
- (2) السيد العربي الحريشي
- (3) السيد محمد بن عبد الرحمان العراقي
- (4) السيد عبد الكريم الداودي
- (5) مولاي أحمد الشبيبي
- (6) السيد عبد الوهاب الفاسي
- (7) السيد عبد الله الداودي
- (8) السيد الحاج أحمد بنشقرون

لم يكن الفاسي أثناء تعاويه للسياسة يظهر بمظهر الزعيم السياسي، بل كانت تغلب عليه النشاطات الثقافية من كتابات أدبية وتاريخية وتسيير للمؤسسات الثقافية كإدارة جامعة القرويين، وأشار بهذه المناسبة أن بعض الشخصيات الحزبية كانت تعيش تحت الظل، فلم يكن الكثيرون يعلمون شيئاً عن نشاطاتهم السياسية السرية، وذلك أمثال مسعود الشيكرو وعبد الكبير بن حفيظ الفاسي ومحمد الدزيري وغيرهم، ولذلك فإن الإدارة الفرنسية فوجئت عندما وجدت بعض الشخصيات موقعة على وثيقة الاستقلال رغم أنها لم تكن تعرف عن نشاطها السياسي أي شيء، وكان الفاسي من جملة هؤلاء.

لقد أخذ النشاط الثقافي للفاسي الحيز الأكبر من وقته، فكانت اهتماماته الثقافية متعددة الأشكال والألوان، فاهتم كما قلت سلفاً بالرحلات في الأدب العربي منذ أن كان طالباً بفرنسا حيث تقدم لامتحان دبلوم الدراسات العليا بكتابة موضوع : (رحلة محمد بن عثمان المكناسي الحجازية) وحقق رحلة العبدري وكتب الكثير عن بعض الأدباء والشعراء في التاريخ المغربي ابتداء من عهد المرابطين واهتم بالملحون، ونسخ الكثير من قصائده ثم طبعها في المعلمة الخاصة بالملحون واهتم بالأدب الشعبي ونشر في كتيب صغير الحجم (رباعيات نساء فاس) وجمع الكثير من الأمثال المغربية يقال إنها بلغت خمسة آلاف مثل، وله كتاب مخطوط عنوانه : (الأمثال المغربية باللغة العامية والمغربية) واهتم بالأدب الأمازيغي وألف فيه كتاباً يدور حول أغاني قبائل الأطلس، ووضع كتاباً في النحو البربري وقاموساً يتعلق بوضع الكلمة البربرية وشرحها باللغة العربية أو الفرنسية إلى غير ذلك من الأبحاث والدراسات التي نامل أن ترى النور، ويخرجها أبناؤه إلى الوجود.

لقد كان الفاسي نشيطاً في كل هذه المجالات سواء قبل الاستقلال أو بعد الاستقلال وهذا النشاط الثقافي هو الذي رشحه لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وللمجمع العلمي في العراق ولأكاديمية المملكة المغربية وفي المجلس التنفيذي لليونيسكو ولنيه الدكتوراة الفخرية من جامعة لاغوس بنجيريا إلى غير ذلك.

كان الفاسي كثير الأسفار، مشاركاً فعلياً في الكثير من المؤتمرات والاجتماعات الثقافية في كثير من الأقطار الأوروبية والأمريكية والآسيوية والأفريقية، ولقد ذكر في بعض ماكتبه : (أنه بمناسبة اجتماع المجلس الإداري للجمعية الدولية للجامعات بسيدني (استراليا) سافر من الرباط إلى باريس فيفروت فطهران وكابل وإسلام آباد وكالكوفا وراونكون وفنوم بيته وسنغافورة وكوالا لامبور ثم جاكارتا (التي نال منها الدكتوراة الفخرية) ثم سيدني ثم رجع بجزر المحيط الهادي : (نوميا، باكوباكو، وهوتولولو، ومن

ثم قصد لوس انجلس ثم نيويورك ثم ريجافيك عاصمة إيسلاندا فباريس فالرباط ودامت هذه الرحلة شهراً كاملاً).

والحديث عن الأستاذ الفاسي يطول ويطول، وآمل إن شاء الله أن أكتب عنه كتاباً أتعرض فيه لبعض الجوانب والأعمال التي لم يمكنني أن أتعرض إليها الآن) توفي في دجنبر 1991، رحم الله الفاسي وأجزل له الثواب⁽¹⁴⁾.

51) السيد قاسم الزهيري



قد يكون قاسم الزهيري من القلائل الذين تعرفت عليهم معرفة أخوة وصداقة منذ الصغر. فلقد عرفته أولاً تلميذاً من التلاميذ النابهين المتعطشين إلى المعرفة والأدب عندما كان يلتحق بالمكتب الإسلامي بالزاوية القادرية بمناسبة عطلة الصيف، هو وكثير من رفقائه العديدين الذين كانت تربطني بهم رابطة روحية. لم تنفصم عراها طوال السنين والأعوام، وعرفته وهو يتعاطى دروسه في كوليج مولاي يوسف بالرباط، وعرفته وهو يتعاطى الصحافة من صغره، عندما كان

يوقع بعض ما يكتبه بتوقيع «تلميذ» وعرفته وهو عضو أساسي في جمعية المحافظة على القرآن الكريم ويقوم بمهمة كتابة محاضر جلساتها، وعرفته وهو لازال شاباً في السادسة عشرة من عمره، عندما دخل إلى السجن مع جماعة من إخواننا الذين عبروا عن فرحتهم بإطلاق سراحني أنا والأخ محمد البقالي في قصة فتحي لفرع المدرسة النهضة التي شرحتها في كتابي : (قصة النهضة) وعرفته وهو عضو نشيط في الحزب الوطني (فرع سلا) وبالأخص في خلية (فتح) التي كانت تضم نخبة مختارة من شباب سلا الوطني، وفي جبهة النهوض التي كان هو والمرحوم عبد الرحمان بن عبد النبي من خيرة أعضائها، وعرفته وهو عضو نشيط في النادي الأدبي الإسلامي السلوي، وعرفته وهو من أصغر الكتاب في جريدة «المغرب» التي أصدرها المرحوم سعيد حججي أواسط الثلاثينات، وعرفته وهو ملتحق بالطائفة أي الجناح السري الخاص للحزب الوطني ثم في حزب الاستقلال الذي كان من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر

(14) راجع ما كتبه عنه في الجزء السادس من (رجال عرفتهم).

يناير 1944 ومن الذين قادوا مظاهرة 29 يناير عامه بجانب المرحوم عبد الرحيم بوعبيد وإخوانه الأشداء، وعرفته في السجن عام 1944 ثم في السجن عام 1952، عندما قضينا في هاتين السجنتين ما يقرب من أربع سنوات، وعرفته رئيساً لتحرير جريدة «العلم» وقبلها رئيساً لتحرير جريدة «المغرب» بعد وفاة مؤسسها السعيد حجي رحمه الله وعرفته كاتباً لامعاً من صغره، يحرر المقالات المتتابعة بقلمه السيل، وروحه الوطنية الصافية، ويحرر بعض التقارير التي يكلفه بتحريرها حزب الاستقلال، ومن جعلتها على ما أذكر تقرير هام عن أحداث 1951 التي كان الصراع فيها بيننا وبين الجنرال كيوم على أشده، والذي وجهناه إلى الزعيم علال حيث كان مقيماً إذ ذاك بطنجة، فعمد على نشره بأوسع ما يمكن، وكان له وقع وتأثيره الشديد في الأوساط العربية، وكان الزعيم علال قدّم إلى المحاكمة بطنجة من أجل المعلومات التي وردت في ذلك التقرير وعرفته وهو يحضر معنا في اللجنة التنفيذية ككاتب من الكتاب، ثم كعضو فيها بعد الاستقلال، وفي كل هذه الفترات القديمة والحديثة التي عرفته فيها كان قاسم الزهيري مثال الوطني الصادق في وطنيته، المخلص في عقيدته، المتمسك بعري أخوته وصداقته، لا ينفك عنهما، ولا ينفك عنهما.

لقد أعطى العهد على الوفاء والاخلاص لدينه ووطنه فوفى به، ولقد ناضل وتحمل المتاعب والسجون فما ترحزح عن مبادئه وعقيدته.

ازداد قاسم الزهيري سنة 1920، وتابع دراسته بمدرسة أبناء الأعيان، واستفاد الاستفادة الكبرى في دروسه العربية من أستاذه اللامع الشاعر عبد الرحمان حجي، وانتقل إلى المدرسة اليوسفية بالرباط فدرس على أساتذتها اللامعين، ولما حصل على شهادة دبلوم الدراسة الثانوية الذي كان بمنزلة البكالوريا، تابع دراسته بمعهد الدروس العليا بالرباط في مادتي الأدب والتاريخ، ومنذ صغره تركزت فيه الروح الوطنية، فكان من شباب الحزب الوطني النشيطين، ومن أعضاء حزب الاستقلال المسؤولين، ومن الذين وقعوا على وثيقة الاستقلال، وتحملوا المسؤولية سواء في نطاق فرع الحزب بسلا أو في نطاق المجلس الأعلى للحزب أو في نطاق مسؤولية تحرير جريدة العلم الغراء، تعاطى مهنة الصحافة من صغره، وخضع له القلم، فكان يحرر بسهولة مايكتبه من مقالات، واستفاد من مطالعته في مطلع شبابه، وتأثر بما كان يكتبه فطاحل الكتاب الأدباء في مصر، ومنهم الكاتب الفذ، طه حسين، حيث كان يقلده في فترة من فترات حياته، ولازلت أذكر أنه وهو في مطلع شبابه كتب كلمة في تأييد أحد أصدقائه فقال عنه مقلداً أسلوب طه حسين : (كان يجيء ويجيء، ويعاتب من لا يجيء) وفي فترة من

فترات حياته انتقل إلى مدينة الجديدة، فتولى إدارة مدرسة التهذيب التي كان من جملة مؤسسيها الأساسيين المرحوم قاسم العراقي، وأسندت إليه كذلك كتابة فرع الحزب هناك.

وخلال نشاطه الوطني المتتابع تعرض للسجن في سنة 1944 فمكث فيه أزيد من عشرين شهراً، قضاها مع إخوانه : محمد البقالي، أبو بكر القادري، عبد الرحيم بوعبيد في كل من سجن الرباط والدار البيضاء، والعدير، وفي أحداث سنة 1952 كان من المعتقلين فنفي أولاً إلى (أنزي) بالجنوب المغربي ثم نقل إلى سجن الدار البيضاء بعد ماقضى خمسة عشر يوماً بكوميسارية المعارف، وأحيل معنا على المحكمة العسكرية بتهمة التآمر ضد الأمن الداخلي والخارجي للدولة، ثم وقع نقله مع إخوانه إلى سجن (ستترال) بالقنيطرة، وفي كل هذه الفترات السجنية كان مثال الوطني الثابت على المبدأ، الصّامد أمام الأعداء المتربصين بالمغرب

وبعد الاستقلال عيّن عضواً باللجنة التنفيذية للحزب، وأثناء التحضير للانفصال من قبل بعض أعضاء الحزب، واتخاذ قرار عقد مؤتمر الحزب، وتكوين لجنة تحضيرية تعمل في جو هادئ وجدي لتهيء انعقاد المؤتمر، كان قاسم الزهيري من الأعضاء الأربعة الذين وقع عليهم الاختيار لتحضير المؤتمر، أما الثلاثة الآخرون فهم : محمد منصور والدكتور محمد بناني ومحمد عبد الرزاق ولست متحققاً من هذا الأخير.

في الفترات الأولى للاستقلال، أسندت إليه مهمة مدير عام للإذاعة الوطنية، ثم عينه صاحب الجلالة محمد الخامس، سفيراً للمغرب بالسينغال سنة 1961، ثم عينه جلالة الحسن الثاني مندوباً لدى الأمم المتحدة بيوغوسلافيا بالجزائر فالجامعة العربية، ثم مديراً بجنيف (سويسرا) ثم قائماً بمهمة في الديوان الملكي، فوزيراً للتعليم الثانوي والتقني ثم سفيراً في كل من موريطانيا والصين فأميناً عاملاً مساعداً لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، وهو من السفراء المغاربة القلائل الذين كتبوا مذكرات عن البلدان التي قاموا بمهمة السفارة فيها، فله كتاب بعنوان (مذكرات ديبلوماسي) عن موريطانيا. وألف كتابين عن جلالة محمد الخامس أولهما تحت عنوان : محمد الخامس الملك البطل، وثانيهما : (مفخرة الدولة العلوية)، كما سبق له أن ترجم كتاب (ذهب سوس) ولازال يتابع نشاطه في الكتابة والبحث والمقالات التي ينشرها في بعض الصحف الوطنية. حفظه الله وأعانه.

52) السيد عبد الله إبراهيم



لست أدري بالضبط اليوم الذي تعرفت فيه على الأخ عبد الله إبراهيم، ولكنني أتذكر أنني زرت مدينة مراكش صحبة المرحوم الصديق سعيد حجي في سنة 1936 وكانت مجلة المغرب الجديد، دعت إلى إحياء ذكرى مراكش بمناسبة مرور تسعة قرون على تأسيسها، وكنت تواقاً إلى التعرف عليها وعلى معالمها ومثقفها ووطنيتها وشبابها الناهض.

كان عبد الله إبراهيم من أبرز الشخصيات الشابة المتقدمة حماساً وحيوية ونشاطاً في المجالين : الثقافي

والوطني، وكان استقباله لنا أنا والمرحوم السعيد حجي ينم عن روحه الطيبة، وإخلاصه العميق، وتطلعه لكسب الإخوة والأصدقاء الذين يردون على مراكش ليصبحوا من أصدقائه ورفقائه والمتعاونين معه في مختلف المجالات الأدبية والوطنية. وكان مقامه إذ ذاك في مراكش مقام الرائد للشباب الذين يذكرونه بالثناء والتقدير والإعجاب. وان أنس فلا أنسى أنه طاف معنا وبجانبتنا في مراكش، يطلعنا على معالمها التاريخية، ويتحدث إلينا بلهجته المراكشية، وينكاته المستملحة، مستدلاً ببعض الآيات الشعرية، من شعراء قدامى ومحدثين، ولازلت أذكر كيف كانت زيارتنا لضريح القاضي عياض الذي قيل عنه (لولا عياض ما ذكر المغرب) إلى غير ذلك من الذكريات التي لا ينسها مرور الزمان.

كان اسم عبد الله إبراهيم معروفاً في الأوساط الثقافية والوطنية، وكان بروزه ظاهراً للعيان منذ شبابه المبكر. لقد برزت شخصية عبد الله إبراهيم منذ أن كان طالباً بكلية ابن يوسف حيث نال منها شهادة العالمية، وبرزت شخصيته الوطنية عندما التف الشباب الوطني المراكشي عليه كقائد من قواده، وبرزت شخصيته الثقافية عندما صار يحرر المقالات والأبحاث الأدبية والتاريخية التي كانت تعبر التعبير الحقيقي عن تكوينه الثقافي العام، واعتكافه على المطالعة الجادة الممتعة، وكنت أتابع بعض ما يكتبه في الثلاثينات سواء في المغرب الجديد الذي كتب فيه من جملة ما كتب بتاريخ يونيو 1936 بحثاً عن الحركة الصوفية بالمغرب، كان موفقاً فيه غاية التوفيق، ومطلعاً غاية الاطلاع، كما نشر (في ملحق المغرب) للثقافة بحثاً قيماً بتاريخ نونبر 1938 عن العرش المغربي من خلال القرون، وبحثاً آخر حول الثقافة المغربية، تساءل فيه عن معنى الثقافة، وماذا تكون

الصفات العامة لها ؟ ومما قرأته له إذ ذاك قصة قصيرة كان عنوانها : (عذراء المرية) إلى غير ذلك من المقالات والأبحاث التي كان يحررها وهو لازال في مطلع الشباب، الأمر الذي جعل الشباب خصوصاً والمثقفين عموماً ينظرون إلى عبد الله إبراهيم كشاب لامع، أنجبت مدينته مراكش ليعطي صورة مشرقة عن الشباب الحلي المتوثب.

وتابع مولاي عبد الله إبراهيم دراساته العميقة، وأبت عليه همته أن يكتفي بدراساته العربية، فتعاطى لتعلم اللغة الفرنسية، وما جاءت سنة 1946 بعد أحداث 1944 التي تقدمنا فيها بوثيقة المطالبة بالاستقلال، حتى ذهب إلى باريس ليتابع دراسته الفرنسية بجامعة السوربون، وهناك وجد المجال فسيحاً للزيادة في معلوماته العامة، ولتعمق في الدراسات المذهبية المعاصرة التي برز فيها كمفكر من المفكرين الذين لهم آراؤهم الخاصة، الناتجة عن تأملاتهم وكثرة مطالعاتهم.

واشتغال عبد الله إبراهيم بالدراسات الأدبية والثقافية والتاريخية، لم يمنعه من اهتماماته المتواصلة بقضية وطنه والعمل على تحريره من ربة الاستعمار، فلقد عرفته منذ الثلاثينات إلى أن ظفر المغرب باستقلاله مناضلاً صلباً، ووطنياً مخلصاً في جميع أطوار حياته سواء وهو أحد المسؤولين الأساسيين في مراكش عن فرع الحزب الوطني، ثم حزب الاستقلال. أو عندما انضم إلى إخوانه المسؤولين المركزيين في حزب الاستقلال، ولقد ذاق من المحن والآلام والمتاعب الشيء الكثير.

لقد كان من جملة الذين وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 ومن الذين كافحوا الاستعمار والاقطاع في مراكش التي كانت معقل الاقطاعي الكبير الحاج التهامي الكلاوي باشا مراكش ومقيمها الأسمر، كما كانت تصفه جريدة «الأطلس» وكل الانتفاضات التي وقعت بمراكش سواء في الثلاثينيات والأربعينيات أو الخمسينيات كان عبد الله إبراهيم أبرز القائمين عليها. وأثناء وجوده بفرنسا أواخر الأربعينيات كان له دور هام في الاتصال بالطلبة الاستقلاليين وتكوينهم وتوجيههم، وفي المشاركة الفعلية في المؤتمرات والندوات التي كانت تعقد هناك لفضح ما كان يرتكبه الاستعمار من أعمال ومظالم وانتهاكات وعندما انتظم أول اجتماع لقيادة الأمم المتحدة كان عبد الله إبراهيم يأخذ مكانه بجانب الأعضاء المشاركين من بعض الدول العربية كعضو منهم ليدافع عن قضية بلاده.

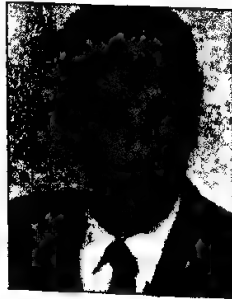
ولدى أحداث ثامن ديسمبر 1952 إثر القرار الذي اتخذته اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال في تنظيم الإضراب العام بالمغرب تضامناً مع تونس الشقيقة التي اغتالت جمعية

الوجود الفرنسي الزعيم النقابي فرحات حشاد، تكلف عبد الله إبراهيم بالسفر إلى الدار البيضاء لتنظيم الإضراب العام من لدن الطبقة الشغيلة التي كان لها دور هام في مكافحة المخططات الاستعمارية، بتنظيمها لحركة الإضراب العام في مختلف المعامل. وإثر هذا الإضراب الناجع، كان عبد الله بن إبراهيم من جملة المعتقلين ف قضى مدة بكميسارية الدار البيضاء حيث ذاق من العذاب ألواناً ثم قدم إلى المحكمة العسكرية بتهمة المساس بالأمن العام الداخلي والخارجي.

وبعد إطلاق سراحه هو وإخوانه رجال حزب الاستقلال، وبعد تحقيق الاستقلال عين وزيراً للأبناء، ثم عين وزيراً أولاً بعد استقالة حكومة بلافيج وأثناء توليه مسؤولية الوزارة الأولى وقع انفصال بعض الجماعات من حزب الاستقلال كان على رأسها عبد الله إبراهيم ليكون مع الذين انفصلوا وأسسوا الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي لازال يرأسه لحد الآن.

يعتبر مولاي عبد الله إبراهيم من القادة الوطنيين الصادقين في وطنيتهم، الثابتين الصامدين في كل ظروف حياتهم، فلم يتزعزع عن كفاحه الوطني مهما كانت الظروف والملايسات، ولازال في معمعة الكفاح يصدع بالرأي الذي يراه صواباً، مهما كان اختلافه مع إخوانه الذين سار معهم وساروا معه. وفقه الله وأثابه.

53) السيد عمر بنشمسي



نشطت الحركة الاستقلالية بمكناس نشاطاً طيباً في أواخر الأربعينيات، وكان تسيير الحركة في يد شخصيتين وطنيتين بذلتا جهداً هاماً في التنشيط والتنظيم، فمن جهة كان المرحوم السيد محمد بن احمد الديغوسي، يقوم بمجهود جهيد في تسيير فروع الحزب بمكناس ونواحيها في الأطلس المتوسط، مثل خنيفرة والقباب وغيرهما، ومن جهة أخرى كان المرحوم إدريس المحمدي يقوم بدور هام في تأطير وتنظيم الاتصال مع النخبة المثقفة في مكناس وآزرو وما

يتبعهما، وزاد في أهمية نشاطه ترأسه للكشفية الحسنية التي استقطبت في عهده كثيراً من خيرة الشباب الاستقلالي في كثير من المدن المغربية، ومن الشباب الذي كان متصلاً

أكبر اتصال بالمحمدي، أذكر شخصيتين كانت لهما علاقة متينة بالمحمدي هما : مولاي المصطفى العلوي ابن العلامة السلفي السيد محمد بن العربي العلوي والسيد عمر بن شمسي الذي سأحدث عنه هذا الحديث.

لقد تعرفت على عمر بن شمسي في فترة النشاط الأربعيني، ولعله كان تولّى في تلك الفترة كتابة فرع من فروع الحزب بمكناس، فكان يقوم بدوره الوطني كشباب ملتزم، يقدر مسؤوليته الوطنية أحسن ما يكون التقدير، ويقوم بواجبه الوطني، كما يجب أن يؤدّى، وكان تعامله مع إخوانه ورفقائه في الحزب، ومنهم من سبقوه في الانخراط والتكوين كالمرحوم السيد أحمد بنشقرون المكنّي بولد النبي والمرحوم محمد بن احمد الديغوسي ومحمد بن عزو والعيساوي المسطاسي وغيرهم، تعاملوا فيه كثير من الصفاء والأخوة، وكان طبعه الهادي، وأخلاقه المرضية، ووطنيته الصادقة، كل ذلك كان يجبه إليهم، ويزيدهم تعلقاً به، والاعتماد على وطنيته وغيرته في أداء بعض المهمات الشبابية كتأسيس بعض الخلايا الوطنية والثقافية والرياضية، ولما قرر الحزب المطالبة بالاستقلال، كان عمر بن شمسي من المرشحين للتوقيع على وثيقة حادي عشر يناير 1944 من مكناس، هو والمحمدي وابن عزو والمسطاسي وأحمد بن شقرون، وغاب عني لماذا لم يكن من بينهم محمد بن احمد الديغوسي.

لم يكن اتصالي إذ ذاك بعمر بن شمسي قوياً، رغم ما كنت أسمع عنه من ثناء، ولم أتعرف عليه كثيراً إلا بعد الاستقلال عندما أسندت إليه كثير من المهمات في الدولة، خصوصاً بعدما تولى وزارة الداخلية المرحوم إدريس المحمدي الذي عينه عاملاً على أقاليم تافيلالت فأسفي فمراكش ثم فاس ثم والياً على ولاية الرباط وسلا. وخلال توليه لهذه الوظائف في كل هذه المدن كان مثال الرجل الوطني المستقيم الحريص على أداء واجبه بهدوء وسكينة ووقار وحزم، فكان الجميع يذكره بكل خير ويثني الثناء العاطر على استقامته ونبل معشره.

لقد ازداد سي عمر بن شمسي بمكناس يوم 6 يونيو 1917 في أسرة معروفة بالعلم والنبل والأخلاق، وكان والده مكلفاً ببنائات القصور الملكية بمكناس على عهد السلطان عبد العزيز ووالده الحسن الأول، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمكناس والتحق بمعهد الدروس العليا بالرباط. وشارك في الأحداث الوطنية الهامة بمكناس وفي أحداث سنة 1952 ألقى عليه القبض فنفي إلى الرشيدية ثم إلى معتقل اسول واغبالو نكردوس وهو الآن بعد إحالته على التقاعد منكباً على المطالعة والاستفادة وفقه الله وأعانه.

54) السيد محمد العيساوي المسطاسي



السيد محمد المسطاسي، عرفته من بعيد وهو شاب وطني استقلالي متحمس صادق، تأثر كثيراً بأخيه من أمه، أعني الفقيه محمد غازي أحد قادة الحركة الوطنية الأولين فاستفاد من وطنية أخيه وعلمه وتقواه، وسار على نهجه منذ شبابه.

ازداد السيد محمد المسطاسي بمكناس سنة 1918 وتلقى تعليمه الابتدائي العربي فيها وانتقل إلى المسجد الأعظم الذي كانت تعطى فيه الدروس الدينية والعربية، فدرس على أساتذتها المشهورين أمثال شيخ

الجماعة بمكناس السيد محمد بن الحسين العرايشي والسيد محمد بن عبد القادر العرايشي ومولاي رشيد المنوني ومولاي عبد الله بن الجيلاني جمعا وعلى أخيه الفقيه غازي وعلى الفقيه الوطني السيد المختار الستيسي الذي عين رئيساً للمجلس العلمي وعلى الفقيه الوطني السيد أحمد بنشقرون المكني بولد النبي.

وأثناء دراسته انخرط في سلك الطلبة الوطنيين بمكناس، وسنّه لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وعندما انتقل أخوه الفقيه غازي إلى الرباط، انتقل معه، فاغتنمها فرصة للحضور في الدروس التي كان يلقيها العلامة المحدث السيد المدني بن الحسني والعلامة المحدث الكبير الشيخ شعيب الدكالي.

وعندما انتقل الفقيه غازي إلى آسفي ليشغل فيها كوكيل شرعي انتقل معه، فصار يحضر الدروس التي كان يلقيها الفقيه سي إدريس وتعرف أثناء إقامته بآسفي على الفقيه بولحية أحد رفاق البطل الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وتأثر بشخصيته كثيراً حسبما ماذكر ذلك.

ولدى انشقاق الزعيم سيدي محمد بن الحسن الوزاني عن كتلة العمل الوطني بقي متشبهاً بأفكاره مع جماعة أخيه الفقيه غازي فكان من شباب الحزب الوطني ثم من شباب حزب الاستقلال.

ويعتبر المسطاسي من الجيل الناشئ الوطني في مكناس بعد الجيل الأول الذي كان من جملة أعضائه السادة : أحمد بنشقرون ومحمد بن احمد الديغوسي ومحمد بن المقدم بريدة ومحمد بن عزو.

شارك في مظاهرة مكناس الصاخبة التي وقعت بمكناس سنة 1937 للمطالبة بماء بوفكران، وكان من المشرفين عليها والمنظمين لها، كما شارك في الحركة الكشفية التي تولى رئاستها بعد المطالبة بالاستقلال الأستاذ إدريس المحمدي، وكان له دور في إقامة المهرجانات الدينية والوطنية، بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية وذكرى المولد النبوي وغيرهما.

وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944. دُعي المسطاسي إلى التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان سنة إذاك ستاً وعشرين سنة، فكان من الشباب الوطني السباق إلى تحمل مسؤولية المطالبة بالاستقلال، اشتغل بالتعليم، فكان يعطي دروساً ببعض المدارس الحرة، وكان من جعلتها مدرسة التهذيب بالجديدة التي كان يديرها في بعض الظروف الأستاذ قاسم الزهيري، وأواخر الخمسينات عندما قررت السلطات الاستعمارية الانتقام من حزب الاستقلال وأعضائه وأنصاره، ألقى عليه القبض هو وأخوه الوطني الصادق الأستاذ العربي المسطاسي، فسجن بسجن بويزكارن بسوس ثم نقلوه إلى سجن كوليم في باب الصحراء الذي قضى فيه ستة عشر شهراً، ثم إلى قلعة مكونة بالجنوب وأخيراً إلى معتقل اغبالو نكردوس، ولم يطلق سراحه إلا يوم 14 يوليو 1955، وبعد إعلان الاستقلال، وتعيين أخيه الفقيه غازي سفيراً للمغرب بالمملكة العربية السعودية، انتقل معه إلى السفارة ككاتب، ولم يطل مقامه بمجدة فرجع إلى المغرب، فدخل إلى سلك القضاء، حيث عمل بالمجلس الأعلى بالرباط، إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1987، حفظه الله وأعانه.

55) السيدة مالكة الفاسية

كان ذلك في الثلاثينيات حيث كنت أقرأ مقالات ممضاة باسم باحثة الحاضرة في ملحق جريدة «المغرب»، وتساءلت مع نفسي من هي هاته المرأة التي ظهرت في الميدان الصحفي وحيدة فريدة، تغلن للملا أن ميدان الصحافة لا ينبغي أن يكون حكراً على الرجال وحدهم، وأن الدعوة إلى الإصلاح والتطور، ينبغي أن يشترك فيها الرجل والمرأة على السواء. وماهي إلا فترة وجيزة حتى علمت أن تلك المرأة الفريدة إذ ذاك هي السيدة مالكة الفاسية زوجة أخيها الأستاذ



محمد الفاسي، وبنت عمه سيدي المهدي وأخت الشاب الناهض عبد الكبير بن المهدي الفاسي، وأنها بدأت كتابتها الصحفية في مجلة «المغرب» الشهرية التي كان يصدرها السيد محمد الصالح ميسة الجزائري، وتوقع مقالاتها فيها بتوقيع «الفتاة» أما التوقيع باسم باحثة الحاضرة، فكان اقتباساً من الكاتبة المصرية المشهورة التي كانت توقع باسم باحثة البادية. وشاءت الأقدار أن أتعرف على السيدة مالكة الفاسية في بيتها مع زوجها أخونا الأستاذ محمد الفاسي الذي كان يسكن إذاك قرب مسجد حسان، وكانت بعض اجتماعاتنا السرية تقع في بيته، خصوصاً بعد أن توطدت العلاقة السياسية التعاونية بيننا في الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال وبين الملك المنعم سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه، حيث كان الفاسي هو الرسول بيننا وبين محمد الخامس في كثير من الظروف. كانت السيدة مالكة الفاسية تتقد غيرة وحامساً ووطنية، وكانت العضد الأمين والمساعد الأوثق لزوجها، وكانت تتبّع النشاطات الوطنية، تتبّع المخلصين الملتزمين، وزاد نشاطها عندما انضمت — وكانت المرأة الوحيدة — إلى الطائفة وهي الجناح السري في الحزب الوطني.

كانت للامالكة الفاسية موضع ثقة من الحزب، ولذلك تُحصّت وحدها دون غيرها من النساء الوطنيات بالالتحاق بالجناح السري للحزب بعدما أقسمت اليمين على المصحف الشريف بكتّان الأسرار الوطنية السياسية، ومنها الاتصال السري والمنظم مع محمد الخامس رحمه الله، ونظراً لمكانتها دعيّت لتكون ضمن الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وإن لم يعلن عن اسمها في حينه نظراً لأنها خلال الأزمة الحادة بيننا وبين الإقامة العامة الفرنسية، واعتقال الكثيرين من قادة الحزب بقيت ضمن المسؤولين الذين يقومون ببعض النشاطات الوطنية، ومنها إسعاف المعتقلين وأسر الشهداء الذين قدموا أنفسهم ضحايا في سبيل الله وتحرير بلادهم. ومنها تبليغ بعض المعلومات لملك البلاد ورمز عزها جلالة محمد الخامس في أوقات الشدة والضيق، ولقد كانت آخر من رآه قبل نفيه يوم واحد أي عشية يوم 19 غشت 1953.

ازدادت السيدة مالكة الفاسية في شهر يونيه 1919 ودرست أولاً بدار الفقيهة (كتاب خاص بالفتيات) ثم تابعت دراستها على كثير من الأساتيد والعلماء من جملتهم العلامة سيدي عبد السلام السريغيني والشهيد الأديب السيد محمد القري وغيرهما ولما اشتدّ عودها، ونضج فكرها التحقت بإحدى خلايا الحزب الوطني، وعُهد إليها بتنظيم الحركة النسوية في دائرة الحزب، ولما تولى زوجها الأستاذ محمد الفاسي مديرية جامعة

القرويين اغتنمت بعض الفرص، وكونت وفداً نسائياً تشرف بمقابلة جلالة الملك المعظم طالباً منه أن يعطي أوامره بفتح فرع خاص للطالبات الفاسيات يكون تابعاً للقرويين فأذن نور الله ضريحه بذلك، وفتح فرع دراسي للطالبات تخرج منه بعض العالمات أمثال المرحومة الدكتورة زهور الزرقاء والأستاذة حبيبة البورقادية والأستاذة فطومة قباجة وغيرهن كثيرات.

كان نشاط اللامالكة الفاسية متعدد الجوانب فزيادة على نشاطها الوطني السياسي كانت تقوم ببعض النشاطات الاجتماعية والثقافية، وكانت من السابقات اللائي طلبن أن تحوّل المرأة المغربية حق المشاركة في الانتخابات التي تقع في المغرب، وعينت بظهير شريف ضمن اللجنة المركزية المشرفة على التعاون الوطني وساهمت في إنشاء العصبة المغربية للتربية الأساسية ومحاربة الأمية، واستحقت أن تحرز على وسام من منظمة اليونيسكو، وأسست مع جماعة من الوطنيات جمعية المواسة بالرباط لإيواء البنات اليتيمات ومن هوايتها حسبها حكّت عن نفسها تعشقها للطرب الأندلسي وأنها كانت تعزف على العود.

هذه صورة مختصرة عن هذه السيدة الوطنية الفاضلة مالكة الفاسية التي بقيت وفية كل الوفاء لزوجها في حياته وبعد وفاته، وبقيت مخلصه لوطنها وعرش بلادها الذي يتولاه الآن جلالة الحسن الثاني نصره الله ووفقه.

56) السيد محمد بلخضير



تعرفت على السيد بلخضير سنة 1943، وكان زميلاً للمرحوم أحمد بن اليمنى وأصبح صهراً له عندما تزوج ابن اليمنى أخت بلخضير.

وكانت ملاحظتي الأولى عندما عرفته أنه شاب هادئ صموت أكثر مايكون الصمت محبباً إلى الإنسان، فهو لا يتدخل في فضول، ولا يكثر من الكلام غير الضروري ويغلب على طبعه الاستقامة والجدية، ولا يباهي أو يفاخر بوطنيته، فهو وطني حر يحب بلاده، ويقدر تمام التقدير رجال الحركة الوطنية

الأولين، ومنهم الفقيه محمد غازي الذي قضى مدة في آسفي كوكيل شرعي في المحكمة الشرعية.

وعندما استقر به المقام في سلا، وعرفت فيه الصفات التي ذكرت، اقترحت على إخواني في جماعة (فتح)، وهي الخلية الأساسية في سلا التي كان يعقد عليها كثير من الآمال، ومن جملة أفرادها الاخوة : محمد البقالي وقاسم الزهيري وعبد الرحيم بوعبيد وأحمد بن اليمنى، فقبل الاقتراح وانخرط محمد بلخضير معنا في جماعة (فتح) وعندما كنا نتهياً لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، ونبحث عن الأشخاص المؤهلين للتوقيع عليها، اقترحت أن يكون محمد بلخضير من جملة الموقعين عن مدينة آسفي، لأنه متوفر على جميع الشروط التي تؤهله لهذا التشريف، خصوصاً وكان الوحيد الذي سيوقع من آسفي والذي يسكن عملياً في مدينة آسفي، هو الشيخ عبد السلام المستاري مضافاً إلى الحاج محمد البوعمراني الذي وإن لم يكن ساكناً بآسفي إذ ذاك، فإنه آسفي المنبت والمنشأ والتكوين.

وهكذا أضيف إلى الاثنين المذكورين : عبد السلام المستاري والبوعمراني السيد محمد بن الخضير، فوقع على الوثيقة بدوره وكان ثالث اثنين من مدينة آسفي الذين وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

ازداد السيد محمد بلخضير في مدينة آسفي سنة 1920 وبها درس دروسه الابتدائية ثم انتقل إلى كوليج مولاي يوسف بالرباط، فانخرط في سلك قسم المعلمين الذي تخرج منه المرحوم ابن اليمنى والمرحوم عبد الرحيم بوعبيد، وبعد حصوله على الإجازة في الرياضيات، اشتغل بالتدريس كمعلم في المدرسة الابتدائية مثل ما كان بن اليمنى، وبوعبيد ويونس نكروف رحمهم الله جميعاً.

وبعد توقيعه على وثيقة الاستقلال حاولت السلطات الاستعمارية زعزعة عن موقفه الراض للحماية، ولكنها وجدته رجلاً وطنياً صلباً لا يمكن أن ينكص على عقبيه، فاستقال من وظيفة التعليم، وتعاطى للعمل الحر كمساعد لوالده الذي كان يشرف على تنظيم المواصلات بين آسفي وغيرها بواسطة الحافلات الكبيرة.

وأثناء تواجده بآسفي انتخب كاتباً لفرع الحزب بآسفي، ثم عين عضواً بالمجلس الأعلى للحزب، وكان له دور في مساندة التعليم الحر بآسفي حيث صار يعطي دروساً في الرياضيات لتلامذة مدرسة الهداية.

وأثناء أزمة سنة 1952 أُلقي عليه القبض وسجن بسجن علي أو من مدة ثلاثة أشهر، وبعد نفي محمد الخامس وقيام حركة الاحتجاج ضد هذا النفي الاجرامي أُلقي عليه القبض مرة أخرى، وحكم عليه بسنة سجناً قضاها في سجون الصويرة والرباط

وعين علي أومن، وبعد الاستقلال عيّن باشا على مدينة آسفي ليعود بعد ذلك إلى ممارسة أعماله الحرة.

والسيد محمد بن الخضر من المولعين بالطرب الأندلسي والمهتمين بجمع أشعاره وأسطواناته وكاسيتاته المسجلة فيها أنغامه وطبوعاته وكثيرا ما كان يقيم في بيته سهرات تشارك فيها الأجواق المغربية الهامة، ومن جملتها جوق الفقيد عبد الكريم الرايس رحمه الله.

ولازال لحد الآن محل الاعتبار والتقدير من إخوانه في الحزب ومن جميع سكان مدينة آسفي، حفظه الله ورعاه.

(57) السيد الهاشمي الفيلالي



لم أتعرف على الأستاذ الهاشمي الفلالي إلا في أوائل الثلاثينيات، وإن كان بعض إخواني الذين سبقوني في الحقل الوطني والثقافي تعرفوا عليه أواخر العشرينات، فلقد كان له اتصال بجمعية «الوداد» السرية التي تحدثت عنها في الجزء الأول من مذكراتي، والتي كان من المؤسسين الأساسيين لها، السادة : محمد بن بوبكر اشماعو والسعيد حجي والصادق بن العربي ومصطفى الغربي الرباطي، والتي كان لها نشاط ملحوظ في الميدان الوطني والثقافي والصحفي.

لقد سمعت الحديث عن الأخ الهاشمي أولا من بعض هؤلاء الإخوة الذين ذكرت أسماءهم وبالأخص من المرحوم سعيد حجي الذي كانت له مراسلات متعددة مع الهاشمي الفلالي سواء أثناء وجود السعيد بالمغرب، أو حتى أثناء سفره إلى الشرق العربي. وأثناء اتصالي ببعض الاخوان الوطنيين بفاس مثل الحاج عمر بن عبد الجليل والزعيم علال الفاسي وآخرين كثيرين، كان الهاشمي-الفيلالي من البارزين الذين اتصلت بهم وزرتهم في بيتهم، وأذكر أنني زرت ذات مرة الهاشمي الفلالي في بيته فوجدته مفتوحاً على مصراعيه للطلبة، وكتبه جميعها معدة ليستفيدوا منها، وهو يستقبل الجميع بصدر رحب، وترحاب كبير.

وتقوت الاتصالات بيننا منذ ذلك الحين، وبقيت العلاقات تتوطد، والأخوة تتقوى وتزايد إلى حد كتابة هذه السطور.

الزائر الوطني لفاس، لا بد أن تطرق سمعه أسماء عمد الحركة الوطنية فيها وفي طليعتهم الزعيم علال الفاسي والزعيم محمد بن الحسن الوزاني والهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن إدريس وبوشتي الجامعي. لقد كان اسم الهاشمي الفيلالي يذكر في محافل كل الوطنيين العاملين المجدين المضحين، فتجد الحديث عنه لدى طلبة القرويين ولدى التجار المتوسطين ولدى الصناع المحترفين، والكل يقول :

ان الهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن إدريس التوأمان الوطنيان، وهما أنفسهما للوطن والوطنية، وللنضال وللتضحية، ووقعت أحداث وأحداث، وتوالت نشاطات ونشاطات، ولا بد أن يكون الهاشمي الفيلالي من المساهمين فيها، فإذا ما وقعت مظاهرات أو احتجاجات، فالهاشمي في الصف الأول، وإذا ما امتلأت السجون بالأحرار الوطنيين، فلا بد أن يكون الهاشمي من جملتهم، وإذا ما تصفحت الجرائد الوطنية وبالأخص جريدة (الأطلس) التي كان يديرها المرحوم محمد اليزيدي فتجد المقالات المتعددة في المواضيع الوقية المعبرة عن أماني الوطنيين وحتى في المجال الثقافي الواسع، لا بد أن تجد الهاشمي معك فيها، وعندما قررت شركة النشر المغربية طبع كتاب «القرطاس» عهدت بتصحيحه ومقابلة نسخه للهاشمي الفيلالي.

لقد كانت له مشاركة هامة في جميع الميادين السياسية والثقافية والصحفية والتربوية، ففي الوقت الذي كان يسلط اهتمامه على تكوين الجماعات الوطنية، والخلايا الحزبية، كان يشرف في مدرسته (النجاح) على تربية الأبناء وتكوينهم وإعدادهم لمعركة الحياة. عرفت الهاشمي الفيلالي مناضلاً وطنياً طوال فترة الكفاح ضد المستعمر، وعرفته في السجن شهماً ثابتاً صامداً، أدرك منذ شبابه الأول أن الاستقلال يوحّد ولا يعطي، وأن الطريق الموصلة إليه، هي طريق الكفاح والتضحية في سبيل الله والوطن.

لقد أودى أقوى إذاية في سجناته المتعددة، فضُرب بالسوط، وعلق من رجله، وقاسى المحن، فلم يهن ولم يضعف، وتحمل الأذى بصبر المومنين.

وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال، كان الهاشمي الفيلالي من أول الموقعين وفي طليعة الوفود التي قدمت الوثيقة الاستقلالية إلى جلالة الملك محمد الخامس، وأثناء أزمة سنة 1952، أحيل الهاشمي الفيلالي على المحكمة العسكرية مع بقية إخوانه المسؤولين في الحزب، وقبل ذلك بكثير أثناء الاحتجاج ضد صدور الظهير البربري 1930 كان الهاشمي من جملة الذين جلدوا على أرجلهم من طرف الباشا بوشتي بن البغدادي وفي سنة 1937 بعد المظاهرة الصاخبة التي وقعت بفاس قاسى الشدائد من

الكومندار (أيار) الذي بسبب قسوته وغلظته وجبروته سقط الشهيد القرّي ضحية تعسفه وقساوته، وفي سنة 1944 ألصق الاستعماريون به تهمة الاتصال بالألمانيين بواسطة الشيخ هلال الذي له معه قصة، تحدثت عنها في الجزء الثاني من المذكرات. ازداد الأستاذ الهاشمي الفيلاي بمدينة فاس سنة 1912، وبها تلقى تعليمه الابتدائي وغيره، واعتكف على المطالعات المتنوعة، فتمى ثقافته معتمداً على نفسه، واطلع على نهضات الأمم ويقظتها، وتتبع الحركات التحررية في العالم فاكسب ثقافة سياسية هامة، أفاد منها واستفاد.

وبعد فترة الاستقلال كان هو المسؤول الأول في الحزب في مدينة الدار البيضاء كمفتش للحزب، وعندما تكون المجلس الوطني الاستشاري كان من جملة الأعضاء الذين يمثلون الحزب فيه، وفي سنة 1963 انتخب عضواً برلمانياً عن الدار البيضاء، وفي سنة 1982 عيّن وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية، ثم أعفي من الوزارة ليلتحق بالديوان الملكي بصفة مستشار.

ولازال الهاشمي الفلاي إلى الآن من المناضلين المتبعين لنشاط الحزب باعتباره عضواً في مجلس الرئاسة وفي اللجنة التنفيذية حفظه الله ورعاه.

58) السيد محمد البقالي



قد يكون الأخ محمد البقالي من القلائل الذين صاحبهم منذ الصغر، أي منذ أن كنا جميعاً في مدرسة درب لعلو الحرة، نحفظ القرآن، ونتعاطى الدروس الأولية في الدين واللغة والأدب، وشاءت الأقدار أن نلتقي مرة أخرى في مدرسة أبناء الأعيان حيث كان سبقني إليها، فالتحقت به لأتعاطى دروساً في علم البلاغة على شيخنا زين العابدين ابن اعبود، ثم لأتعاطى دروساً في اللغة الفرنسية، ثم تأكد الارتباط بالأخ محمد البقالي عندما طردني مدير المدرسة

المذكورة بسبب أفكاره الوطنية التي صار يتخوف منها، فنتج عن طردي قيام حركة احتجاجية من تلامذة المدرسة. كان في طليعة المحتجين الأخ البقالي الذي طرد هو بدوره من المدرسة مع آخرين.

وعند ذاك تطورت العلاقة بيني وبين البقالي من درجة مطلق صداقة إلى تعاون وطني متين، أخذنا فيه العهد على أنفسنا أن نسير في خطّة الكفاح والعمل المشترك لصالح وطننا وأمتنا وأبناء شعبنا.

وهكذا فتحنا مدرسة — بقرار مني — كان البقالي والحاج أحمد معنينو محمد بن المكّي القادري من المُساندين لي والعاملين معي بإخلاص حتى كأنا جسم واحد. بل كنّا والحمد لله يداً واحدة.

لم يكن عملنا مقتصرًا على تعليم أبناء وطننا، بل خضنا معاً معركة الكفاح الوطني بجميع مايتطلبه هذا الكفاح من تضحية ودؤوب واستمرار.

وشاءت الأقدار أن يكون البقالي بجانبني ونحن الاثنين نؤخذ إلى سجن الرباط، لنقضي أياماً فيه من أجل إصرارنا على فتح فرع لمدرستنا الحرّة نتيجة الاقبال الذي حصل على مدرستنا، ثم جاءت النشاطات الوطنية المختلفة من مطالبة بالإصلاحات والحريات العامة، إلى المطالبة بالاستقلال. ليكون البقالي في طليعة المطالبين والمضحّين والمتضامنين.

مسيرة طويلة بيني وبين البقالي، لم أجده فيها إلا مثال الوطني الصادق الذي لا يتأخر ولا ينكص على عقبيه، مهما كانت الظروف والملابسات، ولأذكر وقد زادت صداقتي معه على السنين سنة أن خصاماً وقع بيننا، أو خلافاً أفسد علاقتنا الأخوية المبنية على تقوى من الله ورضوان.

لقد عملنا جميعاً في نطاق كتلة العمل الوطني، وفي نطاق الحزب الوطني، وفي نطاق حزب الاستقلال، وفي نطاق جمعية المحافظة على القرآن الكريم، وفي نطاق الطائفة، وهي الجناح السري للحزب الوطني، وفي غير ماذكر من الميادين الوطنية والثقافية والدينية، فكان البقالي معي فيها مثال الأخ الوفي الصادق وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال، كان البقالي من جملة الموقعين الأولين دون تردد، وعندما كان الحزب يقرر القيام بحركات احتجاجية أو تضامنية أو اجتماعات في الدور أو في المساجد، يكون البقالي من أوائل الملبين، والمنفذين، سجن لأول مرة في سنة 1936 في قضية المدرسة. ثم سجن في السنة نفسها من أجل المظاهرة التي وقعت في سلا بعد إلقاء القبض على الزعماء الثلاثة : علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني ومحمد البيزدي، ثم سجن للمرة الثالثة في سنة 1937 بعد نفي الزعيم علال واعتقال أصحابه في مختلف فروع الحزب، ثم سجن للمرة الرابعة سنة 1944 بعدما شارك مشاركة عملية في قيادة مظاهرة 29

يناير 1944 إثر إلقاء القبض على الزعيم بلافريج، ثم سجن للمرة الخامسة بعد أحداث ديسمبر 1952، ونقل إلى الصحراء فقضى مدة سنتين تقريباً في كل من الطاوس وارفود ثم اغبالو نكردون فحياته أيام الاستعمار كلها تضحية ووفاء لبلاده.

وبعد الاستقلال وتأسيس وزارة التربية الوطنية، عيّن كاتباً خاصاً لأخينا الوزير الأستاذ محمد الفاسي، ثم انتقل سنة 1965 إلى ثانوية النجد ليعهد إليه بمهام إدارية، ولما تعيّن الأستاذ محمد الفاسي وزيراً للثقافة دعاه ليكون عضواً في ديوانه الوزاري. كما عينه في مركز التنسيق الوطنية العربية التابعة لليونيسكو. وأحيل على التقاعد سنة 1975، وشارك مشاركة عملية في المسيرة الخضراء التي دعا إليها وسهر على نجاحها مبدع المسيرة الخضراء ومحرر الصحراء جلالة الحسن الثاني نصره الله.

والميزة التي يتميز بها البقالي الوفاء بالعهد، والإخلاص في الصداقة، والثبات على المبدأ، حفظه الله ووفقه.

(59) الفقيه السيد محمد الحمداوي



من خيرة الوطنيين الذين تعرفت إليهم في الثلاثينيات الأستاذ محمد الحمداوي وكانت أول رؤية له من بعيد في سجن الرباط سنة 1937 حيث كان من جملة المعتقلين من الدار البيضاء الذين تظاهروا احتجاجاً على إلقاء القبض على قادة الحزب الوطني وفي طلبعتهم زعيم التحرير علال الفاسي، وبعد خروجنا من السجن بعدما قضينا فيه سنة كاملة، عرفت من قريب الفقيه الحمداوي، وكانت لي اتصالات به في نطاق العمل الوطني، وأذكر أنني تحدثت معه في مواضيع هامة كانت فيها لديّ عدة تساؤلات، استفدت منه خلال الحديث معه على كثير من حقائقها.

كان الأستاذ الحمداوي مدير مدرسة النجاح، وكانت أول زيارة لي إليها صحيحة ناظر الأحباس بالدار البيضاء الصديق المرحوم عبد الرحمان عواد حيث كانت ابنته الأستاذة مارية من جملة تلامذتها، فصحبته للاطلاع على سير الدراسة بالنسبة للتلميذة المذكورة، وعلى المدرسة بصفة عامة، ولقد أخذت فكرة جد طيبة عن سير المدرسة، وعن نجاح المسير لها في أداء مهمته التعليمية والتربوية. وزادت معرفتي به وبالمدرسة عندما قرر

بعض الوطنيين الميسورين وفي طليعتهم المرحوم ابن كيران أن يساعدوا المدرسة ومديرها ويشيدوا لها بناية عصرية صالحة دشتها الأميرة عائشة بنت محمد الخامس وأطلق عليها معهد الأميرة للاعائشة بذل مدرسة النجاح.

وجاء قرار المطالبة بالاستقلال ليكون الفقيه الحمداوي من جملة الموقعين عن الدار البيضاء مع الأستاذ بوشتي الجامعي والحاج عمر بن عبد الجليل وسيدي أحمد بندلة ومحمد (فتحاً) بناني ومحمد العلمي، وكلهم كانوا إذذاك في الدار البيضاء.

ولدى قرار الإضراب الذي اتخذته حزب الاستقلال بعد اعتقال الزعيم بلافيج، كان الفقيه الحمداوي من جملة الذين استدعاهم الباشا الطيب المقرئ، ليقع البحث معهم عن وجود مخرج يتحقق فيه التضامن مع المعتقلين، دون أن تتطور الأحداث إلى مالا تحمد عقباه، فكان قرار الإضراب العام الشامل بالدار البيضاء دون وقوع مظاهرات في الشوارع حسبما تحدثت عنه في مذكراتي عن أحداث الدار البيضاء سنة 1944.

بقي اتصالنا المبدئي بالفقيه الحمداوي وتعاطفه معنا في الحزب، وتعاطفنا معه في نشاطاته الوطنية والعلمية والثقافية، وكان إخواننا في الدار البيضاء يعتبرون الفقيه الحمداوي من الركائز التي تركز عليها الحركة الوطنية، ومن المراجع التي يرجع إليها في المهمات، فكان يكتب بجريدة الأطلس الأسبوعية التي كان يشرف عليها المرحوم محمد اليزيدي وتعبير عن رأي الحزب الوطني لتحقيق المطالب كما كان يكتب بجريدة «المغرب» التي كان يديرها المرحوم السعيد حجي، ولما صدرت (مجلة دعوة الحق) من طرف وزارة الأوقاف باقتراح من الزعيم علال الفاسي، وبإشراف فعلي من المرحوم المكسي بادو، كان الحمداوي من جملة الذين كتبوا فيها دراسات ومقالات كما كان يكتب بجريدة (الزهرة التونسية).

وإثر الأحداث والاضرابات التي وقعت في المغرب وفي الدار البيضاء في دجنبر 1952 وقع اعتقال الفقيه الحمداوي للمرة الثانية، فنفي إلى آيت شغروشن ثم تالسينت، ثم إلى غبالو نكردوس ليلتحق مع إخوانه وخلانته المعتقلين وفي طليعتهم بالنسبة له المرحوم المختار السوسي، فدام اعتقاله سنتين كاملتين، وبعد الاستقلال تولى مهنة القضاء بسطات، ولكن الوظيف من حيث هو، لم يكن يروقه. فتخلى عن القضاء، وانصرف للمطالعة والبحث والكتابة والتأليف، وله كتاب مطبوع في موضوع الفكر الاسلامي يمتاز بدقة البحث، ويعبر عن الآفاق العلمية التي تحلى بها الفقيه الحمداوي.

تعددت اتصالاتي بالفقيه الحمداوي عندما كان يزور في سلا أخانا المرحوم الفقيه

المطلع المؤرخ السيد ج محمد التطواني، وكانت المذاكرة معهما تتسم بالعمق والصدق وحسن الإدراك، خصوصاً في مجال الفكر الإسلامي.

وخلال اتصالاتي الأخيرة معه، سواء في الدار البيضاء أو في بيت الأخ علي بركاش أو في غيره، زدت اقتناعاً بأن الرجل يزيد في تطلعاته الروحية العلمية مثل مايزيد تواضعه وزهده في مغريات المظاهر الخداعة الكاذبة.

ازداد الفقيه الحمداوي بزاوية سيدي الحاج التاغي في دائرة ابن أحمد ناحية الدار البيضاء وفيها تلقى تعليمه الأولي ثم انتقل إلى كلية ابن يوسف بمراكش ثم التحق في الأخير بكلية القرويين ليعود متزوداً بثقافة متينة إلى الدار البيضاء ليؤدي رسالته التعليمية الثقافية والوطنية قواه الله وأعانه.

(60) السيد عبد الهادي الصقلي

لم يتح لي أن أتعرف على السيد عبد الهادي الصقلي، سواء قبل المطالبة بالاستقلال أو بعد المطالبة بالاستقلال، ولست أدري مقدار اتصاله بأعضاء الحزب بفاس التي نشأ فيها ودرج فيها أيام شبابه... ولم يسبق للأخوين المرحومين الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد بن سودة أن حدثاني عنه بعد توقيعه لوثيقة المطالبة بالاستقلال، ولذلك فإن معرفتي به تعتبر ناقصة لأنني لأذكر أنني اتصلت به أو تحدثت إليه، وكيفما كان الأمر، فإن السيد عبد الهادي



الصقلي كان ممن وفقه الله وأسعده بالتوقيع على المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944، ويظهر أن معرفة الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد بن سودة بالسيد عبد الهادي الصقلي وثقتهما في إخلاصه وصدق وطنيته كان الدافع الأساسي لهما ليطلبا منه أن يوقع على الوثيقة.

لقد وقع السيد عبد الهادي الصقلي على وثيقة المطالبة بالاستقلال وهذا التوقيع جعل الإدارة الفرنسية تحقد عليه بدوره، فتعتقله وترمي به في سجن برج النور بفاس، وتوقفه عن العمل، وتنفيه إلى تاوريرت أولاً، ثم إلى شيشاوة ثانياً، حيث قضى مدة طويلة بعيداً عن أصله ومواطنيه وإخوانه.

ازداد السيد عبد الهادي الصقلي سنة 1915 وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بفاس،

ثم انتقل إلى المدرسة العليا للإدارة بالرباط، حيث حصل على شهادة الكفاءة في الترجمة، ثم عيّن مترجماً مدنياً بمحكمة فاس.

وبعد الاستقلال، التحق بسلك القضاء، وذلك في عهد المرحوم عبد الكريم بن جلون الذي كان وزيراً للعدل، ثم انتقل إلى مدينة الجديدة، حيث عيّن وكيلاً لجلالة الملك، وفي سنة 1958 عيّن رئيساً للمحكمة الابتدائية بنفس المدينة، ثم نقل إلى الدار البيضاء حيث عين نائباً لرئيس المحكمة، ثم مستشاراً بمحكمة الاستئناف، وما أن جاءت سنة 1975 حتى أحيل على المعاش. جزاه الله خيراً على ما قدم من الصالحات.

61) الحاج عثمان جوريو

هناك بعض الشخصيات الوطنية، لم تلق عليهم الأضواء السياسية، وإن كانت تحركاتهم ونشاطاتهم الثقافية والعلمية والتربوية، تعتبر في المركز الأول من النشاط والعمل السياسي.



ومن هؤلاء الحاج عثمان جوريو الذي يعتبر بحق من دعائم الحركة الوطنية في الرباط سواء في الثلاثينيات عندما كانت الحركة الوطنية تتجلى في نطاق كتلة العمل الوطني ثم في نطاق الحزب الوطني، أو في الأربعينيات والخمسينيات عندما تطور العمل الوطني من حركة المطالبة بالاصلاح إلى المطالبة بالاستقلال.

الكثيرون يعلمون عن الحاج عثمان جوريو أنه من المؤسسين الأولين للتعليم الحر بالرباط سواء أثناء إنشائه للمدرسة الرحمانية، أو تدريسه بمعهد جسوس، أو مساهمته الفعالة في تأسيس مدارس محمد الخامس وتسييرها مع مديرها الأول المرحوم الحاج أحمد الشرقاوي، لقد كان الحاج عثمان عنصراً نشيطاً في ميدان التعليم، سواء وهو يلقي الدروس ويكوّن الأجيال، أو وهو يدير المدارس بنشاط وحيوية، ودؤوب خلال الفترات الطويلة من حياته حفظه الله ولكن الكثيرين من رجال الحزب يعلمون أيضاً أن الحاج عثمان كان عنصراً متحركاً نشيطاً في مجال التكوين الوطني، سواء في فترة الحزب الوطني أو في فترة حزب الاستقلال، سواء قبل الاستقلال، أو بعد الاستقلال، لقد انخرط في العمل الوطني أوائل الثلاثينيات، وكان من الرواد الأولين الذين تعاونوا مع المرحوم محمد اليزيدي الذي قاد في الرباط معركة الاحتجاج ضد صدور الظهير

البربري الذي كان يهدف إلى تقسيم الشعب المغربي، والتفريق بين عربيه وبربره، وتعاون مع المرحوم الحاج أحمد بلافريج خصوصاً أثناء تأسيسه لمعهد جسّوس الحر، وأثناء الأزمات التي تعرض لها هذا المعهد عندما ألقى القبض على مؤسسه بلافريج والرمي به في سجن الرباط ثم نفيه إلى كورسيكا.

كان للحاج عثمان نشاط وطني متميز، عندما كان يجمع التلاميذ ويدربهم على التغني بأناشيد وطنية حماسية، كان البعض منها من نظمه، والبعض الآخر من وضع غيره من الشعراء، وكان له نشاط ملحوظ وهو يحرر العرائض المؤيدة للمطالبة بالاستقلال والتي رفعها علماء الرباط وتجار الرباط والمحترفون في الرباط، وكان للحاج عثمان دوره النشط عندما كانت تصدر جريدة الأطلس لسان الحزب الوطني، فكان ينشر فيها المقالات والمراسلات، وكان له دوره في التربية والتعليم عندما دعي إلى القصر الملكي ليعطي دروساً خصوصية لصاحبة السمو الملكي الأميرة للأنزهة ورفيقاتها في الدراسة. وكان له دوره في الحفلات الوطنية التي كانت تقام في المناسبات الوطنية والدينية، حيث كان يلقي خطباً حماسية تعبر التعبير الصادق عن روحه الوطنية وغيرته الإسلامية.

لم يكن الحاج عثمان جوريو بمعزل عن أي نشاط وطني، ولما حضرت وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان من الموقعين عليها كعالم وأديب وشاعر، وأثناء أزمة دجنبر 1952 عندما قرر حزب الاستقلال، التضامن مع الشعب التونسي الشقيق إثر الاعتداء الذي وقع على الزعيم النقابي فرحات حشاد من طرف جمعية الوجود الفرنسي كان الحاج عثمان من المتضامنين الأولين، فوقع اعتقاله مع المئات من المعتقلين الوطنيين، ونفي إلى كلميم في الصحراء.

ولازلت أذكر وقد ألقى القبض علينا يوم عاشر دجنبر 1952، فجمعونا أولاً بمعسكر (كان كارني) بالرباط، ثم في غسق الليل أخذونا في سيارات عسكرية إلى أكادير، ومنها فرقونا في القرى والسجون المختلفة في سوس وفي الصحراء وكان الحاج عثمان من جملة هؤلاء الذين أخذوهم معنا حيث نفوه أولاً إلى كلميم ثم إلى غبالو نكردوس حيث التقى مع كثير من أعضاء الحزب الذين كانوا معتقلين هناك.

لقد أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن حوزة بلاده لتتمتع بحريتها وتنعم باستقلالها وتحافظ ومقوماتها الدينية والثقافية والسياسية.

لقد ازداد الحاج عثمان جوريو بمدينة الرباط سنة 1916 وتلقى تعليمه جميعه بالرباط، ودرس على علماء أجلة، وشيوخ كبار، أمثال الشيخ بوشعيب الدكالي والعلامة المدني

بن الحسني والعلامة السائح وغيرهم، ولديه شهادات وإجازات علمية، تشهد بكفاءته في مجال العلم والأدب والشعر.

ولقد تعاطى لإعطاء الدروس في المساجد القرآنية والميتم الإسلامي، زيادة على الدروس التي كان يعطيها بالمدارس الحرة.

والحاج عثمان أديب متفوق، وشاعر ذواق، وفنان مبدع، فهو يقول الشعر، ويعرف على البيان، ويتغنى وينشد مع أبدع المغنين والمنشدين وبالإضافة إلى ذلك فالحاج عثمان يرتل كتاب الله المنزل أحسن ترتيل ويقرأ القرآن ببعض القراءات السبع، ويقول الشعر في كثير من المناسبات كان من المؤسسين لجمعية المحافظة على القرآن الكريم، ومن الأعضاء العاملين في جمعية شباب النهضة الإسلامية ورابطة علماء المغرب، ورابطة مدير التعليم الحر، ولازال يواصل نشاطه التعليمي والتربوي على رأس إدارة مدارس محمد الخامس بالرباط. حفظه الله وأعانه.

62) السيد محمد بن الجيلاني بناني



السيد محمد بن الجيلاني بناني كان من العناصر النشيطة في الحزب الوطني ثم في حزب الاستقلال، نشأ نشأة وطنية في مدينة القنيطرة، وكان من الشباب الحي المتوثب منذ صغره يتتبع الأحداث، ويهتم بالقضايا الوطنية وقضايا المقاومة المغربية في الريف وفي غيره، ويقول عن نفسه : انه كان — رغم صغر سنه — يتتبع اندلاع الثورة الريفية نظراً للدور الذي كان يلعبه ميناء القنيطرة في شحن الأسلحة إلى الجبهة الشمالية. ولما كان والده السيد الجيلاني من الدعائم

التي تروّج للاقتصاد المغربي في القنيطرة مع الشريف الوطني الجيل سيدي مشيش العلمي، فلقد نمت فيه حاسة الاهتمام بالقضايا الاقتصادية من تجارة وغيرها، ولذلك نراه عندما ينهي دراسته الابتدائية والثانوية بمدينة القنيطرة يتجه مع والده إلى التجارة بالقنيطرة أولاً، ثم ينتقل إلى الدار البيضاء في سنة 1940 ليفتح متجراً بطريق مديونة وليواصل مع إخوانه في الحزب عمله الوطني.

وفي سنة 1943 عندما قرر الحزب تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، دُعي إلى التوقيع على الوثيقة المؤرخة بحادي عشر يناير 1944، فكان ممن هيأت له الأقدار شوف هذا

التوقيع، وكان أهلاً له نظراً لأنه كان انخرط في الجناح السري للحزب المسمى بالطائفة أو الزاوية.

لقد كان محمد بناني كما قلت من الشباب الوطني الملتزم منذ صغره، ولذلك نراه أثناء الانتفاضة التاريخية التي انتفضتها مدينة القنيطرة من أكتوبر 1937 إثر نفي المتزعمين للانتفاضة التي سقطت فيها أرواح وشهداء، فكانت النتيجة أن أُلقي عليه القبض مثل الكثيرين من إخوانه في القنيطرة، فحكم عليه بستين سجنًا قضاهما في كل من الريش في الصحراء وفي سجن عين علي أو مومن بناحية سطات وبسجن غبيلة بالدار البيضاء وفي الريش بالخصوص ذاق ألواناً من العذاب، وكثيراً من المحن.

وفي أزمة عام 1952 عندما دعا الحزب إلى الإضراب العام بمناسبة اغتيال الزعيم النقابي التونسي من طرف الوجود الفرنسي، كان من جملة الذين اعتقلوا، وقدموا إلى المحكمة العسكرية بتهمة المس بالأمن الداخلي والخارجي للبلاد، ف قضى مدة بسجن الدار البيضاء، ثم نقل إلى سجن العدير بناحية الجديدة ثم نفي إلى أرفود بالصحراء.

وبعد الاستقلال رجع إلى حركته الاقتصادية. بعدما زاد اختباراً ومعرفة بمختلف الميادين الاقتصادية، فساهم في إنشاء شركة الخطوط الجوية الملكية، وفي إنشاء البنك المغربي للتجارة الخارجية وفي تأسيس شركة التأمين الملكي وفي تكوين الاتحاد العام للصناعة والتجارة، وأصبح من العمد والمراجع التي يرجع إليها الحزب في المجال الاقتصادي، وكان عضواً بالمجلس الوطني لحزب الاستقلال زيادة على مسؤوليته أولاً في مدينة الدار البيضاء

ازداد السيد محمد بن الجيلاني بناني في 16 ماي 1916 ولقي ربه بتاريخ 25 غشت 1992 رحمه الله وجزاه على ما قدم من الصالحات.

63) السيد عبد الحميد بن مولاي أحمد الزموري الإدريسي



يعتبر السيد عبد الحميد بن مولاي أحمد الزموري من أوائل الشباب الزموري الذي اعتنق الفكر الوطني وقاوم المخططات الاستعمارية التفرقية

نشأ في مدينة الخميسات التي أصبحت المركز الهام الأساسي للانبعاث الوطني، والتي كان رجال الاستعمار يريدون أن يجعلوا منها مركز انطلاق دعوتهم التفرقية العنصرية

لقد ازداد عبد الحميد سنة 1922 بالخميسات، وفيها تلقى تعليمه الابتدائي، ثم انتقل

إلى مدينة آزرو ليلتحق (بكوليج دازرو) الذي أنشأه الاستعمار الفرنسي ليكون بؤرة للأفكار العنصرية، وليكوّن فيه أبناء إخواننا الأمازيغيين على أساس أفكار عنصرية مقبولة تفريقية، تبعدهم عن مجتمعهم المغربي الأمازيغي العربي المسلم المنشبت بعقيدته القرآنية، ولسانه العربي المبين، فأراد الله سبحانه أن يخيب مسعى الاستعماريين وأذنانهم، وصار يتخرج من ذلك الكوليج أمثال عبد الحميد الزموري الذين كافحوا الأفكار التي أتت بها الاستعمار، وأكدوا ارتباطهم بأجدادهم الأمازيغيين واليعربيين وانتماءهم للسلالة النبوية الطاهرة، عاش عبد الحميد الزموري في الخميسات ليرى بأم عينيه مايدبره الاستعمار لبنى وطنه وإخوانه من أنواع المكر، فتحرّكت فيه عاطفته الوطنية، وشهامته الإسلامية فقاوم وهو صغير السياسة البربرية التي خطط لها ليوطي وستيغ ولوسيان سان، واندفع مع الشباب أمثاله يتظاهر ضد تلك السياسة الماكرة، ويعلن انتاءه الدائم لوطنه الموحد. وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال دعى للتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال هو وبعض إخوانه وعلى رأسهم صديقه ورفيقه الوطني الحر المسلم الصادق سي اعمرو أوبناصر ليمضوا على الوثيقة، فما كان منه إلا أن يلبي، وينال شرف التوقيع على الوثيقة التي رفضت الاستعمار والاحتلال.

وكانت النتيجة المنتظرة من طرف السلطات الاستعمارية، هي طرده من وظيفته في التعليم والحكم عليه بستين سجناً.

وبعد سراحه انتقل إلى مدينة الدار البيضاء حيث تعاطى للعمل الحر، فاشتغل رئيساً لشركة أسسها مع مجموعة من إخوانه الوطنيين، وصار في الوقت نفسه يتابع نشاطه الوطني كعضو في المجلس الأعلى لحزب الاستقلال، وعندما جاءت أزمة سنة 1953 بعد نفي محمد الخامس، ألقى عليه القبض، وحكم عليه بسنة سجناً.

وبعد الاستقلال عيّن عاملاً على إقليم الدار البيضاء، ثم في سنة 1961 انتقل كعامل على إقليم الرباط، ثم عين مكلفاً بمهمة في الديوان الملكي، ثم في سنة 1965 عين وزيراً للتجارة والصناعة التقليدية، ثم بعد ذلك صار يباشر نشاطه الاقتصادي الحر. أعانه الله.

64) السيد محمد بن عبد الرحمان السعداني



عرفت السيد محمد السعداني من بعيد قبل أن أتصل به، فلقد كنت أسمع عنه خلال الثلاثينيات أنه من شباب الحزب الوطني المتحمسين، وأنه من الذين عهد إليهم أن يتحملوا تنشيط حركة الحزب إذا ماتعرضت قيادة الحزب بفاس إلى الاعتقال.

وبعد خروجي من السجن في 27 أكتوبر 1938 قصدت مدينة فاس للاتصال مع بعض الاخوان الذين وقع سراحهم هم أيضاً، وفي الوقت نفسه حاولت الاتصال بمحمد عبد الرحمان السعداني الذي كنت

موقناً أنه من المسؤولين عن لجنة الاستخبارات في الحزب بفاس، وكانت تذيع بعض النشرات باسم الحزب وتتخذ بعض المواقف السياسية التي كنت رأيت إذ ذاك أنه من الضروري وقد خرج كثير من الوطنيين من الحزب وفيهم الفقيه غازي والحاج أحمد الشرقاوي وغيرهما من الرباط وغيرهم من مدن أخرى، من الضروري أن تتوحد الآراء، وينتظم العمل بعد بدو بعض الانفراج السياسي، خصوصاً وبوادر الحرب تدق الأبواب. لقد كنت كاتب الأَخ بلافريج بسويسرا فأجابني بأنه من الضروري إعادة تنظيم الحركة على أساس المستجدات التي جددت، وأن الحاضر — حسب تعبيره يرى مالا يراه الغائب. قلت إنني حاولت الاتصال بالأستاذ السعداني ولكنني لم أوفق، ولذلك فقد أخذت طريقي مع بعض إخواني في سلا والرباط والدار البيضاء، وصرنا ننظم شؤون الحزب حسب اجتهاداتنا والظروف المحيطة بنا، سواء منها الظروف الداخلية أو الدولية.

كان للأستاذ السعداني نشاط ملحوظ ومحدود أيضاً في تلك الأثناء، وصرنا نشق طريقنا في العمل الوطني، وإن كنا نشعر بعدم التنسيق مع إخواننا بفاس ونجلى هذا في بعض المواقف التي كادت أن تكون متباينة، مثل الموقف الذي اتخذناه عندما أشيع أن الزعيم علال الفاسي انتقل إلى عفو الله أثناء اعتقاله فاتخذنا الوسائل والامكانيات التي استطعنا الحصول عليها لنستطلع الحقيقة، ولما تأكد لنا أن الاشاعة مكذوبة، وأن الذي أذاعها هو راديو برلين قررنا أن نطمئن شعبنا بأن زعيمنا يتمتع بصحة جيدة، وقالوا وأذاعوا أننا نريد أن نهدى الشعب بتكذيب الخبر المذاع، ولكننا كنا نشعر أننا قمنا بالواجب المفروض علينا.

ومضت أيام وأيام، وأطلق سراح بعض قادة الحزب ومن جملتهم المرحوم عبد العزيز بن إدريس والأخ الهاشمي الفلاحي فنظمنا الاتصال معهما ومن خلالهما وحدنا العمل الوطني الذي يقوم به حزبنا أثناء تلك الظروف.

ولدى تحضيرنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال دعى محمد بن عبد الرحمان السعداني لتوقيعها مع الذين وقعوها من فاس وغيرها من المدن المغربية، فنال بدوره شرف هذا التوقيع خصوصاً وقد كان دعي إلى الانخراط في سلك الطائفة وهي الجناح السري للحزب الوطني وأدى القسم المفروض عليه من أجل ذلك.

لقد وقع السعداني على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولما امتدت أيدي الاستعمار إلى بعض قادة الحزب ومنهم الهاشمي الفلاحي وعبد العزيز بن إدريس وبلافريج قامت فاس مثل الرباط وسلا بواجبها في التضامن، فقامت مظاهرات صاخبة ومستمرة أياماً عديدة بفاس، وكان من جملة المؤثرين لهذه المظاهرات الأستاذ محمد السعداني وعبد السلام بن عبد الجليل والطاهر غلاب وعبد الوهاب الفاسي، فألقى القبض على السعداني مع عبد الوهاب الفاسي وسجنا بـ برج النور بفاس، ثم بعدما أصيب بمرض نقل إلى الاعتقال بمستشفى سجن مكناس.

وبعد انفراج الأزمة بعد انتهاء الحرب، ارتحل محمد السعداني إلى مصر، وانخرط في جامعتها في الاسكندرية، ثم انتقل إلى بريطانيا وسجل بجامعة كامبريدج لنيل الدكتوراة، وكان أول طالب ينال الدكتوراة من تلك الجامعة وجاء الاستقلال، وانفتحت الأبواب أمام المغتربين فرجع السعداني إلى المغرب، ثم عين في سفارة المغرب بلندن، ورجع بعد ذلك إلى المغرب ليعين رئيساً لقسم إفريقيا بوزارة الشؤون الخارجية، وليقوم بواجبه في الاتصالات وربط العلاقات مع الأفارقة وغيرهم، وليشارك في بعض المؤتمرات كمؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في بلغراد سنة 1961.

وفي سنة 1962 عين سفيراً للمغرب بدولة نيجيريا، ثم بعد ذلك تولى شؤون السفارة في باكستان وفي ماليزيا، ثم عين سفيراً بالخارجية مشرفاً على شؤون البلاد العربية والجامعة العربية، وعاد للمرة الثانية سفيراً بنيجيريا، وفي سنة 1986 أحيل على التقاعد.

وهو الآن منكب على المطالعة والدرس وتتبع الأحداث، بما عهد فيه من ذكاء وانضباط. حفظه الله وأعانه.

65) السيد محمد بن عزو



من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 السيد محمد بن عزو المكناسي. ويعتبر محمد عزو من الوطنيين الأولين الذين ارتكز حولهم النشاط الوطني في مكناس، ابتداء من الثلاثينيات، وكان لاتصالاته مع الفقيه محمد غازي أثر كبير في تكوينه الوطني، وإيمانه بالأفكار الوطنية، سواء أثناء نشاط كتلة العمل الوطني التي تقدمت بمطالب الشعب المغربي سنة 1934 أو لدى تكوين الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال.

لقد عرفت محمد بن عزو لدى اتصالاته الأولى مع الرواد الأولين بمكناس وفي طليعتهم المرحوم محمد بن احمد الديفوسي الذي شغل أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات مفتشية الحزب بمكناس، والمرحوم الفقيه السيد أحمد بنشقرون الملقب بولد النبي والعيساوي المسطاسي، وكان هؤلاء الأربعة هم عمدة حزبنا في مكناس وانضاف إليهم المرحوم الأستاذ إدريس المحمدي عندما التحق بصفوف الحزب لدى تكوين حزب الاستقلال وتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال.

في سنة 1937 عندما ثارت مدينة مكناس ثورتها المشهورة ضد مخطط المعمرين الفرنسيين الذي أرادوا أن يتسلطوا على مياه أبي فكران، ليسقوا بها أراضيهم التي اغتصبوها من أصحابها، ويحرموا المدينة منها مع أنها كانت المعين الأول للمدينة ولمساجدها، قامت قيادة المكناسيين الوطنيين، لتقف ضد المخطط الفرنسي، وتعرض ضد الاغتصاب الذي أراد المعمرون الفرنسيون أن يغتصبوه. وكان محمد بن عزو من القادة الذين احتجوا وتظاهروا ضد هذا المخطط، وكان نصيبه من السجن بسبب ذلك ثلاثة أشهر قضاها بسجن سيدي سعيد بمكناس.

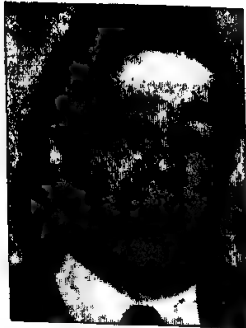
ونظراً لما كان يتمتع به من صدق في الوطنية اقترح الفقيه غازي أن ينخرط في الجناح السري في الحزب الذي كان يدعى بالطائفة، وهكذا كان هو ومحمد بن احمد الديفوسي وأحمد بنشقرون والعيساوي المسطاسي من الذين يطلعون على بعض القرارات التي يتخذها الحزب قبل أن تبرز للعيان ومنها قرار المطالبة بالاستقلال، ثم كان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

ازداد محمد بن عزو بمدينة مكناس يوم 23 ماي 1909 وكان والده يتعاطى التجارة بمانشيستر بإنجلترا وتلقى تعليمه الأولي بالكتاب القرآني، ثم امتحن التجارة كبائع للأحذية ثم تاجراً في المواشي.

ولم تمنعه تجارته من أن يتابع نشاطه الوطني السياسي فكان كاتباً لفرع الحزب بمكناس من سنة 1944 إلى 1952 ولدى أحداث دجنبر 1952 كان من المعتقلين الذين سجنوا أولاً بسجن يوزنيب حيث انضم إلى إخوانه المسجونين الذين منهم إدريس المحمدي ومحمد أبي احمد الديغوسي وبقي في السجن نحواً من ستة أشهر، ثم وقع نقله مع إخوانه إلى معتقل (اغبالو نكردوس) ولم يطلق سراحه إلا في 15 يوليوز 1955 بعد خروجه من السجن تأخر عن نشاطه السياسي، وبقي يتابع الأحداث الوطنية عن بعد، ثم توظف بوزارة الأحباس، قبل أن يحال على التقاعد.

66) أبو بكر القادري

هل من حق صاحب المذكرات أن يترجم لنفسه ؟
سؤال طرحته على نفسي قبل أن أخط هذه الكلمات،
وكان جوابي الحاسم أنه لا بد من بطاقة تعريف لي
حتى لا أغضب حقي ولا أكون من جملة الموقعين على
وثيقة المطالبة بالاستقلال.



ازددت بمدينة سلا في شهر إبريل سنة 1914 م.
تابعت دراستي الأولية بمدرسة حرة، ثم على كبار
بعض العلماء بسلا وغيرها. تعاطيت مهنة التعليم
وفتحت مدرسة سنة 1933 بقيت تؤدي مهمتها
التعليمية تحت إدارتي ثماني وأربعين سنة وتخلت عنها للدولة ولا زالت تؤدي رسالتها
التعليمية لحد الآن والحمد لله.

انغمزت في العمل الوطني وأنا في سن السادسة عشرة من عمري، أي سنة 1930.
ولدى تقديم مطالب الشعب المغربي في دجنبر 1934 كنت من العشرة الذين قدموها
لجلالة محمد الخامس.

سجنت لأول مرة عام 1936 من أجل فتح مدرسة حرة. ثم سجنت في السنة
نفسها من أجل المطالبة بالحريات العامة. ثم سجنت للمرة الثالثة في 27 أكتوبر 1937

بعدما أُلقيت خطاباً بالمسجد الأعظم بسلا، تلتها مظاهرتان صاخبتان. ودامت هذه السجنة عاماً كاملاً.

وبعد توقيع لوثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 وما تبعها من مظاهرات، أُلقي علي القبض مع إخواني يوم 30 يناير 1944، فتنقلت بين ثلاثة سجون : سجن الرباط، سجن العدير قرب الجديدة، سجن الدار البيضاء. ودامت هذه السجنة نحو العامين.

بعد أحداث ثامن دجنبر 1952 نفيت إلى قرية (تافينكولت) بسوس، ثم قدمت إلى المحكمة العسكرية بتهمة الإخلال بالأمن العام الداخلي والخارجي، فمكثت مدة بسجن الدار البيضاء بعد مرحلة التعذيب بكوميسارية الدار البيضاء، ثم نقلت إلى السجن العام بمدينة القنيطرة في انتظار المحاكمة بعد الاستنطاقات التي دامت أياماً، ثم قدر الله أن يخيب مقصد الاستعماريين، فوقع سراحي مع إخواني بعدما مكثنا في السجن نحواً من العامين أيضاً.

بعد الاستقلال بقيت مشغلة بالتعليم بالإضافة إلى نشاطي داخل حزبي كعضو في اللجنة التنفيذية، ومفتش عام للحزب، ثم عضو في مجلس الرئاسة للحزب.

أنشأت مع بعض إخواني جمعية شباب النهضة الإسلامية وكان لها نشاط ملحوظ ومحمود في الدعوة الإسلامية، وتوضيح معالم الفكر الإسلامي، سواء عن طريق الصحافة وفي طليعتها مجلة (الايمان) التي دام إصدارها تحت إشرافي ست عشر سنة. وكذلك جريدة الرسالة التي دام صدورها نحواً من سبع سنوات.

ساهمت في عدة مؤتمرات إسلامية وسياسية في الداخل والخارج، وكنت عضواً في المجلس التنفيذي لمؤتمر العالم الإسلامي (كراتشي) وفي المؤتمر الإسلامي الإفريقي الآسيوي (بباندونغ) (بأندونيسيا) وفي المؤتمر الإسلامي الإفريقي (بداكار) وفي المؤتمر الإسلامي بطوكيو (اليابان) سنة 1982 وفي المؤتمر الإسلامي (بسيرلانكا)، وغير ذلك من المؤتمرات ومنها المؤتمر الأول لتأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة التي كنت أتابع نشاطها عن كثب وأشارك في بعض اجتماعاتها. كنت من المؤسسين الأولين للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني وبقيت مشرفاً على تسييرها كأمين عام لها عشرين سنة كاملة.

انتخبت أميناً عاماً مساعداً للجهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية لدى تأسيسها في بيروت في سنة 1972.

شاركت في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد بقبرس التركية وعينت قنصلاً شرفياً لدولة قبرص التركية.

عينني صاحب الجلالة محمد الخامس عضواً في المجلس الوطني الاستشاري سنة 1957. ثم عينني في مجلس الدستور وفي المجلس الأعلى للتربية الوطنية وفي مجلس التخطيط والانعاش (سابقاً).

عينني صاحب الجلالة الحسن الثاني عضواً في مجلس الوصاية. عينني صاحب الجلالة الحسن الثاني عضواً في أكاديمية المملكة المغربية عام 1981. نلت جائزة الاستحقاق الفكري من يد صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد بقرار من جلالة الملك الحسن الثاني. كتبت ونشرت عدة مؤلفات في مواضيع مختلفة ومن جملتها هاته المذكرات. أرجو الله أن يتقبل عملي ويجعله خالصاً لوجهه الكريم⁽¹⁵⁾.

(15) انظر قائمة مؤلفاتي في آخر هذا الكتاب.

ملاحق

المشروع الأول لبرنامج حزب الاستقلال

إن حزب الاستقلال المعبر الأمين عن رغائب الشعب المغربي، والرافع لعلم الكفاح في سبيل تحقيقها، والمناضل عن كيان الوطن المادي والروحي، والساعي لبناء الاستقلال الذي حصل عليه المغرب بفضل دماء شهدائه وتضحيات أبنائه تحت القيادة الرشيدة لجلالة العاهل المفدى بطل النضال والتحرير جلالة محمد الخامس نصره الله وأيده، يرى من واجبه في هذا الظرف التاريخي أن يحدد أهدافه للملا في شكل برنامج موقت ريثما ينعقد المؤتمر في الأسابيع المقبلة.

وحزب الاستقلال إذ يبرز بهذا البرنامج يؤكد وفاءه للمبادئ الراسخة التي ناضل وما فتى يناضل في سبيلها، وهي الاخلاص لله والوطن والملك، وتشديد دولة حرة من كل قيد تنهض على قواعد الاسلام، وتتطور في نطاق الحضارة العربية، وترتكز أعمدها على نظام ملكي دستوري يكون التجاوب فيه تاما بين جلالة الملك وممثلي الأمة. ومن شأن هذا البرنامج أن يمهد الطريق للتحويل العظيم الذي سيطرأ على حزب الاستقلال في نظمه ووسائله، ويضمن انسجامه مع التطور الملحوظ في تفكير المواطنين ورغباتهم. ولهذا، فإن حزب الاستقلال يدعو كافة أعضائه ومناصريه إلى التكتل حول هذا البرنامج، والمساهمة في تحقيقه بحماس وإيمان.

وفيما يلي المبادئ الرئيسية لبرنامج حزب الاستقلال :

في الميدان الوطني

حيث ان الغاية من تأسيس حزب الاستقلال كانت ولا تزال تحرير الوطن من كل سيطرة أجنبية وتدعيم الاستقلال في جميع الميادين، وحيث ان كثيرا من المناطق المغربية ماتزال في قبضة يد الاستعمار الأوربي وإن التحرر الداخلي من رواسب هذا الاستعمار

لم يتم بعد، يرى حزب الاستقلال من الواجب تعبئة كافة القوى الحكومية والشعبية لتحقيق الأهداف الآتية :

(1) السعي لتحرير كافة أجزاء الوطن الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية لفرنسا وإسبانيا، وتدخل فيها موريطانيا وإيفني وسبتة ومليلية والمناطق الصحراوية الواقعة على حدود الجزائر.

(2) تحقيق جلاء الجيوش الأجنبية بما فيها القوات الفرنسية والإسبانية والأمريكية عن كافة أجزاء الوطن، ووضع حد للقواعد والمؤسسات الأجنبية ذات الصبغة العسكرية أو الاستراتيجية.

(3) السعي لتحرير الوطن من رواسب الاستعمار في الميادين العامة.

(4) تطبيق مبدأ عدم التبعية في السياسة الخارجية والاقتصاد الوطني، والحرص التام على عدم الدخول في الأحلاف العسكرية أو الميل إلى إحدى الكتل المتنازعة.

(5) تمثين الوحدة المغربية في جميع مظاهرها بالقضاء على كل نزعة عنصرية أو دعوة قبلية أو نزاع بين الطبقات.

(6) احترام المقدسات الإسلامية والتشبث بالثقافة والحضارة العربية باعتبار المغرب دولة عربية إسلامية. والسعي بكل الوسائل الممكنة لمغربة الإدارة وتعريبها، وتطهير الوظائف العامة من الخونة والاقطاعيين والرجعيين وإسنادها إلى ذوي الكفاءة والنزاهة والاخلاص للصالح العام.

في الميدان السياسي

حيث ان من جملة أهداف حزب الاستقلال القضاء على السيطرة الاستعمارية، لا بالنسبة للقطر المغربي فحسب، بل بالنسبة إلى كافة الشعوب التي ترواح لحد الآن تحت نير العبودية، وحيث ان مبادئ الحزب إقامة نظام ديمقراطي يكفل حرية المواطنين وحقوقهم، ويحدد مسؤولياتهم أمام القانون، يؤكد حزب الاستقلال سعيه لبلوغ الأهداف الآتية :

في الداخل :

(1) العمل على إقامة مؤسسات ديمقراطية واقعية مستمدة من تعاليم الاسلام والواقع

المغربي تستند عليها الملكية الدستورية تحت رعاية جلالة الملك محمد الخامس نصره الله وأيده.

(2) السعي لكفالة الحقوق والحريات العامة للمواطنين : حق الانتخاب، حريات التعبير والصحافة والتفكير والاجتماع، والتكتل والنقابات. ضمان المساواة في الحقوق والواجبات لجميع المواطنين.

(3) العمل على تحويل إدارة البلاد من شكلها الموضوع في عهد الحماية إلى إدارة وطنية بالمعنى الصحيح تراعى فيها حاجات البلاد ومالها من الوسائل، مع الاسراع في مغربة الادارات وتعريبها.

في الخارج :

(1) اعتبار كفاح الشعب الجزائري في سبيل استقلاله جزءا من الكفاح الوطني ضد السيطرة الاستعمارية، ومضاعفة تأييد القطر الشقيق بجميع الوسائل إلى أن يتحقق استقلاله.

(2) تطبيق مقررات مؤتمر طنجة للأحزاب الوطنية بتحقيق وحدة المغرب العربي الكبير في جميع مظاهرها وتمتين روابط التعاون والتضامن بين حكومات هذه الدول وشعوبها لتصفية رواسب الاستعمار وتحقيق الأهداف المشتركة.

(3) تأييد كل حركة ترمي إلى تحرير الأقطار الأفريقية من السيطرة الاستعمارية، والتشبث بالفكرة الأفريقية.

(4) توثيق علاقات التضامن والاخوة مع الدول العربية والاسلامية والتعاون معها في سبيل الصالح العام.

(5) مساندة كافة الشعوب المستعبدة التي تكافح في سبيل حريتها واستقلالها.

(6) نهج سياسة خارجية نشيطة لها مبادئ ثابتة من شأنها أن تبوئ المغرب مركزا لائتقا به في المحافل الدولية وتتيح له السبيل للقيام برسائلته في خدمة السلام العالمي. والمساهمة في بناء عالم أفضل يستند على ميثاق هيئة الأمم المتحدة ومقررات باندونغ.

في الميدان الاقتصادي

حيث ان حزب الاستقلال مقتنع بأن الاستقلال السياسي يتوقف قبل كل شيء

وبالذات على التحرر الاقتصادي من القيود الأجنبية. وحيث انه مافتيء يعتبر الاستقلال وسيلة لرفع مستوى معيشة المواطنين وضمان حياة كريمة لجميع الطبقات حتى يكون المغاربة على اختلاف حيثياتهم مواطنين أحرارا في وطن حر، يرى الحزب من واجبه السعي لبلوغ هذه الأهداف :

- (1) تحرير مرافق الاقتصاد المغربي من كل أنواع السيطرة الاستعمارية.
- (2) وضع سياسة اقتصادية تقوم على أساس توزيع خيرات البلاد على المواطنين حسب حاجياتهم وخدماتهم طبقا لما تقتضيه العدالة الاجتماعية الاسلامية.
- (3) وضع خطة ترمي إلى التنمية الاقتصادية لصالح الجماهير الشعبية وتكفل رفع مستواها المادي والفكري.
- (4) السعي لتأميم المصادر الكبرى للثروة الوطنية كالطاقة والقرض والمعادن إلخ..
- (5) تطبيق مبدأ الاقتصاد الموجه للقضاء على الفوضى التي تصطبغ بها السياسة الاقتصادية الحاضرة.
- (6) وضع تصميم عام يهدف إلى تصنيع البلاد بإحداث صناعة ثقيلة وأخرى خفيفة لتحويل المواد الأولية حتى لا يبقى المغرب عالة على الخارج.
- (7) تشجيع روح الابتكار في نفوس المواطنين بكل الوسائل، وتنمية الفكرة التعاونية فيما بينهم بوسائل الاقتناع وغيرها من التشجيعات المادية والمساعدات الفنية.
- (8) حماية الصناعة التقليدية على أساس أنها مصدر قوت آلاف العائلات المغربية بإعانة الصناع على تطوير منتجاتهم وتحويلها وإيجاد أسواق في الخارج لترويجها، وتشجيع اقتنائها في الداخل.
- (9) تكوين إطارات مهنية للفلاحين وتلقينهم الوسائل العصرية للفلاحة وتربية المواشي واستغلال أراضي الجماعات.
- (10) وضع تصميم يهدف إلى الاصلاح الفلاحي على أساس النهوض بالبادية المغربية وإنعاش الحياة بها.
- (11) وضع برنامج سريع للحد من الخسائر التي تلحق الثروة الوطنية من حين لآخر في ميدان تربية الماشية بسبب الآفات الطبيعية، واتخاذ الوسائل العصرية المفيدة في هذا الباب.

12) فيما يتعلق بالشؤون النقدية، وضع نظام جديد يراعى فيه تحرير النقد المغربي من كل تبعية واحداث أبنك للتأمين والقرض والسعي لضمان توازن ميزان الأداءات.

في الميدان الاجتماعي

كان حزب الاستقلال ولا يزال في مقدمة الكفاح من أجل التحرر الاجتماعي، وحماية المواطن المغربي من الاستغلال بجميع مظاهره، وتحريره من قيود العبودية السياسية والاقتصادية كي تنهيا له جميع الفرص لبلوغ حياة رصينة كريمة.

ولهذا يرى من واجبه أن يؤكد كفاحه لتحقيق الأهداف الآتية :

1) ضمان حق العمل للمواطنين بتيسير الأسباب لهم عن طريق الدولة والمؤسسات الخاصة

2) توفير الحقوق التالية للطبقة الكادحة : العمل، الحماية من البطالة، أجور متكافأ مع خدماتهم، الراحة، الاستشفاء، التأمين على آفات الشغل.

3) ضمان الحق النقابي لكفالة العمال دون أدنى قيد.

4) اعتبار العامل شريكا في أرباح الأعمال الكبرى.

5) مقاومة العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الطارئة التي تحمل أهل البادية على هجرة قراهم إلى المدن جماعات وأفرادا. وسلوك خطة من شأنها أن تضمن العيش الكريم في البادية بفتح أوراش للعمل، وتزويد القرى بما يلزم من الوسائل العصرية.

6) معالجة مشكلة التفكك العائلي، والعناية بتثبث دعائم الأسرة المغربية.

7) العناية بالمرأة والاهتمام بشؤونها ووضع خطة تهدف إلى ترشيدها ومساهمتها في النهوض بمستوى العائلة والمجتمع.

8) وضع تصميم صحي تكون الغاية منه تحسين حالة المواطنين وضمان صحة المجتمع. وذلك بالاعتناء قبل كل شيء بطرق تغذية المواطنين وإسكانهم.

9) تعميم التعليم وجعله إجباريا في الطور الابتدائي.

10) السعي لتعريب التعليم في جميع مراحله وإشباعه بروح دينية إسلامية.

- 11) مراجعة أساليب تعليم على أساس اعتبار التهذيب والتدريب على كسب الرزق وتربية النفوس على الأخلاق الفاضلة من أغراض التهذيب الوطني.
- 12) مقاومة الجمود والرجعية والدعايات الهدامة وبعث وعي إسلامي من شأنه أن يحمي المواطنين والمجتمع من الانحلال الخلقي واستعباد المادية.
- 13) الاتصال الدائم بالجمهور مع رعاية رغباته وتنظيم أوقات فراغ طبقات الشعب والعناية بالشباب على الخصوص.

قانون خلية «فتح» بسلا

أشرت أثناء حديثي عن التحضير لوثيقة المطالبة بالاستقلال، أن خلية «فتح» بسلا، كانت من الخلايا النشيطة في الحزب الوطني أوائل الأربعينيات، وأن سبعة من أعضائها وقعوا على الوثيقة الأولى المؤرخة بحادي عشر يناير 1944، وهم : أبو بكر القادري — عبد الرحيم بوعبيد — قاسم الزهيري — محمد البقالي — الطاهر زنيير — ج بوبكر الصبيحي — محمد بن الخضر من آسفي.

وإتماماً للفائدة، أنشر ضمن مذكراتي في الحركة الوطنية القانون الأساسي لهذه الفرقة الوطنية، الذي يشرح الأهداف التي كانت تعمل لها هذه الخلية. وهذا القانون مكتوب بخط يدي في ذلك الظرف، وعنه أنقل ما يطلع عليه الجمهور لأول مرة.

فرقة الفتح

الغاية وشروط الانخراط

المادة الأولى :

تأسست بسلا في دائرة الحزب الوطني فرقة تسمى فرقة الفتح

المادة الثانية :

للفرقة غايتان : الأولى أنها تعمل من أجل تنظيم الأمة في ميدان العلم والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وتساعد على تربية الأمة تربية سياسية تتجلى في عقيدة وطنية راسخة وعلى تحقيق وحدة البلاد. والثانية أنها تشارك في مقاومة الاستعمار والاستعباد وأعوانهما وتعمل لتحرير الأمة وتثبيت حضارة قومية عربية الثقافة في دائرة تعاليم الاسلام.

المادة الثالثة :

تكون هذه الفرقة زيادة على صفتها السياسية مجلس علم وتهذيب فتخصص قسما

وأفراً من أوقاتها للمطالعة والدرس ولترقية مستوى أعضائها الفكري تحت إدارة مسامر
يعين من بين أفرادها كما أنها تكون مكتب استخبارات وجمع المعلومات لخدمة أغراض
الحزب الوطني.

المادة الرابعة :

يقوم أعضاؤها بالأعمال المفروضة عليهم أفراداً وجماعات تحت مسؤوليتهم الخاصة.

المادة الخامسة :

يجب على عضو من هذه الفرقة أن يقسم يمين الاخلاص والطاعة الذي هو :
«أقسم بالله العظيم أمام كتابه الكريم وأتعهد بِشَرَفِي أَنِّي أُخْلِصُ لِدِينِي وَوِطَنِي
وللحزب الوطني ورجاله وأحفظُ إلى الأبد سِرَّ هذه الفرقة التي علمتُ قانونها وقبلته
وأنفذُ قراراتها بكلِّ ما استطعت.

المادة السادسة :

لا يدخل عضو جديد إلى الفرقة إلا إذا رشحه إليها وزكّاه عُضْوَانُ عَلَى الْأَقْلَ وقبله
فيها تسعة أعشارها وأقسم يمين الاخلاص والطاعة.

المادة السابعة :

يعين أعضاء الفرقة من بينهم بالتصويت الحرّ مكتباً إدارياً مركباً من رئيس وخليفته
وكاتب وأمين.

المادة الثامنة :

يجدد الانتخاب مرّة في السنة بنفس الطريقة ويجوز إعادة انتخاب أعضاء المكتب
المنسحبين.

المادة التاسعة :

إذا انسحب عضو في المكتب الإداري لسبب من الأسباب يعين مكانه عضو آخر
بانتخاب أعضاء الفرقة.

المادة العاشرة :

رئيس الفرقة هو الذي يكون صلة الوصل بين جماعته وبين رجال الحزب الوطني
وإذا عاقه مانع عن ذلك فينبوب عنه خليفته ثم الكاتب.

المادة الحادية عشرة :

أمين الفرقة مكلف بجمع الاشتراكات والتبرعات وتوزيعها كما سيذكر في المادة 13.

المادة الثانية عشرة :

قدر الاشتراكات موكول إلى استطاعة كل عضو ولا يمكن أن يكون أقل من أربعة فرنكات للشهر.

المادة الثالثة عشرة :

يترك الأمين ثلث المتحصل في صندوق الفرق ويدفع الثلثين في كل شهر للرئيس لكي يسلم ذلك هو بدوره لقابض الحزب.

المادة الرابعة عشرة :

لايجوز للأمين أن ينفق من مال الفرق إلا بموافقة الرئيس فيما دون عشرين فرنكا وبموافقة المكتب الاداري فيما دون مائة فرنك. أمّا إذا كانت النفقة أكثر من هذا القدر فلا بد من موافقة 9/ 10 الجمعية وقابض الحزب.

المادة الخامسة عشرة :

تجب على العضو الطاعة المطلقة لأكثرية الهيئة ولمقررات الحزب الوطني

المادة السادسة عشرة :

يجب عليه أن يقبل التحكيم في حالة اختلافه مع عضو آخر وأن ينفذ الحكم.

المادة السابعة عشر :

التحكيم يكون لدى أربعة أفراد من الفرق يختار كل من المدعي والمدعى عليه اثنين منهم وتُستأنف أحكام هذه اللجنة عند الضرورة لدى ممثلي الحزب الوطني.

حزب الاستقلال

مشروع النظام الأساسي الذي أقره
المجلس الأعلى للحزب سنة 1945

المادة الأولى :

تأسس بالمغرب الأقصى حزب سياسي اسمه (حزب الاستقلال).

المادة الثانية :

غايات الحزب هي :

- أ) تحقيق استقلال البلاد ووحدتها
- ب) تأسيس دستور ديمقراطي وحكومة شعبية في ظل العرش المغربي العلوي
- ج) تربية الأمة تربية سياسية ديمقراطية
- د) تكوين نهضة اقتصادية تضمن اليسر لسائر أفراد الأمة
- هـ) توجيه تطور البلاد الاجتماعي والثقافي نحو حضارة وطنية عربية إسلامية

المادة الثالثة :

وسائل الحزب هي كل الوسائل المشروعة في النظم الديمقراطية.

العضوية في الحزب

المادة الرابعة :

جميع أعضاء الحزب عاملون.

ويشترط في العضو :

- أ) أن يكون مغرباً قد بلغ العشرين من عمره على الأقل.
- ب) أن يكون من ذوي الصراحة والأخلاق الحميدة والقدرة على العمل.
- ج) أن لا يكون منخرطاً في حزب سياسي آخر.
- د) أن يصادق على هذا النظام ويلتزم بالاخلاص لمبادئ الحزب والعمل على تحقيق غاياته والأذعان لمقرراته.

هـ) وأن يقدم طلبا للمجلس الأعلى بواسطة مكتب الفرع مصحوبا بتزكية عضوين من أعضاء الحزب.

هيآت الحزب

الفروع :

المادة الخامسة :

كل مدينة أو قرية اجتمع فيها خمسة أعضاء فما فوق يؤسس فيها فرع للحزب بإذن من المجلس الأعلى.

المادة السادسة :

يؤلف أعضاء الفرع بالانتخاب لمدة سنة مكتباً يدير شؤونه حسب مقررات المجلس الأعلى ويتركب من كاتب وخليفة وأمين وعدد من المستشارين ولايكسب هذا المكتب صبغة نهائية إلا بعد مضادة المجلس الأعلى.

المؤتمر العام

المادة السابعة :

يتألف المؤتمر العام لمدة سنتين من أعضاء منتخبين من فروع الحزب بنسبة ممثل لكل عشرة أعضاء أو جزء من عشرة يتجاوز أربعة ويحضره أعضاء المجلس الأعلى وممثل لكل مكتب فرع للمشاركة في أعماله. ولا يعطى حق التصويت إلا للمنتخبين من طرف الفرع.

المادة الثامنة :

ينعقد المؤتمر — تحت إشراف مكتب منتخب من لدنه مركب من رئيس وخليفته وكاتب وخليفته — في جلسة اعتيادية في شهر مارس من كل سنة كما يمكن انعقاد جلسات غير اعتيادية باقتراح من المجلس الأعلى أو بطلب من ثلثي أعضاء المؤتمر. والمجلس الأعلى هو الذي يعين اليوم المناسب للاجتماع ومكانه ويخبر أعضاء المؤتمر بذلك خمسة عشر يوما قبل يوم الانعقاد.

المادة التاسعة :

لا يعتبر اجتماع المؤتمر قانونيا إلا إذا حضر أكثر من نصف أعضائه فإذا لم يتوفر هذا العدد جدد الاستدعاء لجلسة ثانية وتعتبر مقرراتها إذ ذاك نافذة بأغلبية أصوات الحاضرين.

المادة العاشرة :

لا تعتبر إلا أصوات الحاضرين من الأعضاء المنتخبين وتتخذ جميع القرارات بالأغلبية المطلقة في الدورة الأولى وبالأغلبية النسبية في الدورة الثانية.

المادة الحادية عشرة :

المجلس الأعلى هو الذي يهيئ جدول الأعمال ولكل عضو من أعضاء الحزب أن يبدى آراءه واقتراحاته في تقرير يرفعه للمؤتمر على طريق المجلس الأعلى ثمانية أيام قبل انعقاد المؤتمر.

المادة الثانية عشرة :

يقرر المؤتمر سير الحزب وخطته وميزانيته العامة وينتخب أعضاء المجلس الأعلى كما ينظر في كل مايسنده إليه هذا النظام الأساسي.

المجلس الأعلى :

المادة الثالثة عشرة :

ينتخب المؤتمر العام مجلساً أعلى لا يتجاوز عدد أعضائه لمدة سنتين ويجوز انتخاب أي عضو من أعضاء المجلس المنسحب كما يجوز انتخاب أي عضو من أعضاء الحزب.

وإذا تخلف عضو من أعضاء المجلس الأعلى لسبب يمنعه من بقائه في المجلس الأعلى فلهذا الأخير أن يعوضه بأحد أعضاء الحزب.

المادة الرابعة عشرة :

إذا تعذر على المجلس القيام بمهمته أو تأخر عن ذلك لسبب من الأسباب يجتمع المؤتمر باستدعاء من مكتبه لانتخاب مجلس آخر.

المادة الخامسة عشرة :

المجلس الأعلى هو الذي يمثل الحزب

— ويدير شؤونه

— ويضع ميزانيته

— ويكون مسؤولاً عن تنفيذ مقررات المؤتمر

— ويقوم بكل مايسنده إليه هذا النظام.

المادة السادسة عشرة :

يشكل المجلس الأعلى كتابة عامة من بين أعضائه كما يؤلف لجنة مختصة حسبما يحدده القانون الداخلي للحزب.

المالية

المادة السابعة عشر :

كل فرع يقرر ميزانيته السنوية من حيث الموارد والمصاريف ويعرضها من أجل الموافقة على المجلس الأعلى.

المادة الثامنة عشرة :

يقرر المجلس الأعلى ميزانية الحزب ويعرضها في آخر السنة على المؤتمر للمصادقة عليها.

المادة التاسعة عشرة :

المداخيل الاعتيادية للحزب هي :

أ) واجب الدخول في الحزب

ب) الاشتراكات الشهرية

والمداخيل الطارئة هي :

أ) التبرعات بأنواعها

ب) المداخيل الناتجة عن نشاط الحزب

المادة العشرون :

يحتفظ كل فرع بمقدار ميزانيته الخاصة ويدفع مازاد على ذلك لصندوق المركز.

تعديل القوانين

المادة الواحدة والعشرون :

النظام الأساسي يعدل بأكثرية ثلثي المؤتمر.

العقوبات

المادة الثانية والعشرون :

كل من خالف قوانين الحزب أو أخل بمبادئه أو قام بعمل يضر بسياسته يحاكم لدى لجنة تحكيمية

المادة الثالثة والعشرون :

تتراوح العقوبات بين الانذار والتوبيخ والتوقيف والرفض.

المادة الرابعة والعشرون :

يتحاكم أعضاء المجلس الأعلى أمام لجنة يعينها المؤتمر وتستأنف لديه أحكامها ويتحاكم بقية الأعضاء أمام لجنة محلية وتراجع أحكامها لدى المجلس الأعلى.

حول إصلاحات المقيم العام الفرنسي «كابريل بيُو»

ذكرت أثناء تحديتي عن المطالبة بالاستقلال والرد الفرنسي عليها بأن فكرة الاستقلال مرفوضة أساساً، وأن بعض الإصلاحات في دائرة الحماية، يمكن أن ينظر فيها. وفي هذا المجال فإن الإقامة العامة، اغتنمت وجودنا بالسجن وأذاعت بياناً أعلنت فيه أنها قررت تكوين أربع لجان تنظر في الإصلاحات التي يمكن أن تطبق، معتبرة أن الجو قد صفا لها باعتقال أغلبية المسؤولين في الحزب، ولذلك فإنها ستعمل على تطبيق إصلاحاتها التي رفضت المذاكرة فيها لجنة المفاوضة التي كانت تكونت إثر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير عام 1944.

وهكذا تكونت هذه اللجان يوم سادس عشر مارس 1944 إثر خطاب ألقاه المقيم العام المذكور، وتقدمت بمشروع إصلاحات اعتبرها من بقوا من المسؤولين في حزبي خارج السجن، مجرد تخدير للأفكار، وتنويم للشعب، وتهدة للخواطر، وهكذا تصدى لها بالرفض المطلق إخواننا الذين هيأهم الأقدار ليقوا حاملين للمشعل، مكافحين عن مصلحة الشعب رافضين لأيّ إصلاح مُمَوّه، يريد أن يطمس فكرة الاستقلال الذي يطالب بها الشعب تحت قيادة ملكه الهمام ولقد أذاع الحزب إذ ذاك بياناً هاماً ناقش فيه هذه الإصلاحات التي أتى بها مشروع الإقامة العامة موضحاً مواطن التغليب فيها، مؤكداً أن الإصلاح الحقيقي لا يمكن أن يطبق إلا في دائرة الاستقلال، ونظراً لأهمية هذه البيان، نثبته بنصه الكامل رغم إشارتنا له في السابق. قال البيان الحزبي الذي حرر يوم 18 شتنبر 1945 وقدم للإقامة العامة من طرف المسؤولين الحزبيين الذين كانوا خارج السجن والمعتقلات :

«وبعد، فإن الطبقة المتنورة في المغرب، لم تعر أدنى التفات لقرار المقيم العام الصادر في 16 مارس سنة 1944، لأنها تعرف عن طريق التجربة أنه لا يمكن انتظار شيء مهم من اللجان الرسمية التي هي وسيلة تقليدية لقبر جميع مشروعات الإصلاح الحقيقي. ولكن بما أن الإصلاحات نتيجة بحث استمر ستة أشهر، فيجب أن ندرسها وننقدها بكل إخلاص :

العدلية :

يمثل تنظيم العدلية الشريفة كجزء من الادارة العامة هذين الصفتين المزدوجتين : تبلور نظام عتيق قضى عليه وغير عن شكله، والسكوت أمام المتصرف أو المراقب الذي يتحكم فيه كيف يشاء تحت ستار الرئيس المغربي الصوري الذي يختار عادة من بين الأميين الطماعين الذين لا يقبلون هذه السلطة الوهمية إلا ليجدوا وسيلة لاختلاس محكوميتهم.

والسلطة السياسية التي من شأنها أن تقوي مركز الرئيس المغربي وتساعد على العمل، يضحى بها المراقب الفرنسي، مقابل غض هذا المراقب الطرف عنه لقضاء مآربه الشخصية، ويستفحل خضوع هؤلاء الرؤساء بفقدان قانون العقوبات الذي يجعل المراقب يحكم كما يريد.

«ويعتبر كل باشا وكل قائد رئيسا مطلق النفوذ على مرؤوسيه، ومن الطبيعي أن يتحكم كيف يشاء فليس ملزما بالبحث، ولا بدراسة موضوع الملفات، ولا بحق الدفاع، ولا حرية جلب المحامين، وكل ماهو من شأن العدالة يمكن أن يحذف أو يهدم برسالة من الحاكم الفرنسي، أو بدقة تيلفون، وكم يتملص الولاة (برسالة الطابع) مدعين تنفيذ أوامر الحكومة العليا.

فمجموع هذه الحالة هو الذي كان يجب أن تدرسه لجنة العدل لأجل تقرير وسائل تحسينها :

(1) تأسست لجنة القانون لتحرير قانون العقوبات، فيجب أن نسجل أنه منذ صدور القرار المقيمي لم تجتمع هذه اللجنة إلا مرة واحدة هي اجتماعها التأسيسي.

(2) أما اللجنة الاستشارية للعدل، فقد كلفت بدراسة مسألة فصل السلطات، هذا الفصل الذي يمكننا أن نؤكد وجوده في الشريعة الاسلامية، قبل أن يعرفه المشرعون الأوروبيون، على خلاف ما زعمته الاقامة؛ إذ الواقع أن القانون الاسلامي العام يقضي بأن يستمد سلطته من الشريعة مباشرة، ويتمتع بكامل الاستقلال عن السلطة التنفيذية التي لا تتدخل إلا في شأن توليته.

«ولكن اللجنة قد حصرت فصل السلطات في الشؤون المدنية والتجارية، كما قررت الاقتصار في التطبيق على المدن الكبرى، واختصاص الباشا والقائد الجنائي الذي يعتبر أشد فظائع النظام الحاضر بقي كما هو، وهذا التحديد يزيل كل أهمية للاصلاح؛ لأن

القاضي الذي يمكنه أن يفعل بالشخص كل ما يشاء، يمكنه دائما عن طريق هذا الحق أن يتحكم في ذلك أيضا، ولقد قال منتسكيو الكبير : (ليس هنالك حرية إذا لم تفصل قوات الحكم عن قوة التنفيذ والتشريع؛ لأنها إذا انضمت إلى السلطة التشريعية أصبح القاضي مشرعا؛ فإذا انضمت إلى السلطة التنفيذية أصبح القاضي قادرا على الظلم).

فأغراض واضعي الإصلاح المقيمي إذن واضحة، فهم يهتمون بالمحافظة على الوسائل التي تسهل عليهم دوام النظام بطريق القوة، وإجبار الشعب على الطاعة عن سبيل الارهاق، أكثر مما يهتمون بإدخال تحسينات على القضاء المغربي، وعليه فاتقاء التحكم بتحديد سلطة القاضي، وإعطاء هذا الأخير الضمان الكافي من أثر كل ضغط أو اعتداء عليه من طرف السلطة التنفيذية، وحماية الأفراد من سيطرة كل جستانو قادر على أن يسجنهم في كل لحظة أو يسيء إليهم من غير أدنى رقابة إلا التي ترجع إلى الإدارة غير المسؤولة — كل ذلك يؤدي في ادعائهم، إلى زعزعة أساس النظام والطمأنينة العامة.

«ولكن ماذا يعني إذن إقرار السلطة القضائية المعتر بتنظيمها والموضوعة لأشياء، من بينها فصل السلطات، واستقلال القضاء، والمحافظة على كرامة القضاء، إذا لم تتم حرية الشعب، وينته استغلال الانسان لأخيه الانسان، ويندحر مبدأ الاستعمار؟! انه من السهل — كما قال بعض الصحفيين — على الأقوياء أن يقاوموا الضعفاء، وليس كذلك للضعفاء حين يريدون مقاومة الأقوياء، وحينما يضيع سهر المحكومين على مصالحهم ويختل التوازن في صالح القوة لا يبقى للشعب أي اختيار إلا بين اثنين : الاستعباد، أو الثورة، لكن غالبا ما يكون اختلال التوازن مستفحلا إما بصفة ظاهرة أو مقنعة بمصالح حيوية مزعومة، وهكذا ينشأ المستبدون، وهكذا تحدث الثورات.

الإدارة العامة :

«يمكننا أن نلخص التدابير المتعلقة بالإدارة العامة فيما يأتي : إعطاء بعض الوظائف للنخبة المغربية ولكي تقبل النخبة هذا العطاء قرر لها التساوي في الأجور عند تساوي الكفاءات.

«ولكن لم يكن من الضروري أن تشكل لجنة كاملة للوصول إلى هذه النتيجة لأن مسألة توظيف النخبة المغربية في الإدارة الشريفة المحددة مسألة مفروغ منها بمقتضى ظهير سنة 1938، وأيضا فإن مسألة المساواة في الأجور وضعت على بساط البحث منذ أوائل عهد الحماية، وقدم فيها الذين يهمهم الأمر أنفسهم عدة مطالب ودراسات، وقد هيا لها اتحاد الموظفين حلا يجدر بالمقيم العام أن يوافق عليه اليوم، لكن لا ينبغي

للموظفين المغاربة أن يطمئنوا، لأنه ليس للحل المقرر إلا أهمية محدودة. إذ لا يستفيد منه إلا ذوا الاطارات (الكادر) الخاصة الموازية للاطارات الفرنسية مثل التراجمة والكتاب ومتصرفي البوليس وفقهاء الضرائب والأدعاء والكتاب المركزيين للحكومة وقضاة المحكمة العليا الشريفة وخلفاء الباشوات إلخ... فالتحيز وعدم المساواة ما يزال قائما فيما إذا لم تكن للمغاربة نفس الكفايات التي يقدمها الفرنسيون، مع العلم بأن أغلبية المغاربة غير مختصة، إن لم نقل ليست تقنية لا يستطيع الفرنسيون أنفسهم اقتناءها، ولكن ألا يصدر القاضي المغربي أحكاما؟ ألا يقوم أحد كتاب الصدر الأعظم بوظيفة المحرر؟ وبعبارة أخرى ألا يستحق المتخرجون من التعليم العربي المحض الاعتبار في بلد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة في جميع الأوقات؟.

«ومن جهة أخرى أليس من التحكم الابقاء على عدم المساواة فيما يخص التعويضات بالنسبة لهذا الصنف من الموظفين؟! ألم توضع هذه التعويضات لأجل مساعدة الموظفين في تكاليفهم العائلية أو لتشجيعهم على بناء الأسرة، وذلك بقطع النظر عن كل اعتبار للقيمة المهنية؟!

«لقد استدلو بعجز الاطار المغربي، ولكن من هو المسؤول عن ذلك؟ أليس من المؤلم أن يكون البلد المحمي بعد ثلاثة وثلاثين عاما من الحماية قاصرا عن إعطاء الاطار اللازم لتطوره؟ وليس من الممكن ادعاء أن الحماية يوم أسست وجدت فراغا كاملا أمامها، وأنها ليس من الممكن أن تملأ ذلك الفراغ في أقرب وقت، فقد قال ليوطي في تقريره للحكومة الفرنسية في 3 ديسمبر سنة 1920 : (لقد وجدنا هنا دولة وشعبا، إنهما حقيقة في أزمة وفوضى، لكن هذه الأزمة حديثة العهد، وهي حكومية أكثر منها اجتماعية، وإذا كان المخزن قد بقي مجرد مظهر، فإنه كان على الأقل قائم الذات، ويمكن الرجوع إلى الوراء قليلا لنجد منه حكومة فعالة تمثل في العالم دولة بوزرائها الكبار وسفرائها الذين اتصلوا برجال الدولة الأوربية ولا يزال البعض منهم حيا إلى الآن، وإذا قطعنا النظر عن المخزن فإننا نجد أمامنا منظمات لاتزال قائمة تختلف بحسب النواحي ولكنها تمثل حقبة أشياء موجودة).

«وإذن فالمغرب لم يكن متأخرا كما يريد البعض أن يدعي، بل كان على العكس مستعدا لمسايرة أشكال الحكومات العصرية، وإذا لم يكن قد تطور الآن فذلك لأنه لم يجد أي مساعدة من طرف الحماية، بل ان هذه الحماية قد اتجهت به إلى نظام الحكم المباشر.

وأما فيما يرجع للإدارة العامة الحقيقية فقد بقيت تدابير الإقامة العامة معدومة، والحال أنها هي عش الأزمة الحاضرة.

«وقد كان واجبا على اللجنة أن تثبت في هذا الموضوع قيمتها، وتعمل حقيقة شيئا مفيدا، ومهما يكن فإذا كانت النخبة المغربية لانتهم كثيرا بالوظائف المغربية فذلك لأنها فهمت جيدا أنها لا تدعى إلا للقيام بدور ثانوي، كما أنها اقتنعت بأن النظام الذي تطالب بخدمته ليس إلا مجموعة من المؤسسات المبنية على الغموض والمحسوبة، وعدم المسؤولية، والاجحاف، وأن عملها ليس لترشيد الشعب المغربي ولكن لاستعباده.

«ومن المفيد أن ننقل هنا هذا النص الذي يشرح عيوب هذا النظام الأساسي، قال ليوطي في تقريره المذكور :

(جميع التدابير الإدارية تصدر باسمه (يعني السلطان) فهو الذي يمضي الظهائر، ولكن ليس له في الواقع أي نفوذ محلي، ولا علاقة له إلا بالمستشار السلطاني الذي يراه يوميا، ولا يأخذ رأيه إلا بصفة شكلية، أما الصدر الأعظم وبقية الوزراء فلا يشاركون في أية مذاكرة تتعلق بالمسائل المهمة التي تدرس بعيدة عنهم في المصالح الفرنسية، وليس هناك اتصال بين رؤساء هذه الإدارات وبين الوزراء والخزن الذي لا يتحرك ويكاد ينهمك في سبات لذيذ، ويلاحظ بسهولة أن احتكار الولاة الفرنسيين للسلطة التشريعية حملهم على أن يكونوا هم وحدهم المنفذين لقراراتهم، وقد أدى ذلك إلى مزج السلطات وعدم وجود مسؤولية حكومية بالمرة).

«وقال رونييه فلانند الناشر المشهور : إن أقل الناس انتباها يدرك أن البلدان تفقد قدرتها إذا كان خمسمائة مليون من ميزانيتها البالغة مليارا من الفرنك يصرف في نفقات الإدارة، وثلاثمائة مليون على فائض الديون، تلك هي حالة المغرب !
«فحكومة ذات عشرة آلاف موظف في بلد سكانه ثمانية ملايين، ان ذلك لشيء غريب !

يوجد في المغرب ثلاثة وستون عنوانا لأنواع التعويضات، ومن بينها تعويض التقنية والمحصول، مع أنهما السبب في تأجير الموظفين الذين شأنهم أن يعرفوا ويمارسوا مهنتهم، والامتيازات والعطاءات والصلوات هي التي ترفع الأرقام التي تحملها الميزانية المغربية (ملخص من جريدة صدى باريس).

التعليم :

«كيف يمكن أن تحل مشكلة التعليم في المستعمرات الفرنسية وبلاد الحماية ؟ لقد أجاب على ذلك الاختصاصيون في السياسة الأهلية بأنه لا ينبغي تعميم التعليم بين الأهالي لما في ذلك من الخطر الذي يبعث في نفوسهم آمالا سياسية تقضي يوما على سيطرة المحتل نفسه، لا ينبغي نشر التعليم بسخاء كما توزع الكينا، ولكن يلزم أن يقدم ويوضع تحت تصرف المسلمين كجائزة وتشريف تخصص به الأرستقراطية الأهلية، ومن المفهوم عند الأمة الفاتحة أن الشباب المدرسي المختار من بين أبناء الأعيان يلزم أن يعد للملء الوظائف الحكومية أو لإعانة إدارتنا. ذلك ما قاله مؤلف «موجز السياسة الإسلامية» المطبوع بمطبعة بوسار بباريس سنة 1925.

«ان التعليم هنا ليس غاية لذاته، وإنما هو وسيلة للحصول على الفتح المعنوي الذي هو الغاية الكبرى للمدرسة الأهلية. وذلك ما قاله أيضا الكراس الذي نشره المدير العام للتعليم العمومي سنة 1930.

«وجاء في منشور لادارة المعارف (نشرة التعليم رقم 25 في سنة 1920) التعريف الآتي للمدرسة :

المدرسة تكتفي برفع القيمة المعنوية لمقدرة الأهلي المهنية، وهي عامل للثروة والسلم والشغل، أما السياسة بالمعنى الأوربي العصري للكلمة فلا يتفق مع العمل التقدمي الذي نقوم به هنا، وعليه فلا ينبغي أن يذكر لا في ترشيد المواطنين المغاربة ولا في تحرير المرأة.

«إذن فالتعليم في المغرب لم يعتبر إلا من جانب مصلحة الاستعمار الفرنسي، وهذا شيء حقيقي إلى حد أن الادارة في سبيل تقسيم البلاد وعرقلة التقدم الثقافي للمغاربة أظهرت كل خصومتها لشكل المدرسة الموحدة الذي يطبق في سائر العالم، فأصبح المغاربة ملزمين بتقديم (الزبائن) لمختلف أشكال المدارس وهي :

المدرسة الفرنسية العربية.

المدرسة البربرية.

مدرسة أبناء الأعيان.

المدرسة الصناعية.

المدرسة القروية للمناطق العربية.

المدرسة القروية للمناطق البربرية.

المدرسة الاسلامية لبنات الأعيان.

المدرسة الاسلامية للبنات.

«وانه لمن المتيقن ان هذا العزل سيستمر إذا لم يزد تنوعا بمقتضى الاصلاح الذي أعلنه المقيم العام.

«وان عمل الحماية بعد ثلاثة وثلاثين عاما ليتفق مع المبادئ المذكورة سابقا، فقد أنجبت ثلاثة أطباء وستة محامين وستة مهندسين زراعيين، وعليه فلا يمكن أن ننتظر الآن من التعليم الفرنسي الاسلامي المبني على هذه الأسس أن يصل إلى تكوين الاطار الذي يتوقف عليه المغرب في أمد قصير بمجرد زيادة خفيفة في عدد المدارس.

«وأیضا فإن هذه الريادة الضئيلة في برنامج الحماية لاقتضى إلا بتأسيس مائتي فصل تشتمل على عشرة آلاف تلميذ كل سنة وذلك لمدة بعض الأعوام، في حين انه يوجد زهاء مليون من الأطفال في السن المدرسي، منهم ثلاثون ألفا فقط منخرطون في المدارس الموجودة.

«فإذا اعتبرنا أن عدد السكان في بلد ما يتضاعف كل خمس وعشرين سنة بمقتضى ناموس معروف فسنجد أنفسنا في المدة المنتظرة إزاء ارتفاع محسوس في عدد الأطفال المهملين.

«ان إدارة الحماية تعتذر أحيانا بفقد الاعتمادات، وأحيانا بظروف الحرب وما أدت إليه من فقد المواد البنائية، ولكن هذه الصعوبات تغلب عليها الادارة حينما تحتاج لارضاء السكان الأوربيين الذين لا يؤدون إلا خمس ميزانية المغرب.

النظام الفلاحي :

«أما فيما يرجع للبرنامج الاقتصادي فقد سكت مشروع الاصلاح المقيمي عن العمال وصناع المدن الذين هم في حالة سيئة، ولكنه يشتمل على بعض الأشياء فيما يرجع للفلاح، نعم ان لجنة النظام الفلاحي قد اضطرت إلى الاعتراف بأن تطور العمال الزراعيين أساس لتطور جميع البلاد، وهذا صحيح خصوصا بالنسبة إلى شعب تكون القرية ستة أعشاره.

«ولكن الوسائل التي قررتها هذه اللجنة لترضية جمهور الفلاحين المغاربة ورفع مستوى حياتهم عديمة القيمة؛ لأنها تقف عند تشكيل مجلس أعلى للنظام الفلاحي، وإنشاء مشروع زراعة إجماعية لما يبلغ ألفي هكتار من الأرض وأخيرا احداث ملك عائلي غير قابل للتفويت.

ان تجاربنا للأساليب الادارية علمتنا أن تأسيس مجلس ما، يعادل تأجيل العمل لأجل غير مسمى، وهكذا ينبغي لفلاحينا أن لا ينتظروا نتائج ملموسة ومستعجلة من المجلس الأعلى المذكور الذي لا تتعدى مهمته حدود دراسة المسائل الراجعة إلى وضع ميثاق ينظم أحوال (الخماس).

«و قليل من الناس من يعرف أن مشروع الزراعة الاجماعية سيقع على ألفي هكتار، وذلك شيء ضئيل جدا، وعلى العكس فإن تأسيس ملك عائلي غير قابل للتفويت لو طبق باحتياط لوضع قسما من أبناء القرية في مأمن من البؤس، وأرضي في النهاية جميع الذين طالبوا بهذا الاصلاح منذ عشر سنوات عندما كان الفلاح لم يضيع بعد أغنى تراثه غير المنقول.

«لكن إعطاء الفلاح المغربي قطعة من الأرض ليس كل شيء؛ لأن حالة الفلاح تدعو إلى حلول أكثر جراءة وعمقا، والاصلاحات التي تتطلبها حالة الفلاح الوقتية تتناول بصفة عامة ما يعيد له كرامته الانسانية، ويحسن معيشته المادية وحالته المعنوية بالقضاء على الامتيازات الاقطاعية وضمان اطمئنانه الشخصي وحفظ ماله وحمايته من المرض والبؤس والجهل.

«ان البدو المغاربة الأذكىء لم يحصلوا في مجموعهم على أي تقدم أثناء الثلاث والثلاثين سنة الماضية، ولم يبقوا فقط في الحالة المزرية التي كانوا عليها، بل انهم أصبحوا يكونون جيش الأرقاء المسخر لخدمة الرؤساء المغاربة أو المراقبين الفرنسيين أو المعمرين أو موظفي الجبايات ورجال إدارة المياه والغابات... إلخ.

«والسلطات التي كان يجب أن تحمي الفلاح من جهله ومن عدم احتياطه لم تقم بأداء مهمتها، بل انها شجعت أولئك الذين يستغلونه ويظلمونه، وشاركت بكيفية غير مباشرة — وحتى بكيفية مباشرة — في تصعلكه.

«وأكثر من هذا فإن السلطات حينما رأت أن الفرصة قد أتحت للفلاح المغربي لكي يسترجع البعض من تراثه المنتزع منه لفائدة الاستعمار عملت بحزم لمنعه من شراء الأملاك التي عرضها الأوربيون للبيع منذ سنة 1941.

«وأیضا فإن الفلاح قد أهمل حتى انه مازال يحرق أرضه بالأساليب العتيقة، ومعنى هذا أن كل إصلاح لا يرمي إلى تكوين إطار فني مغربي بقصد تحسين وسائل الفلاحة الأهلية هو إصلاح يؤدي حتما إلى الفشل».

الدفاع عن سيادة الشعب :

وحينما بدأت الحملة الانتخابية لتعيين أعضاء الجمعية الفرنسية قرر القسم الفرنسي لما يسمونه بمجلس شورى الحكومة بالرباط في اجتماعه الختامي المطالبة باشتراك الفرنسيين في هذه الانتخابات ، فرفع المرحوم اليزيدي باسم اللجنة التنفيذية للحزب احتجاجا لجلالة الملك وللإقامة العامة نرى من الفائدة تلخيصه هنا :

«ان حزب الاستقلال المتأثر لادعاءات الجالية الفرنسية أن لها الحق في التمتع بالحقوق السياسية في المغرب.

«بعد أن اعتبر القرار الذي اتخذته القسم الفرنسي لمجلس شورى الحكومة فيما يرجع لهذا المعنى.

«وبعد ان اعتبر كذلك أن مجلس الوزراء الفرنسي اتخذ تدابير لتطبيق هذا القرار وان الإقامة العامة أصدرت كذلك قرارا بهذا المعنى مؤرخا بيوم 4 أغسطس 1945.

«وحيث إن الحق الوحيد الذي يمكن أن يتمتع به الفرنسيون وغيرهم من الأجانب بالمغرب هو الحق الشخصي المعترف به بمقتضى ظهير 19 أغسطس سنة 1915 الراجع للأحوال المدنية.

«وحيث إنه لا يمكن تناسي السيادة المغربية المؤكدة حتى بالمعاهدات القائمة ولاسيما معاهدة الجزيرة.

«وحيث إن المعاهدات المفروضة على المغرب رغم ما غصبت به من حقوق دبلوماسية فقد أبقت المغرب بلادا تتمتع بالحكم الذاتي وتعتبر أقاليمه أجنبية عن الأراضي الفرنسية.

«وحيث إن عدیدا من الأحكام الصادرة من المحاكم الفرنسية العليا قد أكدت هذا المعنى وشرحت حتى المقصود من الحماية المفروضة.

«وحيث إن هذه النظرية هي التي تنبني عليها أحكام سياسية وقضائية أهمها بالنسبة للوقت الحاضر أن المؤسسات السياسية الفرنسية لايمكن أن يكون لها محل في المغرب الذي هو بلد أجنبي؛ لأن التمتع بالحقوق السياسية مرتبط تمام الارتباط بجنسية الاقليم، وقد صرح الماريشال ليوطي في خطاب ألقاه بالرباط يوم 24 نوفمبر سنة 1918 بأن الفرنسيين يضيعون وقتهم حين يطالبون بالحقوق السياسية في المغرب وأنه لايمكن أن يحصلوا على أي تمثيل سياسي.

«وحيث إن منح الجالية الفرنسية حق الدخول في انتخابات الجمعية التأسيسية أمر ارتكبه الحكومة الفرنسية خرقاً لكل التعهدات والالتزامات.
«وحيث إن السكوت على هذا الواقع يعد مشاركة في جريمة اقتطاع الوطن وتجنيسه
فإن الحزب :

- (1) يحتج بكل صراحة ومع اليقين الذي يكسبه الحق الثابت على قرار الحكومة الفرنسية المخالف للمعاهدات والصادر من غير أدنى استشارة للمغاربة.
- (2) يستنكر حركة المطالبة التي تقوم بها الجالية الفرنسية والتي تعتبر خطراً يهدد الدولة المغربية والشعب المغربي.
- (3) يوجه نظر جلالة مولانا الملك للخطر الذي يهدد السيادة المغربية التي يعتبر مولانا حارسها الأمين.
- (4) يطالب الحكومة الفرنسية بإلغاء التدابير المتخذة في هذا المعنى والتي تذكر من قريب أو بعيد بسياسة التجنيس والادماج».

(الرباط في 18 سبتمبر سنة 1945)

من خلال اطلاع المتتبع للحركة الوطنية الاستقلالية، ورجالها الأولين المؤسسين، أنهم ما تخلوا في أي ظرف من الظروف مهما كانت قاسية عن القيام بواجباتهم، في الذود عن حيض المملكة المغربية، والشعب المغربي ومطامحه في الاطلاع الحقيقي، ورفض أي اعتداء على كيانه الوطني وحقوقه الوطنية، وعدم المساس بها من طرف الجالية الفرنسية التي كانت تغتنم كل فرصة ممكنة للاعتداء على السيادة المغربية التي يمثلها جلالة الملك، والحارس الأمين للشخصية المغربية. وإن الاطلاع على رد الاخوان الاستقلاليين وفي طلبعتهم المرحوم اليزيدي على اصلاحات المقيم «بيو» وعلى محاولة الجالية الفرنسية مشاركة المغاربة في التمتع بالحقوق السياسية مثل المغاربة يثبت لبعض المتشككين، الذين تساءلوا عن أسباب عدم اعتقال البعض من القادة المذكورين، والذين أجبناهم سالفاً بأن ذلك كان من التدبير الإلهي الحكيم، ليقفوا حارسين للعرين، ومدافعين عن الكيان المغربي الحر، فجازى الله الصادقين المخلصين، والله من وراء القصد.

شاهد يروي أحداث 29 يناير سنة 1944 بمدينة سلا



رأيت أن أنشر ضمن ملحقات المذكرات، مقالا
للمرحوم يونس نكروف حول أحداث ومظاهرة 29 يناير
1944 في مدينة «سلا» نظراً لما اتصف به من وصف دقيق
للأحداث التي تلظى بلهيبها، واكتوى بنارها وذاق مرارة
السجن بسببها.

والمرحوم بكرم الله يونس نكروف، من مواليد مدينة
وجدة المكافحة، والتحق بصفوف حزب الاستقلال أوائل
الاربعينيات عندما كان معلماً بمدرسة أبناء الاعيان بـسلا

يونس نكروف

ولقد تقلب في عدة وظائف بعد الاستقلال من جعلتها تعيينه سفيراً لجلالة الملك في
بعض الأقطار. ويعتبر من ألمع الكتاب باللغة الفرنسية، وطبعت له عدة كتب في فرنسا،
من جعلتها كتابه عن معركة الملوك الثلاثة، حصل بسببه على جائزة افريقيا المتوسطية،
وعلى جائزة الآداب الناطقة بالفرنسية خارج فرنسا وكتاب آخر اسمه : (صدقة عاطفية)
نشرها «آلبان ميشال» بفرنسا أيضاً، وجمع فيه عدة وثائق نادرة، وأبحاث دقيقة داخل
خزانات مغربية وفرنسا كما ذكر ذلك أحد الذين كتبوا عنه وهو السيد (جان دوولف)
الذي ذكر أيضاً أن له كتاباً مرجعياً آخر (يضع إلى الأبد، وبحجج بليغة، حقيقة التنافس
الأمبريالي بين أكبر ملوك العصر : لويس الرابع عشر ومولاي اسماعيل)

لقد قال عنه السيد «جان درلف» المذكور : (بسبب عظيم معرفته التاريخية ومعارف
أخرى قيمة — شارك في نسج هذا الرباط العربي الأروبي، الذي نحن في أمس الحاجة
إليه بعضنا البعض).

ويونس نكروف رحمه الله كما عرفته، كان شاباً لامعاً، قويّ العاطفة، صادق الوطنية،
ذا مقدرة على التبليغ في اعطاء دروسه يحبّ إليه تلاميذه بكل ما يستطيع، وكل التلاميذ
الذين درسوا عليه، بقوا يلهجون بذكره، والثناء عليه.

لقد أبت زوجته الفاضلة السيدة فريدة نكروف، الا أن تزودني بمقاله الذي أنشره
الآن مع استفادتي من مقال للسيد (جان دوولف) كما زودتني بصورته الشخصية فلها
الشكر الجزيل.

يسرني أن أنشر هنا مقالا ضافياً كان حرره المرحوم الأستاذ يونس نكروف لجريدة «صحراء المغرب» عن أحداث ومظاهرة 29 يناير 1944 في مدينة سلا، والتي شارك هو بنفسه فيها ويتحدث فيه بإسهاب عما لاحظته ورآه وقاساه في اليوم المذكور قال نكروف : فاتحاً مقاله بما يلي :

«... إلى الأبد، إلى الأبد، لن ينمحي من ذاكرتنا ذلك اليوم الذي به بدأت وستستمر بعزم ونشاط معركتنا الوطنية...»

بمجرد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944 حدث في الأيام التالية له، حماس عظيم، لا يصدق، سواء في المدن أو البوادي المغربية.

بمجرد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944 حدث في الأيام التالية له، حماس عظيم، لا يصدق، سواء في المدن أو البوادي المغربية.

كنت آنذاك معلماً بمدرسة أبناء الأعيان بسلا حيث عينت بقسم المتوسط الثاني الابتدائي (CM2).

مدة أسبوعين لم أنقطع أنا وتلاميذي عن طبع نص الوثيقة بالرونيو. هؤلاء الأطفال الأعراء، أطفال 11 سنة إلى 13 سنة، قاموا بتوزيع الوثيقة بالملئات بالآلاف داخل المدينة، وكانوا يجيئون بأصدقاء هذا التوزيع وبردود الفعل الحماسية، وكذلك بردود فعل السلطات الفرنسية وجرس الخطر في المساجد والأسواق والدور، سؤال واحد يتردد بالحاح، كيف سيكون رد فعل السلطات الفرنسية ؟

بخصوص ناقوس الخطر، دارت في المدينة أنباء مقبولة وغير واضحة، هي أنه سجلت تحركات لفرق فرنسية عسكرية، الفرقة العسكرية الثانية DB صعدت من إفريقيا متجهة لمحاربة الألمان قد تكون أرسلت وحداتها حول أهم المدن المغربية وبالحقيقة الدقيقة فإن القصر الملكي أحيط بهذه الوحدات وتزعم أنها جاءت لحماية جلالة الملك.

وأخيرا وصلنا هذا الخبر، وهو أنه أُلقي القبض، أو سيقلى القبض على زعماء الحزب. يوم 27 يناير هذا الاحتمال بالقبض على الزعماء أصبح تهديدا حقيقيا، الانفعال والغليان بسلا وصل إلى أقصاه ! سيدي بوبكر القادري خبرنا بما جريات الوضع الرهيب في الرباط وفاس، إنه يحتفظ بهدوئه ويستعد، ويهيننا لما هو أفضح.

مساندة جلالة الملك : وفرحة وغليان

يوم 28 يناير قررنا أنه إذا أُلقي القبض على زعمائنا، تنظم مظاهرات شعبية، ونتجه إلى الرباط ونجهر بمساندتنا لجلالة الملك والزعماء وكذلك مساندتنا التامة لوثيقة الاستقلال.

وكانت طريقة اللطيف إبان الظهير البربري المشؤوم لعام 1930 قد نظمت مرة أخرى، وصودق عليها، وأنشئت لجن، فعينت داخل لجنة الاسعاف التي يجب أن تسعف بالمال الأسر لأولئك القتلى المحتملين بينا أو المقبوض عليهم.

وجاءني الأمر بأن لأعادر منزلي حتى لايقبض علي، وحتى أقوم بدور الإسعاف. ورغم أنني غير راض لعدم مشاركتي في المظاهرة، فإنني أذعنت للأمر، النظام يحكم (discipline oblige) يوم 29 يناير منذ الصباح كانت مدينة سلا في غليان، الأمن العسكري للحكومة، أُلقي القبض على السادة أحمد بلافريج محمد اليزيدي، أحمد مكيوار... الإنفعال قوي، القرار أتخذ، المظاهرة الشعبية «اللطيف» سينطلق من الجامع الأعظم بسلا بمجرد الانتهاء من أداء صلاة الظهر.

رجال، نساء، أطفال، كلهم تحولوا إلى ناطقين متطوعين وذهبوا داخل أزقة المدينة لينشروا خير اعتقال الزعماء ويخنوا الناس على الاستنكار، ويحرضوهم على المقاومة، وبالتالي ليطلبوا من كل واحد أن يحضر إلى الجامع الأعظم لأداء صلاة الظهر.

وبالفعل حين أشارت الساعة إلى الثانية عشرة تقاطرت أفواج المؤمنين على المسجد، وملئت أنحاؤه وساحته، ورويدا رويدا تعدت الساحة إلى حوالي الأزقة.

في مثل هذا الجو، نسيت عهدي بالبقاء في البيت، وتأثرت بهذه الأفواج فاندفعت إلى الأمام، فوجدت نفسي داخل المسجد بين أصدقائي، بين المؤمنين.

بعد ذلك يسمع صوت المؤذن الرهيب الذي تقشعر له الجلود، وأدى إلى خشوع

كبير، كان الصمت تاما، وبدأت الصلاة (إنا لله وإنا إليه راجعون) لقد عشنا لحظة الأبدية، لم نرجع منها إلا على صوت الامام وهو يقول : السلام عليكم ورحمة الله !..

المظاهرة

لقد انتهت الصلاة، وفي الحين صاح صوت رنان، مستعطف وحزين :

يالطيف الطف بنا يالطيف !

يالطيف الطف بنا يالطيف !

وبعده أصوات أخرى، ثم أخرى منسجمة وبصدي مؤثر :

يالطيف الطف بنا يالطيف !

وارتفع النداء وتسارع ووصل إلى خارج المسجد فتلقفته الحشود ووصل صداه إلى المدينة كلها ولن يوقفه أي شيء بعد.

لكن ومنذ البداية وفي نسق مع اللطيف ارتسمت حركة وسط المؤمنين نعم. فعند الخروج من المسجد تكون حشد كيف ؟ من ؟ ربما لن نعرف ذلك أبدا وعلى كل حال وغريزيا وجد على رأس الحشد أبو بكر القادري عبد الرحيم بوعبيد، والشاب ابن اعبود... ثم وطنيون آخرون معروفون واتجه هذا الحشد إلى أزقة المدينة، ومنها إلى باب الحباز، وتكاثف من هنا وهناك شباب ونساء وشيوخ، والكل يهتف باللطيف وتعالى الأصوات، وقوى اللطيف وارتفعت الأيدي مهددة وأصبح الحشد طوفانا وتحول إلى ثورة.

بداية المأساة

على محاذاة سوق الخضر بدأت المأساة التي تحولت إلى كارثة مفجعة : هناك تكون حبل من الفرق العسكرية من الجانبين، بدعوى أنه سيوقف الحشد، ويبعض المتظاهرين، شرطة فرنسية، جنود فرنسيون وسينغاليون من فرقة DB 2 بسلاحهم في أيديهم، يطلقون الرصاص في الهواء وباتجاه المتظاهرين. من سقط ؟ وكم هم الذين سقطوا لعلنا لن نعرف هذا أبدا ؟

وكانت الطامة، واختلطت الأمور، وعرفنا بعد ذلك بكثير أن ضابطا فرنسيا قد طعن داخل المظاهرة واسمه دافيد.

في تلك اللحظة لم يهتم أحد منا لا بالموتى، ولا بالجرحى، ولا بدافيد، فالمتظاهرون تخطوا هذه الحبال العسكرية والأمنية وامتدوا إلى باب الخباز لم نعد نسمع اللطيف، وإنما كلمات وأوامر أخرى هي : يحيى الملك ! يحيى المغرب ! إلى المشور

وبحماس اتجه الجمع نحو القوارب (لم تكن قنطرة الحسن الثاني موجودة) وفي نيته تخطي نهر أبي رقرق، في اتجاه القصر الملكي، لآظهار مساندته لسيدى محمد بن يوسف وليطلب منه التوسط لاطلاق سراح زعمائنا.

هناك كانت الأبواب مقفولة بأسلاك الحديد، ووراءها اصطفت عدة صفوف من الجنود الفرنسيين والسينغاليين برشاشاتهم.

وفي مكان وراء هذا كان (كُوصُطُوذَوَى) المراقب المدني (وُدُوَسْتُطِي) الكوميسير الحكومي والمكي الصبيحي الخليفة، وآخرون رسيون.

هناك ! ومن جديد رغم الأسلاك والحواجز، كانت الفجيرة والدم ! لقد أطلقوا الرصاص في الهواء وكذلك وسط المتظاهرين صيحات، أصوات الألم والغضب كل شيء تحول إلى فوضى كل شيء اختلط.

كنت مدفوعا، فأصبحت مُندفعا. وعلى الحواجز صحت بصوتي : إنها مظاهرة سلمية نريد أن نمرّ، نريد أن نذهب إلى القصر الملكي ! الجواب : مستحيل ! اذهبوا إلى حال سبيلكم، عودوا إلى منازلكم، في نفس الوقت ومن ورائي نفذ الصبر، وديست الجموع وعلت الأصوات : يحيى الملك ! يحيى المغرب !

ونحن في المقدمة أمام الحواجز لازلنا مصرين على الذهاب إلى القصر، إلى الرباط. واستمرت المناقشة مع السلطات الاستعمارية، تتخللها أصوات غاضبة، واستمرت إلى درجة الأبدية. ثم أصوات الأسلحة تستعد ورصاص يرمي وسط الحشد... ومر الوقت فإذا هو الغروب وفي وسط ظلمة الليل عدنا إلى البيوت

ونحن لانحس بالتعب ولا بالجوع ولا بالعطش. وحمل الموتى والجرحى، كل واحد دخل بيته.

إسدال الستار

وأسدل ستار الليل على مدينة سلا وعلى اليوم المشهود.

لم تنم سلا هذه الليلة. إنه الظلام الشديد. لقد قطع الفرنسيون التيار الكهربائي على المدينة.

وخلال الليلة قامت الفرق الفرنسية بالتجول في أزقة المدينة، وتسلمت السطوح واحتلتها، كانت أضواءهم في أيديهم. تلتقي، وسمعت طلقات نارية خشنة متبوعة برصاصات الرشاشات، من قتل هذه الليلة ؟ وكم كانوا ؟ لانعرف ذلك وربما لن نعرفه بالمرّة !!

وفي اليوم التالي بزغت الشمس على سلا الخالية : الأسواق، الحوانيت المدارس بقيت مغلقة، لم تسمع إلا أصوات الفرق العسكرية تجوب الأزقة، انها O.B 2 وامتلات السطوح بالسنغاليين الجنود، وأسلحتهم بأيديهم والأصابع على الزناد وأنسل وسط هذه الدوريات العسكرية طفل في 12 من عمره انه حسن الحلو، تلميذي في المدرسة حوالي 9 صباحا يخبرني بأن الفرنسيين بدأوا يلغون القبض على زعماء مظاهرة البارحة.

وبالفعل فبمجرد ذهابه، طرق باب منزلي مخزني رفقة جندي فرنسي وآخر طابور. وصرخ : إنك مطلوب من طرف الخليفة. ودفعوني حتى وجدت نفسي داخل قاعة المكسي الصبيحي، لم يكن هو موجودا، ولكن كان هناك كثيرون من المناضلين لأذكرهم كلهم وفيهم : بوبكر القادري، عبد الرحيم بوعبيد، الطاهر زنيبر، القاضي زنيبر ولده والشاب أحمد بنعبود، وعبد السلام النجار إلخ... هل كنا في قلق على مصيرنا ؟ هل تأثرنا برؤية الجنود والأسلحة ؟ ليس ذلك على الحقيقة، وإنما نظر بعضنا إلى بعض والابتسامة على الشفاه وكأننا نقول ليكن مايكون، فنحن لانبالي ! لقد كنا صامتين، لقد كان بيننا الخونة الذين كانوا يترصدون كلما تنا خفية ويدلون بها إلى مصالح الاستعلامات الفرنسية.

الصف الهندي

وفي الساعة الواحدة كانت القاعة ملئي بحوالي 80 «مستدعي» وأوقفونا واحداً وراء الآخر fileindienne في الزنقة، أثناء خروجنا همسوا في اذني «كن في الصف الأول فإنك تتقن الفرنسية» وهكذا وجدت نفسي على رأس الصف، في «الدرجة الأولى !» واحاطونا بمجنود فرنسيين وسينغاليين برشاشاتهم، ووجهونا وجهة المراقبة المدنية، على كل حال هذا ما اعتقدناه، لكن الحقيقة أن الأمور اخذت مجرى آخر، فبمجرد خروجنا ابواب باب الحياز بدأت المأساة. أما مسرح هذه المأساة، فهي ساحة سيدي بوحاجة، في ذلك الوقت كانت خالية من كل بناء.

وسط الساحة، اصطف اثنان من الحبال البشرية، من الجنود الفرنسيين والسنغاليين بأسلحتهم، وعلى رأسهم ضباطهم وحولهم على بعد 50 مترا، حاجز حديدي مسند بجنود، وفي شكل نصف دائري داخله الأوروبيون الذين يسكنون بسلا، جاءوا ليشاهدوا هذا المشهد الذي بدأ منذ وصولنا إلى الساحة.

في البداية وقبل كل شيء بقوة بدأت الصفعات، والضربات والضرب بالأرجل وأعقاب السلاح، أوقفونا واحدا وراء الآخر، مقابلين لسور المدينة. وكما قلت كنت على رأس الصف : «أقبل أنت ! قال الضابط.

واتجهت نحوه إلى وسط الساحة.

انزع ساعتك ! اخلع ثيابك !»

ونفذت الأمر، ساعتني، معطفي، ملابسي، أخذها من يدي وبحث فيها ثم رماها على غطاء عسكري كان بالأرض، عن يميني رمى بأوراقي وبطاقاتي، وعن جهتي الأخرى، نقود، خاتم، ساعة، قلم (وجاءتنا الأخبار بعد ذلك بأن هذه الأشياء اخذتها مصالح الاستعلامات الفرنسية وضباط غنيمة حرب ! وخلعت كل ملابسي إلا من «السليب» وجاءني الأمر الوقح «اخلع أيها النذل ! Canaille وخلعت «السليب» وحفظاً على عرضي وغريزيا قعدت ووضع يداي بين ركبتي، وبمجرد قعودي جاءني ضابط وضربني بقوة برجله على دبري، فأسقطني على وجهي، وضحك الجنود. وسخر الأوروبيون الذين يشاهدون المشهد وسمعت : نعم تريدون الاستقلال !؟»

وثارت في نفسي مشاعر الثورة فقممت مستقيما على قدمي عاريا لا أبالي، كان الجو باردا، لم أشعر به، وكان اهتمامي باللحظة التي أنا فيها، وفي اللحظة التي تليها. «أقبل بيكا صرخ الضابط، وخرج سينغالي في الصف وسلاحه على كتفه وحضر امامنا.

«فيكس ! دومي طور...!»

واستدار السينغالي : «إلى الأمام، تقدم !»

وابتعد السينغالي على نحو 60 متر. «فيكس ! دومي طور ! يمين املا السلاح ! وملء السلاح ! وصبوب السينغالي سلاحه نحوي في اللحظة، وبدون خوف لم أتمن إلا أن أموت مسلما ! فقلت : سيدي ! سيدي ! من فضلك دقيقتان أو ثلاث، أريد أن أقرأ القرآن قبل أن أموت» !

واجابتني ضحكات كبيرة عظيمة، وكأنه يضرب على فخذه من شدة الضحك،

ثم هدا الضابط وقال : «أمبسيل» ! «أمبسيل» انك لا تستحق ولو رصاصة تقتلك ! وبغلظة تحول إلى أصدقائي الذين اصطفوا وصرخ : «انتم هنالك لا يتحرك أحد منكم أو اطرح هذا قتيلا ! أن لا تساوي نفسي رصاصة فرنسية فأني أشكر الله على ذلك، وأدركت ان هذا العمل نخوي كأنه في نفس الوقت محاولة ردع أصدقائي من الحرب. وبالفعل نودي على الجميع وأمرهم الضابط بنزع ثيابهم إلى درجة العري، ولقوا نفس مالمقت، إلا أنهم ارتدوا ثيابهم بسرعة، ووقفوا أمام المراقبة المدنية.

80 مناضلا فتشت ثيابهم ! هذا يتطلب وقتا، ولا يمر دون العنف، وبعضهم صبر على مالمقى بأباء مثل عبد السلام النجار وبوعبيد... آخرون. لكن الظالمين تعبوا من التفتيش من هذا العمل الذي ملوه، أخيراً سمحوا لي بأخذ ثيابي فلبستها بفرح، مسر بـلالي من عضات البرد ووقفت على رأس الخط.

في ذلك الحين بدأ الظلام سد ستاره، عند ذلك أقبلت نحونا ساحات عسكرية... وبضرب. . في كل مكان وكيفما اتفق اركبونا في الشاحنات، وفي كل شاحنة قفز بعض الجنود المسلحين لمراقبتنا وهكذا اتجهت الشاحنات إلى الرباط متبوعة ببعض سيارات «جيب».

الوجهة : السجن

الوجهة : سجن لعلو، حين وصلنا أخذونا خلال الممرات ذوات الأضواء الباهتة وفرقونا في عدة زنزانات (cellules) كنت في زنزانة مع 5 من أصدقائي، وهي عبارة عن ممر قياسه متران على 3 أمتار، وكانت أرضه من الأسمنت، وفي ركن من أركانه ثقب أريد له أنه يكون مرحاضا WC وعلى الأرض 6 حصائر بالية، مقطعة هي للسجناء أفرشة وبدون غطاء. كنا لاندري ماهو مصيرنا وماذا سنعاني في السجن، مترقبين لبرد شديد في هذا الفصل من السنة (يناير) ونحن مضطرون لقضاء حاجتنا أمام الآخرين.

لكن لنستمر نحن 6 في هذه الزنزانة الصغيرة : بوبكر القادري، عبد الرحيم بوعبيد، أحمد بليمي، قاسم الزهيري، الصديق بلعربي، وعبد ربه.

وأقفل الباب علينا، وأطفئ الضوء، لكن من خلال فتحة فوق الباب انبعث ضوء خافت، مكنا من أن نأخذ حصائرنا ونبتعد عن الثقب الذي تنبعث منه رائحة كريهة. وخلال وقت غير مضبوط كانت تعليقاتنا عن اليوم تنتهي بأن نقول : «سوف نرى»

ماهو مصيرنا ! ثم بعد وقت طويل تحدثنا بدقة متناهية، هذا الحدث الذي عشناه. ومن شدة التعب والجوع والعطش، بلغنا الإنهاك، وتلاشت أصواتنا الواحد تلو الآخر، وغلبنا النوم أخيراً وبدأت حياتنا في السجن...

لم يحاكمونا لكننا مررنا أمام مستشار الحكومة دوسنطيس، وخليفة الباشا وحكم على بعضنا بعشرة أشهر سجننا والآخرين بستتين، داخل الزنزانة همس سي بوبكر القادري في آذاننا :

انصتوا !

وبالفعل سمعنا ضجة تقترب، تتوضح. انه الشاب السلوي أحمد بنعبود الذي كان يجر سلاسله ويتلقى ضربات بقبضة السلاح، ويسحب إلى مصيره. مصيره عرفه، وعلم أننا بجواره في الزنزانة فنأدى بمصيره وصرخ : «سيدي بوبكر ! سيدي عبد الرحمان ! انهم ذاهبون لي ليرموني بالرصاص، لكن لا تخافوا علي ولا تحزنوا ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! يحى الملك، يحى الإسلام..» بعدها أصبح صوته الحماسي مجرد ذكرى في ذاكرتنا.

وبعد ؟ قرر الفرنسيون قراراً : لقد التقينا في قاعة كبيرة 80 فرداً، بما في ذلك الشيخ القاضي زبير، وتعانقنا مسرورين بتلاقينا.

وفي هذه القاعة محكوم عليهم حكماً عاماً، لصوص، ومجرمون حكم عليهم مرتان بالسجن مرتان بالسجن المؤبد.

وهكذا ارتسمت حركة بطريقة غريزية : لقد تركنا السجناء الآخرون نأخذ أماكن من الحائط نحن الاستقلاليين بعيداً عن الرائحة الكريهة للثقب.

وبدون مشاورة، أخذ كل واحد منا 8 إلى 10 أفراد وبدأنا نعلمهم العربية بالنسبة لبعضنا والفرنسية بالنسبة للبعض الآخر، والحساب ثالثاً. ورويدا رويدا بسبب الاتصال بنا وبسبب الدروس أصبحت شريحة المجرمين وطنيين متحمسين لدرجة أن بعضهم اشتهر عند نفي سيدي محمد بن يوسف بين 1953 و 1955.

ويوم الأربعاء يسمح لنا بالحصول على سلّة الأطعمة، أو الأواني المملوءة بأطعمة أهاليها، لدرجة أنه أصبح كل يوم الأربعاء نشاط السوق السوداء. ويوم الخميس كان كثير من السجناء يتلقون علماً للسجائر، وكانت أثمانها جد منخفضة، والذين كانت لهم موهبة في الأعمال يشترون السجائر بثمان بخت، ثم يبيعونها بغاية الثمن من يوم السبت إلى يوم الأربعاء.

و ذات يوم أربعاء نودي علي إلى «البازلوار» وفي الأول لم أر أحداً ثم نظرت فرأيت صبيا صغيرا يقترب مني.

«أستاذ أنا تلميذك حسن لخلو، هل تعلم أن زوجة والدي تضربني ! ليس لدي مال. لم آتلك إلا بشيء قليل..»

وأخرج من السلة براداً للشاي وخبزاً مطلياً بالزبدة وتأثرت وسالت دموعي، وبقيت ذكرى هذا الحدث في ذاكرتي أثراً وعرفانا.

لم تخننا الحيلة والمهارة، والخيال، لصنع أدوات ضرورية، واختراع ألعاب تأخذ الوقت، تشغلنا من 6 مساءً إلى 6 صباحاً تزودنا بالزيت لنضيء القاعة للسهر ولنلعب، كنا نجتمع عظام الأطعمة التي تصلنا يوم الأربعاء ونصنع الأمشاط (مشطات) ونلعب الضامة (dames) والشطرنج، ومصاييح بفتيل زيتي. ليس ماهو أسهل من هذا. أحدنا كان يعمل خادماً عند «كارلوتي» (الحارس — الرئيس) وكان يذهب إلى مخزن كارلوتي ويسرق الزيت، وقبلها كان يشرب الماء الكثير، ثم الزيت، وعند عودته كان يضع أصبعه داخل حنجرته ويتقيأ الزيت، وكنا عند ذاك نترك الزيت إلى درجة الاستقرار ونأخذها بملعقة صاحب هذا العمل، اكتشف وهو يسرق الزيت «فحصل» على 6 أشهر من السجن زائدة !

البق كان ضمن برامجنا :

غدا على الساعة 10 ليلاً سوف نخبي ونكافأ السجين الذي رى أكبر بقعة وجدها ! وهكذا وفي الغد يأتي صاحب أكبر بقعة ببقته، فنكافئه ونحتفل به بكل سرور. كنا كذلك ننظم سباق البق. كنا نضع البق في خط واحد، للإقلاع كان هذا عملاً صعباً : فإما أن البق لا يتحرك، وإما يرجع عن خط الإقلاع. وأكثر من هذا وأشدّهم إثارة للضحك هو حين تتقدم البقة مقياس سنتيم واحد، ثم يتخلى عن السباق ويأسف صاحبها ! ومن حسن الحظ كان اثنان أو ثلاث بقات تتقدم بشجاعة.

ملاحظة :

المقال مترجم عن الفرنسية.

يونس نكروف

كاتب وديبلوماسي

من جريدة (صحراء المغرب) الصادرة بتاريخ 29 يناير 1989

الشهيد عبد العزيز بوطالب يختار الشهادة ويرفض من الطبيب الفرنسي



تعرض الاستاذ عبد الهادي بوطالب في كتابه :
ذكريات وشهادات ووجوه، إلى استشهاد المرحوم
بكرم الله الشهيد عبد العزيز بوطالب بعد مشاركته
في مظاهرات فاس التي سقط فيها عدة شهداء، قدموا
أنفسهم فداء لتحرير بلادهم وانعتاقها من قبضة
الاستعمار، ولقد جاء فيما كتبه الاستاذ بوطالب مايلي
بالحرف : ... (حضر يوم مظاهرة فاس إلى بيت
والدته، مبيتاً في نفسه وداعها، والتحق بالمتظاهرين في
حيّ الشماعين، في الوقت الذي كانت فيه المعركة على
أشدها، بين الشعب الأعزل، وجلاديه، فأخذ يحضُّ

على الثبات، ورفع المتظاهرون على الأعناق، وهو يهيب بالصمود، فلم تفلته رصاصة
صوبها إليه جندي مرتزق، لكنها لم تقض عليه في التوّ، بل ظل تحت النزيف يموت
على بطة، ثم نقل إلى المستشفى العمومي في حالة استعجال كان يتأرجح فيها بين الموت
والحياة، تحدث المرضون أنه جاءه طبيب فرنسي، وفي يده قارورة دم، وأبى عليه حُبّه
إلى أن يقول له : إنك ممّن طلبوا الاستقلال عن فرنسا، وأرادوا أن يهرقوا دمهم،
ويزهقوا روحهم من أجل هذا المطلب الطوبائي، وفرنسا ستكون رحيمة بك، غافرة
لك ذنب عقوقك لها، فالدم الذي سأحقنك به هو دمّ فرنسي، وستمكن بفضل من
أن تعيش، لتبقى تتذكر أنك مدين لفرنسا بالحياة.

كان المريض المثخن في جراحه، يُحسن الفرنسية، فقد كان أحد قدماء تلامذة مولاي
ادريس الثانوية، فازداد ألماناً لوقاحة هذا الطبيب «المتمدّن» وتهالك على نفسه ليرُدّ عليه :
«مادمت تمّن عليّ بالحياة، فدعني أموت شريفاً، فأعرض الطبيب عنه غاضباً، وقال :
فليكن ما تريد، وكان ما أراد الله، فمات عبد العزيز بوطالب، فوق فراشه شهيداً بعد
لحظة من أنصراف الطبيب) انتهى ما كتبه الاستاذ عبد الهادي بوطالب.

وهكذا ندرك مقدار إنسانية بعض الأطباء الفرنسيين الذي يعتبر الطبيب المذكور نموذجاً منهم مثل ما رأينا طبيباً فرنسياً آخر حاملاً في يده بندقية في مظاهرة سلا يوم 29 يناير 1944 يصوبها للمتظاهرين المطالبين باستقلال بلادهم وتحريرها، عكس طبيب فرنسي آخر في سلا أيضاً يسمى الدكتور لوبلان كان مثال الطبيب الانساني الوديع الذي قام بواجبه الإنساني في تلك المظاهرة وبعدها.

وحتى أعطى لمحة ولو موجزة عن حياة الشهيد عبد العزيز بوطالب أثبت هنا نص رسالة وردت على من ابنه الطبيب في جراحة العيون الدكتور محمد بوطالب حفظه الله، قال الدكتور محمد بوطالب :

نص الرسالة

صديقي الأجل المحترم

لقد تفضلت وطلبت مني بواسطة كريمتكم المصونة صورة لوالدي رحمه الله فتجلبونها طيه مع لمحة عن حياته.

فهو عبد العزيز بن الحسن بن عبد الحفيظ بن الغالي بوطالب، ازداد بفاس سنة 1896. وبعد الكتاب تُمدرس حيناً من الزمن بالقرويين. وفي 1911 رافق جدته من أمه وهو لازال فتى إلى الديار المقدسة فاستغرقت الرحلة ما يقرب من سنة زاروا أثناءها مصر والقدس ودمشق ثم اسطانبول، ولعب هذا السفر دوراً أساسياً في توجيه حياته وتوسيع آفاقها — لقد رأى ما كان ينتظر المغرب من شماتة وقساوة الاستعمار، فشهد مُعانة المصريين مع الانجليز، وانتفاضة الحجاز وفلسطين والشام، للتخلص من العثمانيين وكان يُورخ في يومياته كل ما كان يلفت نظره ويستغريه، فراقته الصحافة التي مارسها لأول مرة في حياته الشابة وراقته النهضة الفكرية، فتربت فيه محبة القراءة والاستطلاع وصاحبه منذ ذلك الوقت، الصحف والمجلات والقصاص والروايات كان يملأ أمسياته بتلاوتها وتفسيرها للزوجة والأبنان والأقارب.

وعند الاياب من الرحلة اضطروا للإقامة في وهران مدة شهر، لأن الجيش الفرنسي كان يغزو الشاوية — فآمن بحتمية المقاومة ومن ضمنها التسليح بالعلم والمعرفة، وعند وصوله إلى قاس قام بتسجيل نفسه في أول مدرسة أسستها الحماية في المدينة فنزل الخبر على والده كصاعقة وظلّه تعاطفاً وتحالفاً مع المُغتصب فانزل به من أشد العقاب ما استغرق تضييده وعلاجه عدة اسابيع — ولم يتل ذلك من عزيمة ومثابرة الشاب

فاعد الكرة حتى قسم الشهادة الابتدائية وفي العشرينات، والصورة تمثله في هاته الحقة من حياته، اشتغل بالتجارة في ميدان النسيج واستغل علاقته مع ايطالية فقام بزيارة لها زادته من التفتح على الخارج، ولاكن غرقت باخرة غير مؤمنة وبين بضائعها مستورداته من جنوة. ثم انقلب إلى الطباعة بشراكة الحاج ادريس بوعياذ ولاكن اعمال المطبعة كما كان يُسميها بن البغدادي لم تُرق الباشا وأسياده فسوّط وسُجن في 1933 ثم في 1937.

بعد ذلك فتح مكتبة وفيها صفحت امرأة فرنسية حاقدة وجه الزعيم علال الفاسي رحمه الله. ثم فتح مدرسة للبنات ونجح في مباراة مكتته من الانخراط في سلك المدافعين لدى المحاكم الشرعية حتى استشهد في 9 فبراير 1944 بعد إصابته برصاص الجيش الفرنسي أثناء مظاهرات يناير.

رحمة الله عليه وعلى كل من ذاق مرارة الاحتلال وشغف مقاومته اغتنم فرصة هاته الدردشة لأشكركم على كل تضحياتكم وكل أعمالكم في الماضي والحاضر جزاكم الله وسدد خطاكم ومدد في عمركم وأعانكم على الاعتناء بمأضينا القريب الذي لم ينل بغاية الأسف، رَغَم غزارة أحداثه وخصبها، إلا القليل من لدن مُبدعينا وفنانينا المحاصرين. مع تقديرى.

(محمد بوطالب)

* * *

تقرير سري إلى المراقب المدني الفرنسي من رئيس المصالح البلدية الفرنسي في مدينة القنيطرة

بعد صدور الجزء الأول من مذكراتي في الحركة الوطنية، وردت عليّ رسالة من السيد يملح بن مشيش العلمي، مع صورة من تقرير سري، كان بعثه رئيس المصالح البلدية الفرنسي، إلى المراقب المدني الفرنسي بالقنيطرة.

ونظراً لما في التقرير المذكور من معلومات تتعلق برجال الحركة الوطنية ونشاطها، وفي طليعة الجميع فقيه العروبة والاسلام جلالة الملك محمد الخامس نور الله ضريحه.

رأيت من الفائدة إلحاق الرسالة التي وصلتني من السيد يملح، مع صورة التقرير الفرنسي المذكور إلى قسم الملحقات :

إلى الشريف والمجاهد الكبير
الأخ العزيز أبو بكر القادري
شارع المسيرة الخضراء بطانة سلا

سلام تام بوجود مولانا الإمام

وبعد، يشرفني في بداية هذه الرسالة أن أؤكد لكم عن محبتي الكبيرة لشخصكم الكريم، وأعبر عن عظيم تقديري لما بذلتموه من تضحيات، وقدمتم من أعمال وخدمات، من أجل تحرير ونهضة وطننا العزيز، فهنيئاً لكم، لقد بشر الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم أن لهم الجنة.

يسعدني أن أغتنم هذه المناسبة لأشير إليكم أنني قرأت بكل عناية الجزء الأول من كتابكم القيم (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940) وتأثرت كثيراً بمحتوى الفقرات الرقيقة الطيبة التي تناولتم فيها الحديث عن والدي المرحوم سيدي امشيش العلمي، الذي جمعكم به سجن «غبيلة» بالدار البيضاء إيه يا دار الفخار، ومقر المخلصين، قد هبطناك شباباً، لا يهابون المنون...

سيدي أبو بكر القادري،

إن كتابكم الثمين هذا يشكل مصدراً للاعتزاز بالنسبة للجيل الذي كافح ضد الاستعمار، ومما لا شك فيه أنه يوقد شعلة الوطنية في كل قرائه من الجيل الجديد. في الختام، يسرني أن أبعث إليكم الوثيقة المصحوبة طيه التي تكشف عن النضال السري لبعض الوطنيين لمدينة القنيطرة.

من المعلوم أن مدينة القنيطرة شاركت بكيفية قوية، في حركة تحرير البلاد، وقامت بعدة أعمال للمقاومة، منها أول عمل فدائي على الصعيد الوطني تجلّى في زياغة القطار عن السكة الحديدية، والمظاهرات الكبيرة أمام الزاوية التيجانية سنة 1937، وكثيراً من الأعمال الأخرى غير معروفة لدى المواطنين، كم سيسعد سكانها بأن يلقى الضوء عليها، وكم يسعدني أن أشارككم في ذلك إذا ما وافقتم على ذلك.

تقبلوا، سيدي الأخ العزيز، فائق احترامي وتقديري

والسلام

إمضاء : يملح بن امشيش العلمي

LE CHEF DES SERVICES MUNICIPAUX, LE CONTROLEUR CIVIL, CHEF DU TERRITOIRE DE

PORT-LYAUTEY Renseignements non contrôlés

J'ai l'honneur de porter à votre connaissance que ABDELHAQ BEL BACHIR, représentant du parti de l'ISTIQLAL, au cours des cérémonies de la Fête du Trône au Palais du Sultan à Rabat, aurait fait ce lundi 22 Novembre 1948 le compte-rendu suivant aux membres de son parti :

« Dans la journée des tracts contre le Sultan ont été diffusés à Rabat par ses adversaires qui ont l'appui des autorités françaises.

a, dans ses entretiens avec les leaders des partis politiques et les notables des délégations, mis l'accent sur le fait qu'il avait obtenu des Autorités Françaises que le jour de la Fête du Trône soit férié, avec fermeture des services publics.

Il a demandé que la population soit encouragée à pavoiser aux couleurs marocaines et à chanter l'hymne National moghrabin, à l'occasion des fêtes du Trofne.

Il a invité la population et notamment les classes aisées à faire un gros effort pour réunir les sommes nécessaires à la diffusion de l'enseignement et à la préparation des élites qui assureront la libération du pays.

Il a cité en exemple une personnalité de Casablanca qui aurait versé 70 millions de francs et une autre de Fès qui aurait versé 30 millions.

- La Princesse LALLA AICHA aurait reçu des dons (diadème, et autres bijoux) de Prot-Lyautey, Fès, Casablanca, Marrakech, Mogador.

- Le Comité de la Libération moghrabine du Caire a envoyé un télégramme de félicitations à S.M. signé d'ABDELKRIM et son frère, ALLAL EL FASSI, ABDELKHALEQ TORRES.»

Le 23 Novembre 1948, des membres du Parti. de l'ISTIQLAL se sont rendus à Rabat pour entendre les allocutions que devaient prononcer la Princesse LALLA AICHA et le Prince MOULAY EL HASSANE.

Ce sont : DIOURY, M'LAH M'CHICHE, DAOUDI FATMI, ABDELKHALEQ, BEN BACHIR, SI EL HADJ MOHAMED TAZI, SI HADJ TAZI, SI JILALI BENANI.

Le Parti songe à faire un gros effort de propagande pour accroître les ressources financières du parti. Il s'assigne comme objectif un budget en recettes de 20 millions par an. Il songe à obtenir des devises étrangères, notamment espagnoles, qui lui permettraient, le cas échéant, d'acheter des armes de l'étranger.

(سري)
رئيس المصالح البلدية
إلى السيد المراقب المدني رئيس المنطقة

بور ليوطي

معلومات غير مراقبة

يشرفني ان انهي إلى علمكم ان عبد الحق بلبشر — ممثل حزب الاستقلال — وخلال حفلات عيد العرش التي اقيمت بالرباط قد أدلى بالتقرير التالي نهار هذا اليوم الاثنين 22 نومبر 1948، الى اعضاء حزبه :

«خلال النهار وزعت منشورات ضد السلطان في الرباط وذلك من طرف مناوئيه، والذين تساندتهم السلطات الفرنسية وأكد جلالة الملك خلال محادثاته مع زعماء الأحزاب السياسية وأعيان الوفود بانه حصل على موافقة السلطات الفرنسية حتى يكون يوم عيد العرش يوم عطلة، تقفل فيه أبواب المصالح العمومية. وطلب كذلك أن يشجّع السكان على نشر الاعلام المغربية وانشاد النشيد الوطني المغربي بمناسبة عيد العرش ودعا السكان، وعلى الخصوص الطبقات الميسورة الى بذل جهدها من اجل جمع المبالغ الضرورية لينشر التعليم واعداد النخبة التي ستتولى تحرير البلاد. واعطى مثالا على هذا البذل في شخصية من الدار البيضاء دفعت 70 مليوناً من الفرنك واخرى من فاس دفعت 30 مليوناً. ومن جهة أخرى حصلت الأميرة للا عائشة على هبات من بور ليوطي وفاس والدار البيضاء ومراكش (حُلّي) وارسلت لجنة التحرير المغاربية من القاهرة تلغراف تهنئة إلى جلالة الملك وقعها عبد الكريم واخوه وعلال الفاسي وعبد الخالق الطريس.»

وذهب اعضاء من حزب الاستقلال يوم 23 نومبر 1948 الى الرباط للاستماع إلى (خطاب) أو تُخطب كانت ستلقها الأميرة للا عائشة والامير مولاي الحسن. وهم : الديوري — ملاح مشيش، داودي فاطمي، عبد الحق بلبشر، سي ج محمد التازي، سي ج تازي، سي جيلالي بناني.

ويحث الحزب على بذل مجهود دعائي، من اجل زيادته الموارد المالية لديه. ويهدف إلى الوصول إلى ميزانية مداخليل تقدر ب 20 مليوناً في السنة. وينوي كذلك الحصول على عملات أجنبية وعلى الخصوص عملة اسبانية تمكنه عند الحاجة من شراء اسلحة من الخارج.

توقيع سوابطور

شهيد

سبق لي أن كتبت عن الشهيد الشاب أحمد بن عبود. هذه الكلمة، ونشرت في قالب قصة تحت عنوان (شهيد) في جريدة «العلم» بتاريخ 11 يناير 1969م. وأثبت هنا نص هذه القصة التي تعرف بالشهيد أحمد بن عبود لصلتها الوثيقة بالفترة والحدث اللذين أكتب عنهما في هذه الفصول من الجزء الثاني من مذكراتي.

عرفته طالبا يتقد غيرة وحماسا، نشأ في أسرة متدينة فاضلة، وتعشق الحرية والكرامة من صباه، وأتت أحداث «الاستقلال» لتمتحن الشاب المغربي المؤمن، ومقدار اندفاعه وتضحيته في تأييد مطلبه الحق الذي تظافرت الأمة بأجمعها لتأييده، والنضال في سبيله وإراقة الدماء الزكية الطاهرة رجاء تحقيقه.

وامتدت يد الاستعمار الأثيمة لقادة الأمة الأوفياء، وزعمائها المخلصين، فسجنت ونفت، وأصدرت الأحكام القاسية على الأبرياء، وعم الإرهاب جميع المدن والقرى، وتحكمت السلطات العسكرية في الرقاب، تفعل ماتريد، وتبطش بمن تشاء.

ولم يستطع الشاب النائر أن يرى أمته تداس كرامتها بالأقدام، وقادته يساقون إلى السجون مكبلين بالقيود، وموثقين بالأغلال، فاندفع كالأسد النائر، يقاوم المستعمر الغاشم بكل ما يملك من جهد، ويخطب في مجتمعات الشباب هذا وهناك، يدعو لمقاومة الغاشمين المعتدين المستهترين بكرامة هذا الشعب الأمين، ولا يترك تلك المجتمعات الشابة إلا ليطوف بالأسواق، داعيا إلى الإضراب، مناديا بالتمادي في التضامن والنضال، إلى أن ينتصر الحق، وتعلو كلمة الأمة، ويندحر الاستعمار وأعوان الاستعمار.

كان آخر يوم رأيته فيه، وأنا في طريقي إلى الاعتقال يوم الثلاثين من يناير سنة 1944 حين طلب مني أن أدله على ما يجب عليه أن يقوم به في تلك الآونة القاسية، التي كانت تمر بها حياة الأمة المناضلة في سبيل كرامتها وشرفها وعزتها. انقطعت عني أخباره في الأسابيع الأولى من الاعتقال، إلى أن كانت ليلة البلاء،

ونحن في غيابات السجون تحيط بسجننا في الرباط فيالق من الجنود، ويضيق علينا الخناق حتى لانسمع إلا قعقة السلاح، وأحذية الحراس الحديدية تذهب وتحجى فوق سطح السجن الذي يحيم عليه الهول، وتحرسه عين الرقباء العتاة، ومضى هزيع من الليل، ونحن في زنزانتنا ننتظر تصرفات الأقدار، ولانكاد نتكلم مع رفقاتنا إلا همسا، وأخذتنا سنة من نوم، فإذا أنا أسمع صوتا من بعيد ينادي، واندفعت إلى باب الزنانة ألصق أذني بشقوقها لعلني أستمع إلى صاحب الصوت، فأتعرّف إلى ما يريد أن يقول، وسمعتة يقول : سيدي بوبكر، سيدي بوبكر، لاتخف علي، لاتخف علي، كن مطمئنا. كان الصوت بعيدا، ولذلك لم أستطع أن أتعرف إلى صاحبه في الحال، ولكنني حاولت ماوسعني الجهد أن أزيد في الانصات، لعلني أستطيع التعرف عليه، فإذا هو ينطلق مرة أخرى، وإذا هو ينادي : أنا أحمد ابن اعبود، سيدي بوبكر — سيدي بوبكر، لاتخف علي.

ورجعت إلى مكاني أفكر وأقدر، ترى ماذا يقصد هذا الشاب من قوله، وماهي قصته ؟ ولماذا يريد أن يطمئنني، وطال الليل وطال، وزاد في طوله مايحيط بالسجن من هول، وما يعتور السجين من تصورات وتخيلات، وبِت أنتظر طلوع الفجر، وإشراق الشمس، على أحر من الجمر. صارت الساعة ساعات، وأمسّت الليلة ليالي، وطال الانتظار، لاشك أن هناك حدثا أشد من الهول الذي نحن فيه، فماذا حصل ياترى ؟ ولماذا يكرر الشاب ابن اعبود قولته لاتخف علي، أما أن يكون سجيننا مع المسجونين، فذاك ماكان ينتظره ويتنظره غيره من الشبان المخلصين، فما كان للاستعمارين وقد أخذ منهم الخنق مبلغه بعد تقديم وثيقة الاستقلال، وتضامن الأمة معها، ما كان لهم أن يتركوا شابا مثل «ابن عبود» دون أن يعتقلوه ويقدموه للمحاكمة مثل ما فعلوا مع غيره من الأحرار.

ولكن الأمر أشد من ذلك على ما يظهر، فماذا وقع بالذات ؟ بقيت الخواطر تتوالى، والهواجس تنهافت، ولم ينفع إلا الانتظار، وانكشف ما سارت فيه الأحداث، والتسليم لقدر الله.

وأصبح الصباح على أصوات المفاتيح تفتح أبواب الزنانات، والمساجين ينظفون البيوت تحت الرقابة الشديدة، ونحن نريد أن نستنشق الأخبار، ونتعرف إلى الأحداث، ولو من ملاحح الحراس، ولكن هيئات، الكل مقطب الجبين، مكفهر الوجه، تحيم عليه علامات اليأس والقنوط، واستسلمت لقدر الله، محاولا أن أنسى أو أتناسى ما حدث بالليل، وماهي إلا بضعة دقائق، حتى انفتحت نافذة صغيرة في أعلى باب الزنانة، وأطل منها رجل عليه مهابة، وترين وجهه لحية سوداء قال الرجل وهو يدير وجهه نحو اليمين

واليسار، خشية أن ترقبه العيون : أين سيدي بوبكر القادري فوقفت أجيبه قال : إن صاحبكم الشاب المؤمن احمد بن اعبود نفذ فيه حكم القضاء، فلقد أخذوه في هذا الصباح (وكان يوم عيد المولد النبوي) لينفذوا فيه حكم الإعدام وتغرغرت عينا الرجل بالدموع، ثم تابع حديثه، لقد طلبوا مني أن ألزمه كمرشد وواعظ، بعدما صدر عليه الحكم بالإعدام، والله ما رأيت شابا أصلب منه عوداً، ولا أثبت منه جناحاً، لقد كان سعيداً بالشهادة التي كتبت له، مرتاح الضمير، لأنه سيبدل نفسه في سبيل أمته وتحريرها، لقد كان يدعو ويبالغ في الدعاء كي يتقبل الله منه، ولقد كان سعيداً كل السعادة، عندما علم أنكم متمتعون بصحتكم الجيدة، ولقد كان قرير العين، لأنه كان متيقناً أن الشعلة ستبقى متقدة مادمت حارسين لها، أوفياء للمبادئ التي وهبتم أنفسكم لها، لقد تحدث لي بأشياء كثيرة عن جماعتكم، وعبر لي عن اطمئنانه وثقته بأن الله سيكون عنه راضياً إذا ما قدم نفسه ضحية في سبيل الله وفي سبيل المبادئ التي وهبتم أنفسكم لها.

وأحس المتكلم أن هناك وقع أقدام مقبلة من بعيد، فأقفل النافذة بسرعة، وتركنا في خشوع أمام إيمان وتفاني هذا الشاب الشهيد.

ومضت الأيام وتلتها الشهور، وجميع الألسنة تتحدث عن الشهيد ابن عبود، عن إيمانه، عن تضحيته، عن وفائه، عن ثباته، عن مثاليته، يتحدث عنه جميع السجناء بمنتهى التقدير والاعزاز، ويتحدثون عنه خارج السجن بغاية الاكبار والاعظام، وقال القدر قولته : إن أمة يتقدم للاستشهاد فيها أمثال أحمد ابن عبود، لا بد أن تتحقق لها الأماني، ولا بد أن يقترب منها يوم الخلاص.

توالى الأحداث تتتابع، وانغمرنا مرة أخرى بعد سراحنا في بذل الجهد الجهد، لتحقيق ما قدم الشهداء أنفسهم ضحايا في سبيله، وهو العمل على تحرير البلاد، وانعتاقها من أيدي المستعمرين البغاة.

و ذات ليلة بينما كنت أتجاذب الذكريات والأحاديث مع صديق عزيز، كان من حسن حظ حركتنا، أن خصومنا لم يستطيعوا أن يتصيدوه، ولم يكن في وسعهم أن يوقعوه في الشبكة، قال لي ذلك الصديق : لقد مرت علينا أيام سوداء وأنتم في السجون فلقد قيل عنك وعن بعض رفقاءك أنكم معرضون لأحكام الإعدام ولقد كدنا نياأس من تلاقينا واجتماعنا كما نحن نجتمع اليوم ولكن الله جلت قدرته، هو الذي يتولى الدفاع عن المؤمنين والحمد لله الذي نصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

قال الراوي ولقد بلغنا أن الادارة الاستعمارية وأذناها وأعوانها كانوا يريدون بكم كل سوء، ولعلمهم كانوا يلزمون كثيرا من السجناء أن يلقوا جميع التبعات عليكم، ويريدون أن يمحكوا مؤامرة يستطيعون أن يتوصلوا بها لأخذ رؤوسكم ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ورجعت بذاكرتي لما حكاه لي الصديق، فإذا أنا أتذكر تلك الليلة الليلية ونحن في سجن الرباط والشهيد أحمد ابن اعبود ينادي علي من أعماق زنزانه ياأبا بكر ياأبا بكر ! لا تخف علي، كن مطمئنا رحم الله الشهيد ابن اعبود وخلد ذكره في الصالحات جزاء على ما قدم من تضحية في سبيل الله وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق : ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

سورة آل عمران الآية : 170

إني أخشاه في هذا كله، أن تجد دولة تشبه
 وتبطل عرشهم، بعد مرور أيام، لأن في جميع
 شيا بناء - فما أمكنني أن لا أحققه، أن يبدى كل نشاط
 ومخاطر قبل تأسيس مشروع أو تحقيق فكرة، ولا
 بعد ذلك لا يهتم في ملأ ومشوراً، ويركن إلى
 الخمول والياس للأسباب التالية في غالب الأحيان
 لذا رأيت في الواجب أن تبدأ أنت (لأنك أقرب إلى
 فهم طبائعهم) بك اجتماع بعض، على أن تدرك (أو تدرك)
 قبل إياهم إلى بأسر، وتشرعوا في بناء بقاعدتي
 خلفهم ناهج تسيير عليه هذه الأربعة، حتى يكون
 بكل وضوح الغرض الذي ترمي إليه، لأن بعضهم الذي
 لا يزال جاهلاً هذا. إنما أنا بليدني أملك فيما سيشتغلون
 به حتى يعمودون لدراسة -
 (الصح في هذا كله، علاج تلك النقائص المتأصلة
 في شيا بناء والتسيير والخطا ومرة بكل الوسائل، لأن
 في المال والياس أعمق خطر على الشباب، يخلو صاعداً على شبابنا
 الذي لا يسيرون بخلافه بل يفتقرون مقرر دولة -
 في ربيع ١٣٦٥

تمة رسالة عبد الرحيم بوعبيد إلى المؤلف

صدقة العبد
 لا شك انكم تعلمون لعمري ما ارج خلال اجتماعنا ان
 واني راى يدولي في هذا اجتماعي
 او ما اباد يا خباري به اني عندنا في الجلسة خرجت من
 رانيا، وني في مكان تعليق امل على نجاح هذه
 الاطحة، ان استمر على هذا السير، وانشد ما شاء انهاء
 لما رايت في ^{تكملي} وتنجلي في كلامه، وان اغتر الى اجتماع
 سدا جدي في اخلاص ورغبة، ولشد ما كان سهوري لما
 لاحظت ان البعض في خروجه في كونه في تكلي لا قليلا، فظهرت
 ورغبة اذيف
 ليست البالغة به الكلام في كبره، فما يلقى ان تلجئه في معنى
 اني ارجو لك حفيظة الواقع
 ارجو تد به رسالتى السابقة، بانني اخذت احيى وما يستغل به
 حلينا، لما يعودون الى دراستهم، وبلا اعمل، لما اصمعت به غيرهم

رسالة أخرى من المرحوم عبد الرحيم بوعيد إلى المؤلف في عام 1940

عليه بعض من هتم احكام ، بها دبت ان يقال في جميع ان عذرا . ١١
 اريد ان اتكلم لك كثيرا على هذا ما دام في يظن نتيجة ، لذا اكتب
 بل قد يثبت عن كشي في منه .
 حارت ان اجعل برفد ان مكان ، لكل اجتماع جوائز ملموسة ،
 في بعض هذه ان عفاء ، حتى اذا عادوا الى سنار لهم والقوا على انهم سؤالا
 عما جنوه في ثم ، خلال هذا اجتماع ، يكون الجواب تلك العباد لا
 اليك . وبقي من مناعة در اجعل شيء في لذيذ ، في ان
 اجتماعنا مغرم بوجودنا ، بل ان سبب ان اجعل شيء في لذيذ هو
 تاريخ بلادنا . بل علمي رغبة على تحقيق هذا اجتماع ، وفي رنا بين
 لي ان سبب ابد در علمي كله أهمية ، وهو العلم الذي قبل
 مجي ، ان در سببي ، بر مآيد لك على رغبتي في العمل ، وشعورهم هذا
 (تفهم ان هذا الشروع دخل في طور تنفيذ ، رغم ان من متعلق ،
 وتمر الي العمل ، ثم لا .
 ولقد نظرت في هذا ، ان كل فرد متبع بعهد و حديث حول هذا
 الموضوع ، وان هذا في سلسلة ، بحيث يمتد الثاني على
 حدوت سابعه الى انتهاء العلم ، في سبب في در العلم الذي في
 و مما في اننا ايضا ، ان نكتب رسالة للنادي الادبي ، نطلب منه

تتمة رسالة عبد الرحيم بوعبيد إلى المؤلف

بعيننا تحت عطفه ، ان يتوسط بيننا ~~ادارة~~ ادارة العارفين به أمر
 هو ذلك نفع الثمن في السجارات ، وهذه معينة لا يتمتع بها
 أبناء الدار الحديثة ، كما لا ينبغي ، بما لا ظني ان النادي يرجع
 بالحيية وراء هذا السعي . وكل من يكون ذلك مسجعا لهذه الجهة
 المبتدئة ، ~~استا~~ وجميع اللاعبين اسبغ النادي ~~أدبي~~ أدبي على
 النجاة . وعلى كل حال ، ~~بعض~~ مهمة في مهامته ، يجب ان عليها
 منها في الوقت ، ويسطيع بعض افراد ~~النادي~~ النادي ان يمارس
 تارة ، ~~وعلى~~ على تارة أخرى ان يمتنعوا . ~~النادي~~ الذي هذا اسمه
 واذا كان يمكن ان نشهد بان النادي ~~أدبي~~ أدبي ~~سلامة~~ سلامة السلوك ،
 سعي وراء أمر صالح وحفنه ؛ ~~النادي~~ ~~أدبي~~ أدبي ، ~~أدبي~~ أدبي ،
 خلة سادس ، ~~يعني~~ ، كثير الكلام ، وفلة العمل .

عبد الرحيم

- سلام مني لجميع ~~أدبي~~ أدبي خلوفا عبد الرحمن ، وفاسي
 - ولدي ، ~~أدبي~~ أدبي ، ~~أدبي~~ أدبي ، ومحمد القهار ،
 سلاما وودادتهما .

الصفحة الأخيرة من رسالة عبد الرحيم بوعبيد إلى المؤلف

باريس ٨ ابريل ١٩٤٦

اخي ابا بكر
اني والله اشعر بشوف شديد ليلكم والى
جميع الاخوان التي تم بطني بغير الاربطة المفدسة
التي هي قبل كل الوباء. وان والله هذا
الشوف ليستند ويتفادى كلما جاءتنا الاخبار
تبشر بفتح جديد في بلدنا العزيز. حتى
انه ليحيل الاني رجل غير محظوظ اذ كلما
تغيبت عن سلا الا وتمر بيها ايام تاريخيه
ما كان اسعدني لوجهت جيبها او ضم مكان
افعد فيه وامنع السمع والشم بها لا تنسالا
لذا كرت. واني اغتنم هذه الفرصة لأفتمم
بالمدرسة الجديدة التي جتمت وبالفروغ
الخاصة العليمه التي اتممت هذا
التدشين. فقد صارت هذا المدرسة مغرب
لامثال بيننا هنا وحكي لنا من شاهدوا
مجلس التدشين انهم ما شهدوا قط
مهر جانا احسن ولا اروع مما راوا ذاك
اليوم. فمنا لكم كل هذا
ولعلني اذ كرتم بالتاريخ القديم بها
انتم راكن منكم من مشاريع اخرى
وقد تكونون انجزتم البعض منها وانتم لا
الحجب ولا من هذا واذا عجبت من
عكسه. وعلى كل منكم انوا على بلين اننا
ننا معكم كل شيء وكل شيء منكم
ننا معكم كل شيء وكل شيء منكم

رسالة من المرحوم الدكتور محمد زبير إلى المؤلف في عام 1947

وراء البحار . ولا تعتقدوا لحظة ان بارسيس و
 ما تحويه من المسليات والمشاغل ستبقى
 يوما عنكم او ستجعلنا نعيش من صبطنا المادي
 علا ، اننا كلما زدنا يوما من هذا البلد (لاوشعنا
 ان المغرب يستعجلنا ويكاملنا بحضرة علينا
 نطلب الله ان تكون نعمة الملبين
 وتعلم ايها الاخ العزيز اننا نذكر كثر
 مع اخواننا عبدالجبار وعبدالحسين و
 غيرهما ونجد ان الساعات التي فطيناها معكم
 لا تزال بارزتها في ايامنا بين ملايين الساعات
 التي مرت من حياتنا . وتعلم كذلك ان اكثر
 ما يعجبني فيك هي صراحتك وافدامك علي
 قول الخفيف من غير مصانعة وهذا شأن الاخ
 النضوج الذي يدل الانسان على عيوبة ويبيِّن
 له مواطن الداء . وما احوطني الاخ بهذا
 فلا تعتقد ايها الاخ ، انك ان فسوت علي من بعض
 الاحياء وانت محف انني لم اجهلك وبقي من ذلك
 من نفس اثر غير صالح . كلا اني نمت عن نفسي
 كل عناصير الانانية الزائفة ، وانما اعتبر من العاجب
 علمي كله وكنتي بل اول واجب علي الوصل هو ان
 يخرج من جلدك انما نيتك ~~ولا يجعل لك مقابلة~~
~~المفيدة~~ فلا ينبغي ان يمشي على
 من يعملون معه او على المجتمع بأسره ان يصغوا له
 على كل ما يفعل وان لا يوجهوا له لالوما ولا غتابا
 ولا نفدا . ولا فكيف يمكن لاي واحد ان يثبت في
 وظيفته او ان يقلل مما جلتا على عقيده
 ان البعض منا ينسى من غالب الاحوال اننا
 من موقف تضحية واننا اسهل تضحية واسهل

هي ان تخرج من عالم الزهو والخيلاء والغرور بالنفس
 بعض ضخمة بسيطة لا تطلب الا تقييد وجهه نظر
 وتهديل فكرته ولكن ما اعجبها على من لا يؤمنون
 خفا.... وعلى كل حال اني اوفر لعهدك من السموات
 واني انتظر منك النقد السديد المصلح اكثر
 مما انتظر المدح المعسول. كما اني انتظر منك
 التشجيع. وهذا تطبيقا للبدا الذي بيننا اوجه
 لك يوما اخويا على اهل الكتابة اليك سوار
 منك شخصيا او من احد اخوانك بمنى لا تريد
 ان تقرأ اخبار سلا من "العلم" بل تريد ما من
 ينال بيدها العاجية ويتبع سبلها الفاقية حتى
 تستطيع ان تهر من لم يكابر من الحق ويساهم
 من الباطل ان سلا لا زال فيها شباب ناهض وروح
 وثابة وعقل مبتكر مستمر.
 اما نحن ما لنا عذالك جاتون من الميدانين
 ميدان العلم والعمل ولا تطلب الا شيئا واحدا
 وهو ان يتسع وقتنا ليشمل اكثر ما يمكن من
 المعلومات والمعمولات. وقد تم والله الاتحاد
 بيننا نحن السلاويين. ولست بحاجة الى ان
 اصعب لك كل واحد بالتفصيل. جمل كما تعلم
 ان لم ينتقلوا من عسى الى احسن معبدال حير
 كما عهدته من ايمان واخلاص ورياسة ودهاء
 وحزم وعبدال حير ما شئت من الحبيبة ومرح
 ونشاط الخ

الصفحة الثالثة من رسالة د. زهير إلى المؤلف

وقدم علينا من هذا الايام مؤتمري طلبة العرب بباريس
 الذي كان منويا عفو لا بالمغرب ومنع. وقد ساهنا
 فيه مساهمة فعالة ولقد اهتمت المغاربة فيه تفوقا
 يتلوه لكل ذي عيني. ويتلوه ان افول لك من غير
 حذور انني نمت بمهبة بكثرة من الواجب. وكانت
 اعمال اللجان اشرف الاعمال لما كان يدور فيها
 من مناقشات من بعض الاحيان مفضية ولا سباب
 تامة. ولكننا على كل حال حاذينا بما حاذوا
 حاجت ابعادنا عما. ولا شك اننا نعلم
 اننا ينبغي لنا ان نوجه اللوم للمغرب لعدم
 ميالاته بالمؤتمري فلم يرسل ولا برقية واحدة
 بيننا وصلت عشرات ابريقه من تونس
 والجزائر وحتى من عبد المرحوم عزام وقد
 اساء الناس الاجابة. من دذله الشاكر
 اما مؤتمر حات المؤتمري بما نقا كانت على جانب
 عظيم من الالهية ان قد تمت اعمال المستعمرين
 من الميزان. وخرجت تشجعة واحدة وهي
 الاستقلال. ووجدت معظم مؤتمر حات نقا
 للجامعة العربية ولدول العرب. ليفرغوا بتبنيها
 ورعا وجعلنا لكم نسما من تفهم اعمال
 المؤتمر عند ما يتم كبعدها

هذا ما جاء به القلم من هذا اللحظة من اليل
 بعسى ان يكون قد تمت ببعض من واجب الاخوة
 والذكور. والكلب منك ان تسلم على سائر الاخوان
 كما بعفيه التلموانس. والحاج ابراهيم الصبيحي ومحمد
 البفالي وغيرهم واذالمؤتمري باسا من الحلا عصب
 على هذا الكتاب. بدوكم وكذا انك. والسلام
 منكم

(المجلد واحد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلك على كتابك من الرشد والهدى لئلا يضل بيده على كفى
من كثر منه فلم يزل من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
كثير من بيده من كثر من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
الذي جعلك على كتابك من الرشد والهدى لئلا يضل بيده على كفى
ملا من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
ثم رحتي من كثر من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
لشدة ملا من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
ولشدة ملا من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
تبث من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
ملا من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
انت من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
منه من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
التي تم شبيقتنا من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
بسم الله الرحمن الرحيم
كيف لا يكون رأيك ورحمتك راحة فية بكل ملا من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا
التي تم شبيقتنا من الرشد والهدى واللا بد من حادته (الكبرى) مينة ملا

رسالة من المرحوم عبد الرحمان بن عبد النبي إلى المؤلف في عام 1948

بسمك عندك من علم الحيلة حكم رشيد من هذا التناقض الغم الذي
يعتد به كل من يلهي العذاب والشفاعة .
مفلا لا روم اعدوا حيلة كسوم كلان بسلامة فليته لا يسلط
بلاسه بلاسه قبله و... لا خلا حله للاخوان الا حيلة ينقلب مع
من الزمان يتلخر لا يسلط الى ان يار زوسه ما كذيلة رشيد .
الحسنا لك في الاسلام ارمو يلى روابك متواليه العبد لكينة هذت من
زعلنه ما هدايد سلام حافظ انجيل .
على هذا التناقض و... الا نحم الزودفلة وفهته الغم المكنى
ب... واذا بل النجوم تتوارى واذا الغم يتكسب
وان غم ي...
مفلا لا روم ... انما انك رشيد الذي ملوك ان ...
حداثة ... رشيد ...
ملاهم ... لم ...
السلطة همة يفل مسك انت ايها نواب الز ملك و...
ارموك ان لا تواجست من بلعد كلان واجبا عاكى ان الله من ...
وان ارجع بك الى ...
بلد ...
بهذا انت ته ايت من جديد لم افوت لملانة الاخوة وال...
لا يلام
رخو كسب ...
1108

الصفحة الأخيرة من رسالة عبد الرحمان بن عبد النبي إلى المؤلف

في

الخ

فهرست الكتاب بعد مدعي من المراجع منه موجود تحت فدرست
للتشاور بل رخيشت له العنك بيننا واجبت له لا اسلمه بعين
مما تدل بمحت اركانه وفريق شوكته
فكل ما رويته اذ لا نعلم مما هي جم رارة او حتمها هي روي
على قه لم تقم ليغفر رطبه العنك ولا نبهت انبجاراً وكنت
صلحة معاملة موضوع هذه الرسل على ملكه والتعق والهاوية
والحديث كما تعلم ذو وشجور ملك (للكل)

عبد

رسالة أخرى من عبد الرحمان بن عبد النبي إلى المؤلف

الحمد لله

اجتمعت اللجنة التنفيذية الموقفة المحذرة لها
من العينة العليا المتزينة من الأربعة والخمسة
والمتفرقة من النكر من الموقف وتقرير الحكمة
المناسبة له.

وبعد أن درست الموقف الحالي من جميع وجوهه
سواء من ناحية الموقف الداخلي للحزب أو من
ناحية موقف الحكومتين المغربية والفرنسية
أو من ناحية الحالة الدولية العامة
أصدرت اللجنة التالية :

نظر أن الكون الحكة العامة للحرب صينية على
محاكمة الحكومة بما فيه مصلحة البلاد والتفاهم معها
على ذلك والتعاون والتزيد كلما اظهرت استعدادها
ونظراً لكون خطة الميثاق المؤرخ في 13 أكتوبر 1937
المبينة في جملته السابع أضافت خاصة بالفروب
المبينة في نص الميثاق المذكور.

ونظراً لكون الفروب الدولية العالمية متجهة وقد
استهدفت المغرب معها لا تخار خسيمة لا قبل
له بها. وحيث أن ذلك يوجب إعادة النظر في
الخطة التي تلتزم الفروب الثانية الحرجة فرت الرجوع
إلى الخطة العامة المبينة للحزب الذي جرى عمله
عليها قبل صدور الميثاق المذكور وهي :

مطالبة الحكومة عامية مصلحة البلاد والتفاهم معها
على ذلك والتعاون والتزيد كلما اظهرت استعدادها
وكتب بنو اربع 14 يوليو 1939. المسمى بـ محمد يوسف
يعقوب المظفر ابلان وبنو ابراهيم

وثيقة بخط يد المؤلف حول الموقف الذي اتخذته الحزب الوطني لدى إعلان الحرب العالمية
الثانية في عام 1939

ذكري يوم ١٦ مايو

بسم الله . ولا حول ولا قوة الا بالله

اذكروا فاجعة الاسلام في الغرب أيها المغاربة المسلمون

غداً يوم ١٦ مايو في مثله من السنة الماضية فجعت هذه الامة الاسلامية بظهير مشنوم وضعت به فرنسا أول حجر في أساس تغليد الاستعمار الغربي والقضاء على العروبة والاسلام . لقد كنا أمة واحدة يجمعها دين الاسلام وترابطها الوطنية المغربية وعداوة الكافرين . فأرادت فرنسا أن تفرقنا الى عدوين يقتاحران : (١) قسم يسمح له بشئ من بقايا الاسلام ثم يقضى عليه مع مرور الايام . (٢) وقسم يحال بينه وبين الدين ولغة الدين ليذمج في العائلة الفرنسية خلاصاً مستعبداً ، ويدخل كنيسة الكاثوليك خاضعاً متعبداً . فلا يلبث أن يصبح معولاً تهتم به فرنسا ما بقي من آثار الاسلام والعروبة ولا تلبث بلادنا أن تمود مسرعة تمثل فيه رواية أجدادنا في الاندلس التي أصبحت جهنم الكاثوليكية بعد ما كانت فردوس الاسلام

أيها المغاربة المسلمون - لقد قدمتم من الضحايا بعض ما تستطيعون ورفعتم صوتكم باستنكار العدوان على دينكم ووحدةكم فأزركم في مشارق الارض ومغاربها اخوانكم المؤمنين واحتجوا على فرنسا ضد عدوانها بكل ما يستطيعون وهم لا يزالون ينتظرون منكم أن تدخلوا المعركة الفاصلة فينصركم الله على أعدائكم ويثبت قدم الاسلام في بلادكم « ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » . « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين »

أيها المغاربة المسلمون - نحن الآن أمام حرب صليبية تهدد كياناتنا ونحزب أوطاننا ونمكن قدم الاستعمار في بلادنا . فواجب على كل من في قلبه ذرة من الايمان أن يجهز نفسه جندياً من جنود الاسلام وأن يدخل المعركة لمقاومة هذه الحرب الطاحنة . فالتاجر في متجره والصانع في مصنعه والعالم في مدرسته والشيخ في زاويته يجب عليهم أن يوجهوا جهودهم ضد هذا التيار الجارف وأن يستخدموا ما منحهم الله من مواهب ومعارف في سبيل نصرته الدين

المنشورات التي كان يوزعها الحزب الوطني بمناسبة ذكرى 16 ماي 1930 (ذكرى الظهير البربري).

والذين آمنوا ولا يملكون أموالاً ولا أراضين ولا أقارباً وجاءوا لقتل عقائدنا وشرعتنا. فقوموا أيها المسلمون بنشر المبادئ الإسلامية وأنبروا في النفوس العاطفة الدينية. و « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »
 أيها المغلوبون المسلمون - غداً يوم ١٦ مايو - يوم الفاجعة الكبرى في تاريخ المغرب الإسلامي فواجب أن لا تنسى هذا اليوم الأكبر. وواجب أن تخصصه بخصائص يحفظها أبنائنا فبرئها عنهم أحفادنا ما دام في المغرب عرق ينبض من هوى الإسلام

يجب :-

- (١) - أن تعتبروا يوم ١٦ مايو يوم حزن وحداد عام هوجت فيه المروبة والإسلام
 - (٢) - أن تصبحوا في هذا اليوم صائمين توبة إلى الله ورجاء في معونه
 - (٣) - أن تبخلوا من أموالكم الطيبة صدقات تكون لكم ذلي عند الله وتجلب لكم دعاء الخير من اخوانكم الفقراء فالصدقة تدفع البلاء
 - (٤) - أن تستعملوا في هذا اليوم بذكر اسم الله تعالى « العلي » بدياركم ومعتكم وروا حكم - اذكروا الله فيما وقعوداً وعلى جنوبكم »
 - (٥) - أن تفتوا في صلاة الصبح من هذا اليوم بهذه الصيغة : « اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به القادر ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر وحل بيننا وبين أصحاب هذه الظهار . اللهم ان القوم أرادوا الكيد بدیننا وتفرق وحدتنا . اللهم فرد كيدهم في محورم وفرق وحدتهم . اللهم ارزقنا الثبات في جهادهم ووقفنا للوسائل الجدية في مقاديرهم يا لطيف بعباده انك على كل شيء قدير » . فقد كان ﷺ يفتي في الصلاة بالدعاء على أعدائه الكافرين .
- عليكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة
- هذه هي أقل الأعمال التي يجب أن يقوم بها كل مغربي مسلم في هذا اليوم المصيب . واذكروا دائماً أيها المسلمون أنكم لم تتركوا يدائنها ، وأنهم لم تنته بعد فامضوا في مقاومة الصليب وحكومة الصليب طول حياتكم وبثوا هذه المصيبة في نفوس أبنائكم وبناتكم ونسائكم وحشمتكم حتى يكونوا جميعاً حراساً على تراث الإسلام في بلادكم إلى قيام الساعة . يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحییکم... واعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

الصفحة الثانية من منشور الحزب الوطني بمناسبة ذكرى 16 مايو.

قالوا عن الجزء الأول من : مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية

الأستاذ عبد الكريم غلاب :

وأعتقد أن راوي «مذكراتي في الحركة الوطنية» سليم من هوى النفس، لأنه يتمتع بالاستقامة الفكرية، ولذلك فهي مذكرات وسيرة ذاتية، بقدر ما هي تاريخ صحيح للحركة الوطنية، يمكن أن يعتمد القارئون والدارسون، وسيبقى مرجعاً للأجيال التي يجب أن تتعرف على جزء من تاريخ هذه البلاد.

مستشار جلالة الملك الأستاذ أحمد بن سودة :

«يسرني ويشرفني أن أكون أول من يبلغكم أن أمير المؤمنين صاحب الجلالة نصره الله وأبقاه، قد اطلع على الجزء الأول من كتابكم القيم، (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) وقراه باهتمام، يؤكد مقام كاتبه في نفس جلالاته، وبمجرد انتهاء جلالاته حفظه الله من قراءته، طلبني لحضرته، وشرفني بأمره المولوي المطاع، بأن أتصل بكم، وأبلغكم تنويهه الكبير، بسفركم القيم، وإشادته الطيبة بالجهود العلمية الذي بُذل فيه، واعجابه بنزاهتكم في تناول الأحداث والشخصيات، وبالدفقة والموضوعية العلمية التي التزمتوها فيه.

وقال جلالاته أعزه الله بالحرف : (لأول مرة، أطلع على مؤلف يتحدث عن الحركة الوطنية، بكل نزاهة وموضوعية، وأمرني أن أبلغكم رضاه وإعجابه، فجميع الذين كتبوا قبلكم في الموضوع، لم ينصفوا خصومهم، وسيطرت «الأنا» على تأليفهم، الأمر الذي أفقدهم المصداقية والموضوعية».

الدكتور سعيد بنسعيد العلوي :

فالحق أن مذكرات الأستاذ المجاهد تأتي في مجموعها شهادات تنبض بالحياة والحياة، وتدل على هذا الذي نعتناه بالالتقاء الحصب، بين العمل السياسي من أجل التحرر السياسي، والعمل الآخر، الذي كان في حقيقته أكثر مشقة وصعوبة واتصالاً، أي ذاك

الذي كان من أجل تحرير الأذهان من ربة التقليد والخرافة والشعوذة وتخليص الفكر من قيود الجمود والتقليد. الحق كذلك أن الذين عرفوا أبا بكر القادري عن قرب، أو اطلعوا قراءة أو رواية شفوية على ما كتبه عنه معاصروه من أبناء الحركة الوطنية وقادتها، يقررون أن الرجل كان في حياته وسلوكه تجسيدا لهذه الصلة بين العمل السياسي، والعمل الفكري المذهبي.

شيء آخر لا أملك السكوت عنه وأنا أنتقي للقارئ العربي نتفاً من مذكرات القارئ، هو أن الكتاب في الجزء الأول الصادر منه حتى الآن، يكشف عن نوع من البراعة الفنية في المزوجة بين الشهادة المدعمة بالوثيقة، المؤيدة بالصورة والحجة،.... لا غرو أن مذكرات القادري في الحركة الوطنية المغربية، ليست إثراء للمكتبة المغربية المعاصرة فحسب (وما أحوجنا إلى معرفة ما دونه رجال تلك الحركة، وما في حوزتهم من شهادات) ولكنه إسهام في تطوير معرفتنا بالفكر العربي الإسلامي السياسي المعاصر عامة).

الأستاذ محمد عواد مستشار جلالة الملك :

... وإني لأشد على يديكم بحرارة، وأهنئكم على هذا الإنجاز الكبير، أحر تهنئة وأصدقها، سائلا الله تبارك وتعالى، أن يمدكم بعونه وقوته وتوفيقه، حتى تتمموا بقية المجلدات التي ستتلوه، والتي لاشك ستكون مثله، غنية بتفاصيل الأحداث الوطنية الكبيرة والصغيرة، هذه الأحداث التي تمثل النسيج الدقيق لتاريخ بلدنا في هذا القرن الهائل الذي انتقلت فيه الإنسانية بأسرها إلى عالم السرعة والفضاء، وبنى فيه المغرب جسره إلى حضارة القرن الواحد والعشرين، بقيادة عاهله العظيم، الحسن الثاني حفظه الله.

الأستاذ قاسم الزهيري :

... وإذا كان المؤلف يؤكد في المقدمة والخاتمة، أن كتابه ليس تاريخاً للحركة الوطنية المغربية ككل، و«لكنه تسجيل لبعض الأحداث الهامة التي عشتها أو شاركت فيها من قريب ومن بعيد» على حد قوله، فإن هذا الكتاب جاء شاهداً على فترة من أبرز فترات الحركة الوطنية، ومن موقع يعتبر أحد أهم مواقعها وعلى يد رجل واكبها منذ البداية، ناهيكما يتناول الكتاب، السنوات العشر الأولى لميلاد الحركة الوطنية، وما تمخضت عنهما من أحداث جسام، شارك فيها المؤلف عملاً وتضحية، ثم تنظيراً وإسهاماً في صياغة القرار، وأخيراً ريادة وقيادة.

الأستاذ عبد الجبار السحيمي

... نقول بمناسبة صدور الجزء الأول من كتاب «مذكراتي في الحركة الوطنية» ليس هذا غير الجزء الأول، من سلسلة أجزاء تكريم الرجل الذي توحدت حول تقديره وإكباره، النوايا والمشار، ليحفظه الله، وليحفظ في وطننا، خصال البرور للمجاهدين الذي خاضوا الجهاد الصعب، وفتحوا الطريق، وأناروا للأمة السبيل.

الأستاذ أبو مروان سفير دولة فلسطين بالمغرب :

... وحسبنا هنا في هذه المناسبة الخاصة التي بادرت لها جريدة «العلم» الغراء مشكورة، أن نلقي بعض الأضواء على جوانب هذه الشخصية الغنية المشعة، كل من زاويته، وبحسب معرفته وتخصصه، وعلى قدر ما أفاءت عليه وعلى محيطه من ضياء، ويكفيه أن طالبي الشهادة والاعتراف بفضل، أكثر من أن تحتضنهم قاعة محدودة، أو نهار قصير من الزمن، رجل قادته فطرته السليمة، ومناخه العلمي، إلى حب المعرفة والعلم، ودفعه علمه إلى الاضطلاع بالمسؤولية في خصوصيتها وعموميتها على مستوى الأسرة والمدينة والوطن، والأمة بآجمعها، أبو بكر القادري الذي ارتبط اسمه بلقب المجاهد منذ شبابه المبكر، سجلت ذاكرته بوحي محيط، أحداث بلده المغرب، وأحداث أمته، فوعى الصراع العربي الصهيوني في بدايته، واستوعب الخطر المدهم على المسجد الأقصى منذ ثورة البراق التي تمت عام 1929 وسجل وقوف الفلسطينيين إلى جانب قضيتهم العادلة، أيام الظهير البربري، وتنظيمهم للمؤتمر الإسلامي في القدس عام 1930، ثم مزج جهاده مع إخوته من أجل استقلال المغرب، يوم اندلعت الثورة العربية في فلسطين، في أواسط الثلاثينيات، مع جهاده وجهادهم من أجل صيانة أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين.

الأستاذ محمد علال سيناو وزير الشؤون الثقافية (مستشار جلالة الملك حالياً) :

وإنني أحبي في الأخ أبي بكر، كفاحه المشرف والمعروف من أجل تحرير البلاد من ربة الحماية والاستعمار، أحبي بكل إعجاب نضاله المستمر والمتواصل عبر الكلمة، ومن خلال الصحافة، والكتاب، مرشداً وموجهاً ومؤرخاً، ينهج ذلك النهج الخبير السديد، الذي يرى في السلفية، جمع حسن التقليد، وجميل التجديد.

الأستاذ أحمد مهابة المستشار الإعلامي بسفارة جمهورية مصر العربية سابقاً

... لقد أخذت أتصفح (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) عازماً على التفرغ

له في وقت يقل فيه الانشغال، ويهدأ البال، لكن صفحات الكتاب شدتني، وتأثرت بالغ التأثير بصدق الرواية، وأمانة المؤرخ، حين تحدثتم عن مصر وعلمائها ومثقفها من الكفاح المغربي ضد الظهير البربري، وكان أقل ما توصف به أمانتكم ومشاعركم، كلمات قالها لكم رئيس تحرير مجلة (الاسلام) رداً على خطابكم له، دفاعاً عن الشيخ رشيد رضا رحمه الله الذي يقول لكم فيها : «تلقينا بيد السرور والأريحية رسالتكم الخالدة، التي توجت بها أعناقنا ببعض ماوهبكم الله من علم ونبل وخلق ودين إلى آخر الرسالة، التي عبرت أحسن تعبير عن عمق ودفع مشاعرنا نحوكم، كواحد من الأعلام المضيئة في تاريخ الكفاح المغربي والعربي والإسلامي».

الدكتور عباس الجراري :

والحق، أن هذه المذكرات، تقدم معرفة دقيقة بمجريات الحركة الوطنية على امتداد عشر سنين، وزادها دقة أنها اعتمدت إيراد الوثائق والصور، وأنها تبرز دور مؤلفها في هذه الحركة، وتعتبر بتحقيقها لهذين الهدفين، نموذجاً للكتابة في هذا المضمار الصعب، سواء من حيث هي لقطات تسجل للتاريخ، أم من حيث هي ملاحم لشخصية مؤلفها المجاهد.

الدكتور محمد حجي :

إن مادة الكتاب شيقة جذابة في حد ذاتها، متنوعة متشابكة بقدر ما هي متباينة، يغلب عليها الطابع السياسي، لكن القضايا الدينية والاجتماعية كثيرا ما تطفو على السطح، وتستأثر بعشرات الصفحات، وتبقى الميزة البارزة لمذكراتي في الحركة الوطنية، هي المصداقية والموضوعية.

الدكتورة نجاة المريني :

لقد أولى الأستاذ القادري مسألة تعليم الفتاة عناية كبيرة، وبذل في سبيل ذلك جهداً أكبر، بخلق مدرسة عربية وطنية، تهدف إلى تعليم الفتاة، كما هو الشأن بالنسبة للفتى، وتمزق بذلك خرافة التمييز بين الرجل والمرأة في التعليم، وتخرق الصمت الذي كان مطبقاً في المسألة، فاستنارت الأفكار، وأضيئت السبل.

الدكتور المرحوم بكرم الله عبد الرحمان القادري :

... سأركز هذه المداخلة، على ثلاثة موضوعات تضمنها كتاب الأستاذ أبي بكر القادري

(1) الحفاظ على الوحدة العقائدية للمغرب، من خلال محاربة دعاة الظهير البربري.
(2) الكفاح من أجل الحريات العامة، عن طريق تقديم مطالب الشعب المغربي في دجنبر 1934. (3) إفشال مخططات اللوى الفرنسي المتألف من كبار المعمرين والصناع والتجار والتي كانت تهدف إلى التفرد بممارسة السيادة عن طريق الاعتراف بحق التقرير لمجلس شورى الإقامة العامة وتكريس «لابارتايد» في المغرب ذي التاريخ المجيد، بإبعاد السكان الأصليين عن ممارسة السيادة في بلادهم.

الأستاذ محمد العربي المساري :

من خلال استقراء الوقائع التي يتعرض لها كتاب (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من سنة 1930 إلى 1940) يمكن أن نتبين خطأ واضحاً يربط مختلف فقرات سلسلة التحركات التي قامت بها الحركة الوطنية في شتى الاتجاهات، يوشي بأن هناك منطلقاً عاماً حكم تلك التحركات وأعطاهها طابعاً ثابتاً ما فتىء يلزمها حتى الآن، ومن خلال تتبع هذا الخط، نجد بسهولة أن تلك التحركات، أدت إلى ميلاد شرعية جديدة، ذات مبادرات، تنتظم في اتجاه مبيت، انتهى إلى إفراز مشروع مجتمعي جديد.

الأستاذ أحمد زياد :

... وجدت في مذكرات الأخ المجاهد، ما أيقظ في ذاكرتي الكثير من المواقف والوقائع، والعديد من الشخصيات التي كنت سمعت عنها، أو عرفتُها معرفة شخصية عن قرب. وباتصال مستمر، ومن غير شك، ودون ما مجاملة، فإن الأخ الأستاذ أبا بكر قد وفق كل التوفيق في الاحاطة بكل الظروف والملابسات التي سبقت أو واكبت ذلك الحدث الذي يُعد بمثابة البذرة الأولى لميلاد حركة وطنية مؤطرة في مستوى ما يتطلبه الحدث، الذي هو صدور الظهير البربري في شهر مايو من سنة 1930.

الدكتور المرحوم بكرم الله السيد محمد زنيير :

... والواقع أننا عندما نتصفح كتابه المشتمل على أزيد من 500 صفحة، ندرك أنه عالج أهم المراحل والموضوعات التي تدخل في تاريخ الحركة الوطنية، وأتى فيها بمعلومات وتقويمات جديدة، نذكر على سبيل المثال الصفحات التي خصصها للحديث عن الظهير البربري، أو عن الحركة السلفية، أو عن بعض الشخصيات الذين قاموا بأدوار مهمة في تلك البدايات (عبد اللطيف الصبيحي مثلاً) أو عن الحركة المسرحية الأولى بالمغرب، أو عن بعض الأندية الأدبية، أو عن الحياة في السجن، بالإضافة إلى

القضايا الأساسية التي طرحت على الحركة في مسارها الضيق المليء بالاهتزازات، مثل تحرير مطالب الشعب المغربي، والمطالب المستعجلة، والصحافة الوطنية، والاتصال بالحركة اليسارية.

الدكتور أحمد فطري :

... منذ أولى الصفحات إلى آخرها، آلى الأستاذ أبو بكر على نفسه، ألا يجحد عن سبيل الحقيقة التاريخية والموضوعية المطلقة، في كل ما يكتب ويسجل من أحداث ووقائع عن مسيرة الحركة الوطنية المغربية خلال العقد الرابع من هذا القرن... وإذا ما تتبعنا المؤلف، فإننا نجده بالفعل، قد ظل ملتزماً بالحقيقة والموضوعية على امتداد صفحات مؤلفه من بدايتها إلى نهايتها.

الأستاذ الصادق العماري :

... يمكن توزيع الأحداث والوقائع في مذكرات أبي بكر القادري إلى ما يأتي :
— ما استمده من المصادر التاريخية وهو خارج عن الفترة المحددة أي ما قبل 1930.
— ما كان طرفاً فيه بوجه من الوجوه، فهو شاهد.
— ما كان معاصراً له من أحداث دون أن يكون مشاركاً فيها.
وهذه الأحداث جميعها إما داخلية أو خارجية

الدكتور محمد عابد الجابري :

... إن كتابه الأخير، ليس مجرد ذكريات، بل هو سجل حي، لجانب من نضال الشعب المغربي، من أجل حريته وكرامته واستقلاله، إنه سجل تأني وقائعه إلا أن تنطق بما يُخرج حاضرنا، هذا الحاضر الذي أصبح فيه تهميش الذاكرة الوطنية، استراتيجية يكرسها النظام العالمي الجديد من جميع أقطار الدنيا، مبشراً بنهاية التاريخ حتى لا يبقى هناك للمستقبل، إلا مستقبل التبعية التي يفرضها على العقول والوجدان والأذواق، فضلاً عن السياسة والاقتصاد.

الدكتور محمد فاروق النيهان :

... وسوف يكون هذا الكتاب، من الوثائق الهامة التي تجسد كفاح شعب، وجهاد أمة، في سبيل الكرامة والحرية، وقد أعجبت كل الإعجاب، بمنهجه العلمي الرصين، ودقته في عرض الأحداث والوقائع، بأسلوب علمي مُدعم بالوثائق والصور.

الدكتور عبد الحق المريني :

إن مؤلفكم يعد بحق، شهادة لها وزنها وثقلها، على أحداث خطيرة، احتضنها عصر بكامله، ولا غرابة في ذلك، فإن مؤرخها شاهد عدل، ساهم بجهاده وقلمه، مساهمة فعالة، في كل المراحل التي مرّت منها الحركة الوطنية المغربية، والتي انبثق منها عهد جديد، عهد الحرية والكرامة والاستقلال.

الدكتور عبد القادر العافية :

... وما زادني به إعجاباً، لهجته الصادقة، ووطنية مؤلفه المتميزة، وإيمانه العميق بالله، مما جعلني أعيش مع الكتاب، وكأنني أشاهد فلماً، أخشى أن يقطع عليّ أحدٌ تسلسل أحداثه، والانغماس في قصصه وحكاياته، والكتاب غنيّ بالوثائق النفيسة، والحقائق الناصعة، والبيانات الناطقة.

الأستاذ محمد بن أحمد اشماعو :

... وإن أردتم الوقوف على دلائل أكثر عن هذا القلب الكبير، وهذا الضمير الحي، فاقروا مقدمة الكتاب، لتروا كيف يُرجع رائد كبير، الفضل لأهله، ذاكراً باعتزاز الأفاضل القادة الملهمين الذين اتصل بهم أو اتصلوا به، واحداً واحداً، ودعوه — لمزايا رؤواها فيه — إلى أن يدخل في زميرهم، فدخل، وصمّم على مصاحبتهم المكلفة، بلا تراجع وتولى تمهيد الطريق، ودعوة الأخيار الأبرار، فاستجابوا للنداء العالي، نداء الله والوطن.

كلمة أخيرة

لم أكن أتوقع عندما شرعت في كتابة الصفحات الأولى من الجزء الثاني لمذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، أن القلم سيقف بي في سنة 1945، بل على العكس من ذلك كنت أتوقع أن أصل إلى أواخر الأربعينيات على الأقل، ولكن رجوعي إلى الثلاثينيات، للأتوسع في بعض المواضيع والأحداث، فأعطى فيها بعض التفاصيل التي لم يمكن لي أن أقوم بها في الجزء الأول، واقتناعي بضرورة إلقاء الأضواء عليها، جعلني أؤخر الحديث والذكريات بعد سنة 1945، إلى الجزء الثالث بحول الله، إن مدّ الله في الأجل.

لقد رجعت في هذا الجزء الثاني من مذكراتي إلى فترة أوائل الحرب العالمية الثانية لألقي بعض الأضواء على ما وقع فيها من أحداث في بلادنا، وأتوسع في شرح الظروف والملايسات التي كانت تدفع إلى اتخاذ بعض المواقف، ولأعطي صورة واضحة إن لم تكن كاملة، عن مواقف كل الشرائح المغربية، سواء منها الموظفون الكبار، أمثال رجال الخزن والعلماء أو التجار، أو المسؤولين في الحركة الوطنية، على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم، ولأشرح بالحجج والوثائق الدوافع الحقيقية التي كانت تدفع أصحاب كل اتجاه سياسي إلى ما اتخذوه من مواقف، ولأبين أن الخطة التي سلكها المغرب، ابتداء من ملكه إلى رجال الحركة الوطنية الصادقين، إلى بعض الشخصيات البارزة في الدولة، كانت هي الخطة الرشيدة التي أتت أكلها، وانتهت بما انتهت إليه في آخر المطاف من صواب.

لقد شطّ القلم ببعض أصحاب المذكرات والذكريات، فصاروا يصفون المواقف وأصحابها ببعض الصفات التي ليست من الصواب في شيء، وعلّق آخرون فيما كتبوه في ذكرياتهم ومذكراتهم بعبارات إن لم يكن فيها اتهام بالخروج عن الجادة بالقطع، فهي تشعر بالتشكك في وطنيتهم وصدقهم وإخلاصهم.

والواقع أن الذي يحزّ في النفس هو أن بعض المنتمين للحركة الوطنية رغم مكانة بعضهم نظراً لدوافع لست أدري بواعثها، يعطون لأنفسهم الحق في إصدار الأحكام على الغير، دون مراقبة صارمة من ضمائرهم التي كان يجب عليهم أن يرجعوا إليها، قبل إصدار تلك الأحكام.

إنني أومن بأن أفكار الباحثين الوطنيين قد تختلف، وليس في ذلك من ضرر، ولكني أومن أيضاً أن اختلاف الآراء لا ينبغي أن يوصل إلى اللمز والطعن وسوء الظن، وحتى إذا ما رأى كاتب أن يصحح بعض الأخطاء التي قد يقع فيها غيره، فينبغي أن تكون بالتعابير اللائقة، والاحترام الضروري في تعامله مع الآخرين.

إن الوطنية الحقيقية شرف، والوطني الحقيقي لا بد أن يكون شريفاً نقياً القلب طاهر اللسان، وإذا كانت الوطنية تُخدم بالسياسة، فالسياسة الوطنية لا بد لها من أخلاق، وإذا انتفت الأخلاق من السياسة الوطنية، فاحكم عليها بالاضمحلال. الوطنية شرف، وشرفها في أخلاقها ونزاهتها، فإذا انحرفت عن الأخلاق والنزاهة الفكرية، فلا تبقى وطنية حقيقية، ومغربية صميمة، وإسلامية المبدأ والمعاد.

إن ما تمتاز به الوطنية المغربية، هو سلامة منبتها، وطهارة جذورها، ولا يقبل بحال من الأحوال، أن تنتكر لمنبتها وجذورها، لأن طهارة المنبت والأصل، جعلها تستولي على قلوب أفراد الشعب المغربي، فينصاع لها الشعب ويسير في ركابها، ويهتدى بهديها. ولقد زاد الوطنية المغربية شرفاً وقدرًا، أن هيا الله لها في بداية تكوينها، ملكاً أعطى العهد للوفاء، فوقى به في كل ظروف حياته، وأعطى للوطنية وزنها الكامل، وسار في حياته ونشاطاته وأعماله وتحركاته، يخدمها بصدق وإيمان، متحملاً كل الأتعاب والمحن، وفي طليعتهما النفي والإبعاد والمقاساة والمعاناة، فما ضعف وما استكان رحمه الله وجزاه أعظم الجزاء.

ومن أجل الاعتراف بالجميل لهذا الملك الصالح الفذ، رأيت أن اكتب عنه بعض الصفحات الراجعة لأعماله وتوجهاته في الثلاثينيات والأربعينيات، لأنني اعتبرت أن إغفال ذكره ببعض التركيز في مذكراتي، يعتبر هضماً لحقه، ونكراناً لجميله، وجميله رحمه الله ورضى عنه لا يمكن أن ينسى أبداً.

وقد يتساءل بعض الباحثين عن الأسباب والدواعي التي جعلتني أتوسع وأعيد الكلام، حول ما سبق الحديث عنه في الجزء الأول في شأن ما سمي بـ"بلجنة الحركة المغربية الموقته"، والتي أسسها أصحابها في أواخر سنة 1937 أثناء الهجمة الشرسة التي

هجمها المقيم العام الفرنسي الجنرال نو كيس على الوطنية المغربية، وعمله على سحقها والقضاء عليها، وذلك كان لسببين اثنين : (1) أولهما أنني استطعت الحصول على محاضر الجلسات التي كان يسجل فيها مؤسسو تلك اللجنة ما كان يروج فيها بكل وضوح، ويوقعوا عليها بثلاثتهم، و(2) ثانيهما أن الكثيرين من الباحثين لا يستطيعون الحصول على الحقائق الكاملة لعمل اللجنة المذكورة وأفكارها وتوجهاتها، إلا إذا اطلعوا على محاضر جلساتها التي تزيل كل التباس، وتعطي كل ذي حق حقه. من الذين كونوها، وعملوا في دائرتها. في تلك الفترة الخاصة التي عانت فيها الوطنية المغربية والوطنيون المغاربة ما عانيه من محن وآلام.

ومادمت تحدثت عن فترة الحرب، والموقف الذي وقفه الشعب المغربي بقيادة الملك الفذ سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه، فلأشر هنا ولأسجل، أن وقفنا ونحن نتقدم بوثيقة المطالبة بالاستقلال، كان لها أثرها العظيم، ونائجها المباركة، بفضل تجاوب هذا الملك العظيم، مع الأحرار الصادقين من رعيته، ومساندتهم في مطبهم الأساسي الذي هو الاستقلال، المساندة القوية التي كان لها الأثر الكبير، لا على الفرنسيين فحسب، ولكن على الناكسين على الأعقاب، والمتخلفين على الركب.. الذين قال الله في حقهم : ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا : أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

لقد ارتأيت وأنا أسجل الأحداث والوقائع التي عشتها لدى مطالبتنا بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944، أن لا يبقى فضل المطالبة بالاستقلال خاصاً بفرد دون فرد من الموقعين على الوثيقة، بل لابد أن يعترف للجميع بالفضل والريادة وشق الطريق الحقيقية للكرامة والحرية، ولذلك رأيت من واجبي — وقد عرفت الكثيرين منهم — أن أعرف بكل واحد، حسب معرفتي التي كانت مستوفاة لدى البعض، وناقصة لدى البعض الآخر، ولذلك فقد جاءت هذه التعريفات مستفيضة عن البعض، وغير كاملة عن البعض الآخر، ولا يعني ذلك أنني نقصت من قدرهم، ولكنني أتيت بما حفظته ذاكرتي عن بعض الإخوان الذين شاركهم وشاركوني العمل الوطني التحريري، والذين أتيت لي أن أصاحبهم وألزمهم الشهور والأعوام الطوال، بعكس الذين لم يتح لي أن أعاشهم الوقت الطويل في العمل الوطني المتنوع، فاكتفيت بما عرفته عنهم مع اعترافي بالتقصير في حقهم، ولقد عملت جهدي أن أعرف ببعض الإخوان الموقعين الذين اختلفت معهم أو اختلفوا معي، أثناء فترة بناء الاستقلال، غير ناقص من قدرهم، بل

اعترف بأني لم أنس ما قاموا به وما بذلوه في فترة عملنا لتحقيق الاستقلال، مؤكداً بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولكن اختلاف الرؤية، وتعدد المناهج والمقاصد، يجعلان الإنسان دائماً يرجع إلى الحقيقة الأولية التي دفعته للسير في المنهج الوطني، وأعطى العهد على الوفاء لها، دون زيغ أو انحراف. والتجديد في الأفكار وطرق العمل ضروريان لكل بناء، ولكن الالتزام بالشوايت والأصول، وبالأخص التي ترجع إلى العقيدة، لا يمكن مطلقاً الانحراف عنها مهما كانت الصداقات والأعمال المشتركة.

وبعد، فهذا هو الجزء الثاني من (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) قد انتهت من كتابته، أرجو أن يلقي من القبول والرضى ما لقيه الجزء الأول، فيستفيد منه الباحثون والمؤرخون والأجيال الصاعدة على وجه الخصوص التي لا بد لها من معرفة ما قام به وناضل من أجله الأجيال التي سبقتها بالامان، لتستفيد مما قام به السابقون، وتستمر في المسيرة البنائية التحريرية، لاستكمال ما يتطلبه الوطن من تقدم ورفاهية وعدالة وحرية ووحدة، سائلاً الباري عزت قدرته أن يهدينا جميعاً سواء السبيل، ويشرح صدرنا للحق والخير. (ربّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاخْلُلْ عَقْدَةَ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي).

أبو بكر القادري

الفهرس

5	— مقدمة
9	— تمهيد
	— تأثر الحركة الوطنية المغربية بالفكر الوطني في الشرق العربي والأقطار
22	— الأسبوية
26	— في أجواء مرور مائة سنة على الاستعمار الفرنسي للجزائري
29	— أهداف السياسة الفرنسية في المغرب العربي
30	— ميثاق اتحاد أحزاب الشمال الافريقي
31	— تعرّف على الزعيم مصالي الحاج
35	— جمعية سرية في سلا
38	— فاجعة الحركة الوطنية في موت فقيد الحركة الوطنية سعيد حجي
42	— صلاتي بإخواني قامت على الصفاء والصدق
45	— الاتصال والتجاوب والتلاحم مع جلالة الملك محمد الخامس
46	— أول ما سمعت إسم السلطان محمد بن يوسف
48	— شذرات من الخطاب الأول للسلطان محمد بن يوسف
51	— اللقاء الأول مع محمد الخامس
53	— أول زيارة للشباب السلوي لجلالة محمد الخامس لتهنئته بالعيد
57	— جلالة محمد الخامس يرّد على برقيتي
59	— العشرة الذي تقدموا بمطالب الشعب المغربي
62	— زيارة جلالة الملك محمد الخامس إلى القرويين
65	— جلالة الملك محمد الخامس يرعى النهضة التعليمية
75	— موقف محمد الخامس من نزول القوات الأمريكية في الدار البيضاء
80	— لجنة الحركة المغربية الموقفة
97	— الجنرال نوكيس يعمل لسحق الحركة الوطنية
101	— تحركاتنا في ظروف الحرب العالمية الثانية

108	— موقف الملك محمد الخامس الصريح والواضح في مناصرة الحلفاء ضد النازية
115	— كيف نشأت فكرة المطالبة بالاستقلال
118	— الاهتمام بتكوين الطلبة وإعدادهم لبناء المغرب
126	— ظروف الحرب وتحدياتها
132	— السياسة الألمانية إزاء المغرب
135	— إسبانيا تحتل مدينة طنجة واحتجاج محمد الخامس
138	— المغرب في ظل متاعب الحرب ومشاكلها
141	— نزول القوات الأمريكية بالشواطئ المغربية
143	— سنة التحول في الحرب العالمية الثانية
147	— لقاء أنفا التاريخي
151	— نادي روزفيلت في المغرب
156	— عهد وميثاق تاريخيان
157	— التحضيرات الأولى لوثيقة الاستقلال التاريخية
162	— سنة 1943 : سنة تحوّل في مسار الحركة الوطنية
164	— اقتراح انضمام الحركة القومية لتوقيع وثيقة الاستقلال
	— نص وثيقة المطالبة بالاستقلال المقدمة لجلالة الملك محمد الخامس في 11 يناير
176	1944
187	— الموقعون على وثيقة المطالبة بالاستقلال
193	— جلالة محمد الخامس يترأس اجتماعاً مع شخصيات كبرى في الدولة ..
199	— المقيم يخاطب جلالة محمد الخامس : هل أنتم مع فرنسا أو ضدها ؟ ..
221	— بداية العمل السري في إنشاء الخلايا الوطنية
227	— الهجوم على حزب الاستقلال ورجال الحركة الوطنية
227	— الحركة الوطنية
235	— بدء اعتقال الوطنيين
241	— مؤامرة الإفامة العامة ضد الوطنيين
246	— اتهامات المجاهدين بعرقلة المجهود الحربي
271	— تضامن مدينة الدار البيضاء مع أحداث 29 يناير 1944
280	— موقف الكلاوي في مراكش بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال
282	— استطلاعات أولية قبل أخذ قرار المطالبة بالاستقلال

- كيف تلقى مسؤولو فرنسا الحرة في الجزائر خبر المطالبة بالاستقلال .. 286
- الاصلاحات التي تقدم بها المقيم العام كابريل بيو 291
- الخلفيات التاريخية والمقدمات الوطنية للمطالبة بالاستقلال 301
- الزعيم علال الفاسي يطالب أثناء نفيه في الكابون بالاستقلال 307
- رابطة الدفاع عن مراكش في القاهرة تطالب باستقلال المغرب 311
- بيان من لجنة الدفاع عن مراكش إلى قادة الرأي العام 314
- طنجة والاحتلال الأجنبي 316
- زيارة جلالة محمد الخامس لباريز 320
- من ذكرياتي في السجن 325
- الموقعون على وثيقة المطالبة بالاستقلال كما عرفتهم 357
- المشروع الأول لبرنامج حزب الاستقلال 516
- قانون خلية «فتح» سلا 522
- مشروع النظام الأساس لحزب الاستقلال الذي أقره المجلس الأعلى
سنة 1945 525
- حول إصلاح المقيم العام الفرنسي «كابريل بيو» 530
- شاهد يروي أحداث 29 يناير 1944 بمدينة سلا 540
- الشهيد عبد العزيز بوطالب يختار الشهادة 550
- تقرير سري للمراقب المدني في القنيطرة 555
- قصة (شهيد) 557
- صورة العريضة تأييدية من سكان الدار البيضاء 561
- صورة العريضة تأييدية من التجار والأعيان بسلا 563
- صورة العريضة تأييدية من أشرف سلا 564
- رسالتان من عبد الرحيم بوعبيد بخط يده إلى المؤلف 565
- رسالة من د. محمد زنيبر. بخط يده إلى المؤلف 570
- رسالة من حسين الشرفاوي إلى المؤلف بخط يده 574
- رسالة من عبد الرحمان بن عبد النبي إلى المؤلف 576
- نموذج من منشورات الحزب الوطني بمناسبة ذكرى 16 مايو 1930 581
- قالوا عن الجزء الأول من (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) 583
- كلمة أخيرة 591

كتب صدرت للمؤلف

1. تراجم وأحاديث عن شخصيات :

- (1) محمد حصار : ترجمته وإنتاجه وما قيل عنه.
- (2) سعيد حجي : حياته ونشاطه الثقافي والسياسي جزآن.
- (3) رجال عرفتهم :
- جزء أول : زعماء وعلماء ومفكرون.
- (4) رجال عرفتهم :
- جزء ثاني : المفتي الشيخ أحمد الجريري.
- (5) رجال عرفتهم :
- جزء ثالث : شخصية الحاج عمر بن عبد الجليل.
- (6) رجال عرفتهم :
- جزء رابع : زعماء سياسيون وعلماء مصلحون ومجاهدون شرفاء.
- (7) رجال عرفتهم :
- جزء خامس : الحاج أحمد بلالفرج السياسي المحنك.
- (8) رجال عرفتهم :
- جزء سادس : زعماء وعلماء ومصلحون.
- (9) محمد الخامس : ملامح من حياته، وصور من جهاده.

رحلات :

- (1) مشاهدات في الولايات المتحدة الأمريكية.
- (2) ستة أيام في اليابان.
- (3) مذكرات افريقية وأسيوية.
- (4) في سبيل وحدة إسلامية.
- (5) جولات في رحاب النبوة.

3. حول المجتمع الاسلامي :

- (1) في سبيل بعث إسلامي.
- (2) في سبيل وعي إسلامي.
- (3) في سبيل مجتمع إسلامي.
- (4) أحاديث إسلامية في شهر القرآن.

4. قضايا التعليم :

- (1) التعليم الأولى في الإسلام.
- (2) قصة النهضة.

5. مشاكل اجتماعية :

- (1) الخمر آفة خطيرة على المجتمع.
- (2) دفاعاً عن المرأة المسلمة.

6. في التشريع الاسلامي :

- (1) مبادئ وأصول في التشريع الاسلامي.
- (2) السنة المصدر الثاني للتشريع.

7. حول الرسالة الاسلامية :

- (1) رسالة الرسول محمد ﷺ رسالة عالمية خالدة.

8. حول القضية الفلسطينية :

- (1) المغرب والقضية الفلسطينية :

9. حول الحركة الوطنية :

- (1) مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية (جزءان).

10. أعلام المغرب الحديث :

- (1) القائد عبد الله بن سعيد.



الإيداع القانوني رقم 1993/124
ردمك 9981-9902-5-6

هذا الكتاب

... وهاهو الجزء الثاني من (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) يصدر ليغطي أحداث الجزء الأول من الأربعينيات، وليستكمل تغطية جوانب من أحداث الثلاثينيات ظلت في حاجة إلى تسليط الضوء عليها بالقدر الكافي.

وبصدور هذا الجزء، يكون المؤلف قد سجّل فيما يزيد عن ألف ومائة وخمسين صفحة، شهادته على عصر حافل بالكفاح والصراع والمواجهة، انخرط فيه الأستاذ المجاهد أبو بكر القادري، وعاشه بكل زخمه، وزحمته، وصخبه، وتدافعه، لم يعيشه شاهداً على هذه الأحداث فحسب، ولكنه عاشه صانعاً لأحداثه مع إخوانه في قيادة الحركة الوطنية، وعاش بعض هذه الأحداث، متابعاً، ومراقباً، ومتأملاً، ومتدبراً، ومستغرقاً في استخلاص العبرة والدرس، للتزود منها بزايد من قوة الإيمان، وبمضاء العزيمة، وبشدة البأس، وبالجسارة في المواجهة، وبالشجاعة في الكفاح.

لقد استوفى الجزء الثاني من (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية)، الحديث عن أكبر حدث عرفه المغرب في الأربعينيات، وكان له أقوى الأثر في تاريخ المغرب المعاصر، ألا وهو تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، وإلى الإقامة العامة الفرنسية، وإلى ممثلي الحلفاء في الرباط. وجاء حديث المؤلف عن هذا الحدث الهام، دقيقاً، جامعاً، شاملاً، صريحاً، مستوفياً لشروط التسجيل الأمين لوقائع العصر، وتميّز هذا الجزء أيضاً بكتابة المؤلف عن المناضلين الستة والستين الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال، فقد كتب المؤلف تراجم مركزة، مفيدة، ومشوقة، وجديدة تماماً، للخمسة والستين وطنياً، وكتب أيضاً عن نفسه في اقتضاب. وهؤلاء هم الموقعون على هذه الوثيقة التاريخية.

وهذه هي المرة الأولى التي يكتب فيها بهذه الدقة والشمول والتركيز، أحد الموقعين على العريضة، عن إخوانه ورفاقه في الكفاح.

وهذا الجزء من (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية)، هو رحلة مشوقة إلى مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات، تعود بالذاكرة الوطنية إلى أحداث، ومعارك، ومواجهات، ومصادمات، تشكّل جزءاً هاماً من التاريخ المغربي المعاصر، وقد توفّق المؤلف المجاهد أبو بكر القادري، في الكشف عن خباياها، وتبيان غاياتها، وتصحيح وقائعها، والتدقيق في المرويات عنها. وقد أتى المؤلف في هذا الجزء بما لم يأت به غيره ممن كتب عن هذه المرحلة، ومن سجّل شهادته، ودوّن ذكرياته عنها. ومن ثم فإن هذا الكتاب لا غنى عنه للباحث في تاريخ المغرب المعاصر، بل في تاريخ المغرب العربي بصفة عامة.